

11 me Année No. 522 — Lundi - 5 - 7 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٢٢ «القاهرة في يوم الإثنين ٢ رجب سنة ١٣٦٢ — الموافق ٥ يولية سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

١٣ – دفاع عن البلاغة

٥ – الأسلوب

خلص لنا من مخض هذه الأحاديث أن الأسلوب الفني يتكوّن من الصّورة والفكرة كما يتكوّن الماء القَراح من الهدروجين والأكسيجين. وكما استحال في فن الطبيعة أن يتكون الماء من أحد عنصريه، فقد استحال في فن الإنسان أن يتكون الأسلوب من أحد جزأيه. ولا أقصر وجه الشبه بين الأسلوب والماء على أن تركُّب هذا وذاك من عنصرين ضربةُ لازب؛ إنما أمد الشَّبَه إلى أن نسبة الصورة إلى الفكرة في الأسلوب يجب أن تكون كنسبة الهدروجين إلى الأكسيجين في الماء[1]. وإذن لا يعد من الأساليب الفنية تلك المعاني الحكيمة التي تُعرض في معرض بشع من الركاكة والفثاثة والتعقيد والخطأ، ولا تلك الصور المموهة التي تنتفخ انتفاخ الفقاقيع، وتبرق بريق الشرر، ثم لا يكون من ورائها غير فراغ وظلمة. قال ابن رشيق: «ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب، قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح. فإن اختل المعنى كله وفسد، بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأى العين إلا أنه لا يُنتفع به ولا يفيد فائدة. وكذلك

(١) نسبة الهدروجين إلى الأكسيجين في الماء هي نسبة اثنين إلى واحد

إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصحّ له معنى ، لأنا لا نجد روحاً فى غير جسم ألبتَّة »[1]

***

على ذلك نستطيع أن نتحدَّث إليك اليوم عن صفات الأسلوب الذى عرّفناه وآثرناه . وحاشاك أن تفهم مما قدمتُ أن فى ذهنى أسلوباً معيناً جعلته النموذج ، وأن فى بالى نموذجاً خاصاً جعلته المقياس ؛ فإنى ذكرت لك من قبل أن الأساليب تختلف باختلاف الذهن والثقافة والنوع والغرض والحال والشخص الذى يتحدث . فأسلوب القصة غير أسلوب الرواية ، وأسلوب العتاب غير أسلوب الشكر ، وأسلوب التأثير غير أسلوب الإقناع ، وأسلوب العالم غير أسلوب العامل ؛ وكل أسلوب بليغ فى بابه ، مقبول من أصحابه . ومن العسير علىَّ فى هذه اللمحات أن أستوعب الصفات الخاصة بكل أسلوب لكل نوع ؛ فإن موضع ذلك عند تفصيل القول فى الأنواع الأدبية وقواعدها الثابتة وشروطها المميزة ؛ ولكن لهذه الأنواع مهما تعددت واختلفت صفات مشتركة من جهة الأسلوب ، كما أن لها ملكات مشتركة من جهة الذهن . هذه الصفات المشتركة هى التى تَعنينا وتَعنيها ، وهى التى سنحاول بسط الكلام فيها

تقرأ فى كتب النقدّ والبلاغة فتجد من صفحة إلى صفحة سلاسل من الوصف الُجزاف تتلاحق على الكلام البليغ فلا توضحه ولا تحدده . ذلك لأن أكثرها من الألفاظ التى أشاعها الكتاب فى الناس من غير تقييد ولا تحديد فظلت معانيها مبهمة ودلالتها شائعة . من ذلك قولهم : الجزالة والسهولة والعذوبة والرقة والدقة والخفة والقوة والسلاسة والرصانة والنصاعة والوضوح والصدق والطلاوة والحلاوة والرونق والمائية والطبَعية والسبك والحبك والشرف والسمو والجمال والجلال ، إلى آخر هذه النعوت المتداخلة التى لا تعين حداً ولا تبين مزية

وأنت إذا تدبَّرتَ هذه الصفات على علاتها ثم عرَّفتها وصنَّفتَها لا تجدها تخرج عن صفات ثلاث هى جملتها وجمّاعها : تلك الصفات الجامعة هى الأصالة ، والوجازة ، والتلاؤم . ويقابلها فى الفرنسية (L'originalité, la concision, et l'harmonie) وسنفيض القول فى كل صفة منها ما وسعنا البيان والجهد

يُراد بالأصالة فى الأسلوب بناؤه على ركنين أساسيين من خصوصية اللفظ وطرافة العبارة . وتلك هى الصفة الجوهرية للأسلوب البليغ ، والسِّمة المميزة للكاتب الحق . وملاك الأصالة ألا تكتب كما يكتب الناس . مِلاك كما أن تكون أصيلاً فى نظرتك وكلمتك وفكرتك وصورتك ولهجتك ، فلا تستعمل لفظاً عاماً ولا تعبيراً محفوظاً ولا استعارة مشاعة . ولعلك قرأت فيما قرأت كلاماً يرضى اللغويين ويعجب النحاة ، ولكنه مضطرب الدلالة مختلط الألوان تفه المذاق لا تستقله روح ولا تمثله صورة . ذلك هو الأسلوب الذى صدر عن الذاكرة ولم يصدر عن الذهن ، ونقل عن الناس ولم ينقل عن النفس ، وعبر بالجمل لا بالكلمات ، وأبان بالتقريب لا بالدقة ، وصور بالسوقى المبتذل لا بالأصيل المبتكر

أما خصوصية اللفظ فدلالته التامة على المعنى المراد ووقوعه الموفَّق فى الموقع المناسب . وآية مطابقته لمعناه ومبناه أنك لا تستطيع أن تُبدله ولا أن تَنقله . والخصوصية فى اللفظ أصل الدقة فى التعبير والوضوح فى المعنى والصدق فى الدلالة ؛ لأن الكلمة إذا تمكنت فى موضعها الأصيل دلت على المعنى كله ؛ فإذا حُشرت فيه حشراً ، أو قسرت عليه قسراً ، دلت على بعض المعنى أو أبانت عن غيره

وفى اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع وخَلق ؛ لأن الكلمة ميتة ما دامت فى المعجم ؛ فإذا وصلها الفنان الخالق بأخواتها فى التركيب ، ووضعها فى موضعها الطبيعى من الجملة ، دبت فيها الحياة ، وسرت فيها الحرارة ، وظهر عليها اللون ، وتهيأ لها البروز . والكلمة فى الجملة كالقطعة فى الآلة ، إذا وُضعت فى موضعها على الصورة اللازمة والنظام المطلوب تحركت الآلة وإلا ظلت جامدة . وللكلمات أرواح كما قال (موباسان) . وأكثر القراء ، وإن شئت فقل أكثر الكتاب ، لا يطلبون منها غير المعانى . فإذا استطعت أن تجد الكلمة التى لا غنى عنها ولا عوض منها ، ثم وضعتها فى الموضع الذى أُعدَّ لها وهُندِس عليها ، ونفخت فيها الروح التى تعيد لها الحياة وترسل عليها الضوء ، ضمنت الدقة والقوة والصدق والطبَعيَّة والوضوح ، وأمنت الترادف والتقريب والاعتساف ووضع الجملة فى موضع الكلمة . وذلك فى الجهاد الفنى فوز غير قليل .

(للكلام بقية) احمد حسن الزيات

(١) كتاب العمدة ج ١ ص ٢٨

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الحياة والموت في الآية القرآنية – احترسوا من الأموات – الغصن الوريق

قرأت السؤال الموجَّه إلى الأستاذ محمد أحمد الغمراوى من أحد أفاضل القراء، وقرأت إجابة حضرة الدكتور عباس محمود حسين، وإجابة حضرة الدكتور حامد البدرى الغرابى، ثم رأيت أن أشترك في الإجابة، لأن عندى آراء ترفع اللبس عن الآية القرآنية، وتُلقى على الموضوع بوارق من الضياء

القرآن يقول «يُخرج الحيَّ من الميت» والعِلم يقول إن الحيَّ لا يخرج من الميت، فكيف نوفق بين قول العلم وقول القرآن؟

إن هذا الخاطر حيَّر البرية منذ أزمان، فقد قال أبو العلاء:

والذى حارت البرية فيه حيوانٌ مستحدَثٌ من جماد

وأسارع فأقرر أن مصدر الحيرة يرجع إلى عدم فهم المراد من الميت، وعدم فهم المراد من الجماد

وبيان ذلك أن الموت في الآية القرآنية ليس هو الموت الذى ينافى الحياة كل المنافاة، وإنما هو الحالة التي لا تتمثل فيها خصائص الحيوان والنبات من الإحساس والنماء، وكذلك يقال في الجماد وهو الطين في بيت العلاء، فالطين ليس له في الظاهر إحساس ولا نماء، ولكن فيه حيوية تظهر في قدرته على تحويل البذور إلى نبات، فهو يحتضنها بحرارة تشبه احتضان الطير للبيض، وتلك الحيوية متفرعة عن أسباب جوية، ولكنها أصيلة في الطين بدليل قدرته على اجتذاب وسائل الإنضاج، فإنه لا يمكن تصور الفاعلية بدون تصور القابلية، والقابلية استعداد يشهد بالحيوية

يُروَى أن أستاذنا الروحى في التصوف وهو أبو الحسن الشاذلى قال: «نحن كالسُّلحفاة تُربِّى أبناءها بالنظر»، وهى عبارة في غاية من الجمال

ومع أنى لم أفكر في تحقيق هذه الظاهرة الطبيعية فقد سمعت أن النعامة تحتضن بيضها بالنظر فقط، لأنها لا ترقد عليه وطريقتها في الاحتضان أن تنظر إلى البيض باستقامة لا يعروها التفات إلى اليمين أو الشمال، فإذا تعبت جاء الظليم فوقف مكانها وصوَّب نظره إلى البيض بنفس الأسلوب، لأنه إذا انحرف يمنة أو يسرة خفَّت الحرارة فبرد البيض

وعن هذه الصورة نقلت بعض الكنائس وضع بيضة النعامة في المحراب، لتوحى إلى المصلين أن الصلاة لا تقبل إذا اعترى المصلى أى انحراف

فنظرة السلحفاة للتغذية ونظرة النعامة للاحتضان، هاتان النظرتان فيهما حيوية لا يرتاب فيها مرتاب، وهما تشبهان احتضان الطين لبذور الشجر والنبات

قلت مرة إنى أنكر أن يكون في الوجود شيء ميت، وهذا رأىٌ كوَّنته بعد تجارب، وهو في يقيني صحيحٌ صحيح، وعندى على صحته براهين

ما رأيكم في الغبار الذى يثور فيسدّ مسامّ الأجسام ويقذى العيون؟

في ذلك الغبار حيوية تسبب ذلك الإيذاء، وإن سكت عنها الباحثون، وبرهانى على هذا القول أن القابلية لا تتأثر بدون فاعلية، ومعنى ذلك أن الغبار من الأحياء لأنه فعَّال

يقول الدكتور حامد البدرى:

«الإنسان الحى يقتات من المواد النباتية وهي غير حية، كما يقتات من لحوم الحيوانات بعد ذبحها وموتها وموت خلاياها موتاً كلياً»

وأنا لا أقول بهذا القول، فالنباتات التي نأكلها حيةٌ وليست بميتة، ولحوم الحيوانات لا تموت خلاياها موتاً كلياً بذبحها وموتها، كما يقول هذا الطبيب، وإنما هي لحوم حية وإن أنضجناها بالنار، وإلا فكيف يمكن أن تعود على أجسامنا وعقولنا بالنشاط والأريحية؟

إن حياة الدجاجة، حياتها الطبيعية، لا تقاس إلى حياتها المعنوية بعد أن تذبح وتؤكل، فقد يكون آكلها قائداً فينتصر في موقعة، وقد يكون شاعراً فينظم قصيدة بليغة، وقد يكون باحثاً فينشط ذهنه لحل أصعب المعضلات

هل تعرفون شيئاً عن طمى النيل، وإلى ذلك الطمى يرجع خصب الأرض المصرية؟

ذلك الطمى ليس غباراً تسفيه الرياح كما يقول جماعة من المهندسين ، وإنما هو محصول حيوانى ونباتى تنظمه خلائق صغيرة لم يتحدث عنها العلم ولا التاريخ ، ولهذا السبب نجد فى الفلاحين من يأكل طمى النيل بشهية ، لأنه فى الواقع طعام لا تراب ، وهو لدسامته المُفْرطة يؤذى الأمعاء ، ويصيب الفلاحين بمرض الزَّهَقان

والفلاح بطبعه يترك الماء المقطَّر ، ويُقْبِل على الماء المعكَّر لأن عكارة ماء النيل غذاء ، وهى السبب فيما نتمتع به من الخيرات . لا تنسوا أن تلك العكارة هى فى الأصل عناصر نباتية وحيوانية ، وإن سكت عنها الأطباء فى القديم والحديث

ثم ماذا ؟ ثم أمضى إلى نهاية الشوط فأقول :

ما الذى يوجب أن تكون الرسوم الهوامد من أسباب الإيحاء ، إلى الشعراء ؟

تذكروا الفاعلية والقابلية ، لتعرفوا أن الرسم الهامد لا يخلو من حياة ، وهل يوحى الأمواتُ إلا وهم فى بعض أحوالهم أحياء ؟

الناس فى جميع العهود يؤمنون بالعين ، أو يخافون العين ، وتلك أسطورة معروفة عند بنى إسرائيل ، وعنهم نقلها أكثر شعوب الشرق ، وما سميتها أسطورة إلا تلطفاً مع العلم الحديث ، وإلا فهى حقيقة من الحقائق ، فعينُ الحاسد يَصدُر عنها شعاعٌ محرِق ، شعاع يحسّه الحاسد نفسه ، كما نصّ بعض القدماء ، وهذا الشعاع يُسلِم الرجل إلى القبر ، والجمل إلى القِدر ، كما جاء فى بعض الأحاديث المنسوبة إلى الرسول

قال يعقوب لبنيه عند دخولهم عاصمة مصر لذلك العهد :

« يا بَنىّ لا تدخلوا من باب واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة »

فما معنى هذه الوصية ؟ قال جماعة من المفسرين : إنه خاف عليهم عيون الحاسدين

ولنفرض أن الحسد خرافة فى خرافة ، وأن الجاهلين افتروا على النبى محمد والنبى يعقوب ، فكيف تفشّت تلك الخرافة فى أكثر الشعوب ؟

هل تصدر الخرافات بدون أصل ؟

إن كان ذلك فحدثونى عن سر التوافق بين المصريين والفرنسيين فى هاتين العبارتين :

إن خاف المصرى الحسد قال : عين الحسود فيها عود . وإن خاف الفرنسى الحسد قال : إلمس الخشب Touchez le bois

فما معنى هذا التوافق العجيب فى الفكرة والصورة ؟

هل كان المصريون والفرنسيون يدركون قيمة الخشب فى دفع بأس الكهرباء ؟

هذه والله إحدى العجائب

المهم هو أن أقرر بصراحة أنْ ليس فى الوجود شىء ميت ، وأن القرآن حين قال : « يخرج الحىّ من الميت » لم يكن يريد الموت المطلَق ، وإنما كان يريد الموت الاصطلاحى ، وهو الحالة التى لا تتمثل فيها خصائص الحيوان والنبات من الإحساس والنماء

وما هو الموت إذا أُريدت حقيقةُ الموت ؟

إن كان الموت هو الفناء فلا فناء

قال القرآن المجيد : « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد »

ومع هذا فالله لن يتركنا أبداً ، فالكتب السماوية صريحة فى أنه سيردنا إليه ، للثواب أو العقاب ، وعلى هذا لن يكون الموت غير غفوات قصار أو طوال

ثم ماذا ؟ ثم أسأل عن التفسير الصوفى لعبارة « يخرج الحى من الميت » وهو تفسير سكت عنه أساتذتى فى التصوف ، ومن حقى أن أتأدب بأدبهم فأدير الحديث بالرمز والإيماء

الميت فى التصوف هو الإنسان الفانى ، والحى فى التصوف هو الإنسان الباقى ، ومن فضل الله على عباده الفانين ، أن يجعل منهم عباداً خالدين

فإن قيل : وكيف يخرج الله الميت من الحى على الطريقة الصوفية ؟ فأنا أجيب :

الحىّ فى هذه المرة هو الدنيوىّ المفتون ، وسينتقم الله منه فيجعله ميتاً بالعقاب يوم الحساب

أما بعد فهذه كلمات لم أُرد بها تفنيد ما قال ذانك الطبيبان الفاضلان ، وإنما أردت أن أقدم إلى قرائى حقائق تعتلج فى صدرى ، وهى حقائق متصلة بالشروح التى أبدتْ بها نظرية وحدة الوجود

لا موت ولا فناء

فاسمعوا كلامى واعتقدوا أن فى مقدور كل مخلوق أن يظفر بالخلود إن أراد

جاهدوا لتحيَوْا ، فلا حياة بدون جهاد

لا تكونوا صحراوات لا يترقرق فيها غير السراب ، وإن كان للصحراء حياة تتمثل فى قدرتها على تفويف ألوان السراب

كل شيء حىّ ، حتى الصحراء التى تبدع السراب ، فأين من سمع قبل اليوم أن الصحراء تؤيد غناها الموهوم ببث الأحابيل ؟

وكيف يكون غنى الصحراء غِنًى موهوماً وهى لا تقلّ فى الثروة والمناعة عن البحر المحيط ؟

أنا لا أخاف عليكم الموت ولا الفناء ، لأنى أنكر الموت والفناء ، وإنما أدعوكم إلى التسلح بسلاح الفاعلية لا القابلية

لا تكونوا مقابر توحى فكرة الخوف والخذلان ، وكونوا آساداً توحى فكرة السيطرة والافتراس

القبر يُوحِى والأسد يوحى ، فاختاروا الأفضل والأشرف من الوحيَيْن

لا موت فى الوجود ولا فناء

ولكن الميت قد يحيا ، والحىّ قد يموت

أموركم بأيديكم ، فاصنعوا بأنفسكم ومصايركم ما تريدون ، فقد بلغت فى نصحكم غاية ما أملك من عافية الروح وصراحة البيان

احترسوا من الأموات

وراء كل إنسان حىّ إنسان ميت يسوقه بعنف إلى مصاير فيها المقبول والمردود ، تبعاً لما يملك الميت من آراء وأهواء

ومن غرائب ما يقع فى القدوة الفكرية أن الناس فى الأغلب لا يحترمون رأى المفكر إلا بعد أن يموت . هل التفت الناس إلى آراء الشيخ محمد عبده إلا بعد أن مات ؟

إن الشيخ عبده كان يتندر بمعاصريه فيقول إنهم لا يحترمون غير الرأى المنصوص عليه فى كتاب قديم بعُد عهد صاحبه بالحياة والأحياء

وغفلة بنى آدم من هذه الناحية أوضح من أن تحتاج إلى بيان ، فقد أشاع أبو نواس وأصحابه أن الخمر لا تجود إلا إن قدُم عهدها بالوجود ، ولهذا نجد تجار الخمر يعفّرون الزجاجة بالتراب ليوهموا الغافلين أن جوهرها عتيق ، كما كنا نرى فى بعض مخازن الخمور بمدينة باريس

والقديم فى الأدب هو الأصل ، فقد مرت أزمان والناس يعتقدون أن أشعار الجاهليين أقوى وأروع من أشعار الأمويين والعباسيين

القدم فى عرف بنى آدم يمنح صاحبه قدسية تفوق الوصف ، وهو شارة من شارات النضج العبقرى فى الأشخاص وفى المعانى بسبب ما درج عليه الناس من احترام الأموات

أى العبارتين أقوى : عبارة قال القدماء ، أو عبارة قال المعاصرون ؟

وازنوا بين هاتين العبارتين من لوجهة النفسية لتصدقونى

وأى الحفظين أنفع فى نظر المتدينين : حفظ ديوان المتنبى ، أم حفظ ديوان شوقى ؟

إن الأموات يسيطرون على الجماهير سيطرة روحية وعقلية لا يرتاب فيها إنسان ، ولو كان من أكابر الحكماء

فكيف ننكر أن يخرج الحىّ من الميت ، وهذا هو الحال فى تصورات الأفهام والعقول ؟

للموت قدسية رائعة ، فهو يرفع الأموات إلى آفاق لم تخطر لهم فى بال ، ألم تسمعوا أن كلمة الموت أصبحت مرادفة لكلمة الخلود ؟

تبارك من يخرج الحى من الميت ، وعفا عن صاحب ذلك الاعتراض !

الغصن الوريق

هذا الغصن هو مصدر الوحى، وهو أنضر فنن من أفنان الجمال

جماله عندى ليس جمال الشراب المعتق ، وإنما هو جمال الماء الصابح فى بحر سنتريس

أهفو إليه وهو سرحة ناشئة لم يغرِّد فوقها غير شعرى وخيالى ، وأشتاق رؤيته لأحميه من رقة النسائم فى لطائف الآصال

فوق أوراقك أيها الغصن الوريق تراق دموع الهوى ، وهى أرق من قطرات الندى ، ومن أجل الوفاء لهواك يفتضح من بكره الافتضاح

وهل عرف أحد هويتك ، أيها الغصن الوريق ؟

أنت نفسك لا تعرف أنك المعنىّ بما يهتف به روحى فى رسائلى وأشعارى ، يا أجمل جاهل فى هذا الوجود

هل تعرف أيها الغصن رفقى بك فى القريب من أيامك ولياليك ؟

كان بيدى أن أصيِّرك سرحةً لا يترنم فوقها بلبل ، ولا

ألف ليـــلة ...

للأســـتاذ دريني خشبة

كلما تعبت الإنسانية أو جثمت على صدرها الهموم والآلام ، لجأت إليك يا ألفَ ليلة الحبيبَ تخدِّر بك أعصابها المنهوكة ، وتحسو من نهر أحلامك تلك الجرعة السحرية العجيبة ، فتستسلم للأحلام ...

أنت أيها الأغنية الخالدة التي تترقرق في أرواح المحزونين ما أبدع شاديك وما أملأ بالفتنة ناديك !

لله حوريّاتك التي تثبُ كالقطا نحو أبواب المشرق بعد إذ فتّحتْ أكمام الورد ، وغسلت بالندى أحداق النرجس ، ووسوست في صدور العرائس ، وأيقظت الحياة في القرية الحالمة ، وداعبت كل أمٍ بالأماني ، وجمّشتِ الديكة فأطلقت حناجرها للريح تتأذن للشمس أن تشرق ، وللبدر أن يغيب ، وللأنجم الظالمةِ أن تغرق في فيض الضوء الذي يَفتَرّ عنه فم الصبح !

لله عذاراك يا ألف ليلة الحبيب ! إن في عيونهن كحل الشرق ، وفي وجوههن صَباحتَه التي لا تعرف الدمام ! إنهن يسبحن فوق السحاب المُوَشّى بأجنحةٍ من ذهب لا تُقْفل له ... لأنه ذهب مما تصب سبائكه أخيلة الشعراء والحالمين والظامئين ، تلك الأخيلة التي تصنع الطوبى ، وتنبت الجنان ، وتوسل الألحان الصامتة ، وتنحت التماثيل الحية ، وتفرش أديم الأرض الطيبة بأوراق الورد والبنفسج ، وتفجر فيها أنهار المعرفة ، وتمطر نسيمها بعبق الزنبق ، وتملأ أرجاءها بألسن الموسيقا ، وتبنى فيها القصور للعشاق والمحبين من البلّور واللؤلؤ المنثور ...

أملأ كأسك السحرية يا ألف ليلة الحبيب لتشرب الإنسانية المتعبة نخب أحلامك ... إنها تود أن تنام فلا تصحو ... إن الأشباح الكريهة الشائهة قد ملأت عليها عالم الحقيقة ، وهجمت عليها فجاءةً من الغابة المظلمة الفاحمة أفاعي الأحقاد ... ها هي ذي الضباع الجائعة التي أصابها السعار تنوشها من كل فج ، وتتلقفها في كل مكان ... في البر ... في البحر ... في الهواء ... تحت الماء ... في المخابئ ... في الخنادق ... في البروج المشيدة ... في البيداء ... في القرية ... في المدينة ... في كل مكان يا ألف ليلة الحبيب تجد الإنسانية الأشباح ذات الظفر والناب ... أشباح السباع والضباع وعفاريت الجن والسحراء والأفاعي والرّخاخ الهائلة التي تحمل فَراخُها الفيلة ، والتّنانينُ الطائرة التي تنزع الأشجار وتحطم المدن وتجعل العامر يَباباً داثرا

لشد ما تفزع الإنسانية يا ألف ليلة الحبيب بهذه الرُّؤى التي زحمت حولها عالم الحقيقة ، فهبها كأسك السحريةَ مترعةً لترسل بها إلى وادي أحلامك ... وادي البدور والحور والعطور والبخور ... وادي الأشجار والأزهار والأثمار والأطيار ... الوادي الجميل الذي لا كُروب فيه ولا كروب ولا حروب ... الوادي الأخضر السندسي الذي يستطيع كل شيء فيه أن يبتسم وأن يغني وأن يتكلم بلغة الموسيقا ... لأن كل شيء فيه يستطيع أن يُحِب ...

يفرح بمداعبتها نسيم ، ولا يتطلع إليها نور الصباح

كان بيدي أن أهصرك ، أيها الغصن الوريق ، فكيف جاز أن أسلك مسلك الزهادة فيك ؟

رأيت أن أجملك فوق مشتهيات العيون والقلوب ؛ يا أجمل وأظرف ما تشتهيه العيون والقلوب

كان رأيك أنني ترفقت بنفسي فلم أقل إنك هواى ، وكان رأيي أني أرحمك فلا أقول إنك هواى ، لأني أقدر منك على مقاومة الرقباء

فيا أنضر غصن في أجمل شجرة تتخايل في أعظم بستان ، ما رأيك فيمن يكتم هواك ؟ ألا يكفي أن الفناء بحبك صيَّرني أشقى الأشقياء بالحب في زماني ؟

سكتُّ فقال العاذلون أنت ، ونطقْتُ فقال الكاشحون أنت ، فمن أنت ؟

آفتي في زماني أني أحب الغصن الوريق ، فليعرف من لم يكن يعرف أن هواى مقصور على الأغصان الوريقة بحديقة داري في سنتريس ، مع الأدب في حق من زار تلك الدار وكأنه طيف من أطياف الخلود

زكي مبارك

الوادى الذى تبتسم شُطئانه ، وتَبغم غزلانه ، وتغازل الأرواح ألوانه ، ويُثلج الصدور ريمانه ... نضر ريّان ، حلو فينان ؛ حينما تدخله الإنسانية الباكية تَطرح أشجانها ، وتنسى عند بابه أحزانها ، فتمشى فيه بقدميها الورديتين ، اللتين أرهقهما المشى فى تلك الطريق الجافة الجافية المضرجة بالدماء ، تبكى أطفالها ، وتضحك من رجالها ... ولا من يرثى لحالها .

***

حينما يداعب الحب قلوب المشاق ، لا يقنع إلا أن يترك فيها ندوباً يجرى منها الدم . فتارة يلون هذا الدم خدود العذارى وثغورهن ، إن كن رفيقات رحيمات ... أما إن كن قاسيات عاتيات ، لا قلوب لهن ، فإنهن يتركن الدم الشهيد المسكين يسقط ليروى الأرض . وقد يمشين فيه ويتلاعبن فيه حتى يخضب أقدامهن وبنانهن ، فيخيل للمخدوعين أنها وردية

ومن حسانك يا ألف ليلة الحبيب من يملأن دنياك مباهج ومسرة . إنهن أرأف بالمدنفين من النسيم الغزل بالزهرة الظامئة ؛ حين يبل صداها بالرذاذ النحيل الذى تحمله أجنحته ذات الزّغب فيطبعه كالقبل فوق أوراقها التى ترتعش

أولئك المُحصنات المُحسنات الحسّانات يا ألف ليلة ، اللائى يمهدن للانسانية طريق الخير ، ويُنبتن فيها الورود والرياحين وأفواف الزهر

ومن حسانك يا ألف ليلة من يشببن حرب الحياة جذعة . هن جميلات ذلك الجمال الفائر المتأجج الذى كل من مسه يحترق وجميع من دخل تيهه يضل ، ولا بد لمن يضرب فى بيدائه من التعاويذ والطلسمات والرقى ... تلك البيداء المسبعة المحوّاة[1] التى تعزف فى جنباتها الجن ، وتفح الأفاعى ، وتعربد الغيلان والسّعالى ...

الجمال الخطر المتبرج الذى صنعته يد الشيطان ، وباركه إبليس الأكبر ، فقصر من ذيله ، وحسر عن ساقه ، وأرسل شعره كالزوابع الهوج تعصف بالقلوب الرطبة ، وتزيغ العيون الجائمة ، وتحرق العواطف المحرومة . ثم جعله سائباً طليقاً فى الطرقات ليهدم فيها ما تبنيه الآداب والأديان والمدارس ، وليثير غرائز الحيوان فيمود بالإنسانية إلى الغابة

***

هات يا ألف ليلة الحبيب من جرعتك السحرية فقد طال الانتظار بمعروف المسكين الإسكاف !

لقد ضاق بالشدتين : صنعته وزوجه ، فابعث إليه بهذا العفريت من الجن يحمله إلى بلاد الصين ، حيث يتزوج من ابنة الملك ! وحيث يحمل علاء الدين مصباحك السحرى إلى أمه فيرد بأساءها رخاء ، وتربتها هناء وفقرها غنى ... ويطلب إليها أن تخطب عليه ابنة الملك ! بالضبط كما تتهيأ الفرصة لمعروف الإسكاف . ولكل بائس محروم يفكر فى الناحية الأخرى المقابلة ، حيث الفرج والسخاء والرضا ، حيث طاقية الإخفاء وخاتم الملك والعصا السحرية ومصباح علاء الدين ، حيث الأرض الطيبة ، وجنة الأحلام ، والطوبى السعيدة الخالية من الآلام .

ألا ما أحوج الإنسانية إلى طاقيتك اليوم يا ألف ليلة الحبيب ! ما أبدع أن تلبسها لتستخفي من الطائرات والغواصات والطرابيد ومدافع الهاون ومدافع الميدان والمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية وقنابل الثمانية آلاف رطل !

إنك إن تفضلت بها اليوم تخلعها على رأسها الذى يضطرب داخله ذلك البركان الأحمق ، فإنك تريحها من أبنائها الحمق ، وأطفالها السكارى العرابيد !

إنها تستطيع إذن أن تتخلص من مارس المتوحش الدموى وعمّاله المتوحشين الدمويين ، ومن تلك المجزرة المجنونة التى صنعت فى معمل الأبالسة ، وأُعِدّت فى جُبّ الشياطين ! إخلع عليها تلك الطاقية يا ألف ليلة وليلة لتصل إلى خزائن الأسرار الحربية ، فتريحنا من اختراعات الأبالسة ، ولتضع مكانها أشباح تيمورلنك وجنكيزخان وهولاكو وأتالا كى تصيح فى أوجه الجبارين : « مكانكم ، مكانكم ، ما هذا الدمار وما ذاك التخريب ؟ لقد دمرنا من قبل ، وخرّبنا من قبل ، وحرّقنا المدائن والقرى ... ثم دمرنا الزمان وأحرقنا التاريخ ، فلم نك شيئاً »

إخلع عليها طاقيتك يا ألف ليلة الرحيم لتصل إلى خزائن البخلاء والمنهومين ومُختزنى الأرزاق والأقوات ، أولئك الذين تركوها تتضور جوعاً وترتعد عُرياً ، ... وتذوب من

(١) التى تكثر فيها السباع والحيات

الاستحياء والتمفف لا لشيء ... إلا لتمتلئ بطونهم بنار الذهب الوهاج ... ليقتنوا الدور ويشيدوا القصور ... وليضاعفوا بعد من آلامها ... تلك الآلام التي يشربونها في كؤوسهم خمراً لذة، وسُلافة مَزَّة، وشراباً لا بارداً ولا طهوراً!

لقد طال بكاء معروف ومسغبته يا ألف ليلة، فامنحه طاقيتك ليستخفي بها قليلاً من عصا زوجه وثقلها ... فما جنى شيئاً؛ ولكن جنت عليه تلك الحرب التي لم يشعل نارها وهو يصلى بأوارها

* * *

أين الخاتم يا ألف ليلة؟ خاتم الملك العجيب الذي يملك الدنيا من مَلَــكه؟ أين خادمه الجبار لينقل الإنسانية إلى كوكب غير هذا ... كوكب بعيد قصي ... كوكب غير قريب من المريخ فلا يراها مارس وأعوانه المردة الذين لا ري لهم إلا من دماء الأبرياء، ولا شبع إلا ... بأكباد الأمهات والأيامى والمساكين وقلوب اليتامى والحزانى

أين خَـبَأتَ هذا الخاتم يا ألف ليلة؟ لماذا تبخل به على إصبع الإنسانية المرفوعة إلى السماء، والدم يقطر من بنانها: منَّ به عليها لتكتم أنفاس المدافع، ولتوزع على الجائعين أرغفة بدل هذه القنابل والمنشورات التي تلقيها عليهم الطائرات؟

لقد ضلت الإنسانية سبيلها في تلك المفازة، فألق إليها بالخاتم يا ألف ليلة . . . ولقد اشتد الظلام الذي تضرب فيه على غير هدى؛ فأشعل لها مصباح علاء الدين لحظات حتى تتبين سبيل الرشد، وحتى تفيء إلى الحق، وحتى تعود لها نعمة الحياة التي يعدها المَرَدَة من سخافات الماضي

* * *

« لماذا هذا الحديث الطويل عن الدم والآلام والحَلْبة؟ أليس في الدنيا ركن أختبئ فيه بهذا الناى الذي في يميني، وذاك القرطاس الذي في شمالي، حيث أخلو إلى أناشيدي التي أملأ بها أسماع الرياح وآذان الآرام؟

لماذا يُعوزني التحدث إلى الإنسانية ذات الأسمال، وها هوذا الورد يصغي إلى ألحاني، ويعطر الحديقة الضاحكة بعبير بياني؟ »

هكذا وقفت شهرزادك تسائل نفسها يا ألف ليلة:

« سأمشي على ثبج هذا البحر بقدميَّ الجيلتين، فتُهرع إليَّ جنياته وعرائسه .. وسأسبح على رؤوس الآكام في الهواء فتثب إليَّ بنات الغاب وعذارى الخمائل .. ثم أسبح فوق السحاب ... في صميم الأثير، فتقبل إلى ملكات العَلالي ...

أما جنيات البحر وعرائسه فتقبِّل قدميَّ وتتلقى أوامري ... فَوَجالي ومفاتني لا يأذنَّ لغواصة أن تلج فيه ولا لبارجة أو مدمرة طوربيد أو نحوها ... ولتمخر فيه الجواري المنشئات كدأبها من قديم آمنات مطمئنات

وأما بنات الغاب وعذارى « الخمائل » فتقبِّل بناني، ثم لا يأذن لمدفع أو دبابة أن يشوه جمال دنياي الخالدة ... لن تصعد لأَهات المكروبة من خرائب المدن الباكية بعد اليوم ... ولن تكون هناك أطلال تذكر بتلك الجزرة المجنونة

وأما ملكات العلالي فتقبل يدي، وتنثر على الأرض المتعبة لآلئ حكمة، وتنشر في الهواء لواء السلام، وترد إليها المحبة والإخاء »

* * *

ما أجمل ما تغنّى شهرزاد يا ألف ليلة الحبيب؟!

شهرزاد! روايتك الخالدة! مخترعة الطاقية والخاتم ومصباح علاء الدين والعصا السحرية ... مسخرة الجن، وصانعة التعاويذ والطلسمات والرقى

شهرزاد! حلم الإنسانية الجميل!

متى تصحو شهرزادك يا ألف ليلة الحبيب؟!

دريني خشبة

حكمت محكمة مديرية جرجا العسكرية في الجنحة رقم ١٤٩ سنة ١٩٤٣ عسكرية مركز طهطا المتهم فيها غيطاني محمد عبد الله حضوريا بحبسه ثلاثة شهور شغل وغرامة ١٠٠ مائة جنيه والمصادرة والنشر والتعليق لبيعه قمحاً بأكثر من السعر

حكم في القضية ٤٠٥ سنة ١٩٤٣ بولاق العسكرية ضد سيد محمد مصطفى بحبسه ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه والمصادرة وإغلاق المحل لمدة ثلاثة أيام ونشر الحكم بجريدتي الأهرام والرسالة وتعليقه بمحل المتهم والفرن التابع له لبيعه السكر بأزيد من السعر المحدد

حكم في الجنحة رقم ٩٦٣ عسكرية السيدة سنة ١٩٤٢ بتغريم محمود حسن غانم خمسين جنيها وبكر إبراهيم حسن مائة جنيه والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لبيعهما لحم جلي بأزيد من السعر المحدد

على هامش النقد

النماذج البشرية المهموسة !

للأستاذ سيد قطب

حينما يذكر هذا التعبير «نماذج بشرية» تتوا كب على النفس، وتخطر فى الخيال، عشرات أو مئات أو ألوف من السحن المتمايزة، واللامح المتغايرة. سحن الأجسام والطبائع، وملامح النفوس والجوارح، من هؤلاء البشر الذين نلتق بهم فى الحياة اليومية، أو نسمع عنهم فى القصص والتاريخ، أو نستشرف إليهم فى الأساطير والخيال

وكل نموذج من هـذه النماذج «أصيل» فى بابه — حين ننظر إلى الحياة بعين فنان — وكلها جدير بأن «يسد خانته» ويؤدى دوره على المسرح الحافل الرحيب الذى تعرض فيه الحياة شتى النماذج وشتى الأدوار.

فإذا أردنا أن نضيق من هـذه النظرة، فننظر بعين الفرد الإنسانى ورغباته وميوله وما يحب فى هـذه الحياة وما يكره من الطبائع والأشكال؛ فلنا حينئذ أن نحب نموذجاً ونؤثره على نموذج؛ ولكن ليس لنا أن نطلب من النماذج الأخرى جميعاً أن تستحيل إلى المثال الذى نحبه؛ لأن فى هـذا تضييقاً لمسرح الحياة!

ولكن الأستاذ «مندور» كما يستهويه لون واحد من ألوان الأدب، لا يفرق بين الجيد والردىء من أمثلته، ما دام الجيد والردىء فيه ملونا بهذا اللون الخاص الأثير عنده المحبب لديه. يستهويه كذلك لون واحد من ألوان النماذج البشرية، هو «الشخصيات المهموسة» التى لا تجهر مرة واحدة فى حياتها، والتى تنزوى دائماً وتتضاءل وتتفانى وتخنس، والتى يتوافر فيها الحنان أو الحنين فى همس واستخفاء

ولقد كتب فى مجلة الثقافة بضع مقالات يستعرض فيها أعمالا فى القصة والرواية لأدباء مصريين وأوربيين. والقارىء لهذا الاستعراض لا يحتاج إلى كبير عناء ليعرف أن آثر شخصية من شخصيات القصص قد أنس إليها وأحبها، وأطنب فى عرضها والتذ هـذا الإطناب. هى شخصية «فيليستيه» التى صورها الروائى الفرنسى الكبير «فلوبير» فى قصة بعنوان: «قلب ساذج»

تلك الشخصية التى يقول عنها هو: «فى عنوان القصة، وفى اسم البطلة ما يشخص هذا الأنموذج المؤثر. ولو أنك طلبت إلىَّ أن أترجم هذا الاسم وكان ذلك من حقى لما وجدت خيراً من «أم السعد». فأنا نحس فى هذا اللفظ سذاجة القلب وطيبته.

«فليستيه» خادمة من خدم الريف. عقل محدود وقلب رحب. وعن هذه المفارقة يشع نبل حياتها المتواضعة الحزينة... مثلها كمثل كلب أمين لأن الأمانة من طبعه، يقاتل دون سيده، ولقد يمسه الأذى ويعود من المعركة لا يذكر إلا ما به من جراح يحييها ألمه...»

ولا علاقة لى هنا بقيمة هذه القصة من الناحية الفنية ولا بمقدار إجادة المؤلف فى رسم هذه الشخصية. وإنما يعنينى فقط إعجاب الأستاذ مندور بشخصية معينة

إنها ليست مصادفة عارضة أن تكون شخصية «فيليستيه» أو «أم السعد» هى أحب شخصية من شخصيات القصص إلى الأستاذ مندور بما فيها من «سذاجة وطيبة» و «بحياتها المتواضعة الحزينة» وبما فيها من شبه بالكلب الجريح «تحيى آلامه جراحه». وأن يكون آثر ألوان الأدب لديه هو «الشعر المهموس» والنماذج التى اختارها خاصة من هذا الشعر بما فيها من «نفس تئن» و «موسيقى حزينة». وأن تكون دعوته إلى الأدباء، هى الهمس والتواضع والاختفاء. وأن يكون المتنبى والعقاد بما فيهما من فحولة وضخامة وجهارة من الشخصيات التى لا تقع بينه وبينها ألفة فى الأدب أو الحياة! إنما هى تلبية لمزاج خاص يهفو إلى الحنان والحنين، ويستنيم إلى الهمس و «الوشوشة» والتهويم!

ولم تكن كذلك ملاحظة عابرة تلك التى لاحظتها على « مزاجه » فاجتماع هذه المصادفات كلها لا يجعلها مجرد مصادفة ، إنما يوحى بدلالة خاصة واضحة !

ولا أعيد هنا ما سبق لى تقريره من حاجة الذى يتصدى للنقد إلى أن يوسع آفاقه فينظر إلى ألوان الأدب وإلى نماذج الشخصيات وأنماط الطبائع من زوايا كثيرة مختلفة ، لا من زاوية واحدة صغيرة

فشخصية « فيليستيه » بصفاتها تلك ، قد تكون شخصية محبوبة تستدعى العطف والرثاء ، ولكن الحياة ليست مطالبة أن تحيل الناس جميعاً « فيليستيهات » ! لتعجب الأستاذ مندور فهناك شخصيات جهيرة جاهرة ، وشخصيات عظيمة شاعرة بما فيها من عظمة ، وشخصيات ضخمة جبارة ، وشخصيات طاغية عاتية ؛ بل هناك شخصيات مربدة شريرة ، وشخصيات دعية داعرة . وكلها جديرة بالحياة ، وجديرة بريشة الفنان . وليس نموذج منها بأكثر أصالة من نموذج آخر فى عرف الفن ولا فى عرف الحياة . ولم يقع أن التذّ الأستاذ مندور نموذجاً آخر من هذه النماذج البشرية الكثيرة أو عنى باستعراضه فيما كتب ولهذا دلالته بلا جدال !

و « الأدب المهموس » قد يكون لوناً محبوباً من ألوان الأدب — مع وجوب التفرقة بين الصحيح منه والمريض — ولكن الحياة ليست مطالبة كذلك أن تحيل الفنون جميعها همساً ، لأنها لا تستطيع أن تحيل الطبيعة كلها همسات خافتة أو حشرجات لاهثة لتعجب الأستاذ مندور ، فالحياة أرحب من ذلك وأكبر وأعرف بقيمة الأنماط المختلفات !

* * *

وتشاء المصادفات أن يكتب الأستاذ مندور فى عدد الرسالة الماضى كلمة فى الرد علىّ ، فتتضح بدليل جديد على هذا المزاج الخاص حين يقول :

« وأما عن النثر فما أظن القراء فى حاجة إلى أن أدلهم على أن « رثاء أحد الشبان لأمه » الذى أورده الأستاذ قطب لا يمكن بحال من الأحوال أن يقارن « بأمى » لأمين مشرق . فرثاء الشاب المذكور لا إيقاع فيه ولا نبل فى الإحساس ولا توفيق فى الاختيار للتفاصيل . وكيف تريد من شاب يؤلمه من موت أمه أنهم لم يعودوا يعرفون « بأُسرة » أن يصل فى فن الكتابة إلى مشرق الذى يذكر « فستانها العتيق » و « يديها اللطيفتين » و « وقع قدميها حول سريره » و « غابة السنديان » وما إلى ذلك من فتات الحياة » ؟

وأريد أن أتجاوز عن شىء من الالتواء فى اختيار الأستاذ مندور لإحساس واحد من أحاسيس الشاب المصرى فى رثاء أمه ليس هو أبرز أحاسيسه تجاه الفاجعة ، وحشده فى مقابل هذا الإحساس الواحد خلاصة أحاسيس أمين مشرق كلها ليصل إلى غرض خاص فى الموازنة !

أريد أن أتجاوز عن هذا الالتواء فى العرض ، وأكتفى بأن أضع بإزائه تصرفى فى عرض رأيه هو ، وعودتى فى المقال الثانى من مقالاتى إلى توضيح هذا الرأى كاملاً بفقرات ونصوص حين أحسست أننى فى مقالى الأول لم أعرضه العرض الكافى لتحقيق الأمانة الأدبية !

أتجاوز عن هذا لأتحدث فى لب الموضوع فأثبت أولاً للقراء ذلك النص الذى يعنيه من رثاء الشاب المصرى لأمه :

« من نحن اليوم يا أماه ؟ بل ما نحن اليوم عند الناس وعند أنفسنا ، ما عنواننا الذى نحمله فى الحياة ونعرف به ؟ إننا لم نعد بعد أسرة ، ولم يعد الناس حين يتحدثون عنا يقولون : هذه أسرة فلان ، بل أصبحوا يقولون : هذا فلان ، وهذا أخوه ، وهاتان أختاه ! »

هذا هو الإحساس الذى لا يعجب الأستاذ مندور : شعور الأبناء — بعد أمهم — بأنهم فقدوا عنوانهم فى الحياة أمام أنفسهم وأمام الناس ، وأنهم لم يعودوا يعرفون من هم ، بل لا يعرفون ما هم !

وفى هذا الرثاء أحاسيس أخرى صادقة عميقة . تجاوزها ولم يشر إليها ؛ ففيه الإحساس بالتناثر ، والإحساس باليتم ،

أدباء عالميون

٢ – موريس ماترلنك

للأستاذ صلاح الدين المنجد



وأخرج ماترلنك، بعد « الأميرة مالين » درامته المسماة : « بالدخيل Intruse » ، وهي ذات فصل واحد ، تجرى حوادثها في بهو مظلم ، من قصر قديم . أما أشخاصها فقلال : جد أعمى ، وأب ، وعم ، وثلاث فتيات . كما رأيت أن أشخاص الأميرة « مالين » هما الملك والملكة .. فالملكة تجن ، والملك يموت ... ولكنهما يخفيان وراء شخصيهما أمراً ، ذلك أن الناس كلهم أمام تلك القوة الخفية التي تؤثر فينا متشابهون ، سواء أنسبوا ذلك للمصادفة أو الحظ أو الشقاء أو الموت ... لأن أشد الناس اختلافاً وتبايناً يصبحون متساوين متشابهين أمام العَدَم ...

إذن فأشخاص الدرامة الثانية قليلون . وهاهم أولاء في غرفة يكاد مصباحها لا يضيء . . . يتكلمون وأصواتهم لا تسمع ... يقطعون الليل قَلِقين مضطربين وفي غرفة مجاورة تنام تلك التي يقلقون عليها ويضطربون ... تلك المرأة المشرفة على الموت . لقد كانت تجود بنفسها ، في حين كان الأب والعم ، والفتيات يطمئن بعضهم بعضاً :

— لقد تكلمت هذه الأمسية

والإحساس بالغربة في الحياة كلها . وفيه الأسى على صور الأمومة الحية النابضة حين يقول :

« من ذا الذي يقص على أقاصيص طفولتي كأنها حادث الأمس القريب . ويصور لي أيامي الأولى فيعيد إليها الحياة ، ويبعثها كرة أخرى في الوجود »

وحين يقول :

« عندي لك أنباء كثيرة . كثيرة جداً ومتزاحمة . تواكبت جميعها في خاطري على قصر العهد بغيبتك ، وإنه ليخيل إليّ في لحظات ذاهلة : أنني أرقب عودتك لأسمعك هذه الأنباء ، وأحدثك بما جدّ لنا في غيبتك من أحداث ، وأنك ستسرين ببعضها وتهتمين ببعضها ... وهي مدّخرة لك في نفسي يا أماه ، ولن تدب فيها الحياة إلا حين أقصها على سمعك ... ولكن هيهات فسيدركها الفناء . وستغدو إلى العدم المطلق ، لأنك لن تنصتي إليها مرة أخرى »

هذه الأحاسيس ، وهذه الصور لا تعجب الأستاذ مندور : « ولا إيقاع فيها ولا نبل في الإحساس ولا توفيق في الاختيار للتفاصيل » ولا تعدل بحال من الأحوال ذكر « الفسطان العتيق » ولا « اليدين اللطيفتين » ولا « وقع القدمين حول السرير » ولا « غابة السنديان »

لماذا ؟ لأن في القطعة الأولى معانيَ كبيرة وأحاسيس عميقة ، وليس فيها « فتات » . ولهذا دلالته القوية فيما نحن بصدده . فهنا مزاج موكل بالأحاسيس الصغيرة الهامسة والمظاهر التافهة الساذجة ، لا يستقل حسه بإحساس ضخم ، ولا بصورة مركبة ، ولا يطيق أن يرى في الحياة إلا الأطياف الباهتة ، ولا أن يسمع في الطبيعة إلا الهمسات الخافتة . وتلك الجزئيات المفردة تستلفت نظر المرأة بشدة في الحياة ، ونظر ذوي الأمزجة الخاصة كذلك

والأستاذ مندور كرجل ذي مزاج خاص مطلق الحرية في أن يختار ما يطيق حمله وما يستطيع أن يقله ، ولكنه لا يصلح حَكَماً يشرع للآخرين من أقوياء البنية القادرين على حمل ما يؤوده حمله ، وعلى إدراك ما يقصر عنه حسه !

أما ما قاله عن الأستاذ محمود حسن إسماعيل فليس اليوم مجال الحديث فيه ؛ وحتى التسليم به لا يؤثر في الحكم على الشعر المصري كله

سيد قطب

— « إنها تنام نوما عميقاً

— « هذه أول ليلة نشعر براحة فيها ...

— « أحسب أن لنا الحق بالضحك أيضاً بلا خوف ... »

ولكن الجد العجوز ، لا يزول اضطرابه ولا قلقه ؛ ولا يخفف من قلقه واضطرابه هذا الهراء الذى يسمعه ، لأن عينيه لا تريان هذه المظاهر الخارجية التى تمنع الروح من الجولان ، فهو متصل بالكون بروحه ، يلتقط بها الأشياء ويدركها . هى كلاقطة المذياع ... يعلم بها ما سيقع وسيكون . لا جرم أن لدينا جميعاً هذه اللاقطات ، ولكنها تختلف فى قوتها ؛ فكلما كانت الروح قوية كان هذا الإدراك أو ذلك الشعور قوياً . ولكننا لا نفيد منها جميعاً ... لأن بصرنا يقف عند ظاهر الأشياء . فالواقع reel الذى نشاهده يمحو الحق vrai . وهذه الفكرة ملازمة لآثار ماترلنك يعرضها ويفصلها ويشرحها . وإن ما نعتبره أدوات كشف وفهم كالبصر والنطق ، لهى عاهات ... فالأعمى فى هذه الدرامة يرى ببصيرته ، يرى مالا يراه أولئك الذين يثرثرون من حوله ... ويتكلمون

ويمضى ماترلنك فى درامته هذه ، فيصور لنا وساوس الجد المسكين وقلقه . إنها لم تشعر بالروح والنشاط كما زعموا .. لا ... ولكن ماذا حدث ...؟ فلقد هب الهواء ... وخرست العنادل ، وها هو ذا خفق أقدام البستانى يرتفع . لقد بدأ عمله .. ويثرثر الفتيات ؛ ويضطرب الشيخ ، فقد شعر بدخول مخلوق لا يستطيع أحد أن يراه ... إنه يرى ... يرى مالو تكلم به لسخروا منه ... دخل هذا المخلوق الرهيب ... إنه هنا ، فى الدار ، يحس به ويضطرب قلبه له . ويطرق الشيخ الأعمى لحظة ، وتدخل الراهبة فترسم الصليب ... لقد ماتت المرأة ...

ويجهد ماترلنك فى إفهام القارئ أن الموت دخل إلى غرفة أولئك الأحياء ، وكان بينهم ، كما أنه فى كل ساعة ، وفى كل مكان ، يستطيع أن يدرك المخلوقات كلها

وماترلنك يُدخل الموت فى جميع مسرحياته ، فالموت يسدد ضرباته دائماً للشباب والنعيم والحب ، لا لأن السعادة أو الحب تصابان بما لا يصاب به الحقد والألم والبغض ، بل لأن ضرباته شداد فى السعادة والحب ... خِفاف فى الشقاء والحقد .

* * *

وينحو النحو نفسه فى درامته « العميان Les aveugles » فمن هم هؤلاء الإثنا عشر أعمى : ستة عميان ، وست عمياوات ، التائهون فى غابة من غابات إفريقية الاستوائية ، تحت سماء صافية مزدانة بالنجوم . ينتظرون عودة الكاهن الذى قادهم إلى تلك المناطق البعاد ، فتركهم فيها ومضى . هؤلاء العُمى رمز الإنسانية القلقة الحائرة ، التى تجهل الطريق الواجب اتباعها ، وترتقب نجدة خارجية من دين أو فلسفة ، فتنقذها مما هى فيه . إن أولئك العميان وهم فى تلك الغابة ، لا يجهدون ولا يتحركون لأشد ضعفاً من الأطفال ... ما ذا يفعلون وقد غاب الدليل ... إن صخوراً ثُمَّا ، وهُوى سِحاقاً تحيط بهم . لقد حُكم عليهم أن يبقوا فى هذا السجن وسُلِّط عليهم الموت ، فهم يشعرون به عند ما يفقد بعضهم بعضاً ولكنهم لا يجدون إلى رؤيته سبيلاً .

* * *

على أن درامته المسماة « بيلّياس وميليزاند Pelléas et Mélisande » أشد سحراً ورقة ، وأقرب ما كتب ماترلنك من الواقع . وقد افْتَنَّ الموسيقيون فى وضع ألحانها ، فجعلتها موسيقى « De bussy » شعبية ذائعة . حتى أن سلطان النغم أكسبها قوة ورقة ، وإن كانت هذه الموسيقى قد أوضحت بعض ما كان ينبغى أن يبقى غامضاً ، كالألم والقلق والخيبة ... هذه الأشادى التى يجب أن تظل كالظِلال ... وراء الاقوال ... يدركها المرء بروحه ويستخرجها بنفسه ...

لقد تزوّجت « ميليزاند » الحسناء « جالود Galaud » الأمير وكان هذا صياداً ماهراً ، ذا بأس وقوة . وكان أخوه بيلّياس فتى غرانقاً ، فأحبته ميليزاند ، وأحبها . وإنهما لفى خلوة من خلوات الحبّ ، إذ يفجؤهما جولود ... فيثور ويغضب ويشهر سيفه ويطعن ميليزاند فتجرح ، ويحاول أن ينتحر ... ويفرّ بيلياس ليرمى بنفسه فى هوة سحيقة ... فتتناثر قطع جسمه فى جنباتها . وتموت ميليزاند بعد أن تضع غلاماً ... وهنا تزداد الدرامة رفعة بالموسيقى ... على أن بيلياس وجولود وميليزاند

مناهضة أزياء النساء قديماً

للأستاذ كوركيس عواد

بلغت النساء فى عصرنا مبلغاً عظيما من التفنن فى ضروب الملبس وابتكار صنوفه. فأضحينا نرى أو نقرأ بين الفينة والأخرى عن زى جديد يشيع بين طبقات منهن، ثم لا يلبث أن ينقلب أمره فيصبح قديماً مستهجناً فى أنظارهن، فيهمل استعماله ويعدل عنه إلى غيره

ومثل هـذا التقلب بين الأزياء لا يمكننا عده بدعة جديدة أو أمراً مستحدثاً؛ فإن من يتصفح الأسفار القديمة، لا يعتم أن تستوقفه أخبار من هذا القبيل. ومما يلفت الأنظار إليه بوجه خاص، ما كانت تلقاه بعض الأزياء من معارضة واستنكار ممن كانت بأيديهم مقاليد الحكم والتدبير. وقد وجدنا أحد المؤلفين الأقدمين، وهو ابن الأخوة القرشى الشافعى، المتوفى سنة ٧٢٩ للهجرة (١٣٢٨م) ينعى على نساء عصره ما انتهين إليه من سوء الحال فى الأزياء المتكلَّف فيها والتصنع الممقوت فى المظهر، كما يبدو من عبارته التالية:

« والنساء فى هذا المقام أشد تهالكا من الرجال، ولهن محدثات من المنكر أحدثها كثرة الإرفاه والإتراف، وأهمل إنكارها حتى مرت فى الأوساط والأطراف. فقد أحدثن الآن من الملابس ما لا يخطر للشيطان فى حساب، وتلك لباس الشهرة التى لا يستتر منها اسبال مِرْط[1] ولا أدنى جلباب. ومن جملتها أنهن يتعصبن عصائب كأمثلة الأسنمة، ويخرجن من جهارة أشكالها فى الصورة المعلمة »[2]

وكانت بعض أزياء النساء قد أصابت مقاومة عنيفة، لما كانت تنطوى عليه من غرابة وتبذُّل، فعمد أكابر القوم إلى إبطالها بما وسعته طاقتهم وأسعفهم سلطانهم. ومن الشواهد على ذلك ما رواه ابن إياس فى حوادث سنة ٧٥١هـ (١٣٥٠م) من أن السلطان الملك الناصر أبا المحاسن حسن بن الملك الناصر محمد بن الملوك المنصور قلاوون « أبطل ما أحدثه النساء من القمصان التى خرجت فى كبر أكمامها عن الحد، وأبطل ما أخرجوه من الأزر الحرير والأخفاف الزركش؛ فأشهروا المناداة فى القاهرة بإبطال ذلك، فرجعت النساء عن ذلك »[3]

ونظير ذلك ما حكاه ابن كثير فى أحداث سنة ٧٦٢هـ (١٣٦٠م) أن « فى العشر الأوسط من جمادى الآخرة، نادى مناد من جهة نائب السلطنة حرسه الله تعالى فى البلد [دمشق]، إن النساء يمشين فى تستر، ويلبسن أُزُرَهنّ إلى أسفل من ثيابهن، ولا يُظهرن زينة ولا يداً. فامتثلن ذلك »[4]

ومثله ما رواه شمس الدين محمد بن طولون، عن ناصر الدين ابن شبل المحتسب أنه فى سنة ٨٣٠هـ (١٤٢٦م) « أنكر على النساء لبس الطواقى، ومنعهن، وبالغ حتى أحرق بعض

ليسوا أشخاص الدرامة الأوائل ... وإنما كان صاحب (الدور) الأول، ذلك المجهول الذى لا يُرى، رغم وجوده

كان ماترلنك، عند ما كتب هذه الدرامة، متشائماً. فهو يصور القدَر يسيّر الكون، فلا يستطيع أى مخلوق أن يقف فى وجهه. فالقدر هو الذى سلط على ميليزاند الآلام القتالة بعد فرارها من زوجها؟ وهو الذى وصل بين قلبيها وقلب بلياس بالحب ... هذا الحب العنيف الذى لا يقاوم، وهو الذى دفع جالود إلى القتل، وحال دون سعادة مخلوقين بريئين، ثم هو الذى ضرب العاشقين ضربات مؤلمات على جريمة لم يرتكباها ... فهذه القوة التى لا ترحم ... هى التى فعلت هذا كله. والعقيدة المسيحية (تبرر) الألم بأنه عقاب أو تكفير عن ذنوب. ولكن بلّياس وميليزاند لم يرتكبا جريمة، إنهما بريئان، وإنما تحابّا ... فكأن الحب جريمة لا تغتفر.

(دمشق — للبحث بقية) صموع الدبر المنير

---

(١) المرط: الثوب الفاخر الناعم والجمع المروط

(٢) معالم القربة فى أحكام الحسبة (ص ١٥٧ من طبعة كمبردج)

(٣) بدائع الزهور فى وقائع الدهور (١ : ١٩٣)

(٤) البداية والنهاية فى التاريخ (١٤ : ٢٨٠)

القِمع(١) من على رؤوسهن بما عليها من المناديل ، فامتنع النساء من الخروج »(٢)

وكانت بعض النساء ينتهزن الفرص للخروج إلى المتنزهات والظهور بأزيائهن المختلفة ، بما لا يكون مرضياً فى بعض الأحيان ؛ فكن يلقين ممانعة من أولى الأمر وامتعاضاً من مسلكهن البعيد عن الاحتشام . فمن ذلك ما نقله المقريزى فى بعض كتبه ، وإليك كلامه بحرفه :

« وقال جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون : وفى سنة ست وسبعمائة (١٣٠٦ م) ، رسم الأميران بيبرس وسلار بمنع الشخاتير(٣) والمراكب من دخول الخليج الحاكمي [خارج القاهرة] والتفرج فيه بسبب ما يحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات اللاتى تجمع الخمر ، وآلات الملاهى ، والنساء المكشوفات الوجوه ، المتزينات بأفخر زينة من كوافى الزركش(٤) والقنابيز والحلى العظيم ، ويصرف على ذلك الأموال الكثيرة ، ويقتل فيه جماعة عديدة . ورسم الأميران المذكوران أن لمتولى الصناعة(٥) بمصر أن يمنع المراكب من دخول الخليج المذكور ، إلا ما كان فيه غلة أو متجر أو ما ناسب ذلك . فكان هذا معدوداً من حسناتهما ومسطوراً فى صحائفهما »(٦)

ومثل هذا الإنكار والمنع شىء كثير فى كتب التاريخ والأدب لا يسعنا استقصاؤه فى هذه النبذة . وقد اكتفينا بذكر بعض الأمثلة ، لما فيها من فائدة بكونها تطلعنا على بعض أصناف ملابس وأزياء النساء ، كانت شائعة بين القوم فى المائتين السابعة والثامنة للهجرة

ولا نريد أن نطيل الكلام الآن على الأوامر الجائرة التى أصدرها الحاكم بأمر الله فى هذا الصدد . فهى فى جملتها إجحاف بحقوق النساء وإرهاق لهن ، ولم يكن فيها ما يستند إلى عقل ويحتكم إلى منطق ، إنما كان ذلك دأبه فى غالب أوامره ونواهيه . من ذلك ما رواه ابن تغرى بردى فى حوادث سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣ م) أن الحاكم بأمر الله « منع النساء من الخروج فى الطريق ، ومنع من عمل الخِفاف لهن ، فلم يزلن ممنوعات سبع سنين وسبعة أشهر حتى مات »(١)

ثم قال فى موطن آخر من أحداث تلك السنة أنه « أمر بحبس النساء فى البيوت »(٢)

وذكر فى أخبار سنة ٤٠٥ هـ (١٠١٤ م) أنه « منع النساء من الخروج من بيوتهن . وقتل بسبب ذلك عدة نسوة »(٣)

(بغداد) كوركيس عواد

(١) القمع ، واحدتها القمعة : قطعة خشبية مستديرة بحجم أعلى الرأس ، تضعها المرأة فوق رأسها وتغطيها بالقماش وهى ما زالت متخذة عند بعض القرويات فى شمالى العراق

(٢) اللمعات البرقية فى النكت التاريخية (ص ٦٣)

(٣) الشخاتير ، واحدها الشختور : ضرب من السفن النهرية

(٤) فى السلوك للمقريزى (٢ : ٢٩) : « بكوافى الذهب على رؤوسهن »

(٥) يقصد به متولى دار الصناعة ، أى صناعة السفن

(٦) الخطط المقريزية (٣ : ٢٢٣ مطبعة النيل) وقد ورد هذا الخبر ، بشىء من الاختلاف ، فى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى (٢ : ٢٩ طبعة الدكتور زيادة)

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (٤ : ١٧٨ — ١٧٩)

(٢) النجوم الزاهرة (: ٢٣٥)

(٣) النجوم الزاهرة (٤ : ٢٣٦)

تشارلز دكنز

مواهبه وخصائص فنه

للأستاذ محمود عزت عرفة

(تتمة ما نشر فى العدد ٥٢٠)

ضحك ... وبكاء

قد تعجب للكاتب الواحد يجمع بين الجد الصارم والفكاهة المرحة، أو يمزج فى حديثه بين الضحكات الهتانة والمدامع الهتانة: ولكن هكذا كان دكنز! فهو فى ثانى كتبه (صحائف بكويك) يرتفع بأدب الفكاهة إلى القمة حتى لتكاد تلمح روحه المرح خلال كل حادث، ومن وراء كل حوار. بل لقد أصبحت تلك الأساليب ذوات المعانى الطريفة الافتراضية التى أجراها دكنز على لسان بطله ساموبل بكويك رمزاً لكل أسلوب أو معنى ينضوى تحت هذا النوع، مما يطلقون عليه اليوم اسم Pickwickian Sense. ولقد كان انسجام هذه العبارات دقيقاً وتواؤمها طريفاً مع فكاهات سام ويلز - بطل الرواية الثانى - التى جرت فى أعقاب ظهورها على كل لسان، وأبهجت بطرافة معانيها نفس كل قارئ. حتى لقد قال أحد نقاد الإنجليز فى وصف هذا الكتاب: «إن الهدف الأسمى لصحائف بكويك إنما هو الفكاهة لذاتها، وما نشك فى أن هذا الكتاب قد ابتعث فى صدور قرائه من الضحكات المرحة البريئة أكثر مما ابتعثه أى كتاب آخر فى لغتنا ...»

أما رواية (حانوت الطُّرف العتيق) فإنها تعرض علينا صوراً محزنة من الحياة يسترعى التفاتنا، من بينها قصة (نل الصغيرة) تلك التى أثارت أشجان الكثيرين وهى تطالعهم كل أسبوع بحوادث حياتها فى حلقات متتاليات

ويذكرون أنه عندما اتضحت خاتمة القصة، وظهر للقارئين أن (نل) على وشك أن تموت، بعث أحد أصدقاء دكنز إليه بكتاب يرجوه فيه أن يبقى عليها ولو إلى حين. ولكن عبثاً كان هذا الرجاء، فقد تقرر مصير البطلة المسكينة، وظهرت بعد قليل حلقة وفاتها، فاستدرت الدموع، وأشجت قلوب الآلاف من القارئين

الواقع أن مفارقات دكنز ومضحكاته ... وصوره المؤلمة وأحزانه، إنما هى سلاح واحد ذو حدين يرمى به إلى غاية بعينها، ويهدف به إلى غرض واحد لا يبغى سواه

فهو قد نصَّب لأخطاء هذا المجتمع وأُغرى بعيوبه؛ وإنه ليحارب هذه الأخطاء والعيوب فى كل ما يكتب؛ يتهكم منها أحياناً فيكشف عن سوآتها، ويذيل بسخريته اللاذعة ستارها البراق بحالة تقزز منها النفوس؛ ويصورها بصورة قاتمة محزنة أحياناً فيستثير عليها أعمق مشاعر البغضاء والكراهية. وهو فى كلتا الحالتين يعمل على هدمها ويجهد فى تبرئة المجتمع من وصمتها. ومن يقرأ رواية (مغامرات أوليفر تويست) يرَ كيف يضرب دكنز بسلاحه ذى الحدين فى مقتل واحد!

فعوامل البؤس التى ألمّت بأوليفر من مبدأ طفولته تحلّق فى جو الرواية كالسحابات القواتم، وتغمر نفس القارئ بصور من الوحشة والإشفاق والألم تطالعه خلال كل سطر، وتبرز إليه من وراء كل عبارة

فيُتم أوليفر الباكر، وحياته البائسة فى الملجأ، ثم تحت رعاية مسز مانْ (تلك العجوز التى كانت تتخذ من تربية الأطفال تجارة مربحة!) وانتقاله بعد ذلك للعمل فى حانوت مستر سوربرى، وسوء المعاملة التى لقيها هنالك مما حمله على الهرب إلى لندن تحت جنح الظلام، ووقوعه ثمة فى أيدى عصابة اللصوص التى أوشكت أن تقضى على آخر نوازع الخير فى نفسه ... كل هذه مشاهد أليمة محزنة تملأ النفس بالحسرة، وتثقل على القلب بأشجانها، فلا يخفف من وقعها إلا بعض تلك الجوانب المشرقة التى يعرضها دكنز خلال حديثه فينفس عن القارئ بعض التنفيس ... كشخصية مسز سوربرى - عنوان السلاطة - وابنتها شارلوت، ومشهد اشتباكهما فى معركة مع أوليفر المسكين قبيل هروبه بهيئة تغتصب منا الابتسام وإن كانت القلوب مفعمة بالألم؛ ثم منظر القبض على أوليفر فى لندن عند ما «نشل» زميلاه منديل المستر براونلو، واندفاع المارة خلفه وهم يتصايحون بإيقافه وفى مقدمتهم اللصان الأصيلان؛ وخروج جمهور مسرح

بنش[1] برمته والرواية فى أدق مواقفها للاشتراك فى مطاردة اللص المزعوم ... إلى آخر ما هنالك . فهذه كلها مواقف مرحة طريفة تستجلب الضحك وتقلل من عنف المأساة التى تمثلها حوادث القصة ، فيسير القارئ خلال فصولها وقد اعتدل مزاجه أو كاد ، وتوازنت دواعى القلق والارتياح فى نفسه

هذه الفكاهة

على هذا النحو البارع يجمع دكنز فى حديثه بين الجد القابض والفكاهة المرحة ، وفى وسعنا أن نتصور مبلغ الوحشة التى كانت تبدو فيهما رواياته لو أنها خلت من هذا الروح الممتع الذى يتألق خلال حوادثها ، كما تتألق النجوم اللوامع فى ظلمة الليل البهيم

على أن ثمة علاقة وثيقة بين الفكاهة والألم يجتمعان لها فى أكثر الأحيان

فقد ذكرنا أن جهاد الرذيلة إنما يكون بأحد سلاحين ؛ عرض صورها المشوهة المؤلمة لتأليب النفوس عليها وحشد عوامل الكراهية والبغضاء فيما حولها ؛ أو غمزها والسخرية منها ومن مرتكبيها ، وإثارة روح التحقير والازدراء بها وبهم . وقد يكون السلاح الأخير أشد نكاية وأعمق أثراً ، فضلاً عن سلامة عقباه وسهولة متناوله . وللأستاذ الكبير (العقاد) كلام نفيس قرأته له فى الرسالة منذ سنوات فى تعليل انتشار الروح الفكاهى بمصر فى فترات الانحطاط السياسى وقيام المظالم الاجتماعية . على أنى لست أحاول هنا أن أفترض أن دكنز كان من أهل التقية فى محاربة المظالم التى نصب لها ، فقد كان له من طبيعة نفسه ، ومن حال بيئته ما يؤديه إلى أتم الصراحة ويحمله على أبلغ الجرأة ؛ ولكنى أقول إنه اجتمعت فى نفسه عوامل السخرية وبواعث الألم جميعاً ، وإنه استغل هذه الموهبة الفذة التى أوتيها : موهبة الذوق الفكاهى ، والقدرة على التهكم اللاذع القاسى ، استغلالاً أتاح له أن يخرج نوعاً من الأدب قل أن أتيح لغيره أن ينتج مثله

(١) بنش شخصية مشهورة فى التمثيل الفكاهى بانجلترا ، وقد كان بنش وجودى Punch and Judy أشبه شئ بما نسميه نحن اليوم عزيزة ويونس أو مشكاح وريمة أو غيرها من أشباههما

أهداف وإصابات

كان دكنز يهدف بكل كتاب يخرجه إلى غاية إصلاحية يضعها نصب عينه ، ويتجه فى الوقت نفسه نحو رذيلة من الرذائل يحاول أن يهدم كيانها ويجتث أعمق أصولها . فهو يحمل معول الهدم فى يد ومواد البناء والتجديد فى أخرى ؛ أو هو يهدم ، ثم يخطط الأوضاع - على الأقل - لمن يقوم بعده بمهمة البناء

ففى صحائف بكويك يعالج - فيما يعالج - مشكلة السجون ، ويكشف عن بعض مثالب النظام فيها . وفى مغامرات أوليفر تويست يندد بقسوة المجتمع على الأطفال المتشردين ، ويحمل أنظمته الجائرة تبعة انحدارهم إلى مهاوى الرذيلة والفساد . وفى (حياة ومغامرات نيكولاس نيكلباى) يكشف عن مساوىء التعليم الأهلى فى انجلترا ، ويوجه النظر إلى أشهر عيوبه كما أنه يعالج مشاكل الأسرة فى روايات (عيد الميلاد) ويحاول أن يضع نموذجاً عالياً لمجتمع فاضل قوامه التعاطف والتواد ، وملء أفقه السعادة والرضى وحب الإحسان ، مع الشعور بآلام الغير وبأفراحه ومشاركته فى بأسائه وفى ضرائه

ولقد عاش دكنز حتى شاهد بعينى رأسه جلّ نظرياته يتحقق ، وأكثر أمثلته العليا يصبح أمراً واقعاً ونهجاً فى الحياة مسلوكاً

وهو يُعد - إلى جانب ذلك - أولّ من رفع من شأن الروح « الفكاهى المرح » فى انجلترا وأحلّه فى الأدب مكاناً مرموقاً . فلقد كانت الشخصيات الفكاهية قبل دكنز أمثلة تامة للخيبة والجهالة ، ووسائل مصطنعة للاضحاك والترفيه ليس غير ... حتى جاء دكنز فنفض عن هذا الروح غبار الإهمال والتخلف . وهو فى ذلك لم يبتدعه من نسج خياله أو يخلق به شيئاً من العدم ؛ وإنما وجده بأتم أوضاعه فى أزقة لندن ، واقتبسه من صدور أبنائها - بل من صدره هو نفسه - ثم أظهر للناس قيمته فى تذليل مصاعب الحياة ومواجهة أحداثها

ويقول الإنجليز إن هذا الروح المرح ، روح أبناء لندن الصميمين ، أو ما يسمونه : Cockney Spirit ، هو سر نجاحهم ودعامة انتصارهم فى كل معترك . وإنه - إذا حللناه - لمزيج عجيب التركيب من الهدوء والسخرية والصلابة والاستسلام

والتصميم جميعاً ، وذلك شيء قديم فى طبائع القوم ، ولكن جاء دكنز فأعطى منه أمثلة روائع تنبض بالحياة ، فأبرز بذلك من قيمته ، ورفع من قدره كخلق اجتماعى نافع ، وسلاح فى معترك الحياة لا يُفَـل له حد أو تنبو عنه ضريبة .

مراحل أخرى

نشر دكنز جل رواياته فى حلقات أسبوعية متتابعة ، فكان لا يُرى أكثر وقته إلا منهمكاً فى تحرير أو غارقاً فى تفكير ... ولقد أثر فيه هذا المجهود المضنى فألم به المرض غير مرة خلال عام ١٨٤١م

ثم رحل إلى أمريكا طلباً للاستشفاء والراحة فقوبل هناك بأجل مظاهر الحفاوة . ولما عاد أصدر كتابه (مذكرات أمريكية) ويبدو أنه كان فيه صريحاً إلى الحد الذى أثار عليه عاصفة قوية من الاحتجاج فى سائر مدن الولايات المتحدة !

ومرت فترة قصيرة ظهر بعدها بقصته (أغنية عيد الميلاد) فكانت الحلقة الأولى من سلسلة روايات عيد الميلاد التى دأب على إصدارها فى مثل هذه المناسبة من كل عام

وفى سنة ١٨٤٦م تولى رئاسة تحرير الديلى نيوز ، ولكنه تخلى عن هذا المنصب بعد قليل ليمضى فى رحلة إلى سويسرا ، وهناك كتب روايته : دومبى وولده

وبدأ ينشر فى عام ١٨٤٩م فصول أشهر رواياته على الإطلاق : دافيد كوبر فيلد ، وأنشأ فى الوقت نفسه مجلة أسبوعية تحت عنوان : وصايا منزلية . واستبدل بها فيما بعد صحيفة أخرى سماها ، دورة العام الكامل

وقد استنفد هذا المجهود الهائل قواه ولكن لم يزده ذلك إلا تهالكاً على العمل

وبدأ فى عام ١٨٥٣م يلقى فصولاً من رواياته فى مجتمعات عامة ... بدأ ذلك فى برمنجهام بروايته : أغنية عيد الميلاد ، واستأنفه فى سائر المدن الإنجليزية إجابة لدعوات ملحة ، ولقد درت عليه هذه المحاضرات فيما بعد أرباحاً وفيرة

وفى عام ١٨٥٦م تيسر له — كما أشرنا من قبل — أن يشترى بيت أحلامه منذ الطفولة (قصر جادز هيل) حيث أنشأ فى رحابه كوخاً على النسق السويسرى chalet أتم بين جدرانه تأليف كثير من رواياته الخالدة . ولقد ارتفعت أرباح دكنز من قراءاته العامة خلال فترة ما إلى نصف ألف من الجنيهات كل أسبوع ؛ ولكن أوهن هذا المجهود المتوالى من صحته وأذال من قواه حتى اقتضب حبل حياته ، لا سيما وأنه كان يوالى إلى جانبه إصدار رواياته فى فصول متلاحقة

وفى عام ١٨٦٦م شد رحاله مرة أخرى إلى أمريكا ليحاضر القوم برواياته ، ثم عاد إلى انجلترا مستأنفاً مهمته الشاقة حتى صرفه عنها المرض وفرط المجهود فأمسك مرغما .

النهاية

أقبل خريف عام ١٨٦٩ م فاعتكف دكنز فى جادزهيل ليكتب روايته الأخيرة (سر إدوين درود The Mystery of Edwin fo Drood) ، ولكن تقطعت به أسباب العيش قبل تمامها ...

وكان موته فجائياً ، فقد أصيب بنكسة شديدة فى اليوم الثامن من يونية سنة ١٨٧٠م وتوفى فى مساء اليوم التالى

وكان لنعيه وقع شديد فى كل مكان ، ورنة حزن قوية زلزلت قلوب المعجبين به ... وما أكثرهم

ولم يكن عجيباً أن تصل تعزية الملكة فكتوريا فى أوائل الرسائل التى تدفقت من سائر الجهات تدفق السيل العرم ، وهى التى دعته فى أخريات أيامه إلى التشرف بلقائها فى قصر بكنجهام وتقبلت هديته التى رفعها إليها من مؤلفاته بأحسن قبول

وكان طبيعياً أن يكون مقر دكنز الأخير بين جنبات كنيسة وستمنستر مثوى الأبطال والزعماء والنابغين فى كل فن وقد احتفل بدفنه فى بساطة وهدوء وفق وصيته الأخيرة ، ولم يخط على صفائح قبره إلا هذه الكلمات القصيرة :

« تشارلز دكنز : ولد فى ٧ فبراير عام ١٨١٢ ، وتوفى فى ٩ يونيه ١٨٧٠ » .

(جرجا) محمود عزت عرفة

قطرة دمع

[إلى روح صديقي شهيد الواجب .. المرحوم أحمد شلبي]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

أسكتته بغتة الموت الرغاما — أيقظوه ، فهو يأبى أن ينام !
أيقظوه ، فهو يأبى أن يرى — هامد الترب لجنبيه مقاما
أيقظوه ! فهو فجر راقد — لم يعوِّذ نوره هذا الظلاما
لم يكد يشرق حتى اندفعت — راحة التابوت تسقيه القتاما
كيف لم ينصف بها وهو الذي — لم يكن إلا مضاء واعتزاما ؟
في شباب العمر يغلي أملا — وحياة ، وانبثاقا ، واحتداما
لم يكن يدري الصبا إلا خطى — أرخت الروح لساقيها الزماما
في سماء المجد يمضي طائراً — يهتك الريح ويجتاح الغماما
لا هدوء ، لا وقوف ، لا هوى — يلفت الإعصار أن يمضي أماما
لا كلال ، لا ملال ، لا دجى — يوقف الساري أن يخشى الزحاما
وإذا الكأس التي من فيها — تشرب الأقدار آجال الندامى
فاجأ الغيب بها أحلامه — فإذا هي بين كفيه حطاما
وإذا آماله فوق الثرى — ركب أزهار على قبر ترامى
ذابلات النور تبدو مثلما — فرح الإنسكال أجفان الأيامى
باكيات ... أنا أدري دمعها — وأراه بين جنبي ضراما !
وإذاه جذوة هامدة — وصبا في مضجع الهلكى أقاما
لا تلوموه على رقدته — غفوة الأكفان لا تدري الملاما
واسألوا الغيب فإني عاجز — لم أجد إلا قبوراً ورماما ...
أين من دنياك قلب ضاحك — أترع الأيام صفواً وابتساما ؟
أين آمال ونفس رفرفت — كصباح الصيف نوراً وسلاما
أين ؟ لا أين .. فماذا بعدها — غير دمع فاض من قلبي كلاما ؟
أنت أخرست بياني مثلما — يخرس الإعصار في الدوح اليماما
مزق النعي سكوني ومضى — أترى أغمد في الصمت حساما ؟!
جئت أرثيك فمالي ملجم — ترهق الأنغام في عودي إذاما ..
يا ربيع العمر ، يا نشوته — كيف أطلقت بواديه الحماما ؟!
وهو فجر منك مطلول الربى — وأده كان على الموت حراما

كانت لنا أيام

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

كانت لنا أيام — يا طيب ما كانت !
لو هانت الأعوام — بالله ما هانت !
مرت بنا أحلام — حتى إذا حانت
إشراقة الإلهام — ولت فما بانت

كانت لنا .. كانت !

كنا مع الأطيار — نغشى البساتينا
يهدهد الأزهار — شدو أغانينا
ويفتن الفوار — سحر أمانينا
محتبس الأسحار — همس تناجينا
وتكتم الأشجار — سر تلاقينا
وكانت الأنوار — تغمر وادينا
نغفو على القيثار — وهو يغنينا

في غفلة الآلام
أغنية الأحلام
كانت لنا أيام

يا طيب ما كانت !

متى يفيق النور — من غشية الإظلام
وتستعيد الدور — عهد المنى البسام
وتزدهي بالحور — معارض الأجسام
ويهتف العصفور — بأعذب الأنغام
ويطلق المأسور — سجانه الظلام
متى ؟ متى يا نور — تبدد الأوهام
وتهزم الديجور — فتمحي الآثام

وتنقضي الآلام !
لو صحت الأحلام !
وعادت الأيام

تغفو كما كانت !



من شاعر إلى شاعر

تناولت أمس بالبريد مجموعة « زهر وخمر » للشاعر الساحر على محمود طه فصار عندى من مجموعاته الخمس اثنتان : الملاح التائه وزهر وخمر . أما ليالى الملاح التائه ، وأرواح شاردة ، وأرواح وأشباح فستصلنى بالبريد حالما يقع نظر أخى الشاعر على هذه الكلمة ؛ فأنا أحبه وأحب شعره ، ولن أكلف نفسى مشقة إفهام خصومه لماذا أحب شعره ولماذا أحبه ، فإذا كان شعره لا يستطيع أن يضع فى عيون أولئك الخصوم نوراً ، وفى أنوفهم عطوراً ، وفى قلوبهم شعوراً ، فلن يستطيع لسانى

فياخصوم على محمود طه ؛ ستموتون ويبقى هو حياً . فغراب الموت البشع يقعقع فى سطوركم ، وعروس الحياة الجميلة تحلم فى قصائده

ألا تعرفون حكاية الضفدع والحباحب ؟ إذن فاسمعوها : رأى ضفدع يوماً حباحباً يلمع على حافة غدير ، فخرج إليه قذراً ساخطاً وراح يبصق عليه . فقال الحباحب : « ماذا فعلت بك ؟ من أين جاءك هذا الغضب ؟ » فأجابه الضفدع : وأنت من أين جاءك هذا اللمعان ؟ »

على أن ما يعزينى ويطربنى ويملأ نفسى رجاء أن الإقبال على شعر على محمود طه كبير ، وفى هذا دليل كاف على أن الشعور بالجمال مطرد النمو فى مصر كما هو فى لبنان

فيا أخى الشاعر على محمود طه ! أنا أقطن أجل بقعة فى الأرض : وزائى صنّين شيخ الجبال ، وأمامى وحولى أدوع وأعذب ما مهرت به الطبيعة بلداً من بلاد الله : شاطىء كشعرك ذهب وفضة : فضة حين أتركه فى الصباح إلى المدينة ، وذهب حين أعود إليه فى المساء ، وخليج كله فتنة كشعرك فى « الجندول » أو فى « كليوباترا » (فاتنة الدنيا وحسناء الزمان) ، ورواب كشعرك شماء وادعة ، وسماء ... سماء كأنها شعرك : جمال وحب وإلهام ، وجو كله كشعرك غناء ؛ وماذا أقول بعد ؟ فى هذه البقعة الطيبة فى هذا الإطار الساحر قرأت شعرك أو قل تغنيت به وأحببتك . ويقينى أنك ستجيء يوماً إلينا ، فأصعد بك إلى الشيخ صنين وننحدر معاً إلى الروابى فالخليج فشاطىء الذهب والفضة . ويقينى أيضاً أن هذا الشاطىء سيظفر منك بأغنية أشجى من أغنية لامرتين فى شاطيء سرنته ، أو « سرنت » على قافية « برلنت »

إلياس أبو شبكة

تصويبات شعرية فى كتاب السلوك للمقريزى

يقوم الدكتور محمد مصطفى زيادة بنشر كتاب « السلوك فى دول الملوك المقريزى » نشراً علمياً مضبوطاً بالغاً غاية الجودة فى التحقيق والتعليق . وحبذا لو نشرت كتبنا وتراثنا الأدبى العلمى بمثل هذه الدقة والتوفر على الضبط وحسن الإخراج ، حتى لو بعث المؤلف نفسه ما تمنى أن يخرج كتابه على خير من هذه الصورة . غير أننى لاحظت فى الكتابين الأول والثانى من الجزء الثانى بعض هنوات فى الشعر المروىّ أرجو أن يتسع لها صدر الناشر الفاضل لما أسمع عن رحابة صدره وحسن قبوله

جاء فى القسم الأول من الجزء الثاني ص٢٦٣ س١٦ هذا البيت :

يا قاضيا شـــاد أحكامه على تقى من الله وأقوى أساسْ

والبيت مكسور ، وبحره السريع . وكلمة « من » فى الشطر الثانى زائدة والفعل « شاد » يكسر الشطر الأول . ولعل الرواية الصحيحة التى يستقيم بها الوزن هى :

يا قاضيا شـــيد أحكامه على تقى الله وأقوى أساس

وذكر الدكتور زيادة فى هامش صفحة ٢٩ (أن الموشحات يلتزم فيها اللفظ العربى الصحيح) وهذا كلام جرى فيه الناشر على رأى غير المحققين من الأدباء . وللمغفور له العالم الثبت الشيخ حسين والى كلام فى هذا الموضوع من مخطوط له نفيس اسمه « عصا موسى » وهو تحت يدى الآن . ولعل الله يوفق أقارب الشيخ الجليل وهم من أفاضل العلماء لطبع هذا المخطوط

وفى القسم الثانى من السلوك ج٢ ص٤٤١ س١٣ هذا المصراع

واردعه ردع كل مفسد

وهو مصراع مكسور ، لأن المخمّسة التى هو منها من بحر الرجز ، فهنا كلمة ناقصة ولعلها « باغٍ » أو عاتٍ أو ما إليهما فيكون المصراع هكذا : واردعه ردع كل باغ مفسد

وفى صفحة ٤٧٦ سطر ٧ من هذا القسم خمسة أبيات وردت كأنها قصيدة واحدة ، والواقع أن فيها قافيتين مختلفتين ، فالبيتان الأولان قافيتهما الياء والثلاثة الأخر قافيتها الشين ، وليست الهاء فى الخمسة الأبيات قافية . والبيت الأول منها هو هذا :

أيا ملكا أصبح فى نشوة من نشوة الظالم فى نشيه

والهمزة فى أول البيت زائدة ليصبح وزنه من السريع هكذا :

يا ملكا أصبح فى نشوة من نشوة الظالم فى نشيه

وعلى كلٍّ ، فالأول من السريع والأربعة الباقية من بحر الكامل وإيراد الأبيات الخمسة على هذه الصورة فيه هذه الأخطاء :

١ — الهمزة فى أول البيت الأول زائدة فى الطبع أو النسخ

٢ — البيت الأول بعد حذف الهمزة وزنه السريع

٣ — البيت الأول من بحر والأربعة الباقية من بحر آخر ؛ ولكن إيرادها على هذه الصورة يوهم أنها كلها من بحر واحد

٤ — البيتان الأولان من قافية والثلاثة الباقية من قافية أخرى . وأرجو ألا يفوت الدكتور الفاضل تصويب هذا الشعر وتصحيحه فى الجزء القادم خدمة للعلم واعترافاً بالحق وصوناً لجهده العظيم أن يُرمى بالتهاون فى التحقيق

محمد عبد الغنى حسن

إلى الأستاذ العقاد

يدل رأيكم عن الرواية والشعر فى مقاليكم الأخيرين على أنكم ترون الفن الروائى لا يقوم — كالشعر — على الإنشاء والابتكار ، وهذا رأى جديد ، والعهد بالفن عامة أنه يرجع إلى قوة الخلق والابتكار ، أو إلى الخيال الإبداعى ، لا فرق فى ذلك بين قصة وقصيدة ، أو صورة وسيمفونية . وبتلك النظرة يعالج النفسيون فصل الخيال فى كتب علم النفس كما يعالج بها فلاسفة الفن وعلماء الجمال فصل الخلق أو الإبداع الفنى فيستشهدون بأنواع الفنون على السواء ومنها الرواية والقصة . فكيف لا تعدون التركيب الروائى وتصوير الشخوص وتحليلها من الإنشاء والابتكار ؟ بل كيف فاتكم أن رواية كالأرض الطيبة أو الفندق الكبير وكلتاهما من تأليف امرأة — لا تقل منزلتها عن أية منزلة شعرية ؟!

حافظ . . .

إلى الأستاذ الدكتور محمد مصطفى

قرأنا على صفحات الرسالة مقالاتكم الرائعة « عن ليلى والمجنون » وقد كانت كلمة طيبة وتعبيراً جميلاً وتصويراً سامياً ، وكنا نأمل أن نقرأها حتى انتهاء القصة ؛ غير أنكم انقطعتم عن الكتابة . فنرجو أن تعاودوا النشر وأن تجمعوها متى انتهت فى كتاب ، والله يوفقكم .

(جنين — فلسطين) ابو الطاهر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 523
Lundi - 12 - 7 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٢٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٩ رجب سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٢ يولية سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

عيـــد ميلاد

للأستاذ عباس محمود العقاد

لم يكن لي عيد ميلاد

ولكنني لم أنس قط أنني ولدت ، ولم أشعر قط بحاجة إلى تذكير ؛ فهذه الحادثة التي لا تتكرر ، وتقادم العهد بها وتعاقبت الأيام والسنون عليها ، ولا يلوح لي أنني نسيتها أو أستطيع نسيانها .

فما حاجتها إلى تذكار ؟ وما حاجتها إلى احتفال ؟ ومالي وقد أغفلتها سنين وسنين أبتدئ اليوم بإحيائها ، وأحصيها ولات حين إحصائها ؟

إنها العدوى

ولأعياد الميلاد عدواها كحوادث الميلاد . ألا يقول المعري في النسل والولادة :

تثاءب عمرو إذ تثاءب خالد بعدوى فما أعدتني الثؤباء ؟

بلى . ولكنني أنا عُديت بعد طول التعرض والمهانة ، فاحتفلت بعد الخمسين بأول ذكرى ، واستغنيت عن إعادة الدرس خمسين مرة لأحفظه كما يحفظه المحتفلون به بعد طول التكرار

كنت أدعى إلى عيد ميلاد بعد ميلاد

وأكثر ما دعيت إلى أعياد الأبناء الذين يخمسون سنواتهم

أو يسدسونها أو يسبعونها أو لا يزالون فيها بين التثنية والتثليث درس جديد لهم العذر أن يثبتوه في الواعية وأن يستذكروه ويراجعوه... ولكني رأيتهم يكبرونني ويتقدمونني في هذا المجال لأنني أبتدئ الآن وقد سبقوني مرتين أو ثلاثاً أو أربع مرات.

فأنا أسأل حيث لا يسألون، وأراجع حيث لا يراجعون، وأستخرج من الأضابير تذكرة جديدة هي عندهم أقدم ما يملكون!

***

في أي يوم ولدت!

لم أكن أدري؛ لأنني أذكر السنة على التحقيق، وأذكر الشهر على الترجيح؛ ولكنني لا أذكر اليوم بعد أن قرأته آخر مرة في وثيقة الاستخدام، ثم تركت الوثيقة وتركت الخدمة، ووددت لو محوتها من عداد الذكريات

فأنا اليوم في موقف من يكتب له شهادة جديدة بالميلاد، وكأنني بهذه المثابة على عتبة الحياة

خير إن كانت الحياة خيراً ...

وليس بشر إن كنا غارقين من الحياة في شرور

***

ونويت أن أسأل في أول فرصة للسؤال، ولكن في غير اكتراث ولا استعجال، فقصاراه أنه شيء في البال، ولقد تمضي عليه الأعوام وهو في مكانه من البال!

وسنحت الفرصة على غير ما اشتهيت، لأنها اقترنت بتشييع أخ إلى مثواه الأخير، في موطني الذي درجت فيه خطواتي الأولى

وعند موقف الموت يسأل الإنسان عن موقفه من الحياة

فسألت، وعلمت، وطلبت المزيد من العلم، فظفرت بالعلم اليقين من أضابير المحفوظات

بل ظفرت في حياة واحدة بشهادتين للميلاد!

***

وكانت نوبة من نوبات الذكريات التي تساق إلينا على غير اختيار منا، فكثيراً ما ذهبت إلى أسوان دون أن تعرض لي دواعي الإياب إلى معاهد الطفولة، ومآلف الشباب. أما في هذه المرة فنذُر معهد من تلك المعاهد لم أقف ساعة عليه، ولم تجذبني داعية من الدواعي إليه

ومنها المدرسة التي قضيت بها ما بين التاسعة إلى الثالثة عشرة، ولا تزال في جملتها على حالها المعهود

ذهبت إليها وأنا أحسبني في الطريق ذاهباً إلى دار كسائر الدور، ولا إخالني سأهجم فيها على لجة من أعمق اللجج النفسية، ومفاجأة من أعنف مفاجآت الشعور

حتى وقفت عند الباب، ونظرت إلى البواب

فإذا هو البواب الذي كان يستقبلنا هنالك قبل أربعين سنة في ساعة الحضور

هو بعينه بوابنا الأول لم يتغير منه إلا قليل في صورته ومعناه، وإلا النظرة التي كان يعرفنا بها لأول وهلة، وهي الآن لا تعرفنا إلا بعد تثبت واستغراب

قال: من هذا؟ فلان؟ لقد شبت كثيراً يا بني!

وفي لمحة عين لا تتسع لقلب صفحة من كتاب، تنقلب في أعماق النفس صفحات من العمر تضيق بها أسفار كبار

لقد شبت كثيراً يا فلان!

ملاحظة صادقة وثبت إلى لسان الرجل كأنه لا يلفظها بل تلفظ نفسها بنفسها، وكم تأخر بها الزمن مع هذا الوثوب السريع!

ولا أعرف في الحياة شعوراً كثيراً أشبه به شعوري عند باب المدرسة التي كنت أدخلها عدواً وأنا الآن جامد لديها كأنني تمثال

ولكنني أذكر شعوراً موصوفاً أحسبه أقرب ما يكون إلى هذه المفاجأة العاصفة، وهو شعور الطيار في طوائر الانقضاض السريع، وقد هبط إلى الأرض وارتفع منها صعداً في خلال لمحات يختلف ضغط الهواء عليه، فيتفجر الدم من قلبه وبطني على عينيه، فيوشك أن يحجب عنه الأرض والسماء

ولم يختلف هنا ضغط الهواء بل ضغط السنين!

أربعون سنة ترتفع عن كواهل النفس في خفقة جناح، وغشية كتلك الغشية التي تعصف بالطيار عصفت بي صعداً فارتفعت إلى أجواء الثالثة عشرة، وطرحت عن كتفي أعباء أربعين سنة، كانت ترن هناك

وجلست في إحدى الحجرات أتحدث كما يتحدث النوم يتقهقر به منومه مرحلة بعد مرحلة من عهود العمر حتى يبلغ به سنة معلومة من السنين فيقول له: قف لديك، وصف ما تراه!

فإذا وصف فهو لا يقول لنا: كان هنا وكان هنا قبل أربعين أو قبل كذا من السنين؛ بل يقول: إني لأرى الساعة وإني لأسمع في أذني ما أروى، وإني هنا الآن، ولا أعرف

ما وراء ذلك من مشهود ومسموع .

***

وانقضت على ذلك خمسة أشهر وجاء موعد اليوم الذى كان فى حياتى أول يوم . فلم أحتفل بشىء واحد حين احتفلت به ، بل كان أعجب العجائب أنه كان موعد ذكريات يضيق بها الإحصاء ، كلها من أخطر الذكريات وأكبر المواقف فى الحياة ، وآخرها فى السنة الماضية ذكرى العلمين !

فى هذا اليوم بعينه وصلت جيوش روميل إلى العلمين ، وأوشكت أن تعبرها إلى طريق العامرية فالقاهرة والأسكندرية

وهو الهوان على أيدى أناس هم أخبر الناس بالهوان ، ولا فرار من الموت إن وجب ، ولكن البقاء للهوان إخلال بكل واجب يحرص عليه إنسان

وإلى أين الفرار ؟ إلى وادى التيه الذى يرجع منه الغائب أو لا يرجع ، ولكنه لا يدرى أين يذهب ولا كيف يكون الرجوع

وليس هذا أفجع ما فى الصفقة الفاجعة

بل أفجع من الليلة التى قبلها ، أو هى ليلة المذبحة كما سميناها لأنها جرأة على ماض نهون منه ، جرأة على مستقبل ، وعلى المجهول !

كل ما أتركه بعدى لا أباليه

الكتب يصنع الله بها ما يشاء . وما أكتم القارىء أننى على خطوة من إحراقها فى كثير من الأوقات ، غضباً على تكاليف المعرفة حيث يسعد الجهل بغير تكليف

وماذا أترك غير الكتب مما أباليه إن كنت أترك الكتب ولا أباليها !

هباء أو كالهباء !

إلا أوراقاً متفرقات فيها ودائع العمر التى يموت عنها الإنسان ولا تسخو نفسه بأن تموت قبله

وهى لا تنقل إلى حيث تفتح وتقرأ فى مدخل كل أرض مطروقة ، وهى لا تودع عند أحد كائناً من كان

فلا موئل لها أكرم من التمزيق ، ثم نار الحريق

وانقضت ساعتان قبل تمزيق الورقة الأولى

ولم تنقض إلا دقائق قبل تمزيق الورقة الأخيرة ، كالذى يأخذه التردد عند الضربة الأولى ثم يهيم به سعار الضرب بعدها فلا يبقى ولا يذر ، ويضرب ويضرب حتى يكل ساعداه وتخلو كفتاه ؛ ثم يستريح من فرط الإعياء وبهر السعار

وانجلت الثورة عن كومة من الورق كل قطعة منها موصولة بعرق ممزق ، وشعل من النار لم تكن من قديم عهدها إلا شعلاً من النار ، ولكنها حارت إلى رماد !

ويلك يا هتلر !

النار التى أشعلتها فى العالم لا تنسى ، ولا تنسى لك عندى هذه النار التى أشعلتها أنا بيدى

تلك أقرب ذكرى من ذكريات اليوم الذى كان فى حياتى أول يوم

وقبل ذلك نظائر لهذه الذكرى موزعة فى سنوات متعددات يوشك أن تقنعنى بصدق ما يقال من أن للنفس صيحة كصيحة الإهلال فى كل موعد ذكرى من ذكرياته !

فما كان خيراً لى إذن أن أنسى ذلك اليوم فى سنتى هذه كما نسيته فى السنوات الماضية ؟

وأن يكون لى ميلاد ، وليس لى عيد ميلاد ؟

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

عصارة المتاعب — الانتاج والاستهلاك فى الحياة الأدبية — عتاب !

عصارة المتاعب

من عصارة المتاعب يصاغ إكليل المجد، ومن عصارة المتاعب يُرفع ناسٌ من التراب إلى السحاب

كذلك قلتُ وأنا أدفع وهماً رسخ رسوخ الحقائق، بحيث صار الأمل فى زعزعته من أخيب الآمال، وهو الوهم الذى يزعم أن الحياة السعيدة هى الحياة الخالية من التكاليف، وهذا الوهم يحيط بنا من كل جانب، ويملأ حياتنا بالمنغِّصات، لأنه يفرض علينا أن نفهم أن الراحة هى الغرض المنشود، وأن كمّة التعب تماثل كمّة الشقاء فى المدلول

ما هو الفرق بين الرئيس والمرءوس فى وهم بعض الناس ؟

الفرق هو أن الرئيس يملك من الراحة ما لا يملك المرءوس، فهو لا يُسأل عن رعاية المواعيد، ولا يطالَب بالسرعة فى إنجاز ما لديه من الأعمال (؟!)

وفى الأمثال المصرية كلمات تؤيد هذا المعنى، فالرجل السعيد هو الذى لا يستطيع أحدٌ أن يقول له : « قُم من الشمس واقعد فى الظل »، وهو الذى لا يُسأل عن « ثلث الثلاثة »، كأن المسئولية تكليف يكدِّر صفو الهناء

ولنفرض أن الراحة هى الغاية، وأن كل رئيس يتمتع بها إلى أقصى حدود التمتع، فما السبب فى أن تكون هذه المزية من حق بعض الناس لا كل الناس ؟ وما هو السبب فى أن يقضى فلانٌ عمره وهو مرءوس وقد أصبح نظراؤه من الرؤساء ؟

الجواب حاضر : فكل تقدم يُسبَق بتزكية من عصارة المتاعب، ومن لم يقدمه جهاده فلن يتقدم، ولو كان أبوه أقدر الرجال على إحياء الأرض المَوَات !

هل كانت الراحة من أنصبة الملوك، مع أنهم ملوك ؟

وهل ظفر عظيمٌ بالراحة فى أى يوم ؟

إن الراحة متعة حقيرة لا يرغب فيها غير الحقراء

لقد امتلأت كتب الأدب بأخبار الملاهى التى كانت تقام فى قصور الملوك. فهل فكر أحدٌ فى أسباب تلك الملاهى ؟ وهل قال قائلٌ إنها ضجيجٌ يراد به ستر المتاعب ؟

التعب هو المقياس للقيمة الذاتية، والعمل المتعب هو الذى يرشح صاحبه لجلائل الأعمال، والذى لا يرحب بالتعب ولا يفرح به لن يصل إلى شيء . . . والطمع فى الراحة هو طمع الأموات لا الأحياء . . . وهل يثق بك أحدٌ وهو يعرف أن الراحة من التعب هى غايتك، وأن التحرر من التكاليف هو مبتغاك ؟

عُصارة المتاعب

إحفظ هذه اللفظة جيداً، واكتب منها لوحات يزدان بها مكتبك، وانظر إليها فى صباحك وفى مسائك، واعلم علم اليقين أنها مسطورة فوق كل قلب من قلوب المجاهدين الفائزين

عُصارة المتاعب نقلت خلائق من التراب إلى السحاب، فلا يخطر فى وهمك أن إنساناً ارتفع بلا متاعب، ولا تصدِّق أن المناصب العالية تُمنَح كما تمنح الصدقات للمعوزين، ولا تتصور أن نظام الوجود يسمح بأن يرتفع طائر بلا جناح أو يرتقى رجل بلا جهاد

يقول الكسالى من حولك بأنْ لا نهوض بلا وسيط، وهم يردّون كل فوز إلى قوة الوساطات والشفاعات

ولنسلِّم بأن هذا القول صحيح فى المطالب الهيِّنة، كأن يكون غرضك أن تكون موظفاً يأكل العيش بأحد الدواوين، فمن الذى يرشحك لأن تقوم بعمل عظيم ولست له بأهل ؟ من الذى يوصى بأن تكون قوة مسيطرة على زمانك وهو يدرك أنك تعجز عن السيطرة الفكرية أو الروحية فى أى ميدان ؟ وكيف تصل إلى توصية من رجل عظيم وأنت مجرد من الكفاية الذاتية ؟

أقم الدليلَ أولاً على صلاحيتك للأعمال التى لا يقوم بها غير فحول الرجال، ثم انتظر نصيبك الحق، فقد تصل إليه بلا وسطاء ولا شفعاء

هل جال بخاطرك أن توازن بين رجلين أحدهما فى مركز

فوق ما يستحق ، وثانيهما فى مركز دون ما يستحق ؟ فأى الرجلين أعظم فى نفسك ؟ وأىّ حظ من هذين الحظين تريد لنفسك ؟

وهل فكرت يوماً فى غضب الله على من يأخذ أجراً بحق ؟

أنا أخشى أن يكون رزقك أكبر من جهادك ، فيكون فى طعامك شيء من الحرام ، والطعام لا يُسْمن إلا إن كان حلالاً في حلال

ثم ؟ ثم ماذا ؟

هل فكرت فى منافع الأعضاء ؟[1]

كلُّ عضو يعرَّض للعطب إن لم يؤدِّ أعماله الأساسية ، فالعين تضعُف إن صُرفت عن النظر ، والرجل تثقُل إن كُفَّتْ عن المشي ، فما رأيك فى عزيمتك وهى جارحة معنوية ؟

أنا أعرف أنك تشتهي أن يحمل عنك الناس جميع أعبائك ، وأن تركب فرساً رِكبة الإعزاز لا رِكبة الفروسية ، وما أبعدَ الفرقَ بين الرِّكبتين !

الراكب الأول مخلوقٌ مدلَّل تُراضُ له الفرَس ، والراكب الثانى فارسٌ يروض الفرَس ، فانظر أين أنت بين هذا وذاك ؟

كن رجلاً فعّالاً يصنع العجائب فى تصريف دنياه ، كن رجلاً يفرح بالتعب ، فالتعب أعظم رزق من أرزاق الرجال

لم يتقدم فردٌ على فرد ولا شعبٌ على شعب إلا بفضل عصارة المتاعب ، ولا جاز أن يتقدم متخلف أو يتخلف متقدم إلا بسبب تفاوت الجهاد

والأقدار التى سمحت بأن يكون فلان وزيراً فى المملكة الفلانية — وكان فى صباه بائع جرائد — هذه الأقدار لم تحابِه بأى لون من ألوان المحاباة ، وإنما احترمت عصارة المتاعب فى الأعوام الشِّداد فصيرته من الوزراء

ولتعرف جيداً أنْ لا نهاية لفضل الله على المجاهدين ، فمنه طيبات تفوق الوصف والإحصاء ، وهو لا يتخلى عنك إلا يومَ تتخلى عن نفسك بإيثار الراحة من عناء الجهاد

إفرح بالتعب ، واسأل الله أن يكثر متاعبك فى أعمالك لا فى أوهامك ، فما شقى الناس إلا بالتعب فى الأوهام لا الأعمال

إفرح بالتعب ، قبل أن لا تفرح بالتعب ، فما يعانى التعب غير الأقوياء

وتذوَّق عَرَق الجبين من التعب قبل أن تعانيه من المرض

واحذرْ ثم احذر أن تمرّ عليك ساعة وأنت مستريح من هموم الرجال

هل سمعت باسم « الغرّازة » في عُرف أصحاب البساتين ؟

هى عُودٌ من الخشب تُسنَد به الشجرة الهيفاء ، ومن الهَيَف فى الأشجار ، جاء الهيَف فى النساء

ومزية الغرّازة أنها تغنى الشجرة عن جهد فى مقاومة الرياح إلى أن تستطيع المقاومة بعد حين ؛ وقد لا تستطيع بفضل هذا التدليل

والغرازة للشجرة كالمشّاية للطفل ، وفى الناس من يعيش طفلاً طول عمره ، لأنه لا يعيش بغير سناد

كن أنت أنت ، وقِفْ على قدميك ، واستفت ضميرك فى مصيرك ، ولا تحمل لغيرك فضلاً فى نقلتك من حال إلي أحوال لا تخف من التوحُّد . فما يتوحد غير الآساد ، واذكر دائماً أن الله جعل أمرك بيدك ، وأنه فتح لك خزائن الأرض والسماء

من هؤلاء : تشرشل وروزفلت وستالين ؟

هم ناس أمثالك ، ولكنهم اعتمدوا على عزائمهم فجعلهم الله من العظماء

وهل كانت البداية الأولى لهتلر وموسولينى تبشر بأن ستكون لهم فاعلية دولية فى السلم أو فى الحرب ؟

وهل كانت البداية الأولى للمسيو بونابارت توحى بأن سيكون الإمبراطور نابليون ؟

عصارة المتاعب هى التى صنعت الأعاجيب فحوّلت الأطفال إلى رجال ، وعصارة المتاعب هى التى نقلت هؤلاء من التراب إلى السحاب

إتعب قبل أن لا تتعب ، فالتعب أمضى من السيف فى اختراق المصاعب والأهوال

الراحة سمٌّ زعاف ، وهى شؤمٌ على الأعضاء والشرايين والأعصاب

(١) الغزالى يقول « منافع الأعضاء » فيما نسميه اليوم « وظائف الأعضاء »

لا تبتسم للراحة ، فلا راحة إلا بالتحرر من المسئولية ، وهذا حظ المجانين

إن آذاك نصحى فأنا أوجهه إلى نفسي لا إليك، لأني أحوج منك إلى هذه الكلمات ، بعد أن كدت أرتاب فى المنهاج الذى اخترته لحياتى

الإنتاج والاستهلاك فى الحياة الفكرية:

المنتج فى عالم الاقتصاد هو الذى يصنع ويورد إلى عملائه هنا وهناك . والمستهلك هو الذى يشترى ما تنتج المصانع من صنوف البضائع . والصلة بين المنتج والمستهلك صلة طبيعية عرفها الناس من قديم الزمان ، وإن لم تخلُ من الشعور بأهمية الفرق بين الإنتاج والاستهلاك فى وزن أقدار المتعاملين

والمنتج هو أيضاً مستهلك ، فمصانع « المحلة » بالديار المصرية ، ومصانع « منشستر » بالديار الإنجليزية ، هذه المصانع تنتج الأقمشة ، وهى مع ذلك تستهلك الخيوط فتحتاج إلى الأقطان التى تخرجها المزارع المصرية والأمريكية

ومن الواضح أن المنتج أقوى من المستهلك ، لأنه المتحكم الأول فى الأسواق ، ولأن المستهلك يعجز عن مقاومته فى أغلب الأحيان

فما الرأى فى الإنتاج والاستهلاك فى الحياة الفكرية ؟

وما مركزنا الصحيح بين المنتجين والمستهلكين ؟

قضينا زمناً ونحن عملاء أمناء للثقافات المجلوبة من بلاد غير هذه البلاد ، فمتى ننتج بأكثر مما نستهلك ؟ ومتى نحاول غزو الأسواق الأجنبية بالفكر والبيان ؟

قد يقال إن الفكر المصرى منتج بالنسبة لكثير من أمم الشرق العربى والإسلامى

وأقول إن هذا ميدان غير جديد ، فالعرب والمسلمون إخوة لنا بالشرق ، وما بيننا وبينهم من الجاذبية الروحية قد يوجب أن يرضوا منا بالقليل ، وإن لم ندخر جهداً فى أن نلقاهم بأقوى مما يلقاهم به أقطاب الفكر من أهل الغرب

والحق أن الأديب المصرى غاية فى الحرص على التسلح بالجدية فى الحياة الأدبية ، وقد يكون جهاده فى الأدب أقوى من جهاد نظرائه فى الأمم الأوربية والأمريكية ، بدليل ما نشاهد من سيطرته الروحية فى الشرق ، مع أنه لا يعتمد على أى سناد ، ومع أن الأدب فى مصر لم يصبح أداة من أدوات المجد ، فى حدود ما يستحق من التبجيل

فماذا نصنع لنكون منتجين لا مستهلكين بالنسبة لأهل الغرب ؟

ما ذا نصنع ؟

هل نترجم لهم ما يصدُر عن أدباء مصر من الروائع ؟

هل نستجديهم الثناء على ما عندنا من الآداب والفنون ؟

لا هذا ولا ذاك ، وإنما الرأى أن نعتز بالذاتية العربية ، وأن نحاول خلق جبهة أدبية من قراء العرب ، وهم يزيدون على الثمانين من الملايين

إن صنعنا — وسنصنع — فسيلتفت الغرب إلى الشرق ، وسيكون لنا فى حياة الفكر والرأى تاريخ جديد

ما هذه الغطرسة التى يتمتع بها بعض أدباء الغرب ؟

وما هذه الهالة التى يحيطهم بها بعض المترجمين ؟

أنا أنتظر مساجلة دولية يشترك فيها أدباء مصر مع أدباء الفرنسيس والإنجليز والأمريكان والألمان

أنا أنتظر هذه المساجلة فى أقرب وقت ، ليعرف العالم القديم والجديد مكانة مصر فى فردوس الأحلام والعقول

مصر تجِدُّ ، وأدباؤها يجدُّون ، وهى تؤمن بأن مكانها فى الفكر أعظم مكان ، فإن كنتم فى ريب من عظمتها الفكرية فتعالوا إلى السباق فى ميدان الرأى والبيان

عند أوربا وأمريكا مدافع وطيارات وأساطيل ، وتلك قوّى أنعم الله بها على الأوربيين والأمريكان ، والله يخص بالقوة من يشاء

ولكن مصر السلمية لا الحربية تقول إن مكانها فى الأدب لا يدانيه مكان ، وإنها مستعدة لأعظم سباق فى ميادين الروح والوجدان

فى مصر اليوم عشرون أديباً من العظماء ، على أقل تقدير ، فأين الأمة التى تقول إنها تملك من عظماء الأدب عشرين ؟

مصر اليوم هى دولة الفكر والرأى ، وهى صلة الوصل بين الشرق والغرب ، وإنها المرجع فى الفصل بين الحقائق والأباطيل

القلب الشاعر

للأستاذ دريني خشبة

جميع هذا العالم الأثيري الذي لا نهاية له ، بكل ما يطن فيه من سُدُم وأنجم وأفلاك ، وكل ما يروح في كواكبه ويجيء من خلائق ، وكل ما يسبح في أجوائه من ملائك ، ويصدح ملئها من طير ... كل ذاك ، كل ذاك قطرة من بحرك الزاخر أيها القلب الشاعر !

أنت أكرم خلق الله على الله ... لأنك تسع لكل ما لا يتسع له غيرك مما صنعت يداه

تتسع لما تضيق به العقول الضالة التي تتعالى فتتنكره ، لأنها تُحصى عليه كل ما عُمِّيَ عليها فتجمله في منطقها تضاربا ... وما دام هنالك تضارب فثمة جحود ونكران

تتسع لهذا كله لأنك لا تعرف الحدود ، وهي مقيدة بالحدود ... أنت حر طليق ، وهي ذليلة مستعبدة ترسف في الأصفاد والقيود ...

أنت أكرم خلق الله على الله ، لأنك تُلجم هذه العقول دائماً حينما تطلق عليها عواطفك فتلسعها كما يلسع النحل ، ثم تُسائلها ساخرة : ما الحياة وما الجمال وما الحب ؟ ! وما وراءك أيتها العقول ؟ منذ الذي يمسك فلا تكوني هراء وجنوناً ؟ منذ الذي يمسك الأرض والسموات أن تزولا ؟ وما سر هذا الجمال الذي يبهرك ويورث منطقك البَكَم ، والذي يملأ الأرض والسموات ؟ ما سر هذه الألوان التي تُذَهِّب الشفق ، وتفضض السُّحب ، وتُموّه صفحة اليم ، وأديم السماء بأصباغ البنفسج ، وتُزخرف بالدمام ثغور الزهر ، وتغازل بالسحر خدود العذارى ، وتملأ بالفتنة عيون الحسان ، وتُنضّد بالجُمان ثنايا الغيد ، وتطبع بخاتم الحسن ثَديَ الكواعب ؟ !

ما سرُّ هذه الألوان يا عقول ؟

وما سر الجاذبية التي تربط الدُّنا بالدُّنا ، والعوالم بالعوالم ؟ ! الجاذبية التي هي سر الحياة وبقاؤها ، واستمرار الوجود وقيامه ؟ ! الجاذبية التي تشدُّ بين العيون والعيون ، وتُعاطف بين القلوب والقلوب ، وتربط الأرواح بالأرواح ؟ !

ما سر تلك الجاذبية التي تسيطر على سكان المدينة وسكان

أنا أنتظر مساجلة دولية تقول فيها مصر إنها مصر ، ويقول فيها النيل إنه النيل

فتعالوا ياهؤلاء ، إلى كلمةٍ سواء !

عتاب !

هو عتاب الطبيب الذي يُذكر عند المرض وينسى عند العافية

هو عتاب الصديق الذي يُذكر في البأساء ، ويُنسى في النعماء

هو عتاب النهر الذي تشتاقه الأرض في الصيف وتنساه في الخريف

هو عتاب من لم يبق له منكم غير العتاب !

وكيف أعتب على من يستغني عن نور القمر بشعاع السِّراج ؟

جرِّبوا حياة العقوق ، جرِّبوها ، بعد أن جربتم حياة الوفاء لتعرفوا ما طعم الشهد وما طعم الصاب !

إن كان غرَّكم الصفح فلا صفح ، وإن كان غرَّكم الدمع فلا دمع ، فقد صِيغ قلبي من ضمائر الجبال

تلك أيامٌ خَلَتْ ، وأنا أضِنُّ عليها بأن تضاف إلى التواريخ ، ولن أعترف بأنكم أسرتم روحي لحظة من زمان

فإن راعكم وفائي لدار الهوى بالمرور عليها في الغدوّ والرواح ، فلا تعجبوا ولا تظنوا أني أستهديكم تحية يجاد بها على عابر الطريق ، وإنما هي لفتة أريد بها أن تفهم الحجارة أني لم أكن في هواي من العابثين

إن دار الهوى لن تعرفكم بعد اليوم ، ولن تراكم إلا أبداناً بلا أرواح ، ولن تجود عليكم بالسعادة والصفاء ، ياجيرةَ آدم حفظ الجميل

سيصنع الدهر ما يصنع ، وسيفعل القدر ما يشاء ، وستفترون عليَّ بقدر ما عندكم من كيد وجحود ، ثم يبقى وفائي لكم ولدار الهوى ، ياجيرةَ أطغاهم الجمال فتاهوا في صحراوات الدلال

لن تضيعوا من يدي ولو فررتم إلى آفاق المرّيخ ، فارجعوا طائعين قبل أن ترجعوا كارهين ، فسرعة الظبي في الجري تنبهر حين يلمح وجه الأسد الصوّال

زكي مبارك

الحيلة وما تعج به الغابة ، وما يأوى إلى الكهف ، وما يخفق بجناحيه فى الهواء ، وما يتخذ سبيله سَرَباً تحت الماء ؟

وإلى أن تجيبي فاعزُبى ، ودعى القلب الشاعر يُغنى !

* * *

أىُّ القلوب يحب كما تحب يا مستودع الشعر ، وأيها يرحم كما ترحم ، وأيها يضطرب كالعاصفة كما تضطرب حين يحزُبك أمر ، أو حين تتحرق أسى على الإنسانية الضالة ؟

أى القلوب يفيض بالخير والنبل كما تفيض ، وأيها يبتسم لما يصيب الناس من سعة كما تبتسم ، وأيها يعبس وينقبض لما يؤودهم من شدة كما تعبس وتنقبض ؟

إنك تود حينئذ لو استطعت فسحرت لهم الجبال ذهباً ، والتراب فضة ... أو سخرت لهم الريح فأمطرتهم دنانير ودراهم ، أو أمرت البحر فخار ماؤه لبناً وعسلاً مصفى !

إلا أنك تعجز أيهـا القلب النبيل ... يا أكرم المخلوقات . فيذهب بك صاحبك ليجلس فوق ربوة ، أو فى منعزل من الناس ، لتخفق له ، وتغنى له ؛ وتنظم له ألحانك كي يهديهـا بعد إلى الناس . إلى الجائعين الظامئين الذين أضرت بهم المسغبة وأذاب أبدانهم الطوى ، وأضرت بهم تلك الريح العاصفة التى تلفح الإنسانية الضاوية وتتلقفها بالموت فى كل مكان

بَيْد أنك تعود أدراجك لتبكى يا أكرم المخلوقات ، لأن ألحانك لا تخفف من ألم الجوع ، ولا تروى من حر الظمأ ، ولا تستطيع أن تنسج نفسها ثوباً يرد عادية البرد ، أو يصد لفح الشمس ؛ ولا تستطيع الأم الفقيرة المعذبة أن تشترى بمعظم قصائدك قدحاً من اللبن لطفلها الباكية التى يصهر الجوع أمعاءها ؛ ولا أن تبتاع بالباقى أرغفة من نخالة هذا العصر الأسود تملأ بها معدات أطفالها الآخرين

* * *

طالمـا يضحك العلماء من أحلامك ، والأغنياء من فقرك ، وطالما يستهزىء الخبراء فى الأرقام بعواطفك التى لا عدد لهـا ، لأنها عداد كل شىء ...

غير أنك تضحك منهم جميعاً ، وتستهزىء بهم جميعاً ؛ لأنك تعرف أنهم يعيشون اليوم ثم يموتون غداً ، فلا يذكرهم أحد ... فهم ينتهون كما انتهى ألف مرة الطعام الذى طعموا ، والشراب الذى شربوا ، والملابس الزهية التى طالما تاهوا بها ودلوا... وكما انتهت الأرقام الضخام التى طالمـا زحموا بها السجلات

أما أنت فتعيش اليوم ، وتعيش غداً ، ولسوف تعيش إلى الأبد . تعيش اليوم فى أفئدة المعجبين بك ، أولئك الذين تواسيهم دائماً بأناشيدك ، وترأب جرحهم بأغاريدك ، وتجفف دموعهم بألحانك ، وتبدل جحيم الحياة من حولهم جنات تجرى من تحتها أنهار - حنانك ، وتتفجر فيها أمواه عطفك ، وتصدح فى أفنانها بلابل شدوك ، ويحمل إليهم نسيمها عذب غنائك فترد إليهم السعادة ، وتحيى فى نفوسهم الرجاء ، وتنعش فى قلوبهم خامد الأمل ، وتصلهم بعد القنوط بحبل من الله ، فتستنير بصائرهم ، وتهدأ أعصابهم ، وتفيق أرواحهم الخافتة من سكرات الجوع والظمأ والعرى بذكر الله ...

وأنت تعيش غداً بمثل هذا ، ولسوف تعيش إلى الأبد بمثل هذا . ستعيش فى قلوب القافلة التى يجد بها السير . القافلة التى ركبها المثون ، فيتصل به المثون والمثون حتى يجىء أمر الله ... ستعيش كما يعيش الصديقون والشهداء وقادة الإنسانية . قادتها إلى الطوبى التى طالما غازلت خيالك ، وعمرت أحلامك ، ورفّت كما ترف الجنة تحت شباة قلمك وفى صميم سُوَيْدائك

ألا ما أسفه الذين ضحكوا منك ، واستهزأوا بك عند ذاك !

لقد فرغت الدنيا منهم ، بقدر ما امتلأت بك ، وهبطوا إلى التراب وسموت إلى عليين !

* * *

يمشى صاحبك أيها القلب الشاعر كما يمشى الناس فى الحدائق والطرقات ، ويقف كما يقفون عند شاطىء النهر ، وحفافى الغدير ، ويرى كما يرون بعينين ، ويتكلم بلسان وشفتين ، ويسمع بأذنين ، وله يد كما لهم أيد تمتد إلى طعام وإلى شراب وإلى ... كتاب

إلا أن صاحبك حينما يمشى فى الحديقة يكلم الورد ، ويكلمه الورد بلغة قد لا يعرفها الناس وقد لا يسيغونها ؛ لأنها لغة صامتة تتفاهم بها الأرواح التى من قبيل روح الوردة وروح الشاعر ...

ثم هو يكلم كل ما فى الحديقة ، ويفهم عنه ما لا يفهم الناس

إن الحديقة أغنيته الكبرى الخالدة ، التي يتنفس فيها كل شيء ، ليجاوب نبضاتك ، ويرقص على خفقاتك ، وليتحد بك

فإذا مشى صاحبك في الطرقات ، وَثبَتَ إلى عينيه أيها القلب ، يا أكرم المخلوقات ، وكما تثب إلى مسمميه ، كي تنطبع على شغافك آلام القافلة المتعبة ، وتستقر في جوانبك أدعيتها ، فتطب لها بما ترقرق من غناء وحداء

أما إذا وقفت عند شاطئ النهر أو حفافي الغدير ، فإنك تُسبِّح لله و تُثنى عليه ، فتقبِّل قطرات الماء لتصلى معك ، وتنشد إنشادك ، وتتمنى لو تقبل قدميك ، أو تقبل فك ، لتمتزج بروحك العلوية التي هي بضعة من الروح الأكبر ، وقبس من نور الخلود ، ونفس من أنفاس الرحمن ..

وإنما تتمنى قطرات الماء أن تصنع ذلك لأنها تحس كأنما تنبع من أعماقك ، وتنسكب من نفسك ، كما نبعت من السحاب الذى باركته يد الله ... وانسكبت من القمة الشامخة التي يداعبها البَرَد ويغسلها الثلج ...

ألست المرآة الصافية التي تجلو جمال هذا الكون للناس ، والعندليب المجلجل الذى يفتح آذانهم على ألوان من مباهجه لم يكونوا يفقهونها لولاك ؟!

ألست الناى الخالد الذى يسكب في أسماع الزمان ألحانه فينشط الركب ، وتتجدد عزمات القافلة ، وتغنى السنون ، وترقص الأيام !

ألست الطبيب النطاسى الذى يأسو جراحات الحزانى ، ويعالج لواعج المحبين ...

***

وقد تظمأ مع ذاك يا أكرم خلق الله ، فإن اشتد بك حرّ الظمأ فاشرب ما شئت من سلافة العيون ... العيون الخضر الرمادية ، والعيون الزرق اللازوردية ، والمسلية الصافية التي فيها من مغناطيس الكهرمان ... واشرب ما شئت من العيون السود التي فيها ذاك المزيج العجيب من الدَّعج والحَوَر والوطف ما تسكر به وتسحر وتأسر ... العيون الجميلة النجل التي تغمزك في هوادة ورقة ورفق مرة ، وفي عنف وقسوة مرات ... وهي في الحالتين أمواه حياتك ، وحدائق أحلامك ، ومشارق خيالك ، ومهابط وحيك ، وصرائع فتونك ، وملاعب هواك

العيون الموسيقية التي لا يتسع غيرها لملكوتك الرحب الذى لا يعرف الحدود !

إشرب منها ما شئت ، ثم تصدَّق بما تُنبته تلك المدامة في جناتك ذوات الجنا من موسيقا وألحان ...

تصدق بهما على المدنفين والمكلومين والمحرومين

تصدق بألحانك على العيون المتسهِّدة ، والجوانح المشبوبة ، والحدَق الباكية ، والأنفاس المحترقة ، والفم الظامئ ، والمهجة الغرثى ، والروح الصادية ... على كل حمامة تنتظر ، وعلى كل ظبي غاب عنه أليفه ... فألحانك غذاء هذه الأرواح جميعاً ، وهى عصارة العيون التي شربت ، والخدود التي رعيت ، والأنفاس الطاهرة التي اختلطت بأنفاسك ، وشاعت حميّاها في أعطافك

أيها القلب الشاعر ! يا أكرم المخلوقات وأنبلها ! لن أفرغ اليوم منك ، لن أفرغ منك غداً ولا بعد غد ، فإلى صلاة قريبة ، وإلى لقاء قريب !

دريني خشبة

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالأثمان الآتية :

السنة الأولى في مجلد واحد ١٠٠ قرش ، و ١٠٠ قرش عن كل سنة من السنوات : الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة في مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدره خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد .

من أدب التراجم

الخليل بن أحمد

للأستاذ طه الراوى

إذا افتخرت الأمم بالأفذاذ من رجالها الذين رفعوا مشعل العلم عالياً فأناروا للعقول مناهجها، وضاعفوا لذاتها ومباهجها؛ حق للعرب أن يكونوا المجلّين فى هذه الحلبة؛ ولهم من تأريخ المعارف الإنسانية شواهد خوالد تسطع أنوارها وتتجدد على الزمن آثارها. فتأريخ النتاج العقلى يفيض بما للعقل العربى من خصب فى الإنتاج، وبراعة فى الاختراع، ودقة فى الإبداع، وسعة فى التحقيق، وإنعام فى التدقيق مع صدق فى القول وأمانة متناهية فى النقل

ومن بين أولئك الأفذاذ الذين أقاموا للعلم مناره ورفعوا لواءه فى سماء الرافدين الخليل بن أحمد البصرى. وقد رأيت أن أترجم له بمقال مسهب أرسل به إلى مجلة الرسالة الغراء؛ وبعد أن تم المقال رأيت من الأصلح اختصاره رغبة فى دفع الملل عن القارىء لأنى أعلم أن الكثير من قراء المجلات فى هذه الأيام العصيبة يرغبون عن المطولات ويملون المسهبات

نسب الخليل

من أشهر قبائل اليمن قبيلة الأزد التى منها غسان، والأوس والخزرج اللتان عرفتا بعد الإسلام بالأنصار؛ ومن بطون هذه القبيلة الفراهيد، وكان الكثير من أفخاذها يقطن عمان والبصرة. وقد أنجبت عدداً كبيراً من المشاهير كان فى الطليعة منهم المترجم وهو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم البصرى الفراهيدى اليحمدى، وبعضهم يقول الفرهودى. قال الأصمعي: سألت الخليل بن أحمد ممن هو؟ فقال: من أدعمان من فراهيد. قلت: وما فراهيد؟ قال: جرو الأسد بلغة عمان. ا هـ

مولده ونشأته

ولد الخليل فى البصرة حوالى سنة ١٠٠ هـ ونشأ بها، وترعرع فيها وهى يومئذ مهد العربية ومطلع أقمارها، وينبوع فياض بالمعارف ولا سيما الأدبية منها، فشب بين مربدها الذى أصبح عكاظ العرب بعد الإسلام، وحلقات أدبائها الذين كانوا مصابيح الدُّجى ونجوم الهُدى، فاقتطف من أزاهير المعارف ما شاء أن يقتطف، واجتنى من يانع ثمارها ما راق منظره وطاب مخبره، وبرّز على أقرانه أيما تبريز. ومن أشهر مشايخه فى الأدب أبو عمرو بن العلاء. ولما آنس من نفسه الكفاية رأى أن أخذ العربية عن الحضريين من العلماء والمتردّدين إلى الحواضر من الأعراب الذين لانت سلائقهم وضعفت طباعهم لا يوصل إلى اليقين ولا يهدى إلى مهيع الصواب، وعلم أن التبحر فى هذا الشأن لا يتيسر إلا بمشافهة الأعراب الخلّص الذين توحّت سلائقهم، وصفت عربيتهم، ومعايشتهم فى ديارهم، فشدّ الرحال، وضرب فى كبد الجزيرة، وطفق يفلى ناصية الفلاة ويتنقل فى الأحياء التى حلت فى سرّة البادية ولم يكدر صفاء لغتها مخالطة حمراء الأمم وصفرائها كقيس وتميم وأسد وغيرهم ممن خلصت عربيتهم، فكان يلتقط ما يعثر عليه من درر كلامهم وفرائد خطبهم ونوادر أخبارهم وعيون أشعارهم، وجليل آثارهم، فما عاد إلى وكره حتى وعى فى حافظته أدباً غضاً وعلماً جماً، كما أوقر راحلته رقاقاً وطروساً ومهارق حشد فيها شوارد النثر وفرائد النظم فكانت تلك المنقولات عدته فى استخراج المسائل وبناء القواعد، وتبويب اللغة، وتصحيح القياس والإكثار من الشواهد والتوسع فى إبداء البراهين.

عقله

كان الخليل آية من الآيات فى الذكاء ودقة التصور، وتوقد الفطنة، وصدق الحِدس، وسعة الحافظة، وقوة الذاكرة، ورجاحة العقل، حتى كانوا يقولون: «لا يجوز على الصراط أحد بعد الأنبياء أدق ذهناً من الخليل» ولا حاجة بنا إلى برهان أنصع من هذه المبتكرات التى أخرجها للناس كما سيمرّ بك بعد. وقد نقل أهل العلم عنه حكايات من هذا الشأن تتجاوز حد التصديق لولا ثقة رواتها وتكاثر نقلتها. من ذلك أنه جاءته رسالة عربية مكتوبة بالحرف السريانى فقرأها وهو لا يعرف شيئاً عن الحرف السريانى ولكنه استعان بما عرف أنها تصدر عادة بالبسملة والحمدلة ونحوهما

قال الرواة: اجتمع الخليل وعبد الله بن المقفع ليلة يتحدثان إلى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل: كيف رأيت ابن المقفع؟ فقال: رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله. وقيل لابن المقفع: كيف

رأيت الخليل ؟ فقال : رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه

وقال حمزة بن الحسن الأصفهاني :

« إن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل . وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه . فلو كانت أيامه قديمة ، ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعته ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره ، ومن تأسيس بناء كتاب العين الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة ، ثم من إمداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الإسلام . »

مبتكراته

لقد أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها ، واخترع علوماً أعجزت المتقدمين كما بهرت المتأخرين ، فلا عجب إذا سميناه « شيخ المبتكرين من العرب »

(**علم العروض**) : لو لم يكن للخليل من المبدعات إلا هذا العلم لكفاه منقبة ، فإنه - لعمري - أبدع في تنسيق قواعده ، وضبط أبوابه ، كما بهر الألباب باختراعه . فقد حصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً على كيفية أدهشت الفطن ، وحيَّرت الأفئدة . ونحن نعلم أن كل مبتكر يعتريه في بادئ الأمر الاضطراب ، ويحف بالنواقص ، فلا تستقيم قناته ويلبس الحلة التي تليق به إلا بعد أن تختلف العقول على صقله وتثقيف أوده حيناً من الدهر ؛ سنة الله في خلقه . ولكنا رأينا علم الخليل بلغ الرشد يوم ولادته ، فلم يستدرك عليه من جاء بعده باباً أهمله ، أو قاعدة أخل بها ، أو فصلاً ذهل عنه ، أو اصطلاحاً غيره خير منه — إلا ما كان من أمر البحر الذي زاده تلميذه الأخفش وسماه « الخبب » ، ولا يعسر ردُّ هذا البحر إلى واحد من بحور الخليل

(**الشكل**) : كان الخط في صدر الإسلام خلواً من الشكل والإعجام ؛ فوضع أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ علامات للحركات الثلاث ، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة تحته ، والضمة بين يديه ، وجعل التنوين نقطتين ، كل ذلك بمداد يخالف مداد الحرف . فلما وضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر من الحجاج نقط الإعجام اضطرب الأمر واشتبه الإعجام بالشكل فتصدى الخليل لإزالة هذا اللبس فوضع الشكل على الطريقة المعروفة اليوم ، وبنى ذلك على مقاييس مضبوطة وعلل دقيقة بأن جعل للفتحة ألفاً صغيرة مضطجعة فوق الحرف ، وللكسرة رأس ياء صغيرة تحته ، وللضمة واواً صغيرة فوقه ؛ فإذا كان الحرف المحرَّك منوناً كرَّر الحرف الصغير فكتب مرتين فوق الحرف أو تحته . ذلك لأن الفتحة جزء من الألف ، والكسرة جزء من الياء ، والضمة جزء من الواو ؛ ووضع للتشديد رأس شين بغير نقط (ّ) ، ووضع للسكون دائرة صغيرة وهي الصفر من الأرقام العربية القديمة ؛ وذلك لأن الحرف الساكن خلو من الحركة ، ووضع للهمزة رأس عين (ء) لقرب الهمزة من العين في المخرج . هكذا قالوا . والذي أراه أن هذه الشكلة إنما هي الميم المتوسطة في لفظ (همزة) لأنك إذا كتبت هذا اللفظ وحذفت الهاء من أوله والزاي والتاء من آخره ظهرت هذه الشكلة واضحة . ووضع لألف الوصل رأس صاد هكذا (ص) ، توضع فوق ألف الوصل مهما كانت الحركة فيها ؛ وللمد الواجب ميماً صغيرة مع جزء من الدال هكذا (~) فكان مجموع ما تم له وضعه ثماني علامات : الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة والهمزة والصلة والمدة ، كلها حروف صغيرة أو أبعاض حروف بينها وبين ما دلت عليه أجلى مناسبة وأوضح صلة ، بخلاف علامات أبي الأسود وأتباعه فإنها مجرد اصطلاح لم يبن على مناسبة بين الدال والمدلول . وألف الخليل في هذا الموضوع كتاباً نفيساً فلم يزد أحد على طريقته هذه شيئاً ولا أصلح منها رأياً فكأنه ابتدأها وبه ختمت

(**الموسيقا**) لم يكن الخليل يعرف لغة أجنبية وليس فيه ميل إلى اللهو والقصف ولكنا رأيناه ألف كتاباً في الموسيقا جمع فيه أصناف النغم وحصر أنواع اللحون ، وحدد ذلك كله ولخصه وذكر مبالغ أقسامه ونهايات أعداده فصار الكتاب آية في بابه . ولما وضع إسحق بن ابراهيم الموصلي كتابه في النغم واللحون عرضه على ابراهيم بن المهدي فقال له : أحسنت ! ... فقال إسحق : بل أحسن الخليل لأنه جعل السبيل إلى الإحسان . فقال بعض أهل العلم : إن مهارة الخليل في علم الألحان هي التي أعانته على إبداع علم العروض .

(البقية في العدد القادم)

طه الراوي

أدباء عالميون

موريس ماترلنك

للأستاذ صلاح الدين المنجد

[تتمة]



إن درامة ماترلنك « بِلِّياس وميليزاند »(1) لتقطر سحراً وجمالاً ... وفيها مشاهد مترعة متعة ولذة ؛ تمثلهما وهما يتناجيان هذه النجوى :

— أنتِ لا تعلمين لِمَ يجب عليّ أن أبتعد ... أنا أحبكِ !

— وأنا أحبُّكَ أيضاً ... !

— آه ... ! ما ذا تقولين يا ميليزاند ؟ ... لم أسمع ، لم أسمع ما تفوهت به ، كأنما حطم الجليد بالحديد المحمر ... أأنت تقولين هذا بصوت كأنه آت من اللانهاية ... لم أسمعك يا ميليزاند . أتحبينني ... ؟ تحبينني أيضاً ... ؟ منذ كم وأنت تحبينني يا ميليزاند ...

— منذ بعيد ... منذ رأيتُك !

— آوه ! أنتِ تقولين هذا ... كأنما مر صوتك فوق البحر ، في الربيع . كأن غيثاً هطل على قلبي ... بصراحة تقولين هذا ؟

(1) ترجمت بالرسالة في العدد ١٤ وما بعده (السنة الأولى)

أنا لا أصدق ! ميليزاند لم تحبينني ؟ ألا تخدعينني بقولك ، ألا تكذبين لِأَمرٍ ؟

— لا ، لا أكذب أبداً عليك ، ولكن أكذب على أخيك ...

— يا لصوتك ، يا لصوتك ! إنه ندى مبلل ، أندى من الماء ، كأن الماء يجرى بين شفتيك

أفرأيت إلى هذه السذاجة الحلوة ، وهذا الطهر الناعم ، وهذا السحر الأخاذ . إنها نجوى واحدة من النجويات !

* * *

وأخرج ماترلنك بعد ذلك درامته المسماة Interieur ، وقد بعث هذه الدرامة الصغيرة الكمال ، فهو يصور لنا فيها حياة أسرة برجوازية تصاب بالمصائب ، ويسلط عليها الرعب والخوف ...

وقد تجد في هذه الدرامة من الطرافة ما لا تجده في غيرها . فأشخاصها خرس مجتمعون في غرفة تكاد تكون مظلمة ، وهم أب وأم ، وبنتان وطفل . « أما الأب فجالس إلى النار يشيعها بالحطب ، وأما الأم فقد ارتفقت الطاولة ، وأخذت تنظر من خلال النافذة ساهمة في حين ارتدت البنتان ثوبين أبيضين ، وجلستا تطرزان »

كل شيء يبعث في النفس الطمأنينة ، ولكن لا ... أنظر ، فها هو ذا عجوز يدب في الحديقة ، يتبعه جمهور من الناس يمشون بحزن ووجوم . إنهم يعلمون ما كان يجهله أولئك المطمئنون الهادئون .

أتدرى ما ذا وقع ؟ لقد غرقت الأخت الثالثة في النهر ، وها هم أولاء يحملونها جثة هامدة . ليت شعرى كيف يطلعون عليهم بهذا النبأ الفاجع وهم ينتظرون عودتها ؟ ويمعن ماترلنك في تصوير أولئك الوادعين الذين كانوا يفعلون في هذه الليلة ما فعلوه ليلة أمس ، ويظهر الفرق بين ما هم فيه ، وما هم آتون عليه ، بين الواقع الذي يجهلونه ولا يحسبون له الحساب ، وبين ما هم مطمئنون إليه

الأحـــلام

للفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون

بقلم الأستاذ ألبير نادر

(تتمـة)

السرعة التى تسرد بها بعض الأحلام تبدو لى كأنها نتيجة أخرى لنفس السبب : الحلم يمكنه أن يقدم لنا فى بضعة ثوان مجموعة حوادث تتطلب أياماً عديدة لتتحقق فى حالة اليقظة . كتب الفريد مورى فى هذا الصدد يقول : « كنت نائماً فى حجرتى ووالدتى على قمة السرير . حلمت بالثورة وكنت أشاهد حوادث الذبح ثم مُثلت أمام محكمة الثورة ، ورأيت روبسبيير ومارا وفوكييه تنفيل . . . أخذت أجادلهم ، ثم حُكم علىّ بالإعدام وقادونى فى عربة إلى ميدان الثورة ـ صعدت إلى المقصلة وربطنى الجلاد على اللوح ثم دفعه والمقصلة هبطت علىّ ؛ فشعرت بأن رأسى قد انفصل عن جسمى واستيقظت وأنا فى حالة يأس شديد وشعرت بسهم السرير فوق عنق ، وكان هذا السهم قد انفصل من موضعه ووقع على فقرات عنق مثل ما تقع مقصلة المشنقة على العنق ـ حصل هذا في الحال كما أثبتته لى والدتى . فأنا اتخذت هذا الإحساس الخارجى بداية لحلم تعاقبت فيه حوادث متعددة . اهـ (من كتاب مورى : النوم والأحلام) .

ومهما يُقل عن ملحوظة مورى هذه فى أيامنا الأخيرة فأنا أراها ممكنة التحقيق ، لأنى وجدت حوادث مماثلة لها فى أدب الأحلام ـ وتوالى الصور السريع هذا ليس بأمر قريب ، فإن صور الحلم تكون بنوع خاص صوراً بصرية . والمحادثات التى يظن الحالم أنه سمعها تنظم وتتم وتتضخم غالباً عند اليقظة . وربما لا تكون صور الحلم سوى فكرة المحادثة فقط أو معناها الكلى الذى صاحب الصور . فجمع كبير من الصور البصريّة يمكنه أن يبدو دفعة واحدة على شكل منظار ، وبذلك لا يحتاج إلا لبضع لحظات . فلا ندهش إذا جمع الحلم فى بضع لحظات ما يتطلب عدة أيام أثناء اليقظة . إن الحلم يرى الشىء مصغراً فهو يعمل كما تعمل الذاكرة . فى حالة اليقظة يلزم الذكر البصرية التى تعبر عن الإحساس البصرى أن تنطبق تماماً على هذا الإحساس البصرى ؛ ومن ذلك ينتج سرد الحوادث وهو يدوم بقدر الزمن الذى يدومه هذا الانطباق . وبالاختصار يدوم إدراك الحوادث الخارجية تماماً قدر ما تدوم هذه الحوادث . لكن فى الحلم تكتسب الذكرى المعبرة عن الإحساس البصرى حريتها ، وعدم استقرار الإحساس البصرى يجعل الذكرى

ويتقدم الموكب ، ويراه الجيران ، وتثرثر جارتان :

— آوه .. يا لكثرتهم .. إنهم يسرعون

— سيأتون .. وأنا أراهم أيضاً ، إنهم يقربون !

لقد كانت المصيبة تسير ... « فالقدر يمشى ... لا يتعب ولا يمل ... »

والحق أن هـذا المنظر الفاجع ليبعث فى الأنفس القلق . هـذا مصيرنا نحن أيضاً . إننا نستسلم جميعاً للطمأنينة والراحة . وإننا لنفرح ونضحك ... بل نعتقد أحياناً أننا سعداء ، ولكن الموت والألم والمصائب ، تسير نحونا مسرعة لا يوقفها إنسان ، ونحن غافلون مطمئنون

لقد كانت هذه الفكرة تهيمن على آثار ماترلنك حتى مطلع هـذا القرن . . . ولقد حاول فى روايته « أجلافين وسيليزيت Aglavine et Selysette » أن يجعل الألم والموت يتراجعان أمام الحياة والفرح . ولكنه لم يدرك ما ابتغاه ، ووجد نفسه مجبراً على أن يصوّر هـذه المصائب التى تنغص عيش الإنسان فى هذه الحياة الدنيا

هذه أشهر آثار ماترلنك فى الحقبة الأولى من تفكيره الفلسفى . فلما طلع هذا القرن ، كان لماترلنك وجهة أخرى سنعود إلى التكلم عليها بعد حين

(انتهى البحث الأول — دمشق) صموع الدين المنجد

لا تنطبق عليه . ووتيرة الذاكرة المميزة لا بد لها أن تختار وتيرة الحقيقة . والصور يمكنها إذا شاءت أن تندفع بسرعة جنونية كما تتعاقب الصور السينمائية إلا إذا نظمنا تعاقبها . فلا التدفق ولا الغزارة يبرهنان عن قوة فى محيط النفس ، إلا أن الضبط والدقة فى الانسجام يتطلبان مجهوداً . أما إذا تمردت الذاكرة المميزة والتفتت إلى الحياة وخرجت عن حالة الحلم فالحوادث الخارجية تقسم حينئذ مجراها وتخفف وطأتها مثل رقاص الساعة يقسم أجزاء ويوزع على عدة أيام تمدد الزنبرك مع العلم بأن هذا التمدد يصير فى الحال إذا ترك وشأنه

بقى لنا أن نبحث لماذا يختار الحلم هذه الذكرى أو تلك مفضلاً إياها على الذكريات الأخرى التى يمكنها أن تنطبق أيضاً على الإحساسات الحالية . لا يمكننا أن نعبر عن خاطر الحلم ولا يمكننا أن نعبر عن خاطر اليقظة ، لكن يمكننا أن نشير إلى اتجاههما البين . فى أثناء النوم الطبيعى تعيد لنا أحلامنا فى الغالب الأفكار التى مرت بنا كالبرق ، أو الأشياء التى أدركناها بدون أن نعيرها انتباهاً . وإذا حلمنا أثناء الليل بحوادث النهار فالحوادث التافهة لا الحوادث المهمة هى التى يكون لها حظ الظهور . وإنى أؤيد نظريات دلاج وروبرت وفرود فى هـذا الصدد . أنا فى الطريق أنتظر الترام ولا يمكنه أن يمسنى لأنى واقف على الرصيف ؛ ولكن إذا طرأت على فكرة خطر ممكن عند ما يغشى الترام . لا بل أكثر من ذلك : إذا تراجع جسمى بدون انتباه وبدون أن أشعر بأى خطر فيمكن أن أحلم فى الليلة السابقة أن الترام قد دهمنى . أعود أثناء النهار مريضاً حالته تدعو إلى اليأس ، ويكفى أن يمر شعاع أمل بسيط ولمدة لحظة وجيزة — شعاع أكاد أشعر به — حتى يظهر لى حلمى أثناء الليل أن المريض قد شفى ، وعلى كل حال سأحلم بشفاء لا بمرض أو موت ، بالاختصار ما لم نمن بمشاهدته له الأفضلية فى الرجوع والعودة . ولا غرابة ، فالشخصية التى تحلم هى شخصية ساه تتمدد . والذكريات التى تتفق أحسن اتفاق مع هذه الشخصية هى ذكريات السهو التى لا تحمل منها علامة المجهود

هذه هى الملاحظات التى أردت أن أقدمها لكم فى موضوع الحلم . أنها غير وافية . فهى لا تبحث إلا فى الأحلام التى نعرفها اليوم وفى الأحلام التى نتذكرها والتى ترجع إلى النوم الخفيف ؛ ولكن إذا كان النوم عميقاً فربما نحلم أحلاماً من نوع آخر ولا يبقى منها شىء عند اليقظة

وأنا أميل إلى الاعتقاد وخصوصاً لأسباب نظرية ومحض اقتراح بأن رؤيانا حينئذ تكون أكثر تمدداً وأكثر إيضاحاً لماضينا . فعلى علم النفس أن يوجه مجهوده نحو هذا النوم العميق ، لا ليدرس فيه فقط كيان الذاكرة الباطنية وعملها ، بل ليفحص العوامل الخفية التى تتعلق بالبحث النفسانى . أنى لا أريد المغامرة فى هذا المضمار ولكن لا يسعنى إلا أن أهتم بالملاحظات المتجمعة بفضل مجهود « جمعية الأبحاث النفسية » الذى لا يعرف الكلل ، فالتنقيب عن العقل الباطن والبحث عن أعماق النفس بواسطة طرق مخصوصة هو عمل علم النفس الأساسى فى فجر هذا العصر . ولا أشك أن هناك اكتشافات بديعة تنتظره وأهميتها تضاهى أهمية العلوم الطبيعية فى العصور الماضية ، وهذا ما أتمناه لكم فى ختام حديثى هذا .

(تم)

ألبير نادر

الساعة . . . !

عزيزى الدكتور طه حسين بك

فى المحاورات الممتعة الطريفة التى دارت بينك وبينى — فى خريف السنة الماضية بالقدس — والتى استمع إليها جمهور من نخبة أدباء فلسطين كنت ثائراً على الشعر العربى الحديث منكراً الابداع الفنى فى صوره وتهاويله ، فاسمح لى اليوم أن أقدم إليك — على أسبوعين أو ثلاثة — طرائف من شعر أحمد الصافى النجفى لم تنشر بعد لأرى رأيك الجديد . .

القدس — عبد القادر جنيدى

يا ساعةً أتبعها النظام ... عليك كل راحة حرام
تجرين لا يوقفك الزحام ... مسرعة كأنك الحمام
هذى الليالى لك والأيام ... تُفنينها كأنها أخصام
النوم من أعمارنا انحسام ... ألا تنامين كما ننام
أسقيك لو تسكرك المدام ... فتسكر الشهور والأعوام
وتهجمون إن غفا الأنام ... وترقد الخمر ويغفى الجام
والليل والنهار إن تناموا ... هما لكم فى نومكم أحلام
ونحن فى أحلامكم أوهام

أحمد الصافى النجفى

من أدب الشاطىء

شكاة المغيب!

« إلى العروس النائية »

لشاعر الوجدان جبران ريشباند (*)

للأستاذ عبد العزيز العجيزي

أين مني الليالي الزُهر، والسنا النشوان! أين مني بهجة الدنيا وابتسامة الزمان! أين مني يا ليلاى أيامك الخوالى، ومغانيك الحسان! أين مني الهوى، والصبا، والمنى، وروضك الفينان؟

آه لقد كدّر الفراق صفو المعاني، وأشقى البعد مهجة العاني! وبقيت وحيداً أعاني الشوق والأشجان، وأقاسي الهجر والحرمان!

أين الزمان الذي قد كنتِ ناعمةً   مُهلة بدنوّي منك يا سندى

***

هاج شوق لوكر إلهامي وروض إنشادي، وزاد حنيني لمهد أحلامي وظل ودادي. وفررت من عيش كئيب تكتنفه أكدار وتمازجه آلام... وسرت بقلب يذوب جوًى، ونفس تتأجج لوعةً، وكبد تتلظى كمداً... إلى أطلال حي الغابر!

فلاحقتني أطياف الأمس المتفجر، وأشباح الجوى المتسعر، وقد أهاجها النحيب وأزهقها الوجيب، من ضناها وتوجعها، وأساها وتفجعها!

طليحُ شوقٍ بنار الحب محترق   تقتاده زفرات إثر لوعات

***

واحسرتاه على شباب نضب معينه وهو في غضارة الإهاب، وذوى زهره في ربيع الصبا! والهفي على أمسياتٍ ساحراتٍ ولّت تشيعها أنين الحسرات وكمين العبرات! وا أسفاه على ضياء خبا سناه من تفجع الذكريات ثم ما لبث أن عاد النور إلى الظلمات! واشجني على نفس ترسف في أغلال همومها، ومهجة حرّى تذوب من سعير خطبها، وروح صرعتها أهوال القضاء، وأنشبت فيها أظفار الشقاء!

فيا هجر ليـــلى قد بلغت بي المدى
وزدت على ما لم يكن بلغ الهجرُ

(*) راجع لنا أعداد: ٥٠٦، ٥٠٩، ٥١٥، ٥٢٠ من « الرسالة » الغراء. (العجيزى)

لقد أبلى السقام جسدي النحيل، وأضنى الهيام بدني العليل! فأين مني رحمتك وحنانك، وأين مني سحرك ودلالك؟!...

لقد كنت يا ليلى أستشفي بوصالك وأستهدي بجمالك، فأنت شفاء العاني المولّه، ورواء المحب المدله!

وما عبد العزيز طبيب قلبي   ولكن الطبيب هو الحبيب

فوا حزناه على معذب محروق أذابه لهيب الشجون، وأضنته أسقام المنون!

***

أواه ليلاى! لقد أدمى البعد فؤادي، وذهب الجوى برشادي، وقضيت أيامي حليف سهادي... ونأيت بنفسي بعيداً عن صخب الحياة ولغوب الناس حتى . . . .

أخلو بذكرك لا أريد محدثاً   وكفى بذكرك سامراً وسروراً

فلا يقع بصري على إنسان، وأكون بنجوة من همسات الحسان، وخلوة في ذكر، وحنان، وأمان!

***

واهاً لذكرى الجمالي بين أفنان الجمال، تتابعني أشباحها أينما سرت، وتلاحقني أطيافها أنى حللت بين زفرات التأوه وحسرات التوجع!

أردد سُعاد على حيران مكتئب   يمسي ويصبح في هم وتذكار

واهاً لحب عربيد عربيد، ترك ربه صريع الجوى، شهيد الهوى، تنزف منه دماء قلبه المكلوم، ثم يفر هارباً كجبان رعديد دون أن يرحم جرحاً دامياً، أو يغيث قلبا عانياً!

***

لقد فررت بنفسي إلى جزيرة نائية كي أكون بمنجاة من سَخَر الرجال وأضاحيكهم، وبمأمن من رياء النساء وأكاذيبهن! فيطمئن القلب ويهدأ الجنان؛ في عالم قدسي موفور الأمان!

دلفت كابياً في سكينة هذه الجزيرة الوادعة، وأقمت فيها كاسفاً بين وحشة الصمت ورهبة الموت كبوم لفّه البؤس والوجوم والوجوم في وادي الآلام والهموم!

واهاً لوحدتي، وسهدي، وانفرادي! ها قد جلست منعزلاً وللحياة معتزلاً. لا أرى إلا بحراً مضطرب الأمواج، ولا أسمع إلا إعصاراً تبجح بصارع الأنواء صراعاً رهيب الأصداء، واصطفاق لجج على ثنايا الشاطىء في إزباد وإرغاء!

ولا مُؤنسٌ إلا شهيق وزفرة   ولا مسعدٌ إلا دموع وأشجان

أطلق النسيم أنفاسه العذاب ، وسرى يختال فى أردية العباب ، وسجن البحر ، وترقق الموج ناراً رذاذاً كحباب الصهباء وشدت قيثارة الريح ألحان الصفاء . ولكن ، ما أسكرتنى خمرة الألحان ، ولا أنعشتنى لذة الوجدان ، وما أطربنى صداح الأغانى ولا هاجنى لماح الأمانى : إذ

كيف السرورُ وأنت نازحـةٌ عنّى وكيف يسوغ لى الطرب

أجل . لا شىء فى الحياة يسرى عنى هموم الوصب إلا ورقاء حزينة هى مسلاة غرامى ومتنفس آلامى ، تؤنسنى فى وحدتى ، وتسليني فى عزلتى ، وشدوها سلوان خاطرى وألحانها عزاء شاعر

فكأنهـــا صاغت على شجوى شجا تلك اللحون

***

أواه ! لقد جنت التأوهات من فرط جواها ، وهامت الهفات من فيض ضناها ، ورفرفت أحلام الهوى العذرى على الرمال الشقراء . فتغنى البحر بأنين الزفرات ، وأنشد الموج على الصخر أناشيد العبرات . أخذت صخور الشاطىء تبكى وتنتحب رحمة بى وشفقة على ، وترقرقت القطرات على خدها كحبات لؤلؤ وضاح . ففاض الأسى بجفونى ، وفاضت مدامعى عقيقاً وتهللت على الخدين والنحر ...

علّ ماء الدموع يخمد ناراً من جوى الحب أو يبل غليلاً

***

أجل إنه لسراب يخدع النظر ، وعبث لا ينيل الوطر ! حقاً إنه خداع كاذب ووهم باطل اعترياني فى حمى قطيعة لا تجدى نفعاً إذ علام الحياة فى خراب مقفر ، وباب موحش ، أمل امتلاك ناصية ضالة خادعة !؟

أسجناً وقيداً ، واشتياقاً وغربة ونأى حبيب إن ذا لعظيم

***

لكن ! كيف الفر من ذكريات أضنت صباى وأضاعت مناى ؟! كيف النجاة من طيفك يا قاسية ؟ إنك قد نزلت من مهجتى فى كل مكان ؛ وغداً خيالك يتمثل لناظرى ويسبح فى خاطرى ، ويسطو على مشاعرى ويهيج سرائرى !

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ومثواك فى قلبى فأين تغيب

(شاطىء رأس البر) عبد العزيز العميرى

١ ـ «أعاصير مغرب» للعقاد

للأستاذ علي متولي صلاح

عندما شرعتُ القلم لأكتب عن ديوان العقاد الفذّ «أعاصير مغرب» قرأت مقالاً للدكتور مندور في مجلة الثقافة عن «ترنيمة السرير» يقول في نهايتها: «لقد تصفحت «أعاصير مغرب» فعجبت لمن يجرؤون على تسميتها شعراً وهي نثرية في مادتها، نثرية في أسلوبها، نثرية في روحها. ونثريتها بعد متبذلة سميكة، حتى الإحساس فيها شيء لا تطمئن إليه النفس، شيء ناب. الأدب الجيد لا بد أن يلونه الإحساس، وصاحب «أعاصير مغرب» من الكتاب الذين قد تبهرك مهارتهم العقلية في التخريج، ولكنني لا أذكر إلا في النادر الذي لا يذكر أنه قد استطاع يوماً أن يحرك في نفسي إحساساً فكيف له بقول الشعر؟ وكيف لنا أن نقارن شعراً كالأعاصير ونحوها بشعر المهجر الحي»

فعجبت بدوري من الدكتور مندور كيف يمسك سيفه بيده ويضرب في الهواء عن يمين فيحسب أنه قتل ألفاً، ويضرب في الهواء عن يسار فيحسب أنه قتل ألفا! الدكتور مندور شاب نرجو منه الخير الكثير للأدب إن فارقته نزعة التعقب والرغبة في الهدم بلا استقصاء ولا روية ولا تأن ولا دراسة شاملة لمن يتعقبهم ويحسبه قادراً على هدمهم! ذم أدباءنا وشعراءنا جميعاً: العقاد والزيات والحكيم ومن إليهم عنده طبول وأبواق؛ وعلى طه ومحمود حسن إسماعيل ومن إليهم خطباء منابر لا شعراء يصدحون! اللهم إلا شعراء المهجر؛ فهم عنده في القمة والذؤابة ومن خلاهم هباء!

وأعاصير مغرب بعد هو ـ عندي ـ أعظم وأرق وأجل دواوين العقاد جميعاً. قرأت كل ما قال العقاد من شعر فما اجتمع لديوان من دواوينه القديمة والحديثة ما اجتمع لهذا الديوان ـ في رأيي ـ من روعة ورونق وصدق عاطفة، وجمال أسلوب وإشراق ديباجة

ولم أفهم بعد لماذا سمّاه العقاد «أعاصير مغرب» ولو أنه شرح ذلك بعض الشرح في مقدمته إلا أنه لم يقنعني ولم أسترح إليه إلا في نصفه الأول «أعاصير» فالديوان في مجموعه أعاصير عاتية عارمة، نظمه العقاد إلا أقله وعالم الدنيا مضطرب بأعاصيره، وعالم النفس مضطرب بأعاصيره. بيد أنها ليست أعاصير «مغرب» إن كان العقاد التمس الغروب من «توماس هاردي» الذي ينظر إلى المرآة فيرى بشرته الذابلة تتقبض فيتوجه إلى الله مبتهلاً يقول: «أسألك يا رب إلا ما جعلت لي قلباً يذبل مثل هذا الذبول، إنني لأحس برد القلوب من حولي فلا آلم ولا أحزن، وإنني لأظل في ارتقاب راحتي السرمدية بجأش ساكن، وسمت وقور. غير أن الزمن الذي يأبى لي إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا يختلس كل شيء، ويترك فلا يترك كل شيء. ولا يزال يرجف هذه البنية الهزيلة في مسائها بأقوى ما في الظهيرة من خلجة واضطراب» ... أو كان التمسه عند «بيرون» الذي نظم قصيدة «عيد ميلاد أخير» وهو في السادسة والثلاثين من عمره وقال: «آن لهذا القلب أن يسكن مذ عز عليه أن يحرك سواه؛ ولكني وقد حرمت من يهوى إلي، حسبي نصيباً من الحب أن أهوى. إن أيامي لمكتوبة على الورقة الذابلة الذاوية. إن زهرات الحب وثماره ذهبت إلى غير رجعي، إنما السوس والديدان وحسرة الأسى هي لي ... لي وحدها بحي ... تلك القدرة على الهيام والهوى ليس لي منها حصة تبقى، فما لأغلالها في عنق لا تنزع ولا تبلى؟ ...»

ما هاردي ولا بيرون بشبيهين للعقاد في هذا الذي يقولان. العقاد ذو قلب شاب فتيّ قويّ متفتح للحياة، مقبل عليها، نهم بها، كلف بألوان الجمال وأنماط الحسن فيها، فأين يكون الغروب منه؟ العقاد يسير قلبه دائماً إلى الشباب حيث تسير قلوب الناس إلى الهرم والشيخوخة، ويصبو قلبه إلى الحياة حيث تزهد القلوب الفانية في متاعها. العقاد يصغر حيث يكبر الناس، والشاعر ـ بعد ـ طفل كبير!

لو أنه سماه « أعاصير قلب » لكان أدنى إلى الصدور وأقرب إلى الحق من اسمه الذى اختار ، اللهم إلا أن يكون استطراداً لفظياً مع دواوينه السابقة : يقظة الصباح ، ووهج الظهيرة ، وأشباح الأصيل ، ووحى الأربعين ، التى يعبر بها عن الزمن والأيام والسنين لا عن القلب وما به من صبّى وشباب أو كهولة وفناء ، وهل غرب قلب الذى يقول :

هى قبلة ضمّت عرى عامَيْن فاتّصلا اتّصالا
ومُنى الخواطر في غدٍ عام كسابقه مآلا
لا تعجلنّ به فما أقسى الحياة على المجالى

***

لا لا فهذا يومنا وغد وبعد غدٍ خفاء
أنا مغمض عينى ومستمع إلى حادى الرجاء
فإذا سمعت حداءه فدعيه يمضى حيث شاء !

والذى يقول :

أهلاً بعام ثالث يتلوه عام رابع
بل خامس فيما عهدت وسادس أو سابع
ما ضاقت الدنيا وفى جنبيْك قلب واسع !

أو الذى يقول :

سنةٌ كان لها نجم فريد
هات منها أيها النجم وهات
سنة ثانية بل سنوات
وانا منك مزيد المستزيد ... !

أو الذى يقول :

وفى كل يوم يولد المرء ذو الحجي
وفى كلّ يوم ذو الجهالة يُلحد !

بل إنى لألمح بين سطور الديوان غراماً حقيقياً وقع فيه العقاد ! ولعله وقع أخيراً فى « فخ » جعل هذا الشعر الغزلى الرائع ينساب من قلبه انسياباً

والعقاد إذ يكتب الشعر إنما يكتبه بعاطفته وبعقله معاً ، وتلك ميزة تفرّد بها العقاد ، فهو يكتب مدفوعاً بعاطفة أصيلة صادقة دفاعة ، فإذا بدأ يكتب جاء عقله من وراء الستار فصقل الفكرة وهذب الرأى ، وأخرجه للناس فى رواء يهيج من الفلسفة والشعور معاً ، وما أحسب ذلك قد توفر لغير العقاد . خذ مثلاً شعره الغنائي فى هذا الديوان ، فهو جماع من اللفظ الصادح ، والعقل الراجح ، والقلب المحب الولهان ، وإنك لواجد فى هذا الديوان مجموعة طيبة جداً من شعر العقاد مثل قصيدة « عمر زهرة » :

فريدة فى روضها أخيرة فى الموسم
عيشى وأهدى غيرها فى كل عيد واسلمى
ألست أنت مثلها علمت أو لم تعلمى
هدية الخلاق لى وقدرٌ أن تنسمى

***

زهرتك البيضاء هلّا تذكرين نشرها ؟
حفظتها فى خدرها هل برحت مقرها ؟
حفظتها حفظتها فهل حفظت سرها ؟
قصصتُ منها عقدة لكى أطيل عمرها

ولا أدرى ما الهمس الذى يقولون به إن لم يتوفر كله فى هذه الأبيات ، أو تلك القصيدة الأخرى « الطير المهاجر » التى غناها الفلسطينيون فى محطتهم فكانت بحق درة الغناء عندهم :

علمتنى مواسم الروض أن الطير شتّى : مهاجرٌ ومقيمُ
أترانى لا أسمع الطير إلا فى رياضى معشعشاً لا يريم
رب شاد فى هجرة يتغنى وعليه السلام والتسليم
من جنوب إلى شمال وحيناً من شمال إلى جنوب يحوم
فله حين يستقل وداع وله حين يقبل التكريم
خذ من الطير كل يوم جديداً فسواء جديده والقديم
كم مولّ وصفوه لا يولى ومقيم وصفوه لا يقيم !

وأنا - بعد - أسأل الأستاذ الدكتور محمد مندور أمثل هذه القصيدة نثرية فى مادتها ، نثرية فى أسلوبها وروحها ، ونثريتها متبذلة سميكة ؟؟

(المنصورة) على متولى صلاح



جبرائيل تقلا باشا

فى ليل الأربعاء الماضى رُوِّعت الصحافة العربية بفقد رجلها وعميدها المأسوف عليه « جبرائيل تقلا باشا » صاحب (الأهرام) . وقد أجمع الذين لابسوا هذا الرجل من قُرب أو عاملوه من بُعد أنه كان أصدق المُثُل الشريفة للعقلية اللبنانية العاملة المثابرة الثابتة ، وأنه كان فضلاً عن ذلك موصوفاً بالتواضع الجم والحياء الكريم والسَّمْت الحسن ، وذلك بالطبع سر أبيه فى تكوينه ، وأثر أمه فى تربيته . وأسرة تقلا من الأسر اللبنانية القليلة التى غذَّت عروقها فى التربة المصرية بالخلق الكريم والعمل الدائب . وإن فى حياة الأهرام الطويلة الحافلة بالجد والصدق والعفة والشجاعة فى بلد من أشد البلاد اضطراباً بالمنافع المختلفة والأهواء المتباينة لشاهداً على أن الفرد متى توفر له رأس المال الطبيعى من العمل والخلق والقدوة قام بما لم يقم به حزب ، وقوى على ما لم تقو عليه أمة

وفى الحق أن الأهرام الخالصة بطبيعتها للجهاد الصحفى القومى هى من عمل الخلق المتشابه والغرض المتحد فى تقلا وبركات والجميِّل . وذلك توفيق من الله نرجو أن يديمه على هذا العمل الجليل ، ما دام على السبيل القصد والغرض النبيل .

إلى الأستاذ دريني خشبة

أخى الأستاذ درينى خشبة

أحييك ألطف تحية . وبعد فإنى قرأت ناشطاً ما سطَّرته بحذق فى قصة المسرح الإفرنجى . وإنى لأهنئك بهذه الوجهة فلا يكتب عندنا فى ذلك الفن إلا الأقلون . وقد وقفتنى أشياء فيما سطرت ، وفيها شىء لم أر معدلاً عن الكتابة إليك فى شأنه ، وهو قولك فى خاتمة المقال الثالث : « يتساءل هؤلاء النقاد ... الرمزيين » . فإنى معرض عن الغرابة التى فى ترتيب الأسماء لأسألك من أين استقيت « تساءل هؤلاء النقاد ، ثم من هم ؟ » فإنى والله ليدهشنى أن يقحم (ساردو) على وجه التخصيص فى الثبت الحافل العظيم من مؤلفى الدرامة الأوربية » وقد التصق فى ترتيبك بالعظيم حقاً : موليير ، وواساه الله ! وليدهشنى بعد هذا أن يُسلّ (ميترلنك) من الرمزيين . وأما پيرندللو فقد شرحتُ سنة ١٩٣٨ فى الرسالة كيف يدخل فى الطور الثانى من الرمزية الباحثة عن حقائق النفس لا عن خفايا العالم . ثم إنى ما عرفت من هو «سارس» ؟ أتريد Sarcey أم هى هفوة من هفوات الطبع وقعت على غرار (شيكوف) بدلاً من (تشيكوف)

فى هذه الأيام الفاترة المفتَّرة أحببت أن أثاقفك ، وأن أكاشفك بعد ذلك بتقديرى وودى

بشر فارس

معنى قوله تعالى « يخرج الحى من الميت »

اطلعت على ما نشر فى الرسالة الغراء عدد (٥٢١) وملاحظاتى على ذلك ما يأتى :

١ — الآية خاصة بالحب والنوى بدليل النص الصريح

٢ — لفظة يخرج تؤدى معنى استخلاص شىء من آخر ولو أراد الله تعالى غير ذلك لقال يخلق أو يُنشىء أو أى معنى آخر يفيد الحدوث فقارن بين جلال المعنى فى قوله تعالى : (إنى خالق بشراً من طين) بما لو قال إنى مخرج بشراً من طين

٣ — إذا أكل إنسان أو حيوان طعاماً أو امتص نبات مواد من الأرض فليس معنى هذا خلق حياة جديدة فى هذه المواد الأولية التى يتحال إليها الطعام فى الجسم لتدخل فى تركيب الخلايا فى عملية النمو أو التعويض . ولو كان الأمر كذلك لأمكن لهذه المواد أن تنشئ حياة إذا وضعت في درجة الحرارة المناسبة ، مثال ذلك البيضة الغير ملحقة بذكر الدجاج

٤ — يحدث النمو والتجديد والتعويض فى الأجسام بواسطة انقسام الخلايا الحية الواحدة إلى اثنتين ثم إلى أربعة ، وهكذا تتضاعف ، وفى الجنين تتضاعف إلى علقة ثم إلى مضغة الخ

٥ — الحياة شىء والمادة شىء آخر ، فالمواد الأولية التى تنتج من تحليل الغذاء فى الجسم تساعد على تكوين المادة بخلايا الجسم ولكنها لا تخلق فيها حياة

٦ — إفراز اللبن وكل الإفرازات الأخرى من الجسم كالدمع والعرق والبول والبراز والعصير الهضمى يمكن تطبيق الجزء الثانى من الآية عليها ، إلا إن ذلك على سبيل التوسع فى الشرح والمجاز فى التعبير .

دكتور
عباس محمد حسين
(أسيوط)

إلى الدكتور زكى مبارك

١ — أخالفك كل المخالفة فى قولك : إن (شاف) بمعنى

(رأى) يستعمل فى اللغة ، بدليل (تشوف) بمعنى نظر ، وأن العرب فى جميع الأقطار يقولون (شافه) بمعنى (رآه) ، وقد (شفتهم) بعينك . وأقول : الحق أن العرب العرباء لم تستعمل شاف بمعنى أبصر لا فى شعر ولا فى نثر ، ولو كان ذلك لنقل إلينا فى معاجم اللغة ؛ أما الذين سمعتهم يلفظون هذه اللفظة فهم عرب فى النسبة لا فى اللغة الصحيحة الفصيحة !

وفى قولك : إن علماء البلاغة منذ عشرة قرون أخطأوا فى تخطئة المتنبى حين جمع بوق على بوقات فى قوله :

فإن يك بعض الناس سيفاً لدولة ... فنى الناس بوقاتٌ لها وطبول

وأنك تفردت برفع الظلم عن المتنبى ، وجعلت البوقات جمع (بوقة) مصغر بوق ، وهى لفظة اصطلاحية فى موسيقا الجيش العربى ، كما يؤخذ ذلك من نصوص فى بعض كتب التاريخ .

وأنا أقول : إن كتب التاريخ ليست متون لغة يعتمد عليها فى بإثبات الكلمات العربية . وأضيف إلى ذلك أن لفظة (بوقة) بمعنى مذكر « البوق » لم ترد فى كلام العرب بهذا المعنى

بقى يا دكتور أنك سقت فائدة صرفية لم تر أحداً من الصرفيين نبه عليها فى كتب الصرف . وهى (جعل التأنيث من صور التصغير . فالبوقة أصغر من البوق ، والطبلة أصغر من الطبل ، والبحرة أصغر من البحر ، وقد بولغ فى تصغيرها فصارت بحيرة . وما الربعة إلا مصغر الربع بلا جدال

ولكن ما قولك فى أن الأمثلة التى سقتها لما فيه التأنيث غير صحيحة ؟ فليس فى لغة العرب (بوقة ولا طبلة ولا بحرة ولا رُبعة) بالمعانى التى تريدها ، حتى يحتاج الصرفيون إلى التنبيه على أن التأنيث قد يكون من صور التصغير . أما لفظ « بحيرة » فهو من الكلمات التى لم تستعمل إلا مصغرة كقولهم : كُميت للفرس ، وكُعيت وجُبيل لطائرين صغيرين

ثم قلت : وأنكر قوم جمع صناعة على صنائع ، فحملوا وزارة المعارف على تغيير اسم مدرسة الصنائع ، مع أن لهذا الجمع شواهد تفوق العد . والواقع يا دكتور أن صناعة لم تجمع فى لسان العروبة على « صنائع » لا فى منثور الكلام ولا فى منظومه .

وليعلم أن « صنائع » فى كلام العرب جمع صنيع أو صنيعة وفيه الحديث « صنائع المعروف تقى مصارع السوء » على أن لفظ « صناعة » من مصادر الحرفة ، وهى لا تجمع فى اللغة على « فعائل » . فكما لا يقال فى تجارة (تجائر) لا يقال فى صناعة (صنائع) .

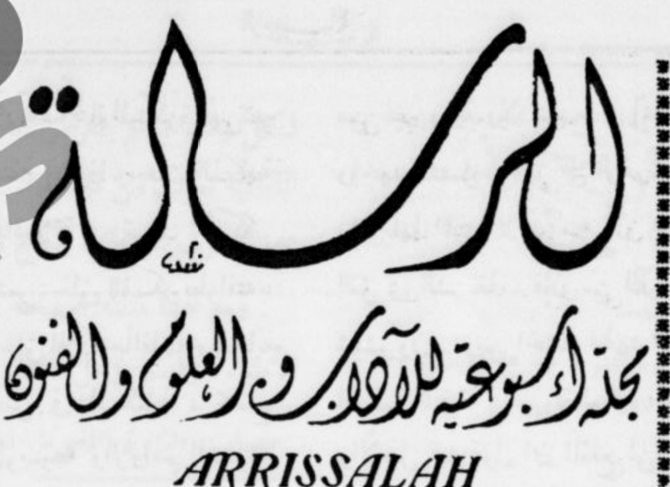
عبد الحميد عنتر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 524 — Lundi - 19 - 7 - 1943





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٢٤ «القاهرة في يوم الإثنين ١٦ رجب سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٩ يولية سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

١٤ ـ دفاع عن البلاغة

٦ ـ الأسلوب

سمع ابن هَرْمة أديباً ينشد قوله :

بالله ربك إن دخلت فقل لها   هذا ابن هَرْمةَ (قائماً) بالباب

فقال له : لم أقل (قائماً) . أكنت أتصدق[1] ؟ قال : قاعداً ؟ فقال : أكنت أبول ؟ قال : فماذا ؟ قال : واقفاً . وليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى !

ذلك مثال من أمثلة كثيرة تريك كيف يميز الفنان اللفظ ويختاره . وتمييز اللفظ واختياره شديدان على من لم يؤته الله العلم بمعاني الألفاظ ، والبصر بفروق المعاني . ولم يقع صاغة الكلام في البهرج والزيف إلا بمجافاة الذوق ومخالفة اللغة . فإن اللفظة الحوشية أو السوقية أو الطفيلية أو النابية أو الركيكة أو المبهمة أو العليلة لا تسقط في الكلام إلا إذا كان العلم الذي يميز قد فقد ، والذوق الذي يختار قد فسد . وإذن تكون الكلمة التي انتُخبت بذوق ، واستعملت بحذق ، هي الكلمة الضرورية الطبيعية التي تتحقق بها خصوصية اللفظ وهي الركن الأول لأصالة الأسلوب . أما الركن الآخر وهو طرافة العبارة فأسُّه الابتكار في حكاية الخبر وتصور

(١) تصدق : طلب الصدقة

الفهرس

الفكر وتقويم الموضوع . وهيهات أن تجد الجملة المبتكرة التي تثير الإعجاب ، وتحدث الأثر ، وتحرك الفتنة ، إلا إذا وجدت الكلمة الخاصة التي تحدد الفروق ، وتجدد الملاقة ، وتبعث الحركة . والأسلوب كما قلت من قبل خَلق مستمر : خلق للفكر بطرافته ، وخلق للترتيب بتنسيقه وتشويقه ، وخلق للأداء بألفاظه ولهجاته وصوره . وعلى قدر ما يتضح الخَلق في الكتابة ، تتضح العظمة في الكاتب . أما القوالب الموضوعة والرواسم المصنوعة فقد كانت فيما مضى قطعاً من أعصاب الذين صاغوها ، ثم قُطعت بهم وبها أسباب الحياة فضمنتهم القبور وضمنتها الكتب . فكما لا ينفعك أن تستعير أعضاءهم لجسدك ، لا ينفعك أن تستعير تراكيبهم لأسلوبك . ولكن أدعياء الكتابة يعيشون على هذه الرواسم كما يعيش أدعياء التصوير على نقل الروائع الفنية باليد ، أو تصويرها بالآلة . وكثيراً ما يسرفون على أنفسهم فينتحلون القصيدة بنصها أو المقالة بلفظها . ولا أزال أذكر صفقة الأستاذ إبراهيم ... وقد دُعي ذات ليلة إلى حفلة زفاف . وأبى ولاؤه للعريس ووفاؤه للفن إلا أن يسجل اسمه بين خطباء العرس . وذهب إلى كتاب (أبدع الأساليب ، في إنشاء الخطب والمكاتيب) فحفظ منه خطبة رنانة فيها السجع المرصع ، وفيها الشعر البديع . ثم أخذ مكانه المرموق فوق المنصة . وتعاقب الخطباء والشعراء على المنبر المزدان بالرايات والثريات والرياحين . حتى إذا لم يبق بينه وبين الكلام غير خطيب واحد ، تبحبح وتنحنح ، ثم تجهز وتحفز ؛ ولكنه لم يكد يصغي إلى الخطيب الذي قام قبله حتى حملق إليه وقد انتُسف لونه ، وانفغر فمه ، وارفضّ عرقه ، وتمنى لو ساخت به الأرض ! لقد كان الخطيب السبّاق قد اقتنى الكتاب نفسه ، وانتقى الخطبة عينها ، ثم سبق الأستاذ إبراهيم إلى القول فانطلق يلقيها عن ظهر الغيب لا يتلعثم ولا يتوقف ولا يخرم منها حرفاً ! وبينما كان المنبر يهدر بالأسجاع ، والسرادق يدوي بالتصفيق ، والبيت يلعلع بالزغاريد ، كان الأستاذ إبراهيم قد أخذ بطنه بيديه ، ومشى مشية الشيخ الأحدب ، يتأوه ويتلوى ويسأل الذين لقيهم بهذه الوعكة الغريبة عن بيت (الأدب) !

ثم نعود فنقول إن الأصالة هي الكلمة الخاصة والعبارة الجديدة . وبخصوصية الكلمة وجدّة العبارة تتحقق الطبْعية في الأسلوب . وليست الطبعية أن ترسل الكلام على سجيتك من غير روية ولا تنقيح ، إنما الطبعية نتيجة النظر الطويل والجهد المتصل . فهي على الرغم من اسمها تُكتسب ولا توهب . وشرطها الذي لا بدّ منه أن يختفي فيها الفن كما تختفي دودة القز في الشرنقة . فإن من الفن ألا يظهر الفن ، كما قال شيشرون . ومن اختفاء الجهد البالغ في سراح الطبع ، وكون الصنعة الدقيقة في سهولة العبارة ، ينشأ ما يسمونه بالسهل الممتنع . والأصل فيه قول ابن المقفع لمن سأله عن البلاغة : « هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها ، فإذا حاول عجز »

ومن كلام بسكال أنك « تقرأ الأسلوب المطبوع فتعجَب منه وتُعجب به ، لأنك تتوقع أن تجد فيه الفنان ، فإذا بك لا تجد إلا الإنسان »

ومن الطبْعية بمعناها الفني تكون الدقة . وما الدقة إلا ترك فضول الكلام وتوخي صواب اللفظ . وهي تختلف في أسلوب الشاعر والخطيب عنها في أسلوب الفيلسوف والمؤرخ . ولكن القدر المشترك منها في أساليب هؤلاء هو أن يعرف كل منهم كيف يمضي قُدُماً إلى الغاية . وكل ما يجعل الفكرة نيرة مؤثرة ، والصورة حية قوية ، والعاطفة أخاذة نفاذة ، هو في الحقيقة داخل في القدر المشترك لكل كاتب

والدقة المشتقة من الطبع سبيل الوضوح . لأن غموض الكلمة ينشأ من غرابتها أو اشتراكها ، وغموض الكلام ينشأ من تعقده أو فساده . والغرابة والاشتراك والتعقد والفساد هي الأضداد الطبيعية لمعاني الأصالة

ومن بداهة العقل أنك تفهم لتكتب ، وتكتب لتُفهم . ولكن من الكتاب من ينسج قبل فرز الخيوط ، ويكتب قبل درس الفكرة ، فيلتاث عليه الأمر . وإن منهم من يحسب أن الوضوح ينافي العمق ، والبساطة تجافي الدقة ، فيُغرب ولا يعرب ، ويجمجم ولا يترجم ؛ ثم يسمى هذا الغموض فناً وذلك العجز رمزاً . على أننا لا نقصد بالوضوح أن يسفر لك الكلام عن معناه كله لأول وهلة ؛ إنما نقصد به الوضوح الفني الذي يتراءى خلال النقاب الشفاف والظلام المضيء والعمق الصافي ؛ وهو بالطبع أكثر دلالة وأشرق بياناً وأروع جمالاً وأطول وحياً من ذلك الوضوح الساذج الذي يعرفه الكاتب الجاهل ، ويطلبه القارئ الغبي .

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

جبرائيل تقلا باشا — مصادر الثروة اللغوية — محاكة العقاد !

جبرائيل تقلا باشا

قرأت أكثر ما كُتب فى رثاء الصحفى الكبير جبرائيل تقلا باشا ، ورأيت كيف خُتمت حياته بتبجيل وتعظيم وإجلال ، فاذا بقى من القول بعد تلك الصحائف من جميل الرثاء !

لم يبق إلا أن أشير إلى بعض السر فى نجاح ذلك الرجل ، لأن حياته تصلح قدوة لرجال الأعمال

أذكر أولاً أن الرجل جعل الغاية من حياته أن يكون صاحب أكبر جريدة فى الشرق ، وهى غاية تمثلت له بوضوح ، وبدت له فى عظمةٍ تستحق بذل العمر كله فى صيانتها من عوارض الضعف والاضمحلال

وأذكر ثانياً أن الرجل رأى أن الأعمال العظيمة لا تنهض بغير معاونين أمناء ، فجعل من خطته أن يكون الاشتراك فى تحرير « الأهرام » ضمانة من المتاعب الماشية بحيث لا يحتاج من يعمل معه إلى التفكير فى صحبة غيره ، ولو كان ذلك الغير شخصية تحمل أضخم الألقاب

وأذكر ثالثاً أن الرجل نزّه جريدته عن الأذى بجميع صوره فعاش بلا أعداء ، وهذا الجانب من الحياة الصحفية يوجب ألواناً من جهاد النفس لا يصبر عليها غير كبار القلوب

والذى يتصور ما صنع هذا الرجل لجريدته يعجب من براعته وقدرته على التصرف ، فللأهرام مكاتب كثيرة فى الغرب والشرق ، وما كان يمكن أن تقوم تلك المكاتب بدون أن تكون الثقة بهمته وكفايته وأمانته مضرب الأمثال

وهنالك جانب سكت عنه من رثوا هذا الرجل ، فا ذلك الجانب ؟

هو فهمه الدقيق للأحوال الجوية ، فكان يعرف ما يُلبس لكل وقت ، فلم يتعرض للحر ولا للبرد ، وكانت الحكومات المتعاقبة تعجب من فهمه ذاك ، ولا يؤذيها أن يكون فى مصر صحفىٌّ يعرف اتجاهات الرياح قبل الهبوب

ومع هذا قتلته مروحة غزت صدره بهواء عجز عن دفعه الأطباء ، ولكل أجل كتاب . وسبحان من تفرد بالبقاء

مصادر الثروة اللغوية

من الكلمة التى نشرتها « الرسالة » لحضرة الأستاذ عبد الحميد عنتر فهمت أنه يَقصر المحصول اللغوى على المأثور عن « العرب العرباء » وهى الأمة التى شهدت العصر الجاهلى وصدر العصر الإسلامى ، وفى هذا القول رجعة إلى أقوال كانت ترى أن اللغة خُتمتْ بالأقفال بعد هذين العصرين ، وهو قول كان يجد من يطمئن إليه قبل أن تتفتح العقول إلى النظر الصادق فى العصر الحديث

وأقول إن مصادر الثروة اللغوية عندنا هى ما نطق به العرب فى جميع العصور وفي جميع البلاد ، ولو كان فيه دخيل ، وأقول أيضاً إن وجود الألفاظ الدخيلة فى أى لغة يشهد لها بالحيوية ، لأنه يدل على أنها أخذت وأعطت ، واللغة التى تسلم سلامة تامة من الألفاظ الدخيلة لا توجد إلا فى القبائل المحصورة بين جدران من الجهل والركود

وعندى أنه يمكن الحكم بأن شعراء الجاهلية لم يكونوا يملكون من الثروة اللغوية مثل الذى نملك ، لأنهم عاشوا فى آفاق محدودة ، ولأن التفوق اللغوى لم يكن من المقاصد التى يشغل بها الناس في القديم على نحو ما يُشغلون فى هذا الزمان

فكلمة « العرب العرباء » كلة طنّانة ، ولكنها لا تنفع بشىء ، فمجد العرب الحق ، المجد الذى يجمّله التاريخ ، هو مجدهم بعد الفتوحات الإسلامية ، وبعد أخذهم ما استطابوا من مواريث الشعوب

وهنا حقيقة لم تأخذ قسطها من الالتفات ، وهى فضل الدخيل فى إمداد اللغة العربية بالثروة لعهد الجاهلية . وبيان ذلك أن جاهلية العرب الملحوظة هى جاهلية قريش ، وقريش لم

تعرف حياة العزلة بسبب « البيت » ، فقد جمع حولها الناس ، وعرّفها ما لم تكن تعرف من طرائق المعاش ، وطرائف الخيال

كان للعرب فى الجاهلية ما يزيد عن سبع لغات ، وكان من الصعب أن يتفاهم أهل الشمال مع أهل الجنوب ، فكيف ضُعضعت تلك اللغات وبقيت لغة قريش ؟ يرجع الفضل إلى « البيت » أولاً وإلى الإسلام ثانياً ، ولكن كيف اتفق ذلك ولم تكن مهمة البيت مهمة لغوية ولا كانت رسالة الإسلام رسالة لغوية ؟

يرجع السبب إلى أن الضجيج الاجتماعى والجدال الدينى والسياسى مما يزيد فى ثروة اللغات . ومن هنا نجد فى القرآن وفى الأحاديث ألفاظاً أجنبية منقولة من اللغات الفارسية والعبرانية واليونانية والحبشية والمصرية ، لأن ذلك الضجيج وذلك الجدال قَضَيا باقتباس تلك الألفاظ من تلك اللغات . وكذلك الحال فى كل لغة تعرّف أهلها إلى طوائف من الشعوب

قولوا الحق ، أيها الناس

هل كان العرب الذين تلقوا القرآن يلتفتون إلى أن كلمة « سُندس » كلمة فارسية وأن كلمة « اليمّ » كلمة مصرية ؟

إن تنقية اللغات من الدخيل فكرة حديثة العهد بالوجود فى أكثر بقاع الأرض ، ولعلها لم تعرف إلا بسبب العصبية المنصرية ، كالذى وقع حين رأى الفردوسى أن تخلو « الشهنامة » من الألفاظ العربية فيما قبل ، وكالذى وقع من الأتراك فيما بعد ، وهذه وتلك من النزعات الشعوبية ، وهى نزعات تزيد فى نفرة الأمم بعضها من بعض ، بلا نفع ولا غناء

وإذا جاز هجر الألفاظ المنقولة من لغات أجنبية فكيف يجوز هجر الألفاظ الأصيلة فى اللغة العربية ؟

أنا أشوف أن الأستاذ عنتر يجانب الصواب حين ينكر كلمة « شاف » بمعنى « أبصر » مع أن العرب قالوا تشوّف بمعنى تطلّع

وأنا أشوف أنه أخطأ حين قال : « إن كتب التاريخ ليست متون لغة يُعتمد عليها فى إثبات الكلمات العربية » ، فأكثر المؤرخين أدباء فُضلاء ، ومؤلفاتهم تُعدّ من المراجع اللغوية

قال ابن مِسكويه « وخرج الجند بالبوقات والطبول » وهو كاتب فحلٌ يكاد يعاصر المتنبى ، أفلا يكون كلامه شاهداً على أن « البوقات » كانت كلمة اصطلاحية فى ذلك الحين ؟ وهل كان يصعب على المتنبى أن يقول « أبواق » لو كانت هى الكلمة التى يريد ؟

وهل نخطّىء المتنبى لنصوّب من نقدوه عن جهل ، ولنصوّب من نقلوا ذلك النقد المنحرف بلا بصيرة ولا يقين ؟

وما الرأى فى كلمة « مستشزرات » التى عابوها على امرىء القيس منذ اشتغلوا بعلم البلاغة إلى اليوم ؟

ما الرأى وهى أفصح كلمة فى هذا البيت :

غدائره مستشزراتٌ إلى العُلا
تضلّ المدارى فى مثنًّى ومُرسَل

ثَقُلت عليهم الكلمة فعابوها ، مع أن ثقلها مقصود ، لأنها بهذا الوصف تمثل ما أراد امرؤ القيس

ولو طاوعناهم لحذفنا من اللغة كل لفظة تعوزها النعومة واللين ، وهذا مطمح لن يصلوا إليه ، لأن اللفظ الوعر فى موطنه مقبولٌ ومنشود

وأنكر الأستاذ لفظة بحرة وقال إنها لفظة لا تعرفها لغة العرب ، فليرجع إليها غير مأمور فى القاموس المحيط

وأنكر كلمة طبلة . فهل يرى الاستغناء عنها بكلمة طبل ؟

وأنكر كلمة بوقة ، فهل يرجع إليها فى تاج العروس ؟

وأنكر كلمة رُبْعة ، فهل يضع مكانها الربع وهى أصغر من الربع ؟

وقال إن جمع صناعة على صنائع لم يرد فى منظوم الكلام ولا منثوره ، فهل يدفع ديناراً على كل شاهد لأظفر منه بمئة دينار أطبع بها كتاب « أدب الشواطىء » ؟

أما بعد فإن مصادر الثروة اللغوية عندنا هى ما نطق به العرب فى جميع العصور وفى جميع البلاد ، ونحن نكره أن يكون محصولنا اللغوى محصول جيل أو جيلين ، ونحن مع هذا لا نرحب إلا بالكلمات المأنوسة التى صارت نصًّا فى الدلالة على أشياء لا يُدَلّ عليها بغير تلك الكلمات

الكاتب البليغ والشاعر المجيد هما أعرف الناس بسرائر اللغة ، وإليهما يرجع الفضل فى إقرار الحقائق اللغوية والأدبية

ولا يجوز لمن حُرِم ذوق الشعر والكتابة أن يتعرض للنقد اللغوى والأدبى ، فهذا مجال الذوق لا مجال النقل ، وبين الذوق والنقل مراحل طوال

ومَن علماء البلاغة الذين استباحوا التطاول على المتنبى وامرئ القيس ؟

هل قرأتم مقدمات الكتب البلاغية لتعرفوا ما يملك بعض معلمى البلاغة من القدرة على الإنشاء البليغ

قال قائل : إن كتب التاريخ ليست متون لغة ، فما رأيه فى كتب الفقه الإسلامى ؟

أنا أشوف أن كتب الفقه تحوى ذخائر لغوية نفيسة جداً ، ولعلها أدت للغة خدمات لم تؤدها كتب الأدب الصِّرف ، لأنها أذاعت مرونة التعابير فى كثير من البيئات ، ولأنها حوت الدقائق من محاورات الناس فى الأسواق

وخلاصة القول أنى لا أعترف بما يسمونه عهد « العرب العرباء » ولا أدير بالاً لمن يدعو إلى الاكتفاء بما عرفت العرب العرباء ، فلو بعث عرب الجاهلية لعجبوا من الثروة اللغوية فى هذه الأيام ، واعترفوا بأن أحفادهم نجباء نجباء

ثم ماذا ، يا حضرات الأفاضل بالأزهر الشريف ؟

أنتم توجبون أن يطبع المصحف بالرسم العثمانى ، فما حجتكم وهو رسم مُهجر منذ أزمان ؟

أكان الخليفة عثمان بن عفان يختار ذلك الرسم لو عاش فى هذا الوقت ؟

وهل ترضون أن نرجع فيما نكتب إلى الخط العربى فى عهد عثمان ؟

كان يكفى أن تكون للمصحف نسخة تسمَّى النسخة التاريخية ، ثم تُرسم جميع المصاحف وفقاً للرسم الحديث ، الرسم الذى اصطلحت عليه جميع البلاد العربية ، لتسهُل تلاوة القرآن على جميع الناس

ثم ؟ ثم أقول إن الأدب لن يلتفت إلى حذلقة اللغويين المتكافين ، لأن الأدب هو مبدع اللغة ، وهو المهيمن على تراثها الثمين .

اللغة مِلكٌ لكتابها وشعرائها وخطبائها ، وليس لقراء المعاجم منها خَلاق

مَلَكة اللغة تسمى بالفرنسية Sentiment فما شأن من يناقش فى اللغة وليس له فيها عاطفة ولا وجدان ؟

كونوا كتاباً وشعراء وخطباء قبل أن تكونوا ناقدين والا ... وإلا ... عندكم جواب هذا السؤال

محاكمة العقاد !

دعتنى المجلة الفلانية إلى محاكمة الأستاذ العقاد بالأسلوب الذى أريد ، فقضيت بتأجيل الحكم إلى حين !

والحق أنى لا أستسيغ مذهب المجلات التى ترى من البراعة الصحفية أن تورث الخصومات بين رجال الأقلام ليتفرَّج القراء ، كأن الصحافة صارت ملاعب لا تكلف المتفرجين غير ملاليم !

إن الخصومات الأدبية لا تُقتَرح ، وإنما تخلقها الظروف ، فليصبر المتفرجون قليلاً . ألم يسمعوا أن الله مع الصابرين ؟

نحن لا نختصم لنقدم الغذاء لأهل الفضول ، وإنما نختصم لنؤدى خدمة للفكر والرأي والوجدان ، وسأخاصم العقاد ويخاصمنى حين تسنح فرصة يكون فيها الخصام من أوطار العقول

ما هذه الشهوة التى لا يغذيها غير عدوان بعض الأقلام على بعض ؟ وما هذا الشوق السخيف إلى رؤية مناظر الحرب فى غير ميدان ؟

لا قيمة للخصام الأدبى إن لم ينته إلى نتائج صحاح ، فإن لم يكن بد من خصومة بينى وبين الأستاذ العقاد فسأبحث عن مجال يحترب فيه المنطق ، ويتصاول البيان

ولكن متى ؟

ذلك إلينا لا إليكم ، يا جماعة المتفرجين بملاليم لا قروش !

النقد الأدبى لن يرخص إلى الحد الذى تصورتموه ، ولن يكون إلا نضالاً فى ميادين ترفرف عليها أعلام الآراء والأذواق

زكى مبارك

وفود العرب على كسرى

لأستاذ جليل

الشاعر الناثر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى مقالته اللطيفة (الخطابة بين الحرب والسياسة) في الرسالة (٥٢١) ص (٥١٠) يشير إلى قصة (وفود العرب على كسرى) ويستشهد بكلام للحارث بن ظالم دليلاً على حذق الخطيب وسرعة خاطره. ولا ريب فى أن الأستاذ قدّر فى نفسه صحة الحكاية. والحق — والحقيقة إن ساءت سرت — أن هذا الخبر الذى أورده ابن عبد ربه فى (العقد) وصاحب (تحفة الإخلاء) فى كتابه أسطورة مصوغة. وقد كان هذا الضعيف أول من عالن بصوغ الخبر فقال سنة (١٣٤٣):

« ... وإن كتب العلم لتنبئنا بأن الرواة كانوا يتقربون إلى الخلفاء والسلاطين والنبهاء فى الدولة برواياتهم، فكانوا يضعون الأحاديث، ويختلقون مالم يكن ابتغاء خير يأملونه عند من يحملون سلعتهم الأدبية إليه أو أجلَ تبريزهم على أقرانهم برواية قول أو شعر استبدوا هم بمعرفته. وربما صاغ العلماء والأدباء الحديث لينصروا مقالة لهم أو نحلة ... وعُدّ من الموضوع أيضاً مقالة النعمان فى النضح عن أحساب العرب وكلام الذين أوفدهم ابن ماء السماء إلى سلطان فارس فإنه مزور مختلق لم يقله النعمان ولا جماعته ولن يستجرئوا على مثله، ولن يجوز العقل أن يقعد ابن الأكاسرة لاستماع ثرثرة كل مهذار نفّاج[1] ويفرغ لشهود مجرفة المتعجرف وعنجهيته. ومن الموضوع أيضاً كلام وفود قريش على سيف بن ذى يزن، وحديث عبد المطلب بن هاشم، وحديث عبد المسيح بن نفيلة مع خاله سطيح، وحديث خُنافر الحميرى مع رَئِيّه شُصار[2] فإن هذه الأحاديث أعرق قول فى الاختلاق. والدليل على ذلك على عقل فليرجع إلى كتاب العقد والأمالى من أحب وليتأمل ذلك بعين العقل، ولا يسألنا سرد الأدلة فالوقف حرج، واللبيب تكفيه اللمحة الدالة[1]، و (من لا يعرف الوحى (الإشارة) أحمق) »

ثم جاء عالم من علماء القاهرة مشهور فأيد فى مصنف له القول فى اختلاق تلك الحكاية، حكاية الوفود. ولن يضير — إن شاء الله تعالى — تلك الأخبار من الوجهة اللغوية والأدبية ضائر. ومما يسر أنها لفقت والعربية بليغة فصيحة صحيحة قوية. وإن خيل أن أولئك الصواغين أو الصياغين قد أحفظوا طلاب الحقائق التأريخية بما وضعوا، فقد أحسنوا بما صنعوا، إذ خدموا — والحق يقال — لغة (الكتاب) وهل كان لنا هذا التراث، هذه الثروة اللغوية الثمينة لولا تلكم المصوغات المزخرفات؟

وإنا لموقنون أن القوم ما قصدوا فى كثير مما لفقوا إساءة و « إنما الأعمال بالنيات »[2] وإن أساءوا وأحسنوا فـ « إن الحسنات يذهبن السيئات »

وبعد فمن مبدع ذلك الخبر؟

ابن عبد ربه وصاحب (تحفة الأخلاء) نقلة. وقد روى ياقوت في سيرة (الزبير بن بكار بن عبد الله القرشى) أن من تصانيفه كتاب وفود النعمان على كسرى

فهل صاحب هذا الكتاب هو « الصائغ » الحسن؟

***

قال الذهبى فى (الميزان): الزبير بن بكار الإمام صاحب النسب[3]، كان ثقة من أوعية العلم، لا يلتفت إلى قول أحمد بن على السليمانى حيث ذكره فى عداد من يضع الحديث، وقال مرة: منكر الحديث

(١) النفاج: المتكبر المفتخر بما ليس عنده

(٢) رئيه: تابعه من الجن (شصار): اسم جنى

(١) يعد بعضهم مثل هذه الأخبار من دلائل النبوة لما فيها من الأعلام بالبعثة المقدسة قبل ظهورها، وقد سلكت هذه الطريقة فى القول يومئذ ثم جاهرت بما جاهرت به فى مؤلفاتى ومقالاتى فى هذه المجلة وغيرها

(٢) وإنما لكل امرئ ما نوى هذا من الأحاديث التى بحث عند الامام أبى حنيفة، ومقدارها معلوم. وقد ذكره ابن خلدون فى المقدمة

(٣) كتاب أنساب قريش وقد جمع فيه شيئاً كثيراً، وعليه اعتماد الناس فى معرفة نسب القرشيين (ابن خلكان)

المسرح المصري

وكيف نشيده على دعائم ثابتة

للأستاذ دريني خشبة

لا بد أن يكون لنا مسرح إذا أردنا أن ندخل الأدب المسرحي في الأدب العربي، وسوف يظل الأدب العربي في مؤخرة آداب العالم ما لم يدخله الأدب المسرحي، ذلك الأدب الذي يشغل النصف وأكثر من النصف من آداب الأمم الحية التي تفرض نفسها وثقافتها وفكرها على غيرها من الأمم، وهي إنما تم لها تلك السيطرة الذهنية بما يبذله أدباؤها المسرحيون من إنتاج عجيب لا يعرف الكسل، ويأبى إلا أن يعطي أكثر مما يأخذ، بل هو في الغالب يُعطي كثيراً ولا يأخذ شيئاً ...

وإن لم يكن بد من أن يكون لنا مسرح فليس الشعب وحده هو الذي يضع دعائمه، وليست الحكومة وحدها هي التي تضطلع بكل شيء فيه، وليست جهود الأفراد المتواضعة هي التي تكفل قيام هذا الصرح الذي نريد أن يكون رمز نهضتنا كما هو رمز نهضة تلك الأمم التي تكتسح آدابها — عن طريق السينما والمسرح والكتب — حياتنا المصرية خاصة، وحياة الأمم العربية على وجه العموم ... بل يجب أن تتضافر الجهود جميعاً في إنشاء هذا المسرح، على أن تكون القيادة العليا بيد الدولة مؤقتاً، وعلى أن تكون تلك القيادة العليا قسمة بين وزارتي المعارف العمومية والشئون الاجتماعية ... قسمة في الاختصاص، وليست قسمة في الهدف؛ فتنشئ وزارة المعارف المعاهد الكثيرة للتمثيل لتمد وزارة الشئون بمن تحتاج إليهم من الممثلين والمخرجين ومصوري المناظر ومهندسي الإضاءة وغيرهم ممن تفتقر إليهم مسارحها التي يجب أن تنشئها في طول البلاد وعرضها لتثقيف الشعب وتهذيبه، ولنشر الدعايات الوطنية والأخلاقية التي ينبغي بثها في طبقاته

لقد آن الأوان لإصلاح الغلطة الكبرى التي وقعت فيها إحدى الوزارات الانقلابية الرجعية السابقة ... تلك الوزارة التي سوّغت لها التقاليد التي كانت تحرص عليها في جهل هو أقبح من العمى فألغت معهد التمثيل، وحرمت بذلك نهضتنا

(قلت): لا يضير أن يلتفت إلى ما ذكره السليماني، وإذا ثبت قوله في ابن بكار فمن يضع الحديث النبوي يضع الحديث الأدبي

وذكر ابن خلكان وياقوت هذه القصة وخلاصتها أن الزبير دخل على محمد بن عبد الله بن طاهر فأكرمه وعظمه، وقال له إن باعدت بيننا الأنساب فقد قربت بيننا الآداب. ولما ودعه قال: إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شيئاً نرويه عنك

قال: أحدثك بما سمعت أو بما شاهدت؟

قال: بل بما شاهدت

قال: نعم، بينا أنا في مسيري هذا أبصرت جماعة مجتمعة، فأقبلت إليهم، وإذا برجل كان يقنص الظباء، وقد وقع ظبي في حبالته، فذبحه فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره فنشب القرن فيه فمات، وإذا بفتاة أقبلت كأنها المهاة، فلما رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت أبياتاً منها:

أضحت فتاة بني نهد علانية ... وبعلها في أكف القوم محتمل

ثم شهقت فماتت. فما رأيت أعجب من الثلاثة: الظبي مذبوح، والرجل جريح ميت، والفتاة ميتة. فلما خرج قال الأمير محمد بن عبد الله: أي شيء أفدنا من الشيخ؟

قالوا: الأمير أعلم

قال: قوله (أضحت فتاة بني نهد علانية) أي ظاهرة، وهذا حرف لم أسمعه في كلام العرب قبل اليوم

(قلت): إنها لقصة كيسة[1] وإن فيها لفائدة وإن لم يكن مما خرف[2] الشيخ به شيء (م)

(١) العامة تقول: كويسة

(٢) حدث، أخبر. مولدة مشتقة من الخرافة أو من خرافة المشهور. وهي في كلام الامام العبقري بن حزم (الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٢ ص ١٨٤ وفي كلام القرويين في بعض الأقاليم العربية. وقد رأيت بعث الكلمة، لأن هذا الزمان وكتاب القصة المخرفين فيه — في حاجة إلى التخريف

من الممثل المثقف الذى هو المادة الأولى للحياة المسرحية

لقد آن لنا أن ننظر إلى المسرح نظرة فيها جد وفيها احترام وفيها تقدير للرسالة التى يقوم بها بيننا رجاله الأوفياء المجاهدون

يجب أن تكفل الدولة العيش الهانئ الرغيد لكل المسرحيين من مؤلفين ومخرجين وممثلين ومهندسين حتى تضمن إخلاصهم لفنهم ، وحتى لا تسلمهم آخر المطاف للفقر والفاقة ، وتسلم أبناءهم للجوع والعوز

التمثيل فن ومهنة ورسالة ... وهو لم يعد تلك المتعة الرخيصة المبتذلة التى كانت تبحث عن أبطالها بين الطبالين والزمارين والراقصين

التمثيل من أشرف المهن إن لم يكن أشرفها جميعاً ، وهو لم يعد يهدف إلى إمتاع النـاس فحسب ، بل هو يعمل على رفع مستواهم وإصلاح حالهم بطرق لا يستطيع غيره أن يحسنها ... فالمسرح يستطيع أن يؤدى من الخير للأمة ما لا تستطيع المدرسة أن تؤديه ... ولتكن هذه المدرسة أية المدارس شئت ... ورب درامة تشير من بعيد إلى أحد الأمراض السرية ، تقى الناس من تعريض أنفسهم لهذا المرض ، فتنجو الأمة من شروره ، وتوفر على كلية الطب جهوداً تستطيع أن تصرفها إلى ميادين أخرى

ورب درامة تؤدى لأمن هذه البلاد وسلامها ما لا تستطيع مائة كاملة من دور البوليس أن تؤديه ؛ لأن الدرامة تعالج الجرائم قبل وقوعها ، فإما أن تمتنع امتناعاً تاماً فلا يقع منها شىء ، وإما أن يقع العدد القليل منها فى صور مخففة . أما دور البوليس ومحاكم القضاء فتعالج الجرائم بعد وقوعها ، ثم هى تعالجها علاجاً سلبياً قد ينتهى إلى شرور مضاعفة تزيد فى متاعب الأمة وتعقد أمورها تعقيداً شديداً

ورب درامة ترفع من مستوى الأمة الصحى بما لا تستطيعه تلك المئات من المكاتب الصحية المنتشرة فى البلاد ، وذلك بما توحى به من العناية بالنظافة وإنقاذ الطبقات من عاداتها المستهجنة

ورب درامة تبث من روح الجندية والاستبسال الوطنى أضعاف ما تستطيعه تلك الأناشيد الببغائية التى يرددها الجنود ترديداً أصم دون أن يفقهوا لها معنى

ومن المؤلم حقاً أن نورد هذه البراهين التى هى بالموضوعات الإنسانية أخلق لكى نقنع أنفسنا بقيمة المسرح ... ولكن ما الحيلة وقد أشرنا فى كلمة قديمة إلى انحطاط المستوى الثقافى بين رجال المسرح المصرى ، وما ينتهى إليه انحطاط هذا المستوى الثقافى من انحطاط الممثل فى أخلاقه وسلوكه وعدم تقديره للمكانة أو انخداعه فى تقدير تلك المكانة ، وما يؤدى ذلك إليه من زراية الناس به وإزرائهم عليه وهوانه عندهم ، وما يصيب المسرح من جراء ذلك من التأخر والانتكاس ، بل الموت والفناء ، فجادلنا بعض الأصدقاء فى حقيقة المسرح ، وأنكروا وجوده على الإطلاق ، وذهبوا فى عدم اعترافهم به إلى أبعد حدود المغالاة .

ونحن ما زلنا عند ما أثنينا به على الكثيرين من القائمين بأمر المسرح المصرى ، لأننا نعدهم أبطالاً شهداء استطاعوا أن يقفوا فى تيار الزراية بهم حتى فتحوا أعيننا على حقيقة المسرح ، وما ينبغى له من عناية وإصلاح ... أو تجديد كامل إن اقتضى الأمر التجديد الكامل ، لأن هذا لا يضيرهم فى شىء ، ما دامت الدولة ستعرف لهم سابقة الفضل وأولوية الجهاد ، والبدء بالتضحية التى بخلت بها العائلات المحافظة فضنت بأبنائها وبناتها على المسرح الناشئ جهلاً منها وعدم عرفان بقيمته ، وإن خرج بعض الشباب من أبناء أرق الأسرات المصرية على هذا التقليد ، فأقدموا إقدام الأبطال على الاحتراف المسرحى ، فأعلوا من قدر المسرح ، وارتفع بهم شأن التمثيل

ولقد عرضنا على القراء فى كلمات سابقة بعض الخطوات التى خطاها المسرح فى عدد من الممالك الأوربية بين الحرب الكبرى والحرب العالمية الحاضرة ، وكان عرضنا لها بقصد الانتفاع بها فى تجديد المسرح المصرى ، وإقامة دعائمه على ضوء التجارب التى نضج بها المسرح الأوربى حتى نوفر على أنفسنا مشقة الوقوع فى أخطاء لا داعى للوقوع فيها ما دام فى مستطاعنا أن نهتدى بمـا تم من ذلك فى الممالك الأخرى . وقد اتفقت

الآراء على وجوب إنشاء أكثر من معهد واحد للتمثيل لتخريج الممثل المثقف الذى يجيد لغة أجنبية واحدة على الأقل ، والذى له نصيبه من الثقافة العامة التى ينبغى ألا تقل عن القدر الذى يتم به الطالب علومه الثانوية ، يضاف إلى ذلك ما يلقاه فى المعهد من تاريخ المسرح وفن الإلقاء ، وما يمارسه فيه من أداء عدد من (الأدوار) فى مختلف العصور المسرحية ، ومن مختلف أنواع الدرامة ، إلى ما يحسن أن يعرفه أو يتقنه من أصول الوسيقا والإنشاد وما إلى ذلك مما لا تكمل ثقافة المثل إلا به ، وما ينبغى له من الرياضة البدنية والتمرن على إطلاق النار والمبارزة مما تتم به مرونة الجسم ويتفادى به ذلك الاستكراش والترهل الذى يعيب جسوم الكثيرين من ممثلينا

ولا يُعقل أن ننتظر حتى تنشئ وزارة المعارف معاهد التمثيل هذه ، وحتى يتخرج الممثل المثقف الذى نريده لنهضتنا المسرحية لا يعقل أن ننتظر حتى يتم ذلك وغيره لنشيد مسرحنا الجديد ... بل ينبغى على وزارة المعارف أن تسارع فتنشئ اتحاداً للمثلين الحاضرين — ولنسمِّهم القُدامى مع تقديم اعتذارنا — على أن تقدم لهذا الاتحاد داراً فخمة تصلح أن تكون نادياً لهم ، كما تصلح أن تكون معهداً تلقى عليهم فيه محاضرات منظمة فى كل ماله علاقة بفنهم وكل ما من شأنه أن يضمن لهم قدراً من الثقافة التى حرم أكثرهم منها — وفى مصرَ ولله الحمد عدد لا بأس به من رجال المسرح المثقفين ثقافة عالية يستطيعون أن ينظموا هذه المحاضرات ، أو الدروس ، وأن يلقوها على فترات متقاربة مقابل مكافئات طيبة ، (ويجب أن تكون طيبة !) ... ولا بأس مطلقاً ، من سبيل التشجيع للمثلين على الاهتمام بتلك المحاضرات ، أن يعقد لهم امتحانات بعد مدة معينة ، فمن جازها منهم منح شهادة فنية تحميه فى المستقبل من كبرياء الخريجين الجدد فى معاهد التمثيل ، حتى يقف معهم حين يجد الجد على قدم المساواة ، وبذلك لا تقع الدولة فيما وقعت فيه من قبل مع المحامين الذين لم لم يحصلوا على شهادة الحقوق القديمة والذين حصلوا عليها ، ثم مع المدرسين الذين لا يُحملون مؤهلات فنية والمدرسين الذين يحملون هذه المؤهلات

ولا محيص أيضاً من تشجيع الإقبال على معاهد التمثيل بربط درجات فى ميزانية الدولة لخريجى هذه المعاهد ، ولا بد من أن تكون تلك الدرجات مساوية على الأقل لدرجات الشهادات العالية ، على أن ينال الممثلون القدامى ممن منحوا الشهادات الفنية الحق فى التمتع بتلك الدرجات وعلى أن يمتازوا أيضاً بفرق الأقدمية تكريماً لهم وتعويضاً عن جهادهم الشاق الطويل

ولا يحق لوزارة الشئون أن تعتبر المسارح منشئات تجارية تدر الربح ، بل يجب أن تعتبرها مدارس شعبية ينفق عليها وتربط لها الميزانيات الضخمة كما تنفق وزارة المعارف على التعليم الإلزامي والتعليم الأولى ، وكما تساهم فى نفقات التعليم العام والتعليم العالى بأكثر مما يدفعه الطالب وبأضعافه فى بعض كليات الجامعة ... مما يبلغ اللايين الضخمة سنوياً ... يجب أن تتناول وزارة الشئون مسئلة المسرح على هذا النحو من الوجهة الاقتصادية ، ولتذكر أن دولة أثينا القديمة كانت تعتبر المسرح هو المدرسة الشعبية العامة ، وكانت تخفض أجرة الدخول إلى الحد الذى لا يرهق أحداً حتى أفقر أفراد الشعب ، إذ كانت تلك الأجرة لا تتجاوز ثلاثة أوبولات أى ما يساوى قرشين تقريباً ، وكان من حق العمال جميعاً أن يأخذوا من خزانة الدولة هذه الأجرة على ضآلتها ، وذلك لكى يتسنى لهم شهود درامات آلهة المسرح الإغريقى العتيد من أمثال : سخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدز وأرسطوفان . وكان بركليس يباهى بذلك قائلاً : « إننا هنا ، وبتلك الوسيلة ، نستطيع أن نخلق شعبنا على المثال الذى نريد ! » ومن رأينا أن نحتذى حذو أثينا ونقتدى بما كانت تصنع ، فنخفض أجور المسارح إلى الحد الأدنى ، على أن يكون للعمال حق الدخول مجاناً أو بنصف الثمن أما من أين توفر الدولة ما يقتضيه ذلك من الأموال الضخمة فأمامها بلديات المدن المصرية جميعاً . لتفرض على ميزانيات تلك البلديات دفع إعانات خاصة ، وعلى حسب مقدرة كل منها ، لتشجيع المسرح ، ولنتخذ من ألمانيا قبل الحرب الحاضرة مثالاً نحتذيه ، فلقد ذكرنا فى مقالاتنا السابقة أن بلدية كولونيا كانت تعين مسرحها المحلى بخمسة وعشرين ألفاً من الجنيهات سنوياً ، وأن قرية تورن كانت تعين مسرحها المحلى المتواضع بألف من الجنيهات سنوياً ، وقس على ذلك جميع المدن والقرى الألمانية ؛

فإذا ساهمت بلديات المدن المصرية بمبلغ إجبارى تدفعه سنوياً لوزارة الشئون لتوفر لديها مبلغ ضخم يربى على الملايين يفعل الأعاجيب فى نهضتنا المسرحية ، إذ تسدد منه جميع النفقات ، كما تضمن للمثلين علاوات كبيرة ، وللمجيدين منهم منحاً عالية وبهما فى الوقت نفسه أن تجزى المترجين الذين ينقلون الدرامات الأجنبية إلى العربية ، ثم المؤلفين المصريين والمؤلفين العرب الذين يمدون المسرح بثمار قرائحهم ، عاملين جهدهم على خلق الدرامة المصرية أو العربية وسلكها فى الأدب العربى الذى لا يعرفها ... ولتذكر وزارة الشئون بهذه المناسبة - مناسبة المؤلفين - أن حكومة أثينا كانت تعقد المباريات بين المؤلفين اليونانيين فى العصر القديم - القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد - وأنها كانت تجزى الفائزين بمكافآت سخية تربى الواحدة منها على المائتين من الجنيهات عداً ونقداً

وقد يلاحظ بعضهم أن ما نقترحه هنا يدور كله عن المسرح الحكومى ، وإننا لم نُشر إلى وجوب وجود المسرح الحر الذى تنطلق فى جوه الحرية بأوسع معانيها ... ونحن بالطبع لم نغفل ذكر هذا المسرح إلا ونحن نعمد هذا الإغفال الآن ، حتى يكثر عدد خريجى معاهد التمثيل ، وحتى تأخذ القاعدة الاقتصادية الخاصة بالعرض والطلب مجراها ، فتضيق المسارح الحكومية بالخريجين وتوجد الفرصة بالضرورة لقيام المسرح الحر على مثال ال Théatre Libre فى فرنسا وال Freie Bühne فى ألمانيا والنمسا والمسرح الحر الإنجليزى بكل أنواعه ، ثم تنشأ المنافسة البريئة بين المسرحين على أن تكون منافسة ترعاها الحكومة وتتولاها حتى لا تنتهى إلى ما انتهت إليه فى أوربا من قيام المسرح التجارى الذى ينحط بجمهوره ولا يحاول الارتفاع به ، لأن أقصى ما يعنيه هو الربح والربح وحده - ويستطيع المسرح الحر حين يقوم أن يعتمد على موارد ثابتة وموارد متقلبة يغطى بها نفقاته ويضمن لأصحابه أرباحاً ضخمة يسيل لها لعاب أصحاب رؤوس الأموال . أما الموارد الثابتة فتتألف من الإعانات الحكومية ومن اشتراكات أعضاء المسرح المحليين ، وذلك على نحو ما كان حاصلاً فى ألمانيا قبل الحرب الحاضرة وقبل قيام الحكم النازى على وجه التحقيق . وينبغى ألا تكون الإعانات الحكومية هبة تمنح فى كثير من التردد والمن ، بل يجب أن تكون شيئاً مقرراً لا تملك الحكومة رفض صرفه أو قطعه لغير أسباب لها وجاهتها ، كما يجب أن تكون هذه الإعانات ضماناً لحسن سير العمل بالمسارح فى أول الأمر ، فلا يتحكم المديرون فى الممثلين ولا ينصبوا من أنفسهم طغاة عليهم ..

أما نظام الاشتراك المسرحى الذى يجب أن يأخذ به مسرحنا الحر عن المسرح الألمانى ، فهو نظام عتيد يضمن للمسرح إيراداً ضخماً يتجدد من اشتراكات ضئيلة لا ترهق الأفراد ، فلقد ذكرنا أن أحد مسرحى برلين يضم أعضاء من العمال يبلغ عددهم ستين ألفاً يدفعون ستين ألفاً من الجنيهات سنوياً - أى أن العضو يدفع جنيهاً سنوياً على أقساط - مقابل شهود أربعين رواية فى كل موسم تمثيلى ، ومقابل امتيازات أخرى عالية منها حضور محاضرات ثقافية منظمة والحصول على مجلة شهرية تعنى بأمور كثيرة أهمها المسرح والرياضة . ونحن نستطيع أن نُعدل فى نظام الاشتراك المسرحى ما نشاء بحيث نُبقى على روحه لينفع مسرحنا الحر من الوجهة الاقتصادية . أما الموارد المتقلبة فأهمها (إيراد الشباك) والإعلانات التجارية التى نشهد منها نماذج فى دور الصور بالقاهرة اليوم ، وهى تدر أرباحاً لا بأس بها تضيف إلى إيراد المسرح .

(يتبع) دريني خشبة

إيضاح أخير

للدكتور محمد مندور

الحنية:

قلت إنني لا أحب اللجاجة فكيف إذا انقلبت مزيجاً من المهاترة والمغالطة. وها هو الأستاذ سيد قطب يعود إلى «مزاجي» الخاص فيدعي أن آثر شخصية لدى من شخصيات القصص التي حللتها في سلسلة «النماذج البشرية» بالثقافة، هي شخصية «فيلستيه» للكاتب الفرنسي «فلوبير»، وذلك لما بها من «حنية» كما يقول

ولكنني لم أوثر شخصية على أخرى إلا أن يريد الأستاذ قطب حملي على ذلك الإيثار. و«فلستيه» بعد ليست النموذج الوحيد الذي تحدثت عنه، فثمت «فاوست» يمثل الإقبال على الحياة والنهم إلى المعرفة عن سبيل المغامرات؛ و«دون كيشوت» الساخر من الحياة، المجالد للشر رغم إيمانه ببطلان جهاده. و«هملت» العقل النافذ نفاذاً يشل الإرادة. و«جوليان سوريل» الثائر على مواضعات الحياة الاجتماعية. و«السست» الناقم على البشر انحلال أخلاقهم. و«فيجارد» المنتقم من الحياة بالسخرية. و«إبراهيم الكاتب» الذي تملق بالحياة حتى مجها و«جفروش» الطفل الباسم عن جسارة قلب وغيرهم ممن لا صلة لهم «بالحنية» والمزاج الخاص

لقد حللت هذه النماذج مظهراً ما فيها وهي عندي سواء، فلا محل إذن لمغالطة الأستاذ قطب وإصراره على زعمه أني لا أوثر إلا لوناً واحداً من الإحساس

ويأبى الأستاذ قطب إلا أن يضيف إلى المغالطة المهاترة بحيث لا أرى بداً من أن تكون هذه الكلمة آخر حديث لي في هذا الموضوع:

يرى الأستاذ قطب أن نوع الإحساس الذي أوثره في زعمه خاص بالنساء وبذوي الأمزجة الخاصة. وأنا لا يرهبني أن يكون إحساسي على هذا النحو، ويعصمني من تلك الرهبة جهل نفضته عن نفسي وبربرية لا يزال يسدر فيها الفطريون من الناس

لقد سمع الأستاذ قطب أستاذه العقاد يكتب مقالات يثبت فيها أن المرأة غير رجل، وأن بينهما اختلافاً سحيقاً في الطبيعة؛ وسمع الغفل من الرجال يزدرون المرأة ويعتبرونها مسبة أن يشبه الرجل المرأة في شيء، فلم ير سبيلاً للمهاترة خيراً من أن يرد إحساسي إلى المرأة وإلى ذوي الأمزجة الخاصة

وأنا أحب أن يعلم الأستاذ قطب، وأن ينقل إلى الأستاذ الكبير العقاد أن الحياة البشرية ليست من البساطة بحيث يظنان؛ وليس بصحيح أن بين الرجل والمرأة اختلافاً في الطبيعة. وقديماً زعم اليونان — وزعمهم الحق — أن الآلهة عند خلقها للبشر لم تخلق الرجل والمرأة دفعة واحدة، بل خلقت أعضاء مختلفة ثم جمعت بين تلك الأعضاء لتسوي الرجل والمرأة، وهي لسوء الحظ أو حسنه لم تحرص على نقاء الرجل من عنصر المرأة أو نقاء المرأة من عنصر الرجل. ولهذه الخرافة الرمزية دلالتها، فليست هناك امرأة كاملة الأنوثة، وليس هناك رجل كامل الرجولة، ومن يدعي غير ذلك إنما يصدر عن عقل باطن أمرضته سخافات العقلية الاجتماعية التي نحيا بينها

واليونان لا ريب كانوا في خرافتهم هذه أنبه مني ومن العقاد، وطبعاً من الأستاذ قطب. وإنه لمن الحمق أن نحاول تنقص الرجل برد إحدى أحاسيسه إلى المرأة، والشعوب المتحضرة ترى على العكس من ذلك أن في إحساس الرجل كالمرأة موضع فخار لكبار رجال الفن والأدب. ولعل الأستاذ قطب قد سمع من العقاد أن رينان قد وصف بأعظم الصفات كفنان عند ما قيل عنه «أنه كان يفكر كرجل، ويحس كامرأة، ويتصرف كطفل»

الفتات

وأما فتات الحياة «التي يعرف كبار الأدباء كيف يلتقطونها بأنامل ورعة» فالظاهر أن الأستاذ قطب لم يدرك ما أردته منها. وها أنا أبسط القول. والأستاذ قطب لا بد قد فهم عن الأستاذ الكبير العقاد أن كل فن اختيار للتفاصيل الدالة. فالمصور يختار من الألوان والأضواء وتفاصيل المنظر أقدر الجزئيات على الإيحاء، وكلما سما الفنان في فنه ورهف في وسائله عرف كيف يختار تلك الجزئيات الصغيرة، وليس ثمت علاقة بين «فتات الحياة» التي يختارها «وضخامة الإحساس» الذي يريد أن يثيره، فالإحساس من الواجب طبعاً أن يكون قوياً؛ وموضع الإعجاز هو أن يثير الفنان هذا الإحساس القوي «بالفتات» التي لن يدركها الأستاذ قطب؛ بل أن جميع المثقفين في حقائق الفن والأدب ليعلمون لخبرتهم الطويلة بكافة الفنون في العالم

المتمدن أن إثارة الإحساسات القوية لا يمكن أن تكون بغير فتات الحياة الأليفة الوثيقة الصلة بالبشر ؛ وأما الطنطنة وأما تضخيم التوافه وأما تهييج الألفاظ وأما التبجح بالقوة الجوفاء، فهذه وسائل العجز والادعاء والجهل

أضرب للأستاذ قطب مثلاً بسيطاً أختاره من السينما لنبعد عن الأدب العسير الفهم

في أحد الأفلام أراد مؤلف القصة أن يحمل المشاهدين على إدراك ضيق بطل الرواية لطول انتظاره أمراً يهمه فلم ينطقه بخطبة ، ولم يعبث بملامحه ، ولم يحمله على تمزيق ملابسه أو شد شعره ، ولا حمله على الصياح في أجواز الفضاء ، بل عرض على الشاشة بطلنا وأمامه منفضة سجاير خالية ، ثم غير المنظر وعرض الرجل في نفس الجلسة ، وأمامه المنفضة وقد امتلأت بأعقاب السجاير حتى فاضت . هذه المنفضة المليئة بأعقاب السجاير لا شك من فتات الحياة بل من هيناتها ، ولكن أو ما يرى الأستاذ قطب أنها وسيلة قوية من وسائل الأداء وأنها قد حملتنا على إدراك نفسية البطل إدراكاً لن تبلغه قصيدة طويلة من قصائد الأستاذ قطب أو قصائد غيره ؟

هذه هي «فتات الحياة» التي يجب أن نعرف قدرها في الفن ؛ ولكننا قوم فطريون نظن الفن ألواناً فاقعة وضجيجاً خاوياً . نعم يا أستاذ قطب أنا أوثر «الأطياف الباهتة» لأنها نسيج كل فن رفيع ؛ وأما «الأطياف الزاهية» فلا تسر غير البدائيين من الناس . أو لا ترى إلى زنوج أفريقيا كيف يستهويهم الأحمر القاني والأصفر الكركم ؟

وأعود فأكرر أننا في سبيل الحديث عن طرق الأداء في الفن ؛ وأما قوة الإحساس الثائر فلا دخل له بالفتات إلا أن تكون هذه الفتات مبعث ذلك الإحساس القوي

وأما أنني أستطيع أن أستقل بالمشاعر الضخمة وبالفحولة والجهارة أو لا أستطيع فهذه دعوى لا أحب أن أناقشها لأنها صغيرة، ولسنا في مجال مبارزة أتحدى إليها ورحم الله من قال : «أسرع الناس إلى القتال أقلهم حياء من الفرار» . ونحن نناقش مسائل فنية يدور حولها الأستاذ قطب . يدور من الخارج .

مختارات الأستاذ قطب

قلت : إنني أحب المتنبي وأرى فيه شاعراً كبيراً ويأبى الأستاذ قطب إلا أن يقول ويكرر أنني لا أحبه ؛ وهو يقرن العقاد إلى المتنبي ، وفي هذا ظلم للمتنبي وللعقاد ، فالمتنبي شاعر والعقاد لا شأن له بالشعر ، ولا أدل على ذلك من مختارات الأستاذ قطب نفسها

لقد أتى الأستاذ قطب بنموذج للنثر المصري الجيد رثاء أحد الشبان لأمه ؛ والشاب صاحب الرثاء هو الأستاذ قطب نفسه ؛ واحتجاج الإنسان بنثره الخاص شيء سمج ؛ وأمعن في السماجة أن يتحدث المرء عن نفسه في مناقشة الغير فيدعي أن في نثره «معاني كبيرة وأحاسيس عميقة» هذا الأسلوب ليس من آداب المناقشة ، ولهذا أهمل نثر الأستاذ قطب كله وأترك له مهمة الحديث عن نفسه

وأما مختاراته الشعرية فهي أولاً لشاعر مصري كبير ، وثانياً لشاعر من شعراء الشباب المصريين . فأما شاعر الشباب فهو أيضاً الأستاذ قطب ولهذا أهمله وأهمل شعره لأنني لا أطيق هذه الصفاقة ، ثم أنني لا أرى من اللياقة أن أناقش أشعار التلميذ بينما لدي أشعار الأستاذ نفسه ، لدى أشعار الشاعر المصري الكبير العقاد فالشعر له والأستاذ قطب في ركابه

ولنأخذ من الصور الشعرية التي أوردها الأستاذ قطب للشاعر الكبير العقاد قصيدته «الكون جميل» (الرسالة عدد ٥٢٠) . قال الشاعر :

صفحة الجو على الزر ... قاء كالخد الصقيل
لمة الشمس كمين ... لمت نحو خليل
رجفة الزهر كجسم ... هزه الشوق الدخيل
حيث يممت مروج ... وعلى البعد نخيل
قل ولا تحفل بشيء ... إنما الكون جميل

وقال الأستاذ قطب معلقاً على جمال هذه الأبيات أن فيها ألفة وأنه يكاد يلمح الشاعر «متسع الحدق مفغور الفم وهو ينتشق بل يلتهم ما في الطبيعة» وأنا لا أدري أي ذوق أدبي ذلك الذي يحمل الناقد على تصوير الشاعر «متسع الحدق مفغور الفم» ، وهل يستطيع القارئ أن يتصور هذه الصورة القبيحة دون أن يملكه الاشمئزاز والضحك . تصور شاعراً مفتوح العينين فاغر الفم . هذه صورة أبله لا صورة شاعر

ثم أين الجمال في هذه الأبيات ؟

يا لله ! ما هذه الصفحة ؟ أهي السحب ؟ أهي الأثير ؟ وهل هذه الصفحة غير الزرقاء ؟ وهبها كانت غيرها أهي كالخد

من أدب التراجم

الخليل بن أحمد

للأستاذ طه الراوى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

كتاب سيبويه من وحى الخليل

الخليل أول من فتق معانى النحو وضبط أصوله ، وبسط فروعه ، واستخرج علله وأسبابه ، ووسع فصوله وأبوابه ، وأوضح سبله ، وعبّد مناهجه حتى بلغ أقصى غاياته ؛ ولكنه ترفع عن التأليف فيه لأنه منهل كثر وراده فأوحى إلى تلميذه وخريجه « سيبويه » من دقائق مسائله وبنات أفكاره وأبكار تصوراته ما جعله حرياً بأن يشار إليه بالبنان ، وجديراً بوضع كتابه المشهور الذى أصبح للنحاة إماماً يقتدون به ويهتدون بهديه ، فعظم ما فى الكتاب مغترف من سلسال علم الخليل ، ومقتبس من مصباح ذكائه . وكلما قال سيبويه : « سألته » أو « قال » من غير أن يذكر أحداً فإنه يعنى « الخليل »

كتاب العين أو « أبو المعاجم كلها »

علمنا أن الخليل قد طالت صحبته لخلص الأعراب وكثرت إقامته بين ظهرانيهم ، ثم إنه كان يحج بين العام والعام ، وكان يقابل فى طريقه إلى مكة فصحاء العرب وأقطاب بلغائهم فاجتمع لديه كثير من مفردات اللغة وفرائد دررها ، فعزم على جمع ذلك فى كتاب لم يسبق إلى مثله ، فرسم الخطة ورتب الأبواب على طريقة ابتدعها ، وأسلوب لم يسبق إليه ، وكان قد افتتحه بحرف العين فسماه (كتاب العين) على عادة الكتاب فى ذلك العصر ، فإنهم يسمون الكتاب بأول أبوابه ككتاب الجيم وكتاب الميم وكتاب الغين وكتاب الحماسة وغيرها . وهذا الكتاب أول كتاب ألف فى متن اللغة مرتباً على الحروف جمع فيه الخليل ١٢ر٣٠٥ر٤١٢ كلمة ، بعضها مستعمل وأكثرها مهمل . والذى حدا به لذكر المهمل استيفاء التقاسيم العقلية لكل كلمة ، فمثلاً كلمة (كتب) يحتمل فى الكاف الفتح والضم والكسر ويحتمل فى التاء الحركات الثلاث والسكون وثلاث فى أربع اثنتا عشرة صورة فيذكر الاثنتى عشرة صورة ويقول هذه الصورة مستعملة لمعنى كذا ، وهذه الصورة لم تستعملها العرب .

هذا الفضاء الرحب ، الفضاء المترامى الذى تسبح فيه الروح فلا تنتهي إلى غاية . هذا الفضاء خد . وكيف نصقل الأثير ، الأثير اللين الشفاف الخفيف ؟

لمة الشمس كعين   لمت نحو خليل

هل يرى القارئ عين الحبيب وهى تلمع نحو الخليل فتشبه لمة الشمس ؟ لا بد أنها عين حمراء تقدح الشرر وترسل اللهيب

رجفة الزهر لجسم   هزه الشوق الدخيل

أنا أعلم أن الدخيل معناه الطفيلى فما هذا الشوق الطفيلى ؟ أهو الشوق الداخلى ؟ وهل ترى الجسم يهتز كرجفة الزهر ؟ لو أن الهزة كانت فى القلب لقلت شاعر يشارك الطبيعة باحساسها ولكنه الجسم كله . يخيل إلى أننى أرى فيلاً يهتز بجوار وردة تتمايل على غصنها

حيث يممت مروج   وعلى البعد نخيل

مروج ونخيل لا تخصيص فيها ولا اختيار . أين الفن فى يممت نحو المروج وعلى البعد نخيل . هذا نثر لا روح فيه

وأما غاية العجب فتأخذك من قوله :

قل ولا تحفل بشىء   إنما الكون جميل

تسمع قل ولا تحفل بشيء ، فتتنبه حواسك ، ويستيقظ إحساسك ، ويصحو عقلك لهذا التحدى القوى وتلك الشجاعة النادرة ، وتحسب أن الشاعر سيخرج على قانون من قوانين الوجود أو على حقيقة من الحقائق الإنسانية الثابتة ، ثم تنظر فإذا به لا يأتيك بغير هذه الجملة المبتذلة « إنما الكون جميل » . وأنت تتساءل عن سر هذا القصر وذلك التأكيد فلا تهتدى إلى شىء .

هذا هو شعر الشاعر الكبير فما بالك بشعر الشاعر الصغير ؟

محمد مندور

وقد جمع الخليل في كتابه هذا من غرر الشواهد ، ونوادر الفوائد ، وضروب الحصر ، ورصين القواعد ، وجليل المسائل ما يعز وجوده في معجم غيره . على أنه تضاربت آراء العلماء في نسبة هذا الكتاب إلى الخليل أو إلى بعض تلاميذه أو إلى الليث . وقد ألف ابن درستويه كتاباً خاصاً في شرح هذا الخلاف واستقصى الجلال السيوطي في المزهر جميع ما دار في هذا الموضوع من أقوال . ولكن نحن لا نرتاب في أن الخليل هو الذي رسم خطط هذا الكتاب ورتب أبوابه ووضع حجر الزاوية بيده ، أما أن غيره أكمله وزاد فيه فذلك أمر محتمل ، ولكنه لا يدفع الخليل عن كونه المجلّي في هذه الحلبة وأنه أول واضع لمعاجم اللغة مرتبة على حروف المعجم ، وأن من جاء من بعده إنما اقتبس من مصباحه واهتدى بمناره . ولم يزل جمهور الأدباء وأرباب البحث لهذا العهد يظنون أن هذا المعجم الجليل اغتالته أيدي الأيام فيما اغتالت من نفائس الأسفار وجليل الآثار ، ولكن من يمن الطالع أن عثر على نسخ منه أحد أدباء الحاضرة الهاشمية ، فسعى البحاثة المشهور صاحب (لغة العرب) بمقابلة تلك النسخ وتصحيحها باذلاً الجهد في تحري الصواب على عادته ، ثم شرع في طبعه ولكن بعد أن أنجز منه بضع كراريس حالت الحال ، وعرضت دون ذلك أهوال . ولا ندري هل بقي لتلك النسخ من أثر بعد أن تفرّقت كتب الرجل أيدي سبا ومزقت كل ممزق ؟

جرى كل ذلك قبل نحو بضع وعشرين سنة

وقد سلك الخليل في ترتيب حروف الهجاء مسلكا لم يسبق إليه، ذلك أنه رتبها حسب المخارج مع تغيير طفيف فجاءت على هذا الوجه: ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ى

قال الخليل : لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ، ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت أنصع الحرفين فابتدأت بها ليكون أحسن في التأليف . اهـ

هل كان الخليل يقرض الشعر ؟

قالوا : كان ينظم البيتين والثلاثة كما سيأتي . وروى الإثبات أنه سئل لماذا لا تقرض الشعر مع سعة علمك بالعربية وتبحرك في علومها ؟ قال : « يأباني جيده وآبى رديئه » وهذا الجواب على إيجازه غاية في البلاغة وآية في الحكمة وحصافة الرأي

مؤلفاته

للخليل مؤلفات أبدع فيها أيما إبداع ولم يحتذ في تأليفها وتبويبها حذو من سبقه من أهل العلم . والذي يجيل النظر في سيرة هذا الرجل يتبين له أنه كان يربأ عن سلوك المناهج المعبدة في كل ما يكتب ويصنف ، ولذلك كان يسلك في التأليف طرقاً خاصة يؤم فيها الناس ولا يأتم بأحد . فمن تصانيفه :

١ — كتاب العين . وقد مرّ بك بعض أوصافه

٢ — فائت العين

٣ — كتاب الإيقاع . وهو في الموسيقا العربية ويظهر من مراجعة فهارس المؤلفات في هذا الباب أن الخليل يعتبر مجلي الحلبة في هذا المضمار

٤ — كتاب النغم . وهو في الموسيقا العربية

٥ — كتاب الجمل

٦ — كتاب الشواهد

٧ — كتاب العروض

٨ — النقط والشكل وقد أشرنا إليه آنفاً . وذكر الفاضل جورجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ما نصه : « في المكاتب الكبرى في أوربا مما ينسب إلى الخليل

١ — كتاب في معني الحروف في مكتبة ليدن ومكتبة برلين

٢ — « شرح حروف الخليل في مكتبة برلين قطعة منه

٣ — « جملة آلات العرب في مكتبة أياصوفيا في الآستانة

٤ — قطعة من كلام عن أصل العقل في مكتبة اكسفورد (بودليان) ... »

زهده وورعه

كان الخليل من أولئك الفلاسفة الذين نظروا إلى هذا العالم نظر الازدراء ، ولم تخدعهم بهرجته ، ولا غرتهم زخارفه . أجل كان الخليل أحد زهاد الدنيا المتبتلين إلى الله تبتيلاً . ومن أنصع البراهين على ذلك أن أمير الأهواز « سليمان بن علي » أرسل إليه يلتمس منه الشخوص ليقيم بحضرته ويؤدب أولاده فأخرج

كتب التراجـــم

بمناسبة كتاب روزفلت (*)

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

قد تستهوى الإنسانَ سيرة عظيم من العظماء ، أو أديب من الأدباء ، أو عالم له فى ميدان البحث العلمى مجال ، أو مغامر له فى الكشف مصاولة ، فيقرأ عنه ويتتبع حياته ، ويجد فى مثله العالى ما يستحق العرض والتجلية . ثم يحمله الإعجاب به والاتصال به - من قريب أو بعيد - على الكتابة عنه والترجمة له ووصف الظروف التى كونته ، والأقدار التى أحاطت به ، والأحداث التى ألمت بعصره ، والمبادئ التى تحدرت عنه

وقد يكون ذلك العظيم - موضوع الترجمة - شرقياً فيجد الكاتب الشرقى فخراً فى الكتابة عنه والترجمة له ، مدفوعاً إلى ذلك بعامل الاشتراك فى الجنس أو اللغة أو الدين . ويجد الكاتب الغربى فى الترجمة له إنصافاً لعظمته وإظهاراً لفضله . وقد يكون ذلك العظيم غربياً فيجد الكاتب الشرقى لذة وفائدة لبلاده ومعرضاً لعرض المثل الصالح والأسوة الحسنة

وكتابة التراجم المطولة ، والدراسات الشخصية المعتدلة المنصفة لا تتقيد بوطن ولا جنس ، ولا شرق ولا غرب ، ولا دين ولا مذهب

فأميل درمنجهم كتب عن حياة النبي محمد ، وأميل لدويج كتب عن حياة المسيح ، وفيليب جوادالا كتب عن حياة نابليون الثالث ، وماريوس أندريه كتب عن حياة خريستوف كولمب ومغامراته فوق أثباج المحيط ، والسير والتر سكوت كتب عن حياة نابليون بونابرت ، وتوماس كارليل الإنجليزى ترجم لفردريك شيلر الشاعر الألمانى ، وآرم سترونج كتب عن الذئب الأطلس أتاتورك ، وكرابيتس كتب عن ابراهيم باشا واسماعيل باشا المصريين

لهذا ليس عجيباً فى باب التراجم أن يكتب مصرى عن غير مصرى ، أو يترجم عربى لحياة غير عربى كما صنع الدكتور

(*) كتاب روزفلت للأستاذ فؤاد صروف طبع مطبعة المعارف

الخليل للرسول خبزاً يابساً وقال : كل فما عندى غيره . وما دمت أجده فلا حاجة بى إلى سليمان . فقال الرسول : فماذا أبلغه ؟ فقال له :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة ... وفى غنى غير أنى لست ذا مال
شحاً بنفسى أنى لا أرى أحداً ... يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر فى النفس لا فى المال نعرفه ... ومثل ذاك الغنى فى النفس لا المال

وكان سفيان بن عيينة يقول : من أحب أن ينظر إلى رجل من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل . وقال تلميذه النضر ابن شميل أقام الخليل فى خص بالبصرة لا يقدر على فلسين وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال الطائلة

ومن أوابد حكمه :

وقبلك داوى المريض الطبيب ... فعاش المريض ومات الطبيب
فكن مستعداً لدار الفنا ... ء فإن الذى هو آت قريب

وبالجملة فقد كان الخليل إحدى حسنات هذه الأمة وقمراً من أقمارها ، ودرة فى تاج مفاخرها

وفاته

اختلف المؤرخون فى السنة التى انتقل فيها الخليل إلى جوار ربه ، فذهب جمهورهم إلى أنه توفى سنة ١٧٠هـ . وقال آخرون سنة ١٧٥هـ وقال بعضهم سنة ١٦٠هـ وأغرب خطأ وقع فى ذلك هو قول ابن الجوزى فى كتابه شذور العقود أنه مات سنة ١٣٠هـ وهو منقول عن الواقدى . قال المحقق ابن خلكان أنه خطأ قطعاً والصواب ما أثبتناه أولاً

وكانت وفاته فى البصرة مسقط رأسه فكانت البصرة مشرق هذا الكوكب الوقاد ومغربه . وقد ضمته تربتها إلى من ضمت من أعلام العلم وأقمار الفضل ونجوم الهدى ورجال التقى الذين حلوا الآداب بأنفس الحلى ، ونهضوا بالمعارف الإنسانية إلى مراتب العلا ، فكانوا للعلم جمالاً ، وللتاريخ أبهة وجلالاً ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ولقاهم فى دار رضوانه تحية وسلاماً

(بغداد) طه الراوى

محمد حسين هيكل مع جان جاك روسو ؛ وعبد الرحمن بدوى مع نيتشة واشبنجلر وغيرهما من أعلام الفكر والفلسفة ؛ وحسن محمود مع ديستويفسكى ، وفؤاد صروف مع روزفلت

وقد يقال إن كتاب الأستاذ فؤاد صروف عن فرانكلين روزفلت هو من قبيل السياسة . وهو كلام فيه كثير من الحق . ولكن ما أحوجنا نحن قراء العربية إلى كتب من هذا الطراز فإن الفقر يضرب على مكتبتنا العربية فى هذا الباب لولا ما أخرج العقاد عن سعد زغلول ، وما أخرج عبد الرحمن الرافعى عن الزعيم الوطنى مصطفى كامل ، وما صنعه محمد فريد أبو حديد مع السيد عمر مكرم ، وما كتبه كريم ثابت عن فؤاد الأول

إلا أن هؤلاء استوحوا وطنهم واستمدوا من تاريخ بلادهم وترجموا الأعلام رجالهم، ولكن فؤاد صروف استشرف إلى ما وراء العباب ، واستكفّ ما خلف السحاب ، فكتب كتابه الأول عن تشرشل (وقد كتبتُ عنه فى حينه بالرسالة الغراء) وأخرج كتابه الثانى عن روزفلت . ولكن ذلك لا ينقص من شأن كتابه ، بل على الضد من ذلك يرفع من قيمته ويُغلى من بضاعته . لأن حياة روزفلت وسيرته وقصة كفاحه هى شطر من حياة الديمقراطية وقصتها . ومن منا اليوم لم تشغله قضية الديمقراطية ولم تفتنه قصتها ؟ ومن منا لم تذهب نفسه اليوم حسرات على المحنة التى تبتلى الحرية اليوم بها وتصلى بنارها ؟

ولا يرجع إعجاب فؤاد صروف بشخصية روزفلت إلى زمن اشتراك أمريكا فى الحرب ، ولا إلى اندلاع الشرارة الأولى لها حتى يقال إنه حب طارئ وإعجاب عارض ؛ ولكنه حب متمكن وإعجاب قديم دفين يرجع إلى أكثر من عشرين عاماً حين رشح الرئيس روزفلت نفسه لوكالة الجمهورية . فقد تابعه المؤلف منذ ذلك الحين وشغف به وتحمس له وتقصى كل نبأ عنه أو خبر له ، وطوى نفسه على متابعته والقراءة عنه حتى تهيأ له اليوم أن يخرج كتاباً قيماً فى مائتين وأربعين صفحة من القطع الكبير

ولقد كانت تجرى كتابة التراجم فى اللغة العربية على نسق محدّث ممل يعنى بالسرد والقص والحكاية والجمع والترتيب والتأريخ ولا يعنى بالدراسة والسيكلوجية والتحليل والنظرة العامة أو المقارنة . وكتب المؤرخ ابن الجوزى عن العمرين (ابن الخطاب وابن عبد العزيز) . وكتاب يوسف بن شداد عن صلاح الدين الأيوبى خير مثال لهذا النسق المتيق

أما اليوم فقد تغيّر المجرى واستقام النسق وتأثر كتاب العربية بكتاب الفرنجة فى هذا الباب ، وأخذوا عنهم طرق الدرس ومناهج البحث ، وظفرت المكتبة العربية بما كتب هيكل عن النبى محمد وأبى بكر ، وبما كتب العقاد عنهما وعن عمر وسعد زغلول ، وبما كتب الرافعى عن مصطفى كامل ؛ وفؤاد صروف عن روزفلت

وكتابة التراجم لها فى الآداب الأوربية اعتبار أى اعتبار ، ولا يكاد يخلو إنتاج أديب ملحوظ من ترجمة شخصية أعجب بها وتوفر على درسها ، مهما كان لون هذه الشخصية ومزاجها ومجالها الحيوى فى السياسة أو العلم أو الفن . فلويس ديمييه يكتب عن ديكارت الفيلسوف ، وهنرى بيرو يكتب عن روبسبيير ، وفرانسوا مورياك عن راسين ، وراؤول أرنو عن كاميل ديمولان ، وأميل لدويج عن روزفلت

ومن كتب التراجم ما يتحدث فيه المرء عن نفسه ويترجم لذاته . وهذه التراجم غير كتب المذكرات التى يدون فيها رجل ممتاز حوادثه اليومية كمذكرات اللورد جراى . وقد تكون هذه التراجم الذاتية قطعاً أدبية ممتازة كترجمة (لى هانت) لنفسه وهو من كتاب الإنجليز فى القرن التاسع عشر ، وترجمة دى كوينسى التى كانت سابقة على كتابه المشهور « اعترافات آكل أفيون » ، وترجمة جيبون المؤرخ الإنجليزى التى حكم لها النقاد بالامتياز فى نوعها وأسلوبها الذى يعد بحق مزية ذلك المؤرخ العظيم

والترجمة للأناس تتطلب فناً غير ترجمة الحيوان الأعجم . لأن ترجمة الناس تقتضى الاختلاط بهم أو السماع عنهم أو القراءة لهم أو رؤية آثارهم . أما الترجمة للحيوان فتقتضى ملاحظة أقوى وجلداً أكثر ، وعلماً أغزر ، وإحساساً أعمق . وتوفر الكثير من هذا فى موريس مترلنك ، فترجم لحياة النحل وحياة النمل

بما لا يتهيأ لكاتب عادى أن يصنعه . ولكن لدويج ترك ترجمة الحيوان إلى ترجمة الذوات ... فكتب عن « النيل » كتابه الذى جسَّد فيه هذا النهر الخالد كأنما كان يترجم لإنسان

ولكتابة التراجم سبيلان : سبيل الاتصال الشخصى بالمترجم له والاختلاط به والعمل معه أو تحت ظله وفى ذراه ؛ وسبيل القراءة عن المترجم له وذلك لبعد الزمان بين الكاتب وبينه كما صنع ارفنج ودرمنجهم عن النبى ، أو لبعد المكان كما صنع فؤاد صروف مع روزفلت اليوم

وإذا جمع كاتب التراجم بين قرب الزمان والمكان من المترجم له كان ذلك أقرب إلى الصدق وأدنى إلى الحق ، وخاصة إذا كان الكاتب غير ميال إلى الهوى فى حكمه أو الغرض فى رأيه . ولكن بعد الزمان وحده خير ضمان للاعتدال فى الحكم لبعد الكاتب عن المؤثرات والمغريات

فسيرة ابن شداد عن صلاح الدين هى أقرب السير زماناً ومكاناً من المترجم له . فالمؤلف معاصر لصلاح الدين وقاضى عسكره وناظر أوقاف بيت المقدس فى عهده . وهى سيرة صادقة إلا أن فيها بالطبع بعض الميل

* * *

جرت عادة القراء أن يبدأوا الكتب من أول فصولها . ولكننى قرأت « روزفلت » من الفصل الثالث . وهو عندى خير فصول هذا الكتاب القيم . فهنا سيرة زكية من النضال والكفاح . هنا قوة تسرى من الكتاب إلى القارئ فتوحى إليه أن الضعف ليس عدة الرجال ولا أداة الأبطال . هنا جسد اصطلح عليه المرض ومشى فيه الشلل ، ولكن عزيمة صاحبه كانت أقوى من أن تخضع للحوادث . هنا سيرة يقرؤها المريض فيصح ، والضعيف فيقوى ، والهيابة النكس فيتقدم

وقد تمد فصول الكتاب الخمسة عقل القارىء بألوان من العلم والسياسة والمعرفة بأحوال العالم الجديد ونظمه ودستوره ومجلسيه التشريعيين وحكومته ونظام اقتصاده ؛ ولكن الفصل الثالث يمد قلب القارئ بالشجاعة ويملؤه بالقوة ويجعله موصول الآمال ، حتى فى الساعات الحرجة واللحظات العصيبة ، لأن الإرادة القوية تغلب كل حرج ؛ وتتحكم فى كل شدة . فهذا الرجل المشلول لا ينطوى على نفسه كمن تقعدهم الأدواء ولكنه طُلعة دءوب ، فكيف تصده آفة جسدية عن تحقيق مطامعه القوية ؟

ومزية كتاب « روزفلت » أنه ليس من الأدب المحض وحده أو الفن الصراح وحده ، فليس من نوع النثر الفنى المقصود لذاته ؛ ولكنه فكرة قبل أن يكون كتاباً ، ومعنى قبل أن يكون لفظاً ، فهو طراز عال من كتب السياسة الأدبية التى اتجه إليها الكتاب فى العصر الحديث . فلم يحاول فؤاد صروف فيه أن يكون عالماً فحسب أو سياسياً فحسب أو أديباً فحسب ، ولكنه كان مزيجاً من ذلك كله . فهنا علم بالنظم الأمريكية ، وهنا معرفة بتيارات السياسة الدولية ؛ وهنا إحاطة واسعة بأشتات التاريخ الذى وعاه المؤلف فى صدره ؛ وهنا أدب يتجلى فى تعبير مترسل مستقيم المنطق صحيح التسلسل ؛ وهنا ريشة مصور لا أقول إنها عنيفة ولكنها صادقة ترسم الحدود وتوضح المعالم فى بيان وجلاء

وهو كتاب يذكرنى بكتاب أندريه موروا الفرنسى فى تاريخ انجلترة

محمد عبد الغنى حسن

اليتيم . . .

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

هَاضَه الوهنُ وَأعياهُ الألَمْ   وَسَطا الضَّعفُ عليهِ والسقَمْ
خاشعُ الأطرافِ من إعيائِهِ   ما به يقلِبُ كفاً أو قدَمْ
مُتداعٍ جِسْمُهُ مُنخذِلٌ   لَجّت الحمَّى عليه فاضطرَمْ
ساكِنُ الأوصالِ إلا بصراً   زائغاً يطرُفُ حيناً ويجِمْ
ابنُ سَبعٍ برَّحَ اليُتْمُ بِهِ   رَحْمةُ اللهِ لَهُ نِضوُ يَتَمْ
كَسرتْ مِنْ طَرْفِهِ مَسكنةٌ   لَبِستْ هَيئتَهُ مُنذُ فُطِمْ

وَاحتناهُ لأمٍ أيّمٍ   طوَتِ النَّفسَ عَلَى خوفٍ وَغمْ
فنضتْ عنها الثيابَ السُّودَ، لا،   تظنوا جرحَها الدَّامي التأمْ
بل لِدَفعِ الشُّؤمِ عن وَاحِدِها   يا لقلبِ الأمِ إنْ أشعِرَ هَمْ
وَبدَتْ في البيضِ من أثوابِها   مَن رأى إحدى حمامات الحرمْ

عطفَتْ من رَحْمةٍ تحضُنُهُ   إنَّما دُنيا اليتامى حِضنُ أمْ
وَمَضتْ تَمسَحُ بالكفِّ على   جَبهةٍ رَهْنِ اشْتِعالٍ وَضرَمْ
وَلقدْ تندَى فتخضَلُّ له   وَفرَةٌ مِثلِ الظَّلامَ المُدْلَهِمْ
نظرَ الطِّفلُ إليها صامِتاً   وَبعَينَيْهِ حَدِيثٌ وَكَلِمْ
ليتَ شِعْرِي مَا بِهِ ؟ مَا يبتغِي؟   أبِنفسِ الطِّفلِ سُؤْلٌ مُكتَتِمْ
لو أرادَ النَّجْمَ لاختالَتْ له   كلُّ سُؤْلٍ هَيِّنٍ مهما عَظُمْ
وَحنتْ تسألُ عَنْ طِلبتِهِ   فرَنتْ عينٌ لَهُ وَافترَّ فَمْ
قالَ : يا أمِّي، ألا أينَ أبي   لِمَ لا يرجِعُ من حَيثِ اعتزَمْ
نَاشِدِيهِ وَاسأليهِ رَجْعَةً   فلَكمْ يفرَحُ قلبِي لو قدِمْ
لا تسَلْ عَنْ جُرحِها كيفَ هَمَى   مِنْ هُنا أوْ مِنْ هُنا يَنْزِفُ دَمْ
ضَمَّتِ الطِّفلَ إليها بِيَدٍ   وَبأخرَى مَسَحتْ دَمعاً سَجَمْ
عزَّ مَا يطلبُهُ وَاهاً لها   كَيفَ تأتي برُفاتٍ وَرِمَمْ ؟
قلَبَ البُؤسُ لَها أوْجُهَهُ   لن ترَى كاليُتمِ بُؤساً مُحتَكِمْ
يَنشأُ الطفلُ وَلا رُكنَ له   رُكنُهُ من صِغرِ السِّنِّ انهَدَمْ
خائضاً في لُجَجِ العيشِ على   ضَعْفِهِ، وَالعيشُ بحرٌ مُحتَدِمْ
تائِهاً في ظُلَمٍ مَا تنتهي   حائِراً يَخبطُ في تلكَ الظُّلَمْ
ليس في الدنيا ولا في ناسِها   فهوَ يحيَا في وُجُودٍ كالعَدَمْ
أخَذَ اللهُ بِأيدِي مَعشَرٍ   كلُّهم سبَّاقُ غاياتٍ عَلَمْ
جعَلوا شأنَ اليتامى همَّهُمْ   فاليَتامَى مِنهُمُ في مُعتَصَمْ
أدرَكوا منهم جناحاً واهياً   هُوَ لَوْلَمْ يُدرِكُوهُ لَمْ يَقُمْ
رَأبُوا صَدْعاً إذا أُهْمِلَ في   أُمةٍ يوماً تداعَتْ في الأُمَمْ

أغنية

عودة إلى الوكر

الأديب حسين محمود البشبيشي

ها هنا كنا وكانت أمنيات الحب تسرى
وهنا عينك أجرت فتنة الدنيا بشعرى
ما لعيني اليوم لا تشهد أوكاري وزهرى
أطواها من طواني ؟ أم تراني لست أدرى ؟

يا حبيبي عدت للوكر وأحلام الأماني
مثلما كانت وفي عينيك أسرار الزمان
تسكب الخلد بروحي وفؤادي وبياني
وتذيب الحب نجوى من معان وأغان

الندى النشوان يهفو فوق زهرى لجمالك
والشعاع السمح يسرى من ضميري لظلالك
والنشيد العذب يجرى فوق ثغرى لدلالك
وفؤادى زورق بالشوق يسرى لخيالك

ها هنا المحراب يهفو للتصابي والتنادى
هاجه الشوق إلى نجوى فؤاد لفؤاد
وصلاتي لعيون ألمتني أن أنادى
يا حبيبي لك روحي وضميرى وفؤادى . . .

أيها الوكر أتنساني وتنسى ذكرياتي
حين جن الشوق في قلبي وجنت قبلاتي
وحبيب القلب هل يذكر يا وكر صلاتي
وفنائي بين عينيه كهمس في فلاة



إلى الدكتور بشر فارس

أخي الأعز الدكتور بشر فارس

لك حق يا أخي في تساؤلك عن هؤلاء النقاد من هم ... ولست أدري لماذا لم تتول الرسالة الرد وهي التي حذفت فِقَراً من مقالي لتوسّع على مقالات أخرى ... أضف إلى ذلك اختلافي كل أسبوع مع رئيس العمل بالإدارة من جراء الأخطاء المطبعية التي أخذت تضايقني مضايقة شديدة . وكنت ألمح وأنا أراجع مقالاتي بعد صدور المجلة نظرات أمثالك من القراء الحنابلة المحترمين الذين لا يرحمون ، وهي تهزأ بي مرة وترثي لي مرة أخرى ، وأنا والله لا ذنب لي مطلقاً لو فطنت هذه النظرات

أما سؤالك عن ابن المنجّد العبقري موليير فلم أفهمه على وجهه ... لقد وضعته في ثبت الدراميين فهل هذا خطأ ؟ وهل عفّى الزمان على روائعه الكوميدية الخوالد التي تجعل منه نداً لشيكسبير في المآسي ؟ ...

وما سؤالك عن السيد المحترم مترلنك ؟ هل ظننت أنني نزعته من ثبت الرمزيين إطلاقاً ؟ كلا يا أخي ... فنظم مقالي منصب على التعبيريين Expressionists الألمان الذين هم أقرب أصحاب المذاهب إلى الرمزيين كما نوهت في المقال الثالث ، ولو أنني قصدت إلى الرمزيين إطلاقاً لما وضعت – أو لما حشرت – بينهم إبسن زعيم المذهب الواقعي وقد كانت معظم دراماته رمزية ...

وأما السيد Sarcey فلم أكتبه سارس على نحو ما جاء في كلمتك ، وأما تشيكوف فضم تحريفه إلى الخمس عشرة غلطة المطبعية الواردة في صلب المقال نفسه

وأما الكتب التي أعتمد عليها فلن أذكرها لك الآن حتى أنتهي من مقالاتي . وحسبك أن تتفضل بزيارتي لأكسب كنز إخوتك الثمين ، أو تتفضل بزيارة دار الكتب المصرية ومكتبة الجامعة – ثم مكتبتي – لتلمس العناء الشديد الذي نلقاه في كتابة هذه المقالات وهو ما جربته أنت وبلوت منه الشيء الكثير ...

أما الحر الشديد ، وأما المثاقفة ... فلست أدري كيف نسيت أيامك ببطن خبت ، وكيف ما زلت تحن إلى لقاء الأسود لتقد من ضلوعها عشرات وعشرات ؟

يا أخي الهزبر الأغلب ، إعلم أن الزمان قد تغير ، وأن وسائل الحروب قد تبدلت . وها هي ذي أصوات الطرابيد والقنابل لا تبالي ببطن خبت وسكان بطن خبت ... ولم يعد المحاربون يمتطون ظهور الجياد ولا ظهور البوادي إلا نادراً ، فقد وجدوا ظهور الدبابات أثبت ظهراً من كل ذي ظهر ...

ثم السلام عليك من المشوق إليك . **دريني خشبة**

بوق وبوقات

يقول الدكتور زكي مبارك : إن علماء البلاغة قضوا عشرة قرون يخطئون المتنبي في جمعه « بوقاً » على « بوقات » في بيته المشهور .

ثم يقرر أنه انفرد برفع الظلم عنه بجعل بوقات جمعاً لبوقة لا بوق الخ

وأقول : إنه لا حاجة بالمتنبي الشاعر الثبت الحجة إلى من يرفع الظلم عنه بعد هذه القرون المتطاولة ، لأنه لم يظلم السماع ولا القياس في جمعه هذا (بوقات) ، وإنما ظلم البلاغيون أنفسهم في تخطئته لقلة نصيبهم من اللغة . وأخطأ الدرسون حتى اليوم في السير على هذا الخطأ لأنهم لم يتحرروا من أسر التقليد

أما السماع فقد جاء في مادة (بوق[1]) من المصباح المنير « البوق » بالضم معروف والجمع بوقات وبيقات بالكسر

وأما القياس فقد جاء في مادة (ابن[2]) من المعجم نفسه . قال ابن الأنباري : واعلم أن جمع غير الناس بمنزلة جمع المرأة من الناس . تقول فيه : منزل ومنزلات ومصلى ومصليات .

علي الجندي

مثال من نواحي الأخطاء

في ترجمة المعري بالجزء الثالث من معجم ياقوت (طبع دار المأمون) إشارة إلى القاضي أبي المجد محمد بن عبيد الله (حفيد

(١) ج – ١ – ص – ١٠٦ (٢) ج – ١ – ص ١٠١

أخي المعري) ورد فيها من حديث الأمير أسامة بن منقذ عنه ، قوله : ... ولما فارق أهله بالمعرة وبقي منفرداً (يعني في قلعة شَيْزَر التي هاجر إليها بعد دخول الإفرنج المعرة) وكان له غلام اسمه شَمْيا ، قال :

زمانٌ غاض أهلُ الفضل فيه　　فسَقْياً للحمام به ورَعْيا
أسارَى بين أتراكٍ وروم　　وفقدُ أحبةٍ وفراقُ شَميا

وقد أشار المصحح في هامشه إلى كلمة (وفراق) فقال : « في الأصل ورفاق ، وهو تحريف » ! والرأي عندي في ذلك أن التحريف هو ما أثبته المصحح لا ما ورد بالأصل . إذ (الرفاق) هنا بمعنى المرافقة وقد اشتُق كلاهما من الفعل (رافق) كما يُشتق الخِطاب والمخاطبة من خاطب . والقاضي هنا يشكو صحبة خادمه شميا ومرافقَته لا فراقه

والدليل على ذلك ما قاله الأمير أسامة مستأنفاً حديثه عن القاضي : « ... وقد سبقه إلى هذا المعنى الوزير المغربي ، فإنه لما تغيرت عليه الوزارة وتغرب ، كان معه غلام اسمه داهر فقال :

كفى حزَناً أني مقيم ببلدة　　يعللني بعد الأحبة داهرُ
يحدثني مما يجمّع عقلُه　　أحاديثَ منها مستقيم وجائر »

فالوزير هنا يشكو صحبة غلامه داهر الذي يرمض نفسه بأحاديثه الجامعة بين الغث والسمين ؛ ومثل ذلك تماماً شكوى القاضي من غلامه شميا

ذلك خطأ وقع فيه المصحح ؛ وقد انجرّ بسببه إلى ارتكاب خطأ آخر أبينه فيما يلي .

قال الأمير أسامة متابعاً حديثه : لما بليت بفرقة الأهل ، كتبت إلى أخي أستطرد بغلاميْ أبي المجد والوزير المغربي ، اللذين ذكراهما في شعريهما :

أصبحت بعدك ياشقيق النفس في　　بحرٍ من الهم المبرّح زاخرِ
متفرداً بالهم ، من ليَ ساعةً　　برفاق شميا أو عُلالة داهر !

فقد قال الأمير مرة أخرى (برفاق) شميا ؛ وكأن المصحح لم يجرؤ هنا على معاودة التغيير ، لما يؤدي إليه من إخلال بالمعنى الذي يقصده الشاعر ، ثم لما قد يوهمه ذلك من ادعائه أن التحريف وقع في كلام القاضي مرة وفي كلام الأمير أسامة مرة أخرى .

فدفعه كل هذا إلى إبقاء كلمة (رفاق) على حالها ثم التعليق عليها بقوله : يعني أمثال شميا وداهر ؛ يزعم بهذا أن رفاقاً جمع رفيق بمعنى المثل . وواضح تمام الوضوح وجه الخطأ في كل ما ذكره .

(جرجا)　　محمود عزت عرفة

« الشاعر الرجيم : بودلير »

كتاب الأستاذ عبد الرحمن صدقي عن بودلير يعد من خير ما كتب عن هذا الشاعر من الدراسات الأدبية . فقد عني الكاتب بترجمة حياة بودلير ترجمة مفصلة أقام على أساسها كل أحكامه التي قررها عن شعره ، ودرس شخصية بودلير على اعتبار أنها شخصية مركبة جمعت بين الاستهتار والتصوف في وقت واحد . والواقع أن شخصية بودلير التي حيرت معاصريه وسائر الكتاب الذين تصدوا لتحليل أشعاره ، هي شخصية لا يستعصي أمرها على التحليل النفسي ، وإنما يمكن أن تدرس على ضوء البحوث السيكولوجية دراسة تكشف غامضها وتجلي سرها . وهذا هو ما قام به الدكتور « رينيه لافورج » في كتابه الموسوم باسم : « هزيمة بودلير » فقد نظر إليه على اعتبار أنه ليس إنساناً سوياً وإنما هو شاذ يجب أن تحلل حالته المرضية . واستدل « لافورج » (وهو من الأطباء المختصين بالتحليل النفسي) من الدراسة التي قام بها ، على أن شعر بودلير يعكس الصراع المنيف الذي كان يعانيه في قرارة نفسه . وقال إن بودلير كان مريضاً بتعذيب نفسه ، فلذا كان يميل إلى تهجين سمعته وتشويه صورته ، والتهويل بخبايا دخيلته . وذلك كله لم يكن إلا نتيجة الفشل الذي لقيه الشاعر في حبه مما جعل غرامه الشاذ يحبب إليه خيبته ويميل به إلى تمجيد خذلانه !

درس الأستاذ عبد الرحمن صدقي « شارل بودلير » على هذا الوضع ، فجاءت دراسة موفقة طيبة . وقد نقل الكاتب إلى العربية كثيراً من أشعار بودلير ، وكانت ترجمته أنيقة ، وإن كانت غير دقيقة . أما عنوان كتابه ، فقد كنا نؤثر أن يرفع الكاتب منه عبارة « الشاعر الرجيم » لأن هذا أليق بالدراسة العلمية .

زكريا إبراهيم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

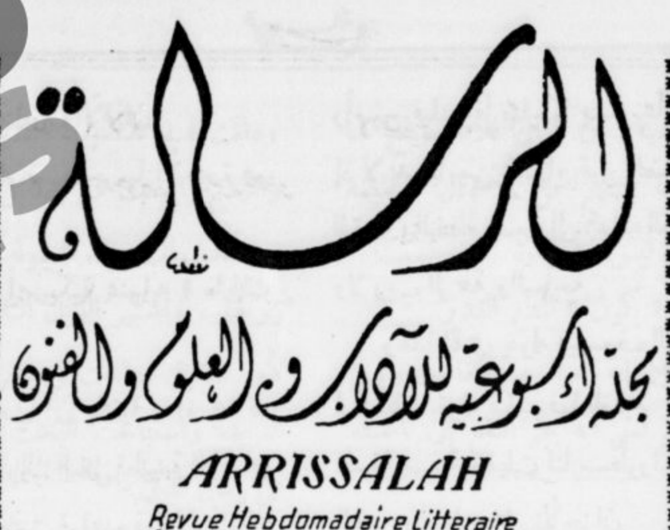


11 me Année No. 525

Lundi - 26 - 7 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique



بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٢٥ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٣ رجب سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٦ يولية سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـرس

حكمة الصـين

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى الحروب شر يتبعه أو يتخلله بعض الخير

فالشر المحض ليس له وجود ، ولاسيما فى الحوادث الكبيرة ، ومن الخير الذى فى الحروب أنها تعين على تعريف الأمم بعضها ببعض ، وتعليم الناس ما لم يكونوا يعلمونه من شئون البلاد الأخرى . فلا تنتهى حرب بين أمتين أو أمم شتى إلا تركتها وهى أعرف بأحوالها ورجالها مما كانت قبل اشتعالها ، ومصداق ذلك ظاهر فى الحروب الأوربية القريبة ، وفى كل حرب من الحروب الموزعة فى جوانب الكرة الأرضية

ومنها حرب الصين واليابان

فالأوربيون كانوا يذكرون الصين فى القرن الماضى فلا يذكرون بها غير الأفيون والخطر الأصفر ، والحائط الأعظم الذى يحيط بها منذ قرون . وقد يذكرون الرسوم والنقوش والآنية وطرفا من الحكمة التى تنسب إلى كنفشيوس ، فإذا بهم قد ذكروا عنها كل ما يعرفون ، أو كل ما أرادوا أن يعرفوه !

أما اليوم فالصين بلاد مكشوفة يكتب عنها فى لغات العالم كما يكتب عن البلاد الأوربية ، ويقرأ الناس ما يكتبه أدباؤها وما يكتبه أدباء العالم عنها ، ويحسب جمهور القراء فى المسائل

الصينية بمئات الألوف بين جميع الأجناس والألوان

وأشهر أدباء الصين الذين عرفناهم بعد حربها الأخيرة هو لن يوتانج غير مدافع

وآخر ما قرأناه له مقال فى مجلة أمريكية عنوانه « ما بالك لست بفيلسوف ؟ » :

خلاصته أن الشرق والغرب يجب أن يلتقيا ، أو هما قد التقيا ، وأن التقاءهما ضروري لأن إدراك العقل لطبيعة الإنسان قد تغير ، كأنك قد عمدت إلى بناء فحطمت قواعده فهو لا يتماسك ولا يعاد تعميره ليسع العالم الجديد حتى يشترك فى بنائه كل من سيأوى إليه ، وهم الشرقيون والغربيون

قال ما فحواه : لما قرأت أن وندل ويلكى كان فى شنكنج يوم الجمعة وعاد إلى أمريكا يوم الإثنين ذعرت ! . . . أهى فسحة آخر الأسبوع بين قارتين ؟ إن الشرق والغرب إذن لملتقيان

واستطرد قائلاً : إن عالماً جديداً ينبغى أن يسبك من عناصر الثقافات الإنجلوسكسونية والروسية والشرقية ؛ وأن حكمة الشرق هنا ذات غناء كبير

وراح يسأل : هل للصين فلسفة أو مذهب فلسفى كمذهب ديكارت مثلاً أو كانت أو غيرهما من المذاهب التى تقيم لنا بناء منطقياً شامخاً للتعريف بأسرار الكون ؟

ثم أسرع يجيب : كلا ، مع الفخر !

فأما « كلا » فهذا صحيح وينطبق على الصين كما ينطبق على بلاد شرقية كثيرة

وأما « مع الفخر » فهذا الذى فيه قولان أو أكثر من قولين

* * *

والواقع أن فلسفة الصين كلها تنحصر فى موضوعين متقاربين : أحدهما آدب السلوك ، والآخر رياضة النفس على علاج الأهواء ومسايرة الحياة

ومن كلام لن يوتانج هذا : « إننى — حين أتكلم بلسان الرجل الصيني — لا أحسب أن حضارة من الحضارات تسمى كاملة ما لم تنتقل من التكليف إلى رفع الكلفة ، وترجع عن وعى وشعور منها إلى بساطة التفكير والمعيشة ، ولا أصف رجلاً بالعقل ما لم يكن قد تقدم من حكمة الحصافة إلى حكمة الحماقة ، وأصبح فيلسوفاً ضاحكا يشعر بمأساة الحياة ثم يشعر بمهزلتها . إذ لا بد لنا من البكاء قبل الضحك ، لأن الحزن يصير إلى اليقظة واليقظة تصير إلى ضحك الفيلسوف ، وملء هذا الضحك ولا ريب الرحمة والسماحة

وهذا الذى يقوله فيلسوف الصين الحديث هو إعادة عصرية لما كان يقوله فيلسوفها القديم كنفشيوس ، أو هو إعادة لكل فلسفة صينية حفظت لنا مسطوراتها إلى اليوم ، وخلاصة رياضة النفس والتغلب على الأحزان

ففى بعض أيام كنفشيوس بلغت به المحنة أن أهدر دمه بين أميرين متنافسين ، كلاهما يقصده بالسوء وليس منهما من يحميه . ومضت عليه سبعة أيام بغير طعام غير حساء الأعشاب التى تجمع من الخلاء ، فشحب وجهه وهزل بدنه ولكنه لم يزل فى مجلسه يترنم على قيثاره . فلما تبرم تلاميذه بهذه المحنة ، دعاهم إليه وناداهم : « ما هذا الذى تقولون ! ... إن المصاعب هى التى تعلمنا الهداية إلى الطريق ، وإنما فى صبارّة الشتاء تعرف حق المعرفة نضرة الربيع . وإن هذه الفتنة بين الأميرين لهى حظى السعيد » واستدار مترنما إلى كوخه وهو محبور الفؤاد

هذه هى حكمة الصين بحذافيرها : آداب سلوك ورياضة نفس وخروج من ذلك كله بالصبر على مصاعب الحياة

ولم انحصرت حكمة الصين فى هذين الموضوعين ؟

لأن « البلاط الملكى » فيها قديم ، وما زال البلاط الملكى هو المصدر الأول لآداب السلوك وأصول الكياسة ورياضة النفس على السمت اللائق والعرف الجميل

فأصبحت القدوة المطلوبة هى الأخلاق التى تحمد فى معاشرة الملوك ، وأصبح قوام الحكمة كلها هو السلوك والرياضة ، بل أصبح الرجل الذى يروض نفسه على مسايرة الناس واحتمال سيئاتهم مرشحا للأمارة والملك ، حيث يخفق الرؤساء والكبراء

ومن النوادر التى تساق فى معرض هذا المعنى نادرة فى كتابهم المشهور « سفر الأسانيد » تجرى على النحو الآتي :

قال الأمير : من يجد لى رجلاً أرفعه إلى مرتبة الوكالة عنى ؟

فقال له بعض الحاشية : ابنك يا مولاى تلوح عليه مخائل الذكاء

قال الأمير : كلا فإنه شكس عنيد . أتراه يصلح لما نعهده إليه ؟

وقال غيره من رجال الحاشية : إن الوالى فلانا يصلح لها

فقال الأمير : كلا . لأنه يتكلم عن الأعمال المظيمة ولا يعمل شيئاً ، وأمانته ظاهرة ليس لها قرار

قال بعضهم : ليس لها إلا « كون » المدبر القدير

فأجابهم الأمير : كلا . كلا إنه بحيد عن القانون ويبنى القناطر لنفسه إذا عم الفيضان . بمعنى أنه يجر النفع إلى ناحيته ولا يحفل بمصالح الناس

وعاد يسألهم أن يجدوا له رجلاً قديراً على ما يرجوه منه ولو لم يكن من النابهين الذين تقلدوا المناصب واشتهروا بين ذوى المقامات

فذكروا له رجلا من عامة الناس

قالوا للأمير حين سأل عنه إنه ابن رجل ضرير من الأجلاف أمه صخابة سبابة ، وأخوه صلف شديد الخيلاء ، ولكنه عاش معهم ووفق بينهم وأبطل شكايتهم ونزع منهم داعية الشر ، فهم هادئون وادعون

قال : إنه طلبتى ، وعلى اختباره

* * *

لحكمة الصين برعت فى أدب السلوك ورياضة النفس لأنها نشأت من البلاط العريق ولم تزل منذ نشأتها تدور حوله وترجع إليه

لكن هذا يفسر لنا نشأة الفلسفة السلوكية ولا يفسر لنا امتناع الفلسفة الكونية ، فلماذا امتنعت الفلسفات التى تبحث فى نظام الكون وسر الحياة وموضع الإنسان من هذا الوجود ؟

لماذا لم توجد فى الصين فلسفة أو مذاهب فلسفة كمذهب ديكارت وكانت وهجل وبرجسون وغيرهم من فلاسفة أوربا فى العصر الحديث ؟

الكهانة العريقة إلى جانب البلاط العريق

فالكهانة العريقة تفسر لنا امتناع الفلسفة الكونية ، لأن الكهانة تستأثر بأسرار الخلق وعبادة الخالق ولا تطيق المزاحمة من المفكرين فى هذه الصناعة

وقد امتنعت الفلسفة الكونية في أوربا حين قامت الكهانة ودانت لها الشعوب بالصولة ورجع إليها الأمر كله فى العلم والتعليم والبحث عن حقائق الأشياء

فلما زالت هذه الصولة ظهرت الفلسفات الكونية بمقدار زوالها ، واشتهر القرن الثامن عشر وما بعده بتلك الفلسفات لأن العقول انطلقت فى القرن الثامن عشر من حكم الكهانة العريقة واستباحت البحث فيما كان قبل ذلك حكراً موقوفاً على رجال الدين .

* * *

وعلى هذا ليست المسألة مسألة فخر للصين أو لغير الصين لأنها برعت فى حكمة السلوك ولم تبرع فى الحكمة الكونية ؛ وإنما هى مسألة موانع طبيعة عاقت الوظائف العقلية عن غايتها التى ينبغى أن تتجه إليها ولا تحتبس دونها ، فهى نقص وليست بكمال ، وهى ضرورة مفروضة وليست بالمزية المقصودة ، كما أراد أن يصورها فيلسوف الصين الحديثة

وفى العهد الذى تتعاون فيه العقول على بناء العالم الجديد من عناصر الثقافات المختلفة ينبغى أن تتمثل لنا هذه الحقيقة ولا نغفل عنها

ينبغى أن نعلم أن حكمة السلوك ورياضة النفس إنما هى حكمة تراد لتيسير « المعيشة » أى للمنفعة والراحة

ولكن « المعيشة » ومنافعها دون « الحياة » ودوافعها

فنحن نحسن السلوك ونروض النفس لنعيش فى سلام

ولكننا نفسر نظام الكون ونستجلى أسرار الطبيعة لنفقه نصيبنا من الحياة ، ونتجاوز تيسير المعيشة إلى تحقيق معنى الوجود

والعالم الجديد ينبغى أن يكون عالم معيشة وحياة ، وأن يسمو فيه الإنسان عن طلب الراحة إلى طلب الكمال ، وعن تهدئة خواطره إلى توسيع تلك الخواطر وتقريب ما بينها وبين المثل الأعلى

وإلا فهو عالم « مادى » محدود وإن تظاهر بالزهد والحكمة ، ولا فرق فى الجوهر بينه وبين النازية والفاشية والعسكرية اليابانية ، وهى العلة التى من أجلها نلتمس الخلاص من العالم المتداعى إلى العالم الجديد

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

الى الأستاذ إبرهيم المازنى

صديقى

حدثتنا مجلة آخر ساعة أنك سُئلت عنى فأجبت « لو أخلى زكى مبارك كتابته من الحديث عن زكى مبارك لكان أحسن مما هو الآن »

وبمثل هذا أجاب الأستاذ عباس العقاد حين سألته عنى مجلة الإثنين ، فكيف تمّ التوافق بينك وبين صديقك فيما كتبتما عنى ؟

أهو من باب توارد الخواطر ، ووقوع الحافر على الحافر ، كما كان يقال ؟ أم هو موصول بقصة المسيو ديبون ؟ ... ومن ديبون ؟

هو رجلٌ فرنسيٌّ صنع شراباً سمّاه باسمه وأعلن عنه فى جميع البقاع الفرنسية ، فما تسير فى شارع ولا تدخل قهوة ولا تركب قطاراً إلا وجدت اسمه مسطوراً بأحرف كبيرة تبهر العيون . ولم يكتف بذلك ، بل وضع لوحة مسجوعة بهذا الوضع الطريف :

Chez Dupont, tout est bon !

وقد هالنى هذا الإسراف فى الإعلان فسألت صديقاً فرنسيًّا عن السرّ فيه فأجاب :

ذلك رجلٌ نفسانىٌّ Psychologue هو يعرف العادة المتبعة فى القهوات الفرنسية ، العادة التى توجب أن يسألك غلام القهوة عما تطلب قبل أن تجلس ، فتنطق بأكثر الأسماء وروداً على بالك وهو ديبون !

والأمر كذلك فيما يتصل بحياتى الأدبية ، فقد قال الدكتور طه حسين مرة : إن أكثر أدب زكى مبارك فى الحديث عن زكى مبارك . فلما سُئل الأستاذ العقاد عني وجد هذه العبارة فى باله فأجاب . ولما سئل الأستاذ المازنى عنى وجدها فى باله فأجاب

وكذلك تعاد قصة المسيو ديبون فى القاهرة بعد أن سئمها الناس فى باريس

وهنا مشكلة لا أكتمها عنك ، وهى الخوف منك ، ولكن كيف ؟

أنا لا أبالى نقد الدكتور طه حسين إياى ، لأنى نقدته بمئة مقالة ومقالة ، فمن السهل أن يقول الناس إنه ينتقدنى وفى نفسه أشياء

وأنا لا أبالى نقد الأستاذ العقاد إياى ، لأن بيننا أحقاداً تُنشر فى حين وتُطوى فى أحايين

الخوف كله من نقدك ، لأنك صديق حميم ، ولن أجد من يتهمك بالتحامل حتى أطمع فى أن يكذّب الناس ما تقوله عنى

يضاف إلى هذا أنك مسموع الكلمة ، وأن الجمهور لا يفطن إلى قدرتك على قلب الحقائق . وهل أنسى ما صنعت بنفسك وبصديقك العقاد ؟

كانت العيون ترى قبل عشرين سنة أنك طويلٌ جدًّا ، وأن العقاد قصيرٌ جدًّا ، فشاء بِرُّك بصديقك أن تزعم أنك القصير وأنه الطويل ، ومازلت تُبدئُ وتعيد حتى آمن الناس بقولك وظنوا أنك قزم وأن العقاد عملاق !

وبنو آدم يصدقون مايسمعون وما يقرأون ، قبل أن يصدقوا ما تحدثهم به العيون والقلوب

من أجل هذا أنقض حكمك علىّ ، وأرجو أن تكف عنى شرّك وإن لم تكففه عن نفسك ، فما بى حاجة إلى صديق يسير على طريقة المسيو ديبون

وماذا تنكر من حديثى عن نفسى ؟ وماذا ينكر صديقك العقاد ؟ وماذا ينكر الدكتور طه حسين ؟

هل كان أدبك يا صديقي المازنى إلا دوراناً حول نفسك ؟ وهل كتب الأستاذ العقاد مقالاً أقوى من مقاله الأخير فى مجلة الرسالة عن الأزمة التى صاولت روحه يوم احتلال العلمين ؟ وهل كتب الدكتور طه أقوى مما كتب فى الحديث عن طفولته وصباه ؟

إن تصوير هموم النفس وما يحيط بها من مخاوف وآمال هو أدب صحيح جعلته الكتب السماوية من شمائل الأنبياء ، فما العيب فى أن يكون الحديث عن النفس من خصائص أدبى ؟

وهل يمكن أن أتعرّف إلى الوجود قبل أن أتعرّف إلى نفسى ؟

وهل كانت روائع الأدب فى جميع الأمم إلا أحاديث نفسية ؟
ما هو سِفر أيوب الذى تُرجم إلى أكثر اللغات ؟
ألم تكن أصالته فى التعبير عن المخاوف الروحية ؟
وهل كانت أكثر القصائد الخوالد إلا إفصاحا عن عواطف ذاتية ؟

قال ديكارت : أنا أفكر ، فأنا إذاً موجود

Je pense, donc je suis

ومن معانى هذه العبارة أن الشعور بالنفس هو أساس الشعور بالوجود

لا موجب للمداورة فى محاورتك ، فأنت لم تنكر علىّ الحديث عن النفس بمدلوله المعروف عند رجال الأدب ، ولا كان هذا ما أنكره الدكتور طه والأستاذ العقاد ، وإنما تنكرون الثناء على النفس ، وهذا يقع من حين إلى حين ، والثناء على النفس يضايق الناس حين يكون ثناء بالحق ، وإلا فمن الذى استطاع أن يكذّبنى حين أثنيت على نفسى ؟

ولكن هل جال فى خاطرك أن تبحث عن السرّ فى هذه النزعة النفسية ؟

هل حاولت إدراك الأسباب للتكبر الذى أقع فيه كارهاً غير طائع ؟

لو أنك فعلت لعرفت أنى لا أتكبر إلا متحدّياً ، والتحدى نزعة طبيعية تطوف بالنفس حين تفكر فى دفع الجحود والعقوق

وإليك شاهداً من مقالك بجريدة البلاغ فى مساء هذا اليوم « ١٨ - ٧ - ٤٣ »

فى كلامك عن « قصة الأدب فى العالم » أثنيت على رأى المؤلفين الفاضلين أحمد أمين وزكي نجيب حين قررا أن عمر بن أبى ربيعة لم يقتصر على معشوقة واحدة ، وإنما تبيع الحسنَ أنّى كان ، بخلاف ما كان عليه أمثال قيس وكثيِّر وجميل

ثم تحمست للأمانة الأدبية والتاريخية فقلت :

« وهذا تفريق سَبق إليه العقاد فى كتابه (شاعر الغزل) وقد بسطه بسطاً وافياً وتوسع فى بيانه . ولست أقول إن المؤلفين الفاضلين أخذا هذا التفريق عنه ، فليس ما يمنع أن يتنبها إليه ، ولكنى أقول إن الأستاذ العقاد سبقهما إليه ، فمن الإنصاف أن يُذكر له فضل السبق ويُسجَّل »

وهذه حماسة مشكورة ، وهى من بعض صفاتك الطيبات ، ومن الواجب أن نتلقاها بالترحيب ، ولكن هذه الحماسة نفسها تقابَل بالإنكار حين تصدُر عنى ، كأن أقول فى الرد عليك إن أول من سجل هذا الرأى فى كتاب طبع ثلاث مرات هو المبارك لا العقاد

إن كتاب « حب ابن أبى ربيعة وشعره » طبع أول مرة أوائل سنة ١٩١٩ ، وهذا الرأى مدوَّن فى أول طبعة ، فهل تنكره أن أثنى على نفسى فأقول إنى سبقت العقاد إليه بأكثر من ثلاثة وعشرين عاما ؟

وما أقول إنى كنت فى بالك حين سجلت للعقاد ذلك السبق ، فمن المحتمل أن يغيب عنك أنى أول من أصدر كتاباً عن شاعر الغزل ، وأن كتابى كان المنار لكل من تحدثوا عن ذلك الشاعر الفنان .

وأنا فى الواقع أتعجب من استهانة الباحثين بالأمانة العلمية فى هذا العهد ، فما يمرّ أسبوع بدون مفاجآت غريبة تتمثل فى سرقات جريئة من مؤلفاتى ومقالاتى ، وأنا مع هذا أسكت لئلا يقال إنى أكثر من الحديث عن نفسى !

وإصرارك وإصرار صديقك على أن هذا من عيوبى لن يصدنى أبداً عن النص الصريح بأن خلائق كثيرة تنهب آرائى علانية وتعيش بها عيش السعداء

هل تذكر ما قال بعض الناس حين جازيت العقاد قتالاً بقتال ؟

قالوا إننى أثنيت على العقاد من قبل ، فكيف أهدم ما بنيت بالأمس ؟

والاعتراض صحيح ، ولكن المعترضين غفلوا عن أسباب ذلك الثناء ، فقد أردت أن أشرح لطلبة السنة التوجيهية عناصر الكتب المقررة لمسابقة الأدب العربى ، وعند ذلك تذكرت أنى مدرس يعلّم تلاميذ ، ومن واجب المدرس أن ينزه أحكامه عن الأهواء

وأثنى على نفسى فأقول إن تلك الدراسات نفعت المتسابقين أجزل النفع ، وقد شكا الدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ ابراهيم مصطفى من تأثير تلك الدراسات فى عقول الطلاب ،

وقالا فى دعاية إنهما سيرجوان وزير المعارف أن يشير بأن لا تعاد تلك الدراسات فى مجلة الرسالة، بعد أن ظهر أنها تكثر من عدد الفائزين!

بهذا الصدق فى الأحكام الأدبية أنصفت نحو عشرين باحثاً من رجال هذا الجيل، وفيهم خصوم ألدّاء يشرقون بريقهم حين يسمعون اسمى

فأين من يملك من الصدق بعض الذى أملك؟

المازنى وحده يستطيع أن يجازينى صدقاً بصدق، فقد وقف بجانبى وقفة كريمة، يوم قال الدكتور طه على صفحات الرسالة إن كتاب النثر الفنى كتاب من الكتب أخرجه كاتب من الكتّاب

ولكن هل يستطيع الأستاذ المازنى أن ينصف خصومه كما أنصف أعدائى؟

لقد يئست من إنصاف الناس، فكيف لا أنصف نفسى؟

فى كتاب «ملامح المجتمع العراقى» ثناء على الأستاذ المازنى والأستاذ الزيات، فهل قدمت نسخة من هذا الكتاب إلى أحد هذين الرجلين؟

عزّ علىّ أن أظهر بمظهر من يمن على الصديق، واستغنيت عن تقريظ الرسالة وتقريظ البلاغ، اكتفاء بما أثنيت به على نفسى فى مقدمة الكتاب!

وأعجب العجب أنى أهديت كتابى إلى رجل لا ينتظر منى أى معروف، ولا أنتظر منه أى جزاء، ليكون فى عملى شىء لوجه الله ولوجه الوطنية، وهو رجل سبقَنا جميعاً إلى التشرف بخدمة العلم فى العراق، ولم يحفظ له مواطنوه بعض ما حفظ له العراقيون

وأنا بعد هذا أسأل من يؤذيهم ثنائى على نفسى، أسألهم متى يجاهدون فى الأدب كما أجاهد؟ ومتى يعانون فى سبيل الأدب ما أعانى؟

أين الزميل الذى يقول إنه أحرص منى على الوفاء بحقوق القلم البليغ؟

وأين الشخص الذى يملك الزعم بأنه نفعنى؟ ومن هو المخلوق الذى يتوهم أن له ديناً فى عنق؟ ومن هو الروح الطاهر الذى يطمع فى السيطرة على شيطانية روحى؟

كانت الغاية عندى أن أقيم الدليل على أن لوطنى وجودية تحميه من الأباطيل، وكانت حياتى شاهداً على صحة ما ابتغيت، فما استطاعت قوة أن تهدمنى، ولا جاز فى وهم مخلوق أن يرانى من أتباعه، ولو كان أعظم العظماء

أنا أخاطب رجلاً هو الأستاذ المازنى، أخاطب رجلاً يسره أن يعلم أنى أسيطر على شآبيب من الدواهى اللواحق، وسأصبها على أعدائى حين أشاء

إن أدبى من صنع الله، وثقة الجمهور بأدبى من فضل الله، ولن أرتاب لحظة فى أنى أول كاتب وأول مؤلف وأول شاعر فى هذا الزمان

هاتوا برهانكم بإخصومى إن كنتم صادقين!

هاتوا برهانكم، هاتوه، إن استطعتم الاعتصام بخيوط الأحلام

أنا أثنى على نفسى؟؟

هو ذلك، لأنى أسهر الليل فى مسامرة قلمى، ولأنى أومن بأن الاعتماد على الماضى هو ثروة السفهاء من الوارثين

سنلتقى غداً وبعد غد، وسيكون صرير الأقلام أخطر من قعقعة السيوف

وإلى اللقاء، ولعله قريب!

زكى مبارك

٢ - المسرح المصري
وكيف نشيده على دعائم ثابتة

للأستاذ دريني خشبة

بينا في الكلمة السابقة ما ينبغي توفيره لجميع رجال المسرح من الكرامتين المادية والمعنوية ، وبينا نصيب كل من وزارتي المعارف والشئون من مهمة إنهاض المسرح المصري وموالاة العناية به حتى يقوى عوده ويشتد ساعده ؛ لأنه بذلك يكفل لنا نهضة اجتماعية ونهضة إصلاحية ونهضة في اللغة ونهضة في الأدب ونهضة في الأمن ونهضة في الذوق العام ونهضة في جميع فروع الحياة المصرية ، بل نهضة الأمم العربية قاطبة في كل فروع حياتها

وبينا كذلك ما يجب على بلديات المدن المصرية جميعاً أن تساهم به في هذا السبيل ، وما يجب أن يفهمه أعضاء تلك البلديات من أن مهمتهم لا تقف قط عند حدود مراعاة النظافة في مدنهم وتجميل شوارعها ، وغرس الأشجار على جوانب الطرقات ، وما إلى ذلك من عمليات الكنس والرش والإضاءة وتوفير المياه المرشحة وإنشاء المجاري ... كلا ... إن مهمة أعضاء البلديات لا تقف قط عند حدود هذا الجهاد الأصغر ، كما قال مرة أحد مشجعي النهضة المسرحية في ألمانية ... بل إنها تتعدى تلك الحدود إلى جهاد أكبر يفوقها قيمة وجدوى ... ذلك هو العمل على رفع مستوى الشعب وحياته الاجتماعية ... فيجب ألا يقتصر الكنس على شوارع المدينة وحاراتها ، بل ينبغي أن يتناول القاذورات المختبئة في نفوس الأفراد أيضاً ... وإذا نجحنا في إزالة هذه القاذورات استطعنا أن نضاعف نظافة المدينة وأن نزيد في جمالها ورونقها ... والحمد لله ، فلقد تنبهت بلديات كثيرة مصرية إلى واجبها نحو الثقافة العامة ، فأنشأت دور الكتب والمسارح التي اقتصرت إلى الآن على عرض الصور المتحركة ، فلتكن هذه باكورة نهضة مسرحية إقليمية نحكي بها ما قام في انجلترا من المسارح المتنقله ، الـ circuits ، ومسارح المدن الخاصة التي سمينا الكثير منها في الفصول السابقة من المسرح في أوربا

فإذا وُجد المسرح المصري على هذا النحو ، فلا مندوحة من أن يبدأ حياته على صورة ما من صور مسارح المستودعات ، وذلك إلى أن توجد الدرامة المصرية الحقة التي يمكن أن تأخذ مكانها بين الدرامات العالمية الثالية ، والتي نستطيع إخراجها على صورة تمثل مصريتنا تمثيلاً صادقاً لا بهرج فيه ولا تهريج

ولما كانت مسارح المستودعات الـ Prepertory تعنى بتمثيل الدرامات العالمية - أو الوطنية - التي سبق تمثيلها قبل عنايتها بإخراج روايات جديدة فسيواجه مسرحنا مشكلة نقل طائفة كبيرة من أشهر الدرامات الأجنبية إلى اللغة العربية ... وقد عرضنا في كلمة سابقة لهذه المشكلة وأثبتنا تقصير الهيئات جميعاً في معالجتها ... ونحن ما نزال عند الذي قلناه في هذا الصدد ، ولن يضيرنا أن ينقم علينا من ينقم ما دمنا نقول الحق وننشد الخير ... فالدولة - ممثلة في وزارة المعارف - لم تتناول بعد مشكلة الترجمة بما ينبغي لها من عناية ورعاية ... وتقصير الدولة في ذلك يؤخر نهضتنا ويقعد بها ويؤذيها ، كما يؤخر الأدب واللغة ويقعد بهما ويؤذيهما ... وإن تأخرت نهضتنا وتأخر أدبنا ولغتنا تأخرت عجلة الحياة في مصر بل في الشرق العربي عامة

إنه لا بد من حركة ترجمة واسعة شاملة للأدب الأوربي بوجه عام ، وللآداب المسرحية بوجه خاص ... يجب أن تتصل نهضتنا بأقطاب الفكر العالمي عن طريق ترجمات عربية قوية لروائعهم التي تمد مكتبتنا بثروة ليست بعدها ثروة ، فيجد شبابنا ما يثقف به نفسه من ذلك الغذاء الروحي المظيم الذي سيظل محروماً منه ما دام محبوساً عن لغتنا ... يجب أن تعرف المكتبة العربية جميع روائع شكسبير ومارلو وبن جونسون وتشايمان وشريدان وكونجريف وباري وشو وجولدزورثي وويلد وباركر وماسفيلد وسينج وييتس وروبنسن وغيرهم من أساطين الدرامة الإنجليزية

يجب أن تعرف المكتبة العربية جميع الطُّرف السامية التي أنتجتها قرائح آلهة المسرح الفرنسي من أمثال : موليير وراسين وهاردي وكورنيي وجان روترو وكوينولت وكريبلون وهوجو وسكريب وروستان

إلى متى تحرم المكتبة العربية من درامات المسرحيين الأسبان

أمثال : ناهارو ، ولوب دى رودا ، ودى أرجنسولا ، وما أبقت عليه يد العفاء من درامات سرفنتس ، ثم لوب دى فيجا العظيم الذى يؤثر أنه ألف للمسرح ألفاً وثمانمائة درامة بقى منها أكثر من أربعمائة إلى يومنا هذا ، ثم تروسو دى مولينا ، وكالدرون ، وألاركون ، وزورللا ، ودى جويقارا ، ودى موراتان ، وتامايو ، وجوسى إشجارى ، وبلايو ، وبلاسكو إبانى Ibanez

ومتى يستطيع القارىء العربى أو المسرح العربى الاستمتاع بدرامات المسرحيين الإيطاليين أمثال : ترسينو ، تاسو ، أريوستو ، مكيافللى ، جواريني ، مافى ، زينو ، ألفييرى ، جولدونى ، كارلو جوزى ، متاستاسيو ، مونتى ، فوسكولو ، مانزونى ، نيكولينى ، كوسا ، دانتزيو وبيراندللو ؟

ولنذهب فى برقشة مقالنا بأسماء المؤلفين المسرحيين فى الأمم المختلفة إلى حد المغالاة ، فنذكر والحسرة تملأ جوانحنا أن المكتبة العربية محرومة من ترجمات لدرامات النوابغ الجرمانيين : يعقوب ومفلنج ، سلتس ، كرشماير ، لسنج ، ويس ، إشنبرج ، جوته ، كلنجر ، مللر ، شللر ، كورنر ، شليجل ، جرلبارزر ، هيل ، جراب ، موسن ، لدفج ، هالم ، رايموند ، لوب ، أنزنجروبر ، سودرمان ، هرشفلد ، ويلدنبروخ ، هوبتمان ؛ كما أنها محرومة حتى من نموذج واحد من الدرامات التعبيرية التى وضعها چورج قيصر ، وأرنست تُللر ، وسترنهايم ، ويولنبرج ، وهاردن ، وپول إرنست ، وفرانز ورفل

وماذا نقل إلى اللغة العربية من درامات المسرحيين الهولنديين هامسُن ، وشمل ، ونوهايز ، ودى كو ، وهايرمانز ، وسيمونز ميز ، وألفونس لودى ؟

وماذا تعرف العربية من درامات هولبرج ، وإبسن ، وهيبرج ، وبجار ، وبراتمان ، وهانز كنك النرويجيين ؟

وهل تعرف المكتبة العربية درامات بلانشن ، وسترندبرج السويديين ؟

وهل تعرف مكتبتنا الدّراميين الروس مايا كوفسكى ، وترتيا كوف ، وليولنتس

وهل نقل إلينا شىء من درامات التشكيين لفوقيك ، ودفوراك ، وفنشر ، وكارل كابك الذى مثلث جميع دراماته فى جميع مسارح العالم ؟

وبعد :

فلقد تعمدت أن أسلم القارئ العربى لهذا التيه المضل من أسماء كتاب الدرامة وشعرائها ليعلم إلى أى حد نحن محرومون من هذه الثروة الذهنية الهائلة التى ينعم بها أهل اللغات الأخرى لأنها مترجمة إليها ... وأننا محرومون منها بسبب إهمال وزارة المعارف وتكاسل الجامعة وكبار الأدباء الذين لا يجدون تشجيعاً ولا حافزاً

لقد أهملت مئات من كتاب الدرامة فلم أذكرهم لأنهم ممن كتبوا أقل من عشر روايات ... ومع ذلك فقد ذكرت أشهر المكثرين فقط ، ولو أراد أحد سرد أسمائهم جميعاً لضاق بهم نطاق أعداد عديدة من هذه المجلة ... وكنت أوشك أن أسرد عشرات من كتاب الدرامة اليابانية التى لا تقل رونقاً عن الدرامة الأوربية ، إلا أننى حسبت حساب تلك الابتسامات العريضة المتورمة التى تؤول ما أردت من ذكرها أسوأ تأويل ... ولهذا أيضاً غضضت الطرف عن أبطال الدرامة الأمريكية فى كل ممالكها

إن فى عالم الأدب دنيا بأكملها من الدرامة الراقية واكبت كل عصور التاريخ ... فمتى تكون لنا درامة عربية ياترى ؟! وكيف تكون لنا درامة عربية ونحن لم ننقل مائة أو مائتين من عشرات آلاف الدرامات العالمية لينسج كتابنا على منوالها ، وليكب شبابنا على قراءتها فتترك فى قرائحهم خمائر التفكير اللازمة للانتاج الذى نطمع به ونفكر فيه ، ثم هى تعلمهم كيف يقسمون فكرة الرواية إلى فصول ، وكيف يقسمون الفصول إلى مناظر ، وكيف يمهدون للمفاجئات ، وكيف يساسلون الحوار ... ثم كيف يخلقون لنا درامة مصرية تعالج مشكلاتنا وتتناول قضايانا وتسلك أدبنا فى موكب الآداب العالمية الراقية التى يمثلها الأدب المسرحى أحسن تمثيل وأصدقه

إلى متى ياترى يظل أدبنا يباباً فارغاً هكذا ؟

على رسلك أيها القارىء الذى يظن بى الظن ، فأنا لا أقل

عنك غـيْرةً على الأدب العربى ، وبالأحرى على الأدب المصرى ؛ وأنا أقدر لغتي العربية بل أقدسها ، لـكني مع ذاك أعترف بأن الأدب العربى سيظل وسوف يظل وراء الآداب العالمية قاطبة ، ما لم نسلك فيه الأدب المسرحى وآداباً أخرى غير الأدب المسرحى ليس هنا مقام ذكرها . . . والسبيل إلى أن نسلك فى أدبنا هذه الألوان من الأدب لا بد أن تبدأ بالترجمة ... لنترجم عن أدباء انجلترا وإرلندة وفرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا وأسبانيا والسويد والنرويج وتشكوسلوفاكيا وبولندة وروسيا وأمريكا . وعن أدباء اليابان والصين إن وجدنا إلى الترجمة عنهم من سبيل لنترجم عن هؤلاء وهؤلاء ، فلقد أصبح لـكل أمة أدب قومى مستقل كما أصبح لـكل أمة مسرح قومى مستقل ... إلا مصر وإلا الشعوب العربية قاطبة ، فأدبهـا ما يزال أدب تراجم وقصائد ومقالات . . . وإن شدا من القصة نصيباً ضئيلاً لا غناء فيه بعد

وما دامت الترجمة هى السبيل الوحيدة الآن أمامنا لنخدم أدبنا المصرى وأدبنا العربى ولنخدم مسرحنا ولنخدم لغتنا ، فماذا يقعدنا عن التوسع فيها توسعاً لا نبخل عليه بجهد أو مال ، ولا يصح أن نبخل عليه بجهد أو مال ، وإلا أثبتنا أننا أمة من الأميين ... ممن يفـكرون كثيراً وينفذون قليلاً ... بل لا ينفذون شيئاً

كيف يستكثر علينا مستكثر أن نصرخ فى آذان وزارة المعارف لـكى تقوم بواجبها فى هـذه السبيل فتولى عنايتها إدارة الترجمة بهـا وتشجع المترجين بالمبالغ الضخمة التى تحفزهم وتشحذ هممهم

لـماذا لا ترفع عدد المترجين الفنيين إلى مائة أو مائتين بدل هذا العدد الذى لم يرتفع إلى عشرة بعد ؟

لـماذا لا يتنوع المترجون فينقلون من الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية واليونانية القديمة ومن اللاتينية والروسية ؟

لماذا لا ترصد المبالغ الضخمة لهذه الإدارة التى لا تقل فائدتها للبلاد واللغة والأدب والعلم عن الجامعة ولا عن مجمع اللغة ولا عن مصلحة الآثار ؟

ومتى يتاح لوزارة المعارف عصر كهذا العصر الديمقراطى الذى يعنى بصالح الأمة فيهيىء لأدبها ولغتها هذا الإصلاح ؟

ومتى يتاح لوزارة المعارف رجلان كالرجلين اللذين يرسمان سياستها ويقودان سفينتها ، فتكون فرصة إدارة الترجمة ، وفرصة الأدب العربى ، وفرصة اللغة ، وفرصة المسرح ، وكل فرص الحياة الثقافية العامة فى وجودهما ، ولتعز إدارة الترجمة ، وليعز الأدب العربى ، ولتعز اللغة العربية ، وليعز المسرح المصرى ورجاله الشهداء الأوفياء ؟!

... ليقل جاهل أو غبى كما قال من قبل ، إن هذا كلام له ما وراءه ... لا ... فنحن بحمد الله مستعدون للارتداد إلى خطوطنا الأولى ... ولذلك فإنا لا نبالى بأن نلاحظ على وزارة المعارف تقصيرها فى العمل للنهضة الثقافية بمصر ، بالرغم مما هيىء لها من زعامة أدبية خالصة كانت لمصر فيها آمال كبار ؛ وما تزال لها فيها تلك الآمال الـكبار . وإنـا لن نمل من الـكتابة فى هذا والتبشير به والإلحاح فيه ، حتى تبلغ منه نهضتنا ما تريد

على أن التفـكير في إنشاء معاهد كثيرة للتمثيل ، لا بد أن يسبقه تفـكير فى نقل عدد كبير من الدرامات الأجنبية الرائعة لأشهر الـكتاب الدراميين كى تجد المعاهد ثروتها من الروايات التى تتخذ نماذج لتطبيق دراساتها كما تجدها مهيأة للتمثيل ... وإلا فهل نحن معتزمون أن تـكون الدراسة فى تلك المعاهد بالعربية ثم يكون التطبيق العملى بلغة أجنبية ؟

وإذا نحن سلمنا بهذا ونقلنا عدداً كبيراً من الدرامات الأجنبية ، لزم أن نلخص تاريخاً عاماً للمسرح فى الممالك المختلفة ليلم الممثلون بتاريخ المؤلفين وتاريخ التطور المسرحى فى كل منها . والقيام بعمل هذا الملخص لتاريخ المسرح يصح أن يوكل لهيئة من المترجين ، أو أن يكون قسمة بين إدارة الترجمة ومدرسى معاهد التمثيل .

(يتبع) دريني خشبة

كيف بدأ الإصلاح في الأزهر

وكيف نصل الآن إليه

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

كلما صرفت نفسي عن الكلام في إصلاح الأزهر عاودها الحنين إليه . وكيف أنسى عقيدة أشربت حبها منذ الطلب ، ومضى على جهادي فيها أكثر من عشرين عاماً ، ولقيت فيها من العَنَت ما لقيت ، وبذلت من التضحية ما بذلت ، خالصاً لوجه الإصلاح ، لا أبتغي بذلك عوضاً ، ولا أقصد أن أجر به مغنماً

وقد قرأت ما كتبه صديقي الأستاذ الجليل محمد المدني تعليقاً على محاضرة صديقي الأستاذ الكبير محمود شلتوت ، فوجدتهما يرجعان بقاء الأزهر على جموده في هذا العهد إلى الكتب القديمة ، لأن الأزهريين لا يزالون يعولون عليها في جميع مراحل التعليم ، ولا تزال الدراسة في المعاهد الدينية متجهة إلى شرح ألفاظها ، وتضييع الزمن في مماحكاتها اللفظية التي لا طائل تحتها . وقد ذكرني هذا بما نشرته في أوائل هذا العهد على صفحات مجلة الرسالة وغيرها ، وذلك حين قمت بنقد ما يشكوان الآن منه بعد فوات الوقت ، فغضب لذلك من كان يناصر هذا العهد لغير الإصلاح ، وكان لهذا الغضب أثره في حرماني من بعض حقوقي ، فقبلت ذلك راضياً ، وصبرت عليه إلى وقتنا هذا في غير شكوى ولا تألم ، لأن من ينصب نفسه للجهاد لا تؤلمه التضحية ، وقد يسر بها كما يسر أصحاب اللُّبانات بقضائها . ولو أن الصديقين الفاضلين ضما صوتيهما إلى صوتي في ذلك الوقت لكان لذلك منا شأن آخر ، ولم ينظر إليه تلك النظرة التي قوبل بها صوتي ، لأنهما كانا محل الثقة من رجال هذا العهد ، وكانت كلمتهما مسموعة عندهم

وما علينا من هذا كله ، فما نريد الآن إلا أن نبين كيف نصل الآن إلى إصلاح الأزهر ، وقد مضى على معالجته نصف قرن أو أكثر ، وهو ما يقرب إلا ليبعد ، ولا يسهل أمره إلا ليعسر . وها نحن أولاء الآن لا نزال كما كنا قبل معالجة ذلك الإصلاح ، نألف الجمود ونعض عليه بالنواجذ ، ونقف من الإصلاح الذي يقضي على هذا الجمود موقف المعارض المعاند . ولا يزال الذين يؤمنون بيننا بهذا الإصلاح يعدون على الأصابع ، وليس لديهم من القوة ما يمكنهم أن يقضوا به على ذلك التعصب للجمود ، وقد بذلوا من التضحية في الإصلاح ما بذلوا ، ولكن التضحية وحدها لا تفيد في القضاء على التعصب ، وإنما يفيد في ذلك القوة الغالبة ، والسلطان القاهر ، والتاريخ على ذلك شاهد عادل

ومن ينظر إلى بدء الإصلاح في الأزهر يجده لم يتم إلا بتلك القوة ، ولم يأخذ سبيله فيه إلا بعد أن تدخلت الحكومة في أمره ، وقد كان تدخلها في ذلك بعد أن لجأ إليها المصلحون من رجال الأزهر ، وأقنعوها بصواب ما يدعون إليه من الإصلاح ، ولو لا تدخلها في ذلك ما خطا الأزهر في الإصلاح تلك الخطى ، ولبقي إلى وقتنا قابعاً في عزلته ، راضياً بالانكماش الذي كان راضياً به ، ولم يكن هذا الانكماش في شيء من ديننا ، وإنما هو من الرَّهْبانيَّةِ التي أباها الإسلام لأهله

وكان الذي قام بإقناع الحكومة بذلك هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، فقد ذكر السيد محمد رشيد رضا في تاريخه أنه لما جلس عباس باشا حلمي على كرسي الخديوية تجددت للبلاد المصرية آمال ، وتوجهت إلى أعمال يقصد منها إزالة الاحتلال ، وكان الشيخ محمد عبده يرى أن إزالة الاحتلال لا يمكن أن يحل بوسيلة السياسة إلا باتفاق الدول ، وأن الرجاء في اتفاقهم على ذلك بعيد ، فأراد أن يكون حظه من حب الخديو للعمل السعي في إصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية والأوقاف ، فاتصل به وحظي عنده وكاشفه برأيه في إصلاحها ، فقال له : إن لدى أفندينا هذه المصالح الثلاث العظيمة ، فيمكنه أن يصلح الأمة كلها بإصلاحها ، وهي دينية ويجب المبادرة بإصلاحها . ثم ذكر له كليات هذا الإصلاح ، ولم يخرج من عنده حتى أقنعه به

فمن هذا الوقت أخذت الحكومة فى إصلاح الأزهر ، وقد بدأت أولاً بتأليف مجلس إدارة للأزهر مؤلف من أكابر علماء المذاهب الأربعة ، وأضيف إليهم الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان على أنهما عضوان من قِبَل الحكومة ، فسار هذا المجلس بهمة صادقة فى إصلاح الأزهر ، وسلك فى ذلك سُنّة التدرج ليأمن الاصطدام بأعداء الإصلاح ، ويأخذ الأزهريين به شيئاً فشيئاً ، وكانت الحكومة من ورائه ترعاه بالمساعدة ، وتصد عنه كيد هؤلاء الأعداء ، وتأخذهم بالشدة إذا جنحوا إلى الثورة ، حتى لانوا واستكانوا . ونجح هذا المجلس فى إقامة الدعائم الأولى للاصلاح ، فألف أهل الأزهر النظام فى أعمالهم ودروسهم ، وأقبلوا على دراسة العلوم الحديثة التى كانوا ينفرون من دراستها

وكان الشيخ محمد عبده يرى أن ما نجحوا فيه من ذلك يجب أن يكون وسيلة لا غاية ، لأن الإصلاح الحقيقى لا يصح أن يقف عند هذه الحدود ، بل يجب أن يتعداها إلى فتح الأذهان المقفلة فى الأزهر ، وكسر قيود التقليد فى العلوم القديمة ، حتى تدخلها آثار التجديد ، وتخلع تلك الأثواب البالية ، وتعود إلى ما كانت عليه علوماً تفتح العقول ، وتربى العلماء المجدِّدين ، والأئمة المبرَّزين . وقد سأله السيد محمد رشيد رضا عن رأيه فيما قاموا به من إصلاح الأزهر ، فذكر أنه لم يحصل شيء من الإصلاح يذكر إلى ذلك الوقت ، وأنه أراد أن يبدأ بأعمال عظيمة فى الإصلاح اغتناماً للفرصة ، فأشير عليه بوجوب التدرج فى الإصلاح ، وأنه لا بد له من المسايرة ، وإن كان يخشى أن تضيع الفرصة بما يسمونه التدرج

وقد أتى القوم بعد الأستاذ الإمام فساروا فى ذلك على أنه غاية لا وسيلة ، ووقفوا عند هذه الحدود التى لا يصح أن يقف عندها الإصلاح ، فلم ينهضوا بالأزهر إلى ما يرجى له فى هذا العصر ، وبقيت علومه القديمة فى أثوابها البالية التى تزهد الناس فيها ، وتجعلها مماحكات لفظية لا فائدة فى دراستها . وقد نبهتهم إلى ذلك بكتابى (نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف) فقامت على قيامتهم ، ولم تهدأ ثائرتهم إلا بعد أن أنزلوا بى من العقاب ما أنزلوا ، وكانوا يريدون عزلى من المعاهد الدينية ، فتداركنى لطف الله تعالى ، وبقيت إلى وقتنا هذا مخلصاً لعقيدتى لا يثنينى عنها ما يفوتنى بسبب إخلاصى لها

وقد أراد أستاذنا الشيخ المراغى فى عهده الأول أن يصل بالإصلاح إلى هذه الغاية التى أرادها الأستاذ الإمام ، وأن يخطو فى الإصلاح خطوة جريئة يقصد بها وجه الله تعالى ، ولا يبالى بما تحدثه من ضجة وصريخ ، فقد قرنت كل الإصلاحات العظيمة فى العالم بمثل هذه الضجة ، ولكنه اعتزل منصبه بعد فترة وجيزة

وها هو ذا قد عاد إلى منصبه مرضياً عنه كل الرضا من ولى الأمر ، فما عليه إلا أن يستغل تلك الفرصة السانحة كما استغلها الأستاذ الإمام من قبله ، ويستدرك بهذا ما فاته فى المرة الأولى ، وقد هُيِّئت له أسباب النجاح ، ومُدَّ له فى منصبه حتى ذلت له العقبات ، وزال ما كان يعترض تلك الخطوة الجريئة فى الإصلاح

عبد المتعال الصعيدى

أقوياء الأبـــدان
فى العصور الاســـلامية
للأستاذ كوركيس عواد

المؤرخين روايات ونوادر كثيرة بشأن بعض جبابرة الناس الذين أُوتوا من ضروب القوى البدنية ، ما أبقت لهم ذكراً وشهرة فى صحائف الكتب . ونحن نأتى فى هذا المقال بشىء مما انتهى إلينا من طرائف أخبارهم فى ميادين البطولة . فمن ذلك ما ذكر عن مبلغ قوة الأمين ، سادس خلفاء بنى العباس (١٩٣ — ١٩٨هـ = ٨٠٩ — ٨١٣ م) من أنه كان « فى نهاية القوة والشدة والبطش والبهاء والجمال ، إلا أنه كان عاجز الرأى ضعيف التدبير غير مفكر فى أمره . ويروى أنه اصطبح ذات يوم وقد كان خرج أصحاب اللبابيد والحراب على البغال ، وهم الذين كانوا يصطادون السباع ، إلى سبع كان بلغهم خبره بناحية كُوثَى والقصر[1] ، فاحتالوا فى السبع إلى أن أتوا به فى قفص خشب على جمل بختى ، فحط بباب القصر وأُدخل ، فثل فى صحن القصر والأمين مصطبح . فقال شيلوا باب القفص وخلوا عنه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إنه سبع هائل أسود وحش ، فقال : خلوا عنه ، فشالوا باب القفص ، فخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور ، فزأر وضرب بذنبه الأرض ، فتهارب عنه الناس ، وغلقت الأبواب فى وجهه ، وبقى الأمين وحده جالساً فى موضعه غير مكترث بالأسد ، فقصده الأسد حتى دنا منه ، فضرب الأمين بيده إلى مرفقة أرمنية[2] وامتنع منه بها ، ومد السبع يده إلى الأمين ، فجذبها الأمين وقبض على أصل أذنيه وغمزه ثم هزه ودفع به إلى خلف ، فوقع السبع إلى مؤخره ميتاً . وتبادر الناس إلى الأمين ، فإذا أصابعه

(١) موقعان قديمان فى أرض بابل . تعرف أطلال الأول منهما اليوم بتل إبراهيم

(٢) المرفقة : المخدة . والأرمنى : نسيج فاخر متين ، عرف بذلك لأنه كان يصنع فى بلاد أرمينية

ومفاصل يده قد زالت عن مواضعها ، فأوتى بمجابر ، فرد عظام أصابعه إلى مواضعها ، وجلس كأنه لم يعمل شيئاً . فشقوا بطن السبع ، فإذا مرارته قد انشقت على كبده »[1]

ونظير ذلك ما عرف من تناهى قوة الخليفة العباسى المعتصم (٢١٨ — ٢٢٧ هـ = ٨٣٣ — ٨٤٢ م) ، فإنه « لم يكن فى بنى العباس مَن قلبه أشجع منه ولا أتم تيقظاً فى الحرب ولا أشد قوة . قيل إنه اعتمد بأصبعه السبابة والوسطى على ساعد إنسان فدقه . وكان يلوى العمود الحديد حتى يصير طوقا ، ويشد على الدينار بأصبعه فيمحو كتابته »[2]

ومثل ذلك ما تناقله بعض المؤرخين بصدد قوة المعتصم ومتانة جسمه ، وإليك الخبر : « قال ابن أبى دؤاد : كان المعتصم يخرج ساعده إلىّ ويقول : يا أبا عبد الله ، عض ساعدى بأكثر قوتك ، فأقول : والله يا أمير المؤمنين ، ما تطيب نفسى بذلك ، فيقول : إنه لا يضرنى ، فأروم ذلك ، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة فضلاً عن الأسنان »[3]

وزاد السيوطى على الخبر المتقدم ما هـذا نصه : « وقال نفطويه : وكان [المعتصم] من أشد الناس بطشاً ، كان يجعل زند الرجل بين إصبعيه فيكسره »[4]

وروى الخطيب البغدادى أن المعتصم « انصرف يوماً من دار المأمون إلى داره ، وكان شارع الميدان منتظما بالخيم فيها الجند . فمر المعتصم بامرأة تبكى وتقول : ابنى ابنى ! وإذا بعض الجند قد أخذ ابنها . فدعاه المعتصم وأمره أن يرد ابنها عليها ، فأبى . فاستدناه فدنا منه ، فقبض عليه بيده ، فسُمع صوت عظامه ، ثم أطلقه من يده فسقط ، وأمر بإخراج الصبى إلى أمه »[5]

ومما حكاه ياقوت الحموى عن ابن زُهر الطبيب الأندلسى الشهير ، المتوفى سنة ٥٩٥ أو ٥٩٦ هـ (١١٩٨ — ١١٩٩ م) ،

(١) مروج الذهب للمسعودى (٦ : ٢٤ — ٤٣٣ طبع باريس)

(٢) خلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن الاربلى (ص ١٩٢)

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (٣ : ٣٤٦)

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٢٢٢ طبعة المنيرية بالقاهرة)

(٥) تاريخ بغداد (٣ : ٣٤٦)

أنه « كان شديد البأس ، يجذب قوساً[1] مائة وخمسين رطلاً بالاشبيلي ، وهو ست عشرة أوقية »[2] . وهذا الخبر عينه نقله ابن أبي أصيبعة بأن زاد في التعريف أن : « كل أوقية عشرة دراهم »[3]

ونظير ذلك ما روى عن بكتمر السلاح دار الظاهري المنصوري ، المتوفى سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٣م) من أنه كان « حسن الرمي ، يرمي على ستة وثلاثين رطلاً بالدمشقي »[4]

ومثلهما في هذا الباب ، أنس بن كتبغا الملقب بالمجاهد ، المتوفى سنة ٧٢٣هـ (١٣٢٣م) ، فقد « عاني الفروسية ورمى النشاب ، حتى صار أوحد عصره فيه ، يقال رمى على قوس زنة مائة وثمانين رطلاً »[5]

وقد عرف غير واحد من هؤلاء الأبطال الأشداء ، فكان من جملتهم كستاي أمير السلاح المتوفى سنة ٧١٦هـ (١٣١٦م) فإنه « كان شديد البأس قوي البدن ، كان يأخذ العظم الكبير من الشاة فيكسره بيده قطعتين »[6]

ومن الغرائب في هذا الباب ، ما حكي عن قطليجا بن بلبان الجوكندار ، المتوفى سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠ م) ، من أنه « كان فارساً بطلاً خفيف الحركات ، يقال إنه ساق فرسه ، فأخذ نصف سفرجلة من غصنها ، وبقي نصفها الآخر مكانه »[7]

ومثله في هذا الميدان ما نقله ابن رافع السلامي في ترجمة عبد الرحمن بن عبد المحسن بن عمر بن شهاب بن علي الواسطي ، الذي كان حياً سنة ٧٢٨هـ (١٣٢٧م) من « أنه قوي شديد البطش ، يضرب الآجرة بيده فتصير فلقاً ، ويضرب الجوزة

(١) أي يرفعه ويدفعه

(٢) معجم الأدباء (٧ : ٢١ طبعة مرجليوث = ١٨ : ٢١٧ — طبعة رفاعي)

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٢ : ٦٨)

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ٤٨٣ :

(٥) الدرر الكامنة ١ : ٤١٧

(٦) الدرر الكامنة ٣ : ٢٦٨

(٧) الدرر الكامنة ٣ : ٢٥٥

يكسرها ... قال أبوه : ودخل اللصوص داره وأخذوا المتاع ، فتركهم حتى خرجوا ومشي خلفهم إلى الصحراء فبقر منهم واحداً وهرب الباقون وتركوا المتاع »[1]

وممن وهب قوة بالغة واشتهر بأمور من هذا القبيل ، أحمد ابن أبي بكر بن محمد بن محمود الحلبي ، المتوفى سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) ، فقد « كان قوي اليدين جداً ، حتى كان يأخذ الحية فيحملها بذنبها ويرفعها إلى فوق ويقصفها إلى أسفل ويرميها وقد انقطع وسطها وانخلعت فقرات ظهرها »[2]

ونظيره في هذا الأمر ، أبو بكر زكي الدين الخروبي رئيس التجار بالديار المصرية ، المتوفى سنة ٧٨٧هـ (١٣٨٥م) ، فقد كان أيداً شديد القوى . حكي لنا أنه كان يقبض على الركب الحديد فتتعصر رجل الراكب »[3]

(بغداد) **كوركيس عواد**

(١) تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار لابن رافع السلامي انتخبه التقي الفاسي المكي (ص ٨٥ طبع بغداد)

(٢) الدرر الكامنة ١ : ١١٣

(٣) الدرر الكامنة ١ : ٤٥٠

من ميدان الحياة

للأستاذ شكرى فيصل

هذه الأمانى التى تعتادنى اليوم ... ما بالها تزدهر فى خاطرى من جديد ، وكنت أحسب أنها الفرقة التى لا رجعة وراءها ، والهجر الذى لا لقاء بعده ، والأسباب التى انقطعت فلا سبيل إلى صلتها ؟ وما أنا وهذه الأمانى التى تتفتح فى أعماق من جديد مع الورد الناشئ ، وتنطلق فى عالمى مع الربيع الطلق ، وتتألق فى دنياى مع الزهر النيّر ، وكنت حسبتنى انصرفت من دنياى الكبرى لأعيش فى دنيا الناس الضيقة ، وخرجت من عالمى الفسيح لألقى هذا العالم المتقارب ، وهجرت الأرض الخصبة لبدى كفاى وقدماى بالفأس القاسية والأرض الغليظة

... وما رجعتى إلى رؤاى هذه ؟! ... كانت لى معها ليال أزهى من النور وأوضح من الصبح ... وأيام أنضر من الورد وأحلى من الربيع ... لكأنى أذكر الساعة أوديتها الخضر العامرة ، وجنباتها الغر الزاهرة ... وهذه الفضة فيها كالحصى ... وهذا الصليل كالأمواه ... وهذا الذهب المنتشر كأنه أوراق زهر الدراق ... وذلك الزمرد الذى يطرز حواشيها كأنه أعشاب الجنة ... لكأنى أثب معها الساعة فى تطواف بعيد ، لا أحس له الجهد ، ولا ألقى فيه العناء ، ولا أكاد أمس الأرض إلا المس الهين الرقيق .. فأجوز السهل والجبل ، وأمر بالهضبة والوادى ، وأطوى البيد الفساح ، ويحملنى النهر على سرير ناعم من نسماته اللطاف ، ويصوغ لى البحر فلكا طيّعة من أمواجه الخفاف ، وينشر لى الأفق بساطه المسجدى ... أكان الجبل إلا السبيل المذلل المنقاد .. أكانت الصحارى إلا المسالك المذهبة المبسوطة ؟ أكان العالم إلا جنة من السحر الحلال ؟!

تلك ليال وأيام ... ما أمرّها ، تطرقنى مبكرة ، وتسمو إلى هذا السمو الهادئ مع مولد الفجر ... تنشر لعينى الصور ، وتلق فى أذنى الأحاديث ، وتفجّر فى قلبى الأصم ينابيع متدفقة من الذكريات ... أتراها تريد أن تفسد علىّ حياتى بالنعيم ، وتثير منى عاطفتى بالذكرى ، وتنال من بعضى ببعضى ... أتراها تودّ أن تطق ظلماتى السود بشعاعلها المتقدة ، وتخفت أنفاسى الخرس بأغانيها العذبة ، وتطمس أنفاسى الباردة بأنفاسها المشتعلة ؟

***

... وما أنا وهذه المواكب التى تتهادى من أمامى ، وهذه الحسناء التى تنظر إلىّ ... لكأنى عشت معها دهراً طويلاً ... أذكر ... لقد كان بينى وبينها عهود ! وكان لها فى عنق ذمم ، وكان لى فى رقبتها وجائب ... ثم ... ألم تكن من بيننا فرقة ، فتتاركنا على غير شىء ... كأنما لم ترع طفولتى بالهدهدة الناعمة ، ولم ترف على فتوتى ظلالها الهادئة ، ولم تسكب فى قلبى خمرها المسكرة ... وكأن لم يكن بين دمشق والقاهرة أنيس ، ولم يسمر فى مرابع الجيزة سامر ، ولم تهتف فى دمشق هواتف ، ولم تثر فى الغوطة أصداء ... فما بالها اليوم : هذه المواكب توحش صمتى السادر بالنشيد ، وتفزع أمنى القلق بالسلام ، وتعشى عينى المظلمتين بالجمال ، وتفسد على مقامى الخشن بالموكب اللاهى ؟! ... أتراها تبتليني من جديد بسحرها العابث ؟! تلك مواكب وأغان وأناشيد قد خلت ... فما مثارها عندى اليوم ، ومالى من موكب وأغنية ونشيد ... ؟

وهذه الذكريات التى تغزونى فتلح علىّ وتأخذنى من بين يدى وخلفى ... ما أنا وهى وقد استرقنى حاضرى ، فإذا هو علىّ مطبق لا ينفرج ، رتق لا ينكشف ، ضيق لا يكاد يتسع لغير هذا الذى أنا فيه ؟ وما أنا فيه إلا الآلة الصماء تغدو مطلع النهار مع الصباح لتعود فى صفرة اليوم مع المساء ، وتظل على ذلك تحرك فى غير حراك ، وتدور على غير حس ، وتمضى وكأنما تدفعها يد قادرة إلى غير ما أحبت وما كانت تقدر أنها تحب ... ما أنا وهذه الذكريات ، تجد السبيل إلى كهفى العميق ، ثم تتحسسنى من بين هؤلاء المساكين الذين قدر لهم أن يعيشوا معى فى هذا الكهف . كيف استطاعت أن تجوز هذه الأبواب الحديدية الضخمة ، وأن تفلت من هؤلاء المردة الذين يحرسونها ، وأن تبلغنى فتمزق هذا الغشاء الصفيق الذى أسدلت بينى وبينها ؟! ما شأنها ، تملأ على جنبات هذا الكهف ، فى يديها البضتين هذه الأعواد الرقيقة المشتعلة ينتشر منها هذا الدخان اللطيف المعطر الذى ينفث فىّ روح الماضى . لكأنه هذا البخور الذى

حملة صقلية

الجبهة الثانية . أين ومتى تفتح ؟

هذا هو السؤال الذى تردد على ألسنة الناس فى الأسابيع الأخيرة والذى كان موضع اهتمام العسكريين وبحثهم فى كلا المعسكرين ، وكان فى غزوة الحلفاء لصقلية الجواب على هذا السؤال . وللمعركة التى تدور رحاها الآن فى هذه الجزيرة أهمية كبرى للطرفين ؛ فالإيطاليون من جهة ، يرون أن غزو هذه الجزيرة خطر يهدد كيان إيطاليا نفسها ويجعلها الهدف التالى بعد صقلية ، ويرون أن القرار الحاسم فيما يتعلق بالحرب كلها سيتخذ على سواحل صقلية ؛ وهم واثقون بأن كل قوة للحلفاء ستجد مصرعها على سواحل إيطاليا . أما اهتمام الحلفاء فيتجلى فى النداء الذى وجهه الأميرال كننجهام لجنوده ساعة الغزو : « إن نجاح الحلفاء فى غزو صقلية يعد بمثابة فتح جبهة ثانية كما أنه سيكون الخطوة الأولى فى سبيل هزيمة سريعة للأعداء »

قبيل انتصاف ليل الجمعة التاسع من يوليو أخذت جنود المظلات البريطانية والأمريكية تنهال على أرض الجزيرة وهبطت على أثرهم الجنود الذين كانت تقلهم الطائرات الشراعية وأسرعوا فى الزحف لتعزيز مراكزهم وراء استحكامات المحور لتدمير منشآته وشل حركة مطاراته حتى يحال بين المدافعين وبين القيام بعمل جوى منظم ضد القوات الكبيرة التى كانت تقلها سفن الغزو

وفى فجر يوم السبت ، أى بعد هبوط قوات المظلات بساعات قليلة ، أخذت السفن المحملة بالجنود والأمداد تقترب من موانى الجزيرة منتشرة فى الاتجاهات التى رسمت لها من قبل .

ولم يكن غزو صقلية بالأمر المفاجىء للمحور فقد صرح الجنرال إيزنهاور منذ أكثر من شهر لمندوبى الصحف بأنه لن يمض الشهر حتى تكون الأعمال الحربية ضد صقلية قد بدأت ، وكذلك كانت الغارات المنيفة التى ظلت الطائرات المتحالفة تشنها على النقط الحيوية والمواقع الرئيسية فى الجزيرة بمثابة مقدمات لهذا الغزو ، وهو عين ما حدث فى جزيرتى بنتلاريا

عهدته فى ليالى الخاليات . إن سحبه لتتلوى هادئة رفيقة فتبدد كل ما حولى . لا الناس الهرالى الذين أعهدهم ، ولا المتعبون الذين آلفهم ، ولا هذه الأردية السود التى تتحرك إلى جانبى ؛ وإنما هى أطياف حلوة كريمة ، أحس كأنما كان من بينى وبينها سبب ، ومغانٍ رائعة بهيجة كأنما كان لى بها عهد . أتراها تود أن تلقف بسحرها الحائل هذا الواقع المتورد ، وأن تطرد بأطيافها القائمة هذه الأشباح الناعمة ، وأن يذهب عطرها الهفاف بالحاضر المتماسك ؟! أتراها تود أن تهدر حياتها الأولى فى حياتى الجديدة لتثير الأمانى والأوهام ؟!

وهذه الأحلام التى تشق عنى ظلمة الليل ... ما أنا وهى ... وقد انعتقت منها وانصرفت عنها . ألست أعمل نهارى المتصل لميتتى الليل ، وأجهد شمسى الطالعة ليواربنى المساء ، وأنطلق مع الغراب المبكر كيما أنسى بعد فى العتمة كل شىء . ما شأن هذه الأحلام تراودنى عن نفسى ، فتطرقنى منذ أيام ، وتنشر فى مسائى الكالح أفقاً وردياً زاهياً ، وتبعث فى ليلى البهيم أضواء رفافة نيرة ، وترسم على غبش العتمة أنوار النجم . أتراها تود أن تؤرقنى فلا أغفى ، وأن تهزنى فلا أغفل ، وأن تمتادنى فلا أجد الهدوء !... أتراها تملك أن تفسد على راحتى التى لا حس فيها بالحس الذى لا راحة معه ، واطمئنانى الذى لا شعور فيه بشعور لا اطمئنان معه . وما عساها تبغى منى ، وإنها لتعلم أن الدنيا قد جعلت منى غير الذى عهدت فىّ : لا هزة الطروب ، ولا رفة المرح ، ولا استيفاز الشاعر . فقد ذهبت الحياة بالهزة والرفيف والحس المستوفز . وما يكون للذين تضطرهم الحياة أن تذهب بنفوسهم فى سبيل العبء الذى لا بد منه ، والعيش الذى لا مناص من تداركه إلا أن يرتقبوا اليوم القريب والساعة الدانية

***

لا يا أمانى التى تزدهر الساعة فى خاطرى ! ما كان لى أن أغفل عن الماضى ، أو أنصرف عن المهود ، أو أهدر هذه الفترة الحلوة من حياتى القريبة . وإنما هى ويلات الحاضر التى لا بد من النجاة منها ، وضرورات الواقع التى لا بد من الاضطراب فيها

إن تكاثف السحاب لا يذهب بنور الشمس ، وإن قتام الضباب لا يحول دون إيماضة البرق ؛ وإنما يتفتح الشتاء القاسى — بإرادة الله — عن الربيع المتدفق

(دمشق) شكرى فيصل

ولمبيدوزا حين سبق احتلال الجزرتين غارات على مثل هذه الصورة من العنف والشدة

وقد وقع الغزو بعد أقل من أسبوع لبدء الهجوم الذى قام به الألمان فى الجبهة الروسية ، فقد انتظر الحلفاء حتى إذا ضمنوا اشتباك القوات الألمانية فى معركة الروسيا الطاحنة شنوا هم هجومهم ؛ وبذلك ضيعوا على الألمان فرصة تقديم مساعداتهم الجدية لإيطاليا فى صقلية

أما مواقع الهجوم فقد اختارها الحلفاء فى جزء كان خبراء المحور يرون أن نزول الحلفاء فيه أبعد احتمالاً من غيره ، فاختاروا الركن الجنوبى الشرقى للجزيرة ، وذلك لأن وعورة أراضيه وكثرة مرتفعاته وقربه من قواعد المحور الجوية فى جنوب إيطاليا تجعل من العسير نزول قوات كبيرة من المشاة والدبابات كما تجعل القوات النازلة أكثر عرضة لضربات العدو الجوية وأقرب منالاً للقوات البرية التى تأتى عن طريق خليج مسينا . لهذه الأسباب كان نزول الحلفاء فى هذا الجزء غير متوقع

وقد تطور القتال منذ بدء الغزو تطوراً يعتبر فى صالح الحلفاء الذين استولوا على معظم المدن المهمة هناك ولم يبق أمامهم سوى قطانيا حيث تدور بعض المعارك فى السهل الذى يحيط بها .

ويرجع عدم وقوع معارك كبيرة حتى الآن إلى أن القيادة الإيطالية فى الجزيرة تراقب الحالة بعين يقظة حتى تقف على المكان الذى يجب أن توجه إليه قواتها الرئيسية

وبديهى أنه حين يفرغ الحلفاء من هذا الركن فسيحاولون الزحف بقواتهم داخل الجزيرة للاستيلاء على المواقع الهامة التى تجعل خليج مسينا فى قبضتهم ، وذلك ليتسنى لهم عزل صقلية عن إيطاليا ووقف سيل الإمدادات التى يوالى المحور إرسالها ، وحينئذ يسهل السيطرة على باقى أجزاء الجزيرة الغربية

وتعتبر صقلية أول ثغرة يحاول الحلفاء فتحها فى القلعة الأوربية ، وستختبر على هذه الجزيرة قوة استحكامات أوربا الدفاعية ، فإذا نجح الحلفاء فى غزوها فسيتخذون منها نقطة للهجوم على إيطاليا نفسها ، كما أنها ستصبح أعظم قاعدة بحرية للأساطيل المتحالفة فى البحر الأبيض المتوسط

ويظهر للمتتبع لسير الأعمال الحربية أن الحلفاء يحتفظون بقوات احتياطية كبيرة فى شمال أفريقيا حيث تصل إمدادات متوالية من بريطانيا وأميركا

ويمكن التكهن بأن هذه القوات يحتفظ بها لغرضين : أولهما أن القيادة المتحالفة تعمل لمواجهة احتمال قيام المحور بحركة تركيز أو تطويق قد تؤدى إلى الإحداق بقواتهم ، فوجود هذا الاحتياطى يمكن الحلفاء من إفساد أية محاولة فى هذا الصدد

أما الغرض الثانى فينحصر فى الإبقاء على هذا الاحتياطى لاستخدامه فى مهاجمة جزيرتي سردينيا وكرسيكا اللتين سيكونان بلا شك الغرض التالي للحلفاء بعد صقلية ، إذ أن احتلال هاتين الجزيرتين لازم للهجوم المنتظر على ساحل فرنسا الجنوبى

وستؤدى الأعمال الحربية فى جزيرة صقلية والمحاولات التى سيقوم بها الحلفاء للسيطرة عليها وعلى غيرها من الجزر فى البحر الأبيض المتوسط إلى تطورات جديدة سيكون للقوات البحرية منها أوفر نصيب .

محمد شاهين الجوهرى
بكالوريوس صحافى

تينة الجبل!

للأستاذ أحمد الصافى النجفى

[... وهذه طرفة ثانية * من طرائف « الصافى » نقدمها للدكتور طه حسين بك . ولعل من الخير أن نذكر أن (الدكتور) ينكر على شعرائنا المحدثين فيما ينكر عليهم انعدام « الوحدة الفنية » فى أكثر منظوماتهم . ولقد فهمنا من محاوراته معنا أن من أظهر خصائص الشاعر الأصيل فى رأيه وضوح المثل الأعلى الذى يدور عليه فلك وحى الشاعر ، واستحضاره فى فترات الخلق والانتاج . وليس هنا محل مناقشة الدكتور فى هذا الرأى ؛ ولكنى أضع يده على هذه الطرفة البارعة التى تمثل مذهبه فى الشعر أصدق تمثيل

و (تينة الجبل) شجرة عجيبة شاذة معروفة فى سورية لا يطيب لها أن تنمو وتستطيل إلا فى جو قاس من العزلة والتوحد والانزواء ، فتراها بعيدة عن مجارى المياه العذبة والأعشاب الندية والطيور المغردة ، فهى تعيش دائماً فى صمت وسكون . ولكن أى فوز تناله يوم عرض الثمار ؟ هذا ما نترك الاجابة عنه لحضرات القراء وهم ينعمون بتلاوة هذه القصيدة الرمزية البارعة]

القدس — عبد القادر جنيدى

نبتتْ فى الجبال دَوحة تِينٍ ... وقفت مثل وقفة الجبار
أِلفتْ وحشة الدجى واستمرّتْ ... فى صراع مضنٍ مع الإعصار
فهى أخت الثلوج والأمطار ... وهى نبت الهَــواء والتزآر
وهى تحيا كراهب فى قفارٍ ... دون ديرٍ يضمه أو دار
وإذا ما هفتْ لنجوى سمير ... رنّ فى سمعها صدى الأدهار
أينما تلتفتْ فليس تلاقى ... من سمير لها سوى الأحجار
حرمتها يد الطبيعة حتى ... من غناء الحفيف فى الأسحار
لم تظلّل غصونُها ندماء ... لا ولم تُسقَ منهم بعقار
وهى لم تستمع لنجوى حبيـ ... ـبين وما أعلناه من أسرار
لا ولا أمّها هزارٌ يغنى ... فانتشى سمعها بشدْو الهزار
ما وعتْ حين أينعت للعصا ... فير سوى لحنْ نقرة المنقار
ما جاتْ جسمها ليوم ازدهاء ... أو رأت وجهها بنهر جار
فهى تبدو كأشعث ذى سفار ... وهى تحكى فلّاحة فى القفار
أنفت من تمايل واختيال ... وسمتْ عن تجمّل وازدهار
أصبحت لا ترى سوى البرّ حلياً ... لا ولم تشتمل بغير الوقار
إن تردّى دوح الرياض اخضراراً
فهى لا ترتدى بغــير الغبار
لم تفاخر بالمجد دوحاً ونالت ... قصب السبق يوم عرض الثمار
ولو انّى أتيت للدوح باسمٍ ... قلت هذى أميرة الأشجار
فهى بنت الجبال ذات وقار
وهى بنت الصخور ذات اصطبار
وهى تسعى للــبرّ دون ضجيج
وهى تعطى الخيرات دون افتخار
وهى طىُّ الخفاء تدأب كدْحاً ... مستمراً فى ليلهــا والنهار
تصهر الشمس رأسها كل صيف
وتلاقى الشـــتا بجسم عار
قــد تلقّت حوادث الدهر تترى
دون أن تشتكى من الأقدار
ما الذي ساقها لنفع البرايا ... دون ما دافع ولا إجبار
هم ذرُوها إن أطعمتْهم وإلا ... قطعوها فعذّبت فى النار
كم لها من يد علينا ولكن ... ما عليها يدٌ لغــير البارى
لم تزل تأكل التراب ولكن ... تطعم الخلق أطيب الأثمار
ليتنا مثلهــا فنعطى جنانا ... لا لنفع يُرجَى ولا استثمار
وأرانى كالدوح شأناً ولكن
ما جنَتْا دوحتى ســوى الأشعار
ولكلٍّ فى الكون شأنٌ به خُصّ
وخُصّ الفنــــاء بالأطيار

أحمد الصافى النجفى

(*) راجع عدد (الرسالة رقم ٥٢٣



الوشوشة والهينمة

الكاتب الباحث الأستاذ (سيد قطب) فى مقالته البليغة (النماذج البشرية المهموسة) حوّط (الوشوشة) - قد توسطت الهمس والتهويم - بالأقواس أو الأهلة - كأنهن تحويطة[1] - فإن كان قد جاء ذلك لفرط اهتمامه بهذه اللفظة فلا ملام ؛ وإن كانت الأقواس إعلاماً أن الوشوشة من العاميات لا من قبيل العربيات ولا من بنات المعجمات ففى (النهاية) فى حديث سجود السهود : « فلما انفتل توشوش القوم » وروى القول (اللسان) ؛ وفى (القاموس) : « توشوشوا تحركوا وهمس بعضهم إلى بعض » وفى مستدرك التاج : « الوشوشة الكلام المختلط ، وقيل : الخفى ، وقيل : الكلمة الخفية »

وجاء (التهويم) بعد الوشوشة ، والتهويم - كما قالوا - : أول النوم ، أو النوم الخفيف ، أو هز الرأس من النعاس . فهل المراد أحد هذه المعانى أو المقصود (الهينمة) أخت الهمس ؟

ناقد

إصلاح التعليم فى مصر

فى اليوم الذى أغادر فيه مصر إلى مدينة الخرطوم بالسودان مقر عملى رأيت أن أقدم تحيتى إلى الرسالة وصاحبها الجليل لما لها من أثر فى الثقافة العامة فى السودان ، ولما للمتأدبين وأهل العلم هناك من عناية فائقة بما تنشر الرسالة من بحوث قيمة وأدب بارع

وبينما كنت أقلب الأوراق استعداداً للسفر وقع نظرى على مقال فى مجلة (الإثنين) فى أواخر مايو الفائت لصاحب المعالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الأوقاف بعنوان (ثورة على المدرسة المصرية) كان قد نشره قديماً وقال : إنه لا يزال عند رأيه هذا . جاء فيه (والواقع أن موقف المدرس من الطلبة كوقف « سواقى الأنفار » سواء بسواء . يرى أنه أدى واجبه حينما يقطع مقداراً معيناً من الدروس لا حينما يلمح نجاحه فى تربية عدد من الطلبة وتهذيبهم ، فهو بذلك خدم الدروس ، ويستخدم الطلبة للدروس، ولكنه لا يخدم الطلبة)

وفى الليلة السابقة لكتابة هذه الكلمة خلوت إلى ولد من أولادى كان من تلاميذى فى الفرقة التى كنت أعلمها قبل سفرى إلى السودان فسألته أن يذكر لى بصراحة رأى طلبة الفرقة فى أبيه فقال :

كنت يا أبى توقظ أذهان الطلبة فى أول السنة الدراسية ، وتطيل المناقشة معهم، وتتوسع فى الأدب العربى ، وتكثر من تنبيههم إلى ما فى أبيات النصوص الأدبية من معان وأغراض ، فيشتغلون بدرسك ويقدرونه ، ولكن بعد أن مرت أشهر على ذلك أخذ الشك يساور نفوس الطلبة فى جدوى هذه الطريقة بالنسبة لضخامة المنهج الذى يجب أن يتم قبل نهاية السنة الدراسية بشهر على الأقل ، وكان من قولهم : يجب أن ننبه أستاذنا إلى ما فيه مصلحتنا بأن يقتصر على سرد ما فى الكتاب ، ويسألنا فيه فى اليوم التالى ، وهكذا دواليك حتى يتم المقرر فى حينه ونكون قد استوعبنا ما فى الكتاب ويكتب لنا النجاح فى الامتحان ، وأن نلفت نظره إلى أنه ليس الغرض من تعليمنا أن نكون أساتذة فى اللغة العربية . ولكن قبل أن تصل النصيحة إلى سمى قبلت التعليم فى السودان ، وكفى الله المؤمنين القتال

هذه صورة مصغرة لميول الطلبة نحو تثقيف عقولهم وبخاصة فى المدارس الثانوية ، فهل لى أن أرجو وزارة المعارف فى ضجة العلاوات والدرجات أن تجهز جيوشها السلمية لإصلاح التعليم ، وتبسيط مناهجه وتحديد الغرض منه ، وأن تغير النظم القديمة البالية فى إدارة المدرسة وواجب المعلم والناظر والمفتش على أساس تمكين الملكات وتهذيب الأخلاق وتربية النفوس على حب العلم والرجولة الحق فى الطلاب الذين تنشدهم مصر الحديثة ليستعدوا لحمل الأعباء المستقبلة . بل أقول إن ذوى المناصب الخطيرة فى وزارة المعارف يجب أن يخرجوا من حيز الأوامر والمنشورات والرأى الواحد المقلد إلى مصابيح تشع النور

(١) التحويطة اسم لما يعلق على الصبي لدفع العين

فى معاهد التعليم ، فكل هذه الجولة والصولة الغرض منها معلم يحسن أثره فى التلاميذ وأن يعالجوا الأمور فى جراءة وصدق وإخلاص وهم أهل لذلك

وألا يختبئوا دائماً وراء الوزير والمستشار ، فإن واجب وزارة المعارف غير واجب الوزارات الأخرى

وأذكر أن فى أدراج صاحب العزة الدكتور طه حسين بك مشروعاً شاملاً لإصلاح التعليم وبخاصة فى اللغة العربية أعدته لجنة برياسته منذ زمن وأرجو أن يبعث من مرقده والله الهادى إلى سواء السبيل .

حسنين حسن مخلوف

من رسائل الرافعي : الألفاظ بمعنى واحد فى القرآن .

معنى بيت للنابغة . قصة الجارية وعمر

أخذ ابن الأثير فى المثل السائر على الصابى — كما بينا — أنه رادف السجع فى المعنى الواحد ، وعد ذلك من عيوب البلاغة ؛ ولكنه لما سئل عن قول الله : « وكان رسولاً نبياً » والرسول لا يكون إلا نبياً ، رجع فقال : « إن إيراد لفظتين فى آخر إحدى الفقر بمعنى واحد لا بأس به لمكان طلب السجع » ولما كان بعض الذين يدافعون عن بلاغة القرآن يقولون إنه لا توجد فيه لفظة زائدة ، ولا كلمة جاءت بمعنى ما قبلها ، فقد سألت الرافعي رحمه الله — وهو صاحب إعجاز القرآن — أن يذكر رأيه فى هذا الأمر المهم

وسألته أن يبين معنى بيت النابغة :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

وكان حافظ إبراهيم قد ذكر فى عمريته قصة الجارية التى كانت تضرب الدف أمام النبي وأبى بكر بغير خوف ولا وجل . فلما جاء عمر ألقت دفها وجلست ، فقال له النبي : إن شيطانها قد فر منك يا عمر . وذلك حيث يقول فى هذه العمرية :

قد فر شيطانها لما رأى عمراً إن الشياطين تخشى بأس مخزيها

فسألت الرافعي عن هذه القصة التى تنبئ أن الشيطان يفر من عمر ولا يفر من النبي فتلقيت منه هذا الجواب :

طنطا فى ٢٠ فبراير سنة ١٩١٨

أيها الأخ

بعد السلام ، سرنى من كتابكم أنى أرى لكم شيئاً من التحقيق ودقة الفكر لم أكن أعهدها من قبل ، فإذا واصلت العمل والجد واستعملت ذهنك رجوت لك أكثر من هذا ورجوت لك مظهراً إن شاء الله

أما ذكر الرسول والنبي معاً فى الآيتين فأقرب ما يظن من الحكمة فى ذلك أنه تأكيد لشرف الموصوف واختصاص له بالذكر لصفات مميزة ، ولهذا جاءت العبارة معطوفة على صفة سابقة « وكان مخلصاً وكان رسولاً نبياً » . « كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً » . وقد كان يتوجه الانتقاد وحقيقته لو لم يكن هذا التنوين فى لفظ رسول ، ولكن التنوين أضعف معنى الكلمة . والمراد من السياق أن يكون المعنى قوياً بالغاً فى الوصف فوجب أن يُدلّ على كمال الموصوف بكمال المعنى ؛ وليس فى مذاهب التعبير عن هذا الكمال أدل ولا أبين من لفظ النبي فجاء به نكرة كذلك وترك العطف فيه ليعلم أن المقصود هو إتمام المعنى لأن لفظ الرسول متضمن معنى النبوة ، فذكر النبوة بعده على الوجه الذى فى الآية يدل على أن المراد التوكيد فى الصفة . ومن المعلوم أن التكرار يفيد التوكيد وله موضع معين فى البلاغة لو ترك فيها لخرجت العبارة ضعيفة أو ناقصة . لو كان لفظ الآية (وكان رسولاً من الرسل) أو (وكان الرسول النبي) أو (وكان رسولاً ونبيًّا) لسقطت العبارة عن درجة الإعجاز ، ولجاز انتقادها ؛ ولكن هذا التنوين فى هذا السياق هو الحكمة كلها . ولزيادة الإيضاح نضرب مثلاً : لو قلت عن رجل عظيم كالشيخ محمد عبده مثلاً إنه كان فاضلاً وكان فيلسوفاً فأى شيء يفيده هذا الوصف إلا أن الرجل كان كأحد الرجال الممتازين ؛ ولكن لو قلت كان فاضلاً وكان فيلسوفاً حكيماً شعر السامع فى نفسه وشعر القائل أيضاً أنه كان رجلاً ممتازاً كاملاً لأن العبارة جاءت من التكرار الذى فيها على وجه من الكمال يفيد التوكيد ، فكأن غيره من الفلاسفة يعبَّر عنه بلفظتين ، وأما هو فيعبر عنه بثلاث تصويراً لكماله فى نفسه وامتيازه عن سواه ، مع أن لفظ الفيلسوف يقتضى معنى الحكيم . ولا يمكن أن تكون لفظة النبي جاءت فى الآية

للسجع لأنها وإن وافقت ذلك ، ولكنها تكررت فى الآية الأخرى ومع ذلك لم يمها تكرارها لأن سياق الوصف اقتضاها ، وما اقتضاه السياق فهو طبيعى ، لأنه من بنية الكلام ، بخلاف ما إذا سجع الكاتب فجاء بكلمة لا يراد منها إلا السجع ، وبعد سطر أو سطرين كرر السجعة نفسها لغرض السجع أيضاً فإنها تجىء أبرد كلام وأسخفه . هذا ما يحضرنى وكنت راجعت أمس الكشاف للزمخشرى وتفسير الطبرى الكبير فلم أجد لأحدها كلاماً فى هذا المعنى ، وأظن أن الفخر الرازى ربما تكلم فيها ، وتفسيره عند فضيلة الوالد مع تفاسير أخرى كثيرة ، ولكنى لم أراجع لأن دماغى يتعب سريعاً ، ولأنى أرى أن ما ذكرته هو الحقيقة(1)

وأما بيت النابغة (ولست بمستبق أخاً الخ) فضبطه لا تلُمُّه . ومعناه أن الصاحب إذا تفرقت أخلاقه فجاء بالحسنة والسيئة ثم أردت ألا تلم أخلاقه على تفرقها وتجمعه كما هو بل ذهبت تنتقى الحسنة فقط فإنه لا يبقى لك لأن كل إنسان يأتى منه الخير والشر ، فلا بد من احتمال هذا وهذا من الصديق إذا أردت أن يبقى صديقاً

وأما العمرية فإن حافظاً نظم وتصرف فى عبارة التاريخ فجاء بعض كلامه موهماً معانى غير صحيحة . والقصة التى أشار إليها يمكن أن يؤخذ منها كما هى فى نظمه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمع الغناء ويشهد الرقص النسائى . وكان أضعف فى الدين من عمر ، وكان وكان الخ : ولكن القصة فى نفسها لا تفيد شيئاً من هذا كله . فالرواية أن جارية سوداء جاءت النبى صلى الله عليه وسلم لما انصرف من بعض مغازيه فقالت : إنى كنت نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف . قال : إن كنت نذرت فاضربى وإلا فلا . فجعلت تضرب ، ثم دخل أبو بكر ثم على ثم عثمان وهى تضرب . فلما دخل عمر ألقت الدف وجلست عليه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان ليخاف منك يا عمر . فلم يفر الشيطان ولكنه خاف أو كأنه خاف . ولا يخفى أن اللهو من الشيطان ؛ فهى عبارة مجازية . وأنت ترى أنها جارية سوداء ، وأنها لم تفعل شيئاً إلا الضرب بالدف . وكان هذا من عادات سائر العرب إذا انقلب أبطالهن من الغزو ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرخص للجارية إلا لتوفى نذرها لا غير . فأى شىء فى هذا كله ؟

وبالجملة فإن حافظاً إنما نظم تاريخاً موضوعاً وكان خليقاً به أن يضع تاريخاً جديداً كما يكتب رجل مثل كارليل فى كتاب الأبطال أو نحو ذلك

أما الكلام فى باقى القصيدة فليس من شأنى أن أخوض فيه . ولعل السيد البرقوقى يكفيك إذا وفى بما وعد قراءه والسلام عليكم ورحمة الله .

الداعى

مصطفى

محمود أبو ريه

(المنصورة)

(1) لعلنا نجد من أحد شيوخ الدين ما يزيدنا فى هذا الأمر العظيم بياناً . (أبو رية)

نقرة نحوية

جاء فى قصيدة الشاعر محمود حسن اسماعيل (قطرة دمع) المنشورة بالرسالة الغراء « العدد ٥٢٢ » هذا البيت

جئتُ أرثيك فما لى (ملجمٌ) تزهق الأنغام فى عودى إذا ما

مضبوطة فيه (ملجمٌ) بالرفع والمفهوم أنها وأمثالها فى هذا الموضع منصوبة على الحالية من الضمير المجرور باللام

يشهد لذلك قول فاطمة بنت طريف ترثى أخاها

أيا شجر الخابور مالك (مورقا) كأنك لم تجزع على ابن طريف !

وقول المرحوم حافظ ابراهيم وهو يرثى الإمام الأستاذ محمد عبده :

عليك سلام الله ، مالك (موحشاً)

عبوسَ المغانى مُقْفِر العرصات

وقد انتظرنا فى العدد التالى أن يصلح الشاعر هذا الضبط فلم يفعل فصار من حقنا أن ننبه على ذلك

(الاسكندرية) حسين محمود البشبيشى

تصويب

وقع خطأ مطبعى فى أحد أبيات قصيدة « اليتيم » ، للآنسة فدوى طوقان انكسر من أجله البيت وصوابه :

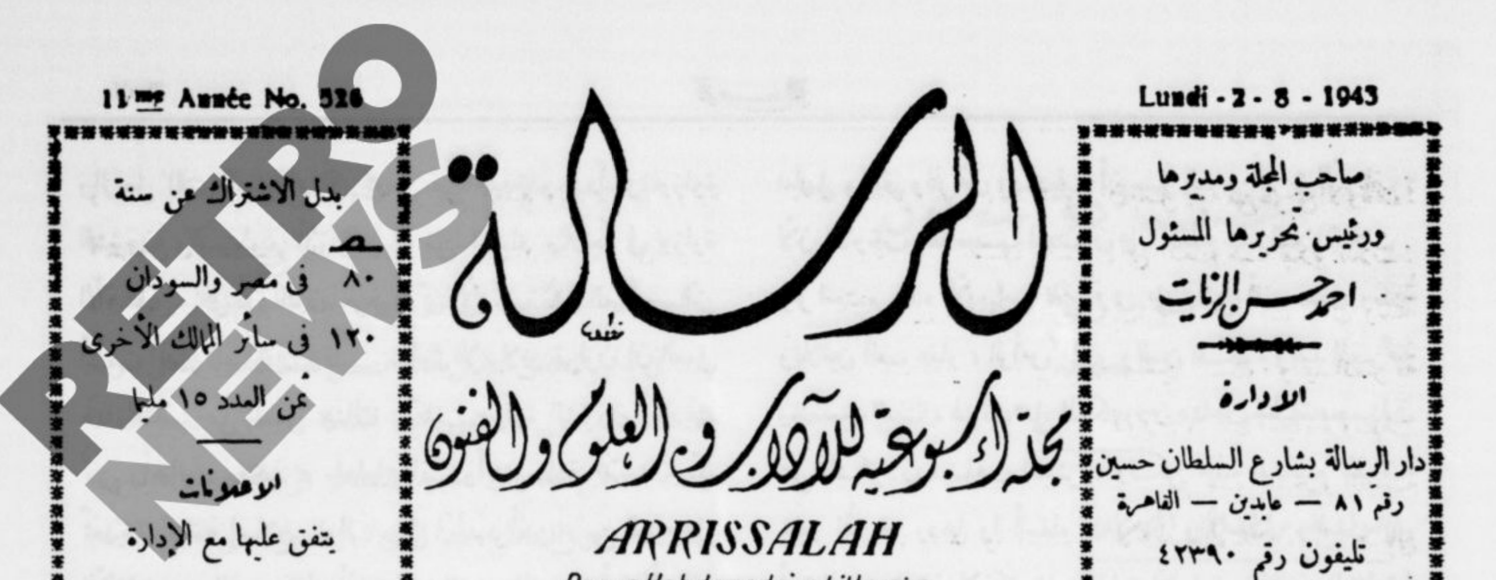
فنفضت عنها الثياب السود ، لا ،

لا تظنوا جرحها الدامى التأم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11me Année No. 526 — Lundi - 2 - 8 - 1943



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٢٦ «القاهرة في يوم الإثنين أول شعبان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢ أغسطس سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

وزارة الأوقاف الجديدة

أقول «الجديدة» وأنا أعلم أن بين هذه الصفة وبين وزارة الأوقاف نفوراً لا يزول إلا بمعجزة ! فهل تمّت المعجزة ؟ أم لا تزال الوزارة القديمة قائمة في مكانها الأثرى كالدير العتيق أو كالطلل الموحش تروع النفس القوية بمسالكها الضيقة المظلمة ، ومكاتبها الصامتة الرهيبة ، وأضابيرها المكتظة البالية ، فكأنما يجول الزائر فيها بين أجداث وأضرحة !

وليست الأضرحة بالكلمة الغريبة عن لغة الأوقاف ؛ فهناك الوقفيات بشروطها العجيبة ، والتصرفات بوجوهها المريبة ، والأنظمة التي تعقّد البسيط وتُعوّق السريع وتُصعّب السهل ! وهنالك القضايا التي تماطل الحق ، والشكاوى التي تنتظر العدالة ، والحقوق التي تنكر المستحقين ؛ وكلها راقدة في نواويسها الكرتونية رقود البِلى لا تسمع دعاء الناس ولا تحس مرور الزمن !

نعم لا تزال الأوقاف القديمة تمثالاً للصدقات الجاريات والصالحات الباقيات والبر بأسمى معانيه ؛ ولكن التمثال على كل حال تمثال . كل ما فيه معانٍ من الخير تنبِضُ من جسد أصم . أما وزارة الأوقاف الجديدة أو المرجوة فهي في درج الوزير المصلح عبد الحميد عبد الحق ؛ وأما المعجزة التي ستؤلف بين الجدّة والأوقاف فهي عزيمة الشاب العامل عبد الحميد عبد الحق !

والرجل الذى استطاع أن يجعل من العدم وجوداً فى وزارة الشؤون ، يستطيع أن يجعل من الفساد صلاحاً فى وزارة الأوقاف . على أن الذين يعرفون فى الأوقاف تلك الصخور التى أدْمت أيدى المصلحين وفلّت معاول الإصلاح يقولون إن العمل هنا يختلف عن العمل هناك . كانت وزارة الشؤون أحاديث مُنى وأساليب بلاغة ، فجعلها بثاقب رأيه وصادق عزمه حركة تجديد ونهضة إصلاح . والبناء على الجَدَد أسرع من البناء على الأنقاض ، والتعمير الحر أسهل من الترميم المقيد . أما الأوقاف فهي أحد القروح الثلاثة التى أعضلت الأُساة وظلت الدهر الطويل تمج الصديد وتوهم الجهلاء أنه من الدين . ولكن المحاكم الشرعية بسبيل النهوض ، والأزهر الشريف بسبيل اليقظة ، فلم يبق غير هذا القَرح مضمومَ الفم على فساد ونغَل . ولقد بلغ من سوء القيام على شؤون الأوقاف أنك لا تكاد تجد فى مصر كلها بائساً فى بيت كريم إلا من مستحق الأوقاف ، ولا خربة فى مكان (مُقْفِر) إلا من أملاك الأوقاف . وكان السفهاء من الأجانب يرجعون عيوب هذه المؤسسات الثلاث إلى طبيعة الإسلام وهو الذى نشر العلم ورقّاه ، ومدّن العالم وحرّره . ومن هنا عُنى أولياء الأمر فى الدين والدنيا بالنظر فى إصلاحها على هدى المدنية الحديثة لتتسق مع الأداة المصرية الأوربية فى الإدارة والتعليم والحكم . فدُرست العلل ، وكُتبت التقارير ، ووُضعت الخطط ، وجاء دور التنفيذ فجاء معه الهوى المستبد ، والطمع المتهالك ، والجهل المتنطع ، والتردد الخوار ، والمصانعة الحقيرة ؛ فانهزمت فكرة الإصلاح وعادت كما بدأت أحاديث فى المجالس ، ومقالات فى الصحف ، وتقارير فى الأدراج ! فماذا عسى أن يصنع هذا الوزير الفعّال وإن أول ما عليه أن يهدم المتصدع ويقطع المؤوف ، وربما اتسع الأمر على معوله ومبضعه فيستنفدان جهده ويستغرقان عهده . والهدم والقطع من وسائل الإصلاح لا من غاياته . على أننى شديد الثقة بكفاية هذا الرجل وإن كان الأمر كما ترى بلاء العقول الجبارة ومحنةَ النفوس الكبيرة . وفى يقينى أنه سيعمل لأنه يريد . وإرادته فى الأوقاف مطلقة على خلاف ما كانت فى (الشؤون) . وإن ما كان قد وجه إليه عزيمته من تحقيق الصلاح الاجتماعى بمجاهدة الجهل والفقر والمرض ، يستطيع أن يصل إليه من طريق الأوقاف ؛ لأن الأوقاف إنما حبسها المحسنون على كفاح هذه البلايا الثلاث . ولو اجتمع لهذه الأحباس التى تربى على مائتى ألف فدان وسبعة وثلاثين ألف عقار ، الرأسُ المدبر والعين الكلوء واليد المصرِّفة والضمير العف ، لهونت على المكدودين متاعب الحياة ، وسهلت على المنكودين مصاعب العيش . ولكن هذه الينابيع الفياضة بخير الله قد ردها وا أسفاه ! الإهمال والإخلال والعبث إلى أوشال من الرزق لا تكاد تفى بنفقات الإدارة وتكاليف الوزارة !

* * *

وزير الأوقاف القائم على شؤونها اليوم حقيق أن يكذب ظنون المتشائمين فى إصلاح هذه الوزارة . وإن فى ابتدائه بتنظيم الإدارة وإحياء الثقة واستثمار المتروك وتبسيط الإجراء وتعجيل التنفيذ لدليلاً على توخيه النجاح من أقرب طرقه . ولعل الأستاذ الوزير أول من أعلن أن لوزارة الأوقاف رسالة . ورسالتها كما جاء فى حديثه لممثلى الصحف أن تسير على هدى الروح التى تتجلى فى المدنية الإسلامية : مدنية العلم والخلق والتعاون ، فتهيئ للمساجد — وهى التى كانت فى صدر الإسلام مصدراً لكل ذلك — الوسائلَ الصحية والدينية والعلمية ، ليكون كل مسجد من مساجد الوزارة ، فى كل قرية من قرى مصر ، مؤسسة ثقافية تدبر الأبدان بالطب ، وتثقف الأذهان بالعلم ، وتطهر النفوس بالدين ، وتوثق الأواصر بين الناس بالمودة والمعونة . ووسيلتها رفع مكانة العاملين بالمساجد ليستطيعوا أداء هذه الرسالة ، وإنشاء قسم « الخدمة الاجتماعية بالمساجد » ليمهد لتنفيذ هذه السياسة . وسيجد الوزير العامل مع تراخى الزمن وتوفر المال أغراضاً شتى لرسالة الوزارة تجدد ببعض ما درس من رسالة الإسلام . وسيجعل (رجلُ الشؤون الاجتماعية) من الأوقاف بيتَ مالٍ لله يكون مثابةً للفقير ومَصحّةً للمريض ومدرسة للجاهل . وإن فى شتى الأغراض الخيرية التى قصدها الواقفون البررة متّجَماً لآمال الوزير . وإن فى ريع خمسين مليوناً من الجنيهات الموقوفة متّسعاً لأعمال البر . ولقد كتبنا من قبلُ فى وزارة الأوقاف القديمة ما أملاه الألم والشكوى ، فعسى أن نكتب فى وزارة الأوقاف الجديدة ما يمليه الأمل والثقة !

احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

تحول جديد في الجو المصري — بين الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا

تحول جديد في الجو المصري

أخذ الجو يتحول في الأعوام الأخيرة بأسلوب لم نعهده من قبل ، فقد صار شتاء مصر عنيفاً جداً ، وصار صيفها أعنف ، وأصبحنا نتذوق الطعوم المختلفة للحياة الجوية على نحو ما كان يتذوق الآباء والأجداد قبل أجيال

والمنتظَر أن يكون لهذا التحول الجديد في الجو المصري تأثيرٌ يزيد في قوة الحيوية وقوة الشعور بالوجود ، فقد كاد اعتدال الجو في مصر يخلق ألواناً من البلادة ، وكاد يضعف الإحساس بتغيّر الفصول

والمنتظر أيضاً أن يكون لهذا التحول فضلٌ في التشويق لمعرفة الأجواء المختلفة بالديار المصرية ، فسيصير من المألوف أن تكون لنا مواسم في الجنوب أيام الشتاء ، كما صارت لنا مواسم في الشمال أيام الصيف ، وسيكون من الحتم أن نعرف الأقصر وأسوان كما نعرف الإسكندرية ودمياط

والواقع أن إقبال المصريين على مصايفهم الجميلة ليس إلا وثبة جديدة في تذوق الحياة ، فما أعرف أن في الدنيا مصيفاً يُشبه مصيف الأسكندرية ، ولا أعرف أن في الدنيا بقعة يتجمهر فيها الجمال كما يتجمهر في ذلك المصيف . والذي يقدر على قضاء أيام بالإسكندرية أو بور سعيد أو دمياط ثم يبخل على نفسه بذلك النعيم فهو من أعيان السفهاء !

صار الاصطياف بحمد الله من صميم التقاليد المصرية ، وصار من منهاج الحياة في مصر أن يدّخر الناس ما يعين على الاصطياف ، ولم تعد الشواطيء مقصورة على من يعرف فضلها من الأجانب ، فقد أضحت ملاعب مصرية تحت سيطرة الشبان المصريين ، وصار من السهل أن ترى من كبار الرجال من يرتاد تلك الملاعب في الضحى والأصيل

هل شهدتم ملاعب التنس فوق الشواطيء ؟

إنها مواكب من الحياة البهيجة تتهادَى في كل صيف ، وتشهد بأن مصر مُقبلةٌ على فتوة مَرِحة سيزدهر بها الشعر والخيال

في هذه اللحظة صلصل الهتّاف من الأسكندرية يحمل صوت الأستاذ محمد علي حماد محرر مجلة الشعلة ، وهو يستعجل مقالاً وعدته به عن الديوان الجديد للشاعر علي محمود طه فابتسمت وقلت : وحيُ الشاطيء هو الذي أثار العطف على الملاح التائه ، لطَف الله به وهداه إلى شاطيء الأمان !

إن مصر ديارٌ بحرية ، ديارٌ تحيط بها البحار من أكثر الجوانب ، وتجري بها الأنهار في كل جانب ، ومع هذا تقلّ فيها الآداب البحرية والنهرية ، فما هذا الجمود !

إن أسلافنا عاشوا بأفضل مما نعيش ، فقد كانت في مدينة القاهرة مَشابه من مدينة البندقية ، يوم كانت القاهرة تماوج بين الخلجان ، ويوم كانت الملاهي بتلك الخلجان في أصائل الجُمَع والآحاد تزعج رجال الدين فيُفتون بأن النزهة في السفائن حرامٌ لا حلال !

كانت حياة أسلافنا شعراً في شعر ، وكان للنيل في حياتهم وجود ، ألم تسمعوا أنهم أحاطوه بطرائف من الأقاصيص ؟

ومع هذا رأينا من يقول بأن « عروس النيل » أسطورة خلقها العرب لا الفراعين ، وحجتهم أنها لم توجد في غير الكتب العربية . فإن صح ما قالوه فالعرب أبلغ في الشعر والذوق ، لأنهم تخيلوا النيل فتى لا يعيش بلا عروس ، وتلك وثبة من وثبات الخيال .

في القاهرة حيٌّ اسمه « بركة الرطلي » ، فما تلك البِركة في التاريخ ؟

نقل الدكتور عبد الوهاب عزام في « مجالس السلطان الغوري » أن وصلها بالخليج الحاكمي في أيام الفيضان كان يوجب إعداد عُرس تُزَفّ فيه نساء جميلات ، وأن السلطان الغوري قد استفتى الشيخ البلقيني فأفتى بأنها بدعة ، وكل بدعة ضلال[1]

ألا تكون عروس البِركة صورة جديدة من عروس النيل ؟

والشيخ البلقيني كان من ظرفاء المشايخ ، وهو الذي قال

(١) الخليج الحاكمي هو الخليج المصري ، والتسمية الثانية جديدة

بأن الميت يُسأل فى القبر باللغة السريانية لا العربية ، وفى هـذا قال أحد الناظمين :

ومن عجيب ما ترى العينانِ أن سؤال القبر بالسُّرياني
أفتى بهذا شيخُنا البُلقَـيْني ولم أرهْ لغـيرهِ بعَـيْني

وقبر البلقيني معروف بالقاهرة ، وهو قريب من قبر الشعرانى ، عليهما أطيب الرحمات !

قال الأستاذ حماد وقد راعه أن يعرف أنى أكتب مقالاً فى ظهيرة هذا اليوم القائظ : فى مثل هذه اللحظة تكتب ؟

فقلت لأنها أنسب اللحظات لموضوع هذا الحديث ، فما كان أدبى إلا صورة من شعورى بالوجود

قال : متى تزورنا فى الإسكندرية ؟

قلت : أنا أقضى فى الإسكندرية عشرة أيام من كل أسبوع

قال : ولا نراك ؟

قلت : وهل أزور الإسكندرية لأراك ؟

فى الإسكندرية ذخائر وجدانية يعرفها من يمشى على قدميه من محطة الرمل إلى المحطة الفلانية ، وفي صحبته الروح التى أوحت رسالة « غِناء وغَناء » ، وهل كانت « جِنِّية الشاطىء » إلا مصدر نعيمى وعذابى ؟

روّاد الإسكندرية غرباء ولست فيها بالغريب ، فلى هنالك تلك الروح

ومن بيّنات الحب أنْ كان أهلُها
أعزَّ على قلبى وعينىَّ من أهلى

روّاد الإسكندرية غرباء ، أما أنا فاسكندرية دارى ، بفضل تلك الروح

أيجوز الارتياب في القوة الربانية ، ومن إبداعها ذلك التمثال من الجمال ؟

تبارك مَن هـذا فنّه فى تحويل الأنوار إلى شُخوص تصافحها القلوب !

إن إبداع الشمس والقمر والنجوم لا يدل على قدرة الله بأقوى مما يدل عليها إبداعه الفائق لتلك الروح ، بذلك اللطف الوهّاج

هى آية من آيات الله ، آيةٌ أعظم من البحر ومن السماء ، وأنضر من جميع ما فى الوجود

أيكون الله أراد أن يجزينى جميلاً بجميل ؟

أيكون الله أراد أن يجمل ثوابى فى الثناء عليه بخلق تلك الشواطىء المِلاح ثواباً روحيًّا يمثّله تفردى بالسيطرة على ذلك الروح المليح ؟

مَن كان له فى الأسكندرية رمال وأمواج ، فلى فيها أرواح وأضواء

فى هالة ذلك القمر أجد مؤلفاتى ومقالاتى وأشعارى ، وأجد حول كل سطر شروحاً تفضح المكنون من أسرارى ، وأجد حول كل حرف نيرانا أرّثتها أشواق ، فأومن بأن لله فضلاً عظيما فى وصل روحى بتلك الروح

كان من حظ الشعر أن يكون لى فى الأسكندرية مكان ، وأين الشاعر الذى يستطيع الإجادة وهو لم ير الأسكندرية فى الصيف ؟

يا مدينة أحلامى ويادار هواى ، متى نلتقى ؟
وهل افترقنا حتى نفـكر فى التلاقى ؟
وهل فارقتنى تلك الروح حتى أفـكر فى اللقاء ؟
هى فى رحابى ولو مضيت لاستكشاف أقطار السماء

روح الشيخ رشيد

حوّل إلىّ سعادة الأستاذ مصطفى باشا عبد الرازق خطاباً وصل إليه من السيد عبد الرحمن عاصم بطرابلس الشام . وصاحب الخطاب يعترض على ما نشرناه من حديث دار بينى وبين الشيخ مصطفى حول تأثر الشيخ رشيد رضا بروح الشيخ محمد عبده ، وحول الدقة فى ترجمة الأستاذ الإمام ، رحمه الله

وأقول إن ما نقلته من حديث الشيخ مصطفى راعيت فيه الأمانة العلمية ، فلم أضف إليه أىّ حرف ، ولم أشُبْه بأى عدوان ، لأنى أعرف فضل السيد رشيد فى إحياء مآثر الشيخ محمد عبده ، ولأن هذا الرجل كان من أعزّ أصدقائى

إن لهذه المسألة وضعاً آخر ، وهو تحرى الصدق فى تقدير الرجال ، وما كان يجوز أن أطوى حديثاً للشيخ مصطفى يزن به الصلة بين روح الشيخ عبده وروح الشيخ رشيد ، مع العلم بأن الشيخ مصطفى حجة فى وزن هذين الرجلين ، لأنه تلميذ الأول

وزميل الثانى ، ولأنه معروف بكراهة التزيد على الناس

والذى عرفته وتحققته أن روح للشيخ رشيد شابته شوائب من العنف ، شوائب خلقها اتصاله بالمجتمع فى نواحيه الصواخب ، فلم تكن عنده تلك البشاشة الروحية التى اتصف بها الأستاذ الإمام فى جميع العهود

وإليكم النادرة الآتية :

قبل أن أكتب هـذه الكلمة رأيت أن أحادث جماعة من محبى الشيخ رشيد ، عسانى أعرف من أحواله فى التسامح الدينى ما لم أكن أعرف ، وكانت النتيجة أن يقول فلان وهو رجل حصيف : كيف يجوز لسعادة مصطفى باشا أن يرتاب فى تسامح الشيخ رشيد مع أن له حكاية تنقض ذلك الارتياب ؟

فما تلك الحكاية ؟

قال الأستاذ أسعد داغر للشيخ رشيد : أنا نصرانىّ يحترم الفضائل الإنسانية ويرى أن محمداً آية فى الكرامة الأخلاقية ، فكيف يجوز أن تُغلَق أبواب الجنة فى وجهى ؟

فأجاب السيد رشيد : ستدخل الجنة يا أسعد قبل كثيرمن فقهائنا

ذلك هو تسامح الشيخ رشيد فى نظر ذلك الرجل الحصيف . وأنا أرى فى هذا التسامح دليلاً على التحامل ، التحامل على الفقهاء ، وكانت بينهم وبين صاحب المنار ضغائن وحُقود

ولأجل أن نفهم هذه الحقيقة يجب أن نرجع إلى مقالين فى رثاء الشاعر عبد المحسن الكاظمى ، المقال الأول فى مجلة « الرسالة » بقلم الشيخ عبد القادر المغربى ، والمقال الثانى فى مجلة المنار بقلم صاحبه السيد رشيد

فى المقال الأول عطفٌ ورفق ، وفى المقال الثانى قسوةٌ وعنف ، فقد قال الشيخ رشيد فى الكاظمى كلمات لا تليق ، وسَلَّقه بقلم دُونَه بأس الحديد

أكانت إهانة الكاظمى بتلك الصورة فرضاً يوجبه التاريخ ؟ وما الذى يعكّر التاريخ الأدبى لو بقى الكاظمى كما صوره الشيخ عبد القادر المغربى ؟

الأمر كله يرجع إلى أن الشيخ رشيد عانى متاعب من معاصريه ، متاعب ثقيلة جداً ، فقد كان الناس يستكثرون عليه أن يتفرد بإعلان مآثر الشيخ محمد عبده والإفصاح عن آرائه الدينية والاجتماعية ، وكانوا يرون ظالمين أن الأمر لا يعدو المهارة فى الاستغلال

من خطاب السيد عبد الرحمن عاصم عرفت أن فضيلة الشيخ محمد شاكر كتب إلى الشيخ محمد عبده يدعوه إلى كف يده عن رعاية الشيخ رشيد ، وأن الأستاذ الإمام أجاب :

« كيف أرضى بإبعاد صاحب المنار عنى وهو ترجمان أفكارى ؟ »

وأنا أعرف الشيخ محمد شاكر جيداً ، فقد كان على جانب من العنف ، وكانت عداوته مُرة المذاق ، وكان يحارب خصومه فى الرأى محاربة المستميت ، فمن المؤكد أن خصومته تركت فى نفس الشيخ رشيد عقابيل

أما جواب محمد عبده فهو جواب محمد عبده ، جواب فلاّح مصرىّ شريف يؤازر أنصاره ولو تألبت عليهم الأرض والسماء

مضيتُ عصرَ يوم لتنسُّم الهواء بحديقة الجزيرة فوجدت الشيخ عبد الرحمن قراءة هناك ، وكانت الشيخوخة لا ترحم يديه من الارتعاش ، فدار بينى وبينه حديث وأحاديث ، وجاءت قصة الشيخ محمد عبده فقال :

— هل تعرف أن الشيخ عبده لم يُعزّ أحداً كما أعزّنى ؟

— وكيف ؟

— لأنى زُرته أيام اعتقاله بعد انهزام الثورة العرابية

— ولتلك الزيارة هذه القيمة ؟

— أنا وجهت إليه هذا السؤال فكان جوابه أن هذه التفاتة لا ينساها كرام الرجال

ماذا أُريد أن أقول ؟

زيارة عابرة للشيخ محمد عبده فى معتقَله تُقرّر فى نفسه هذا الحق ، فكيف يكون نصيب الشيخ رشيد من نفسه وهو يرفع العَلَم لآرائه فى كل مكان ؟

أترك هذا وأذكر أن قول الشيخ مصطفى بأن تاريخ الشيخ عبده لم يدوَّن على الوجه الصحيح ليس معناه اتهام الشيخ رشيد ، ولكن معناه أن تاريخ الشيخ عبده رُوعِيَتْ فى تدوينه أشياء من الاعتبارات السياسية ، وهى اعتبارات يراعيها أكثر الباحثين فى التاريخ الحديث ، وعلى الأستاذ مصطفى باشا أن يحررها بقلمه إن تناسى أنه من السياسيين !

أما قول السيد عاصم بأن السيد رشيد لم يجد مَن يترجم له بعد أن يموت فجوابه حاضر : ذلك بأن الشيخ رشيد رضا ترجم لنفسه بنفسه ، ولم يمت إلا بعد أن كتب سطور حياته فى صفحات الخلود .

زكى مبارك

٣ - المسرح المصرى

لغته وما ذا تكون ؟

للأستاذ درينى خشبة

الذين يزعمون أن اللغة العربية هى لغة أجنبية عن هذه البلاد هم قوم متعصبون يتجنَّوْن على الحقيقة كما يتجنَّون على أنفسهم، ويسيئون إلى الحقيقة بقدر ما يسيئون إلى بلادهم ... فلقد أثبتت اللغة العربية حيويتها وصلاحيتها لسكان وادى النيل فلم يمض قرن أو قرنان بعد فتح العرب مصر حتى كان المصريون جميعاً ... بمـا فيهم سكان الأديرة والواحات، يتكلمون اللغة العربية ويمجدون بطواعيتها، وقيامها بأغراض حياتهم قياماً كاملاً غير منقوص، فأنسوا لغتهم الأصلية وآثروا عليها تلك اللغة اللينة السهلة التى مرنت بهـا ألسنتهم فى غير مشقة، وأسلست لهم فى غير عسر ... ولتكن أسباب انتشار العربية فى مصر ما تكون، فما لا جدال فيه أن المصريين لم يرغموا على التكلم بها وأنهم لم يتعاظمهم أن يهجروا لغتهم إلى لغة الغزاة الفاتحين برغم ما فى هذا الترك من مرارة على أنفسهم، وبالرغم مما فى تعلم لغة جديدة من عَنَت وإرهاق

إن انتقال أمة بأكملها، بل أمم كثيرة، من لغة إلى لغة هو ضرب من السحر لا يفسره إلا امتياز اللغة الجديدة وتفردها بفضائل ليست للغة القديمة . وإذا احتج أحد بالعامل الدينى لم يستطع تعليل إبقاء الملايين من مسلمى الهند والترك وغيرهم على لغاتهم، ثم لم يستطع تعليل فناء اللغات القديمة فى العربية التى جذبت إليها الأقليات الدينية فعرّبوا كتبهم المقدسة وأغفلوا اللغات الأصلية التى كتبت بها مع ما يكنونه لأصول هذه الكتب من إعزاز وتقديس

هذه مقدمة أوشكت أن تغرينا بكسر الكلام على اللغة العربية وصرف النظر عن المسرح ... على أننا نعود فنتساءل : هل تصلح العربية أن تكون لغة للمسرح المصرى ... ولست أدرى لماذا لا نتساءل : هل تصلح اللغة العامية أن تكون لغة هذا المسرح ؟

أما السؤال الأول فله أعداء كثيرون قامت عداوتهم على روح شعوبية منكرة، كما قامت على كراهية للغة العربية التى هم ضعفاء فيها أغلب الأمر، والتى لا علم لهم بأسرارها ولا ذوق أصيل يغريهم بطلاوتها وحلاوتها، وكل أولئك الأعداء هم ممن شَدَوْا لغة أجنبية فتفقهوا وبرعوا فيها قبل أن يتاح لهم نصيب موفور من اللغة العربية . ومنشأ ذلك فساد نظام التعليم فى مصر ... ذلك النظام الذى أوهى من دعائم قوميتنا — ورمزها الأول اللغة — كما أوهى من عصبيتنا لكل ما هو مصرى ... فإن مصر توشك أن تكون الدولة الوحيدة — وربما يشبهها فى ذلك الشام — التى تسمح لعدد ضخم من أبنائها ممن يتعلمون بالمدارس الأجنبية أن يتعلموا جميع المواد التى تدرس فى هذه المعاهد بلغة غير لغة البلاد ... فالحساب والجغرافيا والتاريخ والعلوم والرسم والهندسة والأشغال وما إلى ذلك يدرس كله بلغة أجنبية وبواسطة معلمين من الأجانب ... وهكذا يفقد هذا العدد الجم من أبنائنا مصريتهم، وينسون لغتهم، لأنهم يذهبون إلى تلك المدارس وهم صغار لم يعدوا الرابعة أو الخامسة من عمرهم، أى فى السن التى يصلحون فيها للتكييف حسبما تشاء المدرسة وعلى الصورة التى تهوى سياستها وسبب إنشائها ... ولقد آن أن نفهم أن الاستمرار فى السماح لتلك المدارس بأن يظل منهاج الدراسة بها على هذا النحو هو أشنع ضرب من ضروب الخيانة الوطنية . ولا يقل عنه سماحنا لأبنائنا بالذهاب إلى تلك المدارس ... وهو هذا الجزء البغيض من تلك الخيانة الذى نصنعه بأيدينا . على أن الآباء الذين يدفعون بأبنائهم إلى تلك المدارس يدفعون اعتراض كل معترض بحجج لها وجاهتها أحياناً ... ولسنا نرى ما ذا يمنع وزارة المعارف من تدارك أوجه النقص التى تعتور نظام التعليم فى مدارسها حتى لا تنهض لأولئك الآباء حجة فى العدول بأبنائهم عن مدارسها ؟ على أن التفات المدارس الأجنبية إلى تعليم البنات وتطبيعهن على الطابع الأجنبى كان خليقاً أن يفتح أعين وزارة المعارف فتقاومه بفتح المدارس المصرية الراقية فى كل مدينة بها مدرسة أجنبية تغشاها الفتاة المصرية التى لا تجد مدرسة أخرى فى بلدتها لتتعلم بها ... والحق أنه لم يعد معنى مطلقاً أن توجه الدولة ٩٥ ٪ من اهتمامها إلى تعليم الذكور، ولا توجه إلى ما تبقى من تلك النسبة المئوية التافهة لتعليم الأناث . وسنظل فقراء فى قوميتنا، مدخولين فى مصريتنا، بائسين فى لغتنا، ما دامت الدولة تقصر هذا التقصير الشنيع

فى تعليم الفتاة المصرية ، صارفة معظم عنايتها إلى تعليم الذكور دون الأناث ، مع علمها بأن البنت هى التى تصنع الأمة ، وأن نصيبها فى ذلك هو أضعاف نصيب الذكر.

ونحن إنما نسوق هذا الكلام فى معرض الحديث عن لغة المسرح لما له من الصلة الوثيقة به . . . لأننا نتكلم باللغة العامية ونتعامل بها فى حين أننا نقرأ الكتب والصحف ونصغى إلى الراديو والخطب الضافية في المساجد والكنائس ، والمحاضرات الضافية فى النوادى ودور العلم ... ثم نحن نكتب فى مدارسنا وفى معاملاتنا ومراسلاتنا باللغة العربية الفصحى ، أو ما يقرب من اللغة العربية الفصحى ... وفى مصر اليوم أكثر من ثلثمائة جريدة ومجلة تصدر يومياً أو أسبوعياً أو كل شهر وكلها مدبجة بهذه اللغة العربية الفصحى ... ومن هذه الجرائد ما كان يصدر يومياً فى ست عشرة صفحة وفى ثمانى وأربعين صفحة محررة باللغة العربية الفصحى وندر ما كان يعثر القارئ فيها جميعاً بغلطة فى اللغة ... ومن مجلاتنا عدد لا بأس به يعنى بالأسلوب فلا يسمح بركاكة أو لحن أو إسفاف أو دنو من العامية حتى فى أبسط ألفاظها . . . فهل قال أحد إن أى مستمع من عامة الشعب ممن لا يتكلمون العربية الفصحى وممن لا يخطر لهم استعمالها على بال ، لا يفهم ما يصغى إليه من موضوعات تلك المجلات وتلك الصحف وما يستمع إليه فى خطب المساجد وعظات الكنائس ومحاضرات الوعاظ العامة وإرشادات الإذاعة وأغانيها المنظومة بالعربية من قصائد وموشحات ؟

الحق أن عامة المصريين ، بل عامة الأمم العربية ، تجيد فهم الأساليب العربية وتسيغها ... ولو لم تكن هذه العامة متعلمة ، ولو لم يكن لها بصر بطبيعة تراكيب تلك الأساليب ... ومادامت هذه العامة تفهم تلك الأساليب ولا تضيق بها ، بل هى تلتذها أحياناً وترددها فى أغانى كبار المطربين وفى أحاديث الرسول الكريم التي تحفظها عن ظهر قلب ، وفى آيات القرآن التى ترددها وتمزج بها حياتها فى صلواتها وأدعيتها ، وفى آيات الكتب المقدسة الأخرى . . . فليس من العسير أن تحاول الدولة التمهيد لإحلال العربية الفصحى محل هذه اللهجات الدارجة المتعددة ، وذلك بتعليم الفتاة المصرية وتنشئتها فى بيئة مدرسية عربية لا يؤذن فيها بتعلم لغة أجنبية حتى تبلغ الفتاة الثانية عشرة على الأقل ، وحتى تكون قد أنضجت فيها قوميتها المصرية التى نعتبر اللغة العربية أكرم مقوماتها . . . ونحن نلاحظ أن الطبقات المتعلمة فى مصر وفى الشرق العربى عامة ، أقل استعمالاً للهجات الدارجة من سائر طبقات الشعب غير المتعلمة . . . فمعظم طبقات المتعلمين فى مصر وفى الشام وفى العراق يداولون أحاديثهم بينهم باللغة العربية ، أو ما يقرب أن تكون لغة عربية خالصة ، اللهم إلا ما تقضى به العادة من استعمال العامية فى مجرى الحديث فى غير وعى ... فالتعليم إذن هو الوسيلة الوحيدة لإحلال العربية الفصحى محل العامية الدارجة . . . أما عنايتنا بتعليم الفتاة خاصة فذاك أنها هى التى تتولى تربيب أطفالنا فى سنيهم الأولى ، فهى كفيلة إذن أن تصقل ألسنتهم ، وأن تفهم عن المدرسة ما تهدف إليه من مطامح وأغراض ، فهى على مساعدتها أقدر من الأم الجاهلة المغرقة فى الأمية ، ومن الأم التى تعلمت فى مدرسة مصرية عرجاء ، أو فى مدرسة أجنبية تعنى أول ما تعنى بمحاربة القومية المصرية فى كل مشخصاتها وأهم تلك المشخصات اللغة التى لا تستحى بعض طبقاتنا الراقية ممن تعلموا — أو تعلمن — فى مدارس أجنبية من هجرها واحتقارها ومداولة الحديث بلغة أجنبية حيث لا يكون فى المجلس أجنبي واحد ... هذه كارثة اجتماعية ينبغى أن تعالجها الدولة بما يجب لها من جهد ... وليس على الأرض قاطبة لغة أشرف من لغتنا لو وجدت من يخدمها فى إخلاص ونصح . . .

وإلى أن يتم هذا الإصلاح ، وإلى أن تلتفت الدولة إلى خدمة اللغة العربية على النحو الذى تراه ، لا نرى مندوحة من الصراحة فى القول ونحن نتحدث عن لغة المسرح المصرى وما ينبغي لها أن تكون فى الوقت الحاضر ، من أن نوصى باللغة العامية خيراً فى هذا الحديث . . . فللغة العامية محاسنها التى لا تنكر ، ومن هذه المحاسن ما تتفرد به ، وما لا يؤديه شىء فى العربية الفصحى إلا حينما تفشو ، هذه العربية الفصحى ، بين الناس بحيث تختلط بدمائهم وألسنتهم كما تختلط العامية الآن ... وليس الخير الذى نريد أن نوصى به للغة العامية هو الخير المطلق الذى يجعلها لغة المسرح عندنا ... كلا ... وإلا كنا ندعو إلى شر لا إلى خير ، وإلى نكسة لا إلى نهضة ، فليست لغة غير اللغة العربية تصلح للمسرح المصرى خصوصاً فى الروايات المترجمة التى كان يقبل الجمهور عليها إقبالاً شديداً فى فجر نهضتنا المسرحية التى كان يضطلع بها الشيخ سلامة حجازى وجورج أبيض وعبد الرحمن

رشدى والشيخ أحمد الشامى وأحمد سماحة ، والتى ازدهرت أيما ازدهار فى السنوات الأولى من حيــاة مسرح رمسيس قبل الانشقاق المشئوم الذى مزق وحدة الممثلين المصريين البارزين والذى انتهى إلى تلك العواقب المحزنة التى لم يسلم منها إلى اليوم .

ولا يفوتنا أن نذكر الفرقة القومية بهذه المناسبة ... فلقد كانت اللغة العربية هى لغتها الرسمية ، وكان يرجى الخير كل الخير من هذه الفرقة العتيدة التى قضت عليها سياسة قصر النظر ... تلك السياسة المرتجلة التى كانت تريد أن تجعل من هذه الفرقة مشروعاً تجارياً فلم تعرف لها حقها الثقافى ، ولم تعرف لأبطالها مقدرتهم على الاضطلاع بالنهضة المسرحية وحسن استعدادهم لأداء مهمتهم فضربت بهم عرض الأفق ، وقبضت عنهم كفها ؛ مما نرجو أن نعرض له عند الكلام عن فرقنا التمثيلية ... ونأمل ألا يغضب كلامنا هذا أحداً من أبطال التمثيل فى مصر ، وألا يترك تناؤنا على زيد غضاضة فى نفس عمرو ... فقد آن أن يكون عمل الجميع خالصاً لخير المسرح

وقصار النظر هم الذين يزعمون أن تمسك المهيمنين على الفرقة القومية باللغة العربية هو الذى قضى عليها ... بل قضت عليها عوامل أخرى سنعرض لها فى حينها إن شاء الله ... فاللغة العربية يجب أن تكون اللغة السائدة فى جميع الروايات المترجمة . أما الروايات المصرية فمسألة فيها نظر ...

وإليك أيها القارئ بعض الأسئلة التى تتبادر إلى ذهنى وذهنك بهذه المناسبة :

هل يجوز أن يدير المعلم (فلان) الجزار أو البواب أو الخادم أو بائع القانق (السجق ولا مؤاخذة !) حديثه باللغة العربية فى زماننا الذى نحن فيه ؟

وهل نستطيع أن نخلق جواً كوميديا (هزلياً) باللغة العربية الفصحى دون أن تنتهى جهودنا إلى الغثاثة والسخف ؟

وهل نستطيع الاستغناء فى جميع رواياتنا الكوميدية عن لهجاتنا المضحكة المرحة من (صعيدى وشرقاوى وبربرى وشامى ومغربى ؟)

وهل نستطيع الاستغناء عن أمثالنا العامية الفياضة بالحكمة وعن نكاتنا القومية التى لا يعقل أن ترسل بغير اللغة العامية ؟

وهل نستطيع الاستغناء عن الفولكلور المصرى كله طفرة من غير أن نمنح أنفسنا مهلة ليكون لنا فولكلور آخر لا غنى لحياتنا الأهلية عنه ، إلى أن نستعرب تمام الاستعراب ؟

... ولنسأل أنفسنا هذا السؤال أيضاً :

هل فى أوروبا أمة استغنت تمام الاستغناء عن لغتها الدارجة فى مسرحها المحلى ؟

وأحسب أن الإجابة هى بالنفى القاطع عن كل الاسئلة الأولى ، ولعل السؤال الأخير فقط هو الذى يحتاج لإيضاح ...

ولا مراء فى أن چورج برنرد شو هو أعظم مسرحى عرفه العالم فى العصر الحديث ، وأكثر النقاد على أنه من أعظم مسرحيى التاريخ ، ثم هو رجل تدين له اللغة الإنجليزية بفضل كبير . وهو فى الوقت نفسه من أكبر كتابها حيث لا ينازعه المرتبة الأولى إلا واحد أو اثنان من أساطين كتابها ... وقد استطاع شو أن يجعل للغة الإنجليزية الفصحى معيناً لا ينضب من اللغة العامية ، وهو يعتبر هذه اللغة ضرورة لا غنى عنها للكمال المسرحى خصوصاً لشخصيات الرعاع والغوغاء التى يصرح أنه إن أنطقها بالإنجليزية الفصحى التى لا تعرفها ولم يسبق لها أن لهجت بها فإنه يجافى الواقع وينافر الطبع ويقلق الذوق المسرحى ، ولذلك تراه فى عدد كبير من رواياته ، خصوصاً فى ملاهيه المرحة ، يرسل حديث أحد أبطاله الرئيسيين بالعامية من أول الرواية إلى آخرها ، كما فى ملهاته كانديد Candida[1] حيث لا يتكلم برجس Burgrss إلا بالعامية ؛ وكما فى روايته : Captain Brassbound Conversion[2] (هداية الكپتن براسبوند) ، حيث لا يتكلم البطل درنكووتر Drinkwater إلا العامية كذلك . ولو أردنا ضرب الأمثال من روايات كتاب آخرين يرتفعون إلى مستوى شو لما أعوزنا ذلك . على أن الكاتب الإنجليزى سويفت كان أول من تولاه القلق على ضياع العامية

---

(١) مجموعة الـ Pleasant Plays

(٢) مجموعة الـ Four Plays for Purtans

حول الأدب المهموس

غلطة الآلهـــة !

وشتائم الاستاذ مندور

للأستاذ سيد قطب

شاء الأستاذ مندور أن ينقلنا من الجو الأدبي الذى كنا نعيش فيه ، ومن اللغة الأدبية التى كنا نتجادل بها ، إلى جو آخر كريه ، وإلى لغة أخرى هابطة ، يبدو أنه يهرب إليهما كلما أحرج فى جدل أدبى لا يملك أدواته

ولقد تحدث إلىّ بعض الأدباء مستائين لانحدار أسلوب الجدل الأدبى إلى هذا المستوى الهابط ، فأحب أن أعتذر عندهم للأستاذ مندور :

الرجل ذو حساسية مريضة فى ناحية خاصة ، ولم أكن فى أول الأمر أعلم موضع هذه الحساسية ، وإن كان حدسى قد هدانى إلى شىء منها وأنا أتتبع ميله إلى « الحنية » فى الأدب ، وطريقته فى المناقشة .

فالأستاذ مندور معذور إذن إذا خرج عن طوقه ، ومعذور إذا لم يملك قلمه عن هذا الانحدار إلى شتائم شخصية لا يعسر على أى مخلوق أن ينحدر إليها ، وإن كان يعسر على بعض الخاليق أن يرتفعوا عنها لسبب من الأسباب

على أن الخرافة اليونانية التى ساقها الأستاذ مندور فى العدد الأخير عن خلق الرجل وخلق المرأة تكفى وحدها لحل عقدة الخلاف بينى وبينه فى فهم الأدب ودراسة الشخصيات . فيبدو أن هؤلاء الآلهة اللاعبين يزيدون فى نسب المزج والتركيب وينقصون فى كثير من الأحوال . ويبدو أن نسبة المزج فى الأستاذ مندور تختلف اختلافاً بيناً عن مثيلها فى رجال أمثال العقاد وسيد قطب ، فطبيعى إذن أن تختلف الأمزجة والأحكام بنسبة هذا الاختلاف !

والغلطة — كما ترى — ليست غلطة الأستاذ مندور ، إنما هى غلطة أولئك الآلهة اللاعبين !

***

وقد اختار الأستاذ الفاضل فى رده علىّ طريقة « اللاوعة والمكايدة » ، ففهم أنه « يغيظنى » إذا راح يتحدث عنى كتلميذ للعقاد ، ويصغر من شأنى فى أعين القراء . فأحب أن أقول له : إننى لسوء الحظ ـ لا أفهم الأشياء على النحو الذي يفهمه ، لأن الآلهة فيما يبدو لم تودع تركيبي تلك النسبة الكبيرة من الجنس الآخر ! فليس أحب إلى من أن أكون تلميذاً ناجحاً فى مدرسة العقاد

وإننى لأؤكد للسيد مندور أن العقاد لو كان بين أساتذته هو أولئك الذين منحوه الدكتوراه أخيراً ، فصيروه دكتوراً (فى الأدب على ما أظن) لكان خيراً مما هو الآن

الإنجليزية ، ولذلك أنشأ مجموعته الفاخرة منها ، والتي تعد اليوم معيناً لا ينضب لإمداد الإنجليزية الفصحى بما تفتقر إليه من ألفاظ قد لا تستطيع نحتها فتفضل استعمال المرادف العامى من أن تأخذ عن اللغات الأجنبية مع أنها لا تأبى أن تصنع ذلك . والحقيقة أننا نغلو غلواً لا معنى له فى استهجان لغتنا العامية واستقباح استعمالها مع أنها كنز لم نعرف قيمته بعد نستطيع أن نسعف منه العربية الفصحى بما لم تسعفه به بداوتها الأولى التى حرمتها من كثير من مقومات الحضارة

وقصارى القول فيما ينبغى أن تكون عليه لغة المسرح المصرى هو وجوب استعمال العربية الفصحى استعمالاً مطلقاً فى الروايات المترجمة ، واستبقاء اللغة العامية لبعض شخصيات الملاهى ليمكن خلق الجو الكوميدى المرح ، كما يجب استبقاء اللهجات العربية الفكهة التى أشرنا إلى بعضها فى مجرى الحديث لتساعد فى خلق هذا الجو ... وإن كان رأينا هو أن تقوم الملهاة على موضوعها لا على نكاتها وشتائمها ولهجاتها كما هو شائع عندنا اليوم .

دريني خشبة

(يتبع)

وفود العرب على كسرى

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

وجّه إلىّ أستاذنا الجليل « ن » كلمة طيبة تحت هـذا العنوان بشأن ما نشرته فى « الرسالة » فى موضوع « الخطابة بين الحرب والسياسة »

وما بال السيد الجليل « ن » يخفى عنا اسمه ، وقد دلّت عليه عبارته وأشارت إليه مقالته ، كما يدل فتيق المسك على المسك ، ونضح بالأدب اللباب أناؤه كما ينضح الإناء بما فيه . وقلنا ونحن نقرأ مقاله ونتذوق بيانه : هذه نفحة من شيخ أدباء الجارة الشرقية والشقيقة العربية ؛ طالعتنا بها على بُعد أمد ، وطول عهد ، والتزام صمت ؛ فوردت تُمازجُ الروحَ لطافة ، وتجرى مع النَّفس رقة

* * *

يتهمنى الأستاذ الجليل أننى قدّرت فى نفسى صحة حكاية وفود العرب على كسرى ، وهى تهمة يشرفنى أن أكون بها مقترفاً ، ولها مكتسباً ؛ فقد أوردت قصة الوفود فى مقام يقتضيها وسياق يستدعيها ، ولم أتعرض لها من حيث صحة الوقوع وصدق الرواية ؛ فذلك لم يكن سبيلى فى المقال ؛ ولكننى سقتها — على علاتها — كما ساقها صاحب العقد الفريد فى أول الجزء الثانى من كتابه .

وكان غايتى من سوْق خُطب الوفود فى مقالى بالرسالة أن أستشهد على حـذق بعض الخطباء وحضور بداهتهم وسرعة خواطرهم فى المقامات الضيقة التى يفرّجونها ببيان ولسان وجدل ، فلم أجد أحسن فى الاستشهاد ولا أطوع فى الانقياد من خطب وفود العرب على كسرى

وابن عبد ربه نفسه الذى نقل أخبار هـذه الوفود يمهد لها فى أول كتاب الجانة بقوله : « ... فإنها مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها الكلام ، وتستهذب الألفاظ ، وتستجزل المعانى . ولا بد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذى عن قوته ينزعون وعن رأيه يصدرون » . وهذا كلام من ابن عبد ربه له خبيء ... معناه أنه مُقرٌّ بصحة ما ينقله ، وأن هذه الوفود الوافدة على ملك الفرس لم تكن خبراً مصنوعاً ولا حديثاً موضوعاً . وأن غيرها من أخبار الوفود صحيح فى اعتبار المؤلف ،

بكثير ، ولما وقف تلك الوقفة النبية البليدة أمام مقطوعة (الكون جميل)

ولاستطاع أن يدرك كما يدرك أصغر تلاميذ العقاد أن الشاعر الكبير حين قال :

قل ولا تحفل بشىء إنما الكون جميل

كان يستعرض فى لمحة من لمحات الحس . . . كل ما يعترض الفرد ويعترض الإنسانية من هموم وأشجان فى هذا الكون ، وكل ما ترى به الحياة من تهم وشكايات ، وكل ما تذخره الدنيا من آلام وأشواك ؛ ويقابل هذا كله بذلك الجمال الكونى الفتان ، فيقولها قولة الصوفى العابد لهذا الجمال :

قل ولا تحفل بشىء إنما الكون جميل

قلها على الرغم من كل شىء ، فإن للكون شفاعة حاضرة من هذا الجمال ، بل إن الكون لجميل على وجه القصر والتوكيد لا يغض من صنعته هذه شىء من تلك الأشياء

وهذا هو الذى يقف أمامه « الدكتور مندور » يقول فى غير استحياء :

« هذه جملة مبتذلة لأنك تتساءل عن سر هذا القصر وذلك التأكيد فلا تهتدى إلى شىء »

وبعد فلا حديث لى بعد الآن مع ضحية الآلهة اليونان

(حلوان) سيد قطب

وخاصة بعد قوله فى التمهيد المشار إليه : « وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدى . . . ملك جبار فى رغبة أو رهبة ، فهو يوطد لقدمه مرة ، ويتحفظ من أمامه أخرى ، أتراه مدخراً نتيجة من نتائج الحكمة ، أو مستبقياً غريبة من غرائب الفطنة ؟ »

ويقول الأستاذ الجليل « ن » ناقلاً كلاماً له فى موضوع الوفود على كسرى : « ولن يجوّز العقل أن يقعد ابن الأكاسرة لاستماع ثرثرة كل مهذار نفّاج ، ويفرغ لشهود مجرفة المتجرف وعنجهيته » . وأقول إن الأستاذ العربى الجليل قد رمى العرب فى هذه القالة بما لم يرمهم به أعداؤهم ، فكيف يفوت ذلك على فطنة أستاذنا وهو يعلم أنه إذا رمَى فسيصيبه سهمه ، وأنه — أعزّه الله وشرّفه — من غزيّةَ ... إن غوَتْ غوَى . . . وإن ترْشُدْ غُزيّةُ يرْشُدْ ... !

لقد كان النعمان من ملوك الحيرة ، ولهم الملك المؤثل كما كان الغساسنة فى الشام . وهذا كلام لا يغيب عن علم الأستاذ الجليل ولا يندُّ عن أبسط معارفه ، كما لا يغيب عنه شعر حسان ابن ثابت — فى الجاهلية — فى مدح الغساسنة ووصف بياض وجوههم ، وكرم أحسابهم ، وشمم أنوفهم ، وأولية طرازهم ... فهل يقل المناذرة عن الغساسنة شيئاً من مكارم العرب واعتدادهم بأنفسهم فى ساعة يحسّون فيها انتقاص منتقص ، أو اعتداء معتد مهما كان شأنه ؟

وما الذى يمنع من وفود النعمان على كسرى وهو تابع له وفى ظل حمايته ؟ لا شيء يمنع عقلاً من حدوث الوفادة . ونحن نرى فى زماننا هذا الأمم المحمية ، يفد مندوبوها على الأمم الحامية القوية ... ويجلسون حول الأنضاد الكبيرة ، والموائد المستديرة !

فهل تعدم هذه الأمم المحمية اليوم رجلاً من أعز رجالاتها ؛ أو بضعة من أصدق ألسنتها يقولون ما يعتقدون ، ويدفعون عن أممهم وأوطانهم بحسن البيان ، ما لا يستطيعون دفعه بالسنان ؟

اللهم إن هذا يحدث اليوم تحت سمعنا وأبصارنا ، والأستاذ « ن » شاهد به غير منكر له ؛ وعنده من شعر صديقه شوقى وحافظ فى هذه الوفود الحديثة والموائد الخُضر نبأ يقين ...

فلماذا ينكر هذا القلب العربى المتوثب — قلب أستاذنا الجليل ن — على النعمانَ بن المنذر وأكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة والحارث بن عباد وقيس بن مسعود والحارث بن ظالم وغيرهم من سادات تميم ، وأشراف بكر ، وغطاريف عامر ، وجحاجحة زبيد — كيف ينكر عليهم أن يقولوا فى سبيل العروبة كلمةً يعتقدون حقيقتها ويؤمنون بصدقها ، إعانهم بالمصطحبات من لصاف وثبرة يزرن ألالاً ويتدافعن فى سيرهن ...؟

يقول الأستاذ الجليل « ن » (كلام الذين أوفدهم ابن ماء السماء إلى سلطان فارس مزور مختلق لم يقله النعمان ولا جماعته ولن يستجرئوا على مثله)

ونحن نقول إن العربى لا يستجرىء على إعلان حميته وإبائه إلا لما أودع الله فيه من صفات الأنفة المعززة والكبرياء الرفيعة ؛ حتى ولو كان فى الأطمار والأسمال خاوى البطن عارى الشوى والمنكبين من الطوى ... وهو على عنجهيته ولوثته بصير بمواطن الكلام ، عليم بمرامي السهام ...

وإنى على ما كان من عنجهيتى ولوثة أعرابيتى لأديب

وقد انتقى النعمان لوفد كسرى جماعة وزنهم بميزانه ، وأنزلهم أقدارهم التى يعرفها عنهم ؛ وتوسم فيهم — لطول معرفة ، أو حسن سماع ، أو صدق جوار — حسن الجواب ولطف المخرج من مضايق الكلام . ولم يخترهم من أهل الغفلة والبله ، والسرعة والحمق ؛ وتلك حسنة أخرى من حسنات النعمان ، وفضيلة من فضائله ؛ فهو هنا محسن يحسن اختيار الرجال ، ويتنخّلُ أعضاء الوفود الذين يصح أن توكل إليهم المهمات وتاق عليهم التبعات ...

إذا كنت فى حاجة مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصه

وفعلاً وحقاً وصدقاً ، لم يَكْذب النعمانُ قولَ الشاعر الإسلامي فأرسل مع الوفد حكيماً عربياً عُرفَ بالقصد فى الكلام واشتهر بالقولة السائرة والحكمة المرسلة ، وهو أكثم بن صيفى ، فلم يَعْدُ أن يكون حكيماً فى مقام المفاخرة . وتلك لطيفة من لطائف وفود العرب على كسرى ؛ فقد كانوا يستطيعون أن يكونوا كلهم أبواقاً — أو بوقات — يضربون على فضائلهم ، ويغنون على « ليلياتهم » ... ولكنهم قسّموا العمل ، ووزعوا الخطة وأحكموا الطريقة فى هذا المؤتمر الذى يشبه مؤتمر « كذا » فى بلاد « كذا » فى عصرنا الحديث ...

فأكثم بن صيفى حكيم ينطق بقدر ، ويزن الكلام إذا

نطق ، فليس ثرثارة يخطب ، ولا مهذاراً يُكثر ؛ بل يرسل الحكمة تلو الحكمة ، والكلمة الصادقة أثر الكلمة ، ويوجه الكلام — على حد البلاغيين — فيأخذ منه كسرى ما يأخذ لنفسه ويدع ما يدع . والحكيم في ذلك لم يُغلظ في قول ، ولم يعنف في كلام ، ولم يجهل أقدار الملوك ، ولم يخرج عن جادة الاعتدال . فكيف يقال بعد ذلك إن خطباء هذه الوفود لن يستجرئوا على مثل ما نُسب إليهم من الكلام ؟

ويقوم عمرو بن الشريد السلمي فيفتخر في إيجاز ؛ ويهدد في إعجاز . أما افتخاره فما كان فيه غالياً ولا مبالغاً ولا نفّاجاً ولا كذاباً ولا مسخطاً لكسرى ولا متنقصاً للفرس ؛ فهو يقول عن العرب بارك الله فيهم : (إن في أموالنا مرتفداً ؛ وعلى عزنا معتمداً ، إن أوْرَينا ناراً أثقبنا ، وإن أودَ دهر بنا اعتدلنا . ألا إننا مع هذا لجوارك حافظون ، ولمن رامك مكافحون) . لا فُضّ فوك يا ابن الشريد ! فما عدوتَ الصدق في كلامك ، ولا جاوزت الحد في افتخارك . فهو يعلن هنا في كلمته الموجزة ميثاق الصداقة مع حليفته الكبرى ... وهذا كلام لا يؤلم الحلفاء ؛ ولا يوجع الأصدقاء وترجمته في لغة السياسة الدولية الآن أنه إذا اعتُدى على بلاد الفرس فإن الأمة العربية الحليفة ملزمة بتقديم المعونة لها من المال والعتاد والرجال ...

فأين موضع الجرأة أو الكذب أو المغالاة أيها الأستاذ الجليل ، في هذا الكلام الوفيّ الجميل ؟

***

بقي أن ذكرتَ أيها السيد العربي الكريم في تساؤلك أن صانع خبر الوفود أو صائغه أو مختلقه أو مزوره هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي . فقد ذكر ياقوت الرومي أن من تصانيف الزبير هذا كتاب (وفود النعمان على كسرى)

وأقول أنا : إن ياقوت الرومي ذكر ما ذكر نقلاً عن ابن النديم صاحب الفهرست الذي عاش قبله بقرابة قرنين من الزمان . ووصفه ابن النديم بقوله : كان شاعراً ، صدوقاً ، راوية ، نبيل القدر . فكيف يجوز لمن هذه أوصافه أن يضع الحديث الأدبي ويختلق الأخبار ؟ وقد كان الزبير قاضياً على مكة وتوفي وهو قاض عليها . فكيف صح في القضاء رجل يتهمه أستاذنا الجليل اليوم بالوضع والاختلاق

وما حاجة الأستاذ الجليل أن يبني كلامه في اتهام الزبير بكار على الظن والفروض ما دام كتابه في وفود النعمان على كسرى لم يصل إلينا

وفوق ذلك أن الزبير بن بكار عاش في القرن الثالث الهجري ومات سنة ٢٥٦هـ وفق رواية ابن النديم . فهو متأخر عن ابن القطامي والكلبي اللذين نقل عنهما ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد حكاية الوفود على كسرى . فإذا كان هناك وضع في هذه الحكاية فأولى به أن يكون صاحبه ابن القطامي أو الكلبي وهما من رواة القرن الثاني الهجري . أما الكلبي — سواء أكان محمداً الكلبي أم ابنه هشاماً الكلبي — فلم يشتهر عنهما وضع وشهد لهما الأوائل بتقدمهما في علم الأنساب

أما ابن القطامي فقد اشتهر عنه الكذب المقصود والاختلاق المعمود إليه ؛ مع غفلة وبلاهة وضعف في الحكم وسقم في الفهم وسرعة تصديق لما يسمع من غير تدبر وتفهم . ويحكون عنه في ذلك حكاية في الفهرست لابن النديم . ويجوز أن يكون هو الذي وضع أوصاغ حكاية وفود العرب على كسرى إن كان لا بد في هذه الحكاية من وضع

أما رأيي أنا ... فحكاية الوفود صحيحة وليس فيها محل للانكار والاستنكار ، وهي جائزة الحدوث علماً وعقلاً ، فهي تتفق مع صراحة العرب وإبائهم وحسن قيامهم في المواقف الضيقة وصدق حكمتهم ، والوفاء لأحلافهم ؛ ولو أن فيها بعضاً من زخرفة الرواة وتزيّد أهل الأخبار .

محمد عبد الغني حسن

فى الشعر المهموس

للأستاذ حسين الظريفى

ليس من البحث فى شيء أن نتناول الظاهرة فى العلم أو فى الأدب أو فى الاجتماع، ونغفل المصدر الذى انبعث عنه. كشأن الحديث الذى دار وما يزال دائراً على الشعر المهموس فى (الرسالة) و (الثقافة) دون أن يصل الناقد والمنقود إلى نقطة اتصال، يتم فيها بينهما التفاهم على ما اختلفا فيه ولا يزالان على خلاف

ولو أن كلا منهما اتجه بالبحث إلى تعيين مصدر هذا الشعر فى أدب المهجر، لضاقت بينهما شقة الخلاف، ولقاما بتعليل جروح كثيرة. وما كان القول بتخلف الشعر فى مصر، أو بنفى هذا التخلف، إلا علة السير على الهامش وترك الصميم. وهذا ما رغبنى فى أن أقول كلمتى لإملاء فراغ الموضوع

والواقع أن لشعر المهجر طابعاً خاصاً يعرف به. لا من حيث مبانيه ومعانيه فحسب، ولكن من حيثية أخرى، هى ذلك الإيقاع الذى يقرع به الأسماع، أو مدى ذبذبته على حد التعبير العلمى. وهذا ما يحمل على استصواب تسمية هذا الشعر بالشعر المهموس، وتخطئة نعته بشعر الحنين. لأن هذه التسمية الأخيرة ترتكن إلى انفعال الشاعر بينما تعتمد التسمية الأولى على النزعة الشعرية العامة فى قطر بعينه. فالوضوع يدور على هذه الظاهرة العامة فى شعر المهجر، تاركا وراءه البحث عن كل انفعال خاص ـ كالحنين ـ لا يقوم إلا إذا قام الباعث عليه. وما يظهر إلا لحاجة ثم يختفى

وأنا أرد نزعة الهمس هذه إلى شعر الشقيقة سورية؛ لأنها هى الأخرى تتميز بهذا الضرب من الشعر، وإن كانت تسير فيه خلف الشعر فى المهجر. ويظهر أن شعراء الشقيقة وجدوا فى العالم الجديد ما غذا فيهم نزعة الهمس هذه، فإذا هى علامته الفارقة فى الشعر على اختلاف أغراضه وفنونه

ونحن نجد ظاهرة الهمس فى النثر إلى جانب ظهورها فى الشعر، ثم نجدها فى فنون الغناء السورى، كما نجدها فى لهجة التخاطب. فالقوة الموسيقية فى الإعراب عن الخواطر والانفعالات؛ وأعنى بها ما اصطلحنا عليه بكلمة (الهمس) لا تكاد تختلف فى ضروب هذه الأساليب البيانية من شعر ونثر وغناء وتخاطب

وقد أطلت التفكير فى مصدر هذه الطاقة الموسيقية فلم أجده إلا فى طبيعة البلاد السورية، فإنها هى المصدر الذى صدرت عنه هذه الظاهرة وانسجمت على كافة طرق التعبير. لقد فعلت طبيعة البلاد فعلها الخاص فى أعصاب هؤلاء الشعراء وتسربت منها إلى فنون القول موزونا وغير موزون

يقابل ذلك ما ينتج من العراق من شعر ونثر، وما يألف من ضروب الغناء؛ فإنه يقف فى الطرف الثانى من المحور، حيث يقف على طرفه الآخر أدب المهجر. إن الأدب فى العراق كالغناء فيه، يعتمد فى إيصال الشعور على قوة اللهجة؛ فإذا كان أدب المهجر يمس شعور القارىء أو السامع برفق ولين، فإن أدب العراق لا يمسه إلا بشدة. ويقف بين هذين أدب مصر، فلا هو بالضعيف ولا بالعنيف

ولا محل للقول بتخلف الشعر فى مصر لأن رنة الإيقاع فيه غير هادئة؛ فالشعر لا يقاس بهذا المعيار، وإنما ينظر فى مدى ارتقائه على أنه أسلوب بيان ومجموعة خواطر. أما قوة اللهجة فيه فإنها مظهر الحالة العصبية التى كان عليها الشاعر عند بنائه بيوت الشعر. وليست هذه الحالة بجزء من الشعر لتكون جزءاً مما يقاس به مدى ارتقائه وطول بقائه، ويحكم له أو عليه

وقد نرى الهمس والجرس فى بعض قصائد الشاعر فلا يصطبغ شعره بهذا اللون، لأنه وليد حالة روحية خاصة تأتلف وطبيعة الموضوع المقول فيه. ومركز الثقل فيما دار ويدور عليه الحديث على لسان الرسالة وزميلتها الثقافة، هو ندرة ما فى مصر من هذا الشعر وكثرة ما فى أدب المهجر منه. تلك الظاهرة التى أرجعناها إلى طبيعة البلاد. فشاعر المهجر عاش فى وسط لا ترهق فيه الأعصاب، ومن ثم كان تصويره وتعبيره غير مرهق لأعصاب غيره. أما الشاعر فى مصر أو فى العراق فإنه محاط من حمارة الصيف بما يتعب الأعصاب ويمد بها عن أن تنفعل إلا بأبلغ المؤثرات. وهو بعدى تأثره هذه مسوق إلى التهويل عند محاولة التأثير فيمن سواه. فكان كل من أدبه وغنائه يعتمد فى التأثير على ارتفاع الصوت فيه وإن صم الآذان

برنارد شـــو

بمناسبة بلوغه السابعة والثمانين

في السادس والعشرين من يوليو يبلغ برنارد شو عامه السابع والثمانين

وقليل من العظماء الذين يتاح لهم أن يعيشوا ليروا أسماءهم ترتفع إلى ذروة الشهرة ، وبرنارد شو هو أحد هؤلاء الذين قدر لهم أن يلمسوا شهرتهم العالمية بأنفسهم ، فلم تلق مؤلفات كاتب منذ شكسبير إلى الآن ما لقيته مؤلفات شو من الرواج والذيوع . فمؤلفاته تطبع منها الملايين وتمثل على أعظم المسارح وتعرض على الشاشة البيضاء في جميع أنحاء العالم

ويعتبر شو أكبر كاتب وناقد اجتماعي وسياسي وديني . ويمتاز بنظرته النافذة وأسلوبه التهكمي اللاذع وقدرته على مهاجمة النظم القائمة في إقدام وجرأة

ولد جورج برنارد شو في دبلن في إيرلندا في السادس والعشرين من يوليو عام ١٨٥٦ . وكان والده سكيراً لم يصادف في عمله حظاً ولا توفيقاً

ولما كان شو الصغير في الحادية عشرة أرسله والده إلى مدرسة ابتدائية في دبلن ، فلم يظهر هو الآخر نبوغاً ولا تفوقاً ، بل كان كما قال أرشيبلد هندرسون مصدر قلق ومتاعب لمدرسيه وشغلاً لزملائه عن الدرس ، إذ كانوا يفضلون الانقطاع لسماع ما يرويه لهم من القصص على الانتباه إلى مدرسيهم

وكانت أمه - التي أخذ عنها ابنها الشيء الكثير - ذات خلق كريم وثقافة عالية ، تهوى الموسيقى ، وكان بيتها مزاراً لكبار الموسيقيين في ذلك العصر وعلى رأسهم « جورج جون فاندليرلى »

وكانت نشأة شو في هـذا الوسط سبباً في اكتسابه كثيراً من المعلومات في هذا الفن وهيأت له جواً من الجمال والخيال

ولما بلغ شو العشرين من عمره رحل إلى لندن حيث قضى الأعوام الستة التالية في عوز وفاقة ، وأوشك أن يغلب عليه اليأس ، وكاد أمله في الكتابة يتحطم إذ لم يربح من إنتاجه الأدبي طوال هذه المدة سوى جنيهات معدودة

ولما كان في السادسة والعشرين استمع إلى محاضرة ألقاها الاقتصادي الكبير هنري جورج عن الملكية الزراعية بين فيها رأيه في مشاكل العالم الاجتماعية وقال إن الحل الوحيد لهذه المشاكل ينحصر في جعل الأرض ملكا مشاعاً للجميع ، بينما تبقى رؤوس الأموال الأخرى في يد الأفراد . فراقت شو هذه الآراء وقرر اعتناقها ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً بل تغير حين قرأ شو كتاب كارل ماركس عن الاشتراكية والرأسمالية وقد تأثر شو بهذه الآراء إلى حد جعله يقول إن كتاب كارل ماركس هو الذي خلق مني رجلاً

وما حل عام ١٨٩٤ حتى كانت شهرة شو قد ذاعت ، فقد أضحى بعد هذا التاريخ كاتباً قصصياً يطلع برواياته على الجمهور مصدّرة بمقدمات تتضمن آراءه في المسائل السياسية والاجتماعية . وإذا كانت هذه المقدمات لا تتصل في الغالب بموضوع الرواية التي تتصدرها فإنها كانت لا تقل عنها قيمة إن لم تفقها

وفي عام ١٨٩٨ وهو في الثانيـة والأربعين من عمره ، أصيب بجرح بليغ في قدمه . وقد سهرت عليه أثناء مرضه سيدة إيرلندية ، وهيأت له جواً هادئاً مريحاً ، واختصته بالجانب الأكبر من عنايتها واهتمامها . وكانت هـذه الراحة والعناية سبباً في أن يطلق شو مهنته السابقة كصحفي ويتفرغ للكتابة . ومنذ ذلك التاريخ كسب شهرته كأكبر ناقد اجتماعي وسياسي وديني ، وكأعظم كاتب قصصي

ولنعرض الآن لبعض آرائه

لم يرق شو رؤية الكثيرين يعانون متاعب الفقر في عالم غني

وأعتقد أن حالة الأعصاب هذه كانت وما تزال حائلاً دون انتشار القصة والرواية في أدب العرب ، وباعثاً إلى وضع تلك القواعد الأدبية التي تقول باختيار ما قل ودل ، وأن الإعجاز في الإيجاز

فإذا اتفقت كلمة الباحثين على أن الشعر المهموس وليد طبيعة خاصة تفعل في نفس الشاعر ، لا يبقى محل للنعي على الشعر في مصر ، أو للقول بأن الهمس فيه فن من الفنون

إن الهمس أو الجهر في الشعر أو في غير الشعر ، لا يمكن اعتباره مظهر تطور أو تأخر ، لأنه لا يدل إلا على مقدار الطاقة التي بذلها صاحب الفن في سبيل التأثير في الآخرين

(بغداد) صبحي الظريفي
المحامي

بموارده وثرواته، وحاول أن يجد لهذه المشكلة علاجاً فرأى في الاشتراكية هذا العلاج

ويقول عنه الأستاذ جود أحد أعضاء جامعة لندن في هذا الصدد: «لقد كان برنارد شو في عام ١٩١٤ القائد الذي قادنا تحت لوائه إلى عهد الاشتراكية المنتظر، كما كان اللسان الناطق بآمال من يعتنقون هذه المبادئ»

ولما بدأت الحرب الحالية أخرج شو مؤلفه «الشعور نحو الحرب» الذي حاول فيه أن يفسر الحرب تفسيراً على ضوء الاشتراكية، ويرى أن رؤوس الأموال مكدسة في أيدي الرأسماليين الذين يستغلون بها العمال ويستعبدونهم، فيجب أن توضع تحت رقابة الشعب.

وفي عام ١٩٢١ زار شو روسيا السوفيتية وقابل ستالين، فلما عاد إلى انجلترا أخذ يشيد بهذا الرجل ورجال حكومته ويقول إنهم قد وفقوا لحل المشاكل التي واجهتهم

هذا طرف من آرائه السياسية. أما آراؤه الاجتماعية فتتلخص في أن ما يواجه العالم من مشاكل يرجع في الأصل إلى نظام الرأسمالية الذي يجعل الكثرة الغالبة في قبضة أفراد قلائل يتحكمون في مصيرهم. وهو لا يلقي المسؤولية على عاتق الرأسماليين وحدهم، بل يشرك معهم العمال الذين يضعفهم انشقاقهم وافتراق كلمتهم. ولعل رواية «فوق الصخور» خير معبر عن آرائه في هذه الناحية

وفي رواية «مهنة مسز وارن» يحاول أن يصل إلى أن وزر الدعارة وحياة الرذيلة إنما يلحق هؤلاء الذين كانوا سبباً في الفاقة التي تدفع المعدمين إلى مثل هذه الحياة، لأنهم إنما يعملون ذلك مدفوعين إليها ومرغمين عليها لكسب قوتهم. ويردد شو دائماً أن «لا جريمة إلا الفقر»

وتحمل كتابات شو كثيراً من المتناقضات، فنراه يعترض على الغبن الذي يقع على العمال، ولكنه في الوقت نفسه يقر هذا الغبن إن كان لمصالح الإمبراطورية البريطانية. ونراه في قضية إيرلندا يقف إلى جانب بريطانيا مع أنه إيرلندي النشأة ومع اعتزازه بها. وبينما يتهم شو الإنجليز ويعيب عليهم عسفهم في مذبحة دنشواي، نراه يعضدهم ويؤازرهم في اضطهادهم للبوير أثناء حرب جنوب إفريقيا

وبرنارد شو مقتنع بأن الكثيرين يخالفون مذاهبه وآراءه ويقفون دونها؛ وفي هذا يقول في إحدى مقدماته: «إذا نطقت بكلمات تافهة تحت تأثير فكرة أو عاطفة سرت في صحف العالم سريان البرق؛ أما إذا قلت خلاف ما يريد الرأسماليون كان صدى قولي صمتاً وسكوناً».

محمد شاهين الجوهري
بكالوريوس في الصحافة

صورة من الأدب التركي

قـــبر من الأوحال

للكاتب التركي خالد ضيا

بقلم الأستاذ برهان الدين الداغستاني

قد مضى عليه الآن بضع سنوات وهو يخرج كل صباح حاملاً هذه الرسائل التي تملأ حقيبته

إنه تعب من هذه الحياة، وسئم جر ساقيه المتعبتين من كثرة المشي من إفريز إلى إفريز يتلمس الأبواب

نعم بلغ به الملل والسأم الآن حد النفور من توزيع هذه المزق من الأوراق التي تأتي من كل ركن من أركان العالم وتقتضيه الجولان من شارع إلى شارع ومن باب إلى باب

مضى عليه الآن أمد طويل وهو على حاله هذه: يحترق تحت أشعة الشمس اللافحة وتكاد أنفاسه تتقطع من حر السموم التي تقذف باللهب كأنها فيح جهنم

وفي الشتاء يتلقى ميازيب السماء التي تغسله من فرقه إلى قدمه. ويجر رجليه اللتين كاد يفتتهما البرد وسط الأوحال

إنه كره التسكع في أزقة هـذه المدينة العظيمة التي لا حصر لها. كما كره منظر حقيبته التي لا تفارق جنبه.

نعم إنه سئم السير آلاف الخطوات كل يوم ليوصل الأخبار إلى هذا وذاك

سنين!... إن سلسلة أيام هذه السنين الطويلة الخالية من الإنصاف قد مرت عليه وهي تنزل به الضربة تلو الضربة في كل يوم. وتحطم آماله وتهدم صرح أمانيه وتدفنها في الرغام.

مسكين! إنه لا يكاد يجد بعض الراحة والهدوء لأعصابه المحطمة في ظلمة الليل حتى تقول له الشمس التي تشرق في مطلع كل نهار:

«إنك اليوم أيضاً — كما كنت أمس وكما كنت في كل الأيام الخالية — موزع بريد وستبقى كذلك ما دمت حيًّا»

. آه من هذه الحياة المزرية التي حكم عليه أن يقضيها متسكعاً الساعات الطوال ليجد شخصاً من الأشخاص، يبحث عن أرقام المنازل تارة، ويسأل أصحاب الدكاكين والحوانيت عن اسمه تارة أخرى. ويسير بخطوات مضطربة في منحنيات هذه الشوارع والأسواق التي لا نهاية لها

ها هو ذا قد ثارت ثورته على الحياة وانفجر، وكان نقمته من جراء هذا المطر الغزير الذي لا يرحم، والذي ألصق أثوابه المبللة بعظامه ونفذ من حذائه الممزق إلى جواربه

إنه لم ير حاجة إلى الاحتماء في مكان ما ولم يحاول الهرب من هذا المطر المنهمر وكأنه يريد مطاردته — حتى يخفف بعض أذاه عنه. بل جلس على حافة أحد تلك الحوانيت المغلقة وأخذ يتأمل هذه الطبيعة الثائرة. هذا الشارع الذي يخيل لناظره — من هول المطر وشدته — أنه أمام نهر من أنهار جهنم إبان فيضانه. هذه الأوحال التي تغلي وتقذف بحباب أسود من شدة وقع قطرات المطر. وبينما هو في تأملاته رأى أولئك الذين يسيرون في سكون ودعة مستظلين بمظلاتهم من غير أن تلوث الأوحال أرجلهم، ولا أن تبلل الأمطار أثوابهم. ثم رأى تلك السيارات التي تشق الأوحال وتسير مندفعة كالسيل. لا جرم أن المطر لم يكن له أثر بالنسبة إلى هؤلاء وأولئك. إن أصحاب هذه المظلات وإن أرباب هذه السيارات هم أصحاب هذه الرسائل التي تملأ حقيبته. من يكون هو وما قيمته ومقداره بين هؤلاء وأولئك في وسط هذه الحياة الصاخبة؟ هل جاء إلى هـذه الدنيا لمجرد حمل رسائل هؤلاء السادة وتبليغها إليهم؟

إنه لم يعد ينظر إلى الشارع وما فيه، بل حول نظره إلى قطرات الماء التي كانت تتساقط حوله من أطراف ملابسه الممزقة، وإلى حذائه الذي يخيل لرائيه أنه ينتحب تحت نقاب من الطين!...

آه من هذه الرسائل! هذه الأشياء التي تأتي من أي إنسان وتذهب إلى أي إنسان!...

كان المسكين في حاجة ملحة إلى رسالة من هذه الرسائل، لأنه لم يتلق رسالة خاصة مدة حياته كلها؛ بل كان مكلفاً

برسائل الآخرين فقط . كان وحيداً لا أهل له ولا أقرباء فأنى له بكتاب يأتيه أو ينتظره ؟

وكان كلما فتح هذه الحقيبة التى تملأ كل يوم وتفرغ أو أقفلها أرسل من أعماق قلبه آهة حزينة طويلة . كان يتحسر على هذه الأشياء التى تمر بين يديه كل يوم من سنين طويلة ويتحرق شوقاً إليها . ماذا كان يحصل لو أن أحد هذه الرسائل — فى الفينة بعد الفينة — كان باسمه وله خاصة ؟ لا جرم كانت تكون نوعاً من التسلية تخفف بعض أعباء الحياة عن كاهله

ماذا فى هذه الرسائل ، وما هى الأسرار التى تخفيها فى طياتها ؟ إنه يعرف سيدة تنتظره دائماً فى مدخل منزلها فى زقاق بعيد طويل ، لأنها كانت تتلقى رسائل من ولدها

ويعرف فتاة فى كلية الطب تأخذ كل أسبوع ثلاث . أو أربع رسائل دفعة واحدة . وكان يراها دائماً تسارع إلى غلاف ارجوانى وتفضه دون بقية الرسائل ويداها ترتعشان .

وعلى مر الأيام ألف هذه الرسائل وكسب شيئاً من المرانة من طول التكرار وكثرة الممارسة ، فأخذ يفهم أسرارها ومحتوياتها المختلفة ، فكان يعرف مضامينها من خطوطها تارة ومن أسماء أصحابها تارة أخرى . من ألوان أغلفتها والروائح المنبعثة من أوراقها المعطرة فى بعض الأحيان

نعم بدأ يعرف هؤلاء الذين يتبادلون الرسائل فيما بينهم ، أولئك الآباء والأبناء والأزواج والزوجات

وهؤلاء الشبان من الفتيان والفتيات الذين يتبادلون عواطف الحب ويتساقون أكؤس العشق والغرام

نعم أخذ يفهم أولئك الذين يمرون أمامه بمظلاتهم وسياراتهم من غير أن يكونوا مثقلين مثله بحقائب مملوءة برسائل الآخرين . . .

كان يفهم كل هؤلاء السادة أصحاب هذه الرسائل اللعينة وكان فى نفس الوقت يشعر شعوراً قوياً بأنه الوحيد الذى لا حظ له من نعيم ولا نصيب من راحة وسط هذا العالم الصاخب وبين هؤلاء السادة المترفين المنعمين

كان بائساً حقاً . فلم يكن له أن ينتظر وصول رسالة باسمه من أحد فى يوم من الأيام

وعند ما وصل إلى هذا الحد من تأملاته وخواطره كان المطر لا يزال يتساقط بشدة فوق طربوشه المبلل وتنحدر قطراته إلى وجنتيه فتملك هذا الموزع المسكين البائس هذا القلب الحزين . هذا الذى فقد كل أمل فى الحياة تملكه شعور قوى من اليأس العميق والألم المبرح والحزن الشديد . وتمنى لو يستطيع اقتلاع هذه الحقيبة التى تحفظ رسائل الآخرين من على عنقه وقذفها فى الهواء . هذه الحقيبة المعلقة برقبته بسلسلة لا تطاق كأنها — لثقلها — تريد أن تجتذب رأسه إلى أسفل حتى تلصقه بالأرض

إنه يتمنى أن يدوس هذه الحقيبة برجليه حتى تتمزق إرباً إرباً وتنسحق سحقاً !...

وبعد ذلك يرجو — لينال بعض الراحة — أن ينغمس فى هذه الأوحال التى تنشق كالقبر ثم تلتئم كلما خاضها خائض .

نعم هنا وفى هذه الأوحال يريد أن يمد رقبته تحت عجلات السيارات ويموت

يريد أن يُدفن فى هذه الأوحال

إنه يتمنى قبراً من الأوحال

برهان الدين الداغستانى

نهـــاية موسولينى

للأستاذ على محمود طه

نبأ فى لحظة أو لحظتـين   طاف بالدنيا وهز المشرقين
نبأ ، لو كان همسَ الشفتين   منذ عام ، قيل إرجافٌ ومَيْن !
وتراه أمـــة بالضفتـين   إنه كان جنين « العلمين »
موسلينى ! أين أنت اليوم ؟ أين ؟
حـلم ؟ أم قصـة ؟ أم بين بين ؟

* * *

قَمرُ « فينسيا » إليكَ اليوم يُهدِى
لعنةَ « الشرفة »[1] فى قربٍ وبُعْـدِ
عجباً ! يا أيُّهـذا المتحدِّى   كيف ساموك سقوطَ المتردِّى
إمبراطورك فى هَمٍّ وسُهدِ   صائحاً فى ليلِه لو كان يُجْدِى :
أين يا «فاروس»[2] وليِّتَ بجُندى ؟
أين ولَّيْتَ بسلطانى ومجـــدى ؟

* * *

أعتزلت الحـكم ؟ أم كان فراراً   بعد أن ألفيْتَ حوليْكَ الدمارا
سـقت للمجزرةِ الزغب الصغارا
بعد أن أفنيت فى الحرب الـكبارا
يا لهم فى حومة الموت حيارى   ذهبوا قتلى وجرحى وأسارى
يملأون الجو فى الركض غبارا   وقبوراً ملأوا وجه الصحارَى

* * *

أعلى « الصومال » أم « أديس ابابا »
ترفع الراية ، أم تبنى القبــــابا
أم على « النيل » ضفافاً وعبابا   لمحت عيناك للمجـد سرابا
فدفعت الجيش أعلاماً عجابا   مالهذا الجيش فى الصحراء ذابا ؟
بخرته الشمسُ فارتد سحابا   حين ظن النصر من عينيه قابا

(١) شرفة قصر البندقية التى كان يلقى فيها موسولينى خطبه الحربية

(٢) قائد جيوش الامبراطور الرومانى أغسطوس ذهب على رأس جحافل جرارة من الرومانيين لمحاربة الجرمانيين فى العام التاسع من الميلاد . فوقع فى كمين وأبيدت جيوشه الثلاثة الجرارة عن آخرها ، واستولى على الامبراطور حزن شديد ، فـكان ينهض من نومه مذعوراً وهو يصيح : فاروس فاروس أين جيوشى ! أين ذهبت بجيوشى يا فاروس . . !

يا أبا « القمصان » جمعاً وفرادى   أحمت قمصانك السود البلادا ؟
لم آثرت من اللون السوادا ؟   لونها كان على الشعب حدادا !
جئت بالأزياء تمثيلاً معادا   أى شعب عز بالزى وسادا
إنه الروح شبوباً واتقـادا   لا اصطناعاً بل يقينا واعتقادا

* * *

موسلينى قف على أبواب روما   وتأملها طلولاً . ورســوما
قف تذكرها على الأمس نجوما   وتَنَظَّرْها على اليوم رجوما
أضرمت حولك فى الأرض التخوما
تقتفى شـــيطانك الفظ الغشوما
أو كانت تلك « روما » أم « سدوما »[1]
يوم ذاقت بخطـــاياك الجحيما ؟

* * *

هى ذاقت من يد الله انتقاما   لأنام خالد . عامًا فعـاما
يوم صبت فوق بيروت[2] الحماما   لم تذر شيخا ولم ترحم غلاما
من سفين يملأ البحر ضراما !   ذلك الأسطول كم ثار احتداما
أين راح اليوم ؟ هل رام السلاما ؟   أم على الشاطئ أغفى ثم ناما ؟

* * *

أى عـدوان زرِى المظهر   بدم قانٍ ودمع مُهْـدَرِ
حين طافت بحمى (الإسكندر)   أجنح من طيرك المستنسِر
تنشر الموت بليـل مقمر !   يا لمصر ! أترى لم تثـأر
بيـــد المنتقم المستكبر !   أترى تذكر ؟ أمْ لم تذكر ؟!

* * *

موسلينى لست من أمس بعيدا
فاذكر « المختار » والشعب الشهيدا
هو روح يملأ الشرق نشيدا   ويناديك ولا يألو وعيـدا
موسلينى خذ بكفيك الحديدا   وصغ القيد لساقيك عتيدا
أو فضع منك على النصل وريدا   فدنى يخنقك اليوم طريدا

على محمود طه

(١) قصة تدمير سدوم وعمورة من القصص الدينى المأثور . إذ سلط الله عليها الرجم النارية عقاباً لما اقترفه أهلها من الآثام

(٢) المأساة الدامية التى مثلها الأسطول الايطالى فى الحرب العثمانية الايطالية



القصة والتجديد

أردت أن أبعث الفعل (خرّف) الذي اشتقه الإمام ابن حزم من (الخرافة) أي الأسطورة أو ممن انتسبت إليه أعني المسمى (خرافة) فقلت فيما قلت :[1]

« إن هذا الزمان وكتاب القصة المخرفين فيه في حاجة إلى التخريف » وإنما عنيت الحُدّاث[2] (الذين يحكون ، يقصون) واحتياجهم إلى هذا الفعل . ولقد خشيت أن يُظن أني أحقر في هذه الجملة (القصة) وأنتقص كتابها ، وإني أنكر (تجديداً) في الأدب . فليعلم أني لا أمقت القصة بليغة مرصنة ، لا أمقتها ولا أكره التجديد مجوداً . فمن قص وجدد وأحكم وأفاد وهدى وجوّد تقبلت العربية قصصه ، ورضي الناقدون عن تجديده . ولم أستحدث في هذا الوقت في هذا الباب لي مقالة ، فذهبي (في المجدّد المجود ، في التجديد مع التجويد[3]) اليوم هو مذهبي في الأمس . وفي خطبتين أو رسالتين قديمتين كلام واضح مفصل ، والحق لا يتحوّل ، الحق مثل ذي الخلق المتين وذي العقيدة - لا يتبدل .

*****

إلى الأستاذ دريني خشبة

سيدي : قرأت مقالكم العظيم المنصب في بحثه على المذهب « التعبيري » في ألمانيا ، ولقد راعني أيها الفاضل أنكم تكررون لفظة « التعبيريين » في مقالكم كترجمة للفظ الإنجليزي Expressionists واللفظة الإنجليزية جمع لإسم الفاعل من الفعل Express ، واسم الفاعل في اللغة الإنجليزية يصاغ بطريقتين : الأولى : من الفعل بزيادة ing في آخر الفعل ؛ والثانية : من الإسم بزيادة ist والأولى مطردة ، والثانية سماعية ، قياسية في بعض الأسماء ، وعلى هذا فالترجمة الصحيحة للجمع Expressionists هي : « المعبرون — المتكلمون » لا كلمة « التعبيريين — الكلاميين » ، لأن كلمة « تعبيري » كلامي منسوبة إلى كلمة « تعبير Expression » والمنسوب كما تعلمون في القاعدة العامة ، ما لحق آخره ياء مشددة مكسور ما قبلها للدلالة على نسبته إلى المجرد منها للتوضيح أو التخصيص ، « والمُعبِّر - المتكلم Expressionist » اسم فاعل من العبارة Expression بزيادة ists في المثنى والجمع .

عبد الله الملوحي

أخطاء في كتاب الامتاع والمؤانسة

كنت أطالع الجزء الأول من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » فمنّت لي بعض ملاحظات أذكر طرفاً منها فيما يلي :

١ — جاء في ص ١١٧ س١٧ : « ... ومثل هذا كثير ، وهو كاف في موضع التكنية » ، ويقول المصححان للكتاب إن « التكنية » كانت في الأصل « التبكيت » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى فلذلك غيّراه إلى « التكنية » . ولكن الواقع أن عبارة الأصل هي الصواب ، لأن التبكيت هو أن يغلب الإنسان خصمه بالحجة ، ومن العبارات الجارية قولهم : « بكّته حتى أسكته » . وفضلاً عن هذا فقد وردت هذه الكلمة بعد ذلك بقليل في كتاب الإمتاع ص ١١٩ س ١٥

٢ — جاء في ص ١٤٩ س٦ : « .. أعني أن كل ما يدور عليه ويحور إليه مقابل بالضد » ، وفي الأصل « يجوز عليه » فرفض الناشران رواية الأصل ، ولكن الصواب أن نُثبِّت ؛ لأن كلام التوحيدي في هذا الصدد ينصب على الفلسفة الخلقية ولذلك فقد استعمل فيه تعبيرات فلسفية . ومن الشائع في الفلسفة قولهم يجوز عليه التغيّر ، أو لا يجوز عليه التغيّر . (أنظر « الانتصار » للخياط (مثلاً) ص ١٦٢ س ١٨ ، ص ١٧٠ س٥ إلخ)

٣ — وفي ص ١٥٥ س ٧ : « وللرأي والعقل فيهما مدخل قوي وحظ تام » ويقول المصححان الفاضلان إن « العقل » هي في الأصل « العقد » ، ونقول إن « العقد » صحيحة ، وهي

(١) الرسالة ٥٢٤

(٢) فضلت (الحداث) على (المحدثين) وهو جمع على غير قياس حتى لا تقع في ورطة جديدة فاضطر أن أكتب كلمة ثانية

(٣) مفهوم أن المقصود هنا هو التجويد في الكتابة لا التجويد في القراءة ، فن التجويد

من الكلمات المستعملة فى الفلسفة الإسلامية ، فلا موجب لرفضها ... يقول ابن سينا فى إلهيات « الشفاء » : إن الحق يفهم منه الوجود فى الأعيان مطلقاً ، ويفهم منه الوجود الدائم ، ويفهم منه حال القول أو العقد . ومعنى العقد فى عبارة ابن سينا الاعتقاد أو التصديق ، وأظن أن الاعتقاد (أو العقيدة كما نقول أحياناً) من الألفاظ التى يمكن أن توضع إلى جوار لفظ « الرأى » (كما فعل الأستاذ أحمد أمين نفسه فى مقاله الرأى والعقيدة بكتابه فيض الخاطر ج ١)

٤ — وفى ص ١٥٩ س ٣ : « وإذا غلبت عليه اليبوسة يكون صابراً ... يضبط ويحتد » ، ويقول المصححان الفاضلان إن يحتد أصلها يحقد ، ونقول إن الأصل هو الصواب وإنهما أخطآ فى التصحيح : لأن المراد أن الإنسان إذا غلب عليه مزاج « اليبوسة » فإنه فى هذه الحالة يضبط نفسه ويكظم غيظه أو حقده (دون أن يحتد أو يظهر غضبه)

٥ — وفى ص ٢١٩ س ٣ : « لذلك عرفت الحكمة فى الكائنات الفاشيات » ويقول المصححان إن « الفاشيات » هى فى الأصل « الفاسدات » ونقول إن عبارة الأصل هى الصواب : (أنظر ص ٢٢٠ س ١٢) ، والفاشيات هنا لا معنى لها

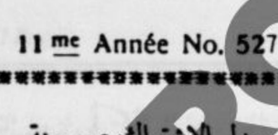
هذه هى بعض اللاحظات التى عنت لى أثناء قراءتى للجزء الأول من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ، وكلها تندرج تحت ضرب واحد من ضروب التصويب هو العودة إلى رواية النص إذ لا موجب لرفضها والتحكم فى لغة الكاتب الأصلى . أما اللاحظات الأخرى التى طويتها عن القراء فهى أدخل فى باب الذوق والاجتهاد ، وليس هذا مجالها

(مصر الجديدة) زكريا ابراهيم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 527 — Lundi - 9 - 8 - 1943




صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٢٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٨ شعبان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٩ أغسطس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

النظام والتربية القومية

للأستاذ عباس محمود العقاد

عاقبة موسليني السياسية لا تعنينا في هذا المقال ، لأن لها مجالا غير هذا المجال ، وإنما تعنينا هذه العاقبة هنا من حيث تتصل بالفلسفة الاجتماعية ومذاهب التربية القومية ، لأنها من هـذه الناحية قد شغلت أناساً لعلهم مخلصون في نياتهم وتفكيرهم ولعلهم لا يخدمون غرضاً من الأغراض الموقوتة بما اعتقدوه ونزعوا إليه ، ترسما لخطوات موسليني ، ثم خطوات التابعين له في مضمار السلطان والاستبداد

***

بعد قيام النظم الفاشية في إيطاليا كثر القائلون بفائدة هذه النظم للأمم التي أصابها الانحلال على التخصيص ، وجنح بهم إلى هذا القول أن الفاشية ظهرت في زمن خيفت فيه أخطار الشيوعية أشد خوف ، فجعلها بعض الباحثين الاجتماعيين « جبيرة » لعظام الأمم المهيضة التي يخشى أن تصاب في حياتها القومية ، فتنقلب من الإيمان بالوطن إلى الإيمان بالشيوعية

وكان هذا وهما من الأوهام

لأن النظام وحده لا يخلق القوة ، وطنية كانت أو غير وطنية والنظام وحده لا يجبر كسر الانحلال إذا كانت له أسبابه المتغلغلة في تكوين الأمة

الفهـــرس

فالسجناء أكثر الناس نظاما فى معيشتهم المفروضة عليهم ، لأنهم ينهضون من النوم فى موعد ، ويأكلون الوجبات الثلاث فى موعد ، ويخرجون إلى الرياضة فى موعد ، ويذهبون إلى النوم فى موعد ، ويتناولون من طعام واحد ويلبسون من نسج واحد وزى واحد ، ويزاولون عملا واحداً فى مكان واحد ، ولا يأتون بحركة من الحركات العامة إلا على نظام مفروض لا اختلال فيه

فلا يطمع أحد فى بلوغ النظام بين جماعة الناس مبلغاً أدق وأوفى من مبلغه بين جماعات السجناء فى العالم بأسره

ومع هذا لا يتخذهم أحد من الباحثين ولا غير الباحثين قدوة فى أخلاق اجتماعية ولا أخلاق فردية ، ولعلهم على نقيض ذلك مثل فيما يحذره الباحثون وغير الباحثين من مساوىء الأخلاق ؛ لأن النظام وحده لا يغنى فى تقويم فرد ولا فى إصلاح جماعة . ولا بد مع النظام من عقيدة صالحة لإحياء القوى الإنسانية .

فهل كانت للفاشية هذه العقيدة الصالحة ؟

كلا !

والاكتفاء بالنتيجة هنا أقرب وأجدى من متابعة الأقوال الفاشية والعقائد الفاشية والتعليقات الفاشية التى ملأوا بها المجلدات الضخام على غير طائل

فالنتيجة أن الفاشية لم تكن قط جبيرة لخلق مهيض ، ولم نعلم جباناً واحداً كيف يصبح من الشجعان وذوى البسالة والمفاداة .

فبعد تربية طويلة تبتدىء من الخامسة إلى العشرين لم يزل الجبناء الأولون على جبنهم القديم يفرون من الميدان بعد الصدمة الأولى ، وقد يفرون منه قبل اللقاء

فالحركة الفاشية مفلسة فى العقيدة التى تجبر كسر النفوس أو تبتعثها من جديد فى حياة جديدة ، وهى لا تزود أصحابها بشجاعة أدبية أو شجاعة عسكرية ، ولا تبث فيهم الإيمان الذى يغلبون به الجبن ويأنفون من عار الفرار

لأنها عقيدة تليق بالحيوان ولا تليق بالإنسان

أو لأنها عقيدة ترجع بالإنسان إلى الوراء وتلغى ما عمل لنفسه أو عملته له الطبيعة عشرات الألوف من السنين

فهى عقيدة قائمة على تقديس السلطة الفردية وتقديس القوة المادية التى تشبه القوة الحيوانية ، وكلاهما شوط تجاوزه الإنسان منذ أجيال ، ولم يتجاوزه عبثاً ليعود إليه بعد هذا الطواف الطويل

بل نحن نؤمن أن تقديس السلطة الفردية لم يوجد قط فى أبعد العصور الهمجية فضلا عن عصور الحضارة والنور

لأن السلطة لم تقم قط على إرادة فرد من الأفراد باعتباره فرداً من الأفراد ، وإنما كانت تقوم على إرادته لأنه يمثل إرادة الأرباب التى تؤمن بها الشعوب ، وكان الكهان هم الذين يترجمون الإرادة الإلهية فتصبح هى إرادة الشعب من هذا الطريق

فالسلطة الفردية — حتى فى أبعد العصور الهمجية — لم تكن خلوا من الاعتراف للأفراد بحرية اختيارهم لمن يحكمونهم ، وهى — أى السلطة الفردية — خليقة من أجل ذلك أن تفشل فى خلق العقيدة الصالحة بها بين أهل الحضارة من أبناء الزمن الحديث

* * *

أما الإيمان بالقوة المادية — قوة السيف والنار — فهو شوط تجاوزه الناس كذلك منذ عهد بعيد

تجاوزوه منذ عرفوا كلمة الحق أو عرفوا كلمة العدل بين الأقوياء والضعفاء

وقل ما شئت فى « الحق » أنه كلمة من الكلمات

وقل ما شئت فى « العدل » أنه لفظ من الألفاظ

فهما يقل القائلون فى ذلك فالواقع الذى لا شك فيه أن الناس عرفوا كلمة « الحق » بعد أن جهلوها

فلماذا كانت هذه المعرفة وكيف جاءت إلى الألسنة أو إلى الضمائر ؟ ولماذا لم تظل كما كانت مجهولة لا يفهم الناس منها هذا المعنى الذى يفهمونه الآن ؟

أعن حاجة عرفوها أم عن غير حاجة إليها ؟

إن كانوا قد عرفوها عن حاجة إليها فالويل لمن ينكرها ويقف فى طريقها . وغير عجيب إذن أن تحق الخيبة على الفاشيين لأنهم يعارضون التيار الذى يندفع إليه الإنسان بوحى من طبائع الأشياء

أما أن الناس قد اخترعوا كلمة الحق وتشبثوا بها لغير حاجة إليها ولا لأنها تمثل شيئاً قائماً فى الحياة الإنسانية فهذا عجب لا يصدقه عقل عاقل . ولنا حين يزعمه الزاعمون أن نسأل :

ما بال أنصار القوة المادية يكتبون ما يكتبون ويصنعون ما يصنعون وينفقون الملايين فوق الملايين ليثبتوا أنهم على الحق وأن خصومهم هم المبطلون ؟

إن وهماً من الأوهام التي لا حاجة إليها لن يستحق كل هذا العناء ولا بعض هذا العناء

ولقد كانت القوة المادية أقدم شيء عرف في هذه الدنيا ، وكانت بين أيدي الناس يستطيعون أن يعبدوها كما يشاءون وأن يؤمنوا بها كما يحبون ، فلو كان في الإيمان بها غنى عن غيرها لما تركها الناس ليتحولوا إلى كلمة جوفاء أو إلى خيال ليس له قوام

إن الذي يدين بها بعد أن عرف كلمة الحق لا يفهم معنى ما يقول

والفاشيون لا يفهمون معنى ما يقولون ، بل لا يفهمون معنى ما يصنعون ، سواء رجعت من قبل إلى الرأي والبرهان أو رجعت الآن إلى الواقع والعيان

إنهم يقفون في وجه التيار

ومن وقف في وجه التيار أضاع الحق وأضاع القوة المادية معه ، إذ ليس في الأرض قوة مادية تقاوم التيار الذي تندفع به طبائع الأشياء .

***

ومن مبادئ السخف التي يبشر بها « الفلاسفة » الفاشيون أن الإخاء العالمي خرافة لا يرجى لها تحقيق ، وأن الحقيقة التي قامت ولن تزال قائمة في كل زمان هي سيادة شعب على سائر الشعوب

والعجب أن سيادة شعب على سائر الشعوب هي الخرافة التي لم تصدق قط في زمن مضى ، ولن تصدق يوماً في زمن مقبل ؛ والناس لا يملكهم واحد مهما علا في ملكه واستطال

كما قلنا في أعقاب الحرب الماضية متخذين العبرة منها ومن حوادث التاريخ التي تقدمتها . وإن العبرة بهذا كله لأولى أن تتخذ من حوادث الحرب الحاضرة والحوادث التي تليها ، ولما تزل في عالم الغيب

فالعالم لم يحكمه المصريون كله ، والرومان لم يغلبوا قرطاجة حتى تصدى لهم من الشرق من ينازعهم ؛ ثم تصدى بعضهم لبعض فانقسموا على أنفسهم . وهكذا حدث لمن بعدهم حينما ظهرت في العالم قوة تنذره بالسيادة عليه

فالسيادة العالمية هي المذهب الذي شاخ ولم يثبت له وجود

والإخاء العالمي — أو على الأقل تمرد العالم على الخضوع لحكم واحد — هو المذهب الصادق الذي سبقت به البشائر وآذن في هذا العصر بمولد مرقوب

نعم إن الإخاء العالمي كلمة قديمة ، ولكن الوحدة العالمية لم تصبح حقيقة من الحقائق الملموسة قبل هذا الجيل

ففي هذا الجيل الذي نحن فيه تقاربت أجزاء العالم حتى تسنى لمن في الشرق الأقصى أن يسمع من في أقصى المغرب بإدارة لولب

وفي هذا الجيل تم السفر من أطراف العالم إلى أطرافه في أقصر من الوقت الذي كان أبناء القطر الواحد يسافرون فيه من إقليم إلى إقليم

وفي هذا الجيل أوشك الناس أن يتعاملوا بعملة مشتركة وأن يعتمدوا على سوق واحدة أو أسواق كأنها اجتمعت في سوق

وفي هذا الجيل أصبح الخطر من العدوان على أمة خطراً على الأمم كافة ، يتبينه الغافلون عنه بعد فترة تحسب بالشهور وقد تحسب بالأيام

فالوحدة العالمية الآن مولود مرقوب يستقبل الحياة ليدرج من الطفولة إلى الفتوة

والذي شاخ وعفى عليه الزمان هو سيادة شعب على سائر الشعوب ، أو هو استسلام العالم لحكم واحد متفق عليه ، كائناً ما كان الحاكمون

والفاشيون هم أصحاب أقدم كلام قيل ووجب أن يتبدل لأنه قد شاخ وهجره الناس والتفتوا إلى غيره وأوشكوا أن يحققوا ما التفتوا إليه

ولذلك فشلوا ويفشلون

وهذه هي عبرة الخاتمة التي ختمت بها دعوة موسوليني ثم ختم بها حكمه ، وإنها لتساوي في حساب الإنسانية ثمنها المجموع من الدماء والأرواح ، إذا هي حرصت عليها وفرغت من التجربة فيها .

عباس محمود العقاد

حكم في القضية ٢١٤١ سنة ٩٤٣ عابدين العسكرية بحبس سيد محمد عامر ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه والمصادرة وإغلاق المحل ثلاثة أيام ونشر الحكم بجريدتي الرسالة والمحاكم وتعليقه بمتجر المتهم والقسم التابع إليه لمدة شهر على نفقته لبيعة لحماً بأزيد من السعر المحدد .

الصيد فى الأدب العربى

للدكتور عبد الوهاب عزام

أريد بهذا المقال التنبيه إلى موضوع من موضوعات أدبنا لا أعرف له نظيراً فى الآداب الأخرى، موضوع يجمع بين أوصاف الطبيعة وأعمال الفروسية، وحركات الرياضة، ويعرضها صوراً متتابعة كأنها مناظر السماء. ذلكم الصيد كما وصفه شعراؤنا وكتابنا منذ عصور الجاهلية. وسأعرض فى هذه الصفحات صورة منه مجملة

— ١ —

عرفت الأمم كلها الصيد فى بداوتها وحضارتها يدعوهم إليه ضرورات العيش وحاجاته، ليأكلوا لحم الحيوان ويتخذوا جلده ألبسة وأدوات ويسخروه فى منافعهم، ويدعوهم كذلك إليه اللهو والمتاع. والأمم فيه مختلفة اختلاف أراضيها واختلاف أطوارها فى الحضارة، وله فى تاريخ الأمم فصول طويلة لسنا فى مقام بيانها

وللفرس صلة الجوار والمخالطة بالأمة العربية؛ فقد عنى العرب بذكر ما أثر عن الفرس من رسوم الصيد وأخباره فوصلوه بالأدب العربى؛ فلا بأس أن نخصهم بكلمة قبل الإبانة عن موضوعنا:

قال الجاحظ[1]: « وزعموا، وكذلك هو فى كتبهم، أن ملوك فارس كانت لَهِجة بالصيد، إلا أن بهرام جور هو المشهور بذلك فى العوام ...

قالوا: وكان الملك منهم إذا أخذ عَيرا أخدريا، فاذا وجده فتيا وسمه باسمه، وأرخ فى وسمه يوم صيده وخلى سبيله. وكان كثيراً إذا ما صاده الملك الذى يقوم بعده سار فيه مثل تلك السيرة وخلى سبيله. فعرف آخرهم صنيع أولهم، وعرفوا مقادير أعمارها »

ولبهرام جور سيرة فى الصيد ذائعة، وقد أضيف اسمه إلى حمار الوحش وكان كلفا بصيده. وهو بالفارسية « كور » فعرب إلى جور. وكان لسيرة بهرام فى الصيد وما أثر عنه من العجائب أثر فى الأدب الفارسى والتصوير، فكثيراً ما وصف الشعراء وصور المصورون بهرام فى أحوال مختلفة من مطاردة الحمر الوحشية والغزلان. وإذا عرفنا أن الروايات الفارسية مجمعة على أن بهرام نشأ فى الحيرة بين العرب وتأدب بآدابهم، وجدنا فى سيرته صلة أخرى تصل الصيد عند الفرس بالصيد عند العرب

— ٢ —

للعرب فى البوادى وفى البرارى المتصلة بالمدن والقرى ولع بالصيد منذ عصور الجاهلية. وقد عنى شعراء الجاهلية بوصف الصيد، أدواته وحيوانه وحركاته. فأما أدواته فالقسى والسهام والشباك والحبائل وغيرها. ويستعان بالخيل والكلاب لمطاردة الحيوان أحيانا. وأما الصيد فكل دابة وطائر، ولكن معظم عنايتهم كانت مصروفة إلى الحيوان الكثير اللحم. فعنوا بحُمُر الوحش وبقره والغزال. وضربوا المثل بحمار الوحش فقالوا: « كل الصيد فى جوف الفَرا »

ولسنا فى حاجة إلى ذكر طرف مما وصفوا به الخيل أو القسى والسهام، فقد كانت حاجتهم إليها شديدة فى الدفاع عن أنفسهم فوصفوها فى مقامات مختلفة أوصافا ذائعة معروفة

وإنما أذكر من الحيوان الذى يصاد به، الكلب. وقد افتنّ العرب فى تعليم الكلاب ووسمها، ووصفوها وصنّفوها ونسبوها وسمّوها. قال الجاحظ: « ولكرامها وجوارحها وكواسبها وأحرارها وعتاقها أنساب قائمة، ودواوين مُخلّدة، وأعراق محفوظة، ومواليد محصاة، مثل كلب جذعان، وهو السلهب ابن البراق بن وثاب بن مظفّر بن محارش. وقد ذكر العرب أسماءها وأنسابها ». وقال فى موضع آخر: والكلاب أصناف لا يحيط بها إلا من أطال الكلام. وفى الجزء الثانى من كتاب الحيوان فصل طويل عنوانه: « صفة ما يستدل به على فراهة الكلاب، وشياتها وسياستها ». وفى هذا وغيره مما نقل عن العرب دليل على عنايتهم بالصيد وكلابه عناية كبيرة. وقد أثبت الجاحظ فى الجزء الثانى من الحيوان قصيدة لمزرّد بن ضرار فيها أسماء الكلاب وأنسابها وأوصافها. وسيمر القارئ بنبذ فى وصف الكلاب أثناء وصف الصيد

وقلّ أن نجد فى الشعر الجاهلى وصف الصيد فى قصائد خاصة به كالطرديات التى ذاعت فى العصور الإسلامية؛ ولكن يذكر حين تذكر الفروسية والشجاعة، وحين يذكر الشباب ولهوه. وعجيب أن أكمل الصور فى وصف الصيد جاءت استطراداً فى وصف الإبل؛ يذكر الشاعر السفر ويصف ناقته فيشبهها بحيوان سريع قوىّ كحمار الوحش وثور الوحش، وأحياناً يشبهها

(١) « الحيوان » جـ ١

بالغزال والنعامة . ولا يكتفى بهذا التشبيه حتى يصف هذا الحيوان القوى السريع وهو يعود فزعاً من الصيادين فيصف ما يقع بين الصيادين وكلابهم وبين الحمار أو الثور . وقد ألف شعراء الجاهلية هذا الوصف حتى توسلوا إليه بالصلات الضعيفة وأطالوا فيه على غير ما ينتظر القارئ أو السامع

وامرؤ القيس أكثر الجاهليين وصفاً للصيد استقلالاً غير استطراد فى وصف الإبل . ولكنه يجمع بين وصف الصيد ووصف الحصان الذى يصيد عليه . ومن هذا قوله فى الملقة :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

ويصف حصانه إلى أن يقول :

فعنّ لنا سِرب كأن نعاجه ... عَذارى دَوار فى الملاء المذيّل
فأدبرن كالجِزع المفصّل بينه ... بجيد مُعمّ فى العشيرة مُخول
فألحقنا بالهاديات ودونه ... جواحرها فى صَرّة لم تَزَيّل
فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دراكا ولم يَنضح بماء فيُغسل
وظل طهاة اللحم مابين مُنضج ... صفيف شِواء أو قدير مُعجّل

يصف صيد بقر الوحش . والبقر الوحشى أشبه بالغنم منه بالبقر الأهلى ؛ ولهذا سميت الأنثى نعجة . وقال امرؤ القيس : وعادى عداء بين ثور ونعجة . وقد شبه سرب البقر بعذارى عليها ملاء تجرّ ذيوله ويدرن حول صنم ؛ ثم شبهها حينما ارتاعت بالجزع المفصل لاختلاف ألوانها . وقال إن الحصان لسرعته أدرك الهاديات أى السابقات منها وترك المتأخرات حيارى لها صياح فأدرك ثوراً فنعجة ولم يعرق . وعكف الطهاة على اللحم ، منهم من يشوى ، ومنهم من يطبخ فى قدر

وقد أجمل وصف الصيد فى قصيدة أخرى إذ قال :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها ... لغيث من الوسمىّ رائده خال

ومعظم الشعراء الآخرين يستطردون فى وصف الناقة إلى تشبيهها ببقرة وحشية أو حمار فى قوتها وسرعتها ، ويصفون الحيوان المشبه به فى حال ذعره من الصيادين حين لا يدّخر قوة ولا إسراعاً للنجاة . ويجمع الشاعر أحياناً بين تشبيه الناقة بالحمار وتشبيهها بثور الوحش ، ويصور حال كل منهما حين يروعه الصيادون كما فعل لبيد فى الملقة . وقد ألف الشعراء هذا الاستطراد حتى سار عليه أبو ذؤيب الهذلى وهو يرثى أولاده فقال إن الدهر لا يبقى على حدثانه ثور الوحش ولا حماره . واستطرد فوصف كيف انتهى الجلاد بين الحمار والصيادين بأن أصابه سهم أرداه ، وكيف كان العراك بين الثور وكلاب الصيد فقتل بعضها حتى أدركها صاحبها فرمى الثور بسهم قتله . (للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

الوساطة بين الدكتور طه والأستاذ المازنى — عناصر الهجوم — كلمة الدكتور طه — حل الألغاز — غمزات الدكتور طه — الدكتور طه فى الأعمال الحكومية والأدبية — المازنى ضحية الأدب ، ولكنه لن يضيع — كلمة صريحة إلى الدكتور طه حسين

الوساطة بين الدكتور طه والأستاذ المازنى

لم يعد القراء يلتفتون إلى ما يقع فى الجرائد اليومية من المصاولات الأدبية ، فقد صنعت أزمة الورق ما صنعت فى صدّ الجرائد عن الآداب والفنون ، وبهذا أصبح مجال الأدب مقصوراً على المجلات الأدبية ، فمن الخير أن نحدث قراء الرسالة عما يفوتهم الاطلاع عليه ، مما يقع من الصيال الأدبى فوق صفحات الجرائد اليومية من حين إلى حين

وكلمة اليوم فى شرح مناوشة عنيفة ثارت بين الدكتور طه والأستاذ المازنى على صفحات جريدة البلاغ ، وهى مناوشة تمثل التجنى والتظالم على أعنف ما يكون بغىُ الرجال على الرجال . وسنقف من هذه المناوشة موقف القاضى العادل ، فقد ساءنا أن يتقارض هذان الرجلان الظلمَ والعدوان بلا ترفق ولا استبقاء ، بعد أن ظلا صديقين حيناً من الزمان

والذى يهمنى من هذه الكلمة هو أولاً تسجيل حادثة أدبية لا ينبغى أن تضيع . وهو ثانياً إنصاف رجلين عزيزين على الأدب وقد بغى كلاهما على أخيه بتحامل وإسراف . وهو ثالثاً توضيح لألغاز ساقها الدكتور طه بك مع اعترافه بأن فهمها لا يتيسر لأكثر القراء

وأصل القضية أن الأستاذ عزيز بك أباظة مدير البحيرة أصدر مجموعة شعرية سماها « أنات حائرة » مع تصدير بقلم الدكتور طه حسين . فلما بدا للأستاذ إبرهيم المازنى أن يتحدث عن تلك المجموعة بدأ بالهجوم على صاحب التصدير ، فغضب الدكتور طه وكتب رداً أراد به دفع العدوان بما هو أقسى من العدوان

ولأجل أن يدرك القراء حيثيات الحكم فى هذه القضية أسوق إليهم كلمات الخصمين قبل الشروع فى الحساب

قال الأستاذ المازنى بعد التمهيد :

« وتوكلت على الله فقرأت التصدير الذى كتبه الدكتور طه حسين بك فقلت لنفسى : لا حول ولا قوة إلا بالله ! هذا طه حسين يخسره الأدب ولا تكسبه الحكومة ، فما خلق لها بل للأدب . وإنه ليضيع نفسه فى هذه المناصب التى تشغله وتستنفد جهده ووقته ، فاذا كتب جاء بماذا ؟ جاء بمثل هذا الكلام الذى لا محصول وراءه ، ولا أعرف له رأساً من ذنب . فلماذا لا يستقيل ويريح نفسه من هذا العناء الباطل ويتفرغ للأدب ؟ ما ذا يفتنه من هذا العَرَض الزائل والذى أهمل أو ترك أبقى ؟ كيف يستطيع بالله أن يواظب على التحصيل وتغذية عقله ونفسه — وهو ما لا غنى بأديب عنه — وكيف يتسنى له التجويد حين يكتب وهو مشغول فى ليله ونهاره بهذا الذى لا آخر له من شؤون الوظيفة واللجان وما إليها ... وهو يتولى أعمالاً كل واحد منها كاف للارهاق : فمن جامعة فاروق إلى منصب المستشار الفنى لوزارة المعارف إلى عشرات من اللجان يشارك فيها وتأبى له كرامته أن يكون صفراً ، ولو اقتصر على الجامعة لكان خيراً ، ولو نفض يده من هذا كله لكان أفضل »

عناصر الهجوم

وخلاصة هذه الكلمة :

١ — أن الدكتور طه خسره الأدب ولم تكسبه الحكومة ، ومعنى ذلك أنه يتولى عملاً لم يُخلَق له . وسنرى كيف ثار الدكتور طه على هذه العبارة وعدّها تحدياً لقدرته على الأعمال الحكومية

٢ — وأن الدكتور يضيع نفسه فى مناصب تشغله وتستنفد جهده ووقته ، فإذا كتب جاء بكلام لا محصول من ورائه ولا يُعرف له رأس من ذنب

٣ — وأن الأفضل للدكتور طه أن يستقيل ويريح نفسه من العناء الباطل (وهو عمله فى الحكومة) ويتفرغ للأدب

٤ — وأنه لا يمكن للدكتور طه أن يزوّد نفسه بالتحصيل ، أو يتفرغ للتجويد حين يكتب وهو مشغول ليله ونهاره بأعمال كل واحد منها كاف للارهاق .

كلمة الدكتور طه

وجّه الدكتور كلمته إلى صاحب البلاغ ثم قال بعد التمهيد :

« أؤكد للأستاذ المازني أنى آسف أشد الأسف لأن الأستاذ عزيز أباظة لم يطلب إليه هو كتابة هذا التصدير ، إذن لكان له المحصول كل المحصول ، ولكان له رأس كقمة الجبل وذَنَب كالذى خوَّف به المنجمون المعتصم حين همّ بفتح عمورية . وآسف أشد الأسف لأن الحكومة لم تكل إلى الأستاذ عملى فى وزارة المعارف وفى جامعة فاروق ، إذن لكسبته الحكومة والأدب جميعاً . والأستاذ المازنى يعرف أن لأبى العلاء قصة مع الشريف المرتضى ، وأظنه يأذن لى فى أن أسرق من هذه القصة شيئاً ، فالسرقة فى الأدب مباحة ، ولا سيما حين تكون فى العلن لا فى السر ، وهى حينئذ أشبه بالسطو . ولست أسرق من قصة أبى العلاء ، أو لست أسطو منها إلا بمقدار . فأنا أرجو أن يقرأ الأستاذ سورة الفَلَق ، وأن يقرأ مطوَّلة لبيد ومطولة طرَفة وعينية سويد بن أبى كاهل التى مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا فبسطنا الحبل منها ما اتسع

ورائية الأخطل التى مطلعها :

ألا يا اسلمى يا هند هند بنى بدر وإن كان حيَّا ناعِدا آخر الدهر

ولامية المتنبى التى مطلعها :

بقائى شاء ليس هُمُ ارتحالا وحُسنَ الصبر زُمُّوا لا الجمالا

وسيقول القراء إنى ألغز بهذا الكلام ، ولكنى أعتذر إليهم ، فإنى لا أكتب لهم وإنما أكتب للأستاذ المازنى . وأنا أسلك فى ذلك طريقة الأستاذ نفسه ؛ فمن المحقق أنهم لم يفهموا عنه ما قال أمس ، لأنهم لم يقرأوا التصدير الذى لا محصول وراءه والذى لا رأس له ولا ذنب ... وأحبُّ إلىَّ بأن أستقيل وأفرغ للأدب ، ولكنى أود أن أستيقن قبل ذلك بأن الحكومة ستضع الأستاذ المازنى مكانى لنرى أيكتب كلاماً كالذى أكتبه أم يكتب كلاماً خيراً منه . . . أما بعد فأنا ضامن للقراء إحدى الحسنيين : فإما أن يسكت الأستاذ المازنى فيستريح من هذا السخف الذى نحن فيه ، وإما أن يكتب الأستاذ المازنى فيجدوا شيئاً يرفه عليهم من هذا القيظ المهلك ، ويقرأوا كلاماً له الرءوس كل الرءوس ، والأذناب كل الأذناب »

حل الألغاز

ونسارع فنذكر أن الإشارة إلى سورة الفلَق منصبّة على آية « ومن شر حاسد إذا حسد » وأن الإشارة إلى مطولة لبيد تتجه إلى هذين البيتين :

فاقنعْ بما قَسم المليك فإنما قَسمَ الخلائقَ بيننا علاَّمُها
وإذا الأمانة قسِّمت فى معشر أوفى بأعظم حظنا قَسَّامُها

وأنه يريد من مطولة طرفة هذان البيتان :

فلو كنت وغلاًفى الرجال لضرنى عداوة ذى الأصحاب والمتوحد
ولكن نفى عنى الأعادىَ جرأتى عليهم وإقدامى وصدقى ومحتدى

ومن عينية سويد أشار الدكتور طه إلى هذين البيتين :

رُبَّ من أنضجت غيظاً قلبه قد تمنَّى لىَ موتاً لم يُطَع
ويرانى كالشجا فى حلقهِ عَسِراً مخرجُه ما يُنتزَع

وأراد من رائية الأخطل هذين البيتين :

تَنِقُّ بلاشىء شيوخ محارب وماخلتُها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت فدلَّ عليها صوتُها حيةَ البحر

ومن لامية المتنبى أراد هذين البيتين :

أرى المتشاعرين غروا بذمى ومن ذا يحمل الداء العُضالا
ومن يكُ ذا فم مُرٍّ مريضٍ يجد مُرًّا به الماء الزلالا

وما أردت تبليغ هذه التعاريض إلى الأستاذ المازنى ، وإنما أردت منفعة القراء ، والشر يتّسم بالخير فى بعض الأحايين !

غمزات الدكتور طه

١ — كان يستطيع أن يقول إنه « يستعير » قصة أبى العلاء مع الشريف ، و « يستعير » هى اللفظة المطلوبة فى هذا الموقع ، ولكنه قال إنه « يسرق » ليندد بالأستاذ المازنى . ولم يكتف بذلك ، بل جمل سرقته علنية ، وهى « حينئذ أشبه بالسطو » كما قال

٢ — صور الأستاذ المازنى بصورة الحاسد لمن كتب تصدير الديوان

٣ — وصوره بصورة من يعجز عن عمل المستشار الفنى بوزارة المعارف ، ومن يعجز عن إدارة جامعة فاروق

الدكتور طه فى الأعمال الحكومية والأدبية

لقد فصلنا الخصومة بين الرجلين بوضوح ، ولم يبق إلا أن

نكف شر الأستاذ المازنى عن الدكتور طه ، وشر الدكتور عن الأستاذ المازنى ، لأننا نكره أن تختل الموازين فى هذه البلاد

وإذ كان الأستاذ المازنى هو البادىء بالظلم فأنا أبدأ بالدفاع عن الدكتور طه ، والمهجوم عليه ذو شُعَب : فهو تارة أديب أضاع نفسه بالأعمال الحكومية ، وتارة موظف لا يُحسن إدارة الأعمال ، وتارة حائر لا يهتدى إلى ساحل الأمان

وأشهد أن الدكتور طه من أقدر الرجال على إدارة الأعمال الحكومية ، فما تولى عملا إلا أقبل عليه بهمة وقوة ، ولا سما إلى مطلب إلا وصل إليه بأيسر أو أعسر مجهود . والدكتور طه مثالٌ نادر من أمثلة البراعة فى الشؤون الإدارية ، وهو مفطور على سرعة التصرف ، وأخطاؤه القليلة أو الكثيرة لا تقاس إلى صوابه الملحوظ فى الابتكارات الديوانية

وما الذى يمنع من الحكم بأن الدكتور طه دفع عن رجال الأدب قالة من أسوأ القالات ، فقد مرت أزمان والناس يتوهمون أن رجال الأدب لا يصلحون للأعمال الإدارية ، وكان من أثر هذا التوهم أن لم نر لأحدهم مكانا فى المناصب العالية من الوجهة الرسمية ، فجاء نجاح الدكتور طه رداً حاسما على أوهام أولئك المتوهمين

وكذلك يقال فى تولى الدكتور طه إدارة جامعة فاروق ، فذلك مغنم عظيم لرجال اللغة العربية ، وكانت الحكومة لا تكل إلى أحد منهم إدارة مدرسة ابتدائية . وهل ننسى أن مدرسة دار العلوم ظلت آماداً طوالاً تحت نِظارة رجال من غير أبنائها ، مع أن فيهم كثيراً من الأكفاء ؟

ويسرنى أن تشهد البواكير بأن الدكتور طه سيفلح فى إدارة جامعة فاروق ، كما أفلح من قبل فى إدارة كلية الآداب بجامعة فؤاد ، وكما أفلح فى أعماله بوزارة المعارف

أما قول الأستاذ المازنى بأن شواغل الدكتور طه تصرفه عن تزويد عقله بالمطالعات والمراجعات فهو قول صحيح ، ولكنه لا يؤذى الدكتور طه فى شىء ، لأن الدكتور طه قد اختار لنفسه أن يكون من رجال الدولة لا من رجال الأدب ، وهو لن يزاحم أحداً من الباحثين ، ولن يقول إنه أوحد الناس فى جميع الفنون ، فما يجوز لمن يكون فى مثل حصافته أن يتناسى أن الأستاذية فى الأدب توجب الانقطاع إلى الأدب ، وتفرض الخلوة إلى النفس ساعات من كل يوم، وذلك لا يتيسر لمن تكون الأعمال الإدارية عناءه بالنهار وهمه بالليل .

المازنى ضحية الأدب ، ولكنه لن يضيع

من التقاليد الموروثة بمصر احترام الوظائف والموظفين ، وقد كان الآباء فى عهد الفراعنة يوصون أبناءهم بطاعة الرؤساء ، ويحضونهم على تنفيذ الأوامر بلا اعتراض ، ليظفروا من مناصب الدولة بأكبر نصيب

وأنا لا أرى فى هذا شيئاً من الذلة فى طلب المجد ، كما رأى بعض الناس ، وإنما أراه شاهداً على أصالة المصريين من الوجهة النظامية ، فطاعة المرءوس للرئيس يوجبها نظام الأعمال إذا حَسُنت النيات وزال معنى الخضوع الممقوت

واحترام الوظيفة فى مصر له أصل ، فقد كانت الوظائف من أنصبة الأغنياء والأقوياء ، وكان مفهوماً أن الرجل لا يظفر بوظيفة إلا إن كانت له عصبية تحميه من الكائدين ، أو تعينه على تحقيق السيطرة فى الإقليم الذى يُشرف عليه بأى صورة من صور الإشراف

ونحن اليوم نخضع لتلك التقاليد خضوعاً يعترف به القلب وإن أنكره اللسان ، فمن السهل أن يسأل سائل عن مكانة الأستاذ المازنى فى الدواوين الحكومية ، وكان قبل ثلاثين سنة أستاذاً فى مدرسة من كبريات المدارس الثانوية ، ومن زملائه من وصل إلى مكانة تضيفه إلى المحسودين بين كبار الموظفين ، فماذا صنع المازنى بنفسه حتى تخلّف هذا التخلف وحتى صار من حق أى إنسان أن يقول له : داعبْ هذا المنصب إن كنت تستطيع ؟

حظ المازنى يظهر واضحاً إن تذكرنا ما صار إليه ناصحه الأمين ، وهو الأستاذ عبد الفتاح صبرى وكيل المدرسة السعيدية ، يوم كان المازنى أستاذاً بالسعيدية ، فقد خضع الأستاذ عبد الفتاح صبرى الأنظمة الإدارية خضوعاً وصل به إلى أرفع منصب فى وزارة المعارف ، وثار المازنى على الأنظمة الإدارية ثورة وصلت به إلى العيش من سنان القلم فى الجرائد والمجلات

فما النتيجة وما الغاية فى حياة هذا وذاك ؟

مات عبد الفتاح باشا صبرى مِيتة الغريب ، فلم تبكه وزارة المعارف ، ولم يحزن عليه مخلوق ، ولن يُذكر بغير الملام إن تسامح معه التاريخ !

٤ ـ المسرح المصرى
والدرامة المنظومة

للأستاذ دريني خشبة

كان شوقى العظيم ـ عليه رحمة الله ـ لا يعجبنا !

وكنا نتهم شوقي بأنه كان يعيش معنا بجسمه ، ومع شعراء الأجيال السابقة بروحه وفنه . . . فهو يردد أوزانهم ويقلد قصائدهم ، ويتخذ مطالعهم ، ويغزَل فى أول منظوماته كما كانوا يغزَلون ، ويعارض الحُصَرى والبوصيرى وأبا تمام والبحترى

كنا نعيب شوقى لأنه كان يصنع هـذا ، وكنا نعيبه لأنه لم ينظم للمسرح ، فلما سمع إلينا ونظم للمسرح أخذنا عليه المآخذ ، وعددنا عليه الهفوات ... والرجل العظيم عليه رحمة الله يصبر على ذلك ويبتسم ، فلا يضيق بالنقد ، ولا ينقم على النقاد ، بل يبطل حجتهم بإخراج القطعة بعـد القطعة ، ونظم الغُـرة تلو الغرة ، والنقاد الظالمون ، لا غفر الله لهم ولا سامحهم ، وإن كنتُ منهم ، يلجّون فى غيهم ، ولا يعجبهم من شوقى العظيم المعجب ، حتى أراحهم الله من شوقى ، فنظروا حولهم ، فاذا هم لم يستريحوا ، وإذا هم يشعرون بفدح الخسارة التى مُنى الأدب العربى بهـا ، والتى لم يستطع أن يعوّضها هـذا الجيش العرمرم من الشعراء والشويعرين والمتشاعرين بمن فيهم من زيد ومن عمرو ، ومن فيهم من هذا الذى كنا ، فى نوبة من الحماسة ، نفضله على شوقى ، ونزيف له أكاليل الغار ، فلما مات شوقى ، إذا إكليل الغار تمسخه الأقدار فيكون حزمة من القش . . . وإذا نحن نعترف فى ذهول وحزن بأن الشعر العربى — أو الأدب العربى — قد أصيب بنكسة شديدة وارتكاسٍ مؤلم ، لأن النهضة التى بدأها شوقى وتركها وهى فى المهـد ، لم يُهيَّأ لها الشاعر الذى يرعاها ويبلغ بها شأو الطفولة ... ولا نقول الصبا ولا نقول الشباب ...

تلفتنا حولنا فرأينا الشعر العربى يعود إلى حدوده الضيقة التقليدية ، ورأيناه لا يعدو القصائد والمقطوعات والموشحات ، ورأينا تلك البداية المباركة التى بدأها شوقى تنطوى على نفسها فتصبح من المخلفات الأثرية فى المسرح المصرى ، حتى أوشك الممثلون الأفذاذ الذين أدوا الشوقيات الرائعة ينسون أدوارهم ، وحتى أوشك الناس ينسون تلك الشوقيات

ومع هـذا فما زلنا نسمع من يجرؤ على التشدق بأنه أشعر الشعراء وسيد الأدباء ، لا لشىء إلا لأن شعره يعجبه هو وإن لم يرق أحداً من الناس ، فان سألته وهل حاولت ما حاول شوقى ؟ سألك وماذا حاول شوقي ؟ شوقى المقلد . . . شوقي الرجعى . . . شوقى الصَّدَى . . . شوقى الذى لم تكن فيه روح الشعر وإن

أما المازنى فلن يموت أبداً ، وهل يموت رجال الأقلام والآراء ؟

المازنى من أمجاد مصر الأدبية ، وصفحة واحدة من أصغر كتاب ألفه المازنى أبقى على الزمن من جميع المناصب ، والله عز شأنه أقسم بالقلم ولم يقسم بالجاه ولا بالمال

وهل كانت مصر ترضى أن يصير المازنى إلى وظيفة تقبره كما قبرت الوظائف مئات من المفكرين بهذه البلاد ؟

اقترحت مرة على صفحات الرسالة أن تقرر الدولة معاشاً للأستاذ المازنى ، بحجة أنه أدى للأدب خدمات لم يؤدها من تمتعوا بكرم الدولة باسم الأقدمية فى الوظائف

وأنا فى هذه اللحظة أسحب ذلك الاقتراح ، فلن يجوع المازنى وفى يده قلمه ، ولن يشيخ قلم المازنى ولو صار صاحبه فى ضمور طيف الخيال .

كلمة صريحة الى الدكتور طه حسين

ولكن ما الذى آذاك أيها الأستاذ الجليل من تلك النعمزة المازنية ؟ ما الذى آذاك منها وهى حق فى حق ؟

أتريد أن نعفيك من النقد الأدبى ؟

أتريد أن نتوهم أنك كنت معنا فَطِرت منا ؟

أيرضيك أن تتنامى اسمك فى المناوشات الأدبية ؟

إن كان هذا ما تريد فأنت وما تريد ، ولكننا لن نحترم إرادتك إلا كارهين ، لأننا نرفض تسليمك إلى الحكومة بأى ثمن ، وسنجاهد إلى أن نستردك ، فجهز نفسك لوصل حاضرك بماضيك ، فى خدمة الأدب الرفيع .

زكى مبارك

أجاد بهرج النظم . إلى آخر تلك المهاترات الأدبية التى لم نتورع من إهدائها إلى شاعرنا العظيم حتى بعد أن ترك لنا الدنيا لنملأها نحن بالكمال الذى طالبناه به ...

ولست أدرى ماذا يصرف شعراءنا — أصلح الله بالهم — عن النظم للمسرح ، ومنهم طائفة مثقفة واسعة الاطلاع عظيمة الدراية بالأدب الأوربي ، اطلعت من غير شك على درامات شيكسبير وبن جونسون ومارلو وغيرهم من الشعراء المسرحيين ، وعرفت ما أفادته اللغة الإنجليزية وغير اللغة الإنجليزية من الدرامات المنظومة ، وما فتح الله على أيديهم للشعر الإنجليزى وغير الشعر الإنجليزى من هـذا الفتح العظيم الذى كانت آيته ذلك الشعر الحر The Blank Verse الذى لا يعرف القافية ولا يتقيد بها ، بل ينطلق من الروح أنغاماً سحرية مشرقة ذات بهاء وذات لألاء ، دون أن تذهب بهجتها فى هـذا الاطراد الطويل الممل الذى تجلبه القافية العربية

وقد يعترض معترض بأننا ندعو إلى شيء فرغ غيرنا منه ، حينما ندعو شعراءنا إلى نظم الدرامات للمسرح المصرى . . . إذ ما حاجة هـذا المسرح إلى الدرامات المنظومة فى عصر سار فيه الأدب الواقعى ، وتحرر فيه التأليف المسرحى من القيود المادية التى كانت تجعل أداءه بطيئاً وحواره مملولا فيه كلفة وفيه تصنع . وهو اعتراض مردود ... ويرده أن الأدب المسرحى الذى ندعو إلى إدخاله فى الأدب العربى يجب أن يدخل إلى هـذا الأدب بكل أنواعه التى عرفهـا الأدب الاوربى ، ثم نحن ندعو إلى وجوب نهضة الشعر العربى وتوسيع آفاقه . . . ولن تتسع هذه الآفاق ما دام الشعر العربى بعيداً عن المسرح ، إذ الدرامة المسرحية هى المجال الذى يتسع لأخيلة الفحول من الشعراء فيفيضون فيها من آرائهم فى الحياة وآرائهم فى الفن وآرائهم فى الجمال وآرائهم فى السلوك ، ويبدعون ما شاءت لهم تلك الأخيلة من الصور التى يعالجون بها جراح الإنسانية ويهذبون بها انحرافاتها ... كل ذلك فى الدرامة ... هذه القطعة الحية المتحركة فوق المسرح بأشخاصها الكثيرين ، ذوى المشارب المختلفة والميول المتباينة ، وبمناظرها الرائعة التى يكسبها الشعر جوها الساحر الجميل الخلاب ... نريد إذن أن يجد شعراؤنا وأن يوسعوا آفاقهم ، وأن يجعلوا للدرامة المنظومة شطراً كبيراً من جهودهم التى ينفقونها كلها فى المئات الهينات من قصائدهم وموشحاتهم التى شبعنا منها إلى حد التخمة ... ومعاذ الله أن يظن أحد أننا نعرض بأحد من شعرائنا أو من شعراء العالم العربى . . . فنحن إنما نتهم هؤلاء وهؤلاء بأنهم كسالى . . . وأننا حينما كنا ننقد شوقى ونهاجمه إنما كنا نتجنى على سيد شعرائنا غير مدافع ، وكنا نغمط حقه ونظلمه ... وإلا فأين من شعرائنا من استطاع أن يسمو إلى أفق شوقى أو أن يملأ هـذا الفراغ الهائل الذى تركه وراءه ؟

لا بد إذن أن ينفض شعراؤنا غبار هذا الكسل ، ولا بد أن يحاولوا مثل الذى حاوله شوقى من قبل ، والذى حاوله ، ونرجو أن يستمر فيه ، الشاعر الشاب الأستاذ محمود غنيم اليوم . فإن لم يفعلوا فلسوف يظل الشعر العربى جامداً فى دائرته القديمة وهم بحمد الله لن يأتوا فى حدود تلك الدائرة بعشر معشار ما أتاه الأولون من جاهليين ومخضرمين وإسلاميين وأمويين وعباسيين وأندلسيين . ونحن إن كان لنا أمل فى أحد من شعرائنا المصريين أو الشعراء العرب عامة ، فالشعراء الشباب هم مناط ذلك الأمل . وكم كنت أود أن أوثر الفريق الذى يجيد اللغات الأجنبية منهم على الفريق الآخر الذى لا يجيدها ، لو لم يبرز الأستاذ غنيم فى الفريق الثانى ، فذهب بالفضل ، واستحق الثناء ، وجعلنا نتشوف إلى محاولاته التالية ... أما شعراؤنا الذين يجيدون إحدى اللغات الأجنبية ويقعد بهم الكسل دون محاولة النظم المسرحى، ففى مقدمتهم الشاعر الرقيق النابغة الأستاذ على محمود طه ؛ ثم الأستاذ الشاعر المطبوع محمود الخفيف ، ثم الأستاذان أحمد فتحى ومختار الوكيل . ثم الشعراء الجامعيون وشعراء المهاجر ... إن هؤلاء هم المسئولون قبل غيرهم عن نهضة الشعر العربى وفتح الميدان المسرحى له على مصراعيه ، لأنهم أعرف من غيرهم بماهية المسرح وما يستطيع أن يؤديه للغة وللشعر من أمجاد ، وذلك أنهم تأثروا بروح الغرب وأساليبه ، تلك الروح العالية نلمسها فى أشعارهم فنلمس فيها أثر براوننج وشلى وكيتس وبيرون ووردذورث ودى موسيه وليل وج . ب . روسو وليبران ... فمتى يا ترى نلمس فيهم أثر بن جونسون وشيكسبير وراسين وكورنى ؟ إنهم يعرفون من تاريخ الآداب الأوربية كيف ثار الشعراء الإنجليز على القوافى الشعرية وكيف أقامت

عليهم عرائس القرائح بنعمة الشعر الحر التي اهتدى إليها مارلو الإنجليزى ، فأتى فيها بالأعاجيب ، وفتح باب جنتها الفيحاء لشيكسبير العظيم الذى ذلل قطوفها تذليلاً ... فتى يثورون فى الشعر العربى مثل تلك الثورة التى لا يحسن أن يقوم بها غيرهم ، لما تستلزمه من ذوق خاص أولاً ، ووقوف على تاريخ الآداب الأوربية ثانياً ، حتى يخطوا خطواتهم عن بصيرة وحسن دراية ، مهتدين فى ذلك بما تم من مثله فى الآداب الأخرى التى يثقفونها

أما شباب شعرائنا الذين لا يجيدون إحدى اللغات الأوربية بل لا يعرفونها ، فقد جنوا على أنفسهم وعلى ثقافتهم بإهمالهم تعلم إحدى تلك اللغات مع ما كانت تبذله لهم دار العلوم من العون والتشجيع . ولعل دار العلوم هى التى جنت عليهم فى ذلك ، لأنها جعلت تعلم اللغة الأجنبية اختيارياً ولم تفرضه على أبنائها فرضاً ، ولو أنها قسرتهم على تعلمها لحمل أبناؤها اليوم عبء الثورة على تقاليد الشعر العربى العتيق ، ولأتوا فى ميدان النظم المسرحى بالأعاجيب . على أننى لا أدرى ماذا يمنع شعراء دار العلوم من الإكباب على لغة أجنبية يدرسونها ويثقفون آدابها . ولست أدرى أيضاً ماذا يمنع هؤلاء الشعراء ، وفى مقدمتهم الأساتذة محمود حسن اسماعيل ومحمد عبد الغنى حسن وأحمد مخيمر ومن إليهم من أن يحتذوا حذو الأستاذ غنيم فى النظم المسرحى ؟ وللأستاذ محمد عبد الغنى حسن إلمام لا بأس به بالإنجليزية ، فما له لا يساهم فى النظم الدرامى بنصيب ؟

إننا حين نحاول سلك الأدب المسرحى فى الأدب العربى ، لا بد لنا من خلق حركة أدبية إبداعية لا يحسن أن ينهض بها غير شعرائنا الشباب . والأدب الإبداعى (الرومانتيكى) هو أدب الخيال والجمال والسحر والشعر والخلق والابتكار ... هو الأدب الذى يلون الحياة ويمد فى طرفيها ويزيدها علواً وسفلاً ، ويجعلها أعمق وأوسع آفاقاً ... إنه الأدب الذى تتضافر فيه جهود الفنانين من شعراء وموسيقيين ومصورين ورسامين وصانعى ملابس ... إنه أدب الألوان والعواصف والبرق والرعد والدموع والعواطف والأشجان ... إنه الأدب الذى لا يجيده غير الشعراء الموهوبين الذين يستطيعون أن يخلقوا لنا دنيا أجمل من الدنيا التى نعيش فيها ... دنيا ذات ألوان صارخة تتسع لأحلامنا التى نعجز عن تحقيقها فى عالم الواقع ... دنيا من الشعر والموسيقا والغناء ... دنيا نتفيأ فيها ظلال الرحمة والمحبة والحنان كلما بهظتنا دنيانا الشقية بالآلام والنكبات ... دنيا نتنفس فيها صعداءنا هانئين سعداء ، لا نخاف رهقاً ولا نخشى عنتاً ولا نفزع من شجو ولا نضيق فيها بأنفسنا كما نضيق بها فى دنيا الواقع

إن القصائد والموشحات وحدها لا تستطيع أن تصنع لنا من ذلك كله إلا لحظة عابرة ثم نتردى من جديد فى هوة آلامنا ..

أما الدرامة المنظومة الإبداعية فكفيلة بأن تحملنا إلى السموات ساعات وساعات ، وكفيلة بأن تخفف من أعباء قلوبنا ، وما تنوء أرواحنا به من ضيق ... ما هذا ؟ أكلما أراد القارئ العربى المسكين أن يتسلى بشىء من الدرامة الإبداعية اضطر اضطراراً إلى اصطحاب شيكسبير ورهطه إن كان يحسن الإنجليزية ، أو راسين وكورنى إن كان يجيد الفرنسية ، أو سرفنتس ولوب دى فيجا إن كان ملماً بالإسبانيه ، أو شيلر ولسنج إن كان يعرف الألمانية ، أو يقعد حزيناً محسوراً إن كان لا يعرف لغة أجنبية ؟ ...

ألا إن هذا لهو أشنع الخزى فى أدبنا العربى ، وفى شعرنا العربى بوجه خاص ... إننا لن نغتفر مطلقاً لأدبائنا الكتاب تقصيرهم فى إمداد المسرح المصرى بدرامات مصرية ، وإننا لن نغتفر مطلقاً لشعرائنا الكهول تقصيرهم فى إمداد هذا المسرح بدرامات منظومة تغنى الأدب المسرحى وتمد الأدب العربى بثروة طائلة لا تعد لها تلك الثروة التى تشبه الفقر من القصائد والمقطوعات والموشحات ... إننا نتساءل فيم أنفق شعراؤنا الكهول أعمارهم ؟ لقد أنفقوها فى نظم القصائد والمقطوعات ، والقصائد والمقطوعات فحسب ... فلن تجد فى دواوينهم التى تعد بالعشرات ملحمة تشجيك ولا قصة تصبيك ولا درامة تسليك ، ولا تمثيلية ، ولو من فصل واحد ، يوسّع بها أحد هؤلاء الشعراء حدود الشعر العربى فى عصرنا الذى اتسعت فيه حدود كل شىء ... الحق أن حالة دواوين الشعر العربى محزنة جداً ، وهى محزنة بنوع خاص فى دواوين شعرائنا المعاصرين الذين عرفوا أوربا وعرفوا الثقافة الأوربية والأدب الأوربى ... وإن مقارنة سريعة بين ديوان شاعر أوربى مثل بيرون أو روبرت روننج وبين أى ديوان من دواوين شعرائنا ، (فحلاً أو نصف فحل أو إمعة !) لتظهرك على هذا الفقر الشنيع فى إنتاجنا الأدبى ، وهو فقر يحس الإنسان منه الخزى الشديد ، فينصرف

عن الشعر العربي والشعراء العرب وفي نفسه ما فيها من الحسرة والألم ... فماذا فى جميع دواويننا مما فى ديوان بيرون مثلاً ؟ إنك تقرأ فى بيرون تلك الملاحم الطوال والمنظومات القصصية الرائعة ، والتمثيليات الإبداعية الشائقة ... إنك تقرأ دون جوان ... تشيلد هارولد ... بپّـو ... الجزيرة ... الجياؤور ... القرصان ؛ ثم تمثيليات مارينو فاليير و ، ورنر ، قايين ، مانفرد ... إلى آخر تلك الروائع التى تـكوّن ثروة بيرون الأدبية الهائلة ، وإنتاجه الشعرى العظيم ... وكل من تلك الملاحم أو التمثيليات يصلح لأن يكون مجلداً ضخماً يزرى وحده بأى ديوان من دواويننا . هذا عدا قصائده التى لا تعد ... وبيرون مع ذلك مات شاباً كما مات شلى وكيتس ، فلم تحل حياته القصيرة دون هذا الإنتاج البارع الغزير السامى ... ومن الشعراء الإنجليز والفرنسيين والأسبان عشرات يفوقون بيرون غزارة إنتاج ويرتفعون إلى أفقه إن لم يفوقوه جودة ... فمتى نفتح دواوين شعرائنا العرب فنباهى بها ولا يتولانا هذا الخزى ؟ ومتى يتعاون شعراؤنا الـكهول مع شعرائنا الشباب فى رأب هذا الصدع فى شعرنا ولا يستعلون عليهم ؟

دريني خشبة

مواكب الأعراس
فى عهد بنى العباس

للأستاذ يوسف يعقوب مسكونى

من الحوادث التاريخية ما يبعث اللذة ويسلى فى أوقات الفراغ . ونحن فى درسنا للتاريخ نضيف إلى حياتنا اليومية ذكريات من الماضى تبعثنا إلى التأمل والمقايسة بين أمسنا وحاضرنا فيختار القارئ من هذه الصفحات ما تصبو إليه نفسه وما يسمو به عقله وما تنتعش به نفسه . وهذه صفحة من صفحات تاريخ الدولة العباسية التى شغلت العالم الشرقى والغربى قروناً كانت فيها أدوار عز وفخر . ولقـد اخترنا لموضوعنا هـذا ثلاث حفلات من أفخم الحفلات التى جرت فى عهد بنى العباس من أوائل أدواره وأواسطها وأواخرها فنقول : كانت أيام المأمون أيام عز وجاه ورغد ورخاء وتفوق وانتصار دوّنها المؤرخون بمـا فيها من الحلل القشيبة التى رفلت بها الدولة العباسية واعتزت أيما اعتزاز ، حيث كانت مناراً للعلوم وينبوعاً للثروة والمال . فبذخ الخلفاء والأمراء وأصحاب المناصب العالية . وتخرقوا بما يفوق وصفه فى كل حال من الأحوال . فـكانت الحفلات والولائم والاحتفالات ذات مظهر فيه كل البذخ والإسراف يفوق ما يقوم به ملوك الأطراف تعززاً لهيبة الخلافة وعنواناً لسلطانها وجبروتها . ومن هـذا ما جرى فى حفلة زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل الذى كان وزيره آنذاك . وها نحن أولاء نسرد ما جرى فى تلك الحفلة التاريخية التى فاقت الحفلات التى تقام عادة بين الملوك والأمراء . وقد جرت تلك الحفلة فى منازل الحسن بن سهل السرخسى التى كانت بفم الصلح بالقرب من مدينة واسط[1] . وفم الصلح اسم نهر كبير كان فوق واسط بينها وبين جبُّـل ، عليه عدة قرى ، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون ، وفيه بنى المأمون ببوران . تزوجها المأمون لمكانة أبيهـا عنده ، واسمها الحقيقى خديجة ، وبوران لقبها . احتفل أبوها وعمل من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله فى عصر من عصور الجاهلية والإسـلام . فقد سافر المأمون وحاشيته ورجال دولتـه من القواد والـكتاب والوجوه إلى فم الصلح فنثر الحسن بن سهل بنادق المسك على رؤوسهم فيها رقاع بأسماء ضياع وأسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك ، فـكانت البندقة إذا وقعت فى يد الرجل فتحها فيقرأ ما فى الرقعة ؛ فإذا علم ما فيها مضى إلى الوكيل المرصد لذلك فيدفعها إليه ويتسلم ما فيها سواء كان ضيعة أو ملـكا آخر أو فرساً أو جارية أو مملوكاً . ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر ، وأنفق على المأمون وقواده وجميع أصحابه وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه وكانوا خلقاً لا يحصى حتى على الجمالين والمـكارية والملاحين وكل من ضمه عسكره . ولم يكن فى العسكر من يشترى شيئاً لنفسه ولا لدوابه . وذكر الطبرى أن المأمون أقام عند الحسن تسعة عشر يوماً يعدُّ له فى كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليـه . وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم . وكان رحيل المأمون نحو الحسن ابن سهل أى إلى فم الصلح لثمان خلون من شهر رمضان سنة عشر ومائتين . وفرش الحسن للمأمون حصيراً منسوجاً بالذهب ؛ فلما وقف عليه نثرت على قدميه لآلئ كثيرة . فلما رأى تساقط

(١) ذكرها السمعانى ونقل عنه العماد فى الخريدة ونقل عنهما ياقوت الحموى فى معجم البلدان مادة فاء ميم .

اللآلئ المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب قال : قاتل الله أبا نواس كأنه شاهد هذه الحال حين قال فى وصفه الخمر والحباب الذى يعلوها عند المزج :

كأن صغرى وكبرى من فواقعها
حصباء درٍّ على أرض من الذهب

وقال الطبرى أيضاً : دخل المأمون على بوران الليلة الثالثة من وصوله إلى فم الصلح ، فلما جلس معهـا نثرت عليها جدتها ألف درة كانت فى صينية ذهب ، فأمر المأمون أن تجمع ، وسألها عن عدد الدّر كم ؟ فقالت : ألف حبة ؛ فوضعها فى حجرها ، وقال لها : هـذه نحلتك وسلى حوائجك . فقالت لها جدتها : كلمى سيدك فقد أمرك . فسألته الرضا عن إبراهيم بن المهدى عمه ، والسماح بالحج لأم جعفر ، وهى الست زبيدة . فقال : قد فعلت . فألبستها أم جعفر البدلة اللؤلؤية ؛ وأوقدوا فى تلك الليلة شمعة عنبر وزنها أربعون مَنًّا فى تور من ذهب . فأنكر المأمون ذلك عليهم وقال : هذا إسراف . وقد قالت الشعراء والخطباء فى ذلك فأطنبوا . ومما يستظرف فيه قول محمد بن حازم الباهلى :

بارك الله للحسن ولبوران فى الختن
يا ابن هرون قد ظفر ت ولكن ببنت مَن

فلما نمى هذا الشعر إلى المأمون ، قال : والله ما ندرى أخيراً أراد أم شراً ؟ وقد أمر المأمون للحسن عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم ، وأقطعه فم الصلح ، فجلس الحسن وفرق المال على قواده وأصحابه وحشمه . وقد كان الحسن كثير العطاء للشعراء وغيرهم ، فقصده بعض الشعراء وأنشده :

تقول خليلتى لما رأتنى أشد مطيتى من بعد حل
أبعد الفضل ترتحل المطايا ؟ فقلت نعم إلى الحسن بن سهل (١)

* * *

والحكاية الثانية زواج الخليفة المقتدى بأمر الله بابنة السلطان ملكشاه السلجوقى ، وهى من حوادث سنة ثمانين وأربعمائة ، على ما رواه ابن الأثير ، قال : فى المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخليفة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومى . وكان أكثر الأحمال الذهب والفضة ، وثلاث عماريات ، وعلى أربعة وسبعين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكى وأجراسها

(١) الطبرى فى حوادث سنة ٢١٠هـ ومروج الذهب للمسعودى ج ٧ ص ٦٥ ، ٦٦ ط باريس وتاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٨٦ ، ١٨٧ ط النجف . والفخرى لابن الطقطقى ص ١٦٧ ط مصر . ووفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ١١٦ ، ١١٧ ط بولاق ومختصر أخبار الخلفاء المنسوب لابن الساعى الخازن ص ٥٤ ، ٥٥

وقلائدها من الذهب والفضة ، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة ، لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلى ، وبين يدى البغال ثلاث وثلاثون فرساً من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجوهر ، ومهد عظيم كثير الذهب . وسار بين يدى الجهاز سعد الدولة كوهر آئين ، والأمير برسق وغيرهما . ونثر أهل نهر معلًّى عليهم الدنانير والثياب . وكان السلطان قد خرج من بغداد متصيداً ، ثم أرسل الخليفة الوزير أبا شجاع إلى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلثمائة موكبيّة ، ومثلها مشاعل ، ولم يبق فى الحريم دكان إلا وقد أشعل فيها الشمعة والاثنتان وأكثر من ذلك . وأرسل الخليفة مع ظِفر خادمه محفة لم ير مثلها حسناً . وقال الوزير لتركان خاتون : سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . وقد أذن فى نقل الوديعة إلى داره ؛ فأجابت بالسمع والطاعة . وحضر نظام الملك فمن دونه من أعيان دولة السلطان ، وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير . وجاء نساء الأمراء الكبار ومن دونهم ، كل واحدة منهن منفردة فى جماعتها وتجمّلها ، وبين أيديهن الشموع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان . ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شىء ، وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الأتراك بالمراكب العجيبة وسارت إلى دار الخلافة . وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها . فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لسماط أمر بعمله ، حكى أن فيه أربعين مناً من السكر ، وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر فى العسكر ، وأرسل الخلع إلى الخاتون زوجة السلطان وإلى الخواتين ، وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك (١)

* * *

والحكاية الثالثة وهى من أواخر عهد الدولة العباسية أى من حوادث سنة أربع وثلاثين وستمائة ، ذكرها ابن الفوطى قال : فى هذه السنة وصل الأمير عز الدين قيصر الظاهرى مخبرا بوصول ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . وكان قد نفذ لإحضارها لتزف على زوجها مجاهد الدين أيبك المستنصرى المعروف بالدويدار الصغير . فخرج إلى تلقيها بدر الظاهرى المعروف بالشحنة ـ أى رئيس الشرطة ـ أحد خذم الخليفة وفى صحبته ثلاثون خادماً ، والأمير بدر الدين سنقرجاه أمير اخور الخليفة

(١) الكامل لابن الأثير ج ١٠ ص ٤٨ ط ليدن ج ١٠ ص ٤٨ ط بولاق فى حوادث سنة ٤٦٤ هـ

٨ ـ ٢١

تطهير العقائد وتحرير العقول

أساس الإصلاح الاجتماعي

للأستاذ محمود أبو رية

انبعث فى السنين الأخيرة بين جوانب البلاد صيحات مختلفة تدعو كلها إلى الإصلاح الاجتماعى ، وتسابق من ينشدون الخير لبلادهم فرادى وجماعات إلى المساهمة فى ذلك الإصلاح . ولما كان كل فريق قد اتخذ لنفسه مذهباً خاصاً لا يشاركه فيه سواه ولم يذهب إليه بعد درس أو تمحيص ، فإن طرق العلاج قد تعددت ومذاهبه قد تفرقت . وقد وجد أدعياء الإصلاح بين زحمة هذه الفوضى طرقاً ميسرة ليظهروا بين الناس أنفسهم وينالوا منهم مآربهم فيقف الواحد منهم على رأس طريق يتخذه لنفسه بعد أن يفتلذ من جسم الأمة فلذة ليكون مرشداً لها وهذا هو كل همه فلا تجد له ولا لمن حوله من عمل بعد ذلك إلا دعاوى ينشرونها ومزاعم يبثونها

وهذه الطوائف هى التى تعرف بين الناس باسم الجمعيات ، وما هى فى الحقيقة إلا (فرق) قد زادت فى تمزيق الأمة وتشتيت شملها بعد أن أصبح صدر البلاد ضيقاً حرجاً بتلك الفرق التى تعرف (بطرق الصوفية)

وإن قيام هذه الفرق المختلفة بيننا وما يدب بينها من عقارب الشنآن وما أصاب الأمة بوجودها من داء التفرق ومرض التشيع ليعيد إلينا ولا جرم عهد الفرق الإسلامية التى ذر قرنها فى صدر الإسلام فكانت من أسباب ضعفه وذهاب ريحه

على أنك لو بحثت عن عمل لهذه الفرق المستحدثة لما وجدت إلا صيحات عن بعض الذكريات الدينية ترسل بين الناس الفينة بعد الفينة ويحسبون أنها مجدية وهى لا غناء فيها

هذا هو كل عملها فلا تراها قد طهرت من أدران الوثنيات ولا فكت عن العقول أغلال الخرافات ، ولا أصلحت من الناس ما غشيهم من سيء العادات ، ولا حسرت عنهم ما غمرهم من أمواج المنكرات ؛ بل أنك لترى عللنا الاجتماعية قد زادت واشتدت ، وأمراضنا الاجتماعية قد عمت وانتشرت ؛ حتى لقد أصبح جسم الاجتماع المصرى بهذه الفرق — القديم منها

وجماعة من المماليك والحاجب أبو جعفر أخو أستاذ الدار ومؤيد الدين محمد بن العلقمى فتلقاها بدر الشحنة فى الزرفة وعاد والجماعة معه وانحدرت هى فى شبارة[1] حملت لها إلى هناك فى جماعة من خدمها وجواريها وصعدت فى باب البشرى ليلاً وقد أعد لها بغلة فركبت واجتازت دار الخلافة وخرجت من باب النوبى إلى دار زوجها مجاهد الدين بدرب الدواب وهى الدار المنسوبة إلى أحمد بن القمى فنثر عليها خادم لزوجها ألف دينار عند دخولها الدار . وفى رابع جمادى الآخرة خلع الخليفة على مجاهد الدين بين يديه وقدم له مركوب بعدة كاملة فخرج وقبل حافره وركب من باب الأتراك ورفع وراءه أربعة عشر سيفاً إلى غير ذلك من الحراب والقشاب وأشهرت السيوف من باب دار الضرب وخرج معه جماعة من خدم الخليفة والحاجب أبو جعفر بن العلقمى أخو أستاذ الدار ومهتر الفراشين وحاجب ديوان الأبنية وغيرهم . وتوجه إلى داره فلما اجتاز بباب البدرية نثر عليه خادم من خدم الشرابى أربعة آلاف دينار . ولما اجتاز درب الدواب نثر عليه فى عدة مواضع من دار الأمير جمال الدين قشتمر ودار ابنته زوجة الأمير نصرة الدين كنج أرسلان وكان وراءه الأعلام والطبول والكوسات . وفى عشية هذا اليوم نفذ له أحد عشر طبلاً للخلق وأحد عشر قصعة وزوج صنج برسم طبل النوبة فى الصلوات الثلاث . وزفت عليه زوجته فاجتمعت له فرحتان فرح الإمارة وفرح العرس . ولم يبلغ أحد من أبناء جنسه مع حداثة سنه ما بلغ . ومن الغد عرضت عليه الهدايا من رقيق الترك والخدم والجيوش وأنواع الثياب والطيب والخيل وآلة الحرب وغير ذلك من جميع الزعماء وأرباب الدولة وخدم الخليفة وسائر المماليك ؛ ثم الوزير والشرابى وأستاذ الدار والدويدار الكبير ، ولم ينفذ له أحد شيئاً إلا وخلع على النفذ على يده ثم ركب وبين يديه الأمراء والمماليك ورفع وراءه السلاح وقيدت بين يديه الخيول المجنونة وشهرت حوله السيوف وسمى الكيانية وبأيديهم الحراب والأطيار والجاووشية وبأيديهم الجوالكين الذهب والفضة وقصد دار الخلافة فخدم وعاد ثم ركب عشية هذا اليوم وقصد دار الخليفة فخدم وخرج وقت العشاء الآخرة فى الأضواء الشموع واستمر دخوله إلى دار الخليفة فى كل يوم بكرة وعشية على هذا الوضع[1]

(بغداد) يوسف يعقوب مسكونى

(١) ضرب من السفن

(١) الحوادث الجامعة لابن الفوطى المطبوع بعناية الأستاذ البحاثة الدكتور مصطفى جواد ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤

والحديث – كمثل رجل ألحت على جسمه العلل وانتابته الأمراض فسعى لمداواته الطبيب النقريس والدعي الجاهل ، هذا ، يدس له ما يضره ، وذاك يقدم له ما ينفعه ؛ ووراء هذا وذاك أولياؤه وأقرباؤه يدخلون عليه من كل باب يحملون إليه من مختلف الهدايا ما يظنون أنه من دوائه ، وما هو في الحقيقة إلا من بلائه ، فلا يلبث هذا المسكين أن تشتد عليه الأدواء ، وأن يصبح في حال لا يرجى له معها شفاء

مما لا ريب فيه أن جسم الأمة مريض بعلل شتى قد غيرت القرون عليها حتى أعضل أمرها ، ولكن مما لا خلاف فيه كذلك أن لكل داء دواء يستطب به ، على أن يتولاه بالعلاج طبيب نطاسي يقوم عليه وحده ، ولا يشاركه في تمريض المريض غيره

وإذا كنا ندعو بكلمتنا هذه إلى اتباع تلك الطريقة القويمة التي لا يؤخذ بأسباب أي إصلاح إلا باتباعها ، فإنا نذكر قومنا بأن لكل إصلاح (أساساً ثابتاً) يقوم عليه ، وأساس الإصلاح الاجتماعي – بل والديني – في بلادنا إنما يقوم على (تطهير العقائد من دنس الوثنيات ، وفك العقول من أغلال الأوهام والخرافات) ؛ وهذا الأساس لم نفتجره من عندنا ، ولا هو ببدع جديد لنا ، وإنما وضعه من قبلنا الأنبياء المرسلون والزعماء المصلحون . ويحسبك أن تعلم أنه لما قام رسول الله (ص) بدعوته جعل همه كله في القضاء على البدع والوثنيات التي تدسست إلى العقائد فأفسدتها ، والأوهام والترهات التي غشيت الأفهام فكبلتها ، وقد جعل هذا الجهاد أساس دعوته فلم يأت للناس بشيء من التكاليف الشرعية ولا أمرهم بأداء فرض من الفروض الدينية ، إلا بعد أن خلصت العقائد من لوثاتها ، ونشطت العقول من أغلالها ، وأصبحت الأمة كلها على دين واحد من التوحيد الخالص . وأنه صلوات الله عليه لم يفعل ذلك إلا لأن التوحيد الخالص هو كما قال الأستاذ الإمام : « كمال الإنسان ، وأنه إذا سلمت العقائد من البدع تبعها سلامة الأعمال من الخلل »

وإذا أنت رميت إلى تاريخ (لوثر) مصلح أوربا العظيم تجد نور هذه الحقيقة أمامك ساطعاً ، إذ أنه بعد أن قام بدعوته وطهّر المعتقدات مما كانت قد تلوثت بها ، دخلت أوربا في طور جديد من الإصلاح ظل يؤتي ثمره حتى صارت على ما هي فيه آلات مدنية وحضارة وعزة وقوة . ولقد قال توماس كارليل في تاريخ لوثر في كتاب الأبطال : إن على دعوته قد قامت دعائم الدستور الإنجليزي وبرلمانه والحرية الأمريكية واستقلالها والثورة الفرنسية ونتائجها

إن كثيرين ممن يتصدون للاصلاح (الكلامي) يستهينون بأمر البدع والخرافات ، وبعض هؤلاء يجعل من إصلاحه أن تظل هذه العلل تنخر في عظام الأمة ، لأنها (بزعمه) مما ينفع العامة . ولو هو تدبر الأمر بفكر الحكيم لعلم أنه ما أنهك جسم الأمة ، ولا قضى على كل فضيلة فيها إلا تلك البدع والخرافات .

ولقد أصاب السيد جمال الدين الأفغاني في قوله : « إن خرافة واحدة قد تقف بالعقل عن الحركة الفكرية وتدعوه بعد ذلك أن يحمل المثل على مثله فيسهل عليه قبول كل وهم وتصديق كل ظن ، وهذا مما يوجب بعده عن الكمال ، ويضرب له دون الحقائق ستاراً لا يخرق »

وإن للأستاذ الإمام محمد عبده لحكمة جليلة يجب على كل مصلح أن يتبعها ويسير على هداها وهي : « إن نجاح هذه الأمة إنما يكون بحسن التربية ، ولا سبيل إلى التربية فيها إلا بإصلاح معتقداتها وتصحيح ملكتها حتى تستقيم بذلك أعمالها وتصلح أحوالها »[1]

ولشيخه السيد جمال الدين منهج في إصلاح الاجتماع وإسعاد الأمم جعل الأمر الأول منه « صفاء العقول من كدر الخرافات وصدأ الأوهام ، فإن عقيدة وهمية لو تدنس بها العقل لقامت حجاباً كثيفاً يحول بينه وبين حقيقة الواقع ، ويمنعه من كشف نفس الأمر . وأول ركن يبنى عليه الدين الإسلامي (هو) صقل العقول بصقال التوحيد وتطهيرها من لوث الأوهام ، فمن أهم أصول العقائد أن الله منفرد بتصريف الأكوان متوحد في خلق الفواعل والأفعال ؛ وإن من الواجب طرح كل ظن في إنسان أو جماد علويًا كان أو سفليا بأن له في الكون أثراً بنفع أو ضر أو إعطاء أو منع أو إعزاز أو إذلال »

ومن أجل ذلك كان أول عمل قام به هذا السيد بمصر أن « وجه عنايته لحل عقل الأوهام عن قوائم العقول فنشطت لذلك ألباب واستضاءت بصائر »[2]

ولقد كان رحمه الله في جميع أوقات اجتماعه مع الناس لا يسأم من الكلام فيما ينير العقل أو يطهر العقيدة أو يذهب بالنفس إلى معالي الأمور »[3]

هذا هو أساس الإصلاح الذي يكون كل ما يبنى عليه قوي

(١) ص ٦٠٩ من الجزء الثاني من الجزء الثاني من تاريخ الامام
(٢،٣) ص ٣٢ ، ٣٧ من الجزء الأول من تاريخ الأستاذ الامام

أنات حائرة

للمدير الشاعر عزيز أباظة بك

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

خطر لى موضوع هذا المقال وأنا أقرأ ديواناً من الشعر الحزين الرصين أهداه إلىّ الشاعر عزيز بك أباظة

وكثير من الناس لا يعرفون شيئاً عن قصة هذا الشاعر، ولا قصة ديوانه الجديد الذى أتحف به باب المراثى فى الشعر العربى أما الشاعر فقد سمعت عنه من بعض أفراد أسرته الكريمة فقلت فى نفسى: قريب يحابى قريباً، ونسيب يزكّى نسيباً؛ ولكننى لما قرأت ديوانه استصغرت ما سمعت من الأخبار

وأما قصة الديوان، فهى قصة الدموع والأحزان والهموم والآلام نظمها الشاعر فى سلك وأهداها إلى مَن يجدون فى دموع غيرهم شفاء لغليلهم، وراحة لصدورهم

والديوان كله دموع ذرفها الشاعر على زوجته التى اختطفها الموت أنضر ما تكون شباباً. وكل بيت من الديوان يحمل ذكرى. وكل قصيدة تحمل أثراً

وهذا شىء جديد في الأدب العربى؛ فما رأينا قبل اليوم — فيما نعلم — شاعراً عربياً اختص زوجته بديوان كامل من شعره يقدمه تذكاراً لأيام سعيدة وبشاشات من العيش مضت إلى غير رجعة

وأكثر المراثى فى الأدب العربى هى من الرجال إلى الرجال؛ اللهم إلا مراثى الخنساء لأخويها صخر ومعاوية وأولادها الأربعة. فهى هنا الشاعرة الوحيدة التى تفردت بالبكاء حياتها.

ورثاء الرجال للنساء فى الشعر العربى قليل، وأقل منه رثاء الرجال لزوجاتهم. ولعل ذلك محمول على المحافظة على صيانة المرأة وبُعدها أن يكون اسمها مضغة فى الأفواه، وسيرة على الألسنة.

وليس فى ذلك مناقضة لورود المرأة فى شعر الغزل؛ فإن المرأة موضوع الغزل ليست مَحْرَماً للرجل وليست من أهله، ولا يعيب الرجل أن يتحدث الناس عنها. أما الزوجة المرثية، فهى لزوجها أهل وأمٌّ أبناء، فيجد من الحرج أن يذكرها فى شعره حتى ولو كان ذلك فى مقام الرثاء وموضع البكاء. ودليلنا على ذلك أن الطغرائى أنِفَ أن يذكر زوجته فى معرض رثائها فعبَّر عنها أكثر من مرة بقوله « ستيرته »[1] والستيرة هى المرأة المستورة. وهذا الوصف يوحى بأن الشاعر قصد أن يجعل زوجته فى ستر حتى على صفحات ديوانه المنشور

واشتهر من الأزواج الراثين لزوجاتهم مسلم بن الوليد[2]. ويظهر أنه كان ينوى أن يعرض عن رثاء زوجته — على عادة الشعراء قبله — ولكن حادثاً معيناً أغراه برثائها وهاج أحزانه فسجلها فى أبيات رائعة. ويلخص هذا الحادث[3] فى أن أصحابه لاحظوا عليه بعد دفنها شدة ألمه واستسلامه لأحزانه، فأرادوا أن يحملوه على الشراب حتى يتسلى بالخمر عن مصابها فرد عليهم بقوله:

بكاء وكأس كيف يتفقان سبيلاهما فى القلب مختلفان
دعانى وإفراط البكاء فأننى أرى اليوم فيه غير ما تريان
غدت والثرى أولى بها من وليها إلى منزل ناء بعينك دان
فلا حزن حتى تنزف العين ماءها وتمترف الأحشاء بالخفقان
وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها
وسهماهما فى القلب يعتلجان

ولابن الزيّات الكاتب الشاعر وزير المُعتصم والواثق العباسيين أبيات رثى بها زوجته ويصور حال ولده منها وقد تركته طفلاً صغيراً، يقول فيها: [4]

ألا من رأى الطفل المفارق أمه بُعيد الكرى عيناه تنسكبان

(١) ديوان الطغرائى، ومختارات البارودى
(٢) ديوان مسلم بن الوليد ومختارات البارودى
(٣) كتاب الأدب النوجيهى، ومختارات البارودى ص ٢٩٩ ج ١
(٤) مختارات البارودى

الأركان شديد البنيان، وكل إصلاح يقوم على غير هذا الأساس فإنما يكون مصيره ولا ريب الإخفاق والخيبة

وإنا نرسل اليوم هذه الصيحة من فوق منبر الرسالة لكى تبلغ المسئولين فى بلاد الشرق كافة، فينهضوا جميعاً فى حزم وقوة، وفى غير هوادة ولا لين، ليضعوا هذا الأساس بأيديهم ثم يقيموا عليه بعد ذلك ما يقيمون من إصلاح وما يبنون من أعمال

هذه هى صيحتى التى أبعثها إلى قومى. وأرجو أن أكون قد بلغت، وأن أكون قد ذكرتهم بما فيه الخير لهم، والذكرى تنفع المؤمنين

(المنصورة) محمود أبو رية

رأى كل أم وابنها غير أمه … يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيداً فى الفراش تجنُّبه … بلابل قلب دائم الخفقان
فلا تلحياني إن بكيت فإنما … أداوى بهذا الدمع ما ترياني

ومن الشعراء من يتخذ له جارية أو أكثر وفق ما كان مألوفاً فى زمانهم وجارياً عليه عهدهم ؛ فإذا ماتت جارية من هؤلاء وكانت عزيزة على الشاعر حبيبة إلى نفسه رثاها كما ترثى الزوجة ، وقد يذرف عليها من ساخن عبراته ما يعبر عنه شعره . كما فعل أبو تمام فى رثاء جارية له[1] يقول فيها:

أصبت بخود سوف أغبر بعدها … حليف أسى أبكى زمانا زمانها
عنان من اللذات قد كان فى يدى … فلما قضى الألف استردت عنانها
منحت الدُّمى هجرى فلا محسناتها … أود ولا يهوى فؤادى حسانها
يقولون هل يبكى الفتى لخريدة … إذا ما أراد اعتاض عشراً مكانها
وهل يستعيض المرء من عشر كفه … ولو صاغ من حر اللجين بنانها ؟

وأبو تمام هنا يؤمن بالفردية وعدم القابلية للتعويض ، فقد يكون من الجوارى من يزدن حسناً على جاريته المرثية ، ولكنه لا يجد فيهن العوض منها لخصائص فيها ليست لواحدة منهن

والشريف الرضى يرثى (بعض أهله) بأبيات فيها أثر اللوعة والحزن الشديد ؛ ولعل بعض أهله زوجة له ، لأن العرب تعبر عن زوجة الرجل بأهله . قال الشريف :

ذكرتك ذكرة لا ذاهل … ولا نازع قلبه والجنان
أعاود منك عداد السليم … فيادين قلبى ماذا يدان
وبابى الجوى أن أسر الجوى … إذا ملئ القلب فاض اللسان
وما خير عين خبا نورها … ويمنى يد جذ منها البنان
فيا أثر الحب إنى بقيت … وقد بان ممن أحب العيان
وقالوا تسل بأترابها … فأين الشباب وأين الزمان ؟

والشريف صادق فى البيت الأخير ؛ فأين الشباب المسعف على اصطناع الحب من جديد ؟ وأين الزمان المعين على ذلك بعد أن ضاع من العمر غير قليل ؟

وأكثر الشعراء رثاء لزوجته فى الأدب العربى « الطغرائى » فله أكثر من خمس قصائد مختلفات فى الوزن والقافية . وكلها تدل على شديد حرقته . ولعله بذلك مهد السبيل لمحمود سامى البارودى باشا الذى رثى زوجته بقصيدة تعد أطول ما رثيت به امرأة فى الأدب . فقد بلغت أبياتها سبعة وستين بيتاً[1]

وقصيدة البارودى هذه لا تمتاز من مراثى النساء بطولها فحسب ، بل تمتاز بتعبيرها عن أحزان البارودى ونفسه المحطمة أصدق تعبير ، فقد كان منفياً بجزيرة سرنديب يوم ورد إليه نعيها . ولكنه على عزيمته القوية لم يستطع احتمال الصدمة فيها فيقول :

أيد المنون قدحت أى زناد … وأطرت أية شعلة بفؤادى
أوهنت عزمى وهو حملة فيلق … وحطمت عودى وهو رمح طراد

ويقول :

يا دهر فيم فجعتنى بحليلة … كانت خلاصة عدتى وعتادى
إن كنت لم ترحم ضناى لبعدها … أفلا رحمت من الأسى أولادى

ولكنه بعد أن يذيب قلبه حسرات عليها يعود فيرضى بقضاء الله الذى لا مرد منه ولا محيص عنه فيقول :

كل امرئ يوماً ملاق ربه … والناس فى الدنيا على ميعاد

أما الطغرائى فكان على إكثاره من القصائد غير مرتفع إلى مستوى البارودى فى مرثيته الخالدة . وإذا كان الطغرائى هو شاعر الشكوى من الزمان ، فلم يستطع أن يكون بحق شاعر الرثاء . وأحسن أبياته فى رثاء زوجته قوله :[2]

إن ساغ بعدك لى ماء على ظمأ … فلا تجرعت غير الصاب والصبر
وإن نظرت من الدنيا إلى حسن … مذ غبت عنى فلا متعت بالنظر
صحبتنى والشباب الغض ثم مضى … كما مضيت فما فى العيش من وطر
سبقتمانى ولو خيرت بعدكما … لكنت أول لحاق على الأثر ...

وقوله :

وا بؤس منفرد عمن يضاجعه … مشرد النوم بين الأهل والمال
يزيد حر حشاه برد مضجعه … ويملأ القلب شجواً ربعه الخالى
يبكى ويندب طول الليل أجمعه … فلا يقر ولا يهدا على حال

هذه خواطر أملتها علىَّ قراءتى لديوان « أنات حائرة » الذى نظمه عزيز أباظة الشاعر لذكرى زوجته . ومن حق ناظمه الكريم — بعد تعزيتنا له — أن يفاخر بأن ديوانه الجديد هو أول ديوان فى الشعر العربى يُعمل برمته فى رثاء زوجة .

محمد عبد الغنى حسن

(١) ديوان أبى تمام لناشريه عبد الفتاح مصطفى وعبد الحميد يونس .

(١) ديوان البارودى الجزء الأول لناشريه على الجارم وشفيق معروف ص ١٨٩ (٢) ديوان الطغرائى طبع الشام ، ومختارات البارودى

الله ! . . .

للأستاذ أحمد الصافى النجفى

بلغت ما يصبو إليه الورى   وغـــير ذا ما أتمناه
أرضيت بالشعر البرايا وما   أرضاه إن لم يرضه الله
الله أستاذى وكل الذى   خطّ يراعى فهـو أملاه
لا مبدع إلاه ، لا ناقد   ســـواه ، ما يأباه آباه
أخجل من عرض فنونى له   وإن تكن بعض عطاياه
أبدلت فنى بخشوعى فإن   يُقبَل فـذا ما أتوخاه
شوّهتُ فنّ الله إذ رمتُ أن   أزيد بالفن مزاياه
أحتقر الناس وإعجابهم   ومن هُم ؟ لا شىء إلاه
لو لا تجلّيـه على خلقه   لقلت هم والوهم أشباه
الله نور الأرض نور السما   ما أنا ، ما العالم ، لولاه ؟
أعمى الورى من لا يرى نوره   ألم يشاهد ؟ أين عيناه ؟
أعمته عيناه وأغنى على   عمى فلم تصدُقه رؤياه
تاه من النور وكم معشر   إن تزد النور لهم تاهوا
كم تكذب العين بما تدعّى   فأوضح العـالم أخفاه
أراه فى الكون بعين الحجى   لا أشرك العين بمرآه
إذا ادّعى عقلك إنكاره   فأنكر العقل ودعـواه
معظمى كونىَ من فيضه   مصـغّرى فهمى إياه
عجبت من ساع إلى غيره   والكلّ لفظ هو معناه
تألّه البعض شـعوراً به   فصاح فى جبّتىَ الله
ولو رآه لهـوى مثلما   موسى هوى من طور سيناه
أعرَف بالله امرؤ شاعرٌ   يدرك فى الكون خفاياه
آمنت بعد الكفر مستغفراً   عن جهل عقلى وخطاياه
يأخذ مصنوع على صانع   ما أحقر العقـل وأغباه
وعدت للخالق أدعوه أن   يزيد نورى يوم ألقاه
كهولتى بالله قـد آمنت   ضـلّ شبابى ودعاواه
فإن تجد ذا شيبة جاحداً   فصـل إلى الموت أحلناه
روح المعرّى فىّ قد آمنت   فأبصرتْ فى الموت عيناه
عاشت بروحى روحه ترتقى   فمذ سمتْ لاح لها الله
بدأت تلميذاً على عقلـه   ثم اعتلى عقلى فأعـلاه
أنضجت روح الشعر فى روحه   فاستيقظت فى العقل رؤياه
واستيقظ العقل بما قد رأى   واتحـد الرائى ومرآه
وضـلّ أتباع المعرّى إذ   ظنوه قد ظـلّ على ما هو
خالوه من جمودهم جامداً   لقـد أساءوا لمزاياه
ما هو إلا فكرةٌ تعتلى   حتى ترى فى الكون أعلاه
أفكارنا أفكار قوم مضوا   يتّصـل الأعلى بأدناه
مراحل الفكر بهذى الدنى   مراحـل العمر بدنياه
آخرة المرء كدنياه   ومنتهى الفكر كمبداه
كانت بذوراً وغدت دوحة   تثمر ما البـذر خفاياه
ما نحن إلا فكرة لم تزل   ترقى إلى ما قـدّر الله
رسالة الغفران لم تغتفر   للشعرا كفراناً به فاهوا
وجئت فى شعري مستغفراً   عن المعرّى وخطاياه

أنة محزون

للدكتور محمد عبد المجيد القاضى

(بمناسبة مرور الأربعين على وفاة المغفور له نيازى باشا)

قوضت يد المنون بالأمس — ويد المنونِ قوية لا ترحم — ركناً شديداً من أركاننا له فى طوايا القلوب مركزه المنيع ، وبين حنايا الضلوع مكانه الرفيع

عَدَت المنون عليه رجلاً كامل الصحة ، كامل الرجولة ، كامل الخلق

وما زال حديثه العذب يرن فى أذنى ، ودرره الغوالى تتردد إلى ذهنى ، وصورته الحبيبة ماثلة أمام عينى ، وروحه القوية متغلغلة بين وجدانى . لك الله أيها الوالد ! فقد تركت فى القلب جرحاً لا يندمل ، وفى النفس لوعة لا تخف . لك الله أيها الوالد الكريم ! فقد كنت لربك مخلصاً تقياً ، ولوطنك باراً وفياً ، ولأصحابك صديقاً ولياً ، ولمرءوسيك رحيماً رضياً ، ولزملائك مكرماً حفياً ! لك الله أيها الوالد ! فهذه سيرتك عاطرة ، والحياة بين الناس سير . وهذه ذكراك باقية والحياة على ممر الأيام ذكرى

فى ذمة الله أيها الراحل الكريم ! وفى جنات الخلد والفردوس مقرك ومقامك .



لجنة لدرس حالة الكليات والمعاهد الأزهرية

أصدر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بتاريخ ٢٦ يوليه سنة ١٩٤٣ قراراً بتأليف لجنة لدرس حالة الكليات والمعاهد الأزهرية هذا نصه :

« ظهر فى هـذا العام وبعض الأعوام الماضية ضعف نتائج الامتحانات فى الكليات والمعاهد وذلك يستدعى بحث حالة الكليات والمعاهد من جميع نواحيها . لذلك قررنا تأليف لجنة من :

ا — حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية رئيساً

ب — حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة :

١ — شيوخ الكليات الثلاث ٢ — الشيخ ابراهيم الجبالى
٣ — الشيخ محمود النمراوى ٤ — « محمود شلتوت
٥ — « حامد محيسن ٦ — « عيسى منون
٧ — « الشيخ عبد العزيز مصطفى المراغى
٨ — « عبد الحميد ناصف ٩ — الدكتور محمد البهي قرقر

ومهمة هذه اللجنة المسائل الآتية :

١ — النظر فى أسباب ضعف نتائج الامتحانات فى الكليات والمعاهد

٢ — النظر فى المناهج والكتب فى الكليات والمعاهد

٣ — بيان طريق العلاج لهذه الحالة بما يحقق للأزهر دراسة مجدية تكفل الإحاطة بالعلوم وتحقق للطلاب ملكة البحث والتحصيل معتمدين على أنفسهم

٤ — النظر فى أقسام تخصص المادة ووضع النظم الكفيلة بتحقيق الغرض الذى من أجله أنشئت هذه الأقسام

« وللجنة أن تدعو من تشاء من حضرات أصحاب الفضيلة شيوخ المعاهد لأخذ رأيهم عند الحاجة » شيخ الجامع الأزهر

محمد مصطفى المراغى

ولا شك أن كل مخلص للأزهر يرجو لهذه اللجنة الموقرة التوفيق فى عملها والوصول إلى ما يصلح شأن الأزهر وينقذه مما ألم به وشكا منه أهل الغيرة عليه ، ويهيئ له — كما يقول القرار — دراسة مجدية فى كلياته ومعاهده وتخصصاته ، ويحقق الغرض المرجو منه للدين والثقافة الإسلامية

ولا شك أيضاً أن الناس جميعاً فى الأزهر وفى غير الأزهر سينظرون إلى هذه اللجنة الموقرة نظرة ملؤها اليقين والثقة فى إخلاصها وصدق عزيمتها راجين أن تسرع بقدر الإمكان فى أداء مهمتها . وإن لجنة تتألف من هؤلاء الأساتذة الأجلاء وعلى رأسها هذا الرجل المخلص الغيور على مصلحة العلم والدين لجديرة بما يعقده عليها الناس من الآمال ، والله ولى التوفيق . (م ...)

وشاية

دكتورنا « المبارك »

لا أدرى أى شيطان يحركنى لأوقع بينك وبين أديب كبير تحبه أعنف الحب ، وتبجب به أبلغ الإعجاب ، ويخلع عليه قلمك الصوّال أبلغ آيات الثناء

وأحب — قبل كل شىء — أن أطمئنك فأؤكد لك أنى مثلك « لا أستسيغ مذهب المجلات التى ترى من البراعة أن تورث الخصومات بين رجال الأقلام ليتفرج القراء »[1] وأنى أيضاً لا أحب أن يختصم الأدباء فيما بينهم ليقدموا النداء لأهل الفضول . ولكنى مع ذلك لا أتردد مطلقاً فى أن أنقل إليك هذه الوشاية التى أزعم أنها تمسك من قريب أو بعيد

فى بهو « الملك داود »[2] ، وفى متوع الضحى من كل يوم ينتثر على الموائد الأنيقة المترفة فريق من صفوة الشباب المتنور الراق ، ينعمون ساعة بحديث الأدب والسياسة ، ثم يتفرقون على غير ميعاد . ومن عادتى كلما رأيت الأستاذ الكبير إسعاف النشاشيبى بك أن أتسلل إليه برفق وهوادة ، و(أطبّ) على مائدته بدون بلاغ أو استئذان . وسرعان ما ينطلق لساننا فى التحدث عن الأدب والأدباء . وسرعان ما يجرى فى كلامنا أسماء المازنى والعقاد وطه حسين والزيات وزكى مبارك

وأشهد أن الأستاذ النشاشيبى محب للدكتور مبارك معجب بأدبه ونشاطه ، ولكن الشىء الذى يبابل بالى ويحير لبى أن هذا الباحث اللغوى الجليل لا يذكر اسم زكى مبارك إلا مقروناً بكلمة « الخبث »

(١) راجع مقالة الدكتور مبارك فى العدد ٥٢٤

(٢) فندق فخم يقول عنه الفنانون من رجال البناء والهندسة إنه قطعة من فن البناء يقل شبيهه فى العالم

أقول له . الدكتور مبارك شعلة نشاط يا سيدى . فيجيبنى : أجل ، أنا معك بأن « الخبيث » زكى مبارك شعلة وهاجة من النشاط . فكنت أعجب لذلك وأذهب من توّى أفتش على معاجم اللغة لأطمئن على أن لفظة « الخبيث » ترادف لفظة الدكتور أو تدل على معنى يقاربها فلا أرجع من هذه المعاجم بطائل ، ولا أرى فيها إلا ما يمزق الأحشاء ويفتت الأكباد

فما رأى سيدى الدكتور ؟

هل يجوز أن يكون عندك تخريج لمعنى هذه الكلمة التى يطيب لعلامة فلسطين أن يلصقها أبداً باسمك ؟

أما أنا فقد أقسمت أن لا أجلس إلى مائدة أستاذنا النشاشيبى فى بهو الفندق حتى أنقل لك هذه الوشاية وأسمع رأيك فى الموضوع . والسلام عليك من الصديق الجاد فى حديثه إليك :

(القدس) عبد القادر جنيدى

حاشية : يهم الدكتور مبارك أن أعلن أن الأستاذ النشاشيبي قد استبدل بالسكوفية والعقال عمامة كبيرة ترف على رأسه تشبه عمامة السيد جمال الدين الأفغانى . ولعلى بهذا الخبر الطريف الذى أزفه للأندية الأدبية أكون قد قدمت للدكتور مبارك مادة غزيرة لجوابه المنتظر

إلى الأستاذ عبد الله المكرون

ليست Expressionist إسم فاعل من Express ولكنها نسبة من Expression كما تنسب Artist إلى Art وقد تواضع أصحاب المذاهب على النسبة إلى المصدر فيقولون مثلاً :

١ — التصوريون Conceptualists وكان يسميهم ابن رشد المشبهة فعدل المحدثون عنها لأنها اسم فاعل

٢ — التجريبيون : أى أصحاب المذهب التجريبى Empiricists ولم يقولوا المجربون بصيغة اسم الفاعل

٣ — التجريديون : أى أصحاب المذهب التجريدي Transcendentalists ولم يقولوا المجردون

٤ — التغيّرون : أى أصحاب مذهب تعدد الأغراض Fluxionists ولم يقولوا المتغيرون أو المغيرون مثلاً

٥ — التطوريون: أى أصحاب مذهب التطور Evolutionists ولم يقولوا المتطورون

٦ — التشبيهيون أى القائلون بالتشبيه Anthropomorphists

وقد جروا على هذا حتى فى غير المصادر ، فيقولون :

١ — الأدريون أى الذين يقولون نحن ندرى كل شىء : Gnosticists

٢ — اللا أدريون Agnosticists إلى آخر تعبيرات أصحاب المذاهب ، وإليك تحيتى

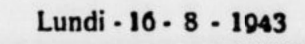
دربنى خشبة

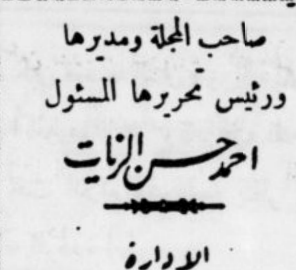
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 528

Lundi - 16 - 8 - 1943





صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٥٢٨ « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ شعبان سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهــرس

صفحة		
٦٤١	نهاية أستاذ	أحمد حسن الزيات ... ...
٦٤٣	الصيد في الأدب العربي ...	الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٤٤	عروس النيل	الدكتور زكي مبارك .. ...
٦٤٨	أيها الأدباء أعصابكم ...	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٦٥١	دراسات عن مقدمة ابن خلدون	الأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري ... .
٦٥٥	اللغة العربية	الأستاذ محمد عرفة ... ...
٦٥٧	في استقلال القضاء [قصيدة]	الأستاذ محمود الخفيف ...
٦٥٩	(١) الشاعر ابن العرايش من هو ؟ .. ... (٢) آباء العلاء ... . (٣) رباعيات الخيام . ..	الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٦٥٩	قضية تحسر	الأديب زكريا إبراهيم . ...

نهــاية أستاذ ...

مئاتٌ من المدرسين وآلافٌ من الطلاب يعرفون الأستاذ أحمد عثمان المهدي مدرس الفرير الثابر خمساً وثلاثين سنة. ولكن معرفتي إياه رفيقاً في الدراسة، وزميلاً في التدريس، تجعلني أقدرَ من عرفوه جميعاً على حكاية مأساته، وكشف ما خفي من أسرار حياته ومماته.

عرفته سنتين طالباً في الأزهر يُعنى بتجويد الخط، ويحاكي «أبناء البلد» في الزواء والسَّمت. ومن كان ربيبَ أسرة المهدي[1] المترفة كان خليقاً أن ينشأ على حب الجمال في الزي والمنظر

وزاملته سبع سنين مدرساً في كلية الفرير بالخرنفش يُعلّم العلوم العربية في فصولها المختلفة، وينسخ «للأخ بلاج» المفتش أصول (مؤلفاته[2]) في النحو والبلاغة والأدب. وما كان أحذق المتنبئين ليستطيع حينئذ أن يتنبأ لهذه النفس الراضية والطبع المرح والثغر الضحوك واللسان الداعب، بهذه الكهولة الأليمة والعاقبة المحزنة. نعم كان التفطن المستبصر يخشى أن تكون له في بعض الأزمان زوجة وأولاد؛ فقد كان يعيش عيش السمك في الماء، لا يكاد يعرف له مستقراً ولا غداً ولا غاية.

(١) كان أبوه من مماليك الشيخ المهدي ومن هنا كانت نسبته

(٢) من الانصاف للحقيقة والتاريخ أن أقول بهذه المناسبة أن الذي ألف كتابي (سفينة النحاة) و (سفينة البلغاء) هو الشيخ سيد الشاب؛ وأن الذي حرر كتاب (بحر الآداب) في أجزائه الخمسة ووضع نثره ونظمه في هذا الأسلوب الأخير هو الشيخ أحمد حسن الزيات

كان يقضى فراغه كله فى المقاهى بين زمرة من الشباب الملق المتملق ؛ وكان العِرق التركى الذى فيه لا يزال يضرب عليه بالشموخ والأبهة ، فلا يسمح لأحد من الجلاس أن يدخل يده فى جيبه . وكان فضلاً عن ذلك مخروق الكف والكيس فلا يمسكان على ما يكسب ، ولا يبقيان على ما يملك . كان لا يسأله أحد إلا أعطاه ، ولا يُعرض عليه شيء إلا اشتراه . وكان أكثر ما يشتريه لا يحتاج إليه ، كأداة المطبخ وليس له بيت ، أو حاجة المرأة وليست له زوجة . إنما كان مولعاً بمساومة الباعة الجوالين ، ويسره أن يعلموا أنه خبير بالصنف فلا يُغش ، عليم بالثمن فلا يغبن . وقد فطن الخبثاء إلى هواه فكانوا يتغالبون له ويتشاكون منه ، وهو يشترى ويشترى ثم يودع ما اشتراه صاحب القهوة ولا يطلبه !

وكان لحبه الخير والشهامة يتمدح بما فعل وما لم يفعل منهما . ولخياله الخصب فى هذا الباب حوادث وأحاديث يكون هو فيها البطل المرموق . وكان يكفى أن تحسن الاستماع وتظهر الاقتناع لتسلبه الإرادة وتقوده إلى حيث تريد . وضعف إرادته إنما كان يظهر فى نواحى المروءة والرحمة ، أو فى أمور المال والمعيشة . فكان لا بد له من قيم يدبر ماله وينظم أمره . ولكنه مع ذلك كان يعيش أرغد العيش ، وينعم أطيب النعمة ، لأنه كان يُخلف ما يتلف . كان يكسب من الدروس الخصوصية لليهود أضعاف ما يأخذ على عمله اليومى فى المدرسة . وكان من الجائز أن يقضى العمر فى ظلال هذا العيش النرير لولا أن وقع المحذور وتنبهت عيون الحوادث . تزوج المسكين ! ! وكانت زوجه لسوء حظه صورة مؤنثة منه . بل زادت عليه أنها من قوم فقراء يحبون الرفد والمعونة . وكانت كما شاء القضاء ولوداً ، فلم يأت على زواجهما بضع سنين حتى كانا فى بضعة أولاد . وتظاهر ضعف الزوجين وإسرافهما الشديد ونزاعهما المتصل على حياة هذه الأسرة البائسة فلم تنعم بهدوء ولم تظفر بتربية . وأصبح كدح الرجل قليلاً على تسعة أفواه لا تحسن غير الخضم والهضم ؛ فكان يكد ويحتال ويتصرف ويقترض . ولكن الأمر كان فوق طاقته . ومن المحال أن يتعادل دخل المبذر وخرجه . والماء مهما زخر وارتفع لا يبقى إذا ما انتهى إلى بالوعة !

وتسابقت الأحداث إلى المسكين ففدحه الدين ، وركبه الهم ، وغاضت بشاشة وجهه ، وذهبت أناقة هندامه . وقسا عليه الدهر ذات مساء فانتحر ابنه البكر تحت الترام وهو معه ينظر إلى أشلائه المبددة ، ويستمع إلى أنانه المرددة !

ثم جاءت هذه الحرب بما نعرف من بلائها وغلائها ، وكانت عوارض الوهن والانحلال قد ظهرت على المعلم المكدود فاضطرب تفكيره وفتر نشاطه . وصعب على (الفرير) خدام الدين والعلم أن يحشوه عظماً كما نهشوه لحماً ، فأخرجوه بعد أربع وثلاثين سنة قضاها معهم فى جهاد العجمة واللكنة لا يدخر جهداً ولا يبالى مشقة . أخرجوه وكل ما في يده مائة وخمسون جنيهاً كافأوه بها على ما أفنى من صحته وشبابه . وكانت هذه المكافأة طعام أشهر معدودة كان فى أصباحها وأمسائها يطرق الباب بعد الباب عسى أن يجد السبيل إلى رزقه الهارب ، أو الوسيلة إلى عيشه المفقود . وتصامّ أكثر الأصدقاء فلم يستجيبوا لطرق الأنامل النحيلة على الأبواب الصقيلة . . . فباع الرجل فضول المتاع ثم باع حاجاته . وكادت الأسرة الشريدة تجوع وتعرى لولا أن قيض الله له صديقاً من ذوى الجاه والفضل فرشحه للتدريس فى المدرسة الملكية بالمنصورة . ولهذه المدرسة شهرة بحب الجمع وكراهة القسمة ، فرتبت له ثمانية جنيهات فى الشهر . وحاول البائس المضطر أن يسد بهذا المرتب أجرة مسكنه ونفقة عياله ، فاستحال ذلك عليه إلا أن يسكنوا نصف السكن ، ويأكلوا بعض الأكل ، ويخلصوا من عقابيل السرف القديم . فكان يقترض من المدرسة سبعة جنيهات فى كل شهر على حساب الأشهر المقبلة ، حتى جاء شهر مارس الماضى وليس له من مرتب العام كله غير خمسة جنيهات ! نعم خمسة جنيهات هى كل ما بقى لسبعة الأشهر الباقية ! إذن ماذا يصنع ؟ لم يبق فى المنزل ما يباع ، ولا فى الناس من يعين ، ولا فى الغد ما يُرجى !

وها هو ذا بعد أن نيّف على الخمسين فى خدمة اللغة والأدب يجد نفسه على شفا الهاوية ممنوع الرزق مقطوعَ الرجاء لا منصبٌ يُظل ولا ثروة تُغل ولا ولدٌ يعول ولا عشيرة تؤوى ولا أمة تساعد !

(البقية على صفحة ٦٦٠)

احمد حسن الزيات

٢ـ الصيد فى الأدب العربى

للدكتور عبد الوهاب عزام

يصف لبيد صيد بقرة وحشية تخلفت عن القطيع تطلب ولدها وقد أكلته الذئاب ، ثم لجأت إلى شجرة مفردة فى الرمال فى ليلة مظلمة ماطرة . ولما أسفر الصبح شرعت تعدو حائرة ، فظلت سبعة أيام حتى يئست من ولدها وفطيمها ، فسمعت حس الإنس فخافت وترددت بها الحيرة بين العدو أمام وخلف . وأرسل الصيادون كلابهم فكانت معركة قتل فيها كلب وفرت البقرة . وهى أبيات جيدة لا يملك قارئها إلا الإشفاق والحزن لهذه البقرة وولدها .

وهذه أبيات للنابغة الذبيانى يصف معركة بين الثور والكلاب ، وهى تشبه فى الصورة العامة أبيات لبيد :

كأنما الرحل منها فوق ذى جُدَد ... ذَبِّ الرياد إلى الأشباح نظَّار

مُطرَّد أفردت عنـــه حلائله ... من وحش وَجرة أو من وحش ذى قار

مجرَّس، وَحَـد جَأْب أطاع له ... نبات غيث من الوسمى مِبكار

سَراته ما خلا لبانَه لهَـق ... وفى القوائم مثل الوشى بالقار

باتت له ليـلة شهبا تسفمه ... بحاصب ذات إشمان وإمطار

وبات ضيفاً لأرطاة وألجأه ... مع الظلام إليها وابل سـار

حتى إذا ما انجلت ظلماء ليلته ... وأسفر الصبح عنه أى إسفار

أهوى له قانص يسعى بأكلبه ... عارى الأشاجع من قُنَّاص أنمار

محالف الصيد هبَّاش له لحِم ... ما إن عليه ثياب غير أطمار

يسعى بغُضف براها فهى طاوية ... طولُ ارتحال بها منه وتسيار

حتى إذا الثور بعد النفر أمكنه ... أشلى وأرسل غُضفاً كلها ضار

فكرَّ محمية من أن يفر كما ... كرَّ المحامى حفاظاً خشية العار

فشك بالروق منه صدر أولها ... شك المشاعب أعشاراً بأعشار

ثم انثنى بعد للثانى فأقصده ... بذات ثغر بعيد القعر نعار

وأثبت الثالث الباقى بنافذة ... من باسل عالم بالطعن كرار

وظل فى سبعة منها لحقن به ... يكرُّ بالروق فيها كرَّ أسوار

حتى إذا ما قضى منها لبانته ... وعاد فيها بإقبال وإدبار

انقض كالكوكب الدرى منصلتاً ... يهوى ويخلط تقريباً بإحضار

لا يتسع المقال لتفصيل الصورة التى صورها النابغة وتفسير الألفاظ فحسبى أن أبين الصورة إجمالاً :

فى الأبيات الأربعة الأولى شبه الشاعر ناقته بثور وحشى ، ووصف لون الثور فى ظهره وقوائمه : ظهره أبيض وفى قوائمه خطوط سود ، وبين أنه قوى سمين قد رعى نبات الوسمى ، وأنه أفرد عن البقر فهو نفور قلق

وفى الأبيات الثلاثة التالية بيّن أن المطر والريح ألجأا الثور إلى شجرة من الأرطى فبقى عندها حتى الصباح

وفى الأبيات الأخرى وصف الصائد وكلابه وما وقع بين الثور والكلاب العشرة ؛ قتل الثور منها ثلاثة ، ودفع السبعة التى لحقت به حتى :

انقض كالكوكب الدرى منصلتاً ... يهوى ويخلط تقريباً بإحضار

ثم أراد وصل الكلام بأوله فرجع إلى ذكر الناقة قائلاً :

فذاك شِبه قلوصى إذ أضرَّ بها ... طول السُّرى والسرى من بعد أسفار

وينتهى الوصف بنجاة الحيوان لأن مقصد الشاعر أن يشبه ناقته به وهو يجد فى الهرب ، إلا أبا ذؤيب ومن نهج نهجه فهم يختمون المعركة بقتل الحيوان لأن قصدهم أن يبينوا أن حوادث الدهر تنال حتى هذا الحيوان الوحشى القوى السريع

وقد وصف أحيحة بن الجلاّح صيد الظباء والأرانب بالكلاب وأثبت الجاحظ قصيدته فى كتاب الحيوان[1]

فى العصور الإسلامية

أباح الإسلام الصيد وأحل لحم الحيوان الذى يقتله السهم أو كلب الصيد . وفى القرآن الكريم : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وما علّمتم من الجوارح مكلِّبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم ، واذكروا اسم الله عليه »

(١) أنظر كتاب الحيوان ج٢

عروس النيل

[رسالة مهداة إلى روح الأب العظيم عبد السلام مبارك]

للدكتور زكى مبارك

فى هذه السنة تخلَّف النيل ، وتخوَّفَ الناس عواقب الصدود من النهر الوفىّ المحبوب ، فتذكرتُ ما وقع فى أيام سيزوستريس ، وتمنيت لو رجعنا إلى عهود الوثنية ، فأهدينا إليه صبية ، لينشرح فيعود !

وقبل أن أسوق الحديث عن عروس النيل أذكر أشياء من الحياة المصرية قبل إنشاء خزان أسوان ، وهى حياة تختلف عن حياة اليوم كل الاختلاف

لم يكن النيل يغمر أرض مصر أكثر من شهرين ، ثم ينحسر بعد أن يضيع منه فى البحر ما يضيع ، ولكنه مع ذلك كان يترك ثروة عظيمة من المياه الجوفية ، المياه المخزونة فى جوف الأرض ، وكانت تلك المياه زاد المصريين إلى أن يعود النيل من جديد

ولهذه الأسباب كانت مصر أقدم أمة أجادت طىّ الآبار والسواقي ، فكان فى كل بيت بئر ، وفى كل مزرعة ساقية ، وكان فى منازل المياسير ما يسمَّى بالصهاريج ، وهى أحواض مسحورة تحفظ كيات عظيمة من الماء الزلال

والذين زاروا المعابد الفرعونية يذكرون أن بها آباراً فى أكثر الجوانب ، وكذلك كان الحال فى العهد الإسلامى ، فلا تزال فى منزل السحيمى بالقاهرة ساقية ، وإن طال على مجرها الزمان

وغيبة النيل شهوراً طوالاً من كل سنة لم تكن تؤذى المصريين بعد أن أجادوا طىّ الآبار والسواقي ، ولو شئت لقلت إن غيبة النيل كانت أداة من أدوات التحصين ، فقد كانت المواصلات فى العهود القديمة تعتمد على الملاحة ، وكان من العسير على من يغزو مصر أن يتجه إلى الجنوب مع تعذر الملاحة فى النيل ، بسبب الجفاف أيام التحاريق ، وخوفاً من عنف التيار أيام الفيضان ... وهذا فى نظرى أهمّ الأسباب فى ميل الفراعنة إلى أن تكون عواصمهم بالصعيد ، فقد كان لهذا المعنى أمنع من نواصى الجبال

هل قرأتم في أى كتاب أن الفراعنة أجادوا تعبيد الطرُق الزراعية ؟

لقد تركوا هذا الجانب من النظام عامدين متعمدين ، ليكون التوغل فى بلادهم باباً من العناء

وبمناسبة الآبار أذكر ما شهدت منها بمعبد الكرنك ، فقد كان المهندسون يثقبون الأحجار الكبيرة بنسبة معلومة ،

واستمر العرب على ما ألفوا من سنن الصيد فى الجاهلية ؛ وزادوا ضروباً من السلاح ومن الحيوان الذى يستعينون به على الصيد . زادوا قوس البندق وغيرها ، وعلموا الفهود وكثيراً من الطير الجارحة . واحتفى الأمراء والكبراء بالصيد وأعدوا له عُدده من الرجال والحيوان والسلاح . وعنوا بتربية الحيوان وتضريته ، ووضعت الكتب فى هذا الفن الذى عرف باسم البيزرة أخذاً من كلمة « بازيار » الفارسية ومعناها القيم على البازى أو البزاة . ولكشاجم الشاعر كتاب المصايد والمطارد . وبالرجوع إلى هذه الكتب أو كتب الأدب الجامعة مثل نهاية الأرب يتبين عناية العرب بهذا الفن وولع الشعراء به

افتن الشعراء ثم الكتاب فى وصف الصيد وآلاته وحيوانه وحركاته ووصف المصايد . وقد استقل وصف الصيد فى الأراجيز والقصائد التى عرفت بالطرديات فصار فناً أدبياً متميزاً .

ومن الشعراء المفتنين فيه أبو نواس . نظم فيه تسعاً وعشرين أرجوزة وأربع قصائد . وأبدع فى وصف كلاب الصيد وطيره . قال الجاحظ فى كتاب الحيوان عن أبى نواس :

وأنا كتبت لك رجزه فى هذا الباب لأنه كان عالماً راوية . وكان قد لعب بالكلاب زماناً وعرف منها مالا يعرفه الأعراب وذلك موجود فى شعره ، وصفات الكلاب مستقصاة فى أراجيزه . هذا مع جودة الطبع وجودة السبك ، والحذق بالصنعة . وإن تأملت شعره فضلته

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

ثم يضعون حجراً فوق حجر ، كما يوضع الطوق فوق الطوق ، لتصير الآبار فى أمان من الاختلال

وكان للآبار فى مصر منزلة شعرية تفوق المنزلة النفعية ، فقد كان مفهوماً عند الجمهور أن لكل بئر ملائكة تختلف باختلاف المكان ، فهذا البئر مسكون بأرواح لطاف ، وذاك البئر مسكون بأرواح كِثاف ، وباختلاف الروح يختلف طعم الماء فى الملوحة والعذوبة والكدر والصفاء[1]

وكانت هذه العقيدة ملحوظة فى تقدير السواقى من الوجهة الروحية ، فلا خطر من نزول هذه الساقية لأنها مسكونة بأرواح خيِّرة ، أما تلك الساقية فمسكونة بأرواح شقية ، ألم تسمعوا أنها قتلت فلاناً حين تجاسر على نزولها بالليل ؟

ومياه الآبار والسواقى باردة فى الصيف وحارّة فى الشتاء ، فما سبب هذه الظاهرة الغريبة ؟

يقول العِلم إن مياه الآبار والسواقى بعيدة عن التأثر بالأحوال الجوية ، فهى لذلك باردة فى الصيف وحارة فى الشتاء ، فهل كان هذا هو الرأى عند أهالى الريف ؟

كان الرأى عندهم أن للأرض وجهاً آخر ، وجهاً يعانى برد الشتاء حين نعانى حر الصيف ، ويعانى حرّ الصيف حين نعانى برد الشتاء ، وكان مفهوماً أن السِّيخ الذى يفجِّر العيون فى الآبار والسواقى يخرق القبة القائمة بيننا وبين البحار التى تسقى الوجه الثانى من الأرض ، وكان ذلك هو السر فى أن يختلف الماء بالحرارة والبرودة باختلاف الجو هنا وهناك

هذه الأخيلة الطريفة كانت الزاد لأهل الريف منذ زمن وأزمان ، والفلاّح المصرىُّ شاعرٌ بالفطرة والطبع ، فما كانت الدنيا عنده إلا ميدان قتال بين الملائكة والشياطين

إن الأمم لا تعرف الأساطير إلا فى عهود الفتوّة ، فإذا اكتهلت عرفت الحقائق ، وسعادة الكهول بالحقائق لا تقاس إلى سعادة الفتيان بالأباطيل

كان أهل الريف سعداء بالجهل ، لأنه طوّف بهم فى آفاق شعرية ، فما فائدة العلم الذى يواجه أهله بحقائق أقسى من الجلاميد ؟

وهل أسعدَ العلمُ كبار أهله حتى يسعد صغار الفلاحين ؟

(١) البئر فى لغة أهل المنوفية مذكر لا مؤنث

ما القيمة الصحيحة لأن نعرف أن الزهرة مجموعة جراثيم ، وهى فى نظر الجهل خدٌّ وهّاج ؟

أين من يردنى إلى المهد الذى كنت فيه أجهل الجاهلين ؟
ليت الحوادثَ باعتْنى الذى أخذت
منى بحِلمى الذى أعطت وتجريبى

عروس النيل

تضاربت الأقوال فى الأسطورة الشمرية ، أسطورة عروس النيل ، وانتهى الأمر بوزارة المعارف إلى حذفها من الكتب المدرسية ، لتصون الأبناء من السخرية بالأجداد . ولكنى مع هذا أرى من الخير أن يعرف أبناؤنا جميع الأساطير ، ليعرفوا حيرة الإنسانية بين الحقيقة والخيال

وسأسوق هذه الأسطورة كما رأيتها فى كتاب مخطوط لمؤلف مجهول ، ففيها طرافة فنية ، وفيها لفتات جديرة بالتسجيل : فى العام الثالث من حكم رمسيس الثانى وهو عام ١٣٢٧ قبل الميلاد تخلّف النيل ، فلم تظهر طلائعه فى شهر أبيب ولا فى شهر مِسْرَى ، وامتدّ به التخلف إلى شهر توت ، فجأر المصريون بالشكاية ، وتجمهروا حول قصر الملك صارخين ضارعين

وماذا يصنع الملك ؟ ماذا يصنع والشعب يطالبه بما لا يطيق ؟ هل يصدّق الخرافة التى ذاعت فى ذلك الوقت عن أسر النيل بأمر ملك الأحباش ؟ وهل يستطيع ملك أن يأسر النيل.وهو ملك الملوك ؟

إن النيل لا يَقهره قاهر ، إن أراد الوفاء ، فما الذى صدّه عن الوفاء ؟

ثم دعا الملك أقطاب السَّحَرة ليرى ما عندهم فى حل هذه المعضلة ، فكان هذا الحوار الطريف :

الملك — ماذا ترون فى تخلف النيل ؟ أتظنون كما يظن الجمهور أنه فى أسر ملك الأحباش ، وأن من الواجب أن نجرّد حملة لتأديب ذلك الطاغية ؟

الساحر الأول — وماذا يملك عاهل الحبشة من أمر النيل ؟

الساحر الثانى — هو يملك الخاتم السِّحرى ؟

الملك — وما ذلك الخاتم ؟

الساحر الثالث — هو خرافة منقولة عن أساطير الأولين !

الساحر الثانى — أتكذبنى يا زميلى فى حضرة جلالة الملك ؟

الساحر الأول — إن تفضل جلالة الملك فأنا أفضى إليه بالسر فى تخلف النيل

الملك — من أجل هذا دعوناك

الساحر الأول — النيل عاشق غضبان

الساحر الثانى — النيل عاشق ؟ ما سمعنا بمثل هذا الكلام قبل اليوم !

الساحر الأول — أتظن أن النيل يوحى العشق وهو يجهل العشق ؟

الساحر الثانى — العشق يصدر عن أهل الذوق ، والنيل بلا ذوق

الساحر الأول — وما برهانك على أن النيل بلا ذوق ؟

الساحر الثانى — لأنه لا يستقيم فى سيره أبداً ، ولو كان من أصحاب الأذواق لعرف قيمة الطريق المستقيم ، وهو كما نرى غاية فى التخبط والاعوجاج

الساحر الرابع — لولا هيبة الملك لرميتك بالجهل

الملك — هيبة الملك لا تمنع من كلمة الحق

الساحر الرابع — إن زميلى يطالب النيل باستقامة الضعفاء وليس النيل بالضعيف

الملك — ماذا تريد أن تقول ؟

الساحر الرابع — أريد أن أقول إن استقامة الأقوياء فى ضمائرهم لا فى ظواهرهم ، واستقامة النيل تتمثل فى ذلك الاعوجاج

الملك — إن كلامك يحتاج إلى توضيح

الساحر الرابع — لن أوضح كلامى لجلالة الملك ، لأنه أقدر الملوك على فهم الرموز والتلاميح

الملك — أوضح لزميلك

الساحر الرابع — ما كان لى زميل ، وهو بين السحرة دخيل

الملك — دَعُوا هذه اللجاجة وارجعوا إلى الحديث عن العاشق الغضبان

الساحر الأول — إن النيل لا يأخذ زاده من العواطف

الملك — كيف تقول هذا والصبايا يتهادين إليه فى الفَجريات والعَصريات ، وقد سقط النَّصيف ، وغفل الرقيب ؟

الساحر الأول — هو ذلك يا جلالة الملك ، ولكن الجمال المصرى جمالٌ لئيم ؟

الملك — ما هذا الذى تقول ؟

الساحر الأول — المقام لا يسمح بالرياء ، وكيف نرائى سيزوستريس وهو أصرح الملوك ؟

الملك — هات ما عندك يا كبير السَّحرة ، فقلبى مُصغٍ إليك

الساحر الأول — أنا رأيت وما سمعت

الملك — وماذا رأيت ؟

الساحر الأول — رأيت النيل هام بصبية ...

الملك — ثم ؟

الساحر الأول — ثم مد إليها ذراع الموج ليجذبها إليه

الملك — ثم ماذا ؟

الساحر الأول — ثم نفرت الصبية ولاذتْ بالشط ، فهو لذلك عاتب وغضبان

الملك — العلم الذى ورثناه عن الكَهَنة يحصر الحياة فى النبات والحيوان . فكيف يهيم النيل بصبية وهو ليس من الأحياء ؟

الساحر الأول — إن الله جعل من الماء كل شىء حىٍّ ، فكيف يكون الماء سبب الحياة إذا كان من الأموات ؟

الملك — ومعنى هذا أن الماء يَعْشِق ؟

الساحر الأول — ويُعشَق

الملك — ومن عاشق الماء ؟

الساحر الأول — تحدث عنه شاعرنا بشاءور حين قال فى الصهباء :

مقطَّبةٌ ما لم يزرها مزاجُها فإن زارها جاء التبسُّم والبِشْرُ
فيا عجباً للدهر لم يُخلِ مُهجةً من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

الملك — لن أكذب الكهنة فى قولهم بأن الماء جماد

الساحر الأول — أنا أوافق مولاى على أن الماء جماد ، ولكنى أرجوه أن يتفضل فيتذكر أخطار الجمال المصرى

الملك — وما أخطار ذلك الجمال ؟

الساحر الأول — لو صوّب الجمال المصرى ناره إلى هضاب الحبشة لأحالها إلى قطرات من الماء المبذول بغير حساب

الملك — وترى أن نداعب النيل بالجمال ؟

الساحر الأول — أرى أن يكون للنيل فى مصر هوًى وميعاد ، فما يعود حيٌّ إلى بلد إلا إن كانت له فيه أهواء ومواعيد

الملك — وعند النيل هذا الذوق ؟

الساحر الأول — وعنده الحقد على أهل العقوق !

الملك — وماذا يقول الشعب إن أقررنا مبدأ الاعتراف بالعشق ؟

الساحر الأول — سيقول الشعب إنه يعيش تحت راية العدل

الملك — والعشق عدل ؟

الساحر الأول — العشق من نتائج العدل

الملك — أوْضِحْ ثم أوضح يا أعظم حكيم رآه سيزوستريس

الساحر الأول — العشق يا مولاى هو انجذاب روح إلى روح ، ولا صفاء بين عاشق ومعشوق إلا بحفظ الحقوق ، ولو وجّه العاشق إلى معشوقه كلمة تنغص من جماله لكان الفراق إلى آخر الزمان

الملك — أهذا هو العدل عندك يا كبير السحرة ؟

الساحر الأول — العدل هو مصدر الحب لجلالة الملك ، ولولا قولك بأن شعبك خُلق للسيادة على الأقطار الأفريقية والأسيوية لتخاذل الشعب عما أردت من الغزوات والفتوحات

الملك — الشعب يحبنى ؟

الساحر الأول — الشعب يحبك لأنك تحبه ، وأهل مصر يقولون : « إن أحبتك حية فتطوّق بها » ، ولهذه اللفتة صلة بوجود الحيات حول تيجان الفراعين !

الملك — أنت ساحر ، يا ساحر !

الساحر الأول — وعن لطف جلالة الملك أخذنا السحر والفتون

الملك — عنكم نأخذ طرائف المعانى يا أدباء وادى النيل ، وعنكم تلقّى الروح فلاسفة اليونان

الساحر الأول — ماذا يرى جلالة الملك فى اجتذاب العاشق الغضبان ؟

الملك — آه ثم آه من بلاد لا يستقيم فيها شيء بغير الحب والجمال !

الساحر الأول — تلك طبيعة بلادك يا مولاى

الملك — وإذن ؟

الساحر الأول — وإذن نترضّى النيل بصبية مليحة لتروضه على الوفاء

الملك — صبية تغرق فتموت ؟

الساحر الأول — إن من يَصدُق فى حب النيل لا يغرق ولا يموت

الملك — وما ذا تكون الحال إذا ترضّينا النيل بصبية مليحة ثم أصر على الجفاء ؟

الساحر الأول — نظرة واحدة من فتاة مصرية تزلزل رواسى الجبال

الملك — وأنا أرفض أن يكون الجمال المصرى من أدوات الاستغلال

الساحر الأول — الصبية المنشودة لن تعانق غير أبيها ، والنيل هو الأب الأول لجميع الأبناء بهذه البلاد

ثم نادى المنادى فى اليوم التالى بأن النيل لن يعود إلا إن ضمن الظفر بعروس خمرية اللون ، عروس عيونها عسلية ، عروس تؤمن بأن الفناء فى الواجب هو طريق الخلود

وبعد يومين اثنين تجمعت عرائس تفوق الإحصاء ، فما يمكن أن تخلو مصر فى أى وقت من عرائس جميلة تُعدّ بالألوف وألوف الألوف . فوقف سيزوستريس وِقفة الحيران ، فى تخيّر ما يشتهى العاشق الغضبان

ثم التفت فرأى صبية تُلقى بنفسها فى اليم . وما كاد يتبيّن هُوِيّة الصبية حتى رأى النيل يتناغى بالأمواج فى كل مكان

مَن تلك الصبية ؟ لم يستطع أن يعرف ، وبهذا كانت مصر أول من ابتكر فكرة الجندى المجهول

ومضى سيزوستريس إلى المعبد فترنم بصلوات على روح تلك المليحة السمراء ، وسمع النيل صلواته فقال : الترحم لا يكون إلا على ميت ، ولا يموت من يكرم النيل

وتسامع المصريون بأخبار سيزستريس وهو رمسيس الثانى فأقاموا له فى كل بلد عدداً من التماثيل ، ودام ملكه ستين سنة أو تزيد بفضل عروس النيل

أما بعد فأنا لا أدعو وزير الأشغال إلى استعطاف النيل بضحايا

على هامش الخصومات الأدبية

أيها الأدباء أعصابكم !

للأستاذ دريني خشبة

الحكومة مسئولة عما شجر من الشر بين الأدباء ...

ونحن نلقي تبعة هذا الشر على الحكومة لأنها مقصرة في حق الأدباء ، فهي لم تدبر لهم مصيفاً جيلاً في رأس البر أو الإسكندرية كما دبرت لنفسها ذلك المصيف الجميل في بولكلي تختلف إليه كلما شاءت ؛ وهي لم تبح لهم حمامات السباحة يغشونها بالمجان لتعيذهم على حر القاهرة القائظ الذي ترك أدمغتهم تغلي وعَرَقهم يسيل ؛ وهي لم تفتح لهم خزائنها ينتهبون منها ما يشاؤون ويُريغون منها ما يريغون ؛ وهي لم تُبح لهم قطراتها وسياراتها يجيئون بها ويروحون دون أن يكلفهم التنقل السهل الرخي إلا ملء استمارة سفر لا ترهق جيوبهم ولا يثقل تحريرها على أقلامهم ؛ وهي لم تخاطب الدولة الحليفة في شأن تلك الحدائق التي كانت تفرج كروبهم وتشرح صدورهم ، وهي لم توزع عليهم الحلوى والمرطبات التي تختص بها نفسها في المواسم والأعياد وهم إليها ناظرون وإلى القليل منها يتلمظون ...

الحكومة لم تصنع شيئاً من هذا . . . بل هي تؤثر نفسها بكل مناعم الدولة من دون الأدباء ، وهي تتركهم لقيظ يوليو وأغسطس يشوي جلودهم ويذيب أعصابهم ... ثم يتلاعب بأقلامهم فيشرعونها لمحاربة أنفسهم لأنهم لم يفطنوا لما صنعت الحكومة بهم فلم يطالبوها بشيء ، ولم يصرخوا في آذانها كما صرخ الموظفون المنسيون ، وكما صرخ رجال التعليم الإلزامي والمدرسون المنقولون من مجالس المديريات ... وهم يخدعون أنفسهم حين تملأهم صاحبة الجلالة الصحافة غروراً وكبرياء ، وحين تصوّر لهم أنهم ملوك ، بل قياصرة غير خليق بهم أن يبثوا شكاة أو يظهروا أحداً على بلوى

لهذا خلا الأدباء إلى شياطينهم وفرغوا إلى أنفسهم ... فهم منقسمون إلى معسكرين ... معسكر الشباب ومعسكر الشيوخ . ومعسكر الشباب منقسم على نفسه لأن أجناده ثوريون ، فإن لم يجدوا ما يثورون عليه ثاروا على أنفسهم ، كالنار التي تأكل بعضها ، إن لم تجد ما تأكله

ومعسكر الشيوخ منقسم على نفسه أيضاً ، إلا أنه غير ثائر ، لأن الغالبية من أجناده تعرف الرزانة وتؤثر النظام ، إما للسن المتقدمة التي يُتعبها الجلاد ولا تصبر على الوغى ، وإما إيثاراً للعافية ، واعترافاً بما فطرت عليه من ضعف

والحكومة مع ذلك تنظر إلى كل هذا لاهيةً ساهية ، لا ترى أن تشغل الأدباء المسلَّطين على أنفسهم برحلة جميلة تدبرها لهم في مواقع العَلَمين أو بين أطلال ستالينجراد ... ولا ترى ، إن لم يسعها الترفيه عنهم بالمصيف والمرطبات وحمامات السباحة ، أن تجندهم تجنيداً إجبارياً ليدرسوا لها مشكلات الأدب بعد الحرب ، بما تشمله تلك المشكلات من مسائل اللغة والتعليم والكتابة والتأليف والزواج والطلاق والهجرة والحد من نشاط المهاجرين إلى مصر من شُذاذ الأمم ولصوص البحار

الحكومة تنظر إلى الأدباء ساهية لاهية ، لا ترى أن تشغلهم بشيء من جد الحياة أو من لهوها . والأدباء مُسلَّطون على أنفسهم تشغلهم السفاسف ، وتنتهب فراغهم الهَنَاتُ الهيِّنات ، كأن هدير المدافع وقصف الطرابيد وأزيز الطائرات لا يصل إلى أسماعهم ، وكأن الدنيا التي تجدّ في أوربا وفي المحيط الهادي تهزل في مصر ، وكأننا فرغنا من علاج مشكلاتنا فلم يبق إلا أن نهدم أنفسنا !

فريق من أدباء الشباب برم ساخط ضائق بنفسه وبالدنيا لأن شيوخ الأدباء بارزون في الحياة المصرية وهم غير بارزين ،

الجمال ؛ وإنما أدعو وزير المعارف دعوة فنية ، أدعوه إلى إقامة تمثال سيزستريس في ميدان باب الحديد ، وهو تمثال لم يجُد بمثله الفن في شرق ولا غرب ، وهو الآية الخالدة على أن مصر دار الفنون

وإذا قيل إن الحفاوة بتمثال سيزستريس تنافي الدعوة إلى الوحدة العربية فسيكون جوابي أنه يشهد بقدرة العرب على امتلاك بلاد الفراعين

متى أرى تمثال سيزستريس في ميدان باب الحديد ؟

ومتى يرى كل قادم عظمة مصر في ذلك التمثال ؟

ومتى نفهم أنه أولى بالحفاوة من المسلة المصرية بميدان الكونكورد في باريس ؟

لن أنسى أبداً أن بلدي أفضل البلاد ، وأنه المعلم الأول لجميع الشعوب

زكي مبارك

ولأن القراء مقبلون على هؤلاء الشيوخ الأدباء ولا يقبلون على أولئك الشباب ، فلا بد لهم إذن من أن يشبوها جذعة عليهم ، ولا بد لهم إذن من أن يخلو الدنيا من أولئك الشيوخ الذين بنوا النهضة الأدبية والنهضة الفكرية فى مصر وفى غير مصر من الأقطار العربية ، ولا بد من أن يخلو لهم وجه الأرض فى مصر وفى الشرق العربى يصولون وحدهم فيه ويجولون

ولكى يتم لهم ذلك فليس لهم بد من أن يكيلوا التهم لشيوخ الأدباء . فالعقاد عاجز ولا شأن له بالشعر ، وطه حسين له كتب ركيكة محشوة بالأغاليط ، والزيات يكتب بأسلوب معقد يعلو على أفهام القراء ، وأحمد أمين رجل مصنف لا شأن له بالأدب ولا مذهب له فى الكتابة ... والمازنى يلفق مقالاته من التفاهات ... وعنان يسطو على جهود المؤرخين ويعزوها إلى نفسه ، والجارم ينتهب معانى الشعراء وينظمها لنفسه ومع ذلك فهو يسفل بها ولا يعلو ، وهيكل مؤرخ عقيم لا يصبر على مرارة التمحيص ، ثم هو داعية متحمس ، والعلم ينافى الدعاوة وينافى التحمس ... ...

هكذا يقول أدباء الشباب ، وهكذا يكتبون فى صحفهم ، ويتحدثون فى مجالسهم ، ويسمرون فى نواديهم . والمدهش حقاً أنهم من كثرة ما يرددون هـذا اللغو أخذوا يظنون أنه الحق بل أخذوا يعتقدون أنه الحق

أما الأدباء الشيوخ فيغمزون الشباب دائماً ويلمزونهم دائماً ولكنهم قلما يصرحون بشيء فيما يردون به على تلاميذهم البرمين الثائرين المتسخطين ، وهم يلتزمون الصمت ويلوذون به لأن هؤلاء التلاميذ الخصوم لم يعودوا يعرفون التأدب والاحتشام فى مخاطبة أساتذتهم أو فى مقارعتهم ، فهم لا يبالون أن يقولوا إن هؤلاء الشيوخ أصبحوا أصناماً للأدب فى مصر يعكف القراء على عبادتهم، وأنهم لا يتركون للشباب من الأدباء متنفساً من الهواء ، لا فى مصر ولا فى الشرق العربى ، وأن لا مخرج لهم من هذا الضيق ولا منفذ من هـذا الحرج إلا بتحطيم تلك الأصنام الطاغية العاتية ... ليخلو لهم وجه الأرض فيبيضوا ويصفروا !

وهذا التعبير القاسى هو من أيسر ما يقولون قدحاً فى الرجال الذين بنوا لنا نهضتنا الأدبية والفكرية . وهو دليل على أن المعركة بين الشيوخ والشباب قد انحرفت عما كنا نرجو من ورائها من خير

على أن واحداً أو اثنين من شيوخ الأدباء لم يصبرا على أن يبسط الشباب ألسنتهم على هذا النحو . وأحد هذين هو الأستاذ العقاد ، فقد كتب فى هـذه المجلة كما كتب فى غيرها يرد على هؤلاء الشباب فرجمهم رجماً موجعاً ... وأحسب أن الصيف كان يفعل أفاعيله فى أعصاب الأستاذ الجليل فانحرف به الغيظ عن الجادة ، إذ راح يتهم هؤلاء الشباب بأنهم شيوعيون هدامون ، وأنهم يحسدون شيوخ الأدباء الذين يغمرون السوق الأدبية بالكتب ، والصحف والمجلات المحترمة بالمقالات ...

وتهمة الشيوعية هنا تهمة باطلة لا أساس لها من الحق ، وقد أرسلها الأستاذ إرسالاً لا تثبت فيه ولا روية ، وأكبر الظن أنها صائرة إلى ما صارت إليه تهمة الإلحاد القديمة التى سمجت حتى قضت على نفسها القضاء المبرم . ونحن نتمنى ألا نتراشق بالتهم ، وألا نبتدع فيها تلك الألوان المهلكة التى تنافى ثقافتنا وديننا وتضر نهضتنا وبلادنا . . . وقد قرأت فى إحدى مجلات الشباب رداً على الأستاذ العقاد يشبه الهوس ، فقد ترك الكاتب الشاب موضوع النقاش وتناول العقاد جملة وتفصيلاً ، فنفى عنه أنه كاتب ، ونفى عنه أنه مفكر ، ونفى عنه أنه مؤلف ، ... ثم ضحك ممن يقولون عنه إنه شاعر ! وكل هذا هو الهَوَس بعينه ... ولن ينفى كل هذا أن العقاد كاتب كبير جداً ، ومفكر خصب التفكير جداً ، ومؤلف له كتب كثيرة جيدة جداً . ولن ينفى عنه أنه شاعر من أرق شعرائنا خيالاً وأخصبهم معانى وأدقهم تصويراً ، وإن لم يحدث فى الشعر العربى ، على حد ما بينا فى مقالنا السابق ، ثورة أو حَدَثاً كبيراً ذا بال

وقرأت فى المجلة نفسها إنذارات موجهة إلى طه حسين وأحمد أمين ، وهى إنذارات تدل على عدم نضوج الأقلام التى سوّدتها ، فهم ينذرون طه حسين بإظهار القراء على الأغلاط الواردة فى كتابه الأيام (الجزء الثانى !) كما ينذرونه بتعقب أغلاطه فى كتبه الأخرى . وهذه هى المهاترة التى لا تليق بنا لأننا لن نكسب شيئاً قط إذا هدمنا العقاد وطه حسين وأحمد أمين والزيات والمازني ... وهذه الطائفة التى أقامت نهضتنا الفكرية والأدبية وعلمتنا وسبقتنا إلى الميدان ... وقبل أن نحاول هدم هؤلاء جميعاً فواجبنا ألا نكون نِهلستيّين Nihilists نهدم ولا نضع شيئاً . بل نهدم ولا نبالى ماذا يكون بعد الهدم ... يجب أن نفكر طويلاً فى خطتنا قبل تنفيذها . فكروا أيها الشباب فيمن يخلف العقاد قبل أن تهدموا العقاد ،

إن استطعتم إلى هدمه سبيلاً . فكروا فى كاتب منكم يستطيع أن يتثقف بما تثقف به العقاد ويستطيع أن يكون عصامياً فى ثقافته كما كان العقاد عصامياً فى ثقافاته ... وفكروا قبل أن تهدموا طه حسين فى الرجل الذى يستطيع أن يتزعم نهضة أدبية فى أمة بأكلها فيسهر عليها ويشقى فى سبيلها ويقامر من أجلها بسعادته وسعادة أهله كما صنع طه حسين ... ولتكن لطه حسين عيوبه التى تشق المرائر كما تزعمون ، ولكن للرجل ماضيه ، وله حاضره أيضاً ، وأنتم أنفسكم من ثمرات ذلك الماضى فلا تتنكروا له ، فإن رأيتم فيه اعوجاجاً فقوموه بالحسنى ، وأمامكم ميدان النقد البرىء تخوضوه أبرياء واشتدوا فيه كما تشتهون

وأما محاولتكم هدم أحمد أمين فصغار لا يليق بكم أيضاً ، فقد أصبح أحمد أمين إماماً من أئمة نهضتنا ، وأستاذاً من أساتذة الجيل ، أعجبكم هذا الكلام أو لم يعجبكم ، ثم هو كان إماماً هادئاً متزناً رزيناً ، فهل فكرتم فى أحد منكم يستطيع أن يصنف ما صنف ويؤلف مثل الذى ألف ويجاهد فى سبيل النهضة الفكرية كالذى ناضل وجاهد ؟

وأما الزيات الذى تزعمون أنه يبرقش ويزركش ، ويتخذ (الكليشيهات) لأسلوبه فعذره أنكم لم تنضجوا بعد ، ولم تدركوا من طلاوة البيان العربى ما أدرك ... ذلك البيان الذى جدد الزيات شبابه وتزعم مدرسته وخلق لها مما كتب وما ترجم التلاميذ والحواريين . وها هو ذا يكتب آياته فى الدفاع عن البلاغة فينشىء لكم ما أنشأ سانت بيف وهازلت وأرنولد وغيرهم من زعماء النقد . على أن هذا الضيق الذى أحرج صدور بعضكم من الزيات ليس من صنعكم ، فقد صنعه لكم - وا أسفاه - أحد شيوخ الأدباء ، وهذا هو انشقاق الشيوخ على أنفسهم ... ذلك الانشقاق الذى أفادكم فى خصومتكم غير المبصرة ، والذى أفاد نهضتنا الفكرية بقدر ما أضرها . وحسبنا هذه الإشارة اليوم !

وأظرف ما فى معسكر الشيوخ من فتنة مكبوتة تلك النذر الضاحكة التى يلوكها الدكتور زكى مبارك ، والتى لا تجد لها صدى قط على صفحات الجرائد ... فزكى مبارك جرىء على المازنى جراءة لا حد لها ، والمازنى لائذ بأذيال الصمت ... والمازنى بهذا الصمت يمكر بزكى مبارك الذى لا ينال منه إلا صمت مناوشيه ، ولا يريحه إلا أن يردوا عليه فيرد عليهم ، ثم يردوا عليه فيرد عليهم حتى يخيل لنا أن المعركة لن تنتهى ... أمامع العقاد فلست أدرى لماذا تقدم زكى مبارك ثم تأخر ثم تقدم ثم تأخر ... هذا إن دل على شىء فهو إنما يدل على شىء يشبه الإشفاق أو يشبه الخوف ، أو يشبه حالة بين الإشفاق والخوف ، فقد نادى زكى مبارك مرة بأعلى صوته فقال : أنا أكتب منك يا عقاد ، وأنا أشعر منك يا عقاد ، ومؤلفاتى لا تسمو إليها مؤلفاتك ... ثم لم يلبث أن ختم صيحته بكلمات هن إلى الملاينة والاسترضاء أقرب منهن إلى ما هو دون الملاينة والاسترضاء ... ثم عاد فى كلمة أخرى فسأل بعض القراء ألا يوقعوا بينه وبين العقاد ليقعدوا هم ويتفرجوا ! ولست أدرى العلة فى جرأة زكى مبارك على المازنى وإشفاقه من العقاد على هذا النحو المكشوف ؟ أفصح يا دكتور زكى ... أفصح ... أفصح ولا تحسبن أحداً قد صدقك حينما رفعت عقيرتك بأنك أشعر شعراء هذا الزمان ... وإن كنا يسرنا جداً أن تكون كذلك ... يا دكتور زكى : أنت لست أشعر أهل هذا الزمان ولا أكتب أهله ... بل أنت أجرأ كاتب فى الشرق العربى فما علة إشفاقك من العقاد ؟

أما انشقاق معسكر أدباء الشباب فقد كان على أحره فى الملحمة الأخيرة التى دارت عن هذه القضية التى لم أفهمها إلى اليوم على وجهها ، وهى قضية « الأدب المهموس » ، فقد نزغ شيطان الجدل بين الأديبين المتحاورين ، إذ رمى أحدهما الآخر بما لا يليق أن يرمى به رجل رجلاً أبداً ... وقد ألفيت تلك الغمزة غير اللائقة فى أسلوب مكشوف لا يصعب فهمه على أحد ... وقد جاء رد الأستاذ الأديب الآخر رداً مرناً مضحكاً ، فلم يضق بما رُمى به ، بل أجازه ، ثم علله تعليله العلمى اللبق الظريف ، إلا أنه لم ينس أن يجرح محاوره كما جُرح فرماه بالسماجة والصفاقة فى معرض الرد عليه بعدم استحباب أن يستشهد الأديب بكلامه من نظم أو نثر . ولو وقف الرد عند هذه الملاحظة لملك الأستاذ الدكتور (...) ناصية الحق ، إلا أنه برهن على صدق نظريتنا المتعلقة بأعصاب الأدباء فى الصيف ، فرمى مناظره بالسماجة والصفاقة ... ونحار نحن فى التعليق على ماحدث : أى المتناظرين جار قبل أخيه عن القصد ، وأيهما بدأ بالعدوان ... ولعل الذى سب أخاه فى كمال رجولته أظلم ، ولعله هو الذى انحرف أولاً فسبب انحراف صاحبه ، ثم زاد الطين بلة فسخر من كفايات زميله وهو ما لا يوافقه أحد عليه ، وهو أيضاً ما نرجو أن نتعالى فى جميع مناقشاتنا عنه ...

ولا بد من كلمة هنا نوجهها إلى رؤساء تحرير مجلاتنا ... والكلمة رجاء مخلص نأمل أن يحققوه ، ونرجو أن يحققوه سريعاً وقبل أن يتصرم الصيف . وذلك ألا يسمحوا بنشر الفِقر الحارة الساخنة التي ترد في سياق المناظرات والتي تهبط إلى مستوى الشتائم وتخرج عن دائرة الأدب ... ونحن بالطبع لا نعني بدائرة الأدب دائرة الأخلاق

وبعد ... فلست أدري لماذا لا يعالج الأدباء شباباً وشيوخاً أعصابهم ؟ ولماذا لا يذكرون أن الحكومة تركتهم وشأنهم فلم تتخذ أي إجراء للترفيه عنهم ولم تدبر لهم مصيفاً ولم تبح لهم القطارات والسيارات تنقلهم ولو إلى شواطئ المنزلة والبرلس وإدكو ومريوط ... وإن كان يسر الحكومة أن يشتغل الأدباء بأنفسهم عنها ، فلتشغلهم هي عن نفسها بالمفيد المجدي ... لتجندهم تجنيداً إجبارياً ليبحثوا لها كل ما يهمها البحث فيه من مسائل ما بعد الحرب ، وليدرسوا لها مشكلات الأمية وإصلاح البرامج والبطالة ومحاربة الفقر وهبوط الميزانية إلى حالتها الطبيعية في السلم وإصلاح الكتابة العربية ...

وبعد أيضاً ... فهذا حديث من لغو الصيف ، نرجو ألا نلغو بحديث مثله .

دريني خشبة

دراسات عن مقدمة ابن خلدون

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري

[أخرج هذا الكتاب الفريد شيخ المربين الأستاذ أبو خلدون ساطع الحصري ، وقدم له بهذه المقدمة الشارحة ، فرأينا أن ننقلها إلى القراء ليتبينوا منها منطق الأستاذ في تعليل الأشياء ، ومنهجه في تحرير هذا البحث .]

— ١ —

دراسات عن مقدمة ابن خلدون ...

أسطر هذه الكلمات ، وكأني أسمع همس معترض يعترض عليّ ، قائلاً :

دراسات عن مقدمة ابن خلدون ؟ . . . ولماذا اخترت هذا الموضوع المبتذل المعاد ؟ إن مقدمة ابن خلدون منتشرة بين أيدي جميع المستنيرين من الناطقين بالضاد . وقد كتب الدكتور طه حسين أطروحة عن « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » كما نشر الأستاذ عبد الله عنان كتاباً عن « ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكري » ... وقد نشر عدد غير قليل من المفكرين والكتاب ، عدداً لا بأس به من البحوث والفصول والمقالات عن ابن خلدون ومقدمة ابن خلدون ، في مختلف الكتب والجرائد والمجلات . فلا نعدو الحقيقة إذا قلنا : ما من مفكر ولا مؤرخ عربي ، حظي من كثرة الذكر وذيوع الصيت بما حظي به ابن خلدون . فما الفائدة من العودة إلى هذا الموضوع بعد جميع هذه الكتابات والنشرات ؟ . ألم يكن من الأجدر بك ، ومن الأوفق لمصلحة قرائك ، أن تنتخب موضوعاً آخر أكثر جدة وطرافة من هذا الموضوع ؟

غير إني لم أسلم بوجاهة مثل هذه الاعتراضات والملاحظات ؛ لأنني أعتقد بأن الطرافة في الدراسات لا تأتي من جدة الموضوع وحده ، بل قد تتولد من طرافة الطريقة والاتجاه أيضاً . . .

وأنا ، مع احترامي للكتب والمقالات والدراسات التي نشرت بالعربية عن ابن خلدون ومقدمة ابن خلدون ، أرى أنها ظلت بعيدة عن استيفاء البحث في هذا الموضوع الخصب الهام من نواحيه المختلفة ، فأعتقد بأن هناك حاجة ماسة إلى إكمال تلك الأبحاث والدراسات وإتمامها ؛ كما أن هناك ضرورة قصوى لإعادة النظر واستئناف البحث في معظم تلك الدراسات ، بطرق وأساليب أخرى وِفق وجهات نظر جديدة

ومما يظهر هذه الحاجة بجلاء أعظم ، ويبرهن على هذه الضرورة بوضوح أتم ، أن الأبحاث والدراسات المنشورة عن ابن خلدون باللغة العربية ، قليلة جداً ، بالنسبة إلى ما نشر عنه في اللغات الأخرى ، ولا سيما في اللغات الأوربية . وهناك عدد غير قليل من الدراسات العلمية القيمة عن ابن خلدون وآرائه المختلفة ، لم تنقل بعدُ إلى العربية

ومن الغريب أن أهم الدراسات التي كتبت بأقلام بعض الشبان العرب أيضاً ، ظلت خارجة عن نطاق « المطبوعات العربية » إلى الآن ؛ فقد نشر الدكتور كامل عياد — من الشام — أطروحة باللغة الألمانية ، سنة ١٩٣٠ عن « نظرية ابن خلدون في التاريخ والاجتماع » ؛ كما نشر الدكتور صبحي المحمصاني — من بيروت — أطروحة باللغة الفرنسية ، سنة ١٩٣٢ ، عن « آراء ابن خلدون الاقتصادية » . . . وكلتا الأطروحتين لم تترجم إلى العربية ، بالرغم من مرور اثنتي عشرة سنة على نشر الأولى ، ومرور عشر سنوات على نشر الأخرى ؛ فاستفادة مستنيري العرب من الأطروحة الأولى لا تزال موقوفة على معرفة الألمانية ،

كما أن الاستفادة من الثانية لا تزال تتطلب معرفة الفرنسية ...

وإننى أعتقد، لذلك، كل الاعتقاد بأن الجيل المثقف الحاضر مقصر فى أداء واجباته نحو هذا الفكر العربى العظيم تقصيراً كبيراً

* * *

إن هذا التقصير الكبير، لا يتجلى فى « ضآلة الدراسات » فحسب، بل يظهر فى « رداءة الطبعات » أيضاً : فإن جميع طبعات المقدمة التى صدرت عن مطابع القاهرة وبيروت وانتشرت فى جميع أنحاء العالم العربى، مشوبة بنواقص كثيرة وأغلاط فادحة

ذلك لأن جميع هـذه الطبعات منقولة عن طبعة بولاق التى قام بأعبائها الشيخ نصر الهورينى فى القاهرة، قبل مدة تزيد على ثمانية عقود من السنين . والشيخ الهورينى كان بعيداً — بطبيعة ثقافته — عن إدراك المبادىء الأساسية التى يجب مراعاتها فى نشر مثل هذه المؤلفات القديمة .

فجميع الطبعات الشرقية تـكاد تـكون خالية من الشروح والتعليقات : فإن الشروح القليلة المبعثرة فيها لو جمعت فى محل واحد لما ملأت أكثر من ثلاث صفحات . زد على ذلك أن هذه الشروح قلما تخرج عن نطاق « الإيضاحات اللغوية » فإنها لا تستهدف — على الغالب — شيئاً غير ذكر معانى بعض الكلمات . هذا مع أن الترجمة التركية موشاة ببعض الإيضاحات المطولة ؛ والترجمة الفرنسية مملوءة بعشرات ومئات من الشروح والتعليقات التى تحوم حول المعلومات اللغوية والأدبية والجغرافية والتاريخية الضرورية لفهم أبحاث المقدمة حق الفهم

ومما يلفت الأنظار فى هذا الصدد، أن الطبعات المتداولة مشوبة بعدد غير قليل من الأغلاط المطبعية التى تغير معنى العبارات تارة، وتجردها من كل معنى معقول تارة أخرى، وتقلب معناها رأساً على عقب فى كثير من الأحوال

مثلاً : إن بعض الطبعات مسخت كلمة « اليقين » إلى شكل « أينين » فابتدعت هـذه العبارة الغريبة : « قال كبيرهم أفلاطون إن الإلهيات لا يوصل فيها إلى أينين » . كما أنها حرفت « الحقيقة المتعقلة » وجعلتها « الحقيقة المتعلقة »، واستبدلت بعبارة « يحلق فوقها » عبارة « يلحق فوقها » . إنها مسخت « العلوم الآلية » مسخاً غريباً، حولها إلى « العلوم الإلهية » ؛ وحرفت تركيب « سن بكره » وجعلته « بين نكرة » فجردته بذلك عن كل معنى معقول : كما حولت « عالم القردة » إلى « عالم القدرة »، فغيرت المعنى المقصود تغييراً هائلاً[1]

وقد تطفلت بعض الطبعات بزيادة أداة « إلا » فى جملة نافية، فقلبت معناها رأساً على عقب ؛ وبعكس ذلك قد حذفت كلمة « ليس » من عبارة أخرى، فجردتها من كل معنى مفهوم، كما أنها أسقطت عدة كلمات من بعض العبارات، من غير أن تنتبه إلى أن ذلك قد جعل العبارة عديمة المعنى[2]

ومن الأمور الغريبة أن الطبعات المصرية والشامية ناقصة من حيث المتون والفصول أيضاً : فإذا قارنا إحدى هذه الطبعات بطبعة باريس التى تعهدها المستشرق « كاترمير » — فى نفس السنة التى كان قد أتم فيها الشيخ نصر الهورينى طبعة بولاق فى مصر — نجد أنه ينقص منها أحد عشر فصلاً كاملة من الفصول المهمة، كما ينقص منهـا عدد غير قليل من الأبحاث والفقرات من الفصول المختلفة . وإذا أحصينا مجموع صفحات هذه الفصول والفقرات الناقصة نجدها تزيد على الستين

ومن الغريب أن طبعات مقدمة ابن خلدون المنشورة فى العالم العربى ظلت على هذه الحال من النقص المعيب منذ مدة تزيد على ثلاثة أرباع القرن ... ومن الأغرب أن الأبحاث والدراسات المنشورة بالعربية عن مقدمة ابن خلدون لم تنتبه إلى هذا النقص فلم تعمل على تلافيه، ولم تلفت الأنظار إليه إلى الآن

— ٢ —

هذا، وإننى أرى أن هناك قضية هامة أخرى تستحق الملاحظة والعناية أكثر من جميع الأمور التى ذكرتها آنفاً :

إن الذين يطالعون مقدمة ابن خلدون يقرأونها عادة كما نقرأ الكتب الحديثة، وينتقدونهـا بوجه عام كما تنتقد المؤلفات العصرية . ومعظم الذين يكتبون عن المقدمة أيضاً ينحون هـذا

---

(١) راجعوا طبعة المطبعة الأدبية فى بيروت والمطبعة التجارية فى القاهرة : ص ٥١٧ ، ٣٨ ، ٣٦٢ ، ٥٣٦ ، ٤٠ ، ٩٦

إن الأغلاط الثلاثة الأخيرة موجودة فى طبعة المطبعة البهية (٣٩٦ ، ٢٩ ، ٦٨) ، وفى طبعة مطبعة التقدم (ص ٤٤٦ ، ٣٢ ، ٧٧) أيضاً وأما الغلطتان الأخيرتان فموجودتان فى طبعة بولاق أيضاً

(٢) طبعة المطبعة الأدبية فى بيروت والمطبعة التجارية فى القاهرة : (ص — ١٦٨) « إن الحيوانات المفترسة لا تسافد (إلا) إذا كانت فى ملكة الآدميين » والعبارة الصحيحة خالية من الأداة (إلا)

(ص — ٤١٩) « والكمال فى الصنائع إضافى بكمال مطلق » والعبارة الصحيحة هى : « والكمال فى الصنائع إضافى، وليس بكمال مطلق »

(ص — ٢٨) « حتى يكون مستوعباً لأسباب كل خبره » . فقد سقط من هذه العبارة خمس كلمات، وأما العبارة الصحيحة فهى : « حتى يكون مستوعباً لأسباب كل حادث، واقفاً على أصول كل خبره »

المنحى نفسه، ويميلون إلى وزن الآراء الواردة فيها بموازين المكتسبات العلمية الحالية، من غير أن يلتفتوا إلى عدد القرون التى تفصل بيننا وبين تاريخ كتابة المقدمة المذكورة، فى حين أن قيمة المؤلفات القديمة، ومنزلة المفكرين القدماء — فى تاريخ العلوم والأفكار — لا يمكن أن تقدر على هذه الطريقة

ذلك لأن كل عالم ومفكر يشترك — بوجه عام — مع معاصريه فى معظم آرائهم، فيشاطرهم أكثر أخطائهم، ولا يمتاز عنهم إلا فى « بعض الآراء » التى يوفق إلى ابتكارها، و « بعض المعلومات » التى يصل إلى اكتشافها

ولهذا السبب، نرى أن منزلة الباحث والمفكر فى « تاريخ العلوم والأفكار » لا تتعين بملاحظة « جميع الآراء الصائبة والخاطئة » المنبثة فى كتاباته ومؤلفاته المختلفة، بل تتقرر بملاحظة « الآراء المبتكرة » التى يسمو بها على معاصريه، و « الحقائق الجديدة » التى يضيفها إلى المكتسبات الفكرية البشرية، و « الخدمات التى يقوم بها » بهذه الصورة، فى سبيل تقدم الأفكار والعلوم ... كل ذلك بقطع النظر عن الآراء الخاطئة التى يبقى فيها مشتركا مع معاصريه بطبيعة الحال

إن عدم ملاحظة هذا الدستور الأساسى فى دراسة المفكرين والعلماء القدماء، يحول دون تقدير منزلتهم العلمية حق تقديرها. ومحاذير ذلك تكتسب خطورة خاصة عندما يعود الأمر إلى عظماء المفكرين الذين يكونون فى منزلة ابن خلدون، وإلى أمهات المؤلفات التى تكون على شاكلة مقدمته المشهورة؛ لأن مقدمة ابن خلدون من المؤلفات الجامعة التى تتطرق إلى عدد كبير من المسائل والمواضيع. إنها تتناول بالبحث مسائل كثيرة ومتنوعة جداً، من الديانة إلى التجارة، من النبوة إلى الطبابة، من الرؤيا إلى التربية، من السياسة إلى النجامة، من أوزان الشعر إلى عمران المدن، من مبادئ الموسيقى إلى أساليب الحرب، من موارد الدولة إلى أصناف العلوم. وخلاصة القول أن كل ما له علاقة بالاجتماع الإنسانى والعمران البشرى يأخذ نصيباً من بحوث المقدمة ... فلا ينتظر من مؤلفها أن يكون مبتكراً ومصيباً فى جميع هذه المواضيع المتنوعة، بل لا بد أن يكون ناقلاً لآراء معاصريه فى معظم تلك المسائل والمواضيع

فإذا قرأ القارئ مقدمة ابن خلدون من غير أن يراعى هذا الدستور، فقد يعود بفكرة خاطئة تماماً عنها وعن مؤلفها، لأنه قد يبقى تحت تأثير مختلف الأخطاء المنبثة فى صحائف الكتاب؛ والفكرة السيئة التى تستولى على ذهنه من جراء ذلك قد تؤثر على محاكمته، فتحول دون التفاته إلى الآراء القيمة المنتشرة فى سائر أقسام الكتاب

إن أصول البحوث العلمية تتطلب من كل باحث يقدم على مطالعة كتاب قديم أن يتأمل فى كل موضوع من مواضيعه — وكل مسألة من مسائله — على حدة. وأن يعرف حق المعرفة بأن « خطورة الأخطاء » التى تأتى فى الكتب القديمة، لا يجوز أن توزن بالموازين الفكرية العصرية، بل يجب أن تقدر بموازين تاريخية خاصة. ولا حاجة لبيان أن هذه الموازين الخاصة لا يمكن أن تتقرر إلا بتتبع « تطورات الفكر البشرى » بوجه عام

هذا مبدأ هام يجب ألا نهمله أبداً عند ما نقرأ وندرس مقدمة ابن خلدون. يجب علينا ألا ننسى أنه من رجال القرن الرابع عشر للميلاد؛ كما يجب علينا أن نرجع إلى تاريخ العلوم والأفكار عند ما نقرأ كل فصل من فصوله، ونتأمل كل رأى من آرائه، ونستعرض ما كان يقول به المفكرون فى هذا الصدد فى العصر الذى عاش فيه وفى العصور التى أتت بعده

— ٣ —

إننى لم أقل بهذا المبدأ ولم أضع هذا الدستور تعصباً لابن خلدون؛ بل قلت بهذا المبدأ لأننى وجدته سائداً فى تاريخ العلوم والعلماء؛ وسردت هذا الدستور لأننى رأيته رائد القوم على الدوم

وأقول بلا تردد: لولا ذلك، لما استطاع أحد من المفكرين والعلماء السالفين، أن يحتفظ بمكانته العلمية والفكرية فى هذا العصر، بين تطور العلوم الهائل وتقدمها المستمر

هذا أرسطو الذى يعد أكبر المفكرين الذين عرفتهم البشرية، والذى يلقب لذلك « بالمعلم الأول ». هذا أرسطو نفسه، قد وقع فى أخطاء وأغلاط كثيرة وكبيرة جداً فى مؤلفاته المختلفة؛ فإذا أراد أحدنا أن يحصيها ويجمعها، استطاع أن يؤلف منها مجلداً ضخماً

إن بعض هذه الأخطاء والأغلاط كانت جوهرية خطيرة تتعلق بأسس العلوم نفسها

كان أرسطو يقول، مثلاً — فى ميدان علوم الطبيعة — بنظرية العناصر الأربعة، ويعتبر كلاً من الماء والهواء والتراب والنار عنصراً من عناصر الأشياء ... ومن المعلوم أن علمى الفزياء

والكيمياء ، قد قاما على إنكار هذه النظرية من أساسها

وكان يقول – فى ساحة علم الحياة – بنظرية « التناسل التلقائى » ، ويعتقد بأن الديدان والحشرات تتولد من تلقاء نفسها ، من الطين والجيف . ومن المعلوم أن علم الحياة الحالى ، قد برهن على بطلان هذه النظرية برهنة قاطعة

وكان أرسطو يقول – فى ساحة الاجتماعيات – بضرورة الرق ، ويعتقد بأن الاسترقاق من ضرورات الحياة الاجتماعية ؛ وكان يعلل اعتقاده هذا ، بقوله « إن بعض الناس خلقوا ليكونوا عبيداً » ؛ حتى كان يرى أن « الغزو للحصول على العبيد » مشروع بقدر « الصيد لاقتناص الحيوانات » ... ومن المعلوم أن تطورات الحياة الاجتماعية سارت دائماً على أساس إنكار هذا الرأى بوجه حاسم بات

وزيادة على كل ذلك ، فإن بعض الآراء التى قال بها أرسطو كانت من نوع السفسطات والمغالطات . فقد قال – مثلاً – : « إن الخط المستقيم لا يمكن أن يكون كاملاً ، بوجه من الوجوه ، لأن هذا الخط المستقيم إذا كان غير متناه كان غير كامل ، إذ أن الكمال فى الخط لا يتم إلا عند ما يكون له شكل مرسوم بوضوح . وأما إذا كان الخط المستقيم المذكور متناهياً ، فلا يكون كاملاً أيضاً ؛ لأنه يبقى فى هذه الحالة ، ما هو خارج عنه ، بطبيعة الأمر ... » ومن الواضح أن كل ذلك من لغو الكلام ، وهو يدل على المغالطة فى البرهنة والبيان

فإذا كان أرسطو لا يزال يتمتع بمنزلة ممتازة ومكانة خارقة ، فى تاريخ العلوم والأفكار ، فما ذلك إلا لأن التاريخ المذكور يراعى على الدوام المبدأ الذى ذكرته آنفاً

وما قلته عن أرسطو فى هذا الصدد ، يصح فى غيره من العلماء والمفكرين أيضاً . فليس بين هؤلاء – من سقراط إلى كونت ، ومن بقراط إلى فرويد – من يعد عظيما لأنه لم يخطئ فى آرائه وكتاباته قط ؛ بل إنهم يعدون من العظماء ، على رغم الأخطاء التى وقعوا فيها والأغلاط التى قالوا بها

– ٤ –

ومما تجب ملاحظته فى هذا الصدد ، أن موقفنا – نحن الناطقين بالضاد – تجاه مقدمة ابن خلدون يختلف بطبيعته عن مواقفنا تجاه مؤلفات أمثاله من الغربيين . ذلك لأننا لا نطلع – عادة – على آراء القدماء من الغربيين إلا من خلال بعض المقتطفات والدراسات ، فنتوهم بأن كل ما قاله هؤلاء وكتبوه كان على ذلك الطراز . مع أن تلك المقتطفات والدراسات ، تستهدف – بوجه عام – إظهار منزلتهم العلمية ، فلا تحتوى فى حقيقة الأمر إلا على الجوهر الهام ، والزبدة المنتقاة من آرائهم وكتاباتهم الأصلية . بينما نحن نطلع على ما قاله ابن خلدون من قراءة مقدمته مباشرة ، ونحيط علماً بكل ما جاء فيها من غث وسمين . . . فالمقارنة التى تحدث فى أذهاننا بهذه الصورة ، بين ابن خلدون وبين أمثاله الغربيين ، تكون بعيدة عن الحق والحقيقة ، بطبيعة الأمر

إن مثلنا فى مثل هذه المقارنات كمثل من يريد أن يقوم بمقارنة بين المناجم المختلفة ، فيقدم على الموازنة بين الفلز الطبيعى الموجود فى أحدها ، وبين المعادن الصافية والجواهر اللامعة المستخرجة من غيرها ... من غير أن ينتبه إلى أن تلك المعادن والجواهر أيضاً كانت ممزوجة ومخلوطة بمواد ترابية وحجرية خسيسة ، وإنها لم تظهر بمظهرها الحالى إلا بعد تصفيتها من النفايات ؛ كما أن الفلز الطبيعى الموجود فى المنجم الأول أيضاً يحتوى على جوهر ثمين – قد يبهر الأبصار – مثل تلك الجواهر ، بل أكثر منها ، إذا ما عولج وصفى مثلها

من البديهى أن المقارنات يجب أن تجرى تحت شروط متساوية : فعلينا إما أن نقارن الفلز الطبيعى بالفلز الطبيعى ، وإما أن نقارن المعدن المستخرج والمصفى بالمعدن المستخرج والمصفى . أما مقارنة الفلز الطبيعى المستخرج من منجم ما ، بالمعدن المصفى المستحصل من منجم آخر ، فما لا يتفق مع مقتضيات العقل والمنطق ، بوجه من الوجوه

فيجب علينا أن نتجنب سلوك مثل هذه الطرق فى دراسة ابن خلدون . يجوز لنا أن نقارن المقدمة بكتاب من أمثالها مقارنة شاملة تامة ، كما يحق لنا أن نقارن الآراء الثمينة المستخرجة منها بما استخرج من أمثالها . وأما المقارنة بين المقدمة بهيئتها المجموعة وبين الآراء القيمة المستخرجة من الكتب المماثلة لها ، فما لا يجوز أبداً

***

إن المقالات التالية ، ترمى قبل كل شىء إلى تطبيق هذا المبدأ فى دراسة مقدمة ابن خلدون ، وإظهار منزلة مؤلفها العظيم ، على هذا الأساس القويم

(بيروت) أبو خلدون

المشكلات

١ – اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفه

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

شعر رجال التربية والتعليم فى مصر منذ زمن طويل بإخفاق المعاهد المصرية المختلفة فى تعليم اللغة العربية ، فهبوا يتعرفون أسباب هذا الإخفاق ، ويعالجونه بالوسائل التى يرونها . ألفوا اللجان ، وعقدوا المؤتمرات ، وبحثوا البحوث المختلفة ؛ فمرة يرون الإخفاق من صعوبة النحو فينصرفون إلى تسهيله ، ومرة يرونه من كثرته فينصرفون إلى تقليله ؛ ومرة يرونه من قلته فينصرفون إلى تكثيره ، ومرة يرونه من مدرس اللغة العربية فيعمدون إلى إصلاحه وحسن اختياره والعمل على توسيع ثقافته ، ومرة يرى بعض الباحثين أن هذا الإخفاق إنما هو من آثار البعد ما بين العامية والعربية فيشير بالتقريب بينهما بأن تنزل كلتاهما عن بعض خصائصها لتقرب من الأخرى . وهذا معناه إعدام اللغتين واصطناع لغة لا هى بالعربية ، ولا هى بالعامية ، وليس هذا إصلاحا ، وإنما هو خضوع للحالة الراهنة ، وإقرار الخطأ ، والعجز أمام اللحن والتحريف

والاعتبارات الدينية والاجتماعية والتاريخية تقضى علينا بالاحتفاظ باللغة العربية كما هى تدب فى عروقها دماء القوة والحياة

أما الاعتبارات الدينية فإنها لغة القرآن والسنة ، ومنهما يأخذ المسلمون دينهم وعقائدهم وأخلاقهم وعباداتهم وأحكام معاملاتهم ، وهم يحرصون على اللغة العربية أشد الحرص ، ليفهموا بها كتاب الله وحديث رسوله ، ويبقى ذلك الينبوع الذى يستقون منه متدفقاً ثرارا ، ويخشون أعظم الخشية أن يصبح غورا فيفقدوه وهم فى مسيس الحاجة إليه

وهم لا يرضون أن تبيد اللغة العربية كما بادت أخواتها من اللغات السامية كالعبرانية ، فيصبح القرآن لا يتلى ولا يفهم إلا فى المساجد وعند أداء الشعائر ، كما صارت العبرانية لا تتلى إلا فى الصوامع والبيع

وأما الاعتبارات الاجتماعية فإن اللغة العربية الآن لغة عامة ، وهى لغة شمال إفريقية والجزء الغربى من آسيا ، وسكانها يبلغون أكثر من ثمانين مليونا من الأنفس ، إذ أن اللغة العربية لغة الكتابة فى هذه الأقطار جميعها ، ومنها تفرعت لهجاتهم ، ولحرصهم على اللغة العربية دائما لا تبعد اللهجات عنها ، وكذلك لا تبعد لهجات الأقطار بعضها عن بعض بعداً يجعل التفاهم بين أهلها متعذراً

وقد ربطت هذه اللغة بينهم برباط اجتماعى وثيق ، وسهلت سبل التعارف والتآلف ، فأصبح المصرى مثلاً يسافر شرقا إلى الشام أو الحجاز أو العراق ، ويسافر غرباً إلى لوبيا وطرابلس وتونس والجزائر ، ويسافر جنوباً إلى بلاد السودان وما وراءها فيرى أهلاً بأهل وجيراناً بجيران ، يحل بين قوم يفهم عنهم ويفهمون عنه ، ويألفهم ويألفونه ، وكأنه لم يبرح بلده ، ولم يفارق موطنه ، ذلك بفضل اللغة العربية وما يسرت من تفاهم ، وكذلك شأن السورى والعراقى والحجازى إذا حل بهذه الأقطار ، وقد كان ذلك سبباً فى زيادة التعاون وإحكام روابط الأخوة والحب بين شعوب الشرق العربى ، وفتح طريقاً إلى الوحدة العربية التى ينشدها كل محب للشرق وللعرب ، وستحقق إن شاء الله بفضل هذه اللغة

وقد أدى ذلك إلى سهولة التجارة وتبادلها بين هذه الأقطار كما أدى إلى تبادل الثقافة وسائر ألوان الإنتاج فى العلم والمعرفة والتفكير ، وصار المؤلف فى مصر لا يؤلف لوطنه وحده ، وإنما يؤلف لجميع هذه الأقطار ، كما صار طابع الكتب وناشرها لا يطبع أو ينشر لمصر فحسب ، وإنما يطبع لهذه الأقطار ولبلاد الهند والملايو وجاوه وسومطره وبلاد الصين ، كذلك شأن المؤلفين والناشرين فى هذه الأقطار ، وذلك كله بفضل اللغة العربية

وأما الاعتبارات التاريخية فإن علوم آبائنا وأجدادنا وثقافتهم وتراثهم العقلى قد وضعت باللغة العربية ، فنحن نحافظ عليها ما حافظنا على هذا التراث . وهذا هو أيضاً ردنا على النفر القليل الذين دعوا إلى العامية وإحلالها محل اللغة العربية

أتدرون ماذا نكون إذا نحن اتبعنا مشورة أولئك وهؤلاء ممن يشيرون علينا بأن تتنازل العربية عن بعض خصائصها لتقرب من العامية ، أو بأن نصطنع العامية بدل العربية ؟ إننا بذلك نعمد إلى تلك الصلات التى بيننا وبين جيراننا الشرقيين فنقطعها فنصبح نتكلم بلغة لا يفهمونها ويتكلمون بلغة لا نفهمها

وإلى تلك الصلات التى بيننا وبين أسلافنا الماضين فنقطعها أيضاً ونصبح لا نتصل بعلومهم ولا ثقافتهم ، لأنها باللغة العربية

ونحن نصطنع العامية ؛ ونكون قد سجنا أنفسنا فى سجن العامية المظلم لا يفهمنا أحد ولا نفهم أحداً بعد أن كنا فى ميادين العربية الفسيحة التى تمتد شرقاً وتضرب فى بلاد الهند الصين ، وتمتد غرباً وتضرب فى سواحل المحيط الأطلسى ، وتمتد جنوباً وتضرب فى المحيط الهندى ، وتمتد شمالاً وتضرب فى آسيا الصغرى وبلاد الأناضول ، وتمتد فى الماضى وتضرب فى عهود العباسيين والأمويين والخلفاء الراشدين وعصر البعثة المحمدية وما قبل البعثة من عصر العرب الأولين

ومرة نرى بعض الباحثين أن يقرب بين العربية والعامية بأن يؤثر كل لهجة عربية توافق العامية ، فيؤثر اللغة التى تلزم الأسماء الخمسة الألف ، لأن العامية تنهج فى أسلوبها هذا النهج ، ويؤثر اللغة التى تعرب جمع المذكر السالم إعراب حين ، لأن العامية تفعل ذلك

وهذا لا يحل المشكلة ، لأن العامية لا تلتزم نهجاً واحداً خاصاً فى أسلوبها ولا تلتزم لغة من هذه اللغات . وأيضاً فكثير من العامية ليس له نظير فى لهجة من اللهجات العربية

ثم ماذا يفعلون ؟ أيوجبون هذه اللغة ويخطئون ما عداها ، أم يجوزونها ويخيرون بينها وبين اللغات الأخرى ؟ فإن كان الأول أدى ذلك إلى أن المتعلم على هذه الطريقة يخطئ القرآن وكلام رسول الله وكلام العرب إذا جاءت على غير هذه اللغة . وإن كان الثانى لم يعد ذلك تسهيلاً لأنه لم يفعل شيئاً سوى أن زاد فى الطنبور نغمة ، فبعد أن كان يعلم لغة واحدة فى جمع المذكر السالم هى اللغة العامة القياسية أصبح يعلم اللغة العامة واللغات الأخرى القليلة

ثم هذا يضيع على المسلمين الغرض الذى يرمون إليه ، ويحرصون عليه أشد الحرص ، وهو الاحتفاظ بلغة القرآن ولهجته وطريق أدائه

والذين يدعون إلى تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة أقرب إلى الصواب ؛ ونحن نؤمن كما يؤمنون بضرورة هذه الخطوة ، وإن كنا نخالفهم فيما ذهبوا إليه من قواعد كما بينا ذلك فى حينه ، ونرى أن التسهيل جزء من كل من الإصلاح المنشود

فأنت ترى من هذا كله أن المشكلة على ما هى عليه لم تحل ولم توشك أن تحل . وسنحاول إن شاء الله فى الفصول الآتية أن نحل هذه المشكلة التى استعصى على الزمن حلها

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

في استقلال القضاء

[إلى حضرة صاحب المعالى المصلح الكبير الأستاذ محمد صبرى أبى علم باشا تقديراً لقانونه الفذ ، وتحية لشخصه الكريم]

للأستاذ محمود الخفيف

بَشَّرْتَ باستقلالِهِ الأجيالَا — وجَعَلْتَهُ حقًّا وكانَ خيالا
أملٌ تطلعتِ البلادُ ليومِهِ — مُنْذُ احتوى دستورُها الآمالا
ظمئت له مصرٌ وطالَ أُوامُها — حتى سقيْتَ به العطاشَ زُلالا
عجبوا لسعيكَ إذ بلغتَ به المدى — ولطالما ألفوا الوعودَ مِطالا
عدوا له الأيامَ فهي قصيرةٌ — لكنهم وجدوا خطاكَ طِوالا
وتلفتَ التاريخُ يكتبُ صفحةً — غرّاء ، جاءتْ شاهدًا ومِثالا

* * *

أُسُّ العدالةِ أنتَ بانى رُكنِه — فابلغْ بهِ هامَ النجومِ كمالا
العصرُ تظمأُ للعدالةِ روحُهُ — لما رأى الطغيانَ ساء مآلا
هِيَ أصلُ كلِّ حضارةٍ وسكينةٍ — وهيَ الجمالُ لمنْ أرادَ جمالا
ما قيمةُ الدنيا وما نِعمُ الحيا — ةِ إذا الطغاةُ استعبدوا الأعزالا ؟
ولِمَ التفاوتُ فى سُلالةِ آدمٍ — أولمْ يكونوا كلُّهمْ صلصالا ؟
العدلُ إن قامتْ عليهِ جماعةٌ — لمْ تلقَ ذا خَتْلٍ ولا رِئبالا
وإذا تنكَّبتِ العدالةَ أمةٌ — فقدْ ارتضتْ هذى الحياةَ وبالا
يحيا على الطغيانِ كلُّ مسلَّطٍ — فيها ويُنشِبُ ظفرَهُ مغتالا
فإذا الرجالُ بها ضوارى غابةٍ — وإذا المدائنُ أصبحتْ أدغالا

* * *

رُسُلُ العدالةِ فى البلادِ قضاتُها — أعلى الرجالِ مهابةً وجلالا
بذلوا لمصرَ جهودَهمْ موصولةً — وتحمَّلوا فى حبها الأثقالا
تاللهِ ما وهنوا ولا برِموا ولا — مَنُّوا ولا كانوا بها بُخّالا
لمْ يأمنوا وهمُ القضاةُ مُناجِزًا — غِرًّا ، يُدِلُّ ببأسِهِ إدلالا
أو يأمنوا فى الحقِّ صولةَ غاشمٍ — لمْ يرضَ إلا ما يقولُ جدالا
صبروا على الأعنات صبرَ أعزَّةٍ — ولوَ انهمْ رُزِئوا بهِ أشكالا
أحرى بمنْ يحمى الحقوقَ قضاؤهُ — ألا يرى عنتًا ولا إضلالا
وبمنْ يخيفُ الظالمين عقابُهُ — ألا يخافَ عقوبةً ونكالا
وبمنْ يفكُّ عنِ السجينِ قيودَهُ — ألا يهابَ شكيمةً وعِقالا
وبمنْ ينيرُ لهُ السبيلَ ضميرُهُ — ألا يُزيغَ لهُ الهوى استدلالا
وبمنْ يديرُ إلى المصاعبِ بالَهُ — ألا تكدَّ لهُ الشواغلُ بالا

* * *

قلْ للوزيرِ فعلتَ فعلَ مؤسسٍ — كانَ الأصيلَ العبقريَّ فِعالا
العصرُ لمْ يعرفْ لفعلِكَ مشبهًا — وتقلُّ ، إنْ عدُّوا لكَ الأمثالا
فضلٌ يضافُ إلى مآثرِ ماجدٍ — ما زالَ يُولى قومَهُ الأفضالا
للهِ إذ يسعى ويدأبُ جاهدًا — ما كانَ ذا منٍّ ولا قوّالا
متواضعٌ حتى ليُخفى سعيَهُ — وترى الزمانَ بسعيِهِ مختالا
لولا شواهدُ لا تكونُ لغيرِهِ — نسبَ الرواةُ لغيرِهِ الأفعالا
وإذا الرجالُ بنَوْا حقيقةَ مجدِهمْ — تركوا الكلامَ وأنطقوا الأعمالا

* * *

هذا الذى هزَّ الوزارةَ باسمِهِ — كمْ جالَ أيامَ الجهادِ وصالا
لبّى نداءَ الحقِّ فى أوطانِهِ — لمّا دعا سعدٌ بها الأشبالا
عرفَ الزعيمُ لهُ كريمَ خلالِهِ — فرأى البشاشةَ منهُ والإقبالا
وإذا نظرتَ إلى العرينِ وجدتَهُ — ورأيتَ ملءَ إهابِهِ استبسالا
وإذا الحماسةُ أنطقتْهُ سمعتَهُ — فى الحقِّ أروعَ ما يكونُ مقالا
الصدقُ والإيمانُ فى نبراتِهِ — ولقدْ تملَّكَ سمعَكَ استهلالا
ومضى فهزَّكَ بالبيانِ يسوقُهُ — سحرًا ترشَّفَهُ النفوسُ حلالا
متدفقًا كالموجِ يهدرُ تارةً — وتراهُ حينًا هادئًا سلسالا
نبعٌ تفجَّرَ منْ قرارةِ نفسِهِ — فأراكَ أوصافًا لهُ وخِلالا

نبَّه اسمُ صبرِى فى الشَّباب فما ازدهَى يوماً ولا باهَى بهِ واختالا

واليومَ ترمُقُ منه بدراً كاملاً قد تمَّ فى أفقِ العلاء خِصالا

سِمةُ النُّبوغ على كريمِ جبينهِ من يومِ أن بهرَ العيونَ هِلالا

هذا خليفةُ سعدٍ انظرْ هل ترى صبرى لديهِ تقدَّمَ الأبطالا

لا غروَ إنْ هم قدَّموهُ فقد رأوا سيفاً تناهَى روعةً وصِقالا

ما فلَّ طولُ جهادِهِ عزماً له يوماً ولا اطَّرحَ الجهادَ مَلالا

مِلءُ القلوبِ رزانةً وجلالةً وحماسةً وتوثُّباً ونِضالا

قد لازمَ الصِّدِّيقَ فى وثباتِهِ أيامَ خاضَ إلى المُنَى الأهوالا

ما كانَ إلا الحُرَّ يحمى عزمُهُ فى الحادثاتِ وقد عصفنَ سِجالا

* * *

لما أدارَ إلى القضاءِ جهودَهُ نسِىَ الكلالَ فما يُحِسُّ كَلالا

ولكم تحمَّلَ غيرَ هذا دائباً من قبلُ أعباءً وكُنَّ ثِقالا

مدَّ الرئيسُ له يمينَ محرِّرٍ بالأمسِ حطَّمَ فى الحِمَى الأغلالا

نصرَ القضاءَ وناصرَ استقلالَهُ من أنبسَ الأوطانَ الاستقلالا

الأروعُ المستبسِلُ البطلُ الذى أعيتْ كِبارُ جهودِهِ الأقوالا

ماذا أقولُ ؟ وأينَ من وثباتِهِ شعرِى ولو بلغَ السماءَ وطالا

هذا الذى لاقَى الخطوبَ ببأسِهِ فإذا بها قد زُلزِلتْ زِلزالا

وإذا بهِ الجبلُ الأشمُّ وحولَهُ أصحابُهُ وقفوا لديه جِبالا

* * *

صبرِى إليكَ تحيةٌ من شاعرٍ أملَى عليه وفاؤه ما قالا

أنا من يُغنِّى بالبطولةِ شعرُهُ وأصوغُ غالِىَ دُرِّهِ إجلالا

لازلتَ فى سمعِ الزمانِ قصيدةً غنَّى بها الأسحارَ والآصالا

الخفيف



١ – الشاعر ابن العرائش من هو ؟ ؟

نشرت البرقيات الخاصة والعامة أسماء الفائزين الأول في مسابقة الشعر العربي التي نظمتها محطة الإذاعة اللاسلكية في لندن . واسم الفائز الأول في موضوع نهضة الشباب هو « ابن العرايش »

وليس (ابن العرائش) هذا اسماً ، ولكنه كنية اتخذها الشاعر الحقيقي ، أما اسمه الكامل فهو « نجيب ليّان » من أهالي زحلة التي خلدها المرحوم شوقي الشاعر بقصيدته الفاتنة والأستاذ نجيب ليان يشغل الآن منصب مدير قلم المطبوعات اللبناني ؛ ولم أعثر له على ترجمة أو « لوحة أدبية فنية » في كتاب « الرسوم » الذي ألفه الأديب اللبناني المشهور إلياس أبو شبكة . فلعل الأستاذ « أبا شبكة » يصور لنا صديقه الشاعر نجيب ليان في صورة طريفة لمجلة الرسالة الغراء

٢ – آباء العلاء

أنجبت المعرة شاعر العربية الحكيم أبا العلاء المعرى صاحب اللزوميات ، وسقط الزند والفصول والغايات وغيرها

وهناك غير واحد من أهل المعرة سمى بأبى العلاء ، ومن هؤلاء من كان معاصراً لأبى العلاء المشهور ومنهم من تأخر به زمانه عنه ؛ ومن « آباء العلاء » هؤلاء : أبو العلاء بن عبد الله ابن المحسن ، وأبو العلاء بن أبى الندى ، وأبو العلاء أحمد ابن أبى اليسر وأبو العلاء المحسن بن الحسين وأبو العلاء سعد ابن حماد . أما شاعرنا المشهور فاسمه أبو العلاء أحمد بن عبد الله ابن سليمان التنوخى

٣ – رباعيات الخيام

يعرف قراء الرسالة أن كثيراً من أدباء العرب ترجموا رباعيات الخيام إلى اللسان العربى ؛ ومن هؤلاء المترجمين المحسنين على تفاوق فى الإحسان ، أحمد رامى وأحمد زكي أبو شادى والبستانى وأحمد صافى النجفى . ولعل الأستاذ النجفى الآن على إخراج طبعة ثانية من ترجمته تكون أكثر دقة وأحسن إخراجاً . وقد نشرت مجلة « الصباح » الدمشقية الغراء – وهى التى ننقل عنها هذا الخبر إلى قراء الرسالة – أن الشاعر النجفى قدم لطبعته الجديدة قطعتين من الشعر رداً على من أساءوا فهم فلسفة الخيام . قال لا فض فوه فى أولاهما :

قد كنت من خمرة الخيام منتشياً ... وإنما خمرة الخيام إلهام
يظنه الجاهل المسكين منغمراً ... فى الراح يطفو به فى لجها الجام
فراح يدمن سكراً باسمه نفر ... كأنهم إذ تدار الكأس أنعام
ظننت ترجمة الخيام مأثرة ... أذابها لضعاف الرأى إجرام
إن كان هذا مآل الشعر فى نفر ... لا كان شعر ولا خمر وخيام
خالوه من شعره فى الخان منطرحاً ... وكم أساءت إلى الأشعار أفهام
ففتشوا عنه فى الحانات وانصرفوا ... وكل ما عرفوه عنه أوهام
لله درك يا خيام فى كلم ... يحيا بها الخاص بل يفنى بها العام

وهذا أجمل دفاع شعرى سمعناه – عن شاعر ظلمه الناس وشربوا الخمر باسمه ، واحتموا فى ظل رباعياته ، وهو من ذلك الخمار وتلك العربدة براء .

محمد عبد الغنى حسن

قضية تخسر !

ليست القضية التى انبرى الأستاذ سيد قطب للدفاع عنها بقضية خاسرة ، ولكنها – مع الأسف – قد لقيت الخسران على يديه ! وليس من عجب أن يجد الدكتور مندور منفذاً للطعن فى رد الأستاذ قطب ، فإن الواقع أن هـذا الرد لم يكن غرض صاحبه أن يدافع عن أدباء مصر بقدر ما كان غرضه أن يعلن عن نفسه . والحق أننى ما قرأت كلام الأستاذ قطب حتى استوقفنى فيه هذه الظاهرة ، إذ قد فاته أن يوجه كل همه لنصرة قضيته ، وإنما راح يحشد أقواله وأقوال الأستاذ العقاد ، كأنما ليس فى مصر غيرهما . وليست هذه هى المرة الأولى التى يسلك فيها الأستاذ قطب هذا المسلك ، بل إن كل من قرأ ديوانه « الشاطىء المجهول » ليذكر جيداً كيف مهّد الشاعر « سيد قطب » لديوانه بمقدمة نقدية بقلم الناقد «سيد قطب» ، وكيف راح يثنى على نفسه فى هذه المقدمة بكلمات يعجب لها المرء عجباً يستنفد كل عجب !

أما الأستاذ العقاد الذى تصدّى الأستاذ قطب للدفاع عنه فإن القصائد التى اختارها له ليست من أجود شعره ، والحكم على العقاد بناء على قصيدة واحدة منها لا بد أن يكون حكما

جائزاً . وفضلاً عن أن الأستاذ قطب كان سيء الاختيار ، فإنه يجب علينا أن نقرر أن الحكم على شعر العقاد إنما يكون بقراءة دواوينه كلها . لذلك أشير على الدكتور منــدوو بقراءة « وحي الأربعين » وخاصة القصائد الآتية : « الغزل الفلسفي » « المعاني الحية » ، « ليلة البدر » فإن هذه القصائد تتضمن أشعاراً لا يمكن أن يقارن بها أي شعر من أشعار المهجر كله !

زكريا ابراهيم

نهاية أستاذ ...

(بقية المنشور على صفحة ٦٤٢)

وفي هوادي ليلة سوداء من ليالي مارس انفرد به الهم الملازم في ركن منعزل من البيت النائم ، وكان مستقبله القريب الداهم قد تمثل في ذهنه وبرز في عينيه حجاباً من الظلام الكثيف يتدجى بالمخاوف واليأس ، فلم يستطع أن يتبين من خلاله غير صفيحة من البترول صبها عليه ، وغير ثقاب من الكبريت أشعله فيه ! فلما شاعت النار في جسده خرج يعدو إلى الشارع وهو يستغيث بأبنائه واحداً بعد واحد فما أصاخت أذن ولا تنبهت عين . وسقط المسكين صريعاً أمام كنيسة المارون في الحسينية ، وكان الصراخ الهالع قد أيقظ قسيسها فخرج يستطلع الخبر . وانحنى القسيس على المحترق يتأمله ، ورفع المحترق نظره إلى المنحنى يتبينه ، فإذا كلاهما يعرف الآخر ، وإذا القسيس تلميذ من تلاميذ الأستاذ القدماء !

— ما ذا صنعت بنفسك يا شيخ عثمان ؟

— تلك مشيئة الله !

ونقلت المحتضر عربة الإسعاف إلى المستشفى ليلفظ آخر أنفاسه حين تنفس صباح الجمعة . وأبطأت إجراءات النيابة والصحة حتى دخلت ليلة السبت . ولم يكن حاضر أمره غير ناظر المدرسة ووكيله . فاقترح الوكيل أن يبقى في المستشفى إلى الصباح ليشيعه زملاؤه وتلاميذه ؛ وصمم الناظر أن يُقبر في الليل ، لأن النهار يقتضي قماشاً وفراشاً وقهوة !!

وشيعت في ظلام الليل وسكون الناس جنازة جندي باسل من جنود الأدب المجاهدين ، وليس أمامه إلا الناظر والوكيل ، وليس وراءه إلا أولاده وزوجه !

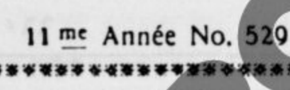
احمد حسن الزيات

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 529

Lundi - 23 - 8 - 1943





مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٢٩ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ شعبان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

من طرائف المفارقات

في بلد المفارقات

للأستاذ عباس محمود العقاد

من طرائف ما يقال في بلد المفارقات كلمة كتبتها آنسة أديبة في « المصور » الأغر تقول فيها : « . . . سألني الأستاذ الكبير عباس العقاد عن رأيي في سارة فأجبته في صراحة أنه قد آن الأوان لتتحدث الأنثى عن الأنثى وتصور شعورها وتترجم عن عواطفها . فإن الرجل لا يعرف المرأة ولا يفهمها ، ولذلك يصورها في كتابته مخلوقة أخري غير التي نعرفها في نفوسنا ونحسها فينا ... »

وطريف كل ما في هذه الكلمة التي تتمثل فيها شتى المفارقات في بلاد النقائض والمفارقات !

فمن طرائفها قول الآنسة الأديبة أنني سألتها رأيها في سارة ، وأنا لا أعرف أنها قرأتها وأن لها رأياً فيها

ولو عرفت أنها قرأتها وأن لها رأياً فيها لما فاتحتها بالسؤال عنها ، لأن أصدقائي الكتاب والقراء كثيرون يعلمون مالم تعلمه الآنسة الأديبة ، وهو أنني لم أستبح لنفسي يوما أن أفاتح أحداً بالسؤال في موضوع كتاب ألفته أو قصيدة نظمتها ، لأن المفاتحة بالسؤال في هذا الصدد إما استجداء ثناء ، وهو لا يحسن

بالكاتب ، وإما إحراج للمسؤول إذا اضطره السؤال إلى إبداء رأى لا يروق ولا يطيب وقعه فى أذن السامع ، وهو كذلك لا يحسن بالكاتب ولا بكائن من كان

ومن شاء إبداء رأى فله من وسائل الإبداء ما يغنيه عن هذا الحرج ، وما يغنى الكاتب عن سوقه إلى الكلام فيما ليس من قصده أن يفتتح الكلام فيه

والآنسة الأديبة صحفية على اتصال بالصحف اليومية والأسبوعية ، فما رأيها فى سؤال قراء هذه الصحف عن قارىء فرد أو كاتب فرد شغلته فى مجلس من المجالس باستفساره الرأى فيما أكتب أو ما أنظم !

فلماذا أسألها هى إذا كنت لا أسأل أحداً غيرها ؟

أأسألها لأسمع منها الرد الذى لا يحمد من فتاة ولا فتى فى خطاب رجل يكتب قبل أن تدرج من مهدها ؟

أأسألها لأسمع منها أن هذا شأنى وليس بشأنك ، وأن الأمر يعنينى ولا يعنيك أنت ولا يعنى أحداً من الرجال ؟

وإذا نسيت الآنسة أن هذا جواب لا يحمد من فتاة ولا فتى ، فما الذى ينسينى أنا أن أرد إليها ذاكرتها فى أدب الخطاب ؟

* * *

طريف هذا وأطرف منه رأيها الذى بنت عليه جوابها ، وهو أن المرأة لا يكتب عنها غير المرأة ، وأن الرجل لا يكتب عنه غير الرجل ، وأن الطفل لا يكتب عنه غير الطفل على هذا القياس

فإذا كانت عندنا ، كما يقول وضاع المسائل الحسابية ، رواية مدارها على زوج وزوجة ، وولد وبنت ، وخادم وخادمة ، وحصان فى خدمة الأسرة ، ودجاجة وديك فى فناء الدار ؛ فليس فى وسع كاتب واحد إذن أن يؤلف هذه الرواية الشائعة بين الروايات ، ولكننا بحاجة إلى رجل فى سن الزوج ، وامرأة فى سن الزوجة ، وولد فى سن الإبن ، وبنت فى سن الإبنة ، وحصان ودجاجة وديك ، للتعبير عن حقائق هذه الأحياء ، ويبقى بعد ذلك أن يحتج الخادم والخادمة . . . لأن الزوج لا يغنى عن الخادم وإن كان رجلاً ، والزوجة لا تغنى عن الخادمة وإن كانت امرأة ، ولا يشعر السادة بشعور الخدم ولا الخدم بشعور السادة

أليس كذلك ؟

بلى كذلك وزيادة ! وإن كنا لا ندرى كيف يكون التأليف وأين يبدأ هذا وأين يتسلم من ذاك سلسلة السطور

* * *

الآنسة الأديبة لا تعلم الحقيقة فيجب أن تعلم الحقيقة كما خلقها الله وأقرها الواقع الذى لا حيلة لنا فيه

والحقيقة التى خلقها الله وأقرها الواقع الذى لا حيلة فيه أن المرأة لا تفهم من شئونها شيئاً إلا كان الرجل أفهم منها لهذا الشىء ولو كان من خاصة أعمالها وشواغلها

فالطهى من صناعات المرأة القديمة ، ولكن أمهر الطهاة فى الدنيا رجال وليسوا بنساء

والخياطة من صناعات المرأة القديمة ولكن المرأة لا تخيط ملابسها ولا تبتكر أزياءها كما يخيطها الرجل ويبتكرها ، والتوليد من صناعات النساء ولكن المرأة نفسها تثق بالطبيب المولد ولا تثق بالطبيبة المولدة

والمرأة تبكى منذ خلقت ولا تزال تبكى إلى يوم الدين ، وترثى الموتى منذ هلك ميت إلى أن يموت آخر الهالكين ، ولكنها كما قلنا مرة لم تخلد بكلمة واحدة إلى جانب الكلمات التى خلد بها الباكون والراثون من الرجال ، ولا استثناء فى ذلك للخنساء وهى التى كانت تفاخر النساء بالبكاء !

ونأتى إلى القصة نفسها وهى موضوع التعقيب أو موضوع الزجر والتأنيب للرجال الفضوليين الذين يدخلون فيما لا يعنيهم من شئون المرأة

فمن الحقائق التى يجب أن تعلمها الآنسة الأديبة أن الكاتبات الروائيات لم يشتهرن قط بخلق الشخوص النسائية الخالدة فى عالم الكتابة ، ويصدق هذا على السابقات من طراز مارى كوريلى وشارلوت برونتى كما يصدق على اللاحقات من طراز فيكى بوم وبيرل بك ، بل يصدق فى هذا المعنى أمر تستغربه الآنسة لو علمت به : وهو أن الرجال فى روايات الكاتبات أصدق صورة من النساء ، لأن المرأة على ما يظهر لا تحسن التعبير عن نفسها كما تحسن مراقبة الرجل والحكاية عنه ، وإن لم تقصد التحليل والتصوير

ولست أنا القائل إن المرأة لم تفهم نفسها كما فهمتها من

تصوير شكسبير لها ، وإنه صوز خمسا وعشرين صورة نسائية لا تختلط واحدة منها بالأخرى ولا توجد امرأة واحدة تحصيها في وجوهها وملامحها ، ولكن الذي قال ذلك امرأة فاضلة هي أنا جمسن Anna Jameson في كتابها بطلات شكسبير

ولم توجد بعد المرأة الفذة بين النساء ، كما كان شكسبير الرجل الفذ بين الرجال

***

تلك طرائف آنسة في حديث الذكر والأنثى

ولهذا الحديث طرائف أخرى في « رجل » كشفه الأستاذ السيد قطب وقال هو عن نفسه إنه يفخر بمشابهة المرأة في تكوينها

هذا الرجل يقول لنا : « وأنا أحب أن يعلم الأستاذ قطب ، وأن ينقل إلى الأستاذ الكبير العقاد ، أن الحياة البشرية ليست من البساطة بحيث يظنان ... وقديماً زعم اليونان أن الآلهة عند خلقها للبشر لم تخلق الرجل والمرأة دفعة واحدة بل خلقت أعضاء مختلفة ثم جمعت بين تلك الأعضاء لتسوى الرجل والمرأة ، وهي لسوء الحظ أو حسنه لم تحرص على نقاء الرجل من عنصر المرأة أو نقاء المرأة من عنصر الرجل . ولهذه الخرافة الرمزية دلالتها فليست هناك امرأة كاملة الأنوثة وليس هناك رجل كامل الرجولة ... »

إلى آخر ما قال هذا الرجل الذي كشفه السيد قطب جزاه الله

ومنتظرون نحن حتى يجشم هذا الرجل نفسه مشقة الرسالة التي بعث بها إلينا من طريق الأستاذ سيد قطب لينقلها إلينا ... !

منتظرون تلك الرسالة منذ متى يا ترى ؟

منتظروها منذ سبع عشرة سنة يوم كتبنا نقول : « لا بدع أن يكون الأمر كذلك وأن نجد حب تاجور أقرب إلى عطف الأنوثة ورحمة الأمومة . فإن فاصل الجنس ليس من المناعة والحسم بالمكان الذي يتوهمه أكثر الناس . وليس كل رجل رجلاً بحتاً ولا كل امرأة امرأة صميمة ، وإنما تمتزج الصفات وتتفق المزايا ويكون في الرجل بعض الأنوثة كما يكون في المرأة بعض الرجولة ، ولا أرى في تصور ذلك أظرف ولا أدنى إلى الصدق من الأسطورة التي يروونها عن اليونان ويمثلون بها كيف كانت صنعة الإنسان وكيف كان هذا الخلط بين خلق الرجال وخلق النساء . فقد زعموا أن الإله الموكل بهذه الصناعة دعي إلى وليمة الأرباب فقضى ليله يقصف ويلهو ويعاقر ويتماجن ثم عاد عند الصباح مخموراً دهشاً فألفى عمل النهار بين يديه لا مناص من إنجازه ولا حيلة في تأجيله ، فأقبل على العواطف والجوارح يقذف ما اتفق له منها في الأهاب الذي يعرض له ، ويرمي تارة بقلب رجل في أديم امرأة ، وتارة أخرى بوجه امرأة على كتفي رجل ، وهكذا حتى أتم عمله ... »

إلى أن قلنا « وكأن (أوتو فيننجر) يقول ما تقوله هذه الخرافة حين شرح مذهبه في الحب ، وقرر في كتابه الجنس والأخلاق أن لا ذكورة ولا أنوثة على الإطلاق ، وإنما هي نسب تتألف وتتخالف في مقاديرها في كل إنسان ، ولا عبرة فيها بظواهر الجوارح والأعضاء »

فالرسالة إذن قد وصلت إلينا راجعة إلى الوراء ، وقد نعاد إلى موصلها للاستنفاء ، ومعها ما يستحقه من الجزاء

والجزاء الذي يستحقه أنه الآن لم يحسن أدب اليونان ولا أدب الخطاب ، وأنه لو تعلم هذه الخرافة كما تعلمها قراؤنا قبل سبع عشرة سنة لما لاكها في مقاله كما يلوكها الآن ، ولأكل رزقه حلالاً بتعليم الأدب اليوناني الذي يعلمنا إياه في هذه الأيام ، ويريد أن يعترف له بفضل فيه ، وهو ينكر فضل السبق على ذويه بلة المفارقات ، وهذا الرجل كتلك الآنسة من هذه المفارقات . . . !

عباس محمود العقاد

نشر باعلان ١٠٣٥ مجلس مديرية الغربية بالعدد ٥٢٨ نظير دفع ٣٠٠ مليم والصواب ٢٠٠ مليم

٣ - الصيد في الأدب العربي

للدكتور عبد الوهاب عزام

وفى ديوان أبي نواس سبع وعشرون أرجوزة فى وصف الكلاب، وهو تارة يصف خلقة الكلاب وطباعها، وتارة يصف سرعتها وعملها فى الصيد. منها الأرجوزة:

أنعتُ كلباً جال فى رباطه   جَوَل مصاب فر من أسماطه
عند طبيب خاف من سِياطه   مجنا به وهاج من نشاطه
كالكوكب الدرىّ فى انخراطه   عند تهاوى الشد وانبساطه
لما رأى الملهب فى أقواطه   سابحه ومرّ فى التباطه
كالبرق يذرى المرو بالتقاطه   مثل قلىّ طار فى أنفاطه الخ

فهو يشبه الكلب فى نشاطه واضطرابه ومحاولة الإفلات من الرباط بمجنون يستعصى على طبيبه ويفر من دوائه ومن بطشه ثم يشبهه فى انقضاضه سريعاً بالكوكب ويقول إنه حين رأى التيس البرّى فى قطمانه عدا فرّا معاً يسبحان عدواً، واستمر الكلب يضرب الأرض بيديه فيطير الحجارة الرقيقة كما تتطاير الفقاقيع عن السمن الذى يغلى على النار. وهو وصف عجيب دقيق

ولا يتسع المجال لإثبات الأرجوزة كلها والتمثل بأبيات من الأراجيز الأخرى

ولأبى الطيب طرديات قليلة، منها أرجوزة يصف فيها كلباً يصطاد ولم يشهد الصيد ولكن أخبر به. وهو وصف إن فاته صدق المشاهدة فهو دليل على خبرة شعرائنا بالصيد وكلابه، ومعرفتهم بحركاته معرفة تيسر لهم الوصف بالغيب. قال واصفاً الكلب:

لحلّ كلاّبى وثاق الأحبُل   عن أشدقٍ مسُوجَرٍ مسَلسل
أقبّ ساطٍ شرس شمردل   مؤجَّد الفِقرة رِخو المِفصَل
له إذا أدبر لحظُ المُقبل   كأنما ينظر من سَجنجَل
يعدو إذا أحزن، عَدوَ المسهل   إذا تلا جاء المدى وقد تُلى
يُقعى جلوس البدوى المصطلى   بأربع مجدولة لم تُجدَل
يكاد فى الوثب من التفتُّل   يجمع بين متنه والكلكل
وبين أعلاه وبين الأسفل الخ

فانظر كيف يصف خلقة الكلب وحركته، وتأمل الغلوّ فى قوله له إذا أدبر الخ فقد ادعى أن الكلب فى سرعة حركاته مقبل مدبر معاً فكأن الرائى يراه ويرى صورته فى مرآة فيرى شكلين أحدهما مدبر والآخر مقبل

وقد افتن الشعراء فى وصف حيوانات الصيد الأخرى كالفهد وجوارح الطير من البازى والباشق واليؤيؤ والعقاب الخ. ومن هذا وصف العقاب فى شعر أبى الفرج الببغاء:

ما كل ذات مخلب وناب   من سائر الجارح والكلاب
يدرك فى الجِد والطلاب   أيسرَ ما يدرك بالعُقاب
شريفة الصبغة والأنساب   تطير من جناحها فى غاب
وتستر الأرض عن السحاب   وتحجب الشمس بلا حجاب
يظل منها الجو فى اغتراب   مستوحشاً للطير كالمرتاب
ذكية تنظر من شهاب   ذات جران واسع الجلباب
ومنكِب ضخم أثيث رابى   ومَنسِر موثَّق النصاب
وراحتى ليث شرَى غلّاب   نيطت إلى براثن صلاب
مرهفة أمضى من الحراب   وكل ما حلَّق فى الضباب
لملكها خاضعة الرقاب

وأبو الفتح كشاجم من أكثر الشعراء ولعاً بالصيد، وله فيه كتاب. ومن شعره فى وصف الباشق، وهو ضرب من البزاة:

يسمو فيخفى فى الهواء وينكفى   مجلاً فينقض انقضاض البارق
وكأن جؤجؤه وريش جناحه   خضبا بنقش يد الفتاة العاتق
وكأنما سكن الهوى أعضاءه   فأعادهن نحول جسم العاشق
ذا مقله ذهبية فى هامة   محفوفة من ريشها بحدائق
ومخالب مثل الأهلّة طالما   أدْمين كف البازيار الحاذق
وإذا انبرى نحو الطريدة خلته   كالريح فى الأسماع أو كالبارق
وإذا دعاه البازيار رأيته   أدنى وأطوع من محب وامق
وإذا القطاة تخلفت من خوفه   لم يعد أن يهوى بها من حالق

١ – حكاية الوفد الكسروى (*)

لأستاذ جليل

أنا ما جزمت فى عزو (الخبر) إلى ابن بكار بل سألت وفرضت : جئت بـ (هل) الاستفهامية ، و (إذا) الظرفية الشرطية فقلت : « هل صاحب ذلك الكتاب هو الصائغ المحسن » وقلت : « وإذا ثبت قول (السليمانى) فى ابن بكار فمن بضع الحديث النبوى يضع الحديث الأدبى » وأوردت حديث (العلانية) وتركت القضاء للوقت حتى يثبت أو ينفى . وفى هذا الأسلوب فى النقد الإنصاف كله . وبنيت على الشك والفرض لأنى لم أقف على (كتاب وفود النعمان على كسرى) ، ولم أجد رواية صحيحة تهدينى إلى الحق فى أمر النسبة . وإذا عز اليقين ظننا . وليس ظن الناقدين والباحثين فى العلم من الظنون التى ذمها (الكتاب) ، ولم أقصد زراية على القاضى فى كل ما خططت ، وليست صفاته الطيبة بما نعته أن يضع ، فقد كان الوضع فى الحديث والأخبار والأشعار شرعة القوم . وهناك كثيرون من الواضعين هم أقضى من الزبير بن بكار وأتقى وأكبر وأشهر . وهذا بحث طويل أدعه اليوم فله زمان سيظهر فيه إن شاء الله

وقلت : هل ابن بكار صاحب كتاب وفود العرب على كسرى هو الصائغ . ولم أقل هل ابن الكلبى صاحب (كتاب الوفود[1]) هو الواضع لأسباب :

١ – عبارة الخبر أقرب إلى زمان ابن بكار ، وأسهل من عبارة ابن الكلبى

٢ – وضوح التسمية

٣ – تنسيق فى الخبر جلبه الوقت وارتقاء التأليف فقد كاد يكون رواية تمثيلية ، وقد أنشأ أديب عصرى منه رواية

٤ – لم أجد الخبر فى كتاب (الأغانى) ولم يرو أبو الفرج منه شيئاً ، ولم يشر إليه فى مكان ، والظن أن لو رآه فى (كتاب الوفود) ما كان فاته . وقد روى من دواهى ابن الكلبى ما روى

وأما عزو الخبر إلى ابن الكلبى أو أمثال ابن الكلبى[2] فهذا من براعة كل واضع بعده فقد اشتهر الرجل فى الأخبار والأسمار والأنساب ، والعنعنة أول شرط لمن يضع . والرواة المتقدمون كثيرون فلكل صائغ أن يربط خبره بمن أحب . فأبو حيان التوحيدى حين اتكل على الله وزخرف رسالة أبى بكر إلى على[3] (رضوان الله عليهما) أسندها إلى القاضى أبى حامد المروروزى يرويها عيسى بن دأب عن صالح بن كيسان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن أبى عبيدة بن الجراح

وهذا الإمام أبو بكر بن دريد ربط كثيراً من أساطيره المبثوثة فى كتاب (الأمالى) لأبى على القالى بابن الكلبى وربط طائفة منها بغيره . فما عزاه إلى هشام هذا أسطورة ما وقع من المفاخرة بين طريف بن العاصى الدوسى والحارث بن ذبيان عند بعض مقاول حمير ، وأسطورة ما وقع بين سبيع بن الحارث وميثم بن مثوب من المخاصمة بمجلس مرثد الخير وأسطورة حديث خنافر الحميرى مع رئيه شصار . وعزا أبو بكر غير ذلك من الأخبار إلى ابن الكلبى . ومما رواه عن العتبى عن أبيه (خبر غسان بن جهضم مع ابنة عمه أم عقبة) وهو رواية (Roman) ختمت حوادثها بالانتحار كما نشاهد فى روايات غربية تمثيلية

(*) تراجع الرسالة ٦٢٤ و ٦٢٦

(١) فى طبعة عندى (الوقود) بالقاف واليقين إنها الوفود

(٢) ابن القطامى فى الخبر هو قنطرة بين من وضع وبين ابن الكلبى

(٣) هى التى أولها : (البحر مفرقة والبر مفرقة) وقد رواها ابن أبى الحديد (المجلد ٢ ص ٥٩٣) ثم قال : الذى يغلب على ظنى أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع وإنه من كلام أبى حيان التوحيدى لأنه بكلامه ومذهبه فى الخطابة والبلاغة أشبه . وهذا كلام عليه أثر التوليد ليس يخفى . ومن تأمل كلام أبى حيان عرف أن هذا الكلام من ذلك المعدن خرج ... (قلت) : ابن أبى الحديد يقبل ويرفض ، ويذكر وينفى وقد حاسبناه وسنحاسبه ...

وللأرجانى قصيدة وصف فيها من حيوان الصيد الطير والفهود والكلاب . مطلعها :

ولما نضا الأفق برد الظلام ... ساروا إلى خيلهم باللجم

وهى قصيدة ممتعة

وللشعراء أساليب فى وصف آلات الصيد والحيوانات التى تصاد لا يتسع المقال للتمثيل لها

وأبرع شعر الصيد ما وصف أفعال الصيد من الإحاطة بمواضع الصيد وحشر الوحش إلى المضايق ، ثم تسليط الحيوان والآلات عليها ، والملاقة بين الصائد والمصيد ، وظفر الصائد بطلبته ، ونحو هذا . وفى شعرنا من هذا الضرب صور عجيبة رائعة نعرض فيما يلى صوراً منها .

(للكلام بقية) عبد الوهاب عزام

٢١ ، ١٠

وأساطير ابن دريد فى الأمالى كلها هو أبوها وأمها . وقد قلت ذات مرة للعلامة الأستاذ الكبير أحمد أمين بك : هذه الأخبار التى أنشأها ابن دريد ورواها أبو على فى أماليه مصنوعة فقال (حفظه الله) : الذنب ذنب الناس هو قدمها أساطير وهم أخذوها حقائق أو كما قال

وأنا أسأل فى هذا المقام : هل أملى ابن دريد فى مجالسه هذه الأخبار على القالى وغيره من تلاميذه أساطير مصنوعة معلناً ذلك كما أملى البديع الهمذانى وابن الحريرى مقاماتهما فلما رواها أبو على فى كتابه تلقفها الناس أحاديث صحيحة ، والتبس الأمر ؟

وأما الصواغ العظيم ابن الكلبى فهذا مما قيل فيه :

وهشام بن محمد بن السائب الكلبى أبو المنذر الإخبارى النسابة العلامة روى عن أبيه أبى النضر الكلبي المفسر وعن مجاهد ، وحدث عنه جماعة . قال أحمد بن حنبل : إنما كان صاحب نسب وسمر ما ظننت أن أحداً يحدث عنه ، وقال الدارقطنى وغيره : متروك ، وقال ابن عساكر : رافضى ليس بثقة . ابن الكلبى عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس : وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثاً قال : أسر إلى حفصة أن أبا بكر ولى الأمر من بعده وأن عمر واليه من بعد أبى بكر ، فأخبرت بذلك عائشة رواه البلاذرى فى تاريخه . وهشام لا يوثق به وقيل : إن تصانيفه أزيد من مئة وخمسين مصنفاً ، مات سنة أربع ومئتين[1] »

وان عبد ربه الذى نقل حكاية الوفد الكسروى مصدقها هو الذى روى خبرى (وفود عبد المسيح على سطيح ووفود قريش على سيف بن ذى يزن) مؤمناً بهما ، وهذان الخبران يوضحان حالها ، وينبئان بصدقهما . وينادیان أنهما قد سبقا فى الصحة والتحقيق خبر وفود النعمان وإضامته (جماعته) التى أوفدها على شاهنشاه لتثرثر قدامه متنفحة . ومن روى غير هياب تينك الأسطورتين روى هادئ البال الأسطورة النعمانية الكسروية ، وقد قلت من قبل[2] فى سطيح وصاحبه شق قولى ، فليعاود من أراد تلاوته . وهذا مما جاء فى قصة وفود قريش ، ذروايته محسبة كافية لا تسأل نقداً ولا تقييداً

« ... ثم انتبه (سيف) إليهم انتباهة ، فدعا بعبد المطلب من بينهم ، فخلا به ، وأدنى مجلسه ، وقال : يا عبد المطلب ، إنى مفض[1] إليك من سر علمى أمراً لو غيرك كان لم أبح به ، ولكنى رأيتك موضعه فأطلعتك عليه ، فليكن مصوناً حتى يأذن الله فيه ... إنى أجد فى العلم المخزون والكتاب المكنون الذى ادخرناه لأنفسنا ... خبراً عظيما ... فيه شرف الحياة ... للناس كافة ولرهطك عامة ولنفسك خاصة . قال عبد المطلب : ما هو ؟ فداك أهل الوبر قال ابن ذى يزن : إذا ولد مولود بتهامة بين كتفيه شامة كانت له الإمامة إلى يوم القيامة . قال : أبيت اللعن . لولا إجلال الملك لسألته أن يزيدنى فى البشارة . قال : هذا حينه الذى يولد فيه أوقد ولد ، يموت أبوه وأمه ، ويكلفه جده وعمه ... والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، ... يفتتح كرائم الأرض ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، يخمد الأديان ... ويكسر الأوثان ، ويعبد الرحمن . قال : فهل الملك يسرنى بأن يوضح فيه بعض الإيضاح ، قال : والبيت ذى الطنب والعلامات والنصب[2] إنك يا عبد المطلب لجده من غير كذب قال عبد المطلب : أيها الملك ، كان لى ابن كنت له محباً ... فزوجته كريمة من كرائم قومه يقال لها آمنة بنت وهب ... فجاءت بغلام بين كتفيه شامة ، فيه كل ما ذكرت من علامة ، مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه ، قال ابن ذى يزن : إن الذى قلت لك كما قلت ، فاحفظ ابنك ، واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ... »

وسيد هذا الوجود وممناه مستغن بالله وبكتاب الله عن تكهن المتكهنين ، وصوغ الصواغين ، وزخرفة محدثين

وسند ابن عبد ربه فى هذا الخبر : « نعيم بن حماد قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثورى . قال : قال ابن عباس »

وقد روى هذه الأحدوثة أبو الفرج فى أخبار أمية ابن أبى الصلت وسند « كتاب عبد الأعلى بن حسان قال حدثنا الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس » ، وحدث أبا الفرج به محمد ابن عمران بإسناد ليس يحفظ الاتصال بينه وبين الكلبى فيه كما قال

وأبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى هو الذى أفاد أدباء العرب وكتابهم وشعراءهم ، وشهر أمتنا وخلفاءها وزرجالها برواياته المزخرفة[3] . (لا سامحه الله !) (...)

(١) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال جـ ٣ ص ٢٥٦

(٢) الرسالة ٢٤٩ ص ٦٠٥ السنة ٦

(١) فى الطبعات (مفوض) واليقين أنها مفض أفضى إليه سره ويسره أعلنه به .

(٢) يحلف غالم الغيب بالعلامات والنصب فياليت المختلق قوله قسماً غيره

(٣) هو ناقل ، ولكن ذنب الراوى مثل جرم القائل

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

جاذبية الشواطئ المصرية — أعجوبة الأعاجيب

جاذبية الشواطئ المصرية

من الواضح أنى لا أستطيع الإجابة عن جميع أسئلة القراء ، ولو أنى استطعت ذلك لتحولت مقالاتى إلى موضوعات يغلب عليها الضجيج ، ومع ذلك فسأرد على الأستاذ أحمد فتحى القاضى ، لأنه احتكم إلى الشريعة فى وجوب رد التحية ، ولأن الرد عليه يوضح مشكلة تحتاج إلى توضيح

والأستاذ غاضب على ماوقع منى فى الدعوة إلى الاصطياف ، ويقول إن كلامى فى التغنى بجاذبية الشواطئ لم يقع من أهل الصعيد موقع القبول ، ويصرح بأنه كان ينتظر أن أكون من الثائرين على حياة الشواطئ ، وقد صارت ملاعب للنساء العاريات ، كما قال !

وأقول إنى أحترم عواطف قرائى كل الاحترام ، ولكن مذهبي فى الأدب يأبى علىّ أن أبحث عما يُرضى قرائى ، فالغاية عندى هى الصدق فى التعبير عما يختلج فى صدرى ، ويطمئن إليه قلبي ، ولو كان فيه ما يغضب جميع القراء ... ألم أقل لكم إنى لست أسيراً للوطن ولا أجيراً للمجتمع ؟

وماذا أصنع إذا كنت أومن بأن الشواطئ المصرية من أجمل ما خلق الله ؟

ماذا أصنع وأنا أعتقد أن زيارة الشواطئ المصرية تزيد فى قوة العقل والفكر والذوق ؟

وهل يرضينى أن أفعل ما يفعل الشيخ أبو العيون وهو يتوهم أن زيارة الشواطئ تفسد الأخلاق ؟ إن الشيخ أبو العيون يغرق فى كوز ماء فكيف نسمع كلامه فى البحر المحيط ؟

هل تعرفون أن الشيخ أبو العيون لم ير الشواطئ مع أنه يعيش فى الأسكندرية منذ سنين ، ومع أنه أبو العيون ؟

آن الوقت لأن نُسمع هذا الرجل الطيب كلمة الحق . آن الوقت لأن ننهاه عن الغض من حياة الشواطئ وهى نعمة عظيمة من بها المنعم الوهاب على أهل هذه البلاد

هذا الرجل الطيب يتكلم باسم الدين ، فهل يستطيع أن يدلنى لأى حكمة خلق الله تلك الشواطئ بذلك المهاد الجميل ؟

هذا الرجل الطيب يعرف أن السباحة رياضة بدنية ، وهو مع ذلك يعجز عن السباحة فى الخيال

نفرض أن حياة الشواطئ تفتن بعض الناس ، فهل يجب أن نقتلع الجذور من كل جمال يدعو إلى الفتون ؟

ما رأيه فى القمر وقد قيل إنه يهيج الصبوات ؟

أنجرّد حملة لإسقاط القمر من أفق السماء ؟

ما رأيه فى الأزهار وقد قيل إن عطرها يوقظ الشهوات ؟

أنجتثّ كل شجرة مزهرة لتنام عيون أبى العيون ؟

الآذان تؤهل لسماع النمائم ، فهل نصلم جميع الآذان ؟

والجسم السليم يؤهل للمعاصى ، فهل نحول الخلائق إلى مهازيل ومعاليل ؟

كل نعمة تعرّض صاحبها لمتاعب أخلاقية ، فهل نطلب زوال النعم لتستقيم الأخلاق ؟

إن أبا العيون الواعظ يحتاج إلى واعظ ، فأنا أخشى أن يغضب الله عليه إن استمرّ على هذا الأسلوب ، من الوعظ المقلوب

أفى الحق أن الشواطئ ليست إلا مباءة رجس وخلاعة ومجون ؟

أهذا كل ما يتصور الباكون على الأخلاق بدموع التماسيح ؟

أين إذاً الشعور بجلال الله وجمال الوجود عند زيارة الشواطئ ؟

أنتم تدعوننا لزيارة المقابر لنتعظ ، ونحن ندعوكم لزيارة الشواطئ لتهتدوا

ضميرى لا يسمح بأن أرائى قرائى ، فليسمعوا كلمة اللوم على غفلتهم عن الاصطياف ، وليسمعوا كلمة الصدق فى دعوتهم إلى تنسُّم هواء البحر من حين إلى حين

أما الخوف من اللؤلؤ المنثور فوق الشواطئ فعلاجه سهل ، وهل يصعُب عليكم أن تدخلوا الشواطئ بلا عيون ؟

عندكم الأقنعة الواقية ، وقد وزعتها عليكم الدولة بالمجان منذ سنتين ، فالبسوها عند زيارة الشواطئ ، لتكونوا فى أمان من سِحر الجمال

ولكن تلك الأقنعة فيها ثقوب تطل منها العيون ، فماذا تصنعون ؟

الرأى أن تظلوا فى مراقدكم ، وأن تتركوا هواء البحر ورمال الشواطىء لعقلاء الأجانب

ما ذا يقول أحفادنا إذا قرأوا هذه الكلمة وعرفوا أن الاصطياف كان معضلة تختلف فيها الآراء ؟

لو كانت الشواطىء المصرية بأيد غير أيدينا لأصبحت فراديس تصبو إليها نجوم السماء ، فما يمكن أن تكون فى الدنيا شواطىء فى سجاحة الشواطىء المصرية ، ولا يمكن أن تنعم بلاد بمثل ما ينعم به أهل هذه البلاد من شواطىء تفوق الإحصاء

وما ذا يرى الرأنى فى الشواطىء ؟

قالوا إنه يرى أجساماً عارية

الآن فهمتُ وفهمت ، فقد طال غرام الناس بالتحجب والرياء ، لأن اعوجاجهم فى ضمائرهم فرض عليهم أن يعيشوا فى أسر الأثواب

الكلمة الصريحة لا تصدر إلا عن صاحب الرأى الصريح

والجسم العارى لا يتخايل به غير صاحب الجسم الجميل

والمصريون فكروا فى التزود من جميع الثقافات ، وأهملوا الثقافة الجسدية ، فما الذى يمنع أن يكون فى الشواطىء تذكير بما للجسد من حقوق ؟

فى رؤية اللاهين فوق رمال الشواطىء درس ينفع من تركوا أجسادهم بلا تثقيف ، وهو درس يحتاج إليه الشيخ أبو العيون

يجب أن نرى العراة فوق الشواطىء لنتذكر جنايتنا على أجسادنا بترك الرياضة البدنية !

هل تذكرون السيدة التى أثنت على القرار الخاص بتخصيص أحد الشواطىء لاستحمام النساء ؟

هى سيدة لا تستطيع البروز بلباس البحر ولو كان جوازاً إلى دار الخلود !

أكتب هذا الكلام وأنا أعرف أن أناساً من خلق الله سيعترضون ، كما اعترض المحامي الذى راسلنى من منفلوط ؛ أكتب هذا الكلام وأنا أعرف أنه يصورنى ظلماً بصورة الماجنين ، مع أنى صادق كل الصدق فيما أقول ، فالشواطىء المصرية نعمة من نعم الله ، وما يقع فيها من الشر لا يقاس إلى ما تسوق من منافع الخير الصحيح

لو شئت لعتبت على قرائى : فالشاعر أحمد العجمى يقول إنى مجدت الإسكندرية أعظم التمجيد ، فهل زار الإسكندرية ليراها بعينى ؟ والمحامى أحمد القاضى آذاه كلامى عن الإسكندرية فهل زارها ليعرف حقيقة كلامى ؟

زوروا الإسكندرية ، وقفوا لحظات أو ساعات بمحطة الرمل

كان أبعد سفر عند أهل الصعيد هو زيارة طنطا فى مولد السيد البدوى ، فهل أستطيع نقل أهل الصعيد إلى زيارة أبى العباس المرسى ؟

إن كانت الدعوة إلى الحياة خلاعة ومجوناً فأنا راض بأن أضاف إلى الخلعاء والماجنين ... وهل يؤذينى الظن الآثم ، والجهل الطائش ؟

أنا أدعو إلى الحياة . أنا أدعو كل مصرى إلى تذوق الجمال بكل بقعة من بقاع هذا الوادى الجميل

فى السماء رزقي ، فما خوفى من أهل الزور والبهتان ؟

أعجوبة الأعاجيب

هي أن تكتب كلمة يفهمها جمهور القراء على الوجه الصحيح ثم تستغلق على محرر مجلة أسبوعية فيؤولها أسوأ تأويل ، وتكون النتيجة أن يبنى عليها أحكاماً أوهى من بيوت العنكبوت ، وهو يتوهم أنه غاية فى اللوذعية والذكاء

ولهذه الأعجوبة قصة قريبة ، فقد كنت كتبت فى رثاء تقلا باشا سطوراً أبرزت بها خصائصه الذاتية ، الخصائص التى جعلت حياته قدوة لرجال الأعمال ، وكان الروح الذى يسود تلك السطور يفيض بمعانى العدل والإنصاف والإجلال ، وإن خلا من الندب واللطم والصراخ ، على نحو ما صنع المحرر لتلك المجلة الأسبوعية

كان الظن أن يفهم بعض خلق الله أنى أرثى تقلا باشا فى مجلة الرسالة ، والرسالة تترجم من ترثيهم ، فجوها يصلح للترجمة ولا يصلح للبكاء ، وهل يحتاج تقلا باشا إلى من يبكيه ؟ إنما يحتاج مثل هذا الرجل إلى من يظهر الشمائل التى وصلت به إلى أن يكون فى الطليعة بين رجال الصحافة فى الشرق ، وليس ذلك بالمجد الضئيل ، حتى نكمله بالتوجع والتفجع والأنين

ولكن ذلك المحرر رأى بذهنه الثاقب أن كلمتى تحتمل التأويل ، فانتهز الفرصة وتقرب إلى أقطاب صاحب « الأهرام »

بالشفقة المكذوبة والود المدخول ، فزعم أنى هجمت على ميت ، ثم تطاول فقال كلاماً يدل على أدبه الجميل

وأردت أن أصحح خطأه فكتبت كلمة تصحيح ، ولكنه عاند عناداً يُقبل ممن يكون فى مثل عقله فألقاها فى سلة المهملات ، لأنى هددته بنشر ما اعترض عليه ، عسانى أجد الفرصة لتقويم بعض المحررين

وأحب أن أعرف ما هى الغاية من الإيقاع بين الناس ؟

قلت لذلك المحرر : إن لى أصدقاء فى جريدة الأهرام على رأسهم أنطون الجميّل وكامل الشناوى وعوض جبريل ، فكيف يُسيغ ذهنك أنى أستبيح إيذاء أولئك الأصدقاء فى مناسبة لا يجوز فيها إيذاء الأعداء ؟

وقلت لذلك المحرر : إنى لا أهجم إلا على الأقوياء من الأحياء ، فكيف أهجم على ميتٍ لا أذكر أنى عاديته لحظة من زمان ؟

وقلت لذلك المحرر : إنى رثيت تقلا باشا وأنا أتمثل ما عانى فى حياته الصحفية ، فما يجوز أن أقول فيه غير الجميل ، وإن التبس كلامى عليك

وقلت لذلك المحرر : إن لتقلا باشا أقارب من أصدقائى فى القاهرة وبيروت ، وأنا أتحيز دائماً لأصدقائى ، فليس من المعقول أن أوذيهم فى مثل هذا المقام الحزين

وبرغم هذه الشروح أصرّ المحرر على إغفال كلمة التصحيح ، فما الأخلاق عندكم يا محررى بعض المجلات الأسبوعية ؟

ما الأخلاق عندكم وقد أهمل ذلك المحرر رجائى فى أن لا يدس بينى وبين ناس محزونين ؟ وما هذا الإفك فى الإفساد بين الناس ؟

أنا حاضر لمخاصمة جريدة الأهرام ، ولكنى أرفض أن يقال إنى أخاصم صاحبها فى غداة الموت ، وليس لحىّ بقاء

وما قيمة التودد لجريدة الأهرام بمثل هذا الدس الممقوت ؟

أيكون لجريدة الأهرام قوة سحرية تمنع العواقب المقدورة على الدساسين ؟

القدرة الصحيحة هى قدرة الحق ، فما شأنك يا كاتباً أفلس فلم يجد زاداً غير الوقيعة بين كرام الرجال ؟ ما شأنك ولن تكون كاتباً ولو سودت وجهك بالمداد فى ألوف من السنين ؟

ما عتبى عليك ، وقد نصحتك فلم تنتصح ، بعد أن رأيت ما صنعت بنفسك ، يوم صورت شعورك بأول غارة جوية ؟

ما عتبى عليك ، وقد خاب أملى فيك ؟

لقد فكرت فى أن أشرح لك العبارة التى عجز عن وعيها فهمك ، ولكنى خفت أن تعجز عن فهمها بعد الشرح

وقد فكرت فى النص على المجلة التى تتسع لأوهامك وأحلامك ، ولكنى ترفقت فلم أدل على مجلة كان زادها ولن يزال من عبث الأطفال

إن كلمتى فى رثاء تقلا باشا كلمة حق ، لأنى رثيته باسم الحق ، فما قيمة كلماتك فى رثائه وأنت ترائيه فى الحياة وبعد الممات لغايات ؟

عفا الله عنك يا فلاناً بالمجلة الفلانية !

ونفعك الله بهذا الدرس البليغ !

زكى مبارك

الكأس المسمومة

للأستاذ سيد قطب

أفلاكِ أفلاكِ كالشيطان أفلاكِ ... أفلاك كالسم يسرى جدّ فتّاكِ
أفلاك : إنك فى نفسى وفى زمنى ... وفى حياتى أفعى ذات أشواكِ
سمّمت عيشى وأحلامى وأخيلتى ... وأنت شيطانة فى سمت أملاك
وعشتُ أرعاك فى قلبى وأنت بلا ... قلبٍ يحس ويرعى كيف أرعاك
من أنت ؟ ما أنت ؟ إنى حائر قلق ... أأنت أسطورة فى سِفر أفّاكِ ؟

أنسى الليالى التى قضيتُها قلقاً ... وأنتِ ساكنةٌ راضٍ مُحيّاك
أنسى الدموع التى أرسلتها غدقاً ... ولست لولا هواكِ المرُّ بالباكى
وكبريائى التى ما كنت أخفضها ... من قبلُ أو بعدُ فى دنياى لولاك
أنسى . وأذكر أحلامى وأخيلتى ... كأنهن نجوم بين أحلاكِ
وكلهن نسيجُ الوهم فى خلدى ... ولسنَ غيرَ أحابيل وأشواك

أفلاك ؟ ليت ! فإنى لست أفلاك ... أهواك ؟ ليت ! فإنى لست أهواك
أهوىً وأقلى وأيامى موزعة ... بين الهوى والقِلى كالضاحك الباكى
هذا الرحيق وهذا السم قد مزجا ... ولست أروى بكأسٍ غير ريّاك
هاتى لىَ السمّ صرفاً لا يمازجه ... هذا الرحيقُ فإنى لستُ بالشاكى
ملئتُ كأسكِ لا ألتذّ نشوتها ... ولا أحطّمها تحطيم سفّاك

الأدب والسينما

للأستاذ دريني خشبة

استدرك أحد كرام القراء فنشر فى الرسالة تعليقاً على مقالى من صحفنا الممتازة نفى فيه صلاحية السينما للأدب لانقطاع العلاقة بينهما فى زعمه ، وربمـا حدا به إلى هذا الرأى ما يظنه من أن الأدب إنما ينبغى أن يكون أسلوباً وتعبيراً كلامياً قبل أن يكون موضوعاً ، وإن لم يصرح بهذا فى الكلمة التى نشرتها الرسالة له . والعجيب أن يأخذ الكثيرون بوجهة النظر هذه فى العلاقة بين الأدب والسينما ، ولست أدرى ماذا تكون الرواية السينمائية إن لم تكن أدباً يختلف فى أدائه من الأدب المسرحى كما يختلف فى أدائه أيضاً من أدب القصة . ومعظم المتأدبين العرب ممن لا يعرفون الآداب الأجنبية ينظرون إلى الأدب فى هـذه الحدود الضيقة التى لا تخرج به عن المقالة أو القصيدة أو العظة القصيرة أو الرسالة أو المقامة أو ما شابه ذلك مما تحويه كتب الأدب العربى ، وقد مضت قرون طويلة قبل أن تدخل القصة فى أدبنا ، وإن تكن قد دخلته هذا الدخول المقدس عن طريق القرآن الكريم والأحاديث القدسية وعن طريق رواية أخبار المتقدمين ، تلك الرواية التى هى إلى التاريخ أقرب منها إلى الأدب ؛ ثما دخلت القصة فى الأدب العربى عن طريق الترجمة فى العصر العباسى بكتاب كليلة ودمنة ، ثم بكتاب ألف ليلة فيما بعد ، لم تحفل بهـا تلك الطبقة المثقفة التى كانت مشغولة بالعلوم الدينية ورواية أشعار العرب عن كل شىء والتى كانت بعد كل شىء غير العلوم الدينية ورواية أشعار العرب وكل ما يصح أن تؤيد به الكتاب والسنة من فلسفة أو أثر لغوى ، عبثاً لا طائل وراءه ولا خير فيه ، ولذلك فشا كتاب ألف ليلة بين العامة الجاهلة وانصرفت عنه الخاصة المستنيرة ، كما حبس كليلة ودمنة على تأديب أبناء الملوك والخاصة من الوزراء ، فلم ينشر فى دائرة واسعة من طبقة الأدباء التى كان يحتمل أن تقلد ما فيه أو تنشى على غراره ، وتولى أدباء من المصريين والمغاربة تأليف قصص على نهج ما جاء فى ألف ليلة ، فحشدوا لها أساطير الجن والسحر ، وداعبوا بها الغرائز الجنسية ، مما يفتتن به غير العامة ، ويأنف من قراءته الخاصة ، ثم ألفت الملاحم العربية والمصرية على نحو المبالغة والتهويل كان سبباً فى استعلاء الخاصة عنها كذلك . وهكذا ظل أدب القصة غريباً على الأدب العربى حتى عصرنا الحديث الذى ترجمت فيه بعض الروائع من قصص العرب فأظهرتنا على الفرق الشاسع بين أدبنا والآداب الأوربية ... أدبنا القليل الغور ... أدبنـا الممزق الذى لا تمسك أجزاءه وحدة ، والآداب الأوربية العميقة المتماسكة ، ثم كان أن أقبل بعض كتابنا على تأليف القصص فنجح منهم عدد غير قليل ، وإن كانت القصة الطويلة التى تضارع القصة الأوربية لم تدخل فى أدبنا بعد ... على أن الرواية التمثيلية ظلت بمنأى عن الأدب العربى على الإطلاق ، إلا ما حاوله بعض أدبائنا المجتهدين إبان نهضتنا التمثيلية من تلك الدرامات الفجة المسجوعة السمجة التى كانت تؤديها بعض فرقنا الإقليمية . ثم حاول بعض أدبائنا الجدد أن يغذوا المسرح المحلى بقطع من إنتاجهم ، ولم يكادوا يفعلون حتى ثبط هممهم بخس مديرى الفرق لجهودهم وعدم تشجيع الحكومة لهم ، ولأن الحركة المسرحية المنظمة التى من همها خدمة اجتماعنا وخدمة لغتنا وآدابنا لم تخلق بعد . فانصرف الأدباء عن التأليف المسرحى غير مأجورين ولا مشكورين ، بل انصرفوا والحسرة تملأ نفوسهم ، والغيظ يشق مرائرهم . وهذا كله هو الذى حفزنا إلى الدعوة للأدب المسرحى ، والإهابة بكل من يستطيع مؤازرتنا أن يعضدنا فى هذه الدعوة ، وأن يضم جهوده إلى جهودنا ، عسى أن تستيقظ وزارة المعارف وأن تنتبه وزارة الشئون ، فتعلما أن النهضة المسرحية هى أساس كل نهضة اجتماعية ، وأنها تخدم لغتنا وأدبنا وثقافتنا بمـا لا يستطيع أن يخدمها به شىء آخر . ولما كانت السينما اليوم أكثر انتشاراً فى مدننا من المسارح ، ولما كانت لهذا السبب أبعد خطراً فى نفوس الجماهير منها وجب ألا تقل عنايتنا بها عن عنايتنا بالمسرح ، ووجب أن نلفت أنظار الأدباء إلى الإنتاج السينمائى بقدر ما نلفتهم إلى الإنتاج المسرحى ، لأن الغاية واحدة وإن اختلف الأداء ، ولأن الأديب وحده هو الذى يستطيع أن

يضطلع بتأليف القصة المحبوكة الشائقة التي هي المعين الأول للرواية السينمائية ، تلك القصة التي يتولى إعدادها (عمل السناريو منها) للسينما فنان آخر غير المؤلف ، بحيث يكيفها تكييفاً لا يخرج بها عن الأصل قط وإن رتبها الترتيب السينمائي الذي لا بد منه لكمال هذه الصنعة ، فالقصة السينمائية من الوجهة الموضوعية أدب محض ، ثم هي أدب محض من حيث أسلوبها كذلك ؛ وهي ، وهم يشترطون أن يكون واضع السناريو من القصة الأدبية أو الدرامة المسرحية للسينما أديباً واسع الاطلاع له إلمام تام بأساليب الكتابة وأساليب الحوار على السواء ، كما ينبغي أن يكون قديراً في دراسة الأشخاص متبحراً لذلك في علم النفس ، بحيث يستطيع أن يفهم روح المؤلف الذي تعتبر القصة قطعة من نفسه ومرآة لفنه . ولذلك ترى القصة التي تعد للسينما عملاً أدبياً صرفاً من كل وجوهه ، بل هو عمل أدبي يصدر أولاً عن روح المؤلف ، ثم يتعاون في إعداده واضع السناريو ثم المخرج ثم المصور ثم هذا الجيش العرمرم من العمال والمهندسين الذين يحسن ، بل يجب أن يكونوا ممن يتفهمون الأدب ويسيغونه لأنهم شركاء في إنضاج هذه الثمرة الأخيرة التي تعرض على الشاشة البيضاء ، فإما أن تنجح كعمل أدبي وإما أن يقضى عليها بالفشل الذريع

فالمباعدة إذن بين الأدب وبين السينما وهم لا أصل له . ثم هو وهم أقصى عن التأليف للسينما كبار كتابنا وأحسن قصاصينا ، وإلا فما ذا كتب للسينما طه حسين ومحمود تيمور ولاشين ومحمود كامل ويوسف جوهر وتوفيق الحكيم ، ومن إليهم من الأدباء الشباب والأدباء الكهول على السواء ؟ لقد انصرف هؤلاء عن التأليف للسينما ، فكانت النتيجة أن وكلت شركات الصور إلى مؤلفي الدرجة الثانية كتابة قصصهم ، وكانت النتيجة أيضاً تلك الأشرطة المخزية بموضوعاتها وإخراجها وتهريجها ... وغاب عن أئمة كتابنا أن أدب هذه الأشرطة هو الذي يمثل اليوم أدب القصة المصرية في الداخل والخارج أمام ملايين المتفرجين ، وهو تمثيل يضع أدب القصة المصرية السينمائية في الوحل ، وينشر ضدنا دعاوة سيئة بين شعوب شقيقة كانت تقدرنا أحسن التقدير فانتهت إلى الرثاء لنا إن لم تمكن السخرية بنا . ومما يدعو إلى الأسف أن يضطر الإنسان إلى تسجيل انصراف طبقة كبيرة من المصريين المثقفين الممتازين عن شهود الروايات المصرية التي تعرض في دور السينما المختلفة . وذلك لما بلوه مراراً من انحطاط موضوعاتها وضعف تأليفها ، ولبعد الشقة بينها وبين الأفلام الأجنبية التي تغذو سوق السينما المصرية وتنهب أموال المصريين نهباً تستحقه أحياناً ولا تستحق منه مليماً أحياناً كثيرة . . . والجيد من تلك الأفلام يفضح صناعة السينما في مصر بقدر ما يفضح المؤلفين المصريين . وهذا الجيد كثير جداً مع الأسف ، وهو يعرض علينا ألواناً رائعة من الأدب الأمريكي والأدب الإنجليزي والأدب الفرنسي والأدب الروسي ، ومن سائر الآداب العالمية التي اشتهرت بثروتها في القصص والدرامة بقدر ما اشتهر الأدب العربي في هذه الناحية ، ذلك الفقر الذي علناه في صدر هذا المقال ، والذي لا يريد كبار أدبائنا إنقاذنا منه وستر فضيحتنا فيه ... ولست أدري لماذا لا يتصل كبار أدبائنا بالسينما والتأليف السينمائي ؟ ولست أدري كذلك لماذا لا يتصل مديرو الشركات السينمائية بهؤلاء الكتاب الكبار يغرونهم بالمال الوافر والثراء الجم والربح الكثير إذا هم كتبوا لهم قصصاً طويلة تمثل حياتنا وتصورنا التصوير الصادق الذي لا يعرف الشعبذة ولا يدنو من التهريج ولا يفضحنا بين الأمم . إن شركات كثيرة في مصر تستطيع أن تسيل لعاب أحسن كتابنا بخمسمائة أو بألف من الجنيهات ثمناً لقصة يكتبها في شهر أو شهرين أو في ثلاثة أشهر ... ومن قصصنا الجاهزة عدد كبير يصلح جداً للعرض السينمائي ، وهو غني بموضوعاته ، عظيم بأسلوبه ، ثم هو بحالته الراهنة يصور من الحياة المصرية ألواناً مختلفة صادقة بحيث يزري بمئات من الروايات الأجنبية السمجة التي تضر تقاليدنا ، وتفتك بأخلاقنا ، وتشيع في نفوس شبابنا الرخاوة والطراوة والاستخذاء . يجب أن يدرك كل أديب مصري وطأة استعباد الأفلام الأجنبية لنا ، ويجب أن يتعاون الأدباء مع الشركات في إنقاذنا من نير الأدباء الأجانب الذين يفرضون ثقافتهم وأفكارهم علينا ، بكل ما في هذه الثقافة وتلك الأفكار من مزايا وأضرار ، والذين ينسخون أدبنا القومي الناشئ بآدابهم الفنية الناضجة . . . إننا نحمي الصناعات المحلية

الناشئة بزيادة المكوس ، فلا أقل من أن نحمى إنتاجنا الأدبى بإغراء كبار الكتاب عندنا بالمساهمة فى التأليف السينمائى ، وإقناع الشركات المصرية بمضاعفة الأجور لهؤلاء الكتاب حتى يرفعوا مستوى القصة السينمائية ويجنبوها هـذا الإسفاف الذى ينتهى إلى الرثاء والسخرية ، وانصراف الطبقة المستنيرة عن شهود الروايات المصرية . . . على أن داعى الوطن واللغة والأدب كان ينبغى أن يقنع هؤلاء الكتاب وتلك الشركات بأن يسووا المسئلة بينهم فيخدموا الوطن واللغة والأدب مخلصين ، كما كان ينبغى أن ينظر إلى القضية من زاويتها الاقتصادية أيضاً ، إذ أصبح من أشد الجهل أن نتعامى الدولة وتتعامى الأمة عن هذه الألوف الضخمة من الجنيهات التى تسلك سبيلها من جيوب المصريين إلى جيوب شركات السينما الأجنبية ، تلك الألوف من الجنيهات التى كان ينبغى أن يكون لأدبائنا وشركاتنا كِفل كبير منها إن لم يكن ينبغى أن يكون لهم معظمها ... إن معظم دور السينما فى القاهرة والأسكندرية وفى كثير من مدن الأقاليم هى دور أجنبية ونحن نشهد تلك الجموع الزاخرة من علية المصريين التى تتردد على تلك الدور يومياً ، وبالرجوع إلى دفاتر ضريبة الملاهى نعلم أن متوسط دخل إحدى دور السينما بالقاهرة يرتفع مرات كثيرة إلى خمسمائة جنيه مصرى كل يوم أى إلى خمسة عشر ألفا من الجنيهات شهرياً ، وفى القاهرة أربع من دور السينما يقرب إيرادها اليومى من هذا المستوى ، فإلى جيوب من تذهب هذه المبالغ الضخمة ؟ إنها تذهب إلى جيوب الأجانب ، وقل أن ينتفع المصريون منها إلا بأجور الخدم ! فأى هوان ينزل بالقومية المصرية والكرامة الوطنية بعد هذا الهوان ؟ هذا فى الوقت الذى يتضور فيه كثير من أحسن أدبائنا جوعاً ... وفى الوقت الذى يهدد فيه كبار الممثلين بهجر المسارح ... من أجل أزمتهم المالية ... ونحن لا ننكر أننا المسئولون قبل غيرنا عن هذه الكارثة ، والمسئولية موزعة على الدولة والأدباء والشركات ... فالدولة مقصرة لأنها تهمل المسرح المصرى على النحو الذى بيناه فى مقالاتنا الكثيرة السابقة ، والأدباء مقصرون لأنهم لا يساهمون فى التأليف القصصى والتأليف المسرحى ، وهما دعامتا الإنتاج السينمائى ، والأدباء الكبار يتركون للكتاب الصغار الذين لا يعرفون من فن القصة ولا فن الدرامة شيئاً مهمة إمداد السينما المصرية الناشئة بقصصهم المريضة الهزيلة ، والشركات السينمائية مقصرة لأنها كانت تستطيع أن تنازل أدباءنا الكبار بشطر من أرباحها الوفيرة فينتجوا لها القصص الشائقة التى تضاعف مكاسبهم وترتفع بمستوى الشريط المصرى الذى أصبح الشرق العربى كله يعتمد عليه فى تغذية جماهيره بهذا اللون الحبيب من ألوان المتعة الذهنية

وأخشى ما أخشاه هو أن يكون أدباؤنا الكبار أيضاً ينظرون إلى السينما كشىء لا تصله بأدبهم الرفيع صلة ... تلك النظرة الفجة التى من أجلها كتبنا هذا المقال ... وأخشى ما أخشاه هو أن يكون الحال كذلك ، لأنهم جميعاً ، إذا استثنينا الدكتور هيكل ، لم يساهموا قط فى نهضة السينما المصرية مع أن معظم الذين جربوا كتابة القصة من هؤلاء الكتاب قادرون على تغذية السينما بالروائع التى ترتفع كثيراً إلى أفق الرواية السينمائية الأجنبية ، بل إن كثيراً من قصصهم التى انتهوا منها وقدموها للسوق الأدبية صالح للسينما المصرية ، وهو إن قدم للسينما يرتفع بها ويستر هذا الخزى المؤلم الذى يشيع فى الأشرطة المصرية بلا استثناء ... وإنه لمن المضحك بل إنه لمن البَلَه ألا تخرج شركاتنا المصرية قصة لأحد من كبار أدبائنا أمثال المازنى وطه حسين ومحمود تيمور ومحمود كامل ولاشين وجوهر ومن إليهم ، فى حين أنها تنفق جهودها الكبيرة على هذه القصص الخائبة والروايات المخزية التعسة التى تؤذى الأبصار وتصدع الرؤوس وتحط من سمعة الأدب المصرى فى كل مكان تعرض فيه على أقل الناس بصراً بالنقد الأدبى ومعرفة بفن القصة أو الدرامة ... لقد آن أن ننظر إلى هذه القضية من ناحية الكرامة القومية أولاً ، ومن ناحيتها الاقتصادية ثانياً ... وقبل هذا وذاك ، ينبغى أن ننظر إليها من حيث علاقتها الوثيقة بالأدب وبالنهضة التمثيلية ... فالأشرطة السينمائية أدب صرف ، وهى المرآة الجديدة التى نطلع فيها على نقائصنا ومزايانا ، كما تطلع فيها جميع الأمم على تلك النقائص وهذه المزايا ... ثم هى تصح أن تكون كتباً مصورة ناطقة حية يرانا فيها أحفادنا بعد مئات السنين ، فإما أن يقدروا جهودنا إذا رأوا شيئاً حسناً وإما

المشكلات

٢ ـ اللغة العـــربية

للأســتاذ محمد عرفه

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

بينا فى مقالنا السابق جهود رجال العلم والتربية فى سبيل إصلاح تعليم اللغة العربية ، تلك الجهود التى إن أخطأها التوفيق فلن يخطئها أن تكون حقيقة بالشكر وعرفان الجميل

إن هـذه الجهود المختلفة دليل على عنايتهم باللغة العربية ، وحرصهم عليها ، ومعرفتهم بقدرها ، ودليل على أنهم يحبون شباب هذه الأمة ، ويودون أن يسهلوا عليهم ما صعب ، ويقربوا إليهم ما بعد ، وأن يسهروا ليناموا ، وأن ينصبوا لهم ليجدوا السعادة والراحة

وهـذا وحده جهد مشكور ، وصنيع غير مكفور ، جدير بالإجلال والتعظيم ، سواء أوفقوا فيما حاولوا أم لم يوفقوا .

ورب قائل يقول : لقد وضعت أن المعاهد فى مصر أخفقت فى تعليم اللغة العربية ، وأخذتها مقدمة مسلمة ، وكانت بحاجة إلى أن تقيم عليها الدليل ، فلعلها لم تخفق فى تعليم اللغة ، ولعلها نجحت أعظم النجاح ، ولعل ما هو مشهور بين رجال التعليم من أنها أخفقت فى هذه المهمة — من القضايا التى اشتهرت لغرض من الأغراض ، فاذا نقدت تبين خطؤها . فلسنا نسايرك حتى تقيم الدليل على هذا الإخفاق

وأقول إنى أوافق هذا القائل أنه لا بد من أن يقام الدليل على هذه المقدمة ، ولا يصح أن تترك دون بيان

إن المرء يكون قد أتقن لغة ما إذا كان يتكلم ويقرأ ويكتب بهذه اللغة ، جارياً على قواعدها ، مراعياً قوانينها ، لا يلحن فيها ولا يخطىء ، وأن المدرسة تكون قد نجحت فى تعليم اللغة إذا كان الذين تخرجوا فيها جميعهم أو أكثرهم على هـذه الصفة ، فهل من تخرجوا فى مدارسنا كذلك !

أما الكلام باللغة العربية فلا تكاد تجد أحداً يتكلم بها ، فالشعب كله يصطنع فى التفاهم والتخاطب اللغة العامية ، وليس من الناس من يصطنع اللغة العربية إلا فى الندرة وعلى سبيل الشذوذ ، حتى أن دروس اللغة العربية تلقى بالعامية ، فقد دخلت العامية على العربية حجرات دروسها ، وغزتها فى معاقلها ، وأخص الأماكن بها

ومن المضحك حقاً أن تجد مدرس النحو أو الصرف أو البلاغة أو مفسر النصوص العربية من شعر ونثر يلقى دروسه وقواعده بلغة عامية ، لا يراعى ما يقول من قوانين ، ولا يقوم لسانه بما يسرد من قواعد

أن يضحكوا على جدودهم هازئين مستسخرين ، وأحسبهم لن يفعلوا غير ذلك إذا لم تصلهم عنا غير هذه الأفلام المخزية التى ألفها لنا ولهم أنصاف المتأدبين منا وأرباعهم ومن لا تصلهم بالفنون الأدبية صلة ما ... أما علاقة السينما بالنهضة التمثيلية فلا يجحدها أحد ... وأقسم لو أن لنا ثقافة مسرحية غبر عليها روح طويل من الزمن ، وأقسم لو أن لنا مسرحاً مصرياً محترماً يضارع فى رقيه المسارح الأوربية أو المسرح الأمريكى ، لكانت لنا نهضة سينمائية عالية كافية لأن تلفظ من ذاتها موضوعات تلك الأفلام المصرية التى أخرجت إلى الآن فى غفلة من تأخرنا فى هذا الميدان

ولا يفوتنى قبل أن أختم هذه الكلمة فى العلاقة بين الأدب والسينما أن أنوه بتاريخنا الملىء الحافل بالأحداث الجسام ، فقد آن لنا أن نخرجه مصوراً ناطقاً تشهده الجماهير فيثير فيها الكبرياء الوطنى ، وتطلع منه على ما لم تكن تعلم من مشاهد البطولة الوطنية وأمجاد العصور الخوالى ، وما عمل الآباء والأجداد فى سبيل مصر الخالدة من صنائع العزة وفعال المظمة ... نحن إن صنعنا ذلك خلقنا عملاً أدبياً جليلاً لجميع كتابنا وأدبنا لتاريخنا خدمة تخلد على وجه الزمان ، ثم يسرنا لناشئتنا استذكار هذا التاريخ الطويل الذى نرهقهم بمذاكرته فى بطون الكتب مع ما فى هذه المذاكرة الصامتة التافهة البليدة من منافاة لروح التربية الحقة ، وما تنتهى إليه من قلة الغناء ... بعكس مشاهدة التاريخ المصور الناطق السينمائى الذى يلصق بالذاكرة ، ويخلد فيها ، وينمى فى الطالب تلك الملكات التى يفتقر إليها معظم الطلبة المصريين .

دريني خشبة

فأما الكتابة والقراءة بها ، فلا يقرأ باللغة الفصحى ولا يكتب إلا فئة قليلة ، تمكنت من حفظ لسانها من الخطأ عند القراءة والكتابة ، وجمهرة المتعلمين لم يصلوا إلى هذه المنزلة ، فالشاب يتخرج في المدرسة ، أو في المعهد ، ولسانه لا يكاد يقيم جملة ، أو يعرب كلاما ، ولا يستطيع أن يعبر عن خلجات نفسه بأسلوب صحيح مستقيم

وإذا لم يكن هذا إخفاقا ، فماذا يكون الإخفاق ؟

وكما لم توفق مدارسنا في الغاية لم توفق في الوسيلة ، أو قل أنها لم توفق في الغاية لأنها لم توفق في الوسيلة ؛ فالوسيلة إلى تعلم اللغة هي دروسها ، ولما تستطع مدارسنا أن تحببها إلى التلاميذ ، فهم يأتون إليها متثاقلين ، ويستمعون إليها كارهين ، وهم يبغضونها بغضاً يملأ ما بين جوانحهم . فالنحو عندهم ثقيل بغيض ، وكذلك الصرف ، وعلم البيان الذى قال فيه بعض العلماء — أنه لا ثواب في تعلمه — يشير إلى أنه لا مشقة فيه على المتعلم ، وهو يطلب لما فيه من لذة ، فجزاؤه فيه ، قد بغضته إليهم هذه المدارس أيضاً ؛ وليس العيب في ذلك على الشباب ، لأنهم يدرسون الهندسة والحساب والطبيعة في غير ضيق ولا حرج ، بل يدرسونها في شغف وحبه ، إنما العيب على دروس اللغه العربيه وحدها .

فلا عجب بعد ذلك إن لم ينتفعوا بهذه الدروس ، لأن الانتفاع بالشيء على قدر المحبة له ، والرغبة فيه

هذا شيء مخيف حقاً ، له نتائجه الخطيرة ، فإما أن نعمل على تسهيل الانتفاع باللغة العربيـة وتيسيرها على الدارسين والمتعلمين وتزيين علومها في قلوبهم ، وإما أن نتحمل أمام التاريخ والأجيـال عواقب هذا التفريط والإهمال ، لأن الشيء البغيض المملول لا يعمر طويلاً ، ولا يمكن أن يكره الناس عليه دائماً

وهناك أمر آخر ينتج من الخيبة في تعليم اللغة العربيـة ، يخشاه رجال الاجتماع أعظم الخشية ، ويشفقون منه أشد الإشفاق ، وهى بقاء الحال على ما هى عليه في مصر ، من اصطناع لغة للخطاب ، وأخرى للكتاب ، بينها وبين جمهور الشعب بون شاسع ، وعقاب صعاب

وإنما كانوا يخشونه ، ويشفقون منه ، لأن ذلك يؤدى إلى إطالة أمد جهل الأمة وتأخرها ، لأن العلم والأدب قد كتبا بلغة لا يفهمها جمهور الشعب ، وهى العربية ، فلا سبيل إلى وصوله إليها

أما إذا نجحت المدرسة في تعليم العربية ، وتكلم بها المتعلمون وهم مخالطون للشعب ، فعلى مرور الزمن يسهل عليه فهم اللغة العربية ويتسرب إليه كثير من مفرداتها وتراكيبها ، وربما علمها فصارت لغة الخطاب ، لغة الكتاب ، وهذا كسب ليس بالقليل ، فكل ما كتب من علوم وأخلاق وآداب يكون حينئذ في متناول جمهور الشعب ، فيرقى إلى الذروة التي ينشدها له المصلحون

وهناك طائفة من رجال الاجتماع ترى أنه إذا خابت المدرسة في تعليم العربية ، وخابت الأمة في اصطناعها ورفع لغة الحديث إلى اللغة التي تكتب بها العلوم والآداب ، فلا مناص من كتابة العلوم والآداب باللغة التي تفهمها الأمة ، لتنتفع بها ، ولتبلغ الأمل المنشود ، لأنه خير للأمة أن تخسر اللغة العربية وتكسب العلم الذى به نماء عقولها ، والآداب التي بها تقويم أخلاقها ، من أن تربح العربية وتخسر العلم والأدب

فأنتم ترون أن الأمر جد خطير ، وأنه يعنى حياة اللغة العربية أو موتها ، ونجاح المتعلمين في تعلمها أو إخفاقهم ، ورقى الأمه أو انحطاطها

لذلك يجب أن نعمل جاهدين ، وأن نجهد مخلصين ، حتى نعرف الأسباب في هذا الإخفاق ، وأن نفعل الممكن وغير الممكن لنجعل تعليمها ناجحاً ، ولنحبب درسها إلى التلاميذ ، وبذلك نتقى هذه النتائج السيئة ، ونوفر على الشباب وقته وجهوده ونحمى اللغة العربية من الضياع والموت

هذا ما دعا رجال العلم إلى معالجة هذه المشكلة

وهذا ما دعانى أيضاً إلى أن أتى بدلوى في الدلا ، وسأعرض بحثى على القارئين ، أو أولى الأمر في مصر ، ولعل هذه الدعوة تلقى ما أقدره لها من توفيق — إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله .

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

مقدمة ابن خــــلدون

للأســتاذ محمود أبو ريه

كنا نسمر فى إحدى الليالى مع الأستاذ الكبير صاحب الرسالة ، فكان من حديثه الممتع الهادىء أن العلامة المحقق ساطع الحصرى قد ألف كتاباً فريداً جعل موضوعه « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » تلك التى لم تخرج القرائح العربية مثلها ، وفى عبارات عذبة أنشأ الأستاذ الزيات يشيد بفضل هذا العمل الطريف . وقد أثار هذا الحديث المستوعب شوقنا إلى هذا الكتاب ، وزاد هذا الشوق لما قرأنا اليوم مقدمته النفيسة فى الرسالة

ولما كان العلامة الحصرى قد حدثنا فى كتابه « إن جميع طبعات المقدمة التى صدرت عن مطابع القاهرة وبيروت مشوبة بنواقص كثيرة وأغلاط فادحة — وإنها ناقصة — من حيث المتون والفصول معاً » فإنى أنشر كلمة لها علاقة بما حققه هذا العالم الجليل وفيها نفع لمن أراد أن يقف على تاريخ هذه المقدمة

فى صيف سنة ١٩٢٣ قرأت بإحدى المجلات كلمة لأحمد تيمور باشا رحمه الله ذكر فيها أن كل طبعات مقدمة ابن خلدون لا تطابق الأصل الصحيح منها ، وإنه يوجد بمكتبة زكى باشا نسخة خطية من هذه المقدمة صححها المؤلف بقلمه فسررت بهذا النبأ وتوجهت باستفهام إلى زكى باشا على جريدة المحروسة عما نشره تيمور باشا ، وكان ذلك فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٣ فأجاب رحمه الله ببضع مقالات على هذه الجريدة تكلم فيها عن طرف من تاريخ ابن خلدون ومقدمته . وأنا لا أعرض إلا لما قاله عن هذه المقدمة النفيسة ، وفيه الملاج لما نحن بسبيل الكلام فيه اليوم .

ذكر رحمه الله أن هذه المقدمة الفريدة قد ظل أمرها مهملاً خمسة قرون كاملة ، فقد تم تأليفها فى سنة ٧٧٥ هـ ، ولم تظهر إلا فى سنة ١٢٧٤ هـ : سنة ١٨٥٧ م [1] وكان أول من عثر على هذا الكنز رجل نمساوى اسمه آمرى . فقد وقف فى دار كتب (ويانة) عاصمة النمسا على نسخة مخطوطة من هذه المقدمة ، ونقل كثيراً من فصولها ، وترجمها إلى اللغة الطليانية ، ثم نشرها مع بعض ملاحظات وتعليقات فى المجلة المعروفة باسم الخزانة الطليانية فكانت أبحاثه مدعاة لتنبيه علماء أوربة إلى العناية بهذا الأثر العربى الكريم « ولما جاء المسيو آمرى إلى مصر فتفضلاً لدولته لدى محمد على باشا . كان مما عمله أن حض محمد على باشا على الانتفاع بهذا الكتاب وطبعه فترجم إلى اللغة التركية وطبع بمطبعة بولاق وكذلك طبع الأصل العربى منها

وفى الوقت الذى طبعت فيه المقدمة فى مصر كان العلامة كترمير الفرنساوى يطبعها فى باريس وقد طبعت هذه المقدمة بالمطبعة الأميرية طبعة ثانية فى سنة ١٢٨٤هـ

وقد ذكر زكى باشا « إنه بعد ما تحقق وجود المسخ والبتر والتشويه والتحريف فى جمع ما صدر من الطبعات العربية لمقدمة ابن خلدون آلى على نفسه أن يبحث عن نسخة خطية تكون وافية بالمرام حتى قيض الله له الظفر بهـا فى خزانة المرحوم عاطف افندى بالقسطنطنية » . وهذه النسخة قد صححها ابن خلدون بقلمه ، وذلك أنه لما عاد إلى القاهرة من عند تيمورلنك طاغية التتار رأى النساخين قد شوهوا محاسن مقدمة تاريخه ، فضاقت نفسه وتناول نسخة من التى أصابها المسخ وأقبل عليها بنفسه وتولى تصحيحها بقلمه ، وكان من هذا التصحيح أن حذف بعض الكلمات وطائفة من العبارات ووضع هوامش كثيرة بخطه . فإذا أعوزه المكان أضاف (طيارة) أى جزازة ويلصقها بين الصفحتين ويدل على موضعها دلالة ظاهرة واضحة ، وقد انتقلت هذه النسخة من مصر إلى الآستانة على أثر سقوط مصر بين يدى السلطان سليم سنة ٩٢٢ هـ ، وقد عثر عليها زكى باشا فى سنة ١٩١٠ ولم يلبث أن أخذ صورتها الفتوغرافية وبلغ ما أنفقه

(١) فى كتاب الأستاذ عنان أن ذلك كان فى سنة ١٨٥٨ م (أبو رية)

تصحيحات واجبة

فى الادب والاخلاق

للأستاذ سيد قطب

فى عدد الرسالة الماضى تعليقان على مناقشاتى مع الأستاذ مندور، لا يخفى على القراء ما فيهما من تحامل مكشوف يرتدى مسوح النقد الأدبى

والذى يعنينى هنا هو إثبات بعض التصحيحات الواجبة لأوهام ومواضعات خاصة، تجد لها صدى فى نفوس العوام وأشباه العوام

يقول الأستاذ درينى خشبة فى مقال بعنوان: «أعصابكم أيها الأدباء» ضمن حديثه عن «قضية الأدب المهموس»: «نزغ شيطان الجدل بين الأديبين المتحاورين، إذ رمى أحدهما الآخر بما لا يليق أن يرمى به رجل رجلاً أبداً . . . ولعل الذى سب أخاه فى كمال الرجولة أظلم»

هذه المسألة تحتاج إلى تصحيح؛ فأنا لم أكن فى موقف سباب حين أشرت فى حديثى إلى هذا الشأن، إنما كنت فى معرض تعليل نفسى لظاهرة خاصة مطردة فى فهم صاحبى للأدب والشخصيات؛ وكنت ألمح آفة نفسية خاصة تجنح به إلى إيثار لون من الأدب على لون، وشخصية أدبية على شخصية فى رتابة واطراد

ومما لا شك فيه أن لبعض الآفات النفسية أثراً حاسماً فى الحكم على الأدب والأشخاص والحياة كلها؛ ولا بد من تعليل هذا الأثر الخفى وكشفه للقراء ليأخذوا حذرهم من إنسان يقف نفسه موقف الناقد للفنون والرجال، وطبعه مئوف متأثر بآفته فيما يصدر من أحكام

ففهمُ هذا التعليل على أنه «سب» عامية فى الذهن والنفس تحتاج إلى تصحيح. والخضوع لهذا الفهم والإحجام عن هذا التفسير تبعاً لذلك — عامية فى معايير الأخلاق لا أخضع لها وفى نفسى بقية من الارتفاع فوق مستوى العوام

والأستاذ دريني هو و «الأديب زكريا إبراهيم» يأخذان علىّ شيئاً آخر هو الاستشهاد بقطعة من شعرى بجانب قطع

عليها ستين جنيهاً كاملة، وقد كتب على هذه المقدمة العبارة الآتية: «هذه صورة المقدمة من كتاب العبر فى أخبار العجم والبربر، وهى علمية كلها كالديباجة لكتاب التاريخ قابلتها جهدى وصححتها، وليس يوجد فى نسخها أصح منها وكتب مؤلفها عبد الرحمن بن خلدون وفقه الله تعالى وعفى عنه»

ولما وقفت من زكى باشا على نبأ هذه المقدمة، وكان الشرق جميعاً فى حاجة إلى الصورة الصحيحة منها، رجعت إلى الأستاذ الكبير رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر، راغباً إليه أن تقوم اللجنة التى من أغراضها نشر الأسفار القديمة النافعة بطبع هذه المقدمة، وهى خير ما ينشر من ذخائرنا العربية، فجاءنا منها جواب مؤرخ ١٦ أغسطس سنة ١٩٢٧ تقول فيه: إن اللجنة ستضع هذا الاقتراح موضع البحث. ولما خاب رجاؤنا لدى اللجنة رجعنا إلى وزارة المعارف فطلبنا منها مراراً أن تعنى بنشر هذا الأثر النفيس فتطبعه طبعة صحيحة، ولكنها أصمت آذانها، وغبرت السنون على هذه المقدمة وهى على تحريفاتها وأغلاطها

هذا ما رأينا نشره، ولعلنا اليوم ـ بعد أن رأينا من العلامة الحصرى تلك العناية الفائقة بهذه المقدمة ـ نطمع فى أن يزيد من فضله على العلم فيجمع بين النسخة المطبوعة بباريس وبين التى بالخزانة الزكية، وبعد المقابلة بينهما يخرج منهما نسخة صحيحة يتولاها بما تحتاج إليه من الشرح والتعليق

هل رجاؤنا اليوم يتحقق لكى نظفر بما كنا نطلبه منذ عشرين سنة، وينتفع هذا الجيل المثقف بذلك الكنز الثمين، ثم ينهض فيؤدى واجبه نحو مؤلفه العظيم؟

(المنصورة) محمود أبو رية

أخرى للعقاد ، مشابعين فى هذا الأستاذ مندور

ولست أتردد فى مجابهة هذا الوهم بأننى لا أحفله ؛ لأنه نوع من عامية الذوق والتفكير . فأنا لم أكن فى معرض تعداد وبيان لمزايا جميع الشعراء المصريين ، وإنما كنت فى معرض استشهاد على وجود لون خاص من ألوان الأدب فى شعر المصريين ، ووجوده بصورة خير من الصورة التى يحبها الأستاذ مندور . فإذا وجدت فى شعر العقاد ما يصلح لإثبات الغرض فلن يقعدنى التحرج الاصطلاحى السخيف عن الاستشهاد به لمجرد أننى « تلميذ » للعقاد . وإذا وجدت فى شعر سيد قطب ما يصلح لإثبات هذا الغرض فلن يقعدنى التواضع الاصطلاحى الكاذب عن الاستشهاد به لمجرد أننى سيد قطب !

وهذا التواضع الكاذب وذلك التحرج السخيف نوعان من العامية فى التفكير والأخلاق أرتفع بنفسى عنهما ، لأننى لا أتلقى معاييرى الفكرية والخلقية من العوام وأشباه العوام

وقد يحسن من باب « التصحيح الواجب » كشف الأسباب الصغيرة الخفية التى تحمل بعض الناس على أن يلبسوا هذه المسوح !

فأما الأستاذ « دريني خشبة » فلتحامله أسباب ظاهرة يعرفها قراء الرسالة ، فيما شجر بينى وبينه من جدل على صفحاتها منذ أشهر ، على أنه إنما يصدر فى هذه المسألة عن الروح التى يصدر عنها فيما يقتحمه من مسائل النقد الأدبى كلها . ولست أدرى لم لا يعرف الناس أفضل مواهبهم فيستخدموها ويدعوا ما لا يحسنون من الأمور ؟ ولله فى خلقه شئون !

أما الأديب زكريا إبراهيم : فلست أعلم له أو عنه شيئاً سوى أنه يقول عنى : « إنما راح يحشد أقواله وأقوال الأستاذ العقاد ، كأنما ليس فى مصر غيرهما » . فقد كان يجب إذن أن أحشد أقوال الأديب « زكريا إبراهيم » هو الآخر !

وأنا أعترف لحضرته أننى مقصر فى البحث ، وسأسأل الإنس والجن عن شىء له ولأمثاله أحشده فى بعض المناسبات ! فإن لم أفعل ، فهو كاسب على كل حال بمناقشته فى هذا المقال !

سيد قطب

الجـــريح ...

للأستاذ محمود عماد

تَوَلّى جريحاً مِنَ المعمعَهْ يُريقُ على دمِـهِ أدمُعَهْ
ويحنو بقلبٍ له موجَـعٍ على كبدٍ دونه موجَعه
ويُخفى بيُسراه موضعَ يُمنَى بها منه قد طاحت الموقعه
لقد غشِىَ الحربَ (كُلًّا) فضيَّـ
ـعَ (بَعضاً) وعاد ببعض معه
إلى أين يمضى بتلك البقـايا
وما ذا انتوى اليومَ أن يَصنَعه ؟
ألِلطبِّ يُرجِعُـه (كاملاً) وهل يمكن الطبُّ أن يُرجعه ؟
ألِلقبرِ والقبرُ رغمَ التأ هبِ لم يعتزِمْ بعدُ أن يَبلَعَه ؟
لقد عزّ حتى المماتُ عليـه وضاق به كونه عن سَعه
ومِن بعدِ لأْيٍ هداه الوَجَى لِصومعةٍ ، فإلى الصـومعه !
إلى حيث يَهربُ مِن أمسِه ويهجرُ فى أمسِـه مدفعه
ويَنْسَى الذى كان فيما يكو ن ويَسحبُ فوق الحراك الدَّعه
ويَسمعُ مِن (شِعرِه) أنّ (ذِكرا)
يعوِّضه بعـدُ ما ضيَّعـه
وأنّ على شاطئ (الخلدِ) بيتاً سيأخذ فيه غـداً مضجعه
فأقنِعه ، أقنعه ، يا شِعرَه إذا كان فى الطوقِ أن تقنعه !!

محمود عماد

حكم فى القضية ن ٢٣٠٥ سنة ٩٤٢ عابدين العسكرية ضد فانيرس نير صاحب بار بشارع شمبليون بتغريمه ٥٠٠ قرش ونشر الحكم فى جريدتى الرسالة وروز اليوسف على نفقته وتعليقه على محله والقسم لأنه باعتباره مدير محل من المحلات العمومية لبيع الوجبات والمأكولات والمشروبات بقصد تعاطيها فى نفس المحل (مطعم) لم يبلغ وزارة التجارة والصناعة وفقا للقانون بالأسعار فى محله



لفظتان

اللفظتان هما (الفزاعة) فزاعة الزرع ، و (التحويش) تحويش المال أو غيره . وقد ظننا أنهما عاميتان ، وإنما هما عربيتان صحيحتان

جاء في (أساس البلاغة) للامام الزمخشري : « نصب خيالاً في مزرعته وهو الفزاعة ، وعن الشعبي : وجدتُ رجال هذا الزمان خيالات ... »

ومثل الفزاعة والخيال[1] (المجدار) قال الإمام التبريزي في (شرح ديوان الحماسة) في تفسير هذا البيت في باب مذمة النساء :

إصرميني يا خلقة المجدار وصليني بطول بعد المزار

المجدار شيء ينصب في المزارع للسباع والطير يقال لها[2] « الفزاعة »

وقد وردت هذه اللفظة الأخيرة بالقاف والراء (القراعة) في الطبعة القديمة والطبعة الحديثة التي حققها العالم الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد . وإنما هي الفزاعة . فزّع الله عن القلوب

وجاء في اللسان عن الأزهري صاحب تهذيب اللغة وفي القاموس والتاج : « حوّش إذا جمّع ، والتحويش التجميع » فيقال لكل عامل في عمل ما : اقتصد أيها العامل في معيشتك ، ووفر من عمالتك ، وحوشْ ، حوش ؛ إن « المال سلاح المؤمن في هذا الزمان » كما قال الإمام سفيان الثوري[3] ومن أمثال بغداد : المال ، المال . وما سواه محال

ناقد

الى الدكتور زكي مبارك

قالوا لي يا دكتور أنك تريد أن تهجم على « حسن القاياتي » الأديب الذي خلقته الظروف ، ورفعته السياسة ، وجاملته الأدباء بقدر ما لبيته القديم في النفوس . وألاعيب « مصطفى القاياتي » في السياسة ... وأنت يا سيدي الدكتور قد آذيتني أعنف الإيذاء يوم نشرت مقالك عن السهرات الأدبية في رمضان في جريدة « البلاغ » حيث قلت : إن البيت « القاياتي » قد خلا من الرائد . وعاف مجلسه الأديب . ولم يبق فيه إلا وجه السيد « حسن » أبقاه الله !

وهي غمزة أعرفها منك يا دكتور وأحتسبها عليك ، وأجازيك عليها جزاء من أخلص للأدب ، وامتزجت نفسه به طوال أربعين عاماً بين شاعر يدرسه ، أو بحث شائق في اللغة يكتبه ... ثم ماذا ؟ ثم يكون حظه من ناشئة البيان منتكساً ، وقلمه بين تلاميذه منكسراً ، وأدبه بين الأدباء ضعيفاً ... مما جمل الدكتور تحدثه نفسه بالهجوم عليه ، والنيل منه !

لك الله يا دكتور مبارك ! فلقد كنت أود أن تكون ألاعيبك بين ناشئة الأدب فتحملهم على احترامك بالشدة ، وتروضهم على مطالعة أدبك بالعنف ... خير لك من أن تهاجم رجلاً قد هاجم شوقي وحافظ في عنفوان أدبهما ، وضخامة شخصيهما ، وخلود اسميهما ، دون أن يتطاولا عليه ما تطاولت ، أو ينالا من شخصه ما نلت ... إن اللغة العربية يا دكتور لم تجد لها حصناً منيعاً من سنوات عديدة إلا الدار «القاياتية» ، ولن تجد من يذود عن حماها إلا القلم « القاياتي » المتيد ؟ ! فسلْ نفسك يا دكتور يوم أن كنت صديقاً وراوية للسيد « مصطفى » أن « حسن القاياتي » لن تنال قلمه هذه الترهات ، ولن تؤثر في نفسه هذه الصرعات المنيفة التي ترسلها دون أن تذكر الدار القاياتية ، ومجدها القديم في اللغة ، وحاضرها الجديد في البيان ... ؟ ! تذكر كل هذا يا دكتور . وقد أعددت لكتابك الفريد « النثر الفني » عشرين مقالاً أرجو أن يتسع صدر « الرسالة » فتنشر لي هذه المحاولات الجريئة في النقد ، دون أن تجامل « محمد عبد السلام مبارك »

علها تظهر للناس الكاتب الأول والشاعر الأول زكي مبارك ؛ ولكن بعد أن أسمع منه على صفحات « الرسالة » الزهراء كلمة الحق ... والحق أحق أن يتبع ... ؟ !

« دار القاياتي » حسن القاياتي

(١) الصحاح : الخيال خشبة عليها ثياب سود تنصب للطير والبهائم فتظنه إنساناً

(٢) في الطبعتين (لها) وهي في ظني (له)

(٣) أحد الأئمة المجتهدين ، ومن أقواله العظيمة : من عرف نفسه لم يضره ما قاله الناس فيه

اللجنة التي يحتاج إليها الأزهر

ذكرت مجلة الرسالة الغراء في العدد (٥٢٧) أن صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، أصدر قراراً بتأليف لجنة لدرس حالة الكليات والمعاهد الأزهرية، وجعل مهمتها بحث الأسباب التي أدت إلى ضعف نتائج الامتحانات في الكليات والمعاهد، وإني أرى أن هذه الأسباب واضحة لا تحتاج إلى بحث، وقد بينها المصلحون فيما كتبوا عن إصلاح الأزهر، ولكن علاجها شائك يتهيبه من يعرفه، لأنها ترجع إلى كتب الدراسة التي قال الأستاذ الأكبر في مذكرته المعروفة إنه لا يوجد فيها روح العلم، ومتى كانت كتب الدراسة في المعاهد بهذه الحالة فكل فساد في المعاهد راجع إليها، ولكن الذي يشارك الأستاذ الأكبر في نظره إلى تلك الكتب قليل جداً، ومن هنا كان علاجها شائكاً يتهيبه كل من يعرفه، ويحتاج كما قال الأستاذ الأكبر في تلك المذكرة إلى خطوة جريئة يقصد بها وجه الله تعالى، ولا يبالي بما تحدثه من ضجة وصريخ، فقد قرنت كل الإصلاحات العظيمة في العالم بمثل هذه الضجة

فاللجنة التي يحتاج إليها الأزهر هي اللجنة التي تكون مهمتها وضع كتب يوجد فيها روح العلم، وتفتح في علومنا باب الاجتهاد والتجديد، وتقضي على ما فيها من جمود؛ وهنالك يصلح كل شيء في الأزهر، ويقبل الطلاب برغبة على العلم، فتحسن نتائج الامتحانات، ويعود إلى الأزهر مجده العلمي.

(ص)

حول المسرح المصري والدرامة المنظومة

إلى الأستاذ دريني خشبة

أشكرك على أنني خطرت ببالك وأنت تحثُّ شعراء الشباب على المشاركة في نظم الدرامة، وهي إشارة منك تدل على خلَّتين من خلال أهل الفضل في البحث: حُسْنِ تتبعك لما يُنشر ويُكتب؛ وحسنِ ظنك فيمن تراهم موضعاً لإحسان الظن

وكم كنتُ أود ألا أقوم بشكر ما أوليتني من حسن ظنك، وتُمتني من رقيق عتبك إلا وفي يدي مسرحية من الشعر أهديها إليك جزاء ما أوليتَ المسرح المصري من جميل عنايتك؛ ولكنني راجٍ أن تُنظِرني حتى يتهيأ من الإنتاج ما يُحقق ظنك الحسن

ولقد فاتك – غيرَ عامد – أن تذكر الشاعر العربي الحضرمي «الأستاذ علي أحمد باكثير»؛ فهو شاعر أصيل الطبع، متمكن من لغة شأواً كبيراً، وله مسرحيات: أخناتون ونفرتيتي، سلامة القس، وا إسلاماه، وقصر الهودج؛ وكلها شعر طليق أو مقيد من طراز رفيع

على أن هذه مسألة شخصية دعاني إليها أن أنصفَ شاعراً عربياً في معرض فتحته أنت بذكر الأشخاص وأخشى أن يتسع البابُ عليك... أما مسألة المسائل فهي أن حبك للشعر العربي والمسرح العربي هو حب يحملنا على الاستجابة لفكرتك، والإعجاب بصدق دعوتك. والسلام.

محمد عبد الغني حسن

إلى الأستاذ دريني خشبة

كنت أيها الكاتب الفنان أطالع مقالك الممتع «المسرح المصري والدرامة المنظومة»، والشاعر «حسن القاياتي» في زهو بما بلغه نقدة المسرح من الرأي السديد والنظر الثاقب...

ولكنك أيها الكاتب قلت: إن المسرح قد خلا من التآليف المسرحية المنظومة بعد شوقي؟! ألم تقع عينك عند الوراقين على الرواية الضاحكة التي نظمها الشاعر «حسن القاياتي»؟ فجاءت تحفة للفن، ونجعة للرائد، وهدية قدمها صاحبها إلى مسرح الخيال المنشود؟

ولكنها لم تجد من يبعثها من مرقدها، ولم تمتد إليها يد النقاد حتى يقدرها الفن، ويرجع أصداءها الفنانون!

إن رواية «القاياتي» يا سيدي الكاتب مثلتها الفرق

اللاعبة فى داره الأنيقة « بالسكرية » فى شهر رمضان من العام الماضى . وستمثلها الفرق الحبيبة فى داره فى شهر رمضان من هذا العام

فهلا ! تتفضل أيها الكاتب الألمعى . فندعوك لمشاهدة عرضها على المسرح « الفايانى » المتواضع ، فتبعثها كما بعثت روايات عديدة حرية أن تتوارى أمام هذه المسرحية الفذة ... التى تمثل لوناً من ألوان الخلاعة فى « بلاط المأمون »

لنا أن ندعوك ، ولك تجيب . قبل أن تتحدى شعراء مصر النابهين .

علی فوده

بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

المسرح المصرى

قرأت فى العدد الأسبق من هذه المجلة الزهراء مقال الأستاذ دربنى خشبة عن (المسرح المصرى) ، فعنت لى بعض آراء أثبتها فى هذه العجالة

كان مقال الأستاذ منصباً على ناحية خاصة دار الكلام حولها وافٍ ، وهى (كسل) شعرائنا وعدم اهتمامهم بنظم المسرحيات الشعرية

صحيح إن الدرامة الشعرية لها هذا التأثير الذى تحدث عنه الأستاذ دربنى ، ولكن فى أى البيئات والأحوال والظروف ؟ عندنا الكثير من الشعراء الواقفين على أحدث التيارات الفكرية ، ولكن أحدهم لم يفكر فى نظم مسرحية ، فكل نتاجهم لا يخرج عن (القصائد والمقطوعات والموشحات) لماذا؟ لأن أغلبية الشعب ـ حتى المتنور منه ـ لا تتذوق مسرحية يتكلم أبطالها بالعربية الفصحى ... فما بالك بالشعر؟

لنقل كلمة الحق . . . إن جمهورنا يؤثر الأدب الضحل والمسرحيات الفكاهية ، على مسرحيات شكسبير وراسين وأضرابهم . وعند (الفرقة القومية) الخبر اليقين !

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ألا تحتاج هذه المسرحيات المنظومة إلى ممثلين مثقفين يفهمون الشعر ـ ولا أقول يتذوقونه ـ ليؤدوا أدوارهم على أكمل وجه ؟

فأين ممثلونا من هذا ؟ وهم لا يعرفون إلا مبادىء القراءة والكتابة ! ثم أين التشجيع المادى والأدبى الذى يغرى الشعراء ويدفعهم إلى ميدان المسرح كما فعل غيرهم من شعراء الأمم الأخرى ؟ أليست هذه صعوبات تصدهم عنه ؟!

(بيت غمر) **كمال نشأت**

ظبى وزير الصحة

[أهدى إلى معالى وزير الصحة ظبي فشكر مهديه ورجا منه أن يتركه حراً كما كان فى رعاية الله ، فقلت فى ذلك]

أكنت ترحمه لو أنه أسد ... أم ضعفه شافع أم حسنه حكما

والضعف والحسن مرحومان من بطل ... يمشى إلى الأسد فى آجامها قدُما

سحر لعينيه أم حسن لمقلته ... أعاد عهد الهوى أم أشعل الضرما

أم خشية الله فى عبد يراقبه ... والله يرحم من للخلق قد رحما

عبد الرؤوف جمعة

المفتش بالمعارف

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



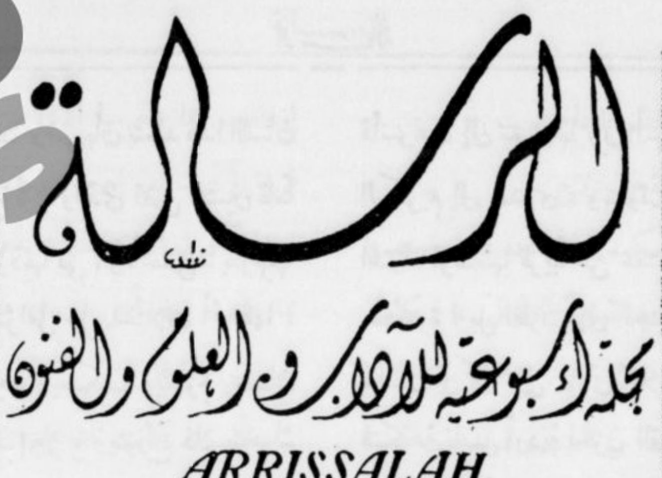


11 me Année No. 530

Lundi - 30 - 8 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٣٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ شعبان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

عند ما رأيت الله جهرة

للأستاذ دريني خشبة

تحدث إلى أحد أصدقائي قال :

كانت أربعون ليلة من ليالي سيناء قد مرت على قلبي المضطرب المزق وأنا لا أنفك أحملق في ذلك الشبح المفزع ... شبح ملك الموت عليه السلام ! إذ هو يُلم بالحجرة الرهيبة التي كنت أحبس فيها نفسي لأُمرض أعز المخلوقات عليّ وأحب الناس إلى قلبي ؛ وذلك أن الطبيب المعالج لم يأمن أحداً غيري على رعاية أوامره وتنفيذ إرشاداته ، فانفردت بالمهمة دون إخوتي ، واضطلعت بها وحدي ، وإن كانت إحدى أخواتي تريحني ساعة من نهار ، فكنت أقضيها نائماً ذلك النوم المشرّد المتلىء بالأحلام

وكنت دائم الصلاة لله أن ينقذ والدتي ، وكنت أدهش أحيانا كيف لا يجيب دعائي ... وكنت أعتب عليه ، أستغفره وأتوب إليه ، كيف يقضي على هـذا اللسان الذي طالما لهج بذكره ، وقدّس له ، وحمده وأثنى عليه ، بهذا الصمت الطويل المؤلم الذي كان يحاول أن يتشقق عنه كي يكلمنا ، فما يستطيع غير الإيماءة النحيلة يوزعها علينا في جهد وفي عناء ... الإيماءة التي تسبح في فيض من الدمع ، وهي مع ذلك تبتسم لتخفف ما يعصف بأفئدتنا من وجد ، وتهوّن علينا ما يذيبنا من تبريح أجل . لا أخفي عليك يا صديقي أنني كنت أشتد في مناشدة

الفهـــرس

٢١ ، ١١

الله الذى أستغفره وأتوب إليه ؛ كيف رضى بأن ينعقد هذا اللسان الذى طالما ترطب بذكره والتسبيح له ، والذى قضى خمسين عاماً يؤدى الصلوات الخمس كأحسن ما يؤديها نبى ، وكأحسن ما يقوم بها صدّيق ؛ وهو مع ذلك يؤدى النوافل على اختلاف أنواعها ، ويردد الأدعية والأوراد ، ويتهجد ويعتكف ويصوم رمضان وغير رمضان ، ويعف فلا ينطق بهجر ، ويتورّع فلا يتحرك بأذى ، ويدعو لنا ولجميع الناس بالخير ، ويرتل آى الذكر الحكيم آناء الليل وأطراف النهار ... فكيف يصمت هذا اللسان الرحيم الكريم ، وكيف يغلبه ذلك الشلل الخبيث فينوء بالكلمة الواحدة ويعجز عن لا ونعم ، ومن حوله أحباؤه الأعزاء عليه يكلمونه فلا يكلمهم ، ويحاول أن يودعهم بكلمة واحدة فلا يستطيع إلى تلك الكلمة الواحدة من سبيل ، وأنا مع ذلك أدعو الله وأتوسل إليه بماضى هـذا اللسان أن يفك عقاله ، وأن يحسن حاله ، ثم يغشانى منه ما يشبه الليل البهيم ، والأشجانَ فتشيع ببرودة القبور فى عروقى !

عجيب والله هذا الموقف من الأبالسة التى وقفت ترصد فؤادى ، وتغرى بالموبقات روحى ، وتداعب إيمانى فتهزه ذلك الهز العنيف القاسى !

ألم تعد فى السموات رحمة ؟ أهكذا تكون خاتمة ذلك اللسان الرطب الكريم ؟ وأين إذن قدرة الله الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ؟ وما ذا وراء هذا الوجود الذى يكظ ويزحم السموات ، ويملأ الدنيا والآخرة بما نعجز عن تعليله فنتهم عقولنا بالقصور ، ونعترف ضعفاء مخذولين بوهن أفهامنا عن إدراكه والنفاذ إلى كنهه ؟!

وهكذا كانت الأبالسة ترقص فى رأسى المحزون ، وتوسوس فى قلبى المضطرب ، وتهتف فى أذنىّ الحائرتين ... وكنت أحاول أن أصرفها عنى فلا أستطيع ، بل كنت أتهم نفسى وأنا أحاول ذلك بالنفاق ، وأرميها بالرياء الدينى المصطنع ، وكان غرورى يأبى لى أن أكون منافقاً أو مرائياً

وسمعت أعز الأمهات تعالج فى صدرها شهقات وزفرات ، فأسرعت إلى سريرها وبى أنها سكرة الموت ، فأسندت الرأس الكريم إلى صدرى ، وتناولت كوباً من الماء به قطرات من الدواء فوضعتها قريباً من شفتيها ... ولكنها لم تحس من الماء حَسْوة ! بل نظرت إلىّ بعينين تترقرق فيهما دموع الحنان ، فرحت أكلمها على عادتى كلاما كله ضحك يخنقه البكاء ، وكله فكاهة تلبس أردية الحزن القاتمة !

لشد ما تخنقنى عبراتى وأنا أحدثك بهذا أيها الصديق !

لقد حدث هذا منذ عشر سنوات ، فلم أخط فيه حرفاً ، ولم أحرك به لسانى لمخلوق ... ولولا أنك جادلتنى فى الله لآثرت أن أطوىَ عليه قلبى إلى الأبد ...

لقد كانت الأبالسة تأخذ علىّ مشاعرى فى تلك اللحظة ، وكانت تجمع أدلتها ضد السماء فى ثورة جارفة ... وكان فؤادى يتمزق كلما ذكرت أن أعز الأمهات ستقضى دون أن تودعنى بكلمة .

بيد أننى سمعت كلاماً عنيفاً يتردد فى صدرها ، فلما أدنيت أذنى من فمها ، إذا هى تردد هذه الكلمة العظيمة الخالدة :

« الله ! الله ! الله ! »

فلما استيقنتها أخذ العرق يتصبب من جسمى كله ، وعرتنى رجفة قوية لم أبلها من قبل ... ثم ذكرت أبالستى . ولما أدرت وجهى من حولى ، رأيتهم ... رأيتهم رأى العين ... كاسفى البال ، شاحبى الوجوه ، وقد أخذوا ينفذون من جدران الحجرة الصماء ، وكان الضعفاء منهم يثبون من النوافذ المفتحة ... حتى لم يبق معنا منهم أحد قط !

لقد كانت هذه لحظة من لحظات الإيمان التى انتشلت روحى من ظلمات الأبالسة ...

لقد كانت من أسعد اللحظات فى حياتى !

لقـد كانت بارقة الأمل التى بدت لى فى تلك الصحراء المهلكة من الشك الذى ران على قلبى وتغلغل فى أعماقى !

وقد زادها روعة وجمالاً وعظمة ذلك الصوت الناعم الباغم المصقول الذى أرسله المؤذن يشق هـدأة الفجر :

سبحان الكريم الحليم الفتاح ...

سبحان من شق الفجر فلاح ...

لقد أفاقت أعز الأمهات من سكرة الموت عند ما طرق سمعها ذلك النداء الحبيب الذى لبَّته هذه السنينَ الطوالَ ، فكانت تتجافى عن المضجع الدافئ فى الشتاء ... شتاء شمال الدلتا القارس ... كما كانت تتجافى عنه فى الصيف ، لتجيب دعوة ربها الكريم الفتاح ، فتتوضأ بالماء الذى يشبه الثلج ، ثم تلتفع بتلك « الفطفة » البيضاء الناصعة التى تجعلها فى هيئة الملائكة ، ثم تكبر ، ثم تأخذ فى صلاتها الهادئة الساكنة المطمئنة ؛ حتى إذا سلمت أخذت تدعو ربها لنا جميعاً بالخير ، ولزوجها الراحل بالرحمة !

يا ويح لى يا صديق !

لقد كنت أنام معها فى ذلك المصلى نفسه فى سرير مقابل سنين عدداً ... وكنت أستيقظ على صلاتها ودعائها ... وكان ابتهالها يصك أذنى صكا ... لكنى كنت مع ذلك لا أتحلحل من مضجعى ، ولا أتأثر قط بتلك الصلوات وهذه الدعوات ... بل طالما كنت أستهزئ بهذا السلطان الدينى العجيب الذى يقتلع تلك العجوز من مضجعها فى مثل ذاك البرد ، لتتوضأ ولتصلى وتناجى ربها ...

ما كان أبدع صوت المؤذن وما كان أرقه !

لقد كان صوته العذب يجلو الصدأ عن روحى الآثمة ... تالله لقد كان صوت « الشيخ بكرى » رحمه الله ، هو صوت الله ، أليست أرواحنا من روحه تبارك وتعالى !

ورفَّت ابتسامة حزينة على الثغر المحتضر !

ثم استطالت تلك الابتسامة ، وأروَتْها دموع الموت التى كانت تؤجج فى أضالعى جمرات الحزن ... وكنت فى أثناء ذلك أتكلم بكلام لا أذكره . وربما كنت أهذى

ثم أسندت رأسها على الحشية ، واستأذنتها فى أن أدعو إخوتى ، فأشارت برأسها أن لا ! ففهمت أنها لا ترى إزعاجهم بما يعتريها الآن من حشرجة ... ومن يدرى ... فربما آثرت أن تصعد روحها فى غير ضجة ... ومن يدرى ؟ فربما آثرت أن تنتشلنى بهذه الخلوة المقدسة والسكينة السابغة مما كانت تعلم أننى أتردى فيه من ضلال وزلل ، وفساد فى معتقدى وخطل !

أليست كانت تلح على أن أهتدى فكنت أسخر منها

ألم أحل بينها وبين الحج إلى بيت الله بحجة أننى أحق بنفقة هذا الحج ، وهو كان أملها ومتمناها ؟ !

ألم تكن قد فرغت من شئون الحياة كلها إلا من شأنى ؟

... وكان جحودى يتماظمها ويشق عليها ، فكانت تلجأ إلى فطرتها السليمة البسيطة التى لم تتلفها الفلسفات فى الرد على ، فتربكنى بهذا السؤال البسيط الذى تتخبط الفلسفات كلها فى الإجابة عنه : ومن أوجدك وأوجد هذا العالم ؟ ومن يسهر عليك وعليه ؟ ألم تفكر قط فى نفسك ؟ ما هذه الجارحة الصغيرة — وتشير إلى موضع قلبى — التى تخفق بالحب وتجيش بالأمل وتفيض بالخير ، والتى تربط الأسر وتخفر الذمم وتسمو بالإنسانية وتبنى الملاجئ وتنشئ المستشفيات وتطعم الجائع وتنجد المضطر وتغيث الملهوف وتحرك الأيدى بالعطاء وتذيب الدموع فى المحاجر ، وتبسم فتبسم الحياة ، وتعبس فتعبس الدنيا ، وتبصر فيبصر السلام ، وتعمى فيعمى العالم وتعمه نيران الحروب ؟

أليس بحسبك يا بنى أن تكون تلك الجارحة برهاناً على وجود هذا الإله القادر الذى تنكره وتمارى فيه ؟

ثم أنا ... ثم أبوك رحمه الله ... ألم تفكر فى صيرورتنا بعد الموت قط ؟ ألا يعز عليك أن نموت فنصير إلى عدم فلا نلتقى أبداً ؟ ! أليس أخلق أن تؤمن بما تقوله لنا السماء ؟ أليس أن نلتقى هناك ... هناك ... فى تلك الجنة التى عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ؟ أليس أحجى أن نلتقى ثمة بين يدى اللطيف الحميد ... الجنة التى لا موت فيها لهذا الموت ، ولا فقر ولا مرض

ولا جوع ولا شره ولا بوائق ؟ ... الجنة الوارفة الظلال التى تلتقى فيها الأرواح السعيدة بعد هذا السفر الممل والغياب الطويل والنوم الهامد الخامد ... الجنة الجميلة الخالدة التى لا تذبل فيها زهرة ، ولا يظمأ فيها عصفور ، ولا يحسد فيها فقير ، ولا يعيش فيها بائس ، ولا يشقى فى رحابها يتيم ، ولا يكنز المال فيها قارون ، ولا يطالب فيها شيلوك برطل من لحم المدين ، ولا يقتل فيها عباد الأصنام أنبياءهم الصالحين !

إن الله يا بنى هو المثل الأعلا فلا يصوره لك ضلالك هولة أو غولاً أو وحشاً أو سعلاة . . . إن الذين يخافون الرحمن كما تخاف الجن والسعالى ، ويخشونه كما يُخشى القتلة والسفاكون ، هم غير جديرين بعبادته ، غير خليقين أن يعرفوه ، غير أحرياء أن يهتدوا بنوره

إن الخوف من الجن والسعالى لا يعلم فضيلة ، ولا يحض على خير ، أما الخوف من الله فيرفع الإنسانية إلى مثله الأعلا ... إلى الكمال الذى لا يعرف الغرائز الدنيا

إحذر يابنى أن تحسب عقلك أوسع من الدنيا أو أكبر من الله ! إن الجديد الذى يكتشفه بنو الدنيا من أسرارها كل يوم حرىٌ أن يقتلع من نفسك الغرور ، ومن روحك الكفر ، ومن قلبك الضلالة

آمن بالله يا بنى ولا تكن لى خزياً بين يديه يوم القيامة !

هكذا كانت تجادلنى أعز الأمهات يا صديقى ، وهكذا كانت تنصح لى ... فلما رأيت الأبالسة تولى وتنور فى الجدران والنوافذ ، ولما رأيت الحجرة المباركة تخلو إلا منى ومن الأم المحتضرة ، خيل لى أن كل نصائحها تتردد فى مسمعى ، وخيل لى أننى أراها ألف ألف مرة وهى قائمة تصلى فى هدأة الفجر ، وعليها (غُطفتها) الناصعة ، وخيل لى أننى أسمعها وهى تدعو الله لى ولأخوتى ، ولزوجها الراحل

ثم سكت المؤذن الجليل لحظة ، ثم نادى :

الله أكبر ... الله أكبر ...

فوالله يا أخى لقد سمعت قلبى الذى أخذته رجفة هائلة يردد ما أذن به الشيخ بكرى عليه رحمة الله

ووالله يا أخى لقد تلفت حولى فتخيلت الملاك الكريم فى أجمل صورة يستطيع أن يتخيلها فنان وهو باسط يديه ، وقد رفت على فمه ابتسامة الإيمان التى سلحه بها ربه ... الملاك الكريم النورانى الذى كنت أحسبه تنيناً هائلاً مفزعاً ...

وانحنيت أقبل الجبين الذى ظل يقبل الأرض بين يدى الله خمسين عاماً ، ولما رفعت رأسى ، إذا نور له بهر شديد يملأ الحجرة المقدسة ، وإذا يد كريمة تلمس صفحة فؤادى ... وإذا المؤذن الجليل يملأ الدنيا بهذا النداء الرائع ، يختم به أذانه

الله أكبر ... الله أكبر ...

فهلا آمنت ؟ ! قلت : آمنت بنور السموات والأرض .

دريني خشبة

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

بين القاهرة وبغداد — فى رياض الزمالك — سهرة روحية — لمحة وجدانية — طبائع الأرض المصرية والعراقية — بين سنتريس ولبنان — أشجاع وأغاريد — منظر طريف — ماذا دها القمر — فائدة لغوية وتاريخية — مروءة مصرية

بين القاهرة وبغداد

سنحت فرصة ثمينة ، وما كنت أنتظر أن تسنح ، فقد ألفنا بُخل الأيام وشُحّ الليالى ، ورُضنا النفس على اليأس من كرم الزمان

وتلك الفرصة هى لقاء الأستاذ طه الراوى فى القاهرة بعد فراق طال ثم طال ، وبعد شوق لا يصوره القلم ولو جال وصال

قال الأستاذ الراوى عند التلاق : ماذا أصنع معك ؟ وكيف أجازيك ؟ أنت تعلن شوقك إلى إخوانك فى مجلة الرسالة فيصل صوتك إلى الشرق والغرب ، وأنا أضمر شوقي فلا يصل إليك منه قَبَس ، ولو أنى عبّرت عما فى نفسى لقلت إنى لم أجد أحداً غيرك يفوقنى فى الوفاء

كذلك كان الحديث عند لقاء الأستاذ طه الراوى صديق مصر الحميم ، والرجل الذى لا ينساه من يراه ، ولو طال البِعاد

تلاقينا وتسامرنا ، وقال وقلت : أين الأستاذ الزيات ليتمّ أنس الحديث ؟ فقد سأل الأستاذ الراوى مرات عن الأستاذ الزيات ، وكان يشتهى أن يراه ليتحدث معه فى شؤون من شواجر الأدب القديم والجديد ، ورجانى أن أبلغه التحية إن لم يستطع رؤيته قبل الرجوع إلى بغداد .

فى رياض الزمالك

عرفت من المفوضية العراقية أن الأستاذ الراوى يقيم بفندق الكنتننتال ، فطلبته بالهتاف ، فردّ صوتٌ محبوب هو صوت السيد خالد الشوربجى ، فعجبت من هذه المصادفة الغريبة ، وسألته عن الأستاذ الراوى فقال : تجده بكلية البنات فى الزمالك ، ثم قال : وِين الأستاذ الزيات ؟ فقلت : تجده فى كلية الزراعة على شاطئ بحر شبين !

مضيت فى المصرية إلى الزمالك ، فكيف رأيت الزمالك ؟

إنى لمفتون بتلك البقعة التى يطوّقها النيل من أربع جوانب ، وإنى لمفتون بما فيها من قصور وبساتين ، وإنها الروضة من أنضر الرياض

أين الشاعر الذى يصوّر جمال الزمالك ؟

وأين الروح الذى يدرك معانى تلك الجزيرة الخضراء ؟

لن ينقضى فتونى بتلك الروضة المُهندَمة بأروع وأظرف ما تجود به الفنون ، فالزمالك تُرى وكأنها صُبَّت مرة واحدة فى لحظة من لحظات الصفاء

لا تجد بيتاً يُبنَى ولا بيتاً يُهدَم ، ولا ترى إلا سَبيكة مقدودة من صميم الحُسن الأصيل

هذه كلية البنات بشارع محمد أنيس ، وهذا بابها العالى ، فما أسعد بلداً يكون لبناته حظ التعلم فى مثل هذا المكان البهيج !

وأخطو خطوة فأجد الأستاذ الراوى فى انتظارى ، وأجد معه الأستاذ عبد الجبار الجلبى ، وأجد وجوهاً عراقية فى سُمرة النيل عند الوفاء

وأقول بعد التحية : جئت أدعوكم لزيارة سنتريس ، فما يجوز لمن يزور مصر أن يغفل زيارة سنتريس

فيقول السيد عبد الجبار الجلبى وهو يبتسم : إن مَثَل من يزور مصر ولا يزور سنتريس مَثَل من حَجّ ولم يعتمر ، وقد يكون حاله حال من اعتمر ولم يحج ، فلا بد من زيارة سنتريس

سهرة روحية

وبعد لحظات يتفرق الجمع ، لأن لجمهور الحاضرين مآرب من رؤية القاهرة بالليل ، وأنظر فأرى الأستاذ طه الراوى سيبيق بلا رفيق ، فأقرر البقاء لمسامرته إلى أن يعود الرفاق

قلت : أيسمح سعادة الأستاذ أن نخرج فنرتاض على ضفاف النيل ؟

فقال : أنت النيل ، ثم أنشد قول المتنبى :

مِن عَبيدى إن عشت لى ألف كافو
ر ولى من نداكَ ريفٌ ونيلُ

وانطلق فقص قصة المتنبي بعد أن رحل عن مصر ، قصها بصورة خلابة كأنه كان رفيق المتنبي حين فارق مصر فى ليلة عيد

وخلاصة القصة أن المتنبى كان يعلق آماله على « فاتِك » وكان فاتك يريد السيطرة على الصعيد ، فبث كافور ألوف العيون ليعرف من أحواله كل شيء ، وكان المتنبي يعرف هذه الحقيقة ، فكان يخرج بحجة الحرص على ترويض حصانه ليلاقي فاتكاً فى مكان مجهول ، ثم هلك فاتك فلم يبق للمتنبي غير الرحيل ، ولكن إلى أين ؟

رحل إلى الكوفة ، وهى وطنه ، ولعله كان فيها من الفقراء ، فأرسل إليه سيف الدولة هدية يستعين بها على العيش ، فرد المتنبي بقصيدة منها هذا البيت :

مِن عَبيدى إن عشت لى ألف كافو ... رٍ ولى من نداك ريفٌ ونيلُ

ومضى الحديث فى شجون مصرية وعراقية ، فكان من ذلك دليل جديد على الثقة الموصولة بينى وبين هذا الرجل النبيل

— إحكى ، إحكى

وماذا أحكى ؟

أنا تعبت من الحَكْى ، فاحكى أنت

— ميعاد الحكى فى سنتريس

وخرجت أبحث عن سيارة بعد انتصاف الليل وأنا فى نشوة روحية قليلة الأمثال

رياض الزمالك وأحاديث الراوى فى ليلة واحدة ؟ تبارك من جمل هذه الحظوظ من نصيبى فى أوقات قل فيها الظفر بأطايب الحياة .

لمحة وجدانية

وقفنا على جسر الريّاح المنوفى بالقناطر الخيرية لحظات ، فقلت للأستاذ الراوى : ما رأيك فى أن ننزل فنقطع هذا النهر سابحين إلى أن نلقى الاستاذ الزيات ؟

— إيش لون ؟

— هـذا النهر يسمى هنا بالرياح المنوفى ، وبعد قنطرة النعناعية يسمى بحر سنتريس ، وبعد قنطرة القَـرِينَـيْن يسمى بحر شبين ، ومنه تُستقى مزارع الأستاذ الزيات

— أنتم تُسقون من نهر واحد ؟ الآن عرفت السر فيما بينكم من وفاق

— وهناك وشيجة ثانية

— ما هى ؟

— هى ما يوجب العقل من تلطف الشركاء بعضهم مع بعض ، فأنا أستطيع سد هذا النهر بنبابيت سنتريس

— ولا تخاف الحكومة ؟

— الحكومة تركت هذا النهر فى حراستنا ، فنحن نملك من أمره كل شيء

— أنتم إذاً على استعداد لإساءة التصرف

— ومع هذا لم نسيء التصرف ، رعايةً لمعنى واحد ، هو البر بالصديق ، ولو كان الزيات عدواً لعاملناه معاملة الأعداء ، هذا مع العلم بأن الزيات صديق مضمون

— ما معنى هذه الكلمة الأخيرة ؟

— إن لها معنى ومعانى ، فالصديق المضمون هو الصديق الذى لا يُخشى تغيره بأى حال ، وإذن يجوز التحيف عليه باطمئنان ، فيكون البر به غاية فى الوفاء

— هذا معنى طريف ، ولكنه يحتاج إلى بيان

— بيان ذلك أن من الاصدقاء من ينهاه قلبه وروحه عن مجازاة أصدقائه غدراً بغدر ، وإيذاء بإيذاء . والصديق الذى يكون فى مثل هذه الروحانية يلقى من أصدقائه متاعب ومضجرات؛ فالوفاء بعهده يُعَد أعجوبة فى الحياة الأخلاقية ، وأنا أطمع فى الظفر بأكبر نصيب من مكارم الأخلاق

— نحن نسمع فى مصر كلاماً جديداً

— ولكنه أقل من كلام العراق

— يعجبنى تعصبك لأصدقائك ، يا دكتور مبارك

— ولمن أتعصب إذا لم أتعصب لأصدقائى ؟ لم يبق من الكرم غير حفظ العهد ، وكل ما أخشاه أن يكون حظى من هذا المعنى أقل مما أريد . إن الهجوم على العدو لا يحتاج إلى عناء ، لأنه ينبعث عن ثورة تعين على القتال ، أما ملاطفة الصديق فتَصدُر عن عواطف رقيقة لا تساعد على الاستبسال

لو بذلنا فى ملاطفة أصدقائنا معشار ما نبذل فى محاربة أعدائنا لرضى الله عنا واصطفانا لأشرف الأعمال

الأدب الحق هو أدبك فى معاملة من لا تخاف أن يثور عليك

— وهذا أيضاً كلامٌ جديد

— وهو أيضاً من وحى العراق

— طيَّبَ الله أنفاسك ، يا دكتور مبارك !

طبائع الأرض المصرية والعراقية

فى حديقة الدار فى سنتريس بَدَتْ الطُّـلمبَة أمراً عجبا ، فقد دهش الضيوف العراقيون من أن نستقى الماء بلا بئر ، فقلت إن هذا يتيسّر فى العراق لو أردتموه . فقال الأستاذ طه الراوى : إن البئر فى العراق تكون مياهه غاية فى المرارة إن بَعُـد عن الشط ، لأن أرض العراق كثيرة الأملاح

عند ذلك تذكرت عبارة المسيو دى كومنين حين رأى الطلمبة فى سنتريس ، فقد قال إن هذا يمتنع فى الأرض الفرنسية ، وإن لم يذكر الأسباب

وعند ذلك فهمت كيف كانت بغداد مملوءة بالأنهار ، وهى القنوات التى كانت تنقل الماء إلى المحلات المختلفة بدار السلام ، فكل مجرى ماء اسمه نهر عند أهل العراق ، ولو كان قناة لا يحتاج عبورها إلى أيسر مجهود ، ومن هنا جاز أن نرى فى كتب التاريخ أن البصرة كان فيها مئات أو ألوف من الأنهار الجاريات

لو سمعت كلام الأستاذ الراوى قبل أن أكتب مقالى عن « عروس النيل » لكان من الممكن أن أضيف إليه توضيحات ، فليكن ما هنا تكميلاً لما هناك

بين سنتريس ولبنان

قال الأستاذ الراوى : للنسائم هنا مَذَاقٌ لا نجد مثله فى لبنان ، فما الذى يمنع من أن تجعلوا بلدكم من بلاد الاصطياف ؟

قلت : إن هواء سنتريس أتعب أهل سنتريس

— وكيف ؟

— لأنه جعلها مَراداً لأصحاب الأذواق ، فهى المُلتقى لأكثر سكان المنوفية ، ومن أجل هذا عمَّ فيها الغلاء

أسجاع وأغاريد

وعند تناول العشاء سمعنا طيوراً تسجع وتغرّد بأنغام لا يسمع مثلها أهل العراق ، فقال الأستاذ عبد الجبار الجلبى : ما هذه الطيور ؟ فقال السيد عبد المجيد مبارك : هذه جماعة الكروان تَصدَح عند قدوم الليل

وتردد الأستاذ الجلبى فى تصديق ما يسمع ؛ فقال له الأستاذ الراوى : هذه بلابل تَصدح بأنغام أهل سنتريس !

منظر طريف

حين مررنا بحدائق القناطر الخيرية نبهت رفاق إلى غابة أبى قردان ، وقلت إنه طائر يصادق الفلاح ، فيرافقه فى الحرث والسقى ، ليلتهم ما فى الأرض من ديدان ، ولهذا يحرم صيده بأمر وزارة الزراعة المصرية

قال الأستاذ الراوى : هـذا اسمٌ عربىّ ، فالقُراد يُجمع على قِردان كما يجمع الغلام على غِلمان ، ولعل هذا الطائر سُمِّى بذلك لأنه يطهّـر الأرض من الحشرات

قلت : ومن العجيب أن يكون ملتقى هـذه الطيور البيض فى شجرة كريمة بأحد المنازل فى سنتريس ، وكأنها تقول :

من عـلّم الورقاء أن محلكم   حَرَمٌ وأنك موئلٌ للخائفِ

ماذا دها القمر ؟

كانت طلعة القمر طلعة بهية ، وكان لألاؤه فوق بحر سنتريس غاية فى البهاء ، فماذا دهاه قبل أن نقترب من قليوب ؟

قال السيد هاشم : القمر مخنوق

فوقفنا جميعاً وتطلّـعنا إلى وجه القمر فرأيناه فى حال تُشمت العُذّال !

حتى القمر تنال منه صروف الليالى ؟!

وتسمّـع السيد عبد الجبار ما يقول أهل قليوب ليوازن بين أقوالهم وأقوال أهل بغداد ... وتذكرت العبارة المصرية فقلت : « يا بنات الحور ، سيّبوا قمرنا يُنور »

فقال : إن عبارة أهل بغداد « ياحوتَه يامنحوتَه ، طلى قمرنا العالى »

وإذن تكون بنات الحور هى التى تخنق القمر فى مصر ، وتكون الحوتة المنحوتة هى التى تخنقه فى العراق[1]

(١) المنحوتة فى لغة أهل العراق هي المنحوسة

قلت : القمر عندنا معشوق تحتجزه الحوريات ، وهو عندكم مأسور بأيدى الحوتات المنحوتات ، عليهن اللعنات !

فقال السيد عبد الجبار : لقد راعنى هدوء الطبيعة المصرية ، ففى كل ماء تنقّ الضفادع بقمقمة مزعجة ، إلا ماء النيل

واستطرد الأستاذ الراوى فقال : أراد صوفىٌّ أن ينظر معشوقته من ثقب الباب فرآها عارية ، ولـكنه انزعج حين رأى ضفائرها تحجب عنه جسدها الوهّـاج ، فصرخ :

ياحوته يامنحوته طاحى قمرنا العالى

قلت : وما شأن الصوفى بالأجساد العارية ؟

فأجاب : هل نسيت ما قررته فى كتاب التصوف الإسلامى ؟ ألم تقل إن الحب الحِسّىّ قنطرة إلى الحب الروحى ؟ ألم تقل إن الصوفية تبنوا أشعار الماجنين فحوّلوها إلى خطرات وجدانية ؟

فائدة لغوية

قال سعادة الأستاذ الراوى وقد شربنا القازوزة : إن العرب عرفوا القازوزة ، فقلت القازوزة التى نشربها كلة فرنسية أصلها Gazeuse فما هى فى العربية ؟ فقال : وردت فى قول أحد الشعراء :

أفنَى تلادى وما جمّعتُ من نَشَبٍ
قرعُ القوازيز أفواهُ الأباريق (١)

فقلت : هى القوارير بالراء فى المطبوعات المصرية ، وهى أفصح لأنها كلة قرآنية . وبعد لحظة قال الأستاذ : المفرد قاقوزة ، فقلت : إذن يكون الجمع قواقيز

وبعد العودة راجعت القاموس فوجدت قاقوزة وقازوزة بمعنى واحد وهو المشربة أو القدح أو الصغير من القوارير ، وعلى ذلك يمكن أن يكون البيت رُوِى بروايتين

وفائدة تاريخية

قال الأستاذ الراوى : سمعت اليوم تعليلاً أعجبنى فى تسمية شارع الموسكي ، فقد حدثنى أحد الأفاضل أنه جاء من الكلمة الفرنسية Mosquée وهى كلة عربية الأصل معناها المسجد ، وسمى الشارع بذلك لأنه يوصل إلى المسجد الكبير وهو الجامع الأزهر

فقلت : الموسكى بفتح السين نسبة إلى مُوسَك أحد أمراء مصر فى الأيام الخوالى ، وسكنت السين للتخفيف

فضحك الأستاذ الراوى وقال : إذن كان ذلك المحدث من « الأفاضل » بالقول لا بالفعل

مروءة مصرية

رجعنا إلى القاهرة والقمر مخنوق ، والظلام يطمس المعالم بميدان باب الحديد ، ولابد من سيارة تنقل الضيوف إلى الزمالك

— تاكسى ، تاكسى ، تاكسى

هتفنا بهذه اللفظة أكثر من خمسين مرة ، فما سمع سامع ولا أجاب مجيب

ونظرت فرأيت فـتى يخترق الظلام ليستوقف سيارة فظننته خادماً يبحث لسيده عن واسطة ، أداة النقل فى لغة العراق ، ثم ظهر أنه بائع متجول أراد أن يريحنا من ذلك العناء

هل قدمنا لهذا البائع قرشاً أو نصف قرش ؟

الجواب عند السيد عبد الجبار الجلبى فقد كان فى الزاوية الثانية ، ولعله نفحه بشىء ، وإلا فأنا حاضر لمكافأته على ذلك الصنيع الجميل .

زكى مبارك

(١) كلة « أفواه » مرفوعة لأنها فاعل المصدر وهو « قرع » فقد رفع الفاعل بعد إضافته إلى المفعول

الأعـــــراب

نحن الذين بلغوا الرسالة

لأســتاذ جليل

إلى الأستاذ صاحب مجلة (آخر ساعة)

يا أخا العرب

لكاتبين محررين فى مجلتك ولكتاب فى مصر وغير مصر أن ينقدوا (الأعراب)، وأن ينعوا عليهم عيوباً فيهم بل أن يبالغوا فى شتمهم أو هجوهم إذا اقتضت حال سبهما

إن لهم أن يقولوا: (ألإسلامية وجاهلية) حين يروننا مستمسكين بعادات خبيثة بدوية، وأقضية منكرة عرفية تظاهر (الظهير البربرى ...)

وإن لهم أن يقولوا: (أمصرية وعداوة للجندية) حين نسأل أولى الأمر أن تميز، أن نستثنى من سائر الأمة فى الأمر المعمم كأننا ضَمْنى أو زَمْنى يلتمسون التزمين[1]

وإن لهم أن يقولوا: متى تتحضرون أيها الأعراب، وقد تبدلت الدنيا، وتدخلون فى دين الناس، وتسكنون بيت الحجر وتتركون بيت الشَّعر

إن لهم أن يقولوا الحق فى كل وقت، وللحق يعنو الصغير ويعنو الكبير

ومن أقوالنا قِدْما: « اشتمْنى واصدقْ أيها الشاتم »،

ولكن هل يجوز لكاتب عندك اسمه (إحسان) أن يقول فى مقالته (حوادث وخواطر) – فى الجزء (٤٦٠) ص (١٠) فى ٢٥ يوليو (١٩٤٣): « كل هذه المدنية التى شيدناها لم تعجب الزائر الكريم وإنما أعجبه الأهرام وأبو الهول، أعجبته قطعة من الصحراء أُقيمت عليها أصنام وقفت حولها حمير وإبل وأعراب ... »

إن هـذا لشىء إدّ، إن هذا لأمر نكر لم تقتضه حال، ولا دعا إليه داع. فما الذى دفع الكاتب إلى هذه المقولة، وما كان ضره لو ترك (الأعراب) وخطبهم ولم يقرنهم وما سمَّاها فى قرن

يا أخا العرب

أنت تدرى وكل الناس يدرون أن أجدادنا كانوا البعوث (الجيوش) التى قادها صاحب رسول الله أبو عبد الله (عمرو ابن العاص) العربى المصرى (رضوان الله عليه) يوم بادر إلى مصر كيما يحررها ويهديها

قائد آبائنا عمرو بن العاص هوسيدى، وهو سيد كل مصرى يقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهو سيد كل مصرى ينطق بالعربية

من حرر مصر؟ من هدى مصر؟

عمرو بن العاص صاحب محمد، خادم دين محمد

يا أخا العرب

إن الأعراب (حيَّا الله رَبْعك[1]) إذا تحضروا وتعلموا وتثقفوا جاءت منهم ملائكة. ومن الأعراب فى هذا العصر فى هذا الوقت فى مصر وفى العراق والشام والجزيرة وبلاد المغرب (تونس والجزائر والمغرب الأقصى) دكاترة فى العلوم والفنون، وأساتذة كبار، وزعماء عظماء، ومرشحون للزعامة ... من الطراز الأول

***

أدع الانتخاء والمنجهية الأعرابية وأقوال العلماء والأدباء قديماً وحديثاً فينا، ووصية سيدنا عمر (رضوان الله عليه) بنا ووصفه إيانا. وأدع أبيات المتنبى فى البائية، وأبيات المعرى فى الرائية فى تقريظنا لشهرتها. وأختم هذه الأسطر بكلام الله، وأبيات لأبى إسحق ابراهيم بن عثمان الغزى (رحمه الله) حتى تكون قولاً بقول، والبادىْ أظلم، وقضاء الله فى أمر الاعتداء هو القضاء: « ... فمن اعتدى عليكم الآية » ولئن أساء (إحسان) – غيرَ ناوٍ أن يسىء – لقد أحسن (ابن عثمان)

قال الله:

« ومنَ الأعراب من يؤمنُ بالله واليوم الآخر، ويتَّخذُ ما يُنفقُ قُرُباتٍ عند الله وصَلوات الرسول. ألا إنها قُربةٌ لهم، سيدخلُهم اللهُ فى رحمته؛ إنّ اللهَ غفورٌ رحيم »

قال الشاعر:

يا ربعُ، فيك المها والأُسد أحبابُ

فقل لنا: أكُناسٌ أنت أم غابُ؟

(١) الضمانة والزمانة: العاهة. وهو ضمن وزمن – مثل كتف – والجمع ضمنون وزمنون، وضمنى وزمنى. وزمنه: كتبه فى ديوان الزمنى ليعفر عن الجهاد، ولم ترد هذه اللفظة فى المعجمات، وسيعاد إليها

(١) قومك

المشكلات

٣ ـ اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفه

ماذا أخفقنا في تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

يتوقع القراء أنى سآتيهم فى مشكلة اللغة العربية بحلول مطاولة وآراء معقدة ، تثقل على العامة ولا يسيغها إلا الخاصة

وإنى سآتيهم بالجديد الذى لم يقرع أسماعهم ، ولم يخطر لهم ببال

وأنى أقول للقراء أن ما سأعرضه عليهم قسمان ، الأول نقد الطريقة التى تسلكها المدارس فى تعليم اللغة ، والثانى نقد علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة ، وإبطال الباطل من قواعدها ، وإحلال الحق محله

فأما نقد أسلوب تعليم اللغة فإنى أحب أن أطمئن القراء من جهته ، فإن الحلول التى جئت بها سهلة لا غموض فيها ، بسيطة لا تركيب فيها ؛ وهكذا شأن الحقيقة تمتاز بالسهولة والبساطة ، وقد أخذتها من العامة وأشباه العامة ، أخذتها من الحائك إذ يعلم الحياكة ، والحداد إذ يعلم الحدادة ، والنجار إذ يعلم النجارة

وليس فيما جئت به فى هذا الموضوع جدة ، وإنما هو قول معاد مكرور ، قاله علماء الشرق قديماً وعلماء الغرب حديثاً ،

حتى أننى ترددت فى عرضه على الناس ، ولكن يشفع لى فى عرضه أن قومى لم يعملوا به كأنهم لا يعرفونه ، فقلت لعلهم يحتاجون إلى الإقناع به ، وإقامة الدليل عليه ، وإدارة الكلام على البرهان والإقناع ، ليوافق طبقات الناس ، و كذلك فعلت

وأما نقد القواعد وبيان الباطل منها ، وإحلال خير منها محلها . فهى مسائل فنية يصعب فهمها إلا على الدارسين ، وهى جديدة قد نشأت عن الدرس الطويل ، والتأمل والتنقيب فى هذه العلوم ، وفيها لذة ومتعة ، فسيرى فيها القراء مصاولة العقول ومقارعة الآراء ، وسيرون علوما كانت تحاط بهالة من التقديس تنهار وتتهدم ، وعلوما أخرى حلت محلها وأخذت مكانها ، فبدت أعلى منها وأسمق ، وما نهدم ما نهدم إلا عن بينة وحجة ، وما نبنى ما نبنى إلا عن بينة وحجة . فما عدله الدليل فهو العدل الثقة ، وما جرحه الدليل فهو المجرح المدخول

فان كان ما جئت به حقاً فللقراء خيره وبركته ، ولى ما كابدته من النصب والهم ، وإن كان باطلاً فعلى تبعته وعاره ، وخلاهم ذم

ربما لم تعن أمة فى العالم بلغة ما كما عنيت الأمم الإسلامية باللغة العربية ، وقد عظمت هذه العناية واتصلت وتلاحقت مدة ثلاثة عشر قرنا ، فتوافر العلماء عليها فى القديم يدرسونها من نواحيها المختلفة ، درسوا مفرداتها وعرفوا التغييرات التى تلحق المفرد ، والأوزان التى يكون عليها ، وكيف تتصرف الكلمة فى الماضى والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة الخ . ، وعرفوا قواعد ذلك وسموه علم الصرف ، وعرفوا ما تدل عليه كل كلمة من معان ، والشواهد التى يستشهد بها على هذه المعانى ، ودونوا ذلك وسموه علم متن اللغة ، ودرسوا نظمها وتراكيبها المختلفة ، وما يفيده كل نظم وتركيب ، ووضعوا قوانينه وسموه علم النحو . ودرسوا فضيلة الكلام ، ووضعوا القواعد التى يحسن بها الكلام وسموها علم البلاغة . ودرسوا ما فى لغة العرب من شعر ونثر وبينوا معانيه . ودرسوا أوزان الشعر وأعاريضه وقوافيه . وهلم جرا

وضعوا كل ذلك فى قوانين ، ووضعوا هذه القوانين فى كتب قد سطرت ، وصحف قد نشرت ، وكان كل جيل من الأجيال يزيد وينقص ، ويغير ويبدل على حسب ما يتراءى له ، ويضع الكتب الجمة والأسفار المختلفة ، وكانوا يعكفون عليها يتدارسونها يعلمها كبيرهم صغيرهم ، وعالمهم جاهلهم ، وقد ورثنا نحن هذه

بين الكتبيين حىّ لقومهم أدبٌ
محضٌ ، وإيجازهم فى القول إسهاب
خطوا وأقلامهم خَطّية سُلُبٌ
فهم على الخيل أميون كتّاب (١)
أهل الإصابة إن قالوا ، وإن سمعوا
وللسماع كما للقول إعراب (٢)
غيرَ الهبيدِ وبَرْضِ البيد ما عرفوا
والعز يعذب فى أكوابه الصاب (٣)
صدق الله ، ولم يكذب الشاعر (٤) ... ناقد

---

(١) سلب : طويلة أو تسلب الأنفس
(٢) الله أكبر !
(٣) الهبيد : حب الحنظل . ماء برض : قليل
(٤) تراجع فى (العقد) فى أخبار الرجل العظيم الحجاج بن يوسف (رحمه الله) قصة طرفة فى آخرها صدق الله وكذب الشاعر

العناية فدرسناها فى جميع معاهد التعليم ، فهى تدرس فى وزارة المعارف ، فى الأقسام الابتدائية والثانوية وفى التعليم الأولى ، وهى تدرس فى المعاهد الدينية والأزهر فى الأقسام الابتدائية والثانوية ، وهى تدرس فى كلية اللغة العربية من كليات الأزهر ، وفى كليتى الآداب من جامعتى فؤاد وفاروق ، وهى تدرس فى دار العلوم ومدارس المعلمين والمعلمات ، ونصيبها من الحصص فى هذه المعاهد نصيب الأسد

عكفت مدارسنا على هذه القواعد التى استنبطها العلماء المتقدمون فى النحو والصرف والبلاغة والعروض والقافية تدرسها وتضبط شوارد العربية على المتعلمين

وكانت تقسم القواعد على سنى الدراسة قسمة تراعى فيها الحكمة ، فهى قليلة موجزة فى الأقسام الابتدائية ، وكثيرة مطولة بعض الشيء فى الأقسام الثانوية ، وهى مطولة كل التطويل ومستوعبة كل الاستيعاب فى المدارس العالية

إنى لأعجب كيف تخفق مدارسنا وتخفق الأجيال قبلنا فى تعليم هذه اللغة مع هذه العناية وهذا الجهد

أينجح الحائك فى تعليم الحياكة ؟ والبناء فى تعليم البناء ، والنجار فى تعليم النجارة ، وكل ذي صنعة فى الدنيا فى تعليم صنعته ، ويخيب رجل العلم والتربية فى تعليم اللغة العربية ؟

أينجح تلاميذ الصناع جميعاً إلا قليلاً ، ويخيب تلاميذ رجال العلم إلا قليلاً مع أن الأولين يبذلون أقل جهد ومشقة فى تعليم الصناع ولا يعللون المسائل ولا يفلسفونها ، ولا يعملون شيئاً إلا أن يأخذوا المتعلمين بأعمال كثيرة من صنعتهم ويمرنوهم ويكرروا ذلك ، فإذا هم قد حذقوا الصنعة وأجادوها ، ومع أن الآخرين يبذلون كل جهد ومشقة ، ويذكرون علل العربية ويفلسفونها ، ويطلعون تلاميذهم على دقائقها وخفاياها

لعل مازحاً يمزح ويقول أن سر هذا الإخفاق فى هذه العناية ، وسر هذا النجاح فى هذا الإهمال

وسنأخذ هذا المزاح جداً ، ونرى أنه يشير إلى الطريق ونضع أن سر نجاح أولئك فى طريقتهم وسر خيبة هؤلاء فى طريقتهم

سر نجاح أولئك فى المرانة والتكرار حتى يكسبوا الصنعة ، وسر خيبة هؤلاء فى الاعتماد على القواعد وترك الحفظ والمرانة والتكرار

ولو أخذ كل بطريقة الآخر لخاب الناجح ، ونجح الخائب لو علم الحائك تلميذه بطريق القواعد فحسب ، وظل طول عمره يقول له شد الخيط طولاً وادخله فيها الخيوط عرضاً ليتكون منها سدى ولحمة ولم يأخذه بأعمال الحياكة الكثيرة وتكرارها والمرانة عليها ، لخاب فى التعليم ولم يكسبه الحياكة ، ولو أخذ عالم العربية بطريق المرانة والتكرار والحفظ ، فحفظ تلاميذه أساليب العربية البليغة ، ومثلها الرائعة مما يعتاد فى الخطاب ، وأخذهم بالنسج على منوالها فى الحديث والكتابة والخطابة لنجح فى تعليمه

ولا عجب أن يكون هذا الصانع العامى أقرب إلى الحقيقة من هذا العالم المربى ، لأن هذا العامى يرجع إلى الواقع ويستملى منه وهذا العالم قد أغفل الواقع وقلد ما كان عليه الآباء والأجداد

هذا العامى يعلم أن قواعد الصنعة لا تعطى الصنعة ، ولا يعطيها إلا تمرين المتعلم ، وأخذه بنماذج كثيرة ، وتكرير ذلك حتى يتقنها

وهذا العالم أغفل هذه الحقيقة وظن أن قواعد اللغة تكسب اللغة وأن قواعد البلاغة تكسب البلاغة فأخذ يبدأ فيها ويعيد ، ويكرر ويكثر من التكرار ، فأكسبهم ملكة فى قواعد اللغة ، ولم يكسبهم ملكة اللغة

سيهول هذا أقواماً ويرونه سخفاً من القول . وقياساً مع الفارق ، ويقولون : إنك لم تعمل شيئاً سوى أن قست قياساً فقات تعليم وتعليم ، ولغة وصنعة ، وكما أن الصنعة لا تكسب بالقواعد إنما تكسب بالعمل والتكرار كذلك لا تكسب اللغة العربية بالقواعد فحسب إنما تكسب بالعمل والتكرار والحفظ ، والقياس لا يفيد اليقين ، فطرق العلم مختلفة ، فهذا يعلم من طريق ، وذاك يعلم من طريق آخر ، فالروائح تعلم بالشم ، والطعوم تدرك بالذوق ، والألوان تدرك بالبصر ، فكما لا يصح أن يقال : إن الأحمر قد كان طريق العلم به البصر فيجب أن يكون الحامض طريق العلم به البصر كذلك لا يصح القياس الذى ذكرته ، فلعل هناك فارقاً بين الصنعة واللغة يجعل أحكامهما مختلفة ، فتكون الصنعة تكسب بالتكرار ، وتكون اللغة تكسب بالقواعد ، فالقياس لا يجدينا ولا ينفعنا ، فلا بد أن تأتي بالبرهان لنصدق به ، ولا نجد عنه معدى

وإنى أعد القراء أن أجيء بالبرهان على أن اللغة كسائر الصنعات لا تكتسب بالقواعد ، إنما تكسب بالحفظ والتكرار ، وأن أدير الحديث على طرق إقناعية شتى حتى أفوز بإقناع أولى الأمر فنحل مشكلة من مشكلاتنا العديدة ، لنفرغ لمشكلات أخرى .

محمد عرفة

طرائف:

عن الـكتب والـكتاب

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

نسخ الكتب . تصحيح الكتب . سرقة الكتب . النار والمكتبات

موضوع المكتبة العربية – عامة أو خاصة – هو موضوع طريف سنعرض له بالتفصيل فى العدد القادم من « الرسالة »

أما موضوع اليوم فهو توطئة للموضوع الذى اعتزمنا الكتابة فيه للأعداد المقبلة

ومن لوازم الكتب وجود عدد من « النساخين » ومهمتهم أن ينسخوا من الكتاب الواحد نسخة أو أكثر على حسب رغبة المؤلف أو وفق مقتضيات الأمور

وأول ما عرف من هؤلاء النساخين فى الأدب العربى الجماعة الذين كتبوا المصاحف الأربعة بأمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان؛ وهم زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث[1]

أما كتَّاب الوحى فلم يكونوا نساخاً ، بل كان الرسول يملى عليهم الآيات حين نزولها ، وشرط النسخ أن يكون عن كتاب أو صحيفة مكتوبة

وليس النسَّاخون مقصورين على الكتاب العربى وحده أو المكتبة العربية وحدها ، فهناك نساخون فى الكتب الأوربية وكان يطلق على هؤلاء النسَّاخ كلمة الرهبان ، لأن الرهبان والقسوس كانوا مختصين فى العصور الوسطى بنسخ الكتب[2]

وبهذه المناسبة كان عند النساخين من الرهبان قانون وضعه « تريتم » رئيس الكهنة فى عصره يقول فيه : « يجب أن يقطع أحدكم الرق قطعاً ، وآخر يصقلها ، وآخر يسطرها ، وآخر يبرى الأقلام يملأ المحابر ، وآخر يقرأ ويصحح كتابة الناسخ ، وآخر يزخرف الكتابة بالمداد الأحمر وينقط الحروف ، وآخر ينقشها ، وآخر يلصق الورق ويحبك الكتب على ألواح من الخشب »[3]

فأنت ترى من ذلك كله أن عملية نسخ الكتاب كانت عملاً منظماً توضع له القوانين وتقعَّد القواعد . وخاصة عند جامعى الكتب من أمراء أوربا فى العصور الوسطى

(١) آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ص ١٨٧ جـ ١

(٢) مجلة روضة المدارس المصرية من مقال لعلى رفاعة الطهطاوى

(٣) المصدر السابق

ولهؤلاء النساخين – عرباً كانوا أو فرنجة – طرائف فى النسخ . ولكنهم على كل حال كانوا آفة فى الكتابة العربية : ونظرة واحدة فى الشعر الوارد فى كتاب « فوات الوفيات » لابن شاكر الكتبى تؤيد هذا الكلام ، فهو شعر مختل مكسور مسخه الناسخ . وجاء الطابع الحديث فأبقاه – لسقم ذوقه – على اختلاله وكسره . وجاء الدكتور العالم أحمد عيسى بك فنقله فى كتابه الجديد « معجم الأطباء » مختلاً مكسوراً . وليس ذلك من سبيل بحثنا اليوم ، ولكننا سنفرد لتصحيح هذا المعجم الجليل مقالاً طويلاً فى « الرسالة »

ومن عجب أن الكتب المنسوخة لم يقم لها مصححون يعنون بمراجعة أخطاء النَّسخ وضبط الكتاب وتحقيقه ؛ أما الكتب المطبوعة فقد قام عليها مصححون منذ عَرَف الكتاب العربى الطبعة العربية فى مطلع القرن التاسع عشر ؛ وعند صديقنا العالم الراوية الأستاذ محمود حسن زنانى أنباء كثيرة وطرائف عن هؤلاء المصححين ؛ ولعله يتحف الأدباء قريباً بمقالاته فى هذا الموضوع . وأشهر هؤلاء المصححين التماعاً فى سماء الأدب الشيخ نصر الهورينى المتوفى سنة ١٨٧٤م ، كان هذا الشيخ عضواً فى بعثة أرسلتها الحكومة المصرية إلى فرنسا[1] ؛ فلبث هناك مدة ثم عاد رئيساً للتصحيح بالمطبعة الأميرية ؛ وله تعليقات لطيفة على هامش القاموس المحيط للفيروزبادى ؛ كما أن له كثيراً من المؤلفات أشهرها « المطالع النصرية للمطابع المصرية »

ومن المصححين المشهورين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الشيخ أحمد البهى بن حسن عبد الصمد[2] ؛ وكان موظفاً بالطبعة الوهبية التى أنشأها الفاضل مصطفى وهبى . وللشيخ البهى فضل تصحيح كتاب « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » لابن أبى أصيبعة ؛ وهو من المطبوعات النادرة الآن . وقد تم طبعه فى سنة ١٨٨٢م ؛ ولم يطبع بعد تلك الطبعة إلى اليوم

ولم يكن عمل المصححين القيام على تصحيح الكتب المطبوعة فحسب ؛ بل قام بعضهم بتنظيم الفهارس المختلفة للكتاب المطبوع كما صنع الشيخ البهى فى كتاب طبقات الأطباء المذكور . فقد صنع فهرساً وافياً للأعلام ، وآخر للبلاد والمواضع والأماكن

(١) الأعلام للزركلى جـ ٣ ص ١١٠٣

(٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء صفحة ٢٧٤ جـ ٢

والمياه والأنهار[١] . وبلغت صفحات هذين الفهرسين وحدهما (١٢١ صفحة)

وليس عمل الفهارس للكتب المطبوعة القديمة أو الحديثة عملاً هيناً يسيراً ، ولكنه يقتضي دقة وبصراً من واضعه ؛ واشتهر من منظمي الفهارس اليوم الأستاذ محمد شوقي أمين الموظف بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ؛ فله فهرس[٢] منظم لكتاب البخلاء للجاحظ الذي طبعته وزارة المعارف العمومية بعناية الأستاذين أحمد العوامري بك وعلي الجارم بك ، وله فهرس لكتاب الحلل السندسية في الآثار الأندلسية الذي يطبعه الأمير شكيب أرسلان

وللكتب – مطبوعة كانت أو مخطوطة – آفتان : السرقة والنيران . ولقد عرف اللصوص قيمة الكتب وخاصة بعد أن اعتنى أصحابها بتجليدها وتزيينها ؛ فارتفعت أثمانها عند الأمراء والأثرياء واضطر هؤلاء إلى العناية بحفظها والقيام عليها وكانوا يكتبون على أولها عبارات تتضمن لعنة السارق والسخط عليه . وقد وجد على أحد الكتب هذا البيت من الشعر على لسان صاحب الكتاب :

إذا غرك الشيطان أن تجترى على
كتابي فعقبي المجترين الفضائح

أما النيران فهي آفة الكتاب الكبرى وبليته . فلقد أحرقت مكتبة الأمير نصر الساماني على نفاستها[٣] . واتهم بعض ذوي الأغراض عمرو بن العاص بإحراق مكتبة الأسكندرية وهي تهمة لا تستند إلى الحق . وأحرق التتار مكتبة بغداد وأغرقوا كثيراً منها في النهر سنة ٦٥٦هـ[٤] ، وكانت الكتب النفيسة في هذه الفتنة تباع بأوهى قيمة[٥]

ولما سقطت مدينة غرناطة في يد الأسبان أمر البطريق إيكزامينيس بإلقاء الكتب الإسلامية وخاصة العربية في النار . ونهب الأتراك في القرن العاشر ما وقع لهم من كتب المماليك وأضرموا النار فيها . ولا يغرب عن البال ما صنعه « كرمويل » في مكتبة اكسفورد فقد أمر بإحراقها وكانت أغنى المكتبات الأوربية في حينها

وهناك بلية ثالثة للكتب وهي العُثَّة التي تعيث فيها وتطيل ملازمتها لها بالأخراق والثَّقب ؛ واسمها بالإنجليزية : Moth Worm . وقد أطلق الإنجليز على كل شخص يطيل ملازمة الكتب والتنقير فيها كلمة Book-Worm ، وهي كلمة يفتخر العلماء وأهل البحث بأنها من صفاتهم .

محمد عبد الغني حسن

(١) ذيل طبقات الأطباء
(٢) كتاب البخلاء جـ ٢ ص ٢٣١
(٣) مجلة روضة المدارس
(٤) البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٣ ص ٢٠٢
(٥) التجارب النافعة لابن القوطي طبع بغداد صفحة ٢٢١

الإسلام ومكافحة الأمية

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

القراءة والكتابة هما أقوم السبل للتحصيل والمعرفة . وجاء عمل النبى صلى الله عليه وسلم من افتداء أسرى بدر بتعليم عشرة من أبناء المسلمين إشارة حكيمة إلى فائدة الكتابة وأثرها فى كسب المعرفة ، وعلى الأخص القرآن الكريم ، مما يؤدى إلى تثبيت الدين والعمل على انتشاره .

ثم اقتضى نظام العمران بعد انتشار الإسلام واستتباب أمره فى البلاد المختلفة شرقاً وغرباً ، إلى ظهور الكتاتيب لتعليم الصبيان القرآن والكتابة والقراءة وبعض النحو والعربية . وتناول معلم الكتاب الأجر نظير انقطاعه لهذا العمل بعد أن كان التعليم فى صدر الإسلام تطوعاً واحتساباً .

وظهور الكتاتيب الإسلامية أثر من آثار الإسلام اقتضته ضرورة الدين الجديد الذى يخاطب الناس كافة لا يقتصر على طبقة دون طبقة ، ولا يفرق بين الأغنياء والفقراء ، أو الأمراء والدهماء .

وكان الغرض الأول من التعليم دينياً خالصاً من شوائب الأهداف المادية التى تفسد على الناس أمورهم وتؤدى إلى الاضطراب والتنازع والفساد .

وقد سار الأمر فى مكافحة الأمية مع الروح الأولى الإسلامية تلك الروح المتدفقة القوية ، يصحبها العزم والإيثار والتطوع لتعليم الصغار والكبار . وليس فى القرآن نص على إلزام التعليم ولم يوجب الحديث ذلك . جاء فى الصحيح : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » . وهو أقوى ما يؤثر عن الرسول بصدد التعلم والتعليم . وهذا الحديث يجعل من تعلم القرآن فضيلة ولا يرتفع بها إلى مرتبة الواجبات

وقد بحث أحد علماء المسلمين هذا الموضوع ، أى مكافحة الأمية ، إلى أن انتهى إلى القول بها . ذلك العالم هو أبو الحسن القابسى المتوفى سنة ٤٠٣ هجرية ، فى كتابه « المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » . قال إن الوالد مكلف بتعليم ابنه القرآن والدين ، وحيث أن الوالد مشغول بتحصيل المعاش ، فلا بأس أن يحمل عنه معلم الكتاب مؤونة التعليم بالأجر . وإذا مات الوالد فليبعث بالصبى إلى الكتاب وصيه إن كان للصبى مال ؛ فإن لم يكن له مال فليبعث به أحد الأقربين أو المحسنين أو يدفع له حاكم البلد الأجر من بيت مال المسلمين .

والقابسى يتلمس جميع الوسائل المؤدية إلى تعليم الصبيان . إلى أن قال : « فإذا تهاون والد عن تعليم ولده فى الكتاب بالأجر ، جُـهِّل وقبِّح ووضُع حاله عن أهل القناعة والرضا » فهذا فقيه فى القرن الرابع الهجرى ينادى بالتعليم الإلزامى ، ويصور وسائله ، ويضع شروط الجزاء للمتهاونين فيه !

والفرق بين الإلزام الذى يقول به وبين الإلزام فى العصر الحاضر ، هو أن الدولة هى التى تنفق على التعليم ، وأن قوانينها تعاقب من يمتنع عن إرسال أبنائه بالحبس أو الغرامة ، أما القابسى فيضع جزاء أدبياً هو التجهيل والتقبيح .

على أن نداء القابسى لم يتبدد ، فقد وجد آذاناً صاغية من المحسنين والقادرين الذين حبسوا أموالهم على الكتاتيب ووقفوا لها الأوقاف ، وبذلك ازدهرت حياة التعليم فى القرنين الخامس والسادس .

فليذكر الذين يتأثرون خطي الغربيين ويأخذون بحضارتهم أن الإسلام نادى بالتعليم العام منذ ألف عام ، فى الوقت الذى كانت أوربا تعيش في التأخر والجهل

وليذكر الذين يعملون فى مصر الآن على « مكافحة الأمية » تلك الصفحة المجيدة فى حياة الإسلام ، لعلها تفيد فى رجع ما انقطع .

أحمد فؤاد الأهوانى

مسرحيــــة أخناتون

تأليف الأستاذ علي أحمد باكثير

للأستاذ لبيب السعيد

الأستاذ على أحمد باكثير شاب حضرمى طوّف فى الشرق ما طوف ، ثم استقر فى مصر يخدم الأدب والعلم . وقد بلوناه حيناً شاعراً له طابعه . وها نحن أولاء نرى فيه كاتباً تمثيلياً وقصاصاً يبشر إنتاجه بأن سيكون له فى المستقبل الدانى شأن أى شأن .

تُرينا هذه المسرحية أخناتون أميراً شاعرى الروح ، قضت زوجته (تادو) فكان حزنه عليها فوق الصبر ، وداعياً للالحاد والكفر ، ثم انثنى يتنكر لكل شىء ، ويدرس الديانات والفلسفات مما أخاف كهنة آمون على سلطانهم أن يزول حين يؤتى الأمير الملك

وتزوجه أمه من (نفرتيتى) موهمة إياه أنها (تادو) عادت إليها الحياة ، ويصدق هو ذلك لاعتقاده بإمكانه ، ويسعد بالزوجة الجديدة التى نسخ الحب فيها روح (تادو) ، ثم يضحى الأمير من بعد ملكا رسولاً . ولكن الرسالة التى فهم أن من مبادئها السلام تجنى على الملك الذى يقتضى الحرب ، فتنبعث الفتنة فى كل مكان ، ويكيد الكهان لأخناتون ، ويمضى هو مع ذلك فى إخلاصه للسلم والحب ، فإذا فشل أخيراً وآده اليأس ألحد فى ربه ، ثم يدرك وشيكا أن التسامى الشعرى غير الواقعية ، وأن لا مناص من السيف وحطم الظلم بالعدل . ويثوب إليه إيمانه وهو يحتضر

تومىء هذه المسرحية فى ثناياها إلى أن الجمال الباهر والحزن العميق يستطيعان أن يدقا الشعور ويهيئا النفس لتلقى الرسالات

ومن حسناتها اللامعة التفاتها الخاص إلى السيكولوجية : ومن مصاديق ذلك غيرة « نفرتيتى » من مجرد ذكرى ضرتها الميتة ، وأحزان « مى » أم أخناتون على زوجها بعد مماته ، وحنينها المؤثر إلى أيامه ، وغيرتها من كنتها ، وتغير إحساسها نحوها ، وموازنتها بين طاعة ابنها الذى يشفق على قلبها وطاعة زوجها الفقيد طاعة الحب العمياء ، وفزع الكاهن « سادو » من ذكر الثعابين حتى ليكاد من جبنه يحس دبيب الحية فى عنقه . هذه وغيرها صور وحالات استمدت جمالها وقوتها من اعتمادها على السيكولوجية

ومن أبرع وألذ ما حوت المسرحية ذكريات الأمير عن « تادو » بعد فجيعته فيها ، ما كان أمضها ذكريات ! ولكن ما كان أعذبها !

ومما يظفر أيضاً من القارىء برضاه واهتمامه شخصية « أمنوفيس » أبى أخناتون ، وما كان فيه من مجانة وطرب ، وفلسفته الظريفة فى تذوق الملاحة النسائية ، وتخريجه الساخر لمعنى الوفاء للمرأة ، ثم ما كان فى حياة أخناتون مع زوجته « نفرتيتى » من تعاطف رائع وأنس وسعادة ، ثم سذاجة (تاى) المربية المسرفة فى إعجابها بزوجها ، والتى تحزن لمرض (أخناتون) الأخير . ولكنها لا تتمالك إذ تراه يطالع اللانهاية فى عينىْ نفرتيتى ، أن تقول : آه ... ياليت (آى) يطالع فى عينىّ شيئاً ! وكذلك شجاعة القائد (حور محب) وإخلاصه ، وبلاهة (سمنتارا) وحقارته !

ونزعة المؤلف فى الأسلوب تظهر فى المسرحية إذ تقرر أن الديانات قد يعوزها أن تحمى نفسها بالسيف ، وإن الركون إلى السلام مفض لا ريب لفقد الممالك وسقوط الدين معاً

ورأى المؤلف فى التناسخ طريف وجميل وليس فيه مايتحرج منه

* * *

وبعد ، فأود أن أصارح صديقى المؤلف أنه كان أولى به أن يدع الأمير (أخناتون) يحدثنا بنفسه عن الآلام التى كان يصطخب بها قلبه فى أعماقه بدل أن يحدثنا بها كبير الكهنة

حقاً لقد راقب كبير الكهنة الأمير من بعيد قرابة شهر بحيث يراه ولا يدرى مكانه ، فهو يتحدث عنه على ضوء ماشاهد ؛ ولكن هذه المراقبة إن كفلت له الحديث الصادق عن مظاهر أحزان الأمير ، فليست بكافلة له أيضاً الحديث المسموع عن حشاشته التى تسيل زفرات ، وصبره الصامت الذى يكبت من حزنه الصارخ ، ونسيانه يومه وحنينه إلى أمسه الماضى وتفكيره فى غده الآتى ووراء غده ، وعن هفو آماله ... الخ

وأنا بعد أفهم أن الرسول هو بطبيعته وطوال حياته آخر من تعصف المصائب بإيمانهم ، ولكن أخناتون الذي تدور المسرحية على كونه رسولاً ، يسرف في الكفر : بكفر عند موت زوجته الأولى كفراً هائلاً ، ثم يؤمن حتى يسعد بزوجته الجديدة ، ثم يضطلع برسالته مخلصاً مطمئناً ، فإذا أحس الفشل عاد كافراً يتشكك ، ثم تخر صاعقة بقرب القصر فيزداد كفراً ، وينسى رسالته في صميمها ، فإذا استمع إلى كلام (حور محب) الذي يحاوره في براعة ولطف عاد مؤمناً ، فاستغفر لذنبه ، وذكر أنعم ربه ...

وأشخاص الرواية هم أخناتون وأهله ورجال القصر والكهنة فأين ابن الوطن ؟ أين هو يسمعنا آراءه تلقاء الدعوة الجديدة ، ويرينا موقفه إزاء جهاد الرسول وكفاح الكهنة ؟

***

بقي أن أقول إن الذوق العربي لا يستطيع غالباً أن يسيغ (النظم المرسل المنطلق) المصوغة فيه المسرحية لأنه لم يألفه . والذي أعتقده أن ما عمد إليه المؤلف من إرسال القافية في أغلب المسرحية وعدم المساواة في العدد بين تفعيلات الأبيات إخلال بالخواص الجوهرية للشعر العربي لا يحسن اللجوء إليه . والظن أن طريقة كتابة هذه المسرحية وهي على نسق طريقة شكسبير تحمل القارىء على بذل جهد خاص في القراءة كما حرص على تفهم المعنى واستساغة النغم الشعري . وعندي أنه لو كتبت المسرحية كالنثر ، بحيث تتصل الجمل دائماً حتى يستوفي المعنى ، وبحيث تستعمل علامات الترقيم أدق وأوفى استعمال لكان ذلك أدنى ألا يجهد القارىء في الاستمتاع بما في الرواية من بيان ومعان

على أن الإنصاف يقتضينا أن ننوه بالقدرة الممتازة التي أتاحت للمؤلف صوغ مسرحيته كلها من بحر واحد ، فإن القارئ للمسرحيات الشعرية العربيـة التي سبقت (أخناتون) كان ينتقل لحاة من بحر إلى بحر ؛ فكان ذلك قاطعاً للذته ومزعجاً لخاطره .

ذلك ولأخي المؤلف الناجح شكر مصر القادرة وفاءه وشكر الأدب الذي ينوط به آمالاً كباراً

(المنصورة) لبيب السعيد

نار . . ونفس ! !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ظَمِئَتْ نَارِي ! وَللنَّار كما للنَّاسِ خَمْرٌ وَرَحِيقُ
ولها حَانٌ ، وخَمَّارٌ ، وأقداحٌ ، وإبْرِيقٌ عَتِيقُ
ونداماها أسَى العُشَّاقِ ، والأحزانُ ، والسِّرُّ العميقُ ...

وَبكتْ نفسى ! وَللنفس دُموعٌ حَينَ تبكى وَشهيقُ
ولها كالحطَبِ المشْبُوب أزٌّ فى حشاهَا وحَرِيقُ
ولها كالأفُقِ الغَضبان إعصارٌ وَرعدٌ وبروقُ ...

فَسأَلتُ النَّارَ : مَنْ أظْمأ يَانَارُ عَلَى قَلبى لَظَاكِ ؟
كَيْفَ أسْقيكِ ! وأىُّ الخمرِ ترجُو مِنْ زمانى شَفتاكِ ؟
ما بكأسِى غيرُ نارٍ كالَّتى تحْمِلُ بلواهَا حَشاكِ !

وَسَأَلتُ النَّفسَ : مَنْ علَّمَ دَمْعَ العَين يجْرى فى حِمَاكِ ؟
كيف أسْقيكِ مِنَ السُّلوانِ والسُّلوانُ مَعنًى مِن أساكِ ؟
مَا بكأسِى غيرُ دمعٍ أترعَتْهُ مِنْ دَمِى يَوْماً يَدَاكِ !

قَالتِ النَّارُ : فَضحْتَ السِّرَّ ، فَاصْمُتْ ، لاتُحَدِّثْ عَنْ لَهِيبِى !
إنْ تكن نَارُكَ مِنْ نارِى فَلا تسْألْ عَن السرِّ الرَّهيبِ
وارْكَبِ الرِّيحَ ، وَخلِّ الجِنَّ يُسْرِجْنَ لها طَيْرَ الغيُوبِ
فإذَا شَارَفْتَ عَذرَائى تُناديكِ عَلَى شَطِّ الغرُوبِ ،
وَانْسَنِى فى جَذوةِ الأنفاسِ لاَ تزعجْ لَظى خمرِىْ وكوبى

وَهفَا بالنَّفْسِ مَا يَهفُو بِغُصْنٍ فِى يد الإعْصَارِ يَعْوِلْ
ثم قالت : كيفَ عنْ دمعى ومنكَ الدَّمعُ ياحيْرانُ تَسألْ ؟
إنْ أكنْ فيكَ سَكنْتُ الجسْمَ والجسْمُ تُرابٌ يتَنقَّلْ ؟
فأنا طَيْرٌ بِعرشِ اللهِ لى عُشٌّ وبُسْتَانٌ وَجَـدْوَلْ
إنمَا أبكى لِهذَا القَفَصِ الدَّاجِى الكَئيبِ المُتَمَلْمِلْ
لَمْ يجدْ أىَّ عزاءٍ فى وجُودِى ، كيفَ يغْدُو حِينَ أرْحلْ ؟ !

محمود حسن إسماعيل

كلمة تعزية

[إلى حضرة صاحب العزة عزيز بك أباظة مدير البحيرة شكراً على هديته ديوان « أنات حائرة »]

للأستاذ خليل شيبوب

ربعَ قلبي من هذه الأنَّاتِ (١) تتَلظَّى تَلظِّيَ الجمَراتِ
نثرتها في الشعر لوعةُ شاكٍ فجرت في الدموع منتظمَاتِ
أكبَرَ العصرُ آيةَ الخير فيها نزلت مثلَ مُحْكَمِ الآيات
جَدَّدَتْ سُنَّةَ الوفاء وأحيت عُنْصُرَ البِرِّ والهدى والثبات
بعد ما قيل نحن في عصر لهوٍ حافـــلٍ بالمجون والشهوات

يا أليفاً يبكي فراق أليفٍ كلُّ بينٍ هَيْنٌ إزاء المَمات
تلك شمس أنارت العمرَ لكن دهمتها مصارعُ النيِّرات
راعها الخسفُ بالبدور مُلِحًّا وذبولُ الغصونِ والزهرات
فهوت من سمائها وقضت في موكبٍ من أشعةٍ غاربات
ذهبت بالشباب والطهر والحسنِ وخـــيرِ الزوجات والأمهات
بسماء الهدى وروض الأماني ونعيمِ الهـــوى ومعنى الحياة
فإذا إلفُها المحـــيَّرُ لا يملك من أمره سوى الأنات
مرسلاتٍ على الأسى والتأسي في قوافٍ مفجوعةِ النغمات
نَدِيَتْ بالدموع فهي أكاليلُ من الزهرِ بالأسى عَطِراتِ
والفؤادُ المكلومُ لا يحسن التعبيرَ إلا بساكبِ العــبرات

حسبكَ اللهُ يا عزيزُ ورفقاً بشبابٍ نرجـــوهُ للنائبات
أنتَ من ترتجى البلادُ إذا ما حَزَبَتْها الأحداثُ بالأزَمَاتِ
إن من وَدَّعتكَ لم تمضِ حتى أنبتَتْ بعدها كريمَ النبات
فهيَ اليـــومَ حَيَّةٌ فيهم لا تأتلي من رَفْافَةِ الذكريات
فأتى اللهُ فيهم وَتَقَبَّـــلْ من محبيكَ أخلصَ التعزيات

خليل شيبوب

(١) راجع مجلة الرسالة عدد ٥٢٧

ذكرياتي ...

للأديب مصطفى علي عبد الرحمن

يا ليالي النورِ في تَحْوِ الشَّبابْ
ما الذي أغرى بنا كأسَ العذابْ
فَشَرِبناها حنيناً ونوى
أتناسيتِ الذي ولّى وغـــابْ
من نعيمٍ وفتونٍ وشراب
نتغنى كيفما شاء الهـــوى

وعيون الدهرِ عنـــــا غافلاتُ
تُسكر الأرواحَ منـــــا قُبلاتُ
ونشيع الأنسَ فينـــــا صَبَوات
وكؤوسٌ كلما نادى بهـا الداعي تدورُ
ومعانٍ من رحيق الخلد يرويها البشيرُ

كلُّ هذا كان يا دنيا لنا واللياليِ مثلما كُنَّا سُكارى
ما الذي أغراكَ يا دهري بنا فأحالَ العُمرَ همًّا وادّكارا
وتوارت بسمةٌ في شفتينا
وانطوى الحُلْم وولى من يدينا

***

يا حبيبي هل لأيامي الخوالي عودةٌ تحيي الذي ولّى وغابْ
من أمانٍ باسماتٍ وليالٍ كنَّ أحلى من جنى الخمرِ المُذاب
فنُغَنِّي مثلما كُنا نغـــني
فوق أغصان الشبابِ المطمئن
بين صفوٍ ونعيمٍ وشراب

مصطفى علي عبد الرحمن



إلى السيد حسن القاياتي

قرأت خطابك إلىّ فوجدته دون ما يحسُن صدوره عنك، وإلا فكيف جاز لك التوهم بأني أقول فيك ما دوّنته بقلمك نقلاً عن أراجيف المرجفين؟

أنا أقول إنك أديب خلقته الظروف، وألاعيب مصطفى القاياتي في السياسة؟

هذا كلام لا يقوله من يعرفك، كما أعرفك، وهو أيضاً كلام لا يقوله صديق في صديق، وأنت تعرف جيداً أني لا أقبل إيذاء أصدقائي بمثل ما نُقِل إليك، ولا بأيسر مما نقل إليك، فاقطع ألسنة الدساسين، واحفظ ما بيننا من العهود. إحفظ أنت، أما أنا فكما عهدت، ولن أتحوّل ولن أخون

ثم تطلب إلىّ أن أسأل نفسي عن الصلات التي كانت بيني وبين الدار القاياتية، وأنا أوجه مثل هذا السؤال إليك، فما أظنكم عرفتم رجلاً أصدق مني، ولا أحسبك تنسى أني أديت للشيخ مصطفى جميلاً يفوق الوصف ويفوق الجزاء، وهو جميلٌ سجلته أنت بقلمك في مجلة الكشكول سنة ١٩٢٤ بإمضاء «المَقوق» يوم كان إيذاء الشيخ مصطفى من هواك

أينا أوفى لذكرى هذا الرجل: أنا أم أنت؟

لو نطق التاريخ الأدبي لقال إني لم أكن راوية يوم عرفت داركم، وإنما كنت أستاذاً يساعد على خدمة أدبية تعرفها الجامعة المصرية، يوم اختارت الشيخ القاياتي خلفاً للشيخ المهدي

وتقول إنك أعددت عشرين مقالاً في نقد كتاب «النثر الفني» وأنك ستنشرها في الرسالة إن ضمنت أنها لا تجاملني، وأنك تنتظر مني كلمة الحق

وأقول إن الرسالة لا تجامل أحداً، فقدِّم إليها في نقدي ما تريد. ثم أقول إن هذه الكلمة هي كلمة الحق، فانقضها إن كنت تطيق

وجاء في كلامك أن لي في الأدب ألاعيب وتُرّهات، فمتى كان ذلك؟

أنا يا صديقي لا ألهو في الأدب ولا ألعب، فجِدُّ الأدب جِدٌّ وهزله جِدٌّ، ولا يصدُر عن قلمي إلا ما يرضاه وجداني

أما بعد فهذا ما تقرأ لا ما تَسمع، فخذ عني ما تقرأ ودَعْ ما تسمع، فما أذكر أني حادثت أحداً بالقاهرة منذ شهور طوال، ولا أذكر أنك خطرت في بالي قبل أن تنقل إلى «الرسالة» خصامك العنيف، يا أعزّ الخصماء

أنا ما أسأت إليك، وإنما أسأت أنت إلى نفسك بكسلك. ومع هذا تقول إن اللغة العربية لن تجد من يذود عن حماها غير قلمك، ونحن نعرف طاقتك في البيان

توكل على الله وانفض الغبار عن نفسك المكسال، فقد تُصبح ولك مثلي تُرّهات وألاعيب. وليس من العسير جداً أن تكون في منزلة الكاتب الأول والشاعر الأول.

زكي مبارك

الشعر العربي في المهجر

قرأت رأي الأستاذ الظريفي في تعليل طابع الشعر في المهجر، وأقرب إلى المعقول هو رأي قديم لي سبق أن أبديته في مناسبات أدبية لأفراد الجالية اللبنانية بكوم حماده، خلاصته أن هذا الأدب هو صراع عنيف بين عقليتين متباينتين: عقلية الشرق بما فيها من روحانية وسمو وتوكل، وعقلية مادية قاسية لا ترحم المتواني (خصوصاً في أمريكا الشمالية حيث ظهر معظم أدباء المهجر)، وكان نتيجة هذا الاصطدام الحنين إلى حياة الشرق بما فيها من دعة وبساطة، وهذا الحنين ظاهر في حياة أقطاب مدرسة المهجر، فكتابات جبران الإنجليزية والعربية تترجم عن ذلك بجلاء؛ وكأني به يريد أن «يتشرق» أمريكا قبل أن «يتأمرك» وهو وأبناء جلدته. وقد أقبل الأمريكان على فلسفته إقبالاً لا نظير له أصاب منه ثروة لا يحلم بها أديب من أدباء العالم. ومن دواعي عظمة هذا الرجل أن طبيبا عالماً من كبار أطباء انجلترا وفيلسوفاً يشار إليه بالبنان هو هافولك إليس كان يستشهد بأقوال جبران في كتابه المعظم «سيكولوجية الحب» ويدعوه بالشاعر النبي، ومع هذا الجاه كان جبران يحن إلى الشرق بقلبه وروحه ويود لو أمضى بقية أيامه في وطنه بين أحضان الطبيعة. وقد فاوض ذوي الشأن في شراء دير ماري سركيس بلبنان ليكون مقامه ولكن المنية عاجلته وقد نقلت إليه رفاته

مثل ذلك ما فعله ميخائيل نعيمة فقد أصاب ثروة فى أمريكا ولكنه آثر الدعة والبساطة فعاد إلى وطنه وعاش فى صومعة فى جبل صنين

ومنذ ربع قرن زار مصر فيلسوف الفريكة أمين الريحانى وقال فى حفلة تكريمه قصيدته المنشورة المشهورة : « أنا الشرق عندى فلسفات » وقد طلعت علينا وقتئذ مجلة السفور تندد بأدبه ، ومع أنه نال حظاً وافراً فى دوائر الأدب والنقد فى أمريكا كان يفر إلى منسكه بالفريكة كلما بهظه ثقل مادية أمريكا

هذه ظاهرة جلية لا يمكن تعليلها إلا بما أبديت من رأى .

وما أشبه أدباء المهجر بروسيا فقد أخذت من الغرب مدنيته ، ولكنها ظلت شرقية بروحها . وكان نتيجة هذا الازدواج أن أخرجت كتاباً ملهمين أمثال تولستوى ودستفوسكى وتشيخوف تفيض كتاباتهم بالروحانية

(كوم حمادة ـ بحيرة) **ف . ل يوسف**
عضو بالمعهد البريطانى للأبحاث الفلسفية بلندن

١ — إلى الأستاذ قطب

ألم تصدق إذن أن أعصاب الأدباء فائرة ثائرة ؟ وهل عدوت الحق حين أشرت إليك تلك الإشارة اللطيفة الخفيفة فحمّلتك الحق فيما بدر منك فى حق محاورك حين أضفته إلى سيداتنا وحبات قلوبنا « النساء » . ومع هذا فقد لتكما معاً فيما تراشقتما به من ألفاظ السماجة والصفاقة والمهاترة والغمز واللمز ، مما كنت أجلكما عن الوقوع فيه ... لولا هذا الصيف الجائر الذى جعلك تقول فى حبيبك وصفيك — دربنى خشبة — إنه رجل عامى فى ذهنه وفى نفسه ... وفى معايير أخلاقه !! بارك الله لك يا شيخ سيد فى ذهنك وفى نفسك وفى معاييرك الأخلاقية ... وبارك الله لك فى هـذا اللسان الطويل العريض الذى سينعقد لمحاكمته جلسة فى المكان الذى تعرف ، ومن الأصدقاء المحترمين الذين تعرف وأعرف ، ليقفوك — أو ليقفونى ! — عند الحدود التى أنساك الصيف ، كما أنسى الكثيرين من الأدباء ، أشراطها

٢ — إلى شعراء الشباب الأماجد

إلى إخوانى المحترمين باكثير والقاياتى وفوده والعجمى ، وإلى جميع شعراء الشباب الذين سهوت فلم أذكر أسماءهم فى مقالى عن الدرامة المنظومة والمسرح أقدم اعتذارى . ولن يُنقص جهلى بجهودهم فضلهم الأدبى الذى لا يجحد . وأشكر للأستاذ الفاضل محمد عبد الغنى حسن تلك الالتفاتة الكريمة التى تدل على سمو إدراكه الأدبى ، والتى تجلت فى إشارته إلى أخى الأستاذ باكثير ذلك للشاعر المجد المجاهد الذى تفضل فكتب إلى ليرأب ما انصدع من مقالى ، ولسوف أفرغ لدرامات الأستاذ باكثير فى فصل أو أكثر من فصل إن شاء الله . وسيرى المظلومون كيف تنصفهم الرسالة فى القريب العاجل . أما الأستاذ فوده — ذلك الصديق العزيز — فأستعيذ بالله من (مقالبه !) ومع أنى أقر بفضل شاعرنا القاياتى فى المنظوم والمنثور فإنى آسف إذ لم أسمع عن درامته شيئاً . وأعود فأقول إن جهلى بها لا ينقص من قيمتها ، والقاياتى الشاعر ، وعماد الشاعر ، والنشار الشاعر والصيرفى الشاعر ، والأسمر الشاعر ، والعشرات من شعراء الإسكندرية والأقاليم ، والمئات من شعراء الإلزاميين ، ليس هؤلاء وهؤلاء فى حاجة إلى الإشادة بذكرهم فى مقال لم يقصد منه إلى الحصر ولكن قصد منه إلى التمثيل ... وأوشكت هنا أيضاً أن يفوتنى ذكر الشاعر السيد قطب فتسْودُّ منى وقعته أكثر مما اسودت ، وهو الشاعر الذى أحب شعره جدا بمقدار ما أمقت نثره جداً ... متى يا ترى ينهض هؤلاء الشعراء جميعاً بحمل أعباء نهضتنا الشعرية وتزويد هذه النهضة بالدرامات والملاحم ؟

٣ — إلى أخى الأديب كمال نشأت

يا أخى لقد ظلمت فى كلمتك بيئتنا وظروفنا وأحوالنا وأغلبية شعبنا الذى لم تستثن منه الأقلية المتنورة ... ولقد ظلمت أيضاً ممثلينا جميعاً فلم تستثن منهم أحداً حين رميتهم بالأمية الشنيعة . يا أخى لقد ألف شوقى رحمه الله دراماته فأقبل الشعب بجميع طبقاته على شهودها وسر منها وتقبلها أحسن القبول ، والذين مثلوا تلك الدرامات أحياء غير أموات ، وقد بلغوا بتمثيلها الذروة . ولم يكونوا يلحنون أبداً ، ولم يكونوا يكسرون الشعر قط ، ونحن حين ننكر عليهم تلك الإجادة نظلمهم ونبخسهم بطولاتهم التى لو ظهرت فى أمة أخرى لرفعتهم إلى عليين ولأقامت لهم التماثيل ... يا أخى بحسبك ما يشقى به

ممثلونا من شقاء مادي فلا تُنكل بهم تنكيلاً أدبياً ... يا أخي لا تنكر أن ممثلينا يوسف وهبي وأحمد علام وزكي طليمات وحسين رياض وفتوح نشاطي وأمينة رزق ونجيب الريحاني وعبد الفتاح القصري ومختار عثمان وفاطمة رشدي وأنور وجدي وغيرهم ممن تضيق تلك الكلمة عن إحصائهم ... أولئك الممثلون الذين لا نعرف كيف نجزيهم وهم لا يقلون عبقرية عن أحسن الممثلين العالميين. لقد ذكرت في إحدى مقالاتي أن نسبة المتعلمين في انجلترا في عصر إليزابيث لم تكن تزيد عنها في مصر اليوم، فلم يمنع هذا من ظهور شكسبير وبن جونسون وأضرابهما، ولم تمنع من ازدهار المسرح الإنجليزي الذي كانت كل دراماته شعرية في ذلك الحين ... يا أخي لا تكن ظالماً وأوص من حولك بالإحسان إلى الممثلين

دريني خشبة

إلى الأستاذ ...

إلى هذا المجهول العلَم الذي تفضل فنشر بالرسالة (عدد ٥٢٩) كلاماً على لساني موجهاً إلى الأستاذ دريني خشبة حول مقاله: «المسرح المصري والدرامة المنظومة»

أما آرائي في بحوث الأستاذ خشبة فأحسب أن ما بيني وبينه من أواصر الصداقة والود يجعلني أوثر مشافهته

وأما أن يتفضل كاتب كريم فيذيل كلاماً باسمي وعنواني لم أقله، ولم أجره، فقد مضى زمن — وما يزال — وهذه البراعة المرتقبة حياء في خدمة الكرام الكاتبين، وما كانت يوماً بحاجة إلى عون، سواها للتعبير عن رأي لصاحبها، أو فكرة لحاملها

وأتقبل بشكر وسرور هذه المداعبة الظريفة. وإلى اللقاء.

(المجمع اللغوي) علي فروه

بين الشيخ شاكر والسيد رشيد

ذكر الدكتور مبارك في كلمته التي نشرتها الرسالة بالعدد (٥٢٣) عن روح الشيخ رشيد أن فضيلة الشيخ محمد شاكر (كتب) إلى الشيخ محمد عبده يدعوه إلى كف يده عن رعاية الشيخ رشيد رضا، فكان جواب الأستاذ الإمام: «كيف أرضى بإبعاد صاحب المنار وهو ترجمان أفكاري»

وقد ذهب الدكتور إلى أن الشيخ شاكر إنما فعل ذلك لخصومة بينه وبين السيد رشيد، ثم أخذ يعلل هذه الخصومة ويبين ما كان عليه هذا الشيخ من العنف وشدة العداوة الخ

ولكن الأمر يرجع إلى غير ما ذهب إليه الدكتور. ذلك أن الخديو عباس كان قد غضب على السيد رشيد لأمور لا نطيل بذكرها، فكان بطرس غالي باشا والشيخ شاكر لكي يسعيا لدى الأستاذ الإمام في أن يبعد هذا السيد عنه، فكان جوابه لبطرس باشا: «إذا كنت رجلاً ذا قيمة في الوجود فإنما ذلك بأخلاقي لا بوظيفة الإفتاء ولا بغيرها، وأي خلق يكون لي إذا تركت صحبة السيد رشيد لأجل الخديو؟ إن هذا الرجل متحد معي في العقيدة والفكرة والرأي الخ. وكان جوابه للشيخ شاكر تلك الكلمة المشهورة.

هذه هي الحقيقة نبينها للناس وما كان بين الشيخين الجليلين - شاكر ورشيد - إلا كل محبة وولاء. ورحم الله شيوخنا جميعاً

(المنصورة) محمود أبو ريه

تصحيح التصحيح!

متى كان الطعن في شخص الكاتب كافياً لهدم ما قال؟ أليس الأحرى بالأستاذ قطب أن ينصرف إلى الرد على الأقوال بدلا من الطعن في الأشخاص؟ إن الأستاذ قطب يقول عن زكريا إبراهيم: إنه لا يعلم له أو عنه شيئاً، فهل نسي الأستاذ قول القائل: «لا تنظر إلى من قال، ولكن انظر إلى ما قال!» ألا فليعلم حضرة الأديب الفاضل أنه ليس يضيرني أنْ لا يعرفني مثله، فأنا لا أحفل بمعرفة مَنْ هو عند نفسه أكبر من نفسه! ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه!

ولست أدري بعد ذلك هل من قواعد المدرسة الحديثة أن يعلن الإنسان عن نفسه على حساب الأدب، فيقول في جرأة غريبة إن في نثره «معاني كبيرة، وأحاسيس عميقة» ... إلى آخر تلك الصفاقة الغريبة التي تفيض بها أيضاً مقدمة ديوان «الشاطئ المجهول»؟! أما الجواب فهو عند الأخلاق الجديدة التي يضعها (لأول مرة) أستاذنا قطب، هادما فيها التواضع الاصطلاحي الكاذب! ... والرد حاضر أيضاً: فإن التواضع الذي ندعوك إليه - يا سيدي - ليس معناه أن ينزل الإنسان عن مستواه، وإنما معناه أن ينزل إلى مستواه!

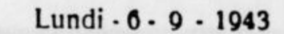
زكريا إبراهيم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11me Année No. 531

Lundi - 6 - 9 - 1943



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الممالك الأخرى
١٠ ثمن العدد ١٥ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٣١ « القاهرة في يوم الإثنين ٦ رمضان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٦ سبتمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

ذبح الفقراء لا يحل مشكلة الفقر

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب الأديب « إحسان » في مجلة « آخر ساعة » يروى عنى أننى قلت له : « ... يكفى أن يتمتع الإنسان بحريته ليعيش سعيداً حتى لو كان فقيراً ، وأن أى نظام أو أية محاولة ترمى إلى إزالة الفوارق الاقتصادية بين الطبقات إنما هي ترمي في أساسها إلى تقييد حرية الفرد ... »

ثم سأل الأديب : « ولكن هل يملك الفقير حريته كما يقول الأستاذ العقاد ؟ هل أستطيع أنا مثلاً أن أسافر إلى الإسكندرية وألقى بجسدى التعب على شاطىء البحر كما يفعل صديق عادل صدق بجل دولة صدق باشا ! ... لا نستطيع ، لأن حريتنا محدودة بجيوبنا . فالمفلس لا يملك حرية الخروج من منزله والجلوس على القهوة ، والذى في جيبه نصف قرش لا يملك حرية إشباع بطنه ... » الخ . الخ .

***

وفى نقل كلامى على هذه الصورة شىء من التحريف لأننى لا أقول إن الحرية وحدها تكفى الإنسان وتغنيه عن الطعام ، ولكنى أقول إن المذهب السياسى أو الاجتماعى الذى يسلبنا الحرية يسلبنا أعز نعمة فى الحياة الإنسانية ، بل يسلبنا كرامة الإنسان ويستحق منا المقت والازدراء

الفهـرس

وأنا لا أقول إن إزالة الفوارق الاقتصادية بين الطبقات ترمى إلى تقييد حرية الفرد ، ولكنى أقول إن تقييد الحرية الفردية لإزالة هذه الفوارق نقمة لا يرحب بها رجل كريم

وأنا أدافع عن الديمقراطية لأنها تؤمن بحرية الفرد وتصلح الناس إصلاح الأحرار المكلفين لا إصلاح العبيد المسخرين

ولكنى أمقت المذاهب السياسية الأخرى لأنها تسلب الحرية الفردية ولا تحل المشكلة الاقتصادية ، فتحرمنا الكرامة ولا تكفل لنا الطعام ، وهذا هو الحرمان الذى لا عزاء فيه ولا موجب لاحتماله ، والصبر عليه إلى زمن طويل

فالنازيون والفاشيون والشيوعيون يستغفلون الناس حين يقولون لهم إننا سلبنا كم الحرية ولكننا أرحنا كم من البطالة ودبرنا لكم الرزق بتدبير الأعمال ، لأنهم فى الواقع كاذبون فيما زعموه من تدبير الرزق وتدبير العمل ، وإن كانوا صادقين جد الصدق فيما أعلنوه من سلب الحرية وتسخير الكرامة الإنسانية

والنازيون اليوم يحتاجون إلى مليون عامل بل إلى مليونين بل إلى ثلاثة ملايين لو وجدوهم من الألمان أو غير الألمان

يحتاجون إليهم ويبحثون عنهم ويغتصبونهم اغتصاباً من كل مكان حكموه أو سيطروا عليه

فهل نسمى حاجتهم هذه إلى العمال نجاحا في كفاح البطالة وتدبير الأرزاق ؟

وهل هذا هو العمل الذى يريح الفقراء من أعباء الفقر ويتيح لهم الاصطياف على شواطىء الإسكندرية ؟

فكفاح البطالة على هذا المنوال هو الكفاح الذى يستطيعه النازيون والشيوعيون والفاشيون ، وهو الدواء الذى يربى فى الشر والبلاء على عشرة أدواء

والنتيجة ماثلة أمامنا لا تذهب بنا إلى بعيد

فالحرب الحاضرة وما جلبته على الناس من الكرب والألم والضيق والغلاء هي ثروة العلاج الذى دبره النازيون والشيوعيون والفاشيون لمشكلة البطالة وأزمة الأرزاق

وقد استطاع النازيون وأمثالهم أن يديروا المصانع ويستخدموا الأيدى العاملة لأنهم أداروا المصانع جميعها على تحضير السلاح وأدوات القتال

فاستراح الشعب الألمانى من مليون عامل عاطل بضع سنوات ، ولكنه عرض للقتل خمسة أو ستة ملايين من أولئك الفقراء فى سنة واحدة ، وسيخرج من الميدان وفيه عشرة أضعاف العاطلين الذين كانوا فيه قبل دخوله ، وإلى جانبهم عشرة أضعافهم من القتلى والمفقودين والمشوهين

أى حل هذا لمشكلة البطالة ؟

أى علاج هذا الذى يريحك من مليون عاطل بخمسة مليون قتيل ، ثم يصبح الشعب كله أو جله من العاطلين ؟

وليست المسألة هنا مسألة النظام السياسى الذى يطلقون عليه اسم النازية أو اسم الشيوعية أو اسم الفاشية أو اسم العسكرية اليابانية ، فإن النظم السياسية جميعاً تتساوى فى هذه القدرة متى لجأت إلى تشغيل الأيدى فى الذخيرة والسلاح ، وإن الديمقراطية لأقدر من المذاهب الأخرى على تشغيل الأيدى جميعاً فى إبان الحروب التى تساق إليها كما نرى الآن فى كل مكان رأى العين .

فلا ينبغى إذن أن يقال إن تدبير الرزق بالإكثار من مصانع السلاح والذخيرة مزية من مزايا هذا النظام أو ذاك ، فهى مزية ميسورة لكل من يختار هذا العلاج أو يندفع إليه ، ولا يزال من المحقق بعد هذا كله أن الديمقراطية تفضُل المذاهب الأخرى من شتى نواحيها ، لأنها تعترف بالحرية الإنسانية ولا تعجز عن علاج مشكلة البطالة على هذا المنوال حين تشاء

* * *

وبعد فأين هو النظام السياسى الذى يسمح لكل من شاء أن يسافر إلى الإسكندرية ويلقى بجسده المتعب على شاطئها ؟

هب الفوارق الاقتصادية قد زالت كل الزوال ولم يبق فى الأرض إلا أنداد متساوون فى الثروة والقدرة على المتاع وأراد هؤلاء أن يذهبوا إلى الإسكندرية فكيف يذهبون ؟

أيذهبون إليها بالبطاقات على حسب الدور ؟ أيذهبون إليها دفعة واحدة فى أسبوع واحد ؟ إنهم على كل حال مقيدون بالإمكان الذى لا سيطرة لهم عليه ، ولو استراحوا من تفاوت المراتب واختلاف الأرزاق

* * *

يروى أبناء البلد قصة طريفة عن الكلب الرومى والكلب البلدى اللذين اصطحبا على الخير والشر وذهبا إلى سوق الجزارين يبغيان الرزق من وراء الأوضام والسواطير

ذهبا أولاً إلى سوق الروم فإذا الحواجز قائمة على الدكاكين وإذا هى لا تبيح مدخلها لإنسان ولا حيوان بغير حساب ، وإذا

العظام فيها توضع حيث تصان عن الخطف والاختلاس

وقال لهما صاحب الدكان « إكسو » فخرجوا محرومين جائعين ، وطافا النهار على الدكاكين ولم يظفرا بغير إكسو التي يعقبها نذير الخطر ، أو بالقليل من العظم المنبوذ الذي لا خير فيه

ثم أصبحا من الغداة على سوق أبناء البلد فلم يحجزهما حاجز عن اللحم والعظم ولم يلبثا هنيهة حتى أصابا الشبعة من اللحم والعظم بغير نصب ، وسرهما أن يسمعا صاحب الدكان يقول لصبيه « ناوله » ويشير إلى الكلب الرومي الذي أوغل في داخل الدكان بغير مبالاة لاغتراره بقلة الحواجز والحراس ، فحسبا أنها مناولة إكرام وضيافة تغنيهما عن التسلل والاختلاس ، وانتظرا هذه المناولة انتظاراً غير طويل ، لأن الكلب المسكين لم يشعر بعد ذلك إلا بضربة من الساطور أوشكت أن تقصم صلبه ، وانطلق يعوى على غير هدى وهو يقول لصاحبه الذي طفق يناديه ويستعيده : لا لا يا صديق ... « عشرة إكسو ولا واحد ناوله ... »

والدجالون أعداء الديمقراطية قد لبثوا سنين عدة وهم يرفعون العقائر بحرب البطالة وهم يزعمون أنهم خلقوا عملاً لكل مستطيع لأنهم أداروا معظم المصانع على صنع الدبابات والمدافع والطائرات وأدوات الهلاك

وانظر أيها العالم الذاهل لقد هبط عدد العاطلين من ثلاثة ملايين إلى مليون !

وانظر مرة أخرى لقد هبط العدد من مليون إلى مئات قليلة من الألوف !

وانظر مرة أخرى لقد خلص الوطن من العاطلين أجمعين ، وزاد على ذلك أن استدعى إليه الملايين من عمال الأجانب المسخرين

ثم أفاق العالم من ذهوله على أضعاف أولئك العاطلين مقتولين ومجروحين ومشوهين ، ولن تنقضي مدة حتى تنجلي الهزيمة عن أضعاف أضعافهم من المساكين عالة على أوطانهم وعلى العالم كله عدة سنين

وهذه هي « المناولة » التي يحسنها الدجالون من أعداء الديمقراطية ، ويسمونها علاجاً لمشكلة الأرزاق ، وتسوية بين الطبقات ، وليست هي من ذلك في كثير ولا قليل

خير من كل علاج كهذا العلاج أن يقوم المجتمع على تعاون الطبقات فيفرض المعونة على القادرين لينتفع بها الضعفاء حقاً مفروضاً لهم في رقاب الأمة أو الدولة ، وأن يفتح للفقير باب السلم فيصعد عليه إلى الذروة حيثما استطاع ، وأن يتسابق العاملون في ميدان الحياة كما يتسابق الأحرار ولا يستكينوا فيها كما يستكين العبيد

فالكرامة الإنسانية تأبى أن تحل مسألة الأرزاق كما حلتها مصالح السجون في العالم المتمدن بأسره : كل مسجون ينام وهو شبعان ، وكل مسجون له عمل يحرك به يديه ، وكل مسجون يكسو جسده ويأوى إلى سقف يظله ويعرض نفسه على طبيب ولكنه لا يحسد على هذا النصيب

والعقل الإنساني يأبى أن تحل مسألة الأرزاق بالإكثار من مصانع الذخيرة والسلاح ، لأن علاج البطالة بالموت والخراب طب مجانين

إنما الكرامة والعقل أن نحفظ الحرية وأن نطلب الرزق مع الحرية ، وأن نؤمن بأن أخطاء الديمقراطية في تدبير مسألة الأرزاق أسلم من صواب مزعوم لا يثبت على التجربة برهة حتى يعصف بكل ما أفاد ، إن صح أنه أفاد .

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

حياة الأديب — الصديق — قلدوا قلدوا — الشيخ المراغي — النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة

حياة الأديب

دُعيت لإلقاء خطبة فى تأبين المرحوم عبد الحميد الديب فأجبت ، وكانت نيتي أن أقول رأيي علانيةً فى الحياة التي يحياها مثل ذلك الأديب ، لئلا يكون الإكثار من الثناء عليه إغراء بذلك اللون من الحياة القَفْراء

ثم رأيت الحفلة فوق ما كنت أنتظر ، فقد اشترك فيها خطباء وشعراء من الطراز الجيد ، وحضرها جمهور من أفاضل الناس ، وتُلِي فيها خطاب أرسله وزير الشؤون الاجتماعية وخطاب أرسله وزير الأوقاف . وتلك مظاهرة أدبية تمنع ما أردت أن أقوله فى نقد الحياة التي اختارها ذلك الشاعر المسكين

ولكن هذه المظاهرة بدت لي باعثاً جديداً على أن أقول ما نويت أن أقول ، فقد تجسَّم التخوف من شيوع البوهيمية بين فريق من أدباء الجيل الجديد ، وخِفتُ أن تكون هذه المظاهرة دعوة إلى تحلل الأديب من واجبات الحياة فى نظامها اللائق بأهل البيان

وكذلك انطلقت فقلت : إن عبد الحميد الديب كان على جانب من الأدب والذكاء ، ولكنه ظلم نفسه حين انخدع بالرأي المنحرف ، وهو رأي من يتوهمون أن البؤس يذكي المواهب ، ويزيد فى يقظة العقول . وقد آمن بهذا الرأي إيماناً فرض عليه أن يجعل همه فى الوصول إلى الظفر بلقب « شاعر البؤس » ، وهو لقبٌ لا يتمناه لنفسه إلا من حُرِم نعمة التوفيق . وماذا جنى عبد الحميد الديب من ذلك اللقب الطنّان ؟ كل ما جناه أن يعيش فى رحمة المترحمين ، ولا يحتاج إلى الترحم غير المساكين ، وإذا كان الأدب لا يمتع أهله بغير المسكنة فعليه اللعنة إلى يوم الدِّين !

ثم قلت :

أين الشريعة التي توجب أن نذل أنفسنا فى سبيل الأدب ؟

وما قيمة الأدب إن لم يجعلنا أعزّاء ؟

وما هذه الخرافة التي تقول بأن من حق الأديب أن يعيش بلا مهنة تغنيه عن سؤال الناس ؟

وكيف نهدي الناس إلى الخير ونحن نستهديهم المال ؟

هل ننسى قول أبي العتاهية :

لو رأى الناس نبيًّا سائلاً ما وَصَلُوهُ

إن الاحتياج إلى الناس بداية الانخذال ، ولو كانوا من الأهل والجيران ، فإن احتاج الأديب إلى معونة إخوانه وهو قادر على كسب الرزق بعرق الجبين فهو أديب زائف لا أديب صحيح

من واجب الأديب نحو أدبه أن يصونه عن إفضال المُفضِلين ، لينطق بكلمة الحق فى حرية وصراحة وإخلاص ، وهذا لا يتيسر للأديب المحتاج إلى الإفضال

هل تذكرون ألقاب شعرائنا وعلمائنا فى العصور الخوالي ؟

كانت ألقابهم أنساباً إلى الحِرف والصناعات ، ففيهم الزّجّاج والقفّال ، والتمّار والوقّاد ، والصبّان والبنّان والسّرّاج والحدّاد والزيات واللبان ، وكانت هذه الأنساب من أجمل التشاريف ، وهي باقية على الزمان

وإذا كان التاريخ سجل أسماء تكسّب أصحابها بالأدب فقد كان أولئك المتكسبون من حواشي الملوك . وقد اصطلح الناس فى كل زمان ومكان على أن هبات الملوك تحيات لا معونات

وهل يتقدم ملك بتشجيع أديب إلا وهو يعرف أنه يضع جوهرة جديدة بين جواهر التاج ؟

وما حظوظ الأدباء الذين ظفروا بهبات الخلفاء والملوك والأمراء ؟ ما حظوظهم فى التاريخ ؟

كانوا من الوجّهين فى الحيوات السياسية والأدبية والاجتماعية ، وكان إليهم المرجع فى تدبير شؤون الملك ، وكانوا المتصرفين فى شؤون السلم والحرب

فما هو حظ الأديب الذي ينتظر هبات من أدباء لا ملوك ؟

أعاذكم الله من احتياج الزميل إلى الزميل !

إن قتل النفس أهون من الاحتياج إلى الأخ الشقيق ، فكيف نستسيغ الاحتياج إلى الرفيق ؟

وفى أدبائنا من يتوهم أن نظم أبيات فى هذا الفلان أو ذلك العلان تمنحه الرزق ، فإن صح توهمه فسيكون رزقه من الرزق الحرام لا الحلال

إن رزق الأديب من الذوق ، واللمحة الواحدة من طلعة البدر قد تكون زاده الروحى إلى آخر الزمان

إن الأديب الحق ليس أسيراً للوطن ولا أجيراً للمجتمع ، فكيف يكون أسيراً لفلان ، أو أجيراً لعلان ؟

وعبد الحميد الديب لم يقتل نفسه عامداً متعمداً ، فأنتم خدعتموه وضللتموه ، وفرضتم عليه أن يستغيث بمعروفكم يا أشحاء !

تقول العبارة المصرية « فلان يقتل المقتول ويمشي فى جنازته » وأنتم القتلة لذلك المخلوق الذى وثق بكم ، وأنتم حملة المصاحف أو القماقم بجنازته العجفاء ، فما قيمة براعتكم فى الرثاء !

إن دموعكم يا قاتليه لن تنجيكم من غضبى عليكم

فاسمعوا هذه الكلمة ، واعلموا أن بكاءكم فى هذا الاحتفال سيمر بلا ثواب ، وقد يكون مجلبة العقاب ، لأنكم تزينون لسامعيكم حياة لا ترضونها لأنفسكم إلا مكرهين

ثم قلت : وماذا فى خطاب وزير الشؤون الاجتماعية ؟

إن فؤاد باشا سراج الدين يعِد بأن سيضع نظاماً يقى الأدباء شر التشرد ، وأنا باسمكم أعلن استقلال الأدب عن الحكومة ، فما يجوز أن نطالب الاستقلال لبلادنا ونطلب الحماية لأقلامنا

إن تطوعت الدولة برعاية أديب أعجزه المرض عن طلب الرزق فذلك عمل يستأهل الثناء ، ولكننا نرفض حمايتها لأديب يستطيع كسب القوت ولو بالفأس والمحراث

نحن لا نطالب الدولة بشىء ، وإنما نطالب أنفسنا بكل شىء ، فمن الواجب أن تكون لنا مشاركات فى جميع الميادين ، من الواجب أن نكون رجال أعمال ، كالذى صنع شيخنا طلعت حرب ، فقد حوّل ذوقه الأدبى إلى الاقتصاد . وبهذا استطاع أن ينظم أعظم قصيدة عرفتها اللغة العربية ، وهى « بنك مصر » ثم أردف القصيدة بمقطوعات هى تلك الشركات

وإذا بدا لنا أن ننسحب من ساحات الثراء فليكن انسحابنا عن زهد لا عن يأس ، ولنكن فى فقرنا نُسّاكاً لا عاجزين ، فنية التجرد عن الدنيا نية مقبولة ، على شرط أن تكون من وحى التحليق لا وحى الإسفاف

إن الأمم القوية تستطيع تلوين الأنظمة السياسية بشتى الألوان ، وتستطيع أن تبلغ صوتها إلى آفاق الشرق والغرب ، وتستطيع أن تعقد المعاهدات وتثير الحروب ، ولكنها لا تستطيع خلق الأديب ، لأن الأديب لا يخلقه غير فاطر السماء

الدنيا لنا ، إن شئنا ، فالمواهب الأدبية أعظم المواهب ، ولو بذلنا فى طلب الدنيا معشار ما نبذل فى طلب الأدب لكنا أغنى الناس ، فلتكفّ الدولة برّها عنا ، فنحن كأشجار الصحراء ، لا نرجو غير ندى السماء

أيجود الله علينا بالأدب ويبخل بالرغيف ؟

قولوا كلاماً غير هذا ، فلن يتخلى الله عنا ، وسنظل بفضله أغنى الأغنياء

المصريون

فى هذه اللحظة صلصل الهتاف مؤذناً برحيل الأستاذ طه الراوى عن القاهرة بعد دقائق ، فما الوسيلة لتوديع رجل كانت داره ولن تزال دار المصريين فى بغداد ؟

حين تقرر سفر الأستاذ صادق جوهر إلى العراق كان من الواجب أن أقابله أنا والدكتور عبد الوهاب عزام لندله على أصدقائنا هناك ، وقد دللناه على رجلين : طه الراوى ورضا الشبيبى ، مع حفظ الحقوق لسائر من عرفنا من كرام الرجال بوطن دجلة والفرات

وقد كان عجباً للناس أن يرونى أذكر العراق بالخير فى كل وقت ، وفاتهم أن يعرفوا أن المصرى حين يشرّق لا يكون همه إلا معرفة الكنوز المجهولة من فضائل الشرق

ونحن عرفنا العراق ، فهل رأينا فيه غير الجميل ؟ ولنفرض أن فريقاً ممن عاشوا فى العراق عانوا بعض المتاعب ، فمتى خلت الحياة مما يكدر الصفاء ؟

وهل نجد السعادة كاملة فى أى أرض حتى ننشدها كاملة فى العراق ؟

إذا عزّ علىّ أن أصافح الأستاذ طه الراوى وهو راجع إلى

بغداد فلن يعزّ علىّ أن أخلق ألف فرصة وفرصة للحديث عما يتحلى به من شمائل وآداب

قلدوا قلدوا

كان الأستاذ عبد الجبار الجلبي قد صارحني بأنه غيرراض عن القاهرة، لأنها أصبحت صورة منقولة من المدائن الأوربية، وقد أجبت بأن مزية مصر هي سرعة النقل، وقد نقلت مصر فكرة الانتفاع بالسكك الحديدية قبل أن ينقلها الأتراك، مع أنها كانت في ذلك الوقت ولاية تركية

وحين دخلنا سنتريس قال السيد عبد الجبار: إن مدخل منتريس مدخل قرية أوربية لا قرية شرقية، فكيف انتقل التقليد إلى الريف؟

فأجاب الأستاذ الراوي: لقد حان الوقت لتبديد النصيحة السخيفة، نصيحة من يقول: لا تقلدوا مثل القرود، فما كان القرد أذكى أنواع الحيوان إلا لأنه يقلد كما يقلد الإنسان، وهل كان الحمار حماراً إلا لأنه يغفل عن التقليد؟ وهل أفلحت انجلترا إلا بتقاليدها ما يجد من الاختراعات الأوربية والأمريكية؟ قلدوا مثل القرود، ولا تغفلوا غفلة الحمير، فنحن نرى قرداً يعلو ظهر حمار، ولا نرى حماراً يعلو ظهر قرد

الشيخ المراغي

في محطة القاهرة رأينا شيخاً من بُعد، فقال ضيوفي: مَن هذا الشيخ المهيب؟ فقلت: هو الشيخ المراغي، فتعالوا نسلم عليه، لتقولوا إنكم سلمتم على شيخ الأزهر الشريف

وأسرعت فاستوقفت الشيخ ليسلم عليه ضيوفي، فقال الشيخ حين رآهم: هل جئتم للسؤال عن طبيب ليلى المريضة في العراق؟

فقال الأستاذ الراوي: يا سيدي، إن الناس «يقولون ليلى في العراق مريضةٌ» هم يقولون، يقولون

فهتفتُ: وأنا أيضاً أقول، وليلى تفهم ما أريد

وفي القطار قال الأستاذ الراوي: إن الأزهر لم يَر مثل الشيخ المراغي منذ ثلثمائة سنة. فقلت: وهل تنسى الشيخ محمد عبده؟ فأجاب: الشيخ محمد عبده شخصية دولية لا أزهرية، ولو كان الشيخ عبده في صبر الشيخ المراغي لأتى في إصلاح الأزهر بالأعاجيب. إن الشيخ عبده كان ثائراً، والثوّار لا يسلمون من أذى الجهلاء، أما الشيخ المراغي فهادئ، وهدوء المصلحين يُشبه هُدوء الينابيع المطمورة في جوف الأرض، فهو يتحرك والناس يظنونه في سكون. ولقد قرأت له كلمات في تفسير بعض آيات القرآن تضعه في الصف الأول بين رجال الاجتهاد

قلت: والحكم بأن الأزهر لم يرَ مثل الشيخ المراغي منذ ثلثمائة سنة فيه جورٌ على أسلافه من الأكابر، وفيه جورٌ على الذاتية المصرية، وسأدعو الأستاذ الأكبر إلى وضع كتاب تُسجّل فيه المناقب الكريمة لمن تولوا مشيخة الأزهر الشريف

النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة

منذ أعوام أخرج الأستاذ ابراهيم مصطفى بحثاً طريفاً سماه «إحياء النحو» فردَّ عليه الأستاذ محمد عرفة بكتاب جيد سماه «النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة»، ومن ذلك البحث وهذا الكتاب ظفرنا بثروة أدبية تذكر بالجهود الكريمة للنحاة القدماء

وكان المنتظر أن يتشعب الجدل بين هذين الرجلين، وأن تثور حربٌ نحوية تنتهي بأن يكون للمصريين مذهبٌ في النحو ينافس مذاهب البصريين والكوفيين والبغداديين

ثم لاحت فرصة الجدل حول «تيسير النحو»، فظهرت أبحاث تبشر بطلائع جديدة في الدراسات النحوية، وتبعتها تعقيبات في الجرائد العراقية والسورية

ثم ماذا؟ ثم سكتت الأصوات، وانصرف المجادلون عن حومة الجدال، مع أن النحو لن يحيا إلا إذا صيرناه من المشكلات العقلية، لنجذب إليه أنظار المتأدبين، ولننفض عنه غبار الخمول، فهل نرجو أن تثار معركة النحو من جديد؟

زكي مبارك

١ـ نشأة الدرامة الأنجليزية

للأســتاذ دريني خشبة

لا نرى بدا ، ونحن ندعو إلى سلك الأدب المسرحى فى الأدب العربى ، من أن نضع موجزاً نافعاً عن نشأة الدرامة فى كل من الممالك الأوربية بين أيدى أدبائنا الشباب الذين نعتمد عليهم فى إحداث تلك الثورة فى الأدب العربى ، أولئك الشباب الذين لم يتيسر لهم تعلم لغة أجنبية ينفذون منها إلى الثقافات الأدبية الحديثة ، أو الذين تعلموا إحدى تلك اللغات ، ثم صرفتهم شواغلهم الكثيرة عن التفرغ لدراسة آدابها ، وأدبها المسرحى بوجه خاص ، وسنحاول فى هذه الخلاصات أن نجعلها مشوقة مثيرة لحب الاستطلاع فى نفوس القراء ، بحيث نباعد بينهـا وبين الجفاء العلمى ما وسعنا إلى ذلك من سبيل ...

أما لماذا آثرنا أن نبدأ بنشأة الدرامة الإنجليزية فذلك لما لها من المنزلة التى لا تجحد بين زميلاتها من الدرامات العالمية ؛ ثم لأنها فى نظرى على الأقل ، توائم الكثير من مشاربنا فى الحياة بما نتوخاه من الفضيلة ، وتفيض به من الرجولة الكاملة ، ولأنها فى الجملة ذات أغراض عالية ، وأهداف أرفع

***

وقبل أن نخوض فى تفاصيل نشوء الدرامة الإنجليزية ، نرى أن نلم شعث هـذا البحث الطويل المتشعب فى مجالة قصيرة نستعين بها فى ضبط الموضوع كله ، وإليك هذه المجالة :

١ — نشأت الدرامة الإنجليزية فى طورها الأول فى ظل الكنيسة ، وكانت تنقسم فى ذاك الطور البدائى إلى قسمين ، أو إلى نوعين : الأول ، النوع الإنجيلى ، أو السمى ، وكانت موضوعاته وشخصياته مستمدة من الإنجيل أو الكتاب المقدس بوجه عام . ويسمى هذا النوع بالإنجليزية : Mysteries . أما النوع الثانى فهو القديسى أو الكرامى . وموضوعاته وشخصياته مستمدة من حياة القديسين المسيحيين وكراماتهم ولذلك سماه الإنجليز Miracle Plays

٢ — أما الطور الثانى فهو الطور « النقابى » ، وهو الذى كان يتولى جميع شئون التمثيل فيه نقابات Gilds أو Guilds من أصحاب الحرف المختلفة ، وكانت معظم دراماتهم من النوع القديسى أو الكرامى

٣ — ثم الطور الأخلاقى ، وهو الذى ينسخ الدرامات الإنجيلية والقديسية ويحل محلها درامات أخلاقية أبطالهـا وموضوعاتها الفضائل والرذائل ، لا زيد ولا عمرو ، فيلبس رجل لباساً شنيع الهيئة ليمثل الشر ، ويلبس رجل آخر لباساً جميلاً ليمثل الخير ، وهلم جرا ، ويدعى النقاد الإنجليز المسرحيون المحدثون أن المذهب التعبيرى الذى قام في ألمانيا قبل الحرب الحاضرة إنما قام على أنقاض هذا الطور الأخلاقي من أطوار نشوء الدرامة الإنجليزية ، وقد أشرنا إلى ذلك فى كلامنا على المسرح الألمانى ، وسوف نعود إليه إن شاء الله فى حينه . وقد نشأ إلى جانب الدرامات الأخلاقية أو ال Moralities كما يسمونها نوع مستقل فكاهى من قبيل (الفواصل) المضحكة التى تعمل فى الحفلات عندنا ، ولذلك فهم يسمونه : Interludes . ولا بأس من الإشارة فى هذه المجالة إلى أن النوع الأخلاق إنما نبتت جذوره فى النوع الإنجيلى ، وذلك لأنه يمثل الجد والوقار والاحتشام الذى يقتضيه الدين ويلازم كل ما له علاقة بالكتاب المقدس . وأن نوع الفواصل إنمـا نبتت جذوره فى النوع القديسى أو الكرامى ، لأنه يمثل الهزل ويعنى بالتضحيك والسخرية

٤ — أما الطور الرابع فهو طور المأساة العظيم الذى شق للأدب الإنجليزى طريقة إلى تسنم الذروة بين الآداب العالمية جماء

ويلاحظ فى هذا التطور أنه يشبه إلى حد بعيد تطور الأدب المسرحى عند اليونان القدماء ... ذلك الأدب الذى لخصناه لقراء الرسالة منذ ثلاث سنوات .

الطوران الأول والثانى

لمـا كانت أغلبية الشعب الإنجليزى أغلبية أمية لا تقرأ ولا تكتب ؛ ولما كان كتاب هذه الأغلبية المقدس مكتوباً لما إما باليونانية أو اللاتينية ، وذلك قبل أن يترجم إلى الإنجليزية ، فقد كان رجال الدين يلقون الأمرّين فى تلقين الشعب مبادئ

دينه ، كما كان يتعذر عليهم تلقينهم قصص التوراة وقصص الإنجيل ، مما لا بد لكل شعب متدين أن يلم به ، لما فيه من العبرة والموعظة الحسنة ، ولما له من الأثر فى غرس محبة الدين فى القلوب المؤمنة ، والتغلغل به فى سويداواتها ... من أجل ذلك اضطر رجال الدين إلى استخدام التمثيل وسيلة فذة لبلوغ أربهم إلى ألباب الشعب والوصول فى سرعة ويسر إلى تثقيفهم بثقافة كتبهم المقدسة فنجحوا فى ذلك نجاحاً باهراً على الرغم من أن جميع الدرامات الإنجيلية Mysteries التى كان يمثلها القسس أنفسهم فى البيع والكنائس إنما كانت تمثل باللغة اللاتينية ، تلك اللغة التى كان الشعب قليل الإلمام بها ، حالة مسلمى الترك والهند والصين وجاوة اليوم باللغة العربية . وكان القسس يحافظون بقدر المستطاع على حرفية الكتاب المقدس فى التمثيل ، وإن كانوا أحراراً فى اختيار الملابس التى يرونها لائقة ووافية بالغرض .

ولهذا لم تكن الدرامات الإنجيلية تصادف من النجاح وإقبال الشعب ما كانت تصادفه الدرامات القديسية أو الكرامية المستمدة من حياة القديسين وكراماتهم الخارقة ، لما كانوا يتمتعون به من حرية فى صوغ الحوار وتكييف الحوادث تكييفاً يُسهّل خلق الجو المسرحى ، ويطلق العنان للمبالغة فى الأداء لضمان السيطرة على ألباب الجماهير والضرب على أوتارهم الحساسة ، ثم لما فى الخوارق من عناصر الخيال والخروج على مألوف الحياة العادية مما يضمن نجاح ذلك النوع من التمثيليات بالقدر الذى لا يتفق للتمثيليات الإنجيلية . أما أمثلة الدرامات الإنجيلية فكثيرة . وهى تشمل كل ما جاء فى الكتاب المقدس من قصص رائع معروف من الجميع

أما الدرامات القديسية Miracles فقد زاد فى نجاحها وضاعف من إقبال الجماهير عليها أداؤها بلسان الشعب باللغة الأنجلوسكسونية ، وكان ذلك لأول مرة إبان حكم الملك إدورد الثالث (١٣٢٧ — ١٣٧٧) أى فى منتصف القرن الرابع عشر على وجه التقريب ، وهو التاريخ الذى يعتبر بحق فجر النهضة التمثيلية فى انجلترا . وكان لهذه الدرامات مواسم تمثيلية تشبه ما كان عند اليونان منها . وكانت هذه المواسم هى الأعياد الدينية بوجه عام مثل : عيد الميلاد ، وعيد الفصح أو عيد القيامة Easter وأحد العنصرة أو الـ Whitsuntide وعيد الجسد أو القربان المقدس Corpus Christi . ولا غرو أنه كانت هناك مناسبات خاصة لتمثيل هذه الدرامات ، فمن ذلك حفلات الزفاف واستقبال الملوك وقيام الحجاج إلى الأراضى المقدسة والمناسبات السياسية وتدشين البنايات الهامة ... الخ ...

ويمضى الزمن ، ولشدة إقبال الناس على التمثيل ، بحيث لم تعد هيئة الإكليروس كافية للقيام بتمثيل مئات الدرامات التى ظهرت بناء على قانون العرض والطلب ، انتقل زمام التمثيل من أيدى القسس إلى أيدى رجال النقابات Guilds التى كانت تمثل الطوائف المختلفة للعمال . وهذا هو الطور الثانى الذى ازدهر فيه التمثيل الإنجليزى أيما ازدهار ، وذلك لروح التنافس بين هذه النقابات ، ولما كانت تلك الطوائف تنفقه من المال والجهد والعناية وتحرى أصول الإخراج لتبلغ دراماتها القديسية حد الإتقان ، ولما حدث بعد هذا من التنافس بين المدن الإنجليزية للوصول بتمثيلياتها إلى حد الكمال . فهذه لندن ، وتلك دبلن ، ثم يورك وشستر وكوفنترى ولانكاستر ... وكل المدن الكبيرة وكثير من أمهات القرى الإنجليزية ، تبذل من العناية والمال فى ذلك ما كانت تبذله أثينا وغير أثينا من مدن اليونان القديمة . بل ربما زادت عليها كثيراً

وكانت كل نقابة تصنع مسرحاً متحركا فوق عجلات أربع أوست ، مركب من طابقين يستعمل الممثلون السفلى منهما لتبديل الملابس ولعمل الدمام (المكياج) وتؤدى التمثيليات فى الطابق العلوى . وكانت هذه العربة أو الـ Pageant تطلى بألوان غريبة تلفت النظر ، وكانوا يستعينون على تكوين المناظر بوسائل فجة ، فكان السحاب مثلاً يرمز إليه بأقمشة داكنة أو بيضاء حسب المنظر المطلوب . فإذا كان المراد أن يبرز ملاك من بين السحب انفجرت سحابتان وبرز من بينهما تمثال خشبى لهذا الملاك ؛ أما الشجر فكان يمثل بأشجار اصطناعية ، وكذلك البيوت والمدن والقلاع والحصون . كما كان يرمز إلى الجحيم بوجه كبير مسخ ، ذى أنف أحمر ضخم ، وفم مهول تبرز منه أنياب مرعبة متحركة . أما العينان فكانتا كُوّتين كبيرتين فى هذا الوجه ، وكان يوضع خلفهما مشعلان فينفذ اللهب من الفجوتين فيضاعف فى شناعة ذلك الوجه . وكانوا يستعينون ببرميل ضخم يطبلون داخله بآلة لأحداث صوت الرعد ، أما العواصف فكانوا

يحدثونها بنفخ قرب كبار تشبه منفاخ الحدادين ، ثم يسلطون الهواء المنبعث منها على أقمشة رقيقة فتوهم الأثر المنشود

وكانت الجياد تجر هذا المسرح من حى إلى حى ، ومن ملتقى شارع كبير بشارع كبير آخر ، ومن ميدان إلى ميدان . وفى كل من هذه (المواقف) تمثل رواية من تلك الروايات القديسية فيجتمع الناس ، ويتزاحم الشعب بالمناكب ، ويتركون متاجرهم مدفوعين بعامل حب الاستطلاع ، والتفرج بالمجان بهذه الفُـرَج المليحة التى تنشر الهدى ، وتسكب النور فى ظلمات القلوب ، وتفتح أبواب الجنة للضالين ، على حد ما وصف أحد القسيسين تلك المسارح . وكان الجمهور لهذا السبب ينتظر أعياده ويرتقبها بصبر فارغ وتشوف عظيم ، لينعم بشهود تلك الدرامات التى يلتمس فيها مُثُله . وكان التمثيل يبدأ قُبيل العيد بأيام وينتهى بُعيده بأيام أخرى ، ولذلك فطالما كانت الأعياد الدينية تنقلب فتكون مواسم تمثيلية يتثقف بها الشعب ويتصل فيها بالقديسين والشهداء من أبطاله الدينيين اتصالاً وثيقاً . وكانت النقابات تبتكر الوسائل الممكنة للحصول على المال الذى هو عصب كل مشروع يرجى نجاحه ، فلما آنست من الناس هذا الإقبال على شهود دراماتها ، لم تر ضيراً فى أن تنتهز تلك الفرصة لتعرض مشروع (المزاد التمثيلى !) وكان ذلك فى سنة ١٤١٧ فالحى الذى يعطى مزاداً أضخم من الحى الآخر هو الذى يفوز بتمثيل الروايات فيه ، والمنزل الذى يهب النقابة مبلغاً أكبر هو الذى يسعد بوقوف المسرح المتنقل قريباً منه ليسهل على أهله التفرج والاستمتاع فى هدوء وراحة وإدلال على الناس

وقد وفِّقت النقابات إلى تنظيم العمل فيما بينها ، وتقسيمه تقسيما لا يضر بكيانها ، ذلك الأضرار الذى يسببه التنافس أحيانا مهما يكن تنافساً شريفاً مشروعاً . وكان يراعى فى ذلك التقسيم أن تتناسب الدرامات ونوع المهنة التى تمثلها النقابة ، ففى عيد الفصح Easter تمثل نقابة الدباغين درامة « سقوط الشيطان The Fall of Lucifer » ، وتمثل نقابة تجار الأقمشة درامة « الخلق والسقوط Creation & Fall » فى حين تمثل نقابة السقائين أو نقابة صيادى السمك دامة « طوفان نوح » . وكانت بعض هذه الدرامات تنال من استحسان الجمهور ما يقتضى استمرار عرضها وتمثيلها مرات متتالية أياماً متوالية ، فقد حدث أن استمر عرض رواية « أمور من قصة خلق العالم » ثمانية أيام متتالية ، وذلك فى عهد الملك هنرى الرابع سنة ١٤٠٩ فى حى إسلنجتن بلندن . ولم تكن هناك أية عناية أو احتفال بالمناظر المسرحية المعروفة اليوم ، فى حين كانت العناية الفائقة قاصرة على الملابس ، والأدوات التى لم يكن بد من استعمالها أثناء الأداء ، فهنا كانت النقابات تنفق عن سعة ، ففى رواية « يوم العدالة » مثلاً ، وهى من أكثر الروايات فى الممثلين عدداً ، كان الممثلون الذين يؤدون دور « العاصين من أهل جهنم » يرتدون ملابس من الكتان صبغت بالأصفر والأسود والأحمر إشارة إلى الألوان السائدة فى الجحيم . أما الممثلون الذين يؤدون دور « الأرواح السعيدة الناجية » فكانوا يرتدون ملابس بيضاً من الجلد الرقيق المدبوغ ؛ وإذا تصورنا عدد أولئك الممثلين فى مثل هـذه الرواية ، أدركنا المبلغ الضخم الذى كانت تصل إليه أثمان ملابسهم المصنوعة من تلك الجلود الغالية ، وذلك بالإضافة إلى أجور الممثلين التى كانت تتراوح بين أربعة عشر بنسا وأربعة شلنات ، وهى تسوى عشرة أضعافها بعملتنا الحاضرة ...

ومن الروايات التى كان إخراجها يتكلف كثيراً من النفقات نوع تنكرى يسمى الماسك Masques ومنه النوع التنكرى الإنجليزى المسمى Disguising والذى كان الممثلون يرتدون فيه أغلى أنواع الملابس وأشدها بريقاً ولمعاناً ـ وقد أتى هذا الطراز إلى انجلترا من إيطاليا ثم انتشر فى عصر الملك إدورد الثالث ، ثم ألف فيه المسرحي الإنجليزى العظيم بن جونسون الروائع والغرر

ولعل أقدم الدرامات القديسية التى وصلتنا من هذه العصور هى تلك الدرامة المسماة « القديس نيقولا St. Nicolas » والتى ألفها باللاتينية أديب إنجليزى من أدباء القرن الثانى عشر اسمه هيلاريوس وقد أهداها إلى كنيسة القديس المسمى باسم درامته . وملخصها : أن رجال الكنيسة فى عيد هـذا القديس يرفعون صورة القديس نيقولا من موضعها فى الكنيسة ، ثم يجلس فى مكانها ممثل بارع يستطيع أن يضبط حركاته ويحبس أنفاسه بحيث يظن من يراه ، بل يتأكد ، أنه تمثال وضع هناك للقديس صاحب الكنيسة ؛ وحينما تنتهى الصلاة وتعقبها تلك

المشكلات

٤ - اللغـــة العربية

للأستاذ محمد عرفه

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

فى الأمثال العربية — قتلت أرض جاهلها ، وقتل أرضا عالمها — ومعنى ذلك أن من سلك أرضا وكان جاهلاً بطرقها ضل وهلك ، ومن سلك أرضاً وكان عالماً بمسالكها قطعها ونجا منها . وهذا لا يختص بالأرض والمسافر ، بل يعم كل من يزاول أمراً من الأمور ، فإن زاوله عالماً به تغلب عليه ، وإن زاوله عن جهل خاب فيه

للعلم سلطانه القاهر ، والمتسلح به متسلح بسلاح الظفر ، وللجهل عثراته الموبقة ، والمتسلح به متسلح بسلاح مفلول . إن الأمم التى تحل مشاكلها مستضيئة بنور العلم تنجح فيما تحاول ، وتتغلب على الصعاب التى تعترضها ، والأمم التى لا تستهدى العلم ولا تستشيره فى مشكلاتها ، لا تكاد تحل لها مشكلة

وما الفرق بين الأمم المتحضرة والأقوام الهمج ، إلا أن الأولى آمنت بالعلم وبسيطرته على الوجود ، فسمت للكشف والمعرفة ، وكلما علمت شيئاً استفادت منه فى حياتها ، وأن الثانية لا تؤمن هذا الإيمان بالعلم ، ولا تعترف له بهذه القدرة ، فهى تحل مشاكلها بما يأتيها به عفو الخاطر ، فتعثر دائماً ويلج بها العثار

وخير علاج ما يكون مبنياً على طبائع الأشياء ، فأول ما يبدأ به معرفة طبيعة الشيء ، ثم يعالج على حسب هذه الطبيعة وبنور هذه المعرفة

وعلى هذا فخير ما يعمل لحل مشكلة اللغة العربية أن تعرف طبيعتها ومن أى جنس هى ! وما خصائص هذا الجنس ! وقد أدركت ذلك واقتنعت به ، ونريد أن نقنع به القراء

قضيتان إن آمنتم بهما سلمتم معنا بما نريد : إحداهما أن اللغة فى المتكلمين بها ملكة . ثانيتهما أن الملكة لا تكتسب إلا بالتكرار لا بالقواعد فحسب

إذا استطعت أن أقيم الدليل على هاتين القضيتين وصدقتم بهما وجب أن تصدقوا أن اللغة لا تكتسب بالقواعد فحسب ، بل بالتكرار والحفظ والمحادثة ، وسأحاول ذلك فيما يأتى :

اللغة : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . والتعبير باللغة والفهم عنها يقتضى أمرين :

١ — السرعة ؛ فكلما خطر بباله معنى خطر اللفظ الدال على مفرداته ، وخطر التركيب الدال عليه فى وحاه ، وكلما سمع جملة فهم معانى ألفاظها وما يدل عليه التركيب

٢ — الإجادة ؛ وذلك بأن يكون جارياً على قوانين هذه اللغة لا يخطىء فيها ، وذلك لا يكفى فيه أن تكون اللغة معلومة فحسب ، بل لا بد أن تكون ملكة ، أى حالة راسخة فى النفس ، لأنها إذا كانت معلومة علماً ساذجا ولم تصر ملكة ، وأراد المتكلم التعبير عن معنى ، فكر وروى فى اللفظ الذى يدل على ذلك المعنى ، واستعرض الألفاظ المخزونة فى حافظته حتى يعثر به ، ثم فكر فيما يعلمه من تراكيب هذه اللغة ليختار التركيب الذى يفيد ذلك المعنى ، ووضع اللفظ فى هذا التركيب ، وأعطاه الأحوال المناسبة ، وذلك يقتضى جهداً وزمناً ، وربما ينقضي بياض النهار وسواد الليل فى تعبيرين أو ثلاثة ، ما دامت اللغة علماً ساذجا . أما إذا عمقت إلى أن صارت ملكة ، فانه إذا أراد التعبير عن معنى انثالت عليه الألفاظ ، وانثالت عليه التراكيب دون جهد ومشقة ، سريعاً لا يبطىء ، مصيباً لا يخطىء

وقياس ذلك قياس العامل الذى يصف الحروف للطبع ، فانه إذا كان مبتدئا واقتصر على العلم بأمكنة الحروف ، وأراد بعد هذا العلم الساذج أن يصف حروف كلمة اقتضاه ذلك من

اللحظة من الصمت الرهيب ، يقبل رجل كافر لا دين له من أغنياء المدينة ، مختالاً فى ملابسه الزاهية ، حاملاً كيساً كبيراً فيه جواهره ونقوده ، حتى إذا وصل إلى حرم القديس ألقى حمله عند قدمي التمثال وسأله فى تأدب واحتشام أن يحرسه له حتى يئوب من سفره ... لكن لصوصاً يسرقون ثروة الرجل ... ويعود الكافر فلا يجدها ... ويجن جنونه لهذا السبب ، ثم يتناول سوطاً فيلهب به كتفى القديس الذى ينزل من مقامه فى تؤدة ووقار على الرغم من السياط التى تمزق جلده ويذهب نحو اللصوص فيخاطبهم ويعظهم وما زال بهم حتى يردوا كيس الرجل ... ويعود القديس إلى مجلسه ويتربع عليه ، فيخر الكافر نادماً ... ويؤمن من فوره .

(يتبع) دريني خشبة

التفكير والجهد والزمن ما ليس بالقليل ، وربما انقضى اليوم ولم يصف إلا بضع كلمات

أما إذا تجاوز ذلك إلى أن صار ملكة ، فانك ترى يده تلقط الحروف من هنا ومن هنا ، وفكره يسبق يده ، ويده تسبق فكره ، حتى يصف فى الدقيقة عدة كلمات

وهذا شأن الملكات كلها تأتى بالشىء فى عجلة وإتقان ، وتريك العجب العجاب ، ترى الأمر الذى له أجزاء كثيرة ويحتاج إلى فكر فى هذه الأجزاء يأتى به صاحب الملكة دون فكر كأنما هو ساحر يأتى بالخوارق

رآني صديق أمي ، كان قد بدأ فى تعلم القراءة والكتابة أقرأ ، فهالته السرعة والإصابة ، فقال أظننى أصدقك فى أنك تقرأ من هذا الكتاب ؟ لا ، إنك تقرأ من حفظك . أمجنون أنا حتى أصدق أنك تقرأ ما لا تحفظ ؟ أفى هذه السرعة تعلم ما هذا الحرف وما الذى يليه وهكذا وتعلم حالاته أمفتوح أم مضموم أم مكسور أم ساكن ، وإن تركيب ذلك يكون كذا ؟ وهبك عرفت هذه الكلمة فكيف تعرف صاحبتها بهذه السرعة ، وكيف تجمع من الحروف كلمات ومن الكلمات جملاً ، منطلقاً كالسهم ، مصيباً كالقضاء ؟

وهذا تفكير سليم لو أغفلنا من حسابنا أمر الملكات ، ولكن الملكات كائنات من كائنات هذا الوجود ، ولها هذا الفعل الغريب ، والسحر العجيب . إن النجار الذى اكتسب ملكة النجارة يأتى بأعمال أشد إتقاناً وأسرع ممن لم يكتسب ملكة النجارة . إنه يدق المسمار بالقدوم مائة مرة ، فلا تخيب منها مرة ، حتى أن صاحبه ليمسك له المسمار وهو يدق آمناً أن تفلت منه ضربة فتصيب يده ، ومن لم تكن عنده ملكة النجارة يدق مائة مرة فلا تصيب رأس المسمار منها واحدة

وإن المرء ليعجب للحائك كيف يسلك الخيوط فى الخيوط المشدودة بحركة سريعة وإتقان عجيب لا يدخل الخيط فى غير موضعه المراد له ، ولا يعقد ولا يقطع . وإن الملكة لتدخل فى أغلب أعمالنا فتجعلها أعظم إتقاناً وأسرع ، وتجعلنا نأتى من الأعمال ما نحتاج إلى آلاف السنين لنعمله لو لم تكن عندنا هذه الملكات . فبالملكة نكتب ونقرأ ونتكلم ونحسب ونعمل فى الصناعات المختلفة من حياكة وخياطة ونجارة وحدادة وطباعة مع الإسراع والإجادة والإحسان

ولولا الملكات لما قمنا بهذه الأعمال وسواها إلا مع الخرق والإبطاء ، كما أريناك فى صفاف الحروف الذى لم يكتسب ملكة فى صنعته . وإن الزمان لأسرع من أن ينتظرنا ، وحاج الحياة شديدة الإلحاح تتطلب السرعة والإجادة ، وإن قوة المرء محدودة لا تفى للعمل بدون ملكة لأن ما كان من الأعمال كذلك يقتضى من المرء جهداً ومشقة وتفكيراً تستنفد من قوته ومن دمه وأعصابه ما هو بحاجة إليه

وإنها لحكمة من الله عظيمة أن يخلق فينا الملكات فتجعلنا نجيب مطالب الحياة المتعددة بأقل ما يكون من الزمن ، وأيسر ما يكون من الجهد ، وأسرع ما يكون من العمل ، لا سيما حاجة التخاطب . فالله أرحم بعباده من أن يقف التخاطب على هذه الجهود المضنية ، والمتاعب الشاقة ، والتخاطب عمل دائم ، لا تنقضى منه حاجة حتى تتجدد حاج ، ولا يفرغ المرء من خطاب حتى يستأنف خطاباً آخر ، ولا يفرغ من فهم خطاب إلا إلى فهم مخاطبات أخرى وهلم جرا ...

لقد قلنا الآن ما يمكن قوله فى أن اللغات فى الناس ملكات يقتدرون بها على الإفهام والفهم ، وأظن أن القراء آمنوا بذلك لما أوردته من الأدلة

وقد بقى أن أقول فى القضية الأخرى وهى أن الملكة لا تكتسب بقواعد وإنما تكتسب بالمزاولة والتكرار

إذا استقريت الملكات ولاحظت كيف تتكون علمت أن الملكة لا تكتسب إلا بالدأب والمرانة وتكرار العمل لا بالقوانين والعلم المجرد . لاحظ صناعة صف حروف الطباعة تجد أن العامل إنما يكتسبها بمزاولة صف الحروف والتقاط الحرف من مكانه المخصص له وتكرار ذلك حتى تكتسب الملكة ، وليس يكسبها بالعلم المجرد بأن من أراد صف كلمة فليأخذ حروفها المتعددة من أماكنها المخصصة لها وهكذا فإذا أتم صفحة وضعها بين ضاغطين ليمنعاها من الشتات والانفراط

لاحظ صناعة الموسيقى تجدها لا تكتسب بقوانينها الفنية فحسب ، فلا تكتسب بقول الأستاذ اضرب بالخنصر والبنصر والسبابة وشد الأوتار ؛ إنه بذلك لا يكون عازفاً ولا موسيقياً إنما يكون موسيقياً إذا زاول هذا الضرب مراراً وتكراراً ، فأكسب أصابعه المرونة والسرعة والاستجابة لما ترسمه فى وعاء ، ثم أكسب نفسه وذوقه بذلك الملكة فى الموسيقى وفنها الجميل

تصويبات فى الذخيرة

لابن بسام ، المجلد الثانى ، طبع كلية الآداب

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

أخى الدكتور عبد الوهاب عزام

كان من حظى أن أكتب عن « الذخيرة لابن بسام » فى مجلة المقتطف شهر يوليو سنة ١٩٤٣ كتابة سمح بها المجال المحدود . وقد أثنيتُ فيما كتبتُ على جهدك وجهد إخوانك الذين قاموا بضبط هذا الكتاب النفيس وتحقيقه ، ولقد وعدت أن أبعث إليك بكتاب خاص أصحح فيه بعض أخطاء فى الطبع وقعت فى الكتاب على الرغم مما بذلتم من الجهد المشكور . إلا أننى فهمت من مقال لكم بالرسالة أنك بعيد عن القاهرة إلى ثغر لا أعرف عنوانك فيه ، فرأيت أن ألقاك على صفحات الرسالة لقاء عاماً لا يغضبك لأننى أعرف عن رحابة صدرك وسماحة خلقك وحبك للعلم ما لا ينزلك منازل الغاضبين من أهل الادّعاء

ولأننى لقيت قبلك الدكتور محمد مصطفى زيادة لقاء عاماً فى العدد (٥٢٢) بشأن تصويبات فى « كتاب السلوك » فما غضب ولا سخط كما يفعل المغرورون ، ولكنه سُرَّ وفرح وسعى إلى ليشكرنى أمام الأستاذ أحمد الشايب وبعض الزملاء ؛ فما كبرت علمه وتواضعه . ولا شك أنك ستهلل لهذا اللقاء لأنه يسرك أن يكون العمل الأدبى الذى أشرفت عليه أنت وإخوانك الكرام فى « كتاب الذخيرة » عملاً يقرؤه الأدباء والمتأدبون فيرضون عنكم ويستزيدونكم لتخرجوا كنوز تراثنا العربى سليمة مما يشوهها أو ينتقص من جمالها

ولا أحب فى هذا المقام أن أكون مذيعاً ، أو تفهم أنت يا أخى أنى مذيع لهفوات فى الكتاب لم تقصدوا إليها ؛ ولكن الله شاء — كما يقول محمد بك رشدى فى كتابه فن القضاء — أن يحكم على الكتاب العربى ألا يكون سليما من أخطاء الطبع وألا يخلو من جدول للخطأ والصواب ، وألا يسلم من قيام بعض القراء على تصحيحه مهما بذل فيه من جهد ..وذلك شيء لا يكاد يوجد فى الكتب الأجنبية التى تعرَفُ عنها كثيراً ، وتقرؤها كثيراً فلا تجد الH وضعت فى موضع الK ، ولا تجد الM نزلت

ولو مكثت طول عمرك تقول لمتعلم الحياكة شد الخيوط طولاً وأدخل فيها الخيوط عرضاً ذاهباً يمنة وذاهباً يسرة لما تعلم بذلك شيئاً من الحياكة ؛ إنما يتعلمها بمزاولة هذه الأعمال حتى تكتسب يده الخفة والمرانة

ولو رددت على متعلم السباحة قولك اركض برجلك اليمنى فى الماء ، واضرب بذراعيك ، لما تعلم بذلك السباحة ، ولو سبح معتمداً على هذه القواعد لأدركه الغرق ولذهب ضحية القواعد والقوانين

الآن علمنا أن اللغة فى المتكلمين ملكة ، وعلمنا أن الملكة لا تكتسب بالقواعد ، إنما تكتسب بالمرانة والتكرار ، فيلزمنا شئنا أو أبينا الإقرار بأن اللغة لا تكتسب بالقواعد ، إنما تكتسب بالحفظ والتكرار وهو المطلوب الذى حاولنا إثباته

أرأيتم أننى كنت مصيباً حين قلت يجب أن نحل مشاكلنا بالعلم ، ويجب أن نعرف طبيعة الشيء وخصائصه لنبنى الحل على هذه الطبيعة ؟

أرأيتم كيف كنا نعلم اللغة على غير طبيعتها ، أرأيتم كيف كنا نمثل دوراً مخجلاً ، فكنا كمن يطرق الحديد وهو بارد فيشق ثم يشق والحديد لا ينطرق معه ولا يلين ، فيهزأ منه من يراه ، ويضحك ملء شدقيه ، ويرى كيف يشق الجهل بطبائع الأشياء صاحبه ، ثم لا يحظى بطائل ولا كبير فائدة

اكثروا من المطالعة فى كتب الأدب . احفظوا الكثير من أشعار العرب . احفظوا ما تقدرون عليه من الخطب . ارووا الأمثال السائرة ، والنوادر البارعة ، والرسائل البليغة ، والمحاورات العذبة . اخلقوا فى بيئتكم المدرسية جواً عربياً لا تتحاورون فيه إلا بالعربية ، فإن لم يكن ذلك فى جميع الدروس ففى دروس اللغة العربية

لتقوموا بروايات تمثيلية تحفظون أدوارها ، وتستظهرون محاوراتها ؟ وليمثل كل منكم دوره باللهجة العربية والتوقيع الخطابى

لا تكتفوا فى العام الدراسى بحفظ مقطوعة أو مقطوعتين ، ولا برسالة أو رسالتين ، بل فلوا دواوين الأدب واختاروا واحفظوا وأسرفوا فى الحفظ ، وطالعوا وأسرفوا فى المطالعة ، واكتبوا الرسائل ، وحبروا المقالات على نمط ما تحفظون وغرار ما تألفون

بذلك وبذلك وحده تحوزون ملكة اللغة ، وتملكون زمام البيان .

محمد عرفة

منزل الـ N ، كما نجد فى الكتاب العربى كلمة ميزاب وضعت موضع ميراث ... ولا أزيدك !

وورد فى صفحة ١٠ سطر ٤ البيت الآتى :

أبا لك أن تُهاض علاك عهدٌ هشامىٌّ وجـدٌّ هاشمى

وأبا لك هنا فعل ماض يكتب بالياء لا بالألف ومضارعه يأبى . أى أن الذى منع علاك هيْض علاك علو شرف آبائك .

وفى ص ٣٨ س ١٧ « أعطى الملكَ محبٌّ » بشدة فضمة . والصواب بضمتين هكذا « محبٌ »

وفى ص ٣٩ س ٦ ذكرتم ابن فتُّوح بشدة على التاء . ولكن فى ص ٢٧٤ عدتم فذكرتموه ثلاث مرات بضمة على التاء من غير شدة ، فأيهما الصحيح ؟

وفى ص ٤٠ س ١٥ :

لما رمته العيون ظالمةً وأثَّرتُ فى جماله الحدقُ

والصواب : وأثَّرتْ بتاء التأنيث الساكنة لا بتاء المتكلم

وفى ص ٤٣ هذا البيت الناقص :

. . . . . . فقلت لها يا قلبها أحديد أنت أم حجرُ ؟

ولم تكملوا هذا البيت الناقص على كثرة المراجع فى مكتبة الجامعة وقد عجزت أنا وكثير من الأساتذة والأدباء عن إكماله . فلعل من قراء الرسالة من يكمله ؛ وهو – كما جاء فى الذخيرة – للمأمون الحارثى .

وفى صفحة ٤٤ س ١٣

قتـلوا قرة عينى ومنْ أجلى قتلوه

ووضع السكون على من يكسر البيت والصواب وضع فتحة على النون وجعل الهمزة فى كلمة أجلى همزة وصل . ومثل ذلك ما حدث فى ص ٦٩ س ٤ ؛ فالشطر :

وخذ على الريق منْ أسبابه

صوابه : وخذ على الريق مِنَ أسبابه – بجعل همزة أسباب همزة وصل وفتح النون من كلمة من

وفى صفحة ٧٧ س ٢ ، ضبطتم الفعل مُت بضم الميم والأعلى كسرها كما فى قراءة حفص « يا ليتنى مِت قبل هذا »

وفى ص ١٣٣ س ١٠ « أن لم أجد التأبينَ فأجدْ البكاء والحنين ، وأن لم أحسن التملقَ والأطراء فأحسنْ الخلوص والدعاء » ، ولم أجد منكم تعليقاً على الفاء هنا فى جواب الشرط فليس ذلك من مواضعها ، وما الذى جزم الفعلين أجدْ وأحسنْ ؟

وفى ص ٢١٥ س ١٦

عَساكِ بحق عيساك مَريحة قلبى الشاكى

بفتح الميم من مُريحة . والصواب ضمها لأنها اسم فاعل من الفعل أراح من الراحة

وفى ص ٢٢٢ س ١

فكم صافحتنى فى مَناها يد المنى وكم هب عَرْفُ الهو من عرَفاتها

والصواب مِناها بكسر الميم ، وهو المكان المشهور فى الحجاز بدليل كلمة عرفات فى الشطر الثانى

وفى الصفحة نفسها س ١٢

ولى أمل أن يُسعِدَ السعد نلته ويَفهَم سرٌّ النفس فى رمزاتها

والضبط كله مُختل وصوابه :

ولى أمل إنْ يُسْعِدِ السعدُ نلتُه ويُفْهَمُ سرُّ النفس في رمزاتها

لأن كلمة إن فى الشطر الأول شرطية ، فهو يقول إن ساعدنى الحظ السعيد نلت أملى . والفعل يُفهمُ مبنى للمجهول وكلمة سر نائب فاعل ، والمعنى أن سر النفس يُفهم مما ترمز به .

أما تعليقكم على هامش الكتاب رقم – ٥ – فلا معنى له .

وفى ص ٢٣٠ س ١٠

دُوَيْنِ الكثيب الفرد قُضبٌ وكثبان

والصواب دُوَيْنَ بضم الدال وهى مصغر كلمة « دون »

وفى ص ٣٢٢ س ١١ هذا البيت

لم أر أن أكون من رواته إذ هو ممـدود فى هناته

والبيت كما ترون مكسور فى شطره الثانى ، ولم أعرف صحته

وفى ص ٣٢٨ س ١٥ « ونورثها إذا مُتنا بنينا » والصواب مِتنا بكسر الميم كما تقدم

وفى ص ٢٣٦ س ١٠

لم يَحْك نائلك السحابُ وإنما حُمَّتْ به فصبيبها الرخصاء

والصواب الرحضاء بالحاء المهملة والضاد المعجمة

وفى ص ٣٣٨ س ١

من تواريخ الأدباء الشعراء فى الأدب الفرنسى

جان دولافونتين
LA FONTAINE
(١٦٢١ — ١٦٩٥)

بنــو آدم كالنبت ونبت الأرض ألوان
فنهم شجر الصنـد ل والكافور والبان

للأستاذ محمد حسنى عبدالله

تمهيد لحياته العقلية بحياته العاطفية

كان لافونتين قد أربى على الستين من سنى حياته عند ما صادف ذات صباح الآنسة « بوليو » وهى فى جلال ربيعها الخامس عشر . فإذ ملأ عينيه من جمال لها يموج فيه الظرف ورواء وحسن يبهران الأبصار ، عرته بهتة وذهل عن نفسه ، فهام على وجهه على غير هدى حتى التوت به الطريق واستغلقت عليه معالمها . وما زالت به الهيمة وقصاراه ترديد صورتها إلى أن أطبق عليه المساء وهو بعد لا يشعر أنه قطع مسيرة يوم مذ صادفها من مطلع الشمس إلى مغربها . ولم يكن يومه شاقاً ولا عسيراً . فهو يوم للحسن ملكت دولته خيال الشاعر كما فى أى يوم مضى من شبابه . فقد طالما تعود أن يتذوق الجمال وأن يمضى مع أحلامه وهو يُصوِّر روائعه لخياله غافلاً عن الوقت ومره ، والطريق ومعالمها ، والحياة وصخبها ما التذ بالسير والخيال . وإنما كان يومه غريباً فهو لم يضل سبيلاً قبله . فكم من أرض قطع وكم من حزن أجاز وبطن هبط وهو فى مسابح الأحلام ، وفى كل مرة كان أهدى إلى بيته من قطاة . ولكن هزة الجمال الفتىّ أضلت ، هذه المرة ، الستين عاماً التى ينوء منكباه بحملها فما عاد يعرف سبيل الرواح حتى التقى بخادمه عند الطريق . فماد به إلى وكره . فلم يك بعد هذا ليبرح فراشه أياماً ثلاثة وهو ما يزال متأثراً بالوجه الصبوح الذى أهلت عليه فتنته بما لم يعهده من قبل فى سلطان الجمال . وهكذا ما زال شيخنا مع الستين شاب القلب فتى العواطف . ولهذا معناه فما استهللت بهذه الأقصوصة إلا لتبيان أخص ما فى خلق هذا الأديب الشاعر .

فقد أصبح سهلاً الآن أن نستوضح تقديره للجمال لدرجة الافتتان به لمجرد الجمال ، إلى جانب بوهيميته ويسر أخذه للحياة من مجرد تصرفه حيال رؤيته للصبية ترفل فى الحسن . فهو إذ رآها قنع بمرآها وبصيان صورتها فى ذهنه وبالخلاص من هذا بلذة معنوية حرفة فلم يمدد إلى مجاذبتها الحديث وعقد أواصر المعرفة معها تمهيداً لحاجة مادية — فهذا أبعد ما يكون عن طبعه — فهو إذن معنى بالجمال لذاته . كذلك إذ قنع بهذه الشحنة المعنوية لأحلامه ، اندفع فى السير على غير متجه ، وخبط فى الأرض خبط عشواء ، وهذا يفسر جانب البوهيمية فى سجاياه . ثم أمضى يومه كله معنياً بما عابن لوقته ، يسرح فى رياضه سائم الطرف والبال ، فأضاع يومه حالماً وما أيسر تناول الحالمين

فان كسدت أعلاق علمى عليهم
فلا غرو أن يكسد لدى النعم الشذر

والصواب إن يكسد لأنها إن الشرطية

وفى ص ٣٨٦ س ١٣

أيهـا العائب العـذا ر وذو الجهـل عائبه

بتنوين اللام الأخيرة من كلمة الجهل ، والصواب حذف التنوين

وفى ص ٣٩١ س ١٥ « فشبه تبرك مُتَـلوًّا » . ولم أفهم معنى هذه الكلمة ولعلها مجلوًّا كما فى الهامش

وفى ص ٣٩٤ س ١٥

أو تباكر صَيْدَ ألمها فابنُ حجْرٍ
أو تبـكّى الديار فابن خـذام

وابن حجر هو امرؤ القيس الشاعر الجاهلى فهل هو بفتح من حجر كما ضبطتم ؟ والياء فى الفعل تبكى لا داعى لها لأن الفعل مجزوم عطفاً على ما قبله . والصواب كتابتها هكذا « أو تُبكِّ » ولا ينكسر البيت على هذا

وفى ص ٤٠٢ س ١٨

قل لأبى يوسـف المنتقى الفـاضل الأوحد فى عصره

وضبط الفاء من يوسف بالفتح خطأ ، لأن البيت ينكسر على هذا الضبط ، والواجب أن ينوّن هذا العَلَم « أى يصرف » ليستقيم الوزن ، فالأبيات من بحر السريع كما لا يخفى

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد عبد الغنى حسن

للحياة . ولندعه الآن يسرد بقية القصة بنفسه لعلنا ندرك فى قوله مزيداً إذ فسر لصديق عاتبه ، سر انحجازه عنه هذه الثلاثة أيام التى توارى فيها فقال :

« لِمَ لم تتقصى يا صديقى أسباب انحجازى عنك طيلة هذه الأيام الثلاثة فأفضى إليك بدخيلة نفسى ؟ ... إذن لقلت لك بلا مواربة إننى وأنا المسن لم أملك دفعاً لإغراء صبية أغرانى بالحلم فيها جبينها وربيعها الخامس عشر ، وعيناها الزرقاوان ، وطراوة بشرتها الوردية ، وسحر قسماتها ولمحاتها الذكية . ثم لأقتك بعد القول حكماً بإسم الجمال »

إلى هذا الحد من قوله قد تُشتم رائحة الإعجاب البدنى حرفاً ولكنه يعود فيجلو لنا الجانب الساحر الرقيق من طبعه :

« ولكن ... لو أن هذا المخلوق الإلهى الصغير الذى عكر صفو راحتى وهدوء شيخوختى قد صادف نصفه الحقيق به ، لكنت أنأى الناس عن الحقد عليه . بل لكان هناءة لعينى أن أراه وحبيباً من لداته ... ولو أنه هزأ ضاحكاً من إعجابى به لما اضطغنت عليه ... وإلا فلم كان أمثالى من الشيوخ الوامقين ... أليس لإضحاك الحسان من الصبايا ؟ »

وههنا ما يستلفت الأنظار . فلافونتين لا تستأثر بقلبه الأثرة التى هى العنصر الغالب فى عاطفة الحب . فهو يتمنى لكاعب زلزلت عنده وقار الشيخوخة وألهبت فيه برد عاطفتها كل توفيق مع حب غيره يكون أصلح وأنسب لفتاها وأليق لصباها . ثم هو يسخر من نفسه فى يسر ورخاوة وقلة اكتراث كمن يهزأ من امرئ لا تربطه به رابطة أو صلة . ويصرح بعاطفة كان أولى به كتمانها فى سن تدعو تجاربها وحنكتها إلى صيان ما بالنفس للنفس والتزام جانب الصمت والظهور بالمظهر اللائق بها من الاتزان والرزانة والتعقل . وهذا كله شيء يجعل فهمه ميسوراً لأول وهلة

فقد عاش أبداً ، بوهيمياً ، صريحاً ، بواحاً بسره ، ينكره الاستقرار وتجافيه العاطفة الراسخة رسوخ الرواسى — فركب الهوى وأعجب بحسان الحسان مثل هذا الإعجاب العارض . ولكنه لم يصادف أبداً هذا اللون المنيف من الحب الذى يقتصر فيه صاحبه على واحدة يكاد حبها يُورده موارد البوار والتلف . فكان أبداً كالنحلة عسلها فى كل زهرة ، يرى هذه فيملق بها فؤاده يوماً أو يومين ، يحلم خلالها أحلاماً هنية ، ويرى تلك فينسى الأولى ، وهو بين هذه وتلك فى دولة الخيال فى شاغل عن الصلة البدنية بالصلة الروحية ، سعيد بصور الحسان تتوارد جملة على مخيلته . فكان السعادة بذلك همه ، وخلو البال من الأزمات المقضة للمضاجع شاغله ، وكأنه من ذلك فى عالمه الخاص يُعد لرسالته الأدبية المتنوعة شحنة من الفكر المنطلق الحر فى نأى عن حبٍ فردٍ ملح يحصر مناطق الفؤاد الذكي ويحدها .

لافونتين فى البحث عن لافونتين

وامرؤ لا يعرف قلبه وخياله الحد ليس من ريب فى أن عقله كذلك لا يعرف الحد . فآفاق العاطفة المترامية تفسح للعقل فى مدى واسع يحار فيه . لذلك جهد لافونتين فى تعرف هويته العقلية . ولم يكتب لهذا السبب عن نفسه إلا متأخراً فى الثامنة والثلاثين من عمره . فهو إذن قد صرف حقبة طويلة من عمره فى درك الأشياء ، وتفهمها والإلمام بحقائق الحياة عملياً . فمال مع كل ريح ، بين جد ولهو ، يمنى بالجد ، فيكد ويحصل ويقرأ ويدرس منقباً باحثاً ، ويمنى باللهو فيحياه ويفهمه ويستمرئه . والتشوف بين هذا وذاك رائده ، وحب الاستطلاع يعقد رويداً رويداً الصلة بينهما ويحكمها

فلم يستمر تردد عقله بين أن يعيش للهو حريفا — وهذا شيء تدعو إليه طبيعته الحالمة — فيغنم الحياة من لذتها المادية ، وبين أن يعيش للعمل والجد فيغنمها من لذتهما المعنوية . واستقر أخيراً — ولا متأخراً — على أن يمزج اللهو بالعمل وأن يجعل من شواغله مسرات ومن جهده يسرا

ولم يكن بد من مراحل يجوزها حتى يصل إلى هذه الغاية من ترك طبيعته على سجيتها وأخذها بالملاطفة واللين حتى أنتجت فيما يشبه اللعب ما لا طاقة لكثير غيره على إخراج مثله للناس ، وهم ألصق بالجد خالصاً ، وألزم للتثقيل بمضايقه على النفس . فكانت أولى المراحل عنده الاقتصار على تفهم ما يدور حواليه من أحداث الحياة وإعمال الفكر فى ألوانها المتباينة ، دون أى تفرقة منه بين هذه الأحداث وهذه الألوان تدور على مسرح الحياة وبينها تمثل على خشبة المسرح . فكأنها فى عينيه وهى تأخذ مكانها من مجرى الحوادث ملهاة مسرحية تستتلى فصولها اهتمامه وتستتبع تفكيره . حتى إذا ما نال من أتحف الموارف

وألطف المعارف، وأدرك ماهية الأشياء، وجوامع الحكم، كانت ثمة مرحلة أخرى تفتحت فيها لأحلامه دنيا ساحرة لا يطرقها غير من أمدته الطبيعة بموهبة فكرية وأعدته لرسالة سامية في هذه الدنيا: مثل مرثياته واستوعب ضروب المعاني التي مرت عليه. فإذا قرأ لمالرب ولأفلاطون ولباروك ولتاس ولبوكاس، وافته غاية المراحل تجرر أذيالها ألا وهي مرحلة الإنتاج - هذه المرحلة التي مزج فيها الهو بالجد وقرن فيها التسلية بالعمل. وإنه ليقال أنه غدا شاعراً عند ما قرأ لمالرب قصيدة تمهدها الليالي حتى حفظها عن ظهر قلب ومن ثم طفق ينشدها لكل من صادف من الأصدقاء

تيقظت إذن في لافونتين ميوله الأدبية بعد أن تذوق دنياه وأخذ للأدب عتاده من القراءات المختلفة. فشرع يبحث عن نفسه في هذه الميول. فتناول بادي ذي بدء «خصي تيرانس»[1] بالتعديل والتهذيب. غير أن ذلك لم يكن إلا محاولة فاشلة إذ تراوح فيها بين ترجمة وتقليد غير محكمين. ثم نظم ملحمة[2] ميثولوجية تصويرية بذل في تأليفها من دهره ثلاثة أعوام، وفاضل فيها بين آلهات الفلاحة والتصوير والعمارة والشعر إلا أنها ليست مما يعتز به الأدب كثيراً

واتجه بعد ذلك نحو «أبليه Apulée» فجهد أن يقلد قصته «بسيشيه»[3]، ولكنه تعمل فيها الأسلوب وتصنع فيها المرح الذي عرف فيما بعد في خرافاته في أكبر وضوح وسلامة وجمال فلم يكن طبيعياً مع ما تتطلبه القصة القديمة من الوقار والجلال، فإذا محاولته رواية حديثة في أردية إغريقية لم يكن همها الإضحاك فأضحكت ولكن في استخفاف وسخرية. ثم عهد إلى «أدونيس[4]» شكسبير فتخذها موضوعاً لروايته بهذا الإسم. ولكن كل من قرأ أدونيس شكسبير فاستطعم صنوف الفكر التي تختال فيها واستلذ الألوان المضطرمة الحارة التي تمتزج بها لا ينبغي له أن يطالع «أدونيس» لافونتين

فالحق أن تصوير معالم البطولة الإغريقية وتبيان عبقريتها المستعصية وإظهار جلالها وجمالها، كلها أعمال ليست من عمله. فرشاقته وظرفه ومرحه وخفته وملاحظته السريعة، كل هذه لا تحتمل تجهم عود الشخصيات الإلهية وإبرازها في ملاحم طويلة مسهبة

طال إذن ما بحث لافونتين عن استعداده الأدبي فلم يعثر عليه في كل ما ردنا من أعماله وإنما عثر عليه بعد لأي في الخرافة فوجد في قصر نفسها ما يلائم مقدرته على النظم المحدود والمفردات السهلة. وصادف في موضوعاتها ما يوائم مرحه - مرح الروح الغالية - وظرفه وأحلامه. فالتقى فيها لافونتين بلافونتين

لافونتين والخرافة Fable

ولكن لا تقذفن في روعك - مع ذلك - إن الخرافة عمل استحدثه لافونتين من مبتكره ومبتدعه. فقد سبقه إلى هذا الضرب من الأدب أيسوب Esope الإغريقي، وفيدر phedre اللاتيني، وكثير غيرهما من شعراء العصور الوسطى والقرن السادس عشر عند الفرنسة، فلم يزد على أن نسج على منوالهم ودرج على آثارهم وإنما في أكثر لباقة وبراعة وإبداعاً مما جعل الأذهان تنصرف - إن ذكرت الخرافة - إلى أنه مبتدعها الفرد. وليست الخرافة إلا قطعة شعرية مأخوذاً موضوعها من صميم الحياة في تصوير عابر سريع إلا أن أدوار البطولة فيها مسندة إلى الحيوان وإن قصد تطبيق حالته في القصة على حالة الإنسان في الواقع بالقياس والموازنة. وعلى الخرافة التي تستوفي شروطها أن تتضمن قصة أخلاقية. وفي مدها بهذا اللون الفني يتمايز كل هؤلاء الخرافيون فينبذهم أبو الخرافة لافونتين. فقد اهتم أيسوب وفيدر بجانب واحد من الخرافة فعنيا بالأخلاق وانصرفا عن الوقائع القصصية انصرافاً أفقدتهم خرافاتهم عنصرها الفني. كذلك شعراء العصور الوسطى والقرن السادس عشر انصرفوا عن الأخلاق وعنوا بالتفاصيل القصصية عناية سلبت الموضوع لبه وجوهره ومسخت طعمه ومعناه. ولكن لافونتين، شاعر القرن السابع عشر، ألف بين الموضوع والأخلاق تأليفاً حقيقاً بالإعجاب والإكبار إذ جعل من الخرافة ملهاة أشبه بمسرحية أخلاقية مترامية المعاني من مائة فصل في بضع أبيات من الشعر الرائع.

(البقية في العدد القادم)

محمد حسني عبد الله

(1) L'Eunuque de Térence (2) L'élégie aux Mymphes de Vaux (3) La Psyché d'Apulée (4) Adonis

بولاق

للأستاذ محمد رمزى بك

كتب المستر شارل جون هزويل الذى كان مديراً عاماً لمصلحة تنظيم القاهرة مقالة تحت عنوان القاهرة واتساع نطاقها وملاحظات عن تأثيرات نهر النيل وتغيراته وأرفق بها بعض الخريطات ، ونشرها فى منشورات الجمعية الجغرافية فى المجلد الحادى عشر الصادر فى ديسمبر ١٩٢٢ ، وقام بترجمة هذه المقالة إلى اللغة العربية الأستاذ محمود عكوش ، ونشرها هى وما معها من الخرائط فى العدد السادس من مجلة الهندسة الصادرة فى يونية ١٩٢٣ ، وبالاطلاع على الخريطة رقم ٢ الخاصة بتأثيرات نهر النيل وتغيراته تجاه القاهرة ظهر لى أن المستر هزويل اعتبر أن مدينة بولاق مصر كانت جزيرة فى وسط النيل ، وأنها كانت مشغولة بالمبانى ومسكونة وقت أن كانت جزيرة . ولما كتب المسيو مارسيل كليرجيه كتابه فى سنة ١٩٣٤ سار على رأى المستر هزويل ، واعتبر كذلك بولاق جزيرة ، وأثبت ذلك على الخريطتين المواجهتين لصفحتى ٢٧ و ٢٩ من الجزء الأول من كتاب القاهرة المذكور

وأقول أن ما تصوره كل من المستر هازويل والمسيو مارسيل لا أساس له من الصحة للأسباب الآتية ، وهى :

أولاً : إنه لم يرد فى المراجع الجغرافية ولا التاريخية القديمة أن بولاق كانت جزيرة ، ولم يتكلم عليها أحد من أصحاب كتب الخطط بوصف أنها جزيرة ، مثل جزيرة الروضة وجزيرة الفيل وجزيرة إروى وغيرها من الجزائر التى تكلم عنها المقريزى وغيره فى كتبهم

ثانياً : اعتاد الكتاب السابقون أن يذكروا كل طرح يظهر فى النيل أو على شاطئيه باسم جزيرة ، سواء كان هذا الطرح منفصلاً فى وسط النيل أو متصلاً بالشاطىء ، ومع كل هذا فلم يذكر أحد من الكتاب أن بولاق كانت جزيرة

ثالثاً : لما تكلم المقريزى فى خططه على بولاق (ص١٣٠ ج ٢) قال إن ساحل النيل كان بالمقس ، وأن الماء قد انحسر حول سنة ٥٧٠ هـ عن جزيرة عرفت بجزيرة الفيل ، وتقاص ماء النيل عن سور القاهرة الذى ينتهى إلى المقس ، وصارت هناك رمال وجزائر ما من سنة إلا وهى تكثر حتى بقى ماء النيل لا يمر بها إلا أيام الزيادة فقط ، وفى طول السنة ينبت فيها البوص والحلفاء وتنزل المماليك السلطانية لرمى النشاب فى تلك التلال من الرمل . فلما كانت سنة ٧١٣ هـ رغب الناس فى العمارة لشغف السلطان الملك الناصر بها ومواظبته عليها ، فأقبل الناس على الإنشاء والعمارة ، وجد الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامة فى البناء ، وصارت بولاق المذكور يزرع فيها القصب والقلقاس على النيل حيث جامع الخطيرى ، وامتدت الدور على النيل وسكنوا ورغبوا فى السكنى ببولاق من جامع الخطيرى إلى جزيرة الفيل ، وتفاخروا فى إنشاء القصور الفاخرة هناك ، وغرسوا من ورائها البساتين العظيمة

رابعاً : لما تكلم المقريزى فى خططه عن جزيرة الفيل (ص١٨٥ ج ١) قال بين سطور ما ذكره عن تلك الجزيرة : « وانحسر النيل عن جانب المقس الغربى وصار ما هنالك رمالاً متصلة من بحريها بجزيرة الفيل المذكورة ومن قبليها بأراضى اللوق فانفتح الناس باب العمارة فعمروا فى تلك الرمال المواضع التى تعرف اليوم ببولاق خارج المقس »

خامساً : ذكر ابن تغرى بردى فى كتاب النجوم الزاهرة (ص ٣٠٧ ج ٧) أنه فى سنة ٦٨٠ هـ ربت جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بولاق واللوق وانقطع بسببها مجرى البحر ما بين قلعة المقس وساحل باب البحر والرملة وبين جزيرة الفيل وهو المار تحت منية السيرج ، وانسد هذا البحر ونشف بالكلية ، واتصل ما بين المقس وجزيرة الفيل بالمشى

سادساً : ليس من السهل إنشاء مدينة كبيرة مثل بولاق فى جزيرة بعيدة عن ساحل المقس فى حين أنه لم يكن بينها وبين ذلك الساحل كوبرى أو جسر تسير عليه الناس والدواب بين ميدان باب الحديد وبين شاطىء النيل الحالى حيث كانت توجد بولاق القديمة على ذات الشاطىء

ومما ذكر يتضح أن بولاق لم تكن جزيرة فى يوم من الأيام وإنما أنشئت على أرض ظهرت فى مجرى النيل ، وكانت تلك الأرض فى بدء تكوينها فى سنة ٦٨٠ هـ مكونة من الرمال الفساد اتصلت بحريها بجزيرة الفيل ومن قبليها بأرض اللوق ، ثم صار

قبل براح الشباب

للأستاذ حسين الظريفي

غيرُ مستنكر من الأيام   ما لهـا من نقض ومن إبرام
سبقت حكمة الزمان سواها   وإن استبهمت على الأفهام
لم يزل ينشئ الشباب ويبلى   يا له من بانٍ ومن هدّام
إنما نحن فى الحياة ضيوف   لا يزادون حصةً من طعام
فاغتنم فرصة الشباب وبادر   فى ذراه إلى بلوغ المرام
كل يوم يمر، لم أقض فيه   وطراً، لا يعدّ من أيامى
إنما العمرُ حاجةُ المرء تُقضى   والذى بعد ذاك طيف منام

* * *

ربَّ مستمتع بفضل صباه   لم يكن آمناً من الأيام
ظل فى صحة الصبا يتحامى   ما وراء الصبا من الأسقام

النيل يطمي عليها تدريجياً فربت وارتفعت أرضها وصارت صالحة للزراعة والسكنى وفى سنة ٧١٣ هـ أنشئ فى نهايتها الغربية الواقعة على النيل بلدة بولاق فى المنطقة الواقعة الآن حول جامع الخطيرى كما هو مبين على خريطة القاهرة رسم الحملة الفرنسية فى سنة ١٨٠٠ بمقياس ١/١٦٠٠٠

وبالاطلاع على خريطة مدينة القاهرة رسم سنة ١٨٦٨ يتبين أن بولاق كانت لغاية تلك السنة بلدة صغيرة واقعة على النيل ولم تتجاز مبانيها المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع السبتية، ومن الجنوب بشارع اصطبلات الطرق، ومن الشرق بشوارع سيدى العليمى وعلوة الحجاج وتل نصر ووابور النور، وكانت الأرض التى بين بولاق القديمة وبين شارع الملكة نازلى كلها أرضاً زراعية وبساتين، ولم يحدث فيها البناء إلا فى زمن الخديوى إسماعيل، ومن ذلك الوقت أخذت بولاق تتسع فى العمارة حتى اتصلت مبانيها بمدينة القاهرة، وأصبحت بولاق قسما إداريا من أقسام القاهرة

محمد رمزى

وفراراً من القلى والتجنى   لم يكن بالمتيم المستهام
نظرات ضاق المجال عليها   وهو رحب بغيرها مترام

* * *

لستُ ممن يبكى الشباب إذا ما   ملك الشيب فيه كل زمام
قائلاً لو يعود يوماً شبابى   ليرى ما للمشيب من آثام
أنا من يترك الصبا ليس فيه   أمد لم يحـلْ بالأحلام
حاملاً كل ما له من حقوق   قائماً بالحقوق خـير قيام
وفؤادى من الهوى بمكانٍ   لم تصله ملامة اللــوّام
أجد الغض من شبابى فيه   ساحباً ذيله على الأيام
لى من ميعة الصبا يقظات   كدن يذهبن فيه كالأحلام

* * *

ولقد راق شرحُ كل شبابٍ   متبســام بثغره البسام
فيه من كهرباءة ومضات   دونها كل وامض من غمام
وتراه بالعبقرية يفـرى   ما نبا عنه حدُّ كل حسام
وعليه روائع من معانٍ   هنَّ إلهام كل ذى إلهام
شاعرٌ جاء من عيون القوافى   بالتى لم تكن بذات نظام
قد تجافت وزن الخليل وعافت   ما وراء الخليل من أحكام
كبرت أن تكون فى اللفظ معنى   ربَّ معنى من غير لفظ مقام
قد براها من مقلة وجبين   وقوام يزرى بكل قـوام
وفؤاد ماضى العزيمة ثبْتٍ   لم يعوّد إلا على الإقدام
ودم من لظى أحرّ إذا ما   ثار للحق ثورة الضرغام
ميزة إثر ميزة تلو أخرى   لم تُجابه بالنقص بعد التمام

* * *

أيها المزدهى بشرخ شباب   فى ثرى (مصر) أو (بدار السلام)
هذه فرصة الصبا فاغتنمها   وارم ما أنت فى شبابك رام
وابدُ فى جانب الحمى أو حشاه   مثل صدر المهند الصَّمصام
إنما يطلب الحمى أن يفدّى   فى عراك السيوف والأقلام

حسين الظريفي



وما آفة الأخبار إلا رواتها

حضرة العلامة الأستاذ صاحب مجلة الرسالة المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فلا فريق فى فندق (الملك داود) فى بيت المقدس يجتمع فى كل يوم فيبحث فى شىء كما جاء فى خبر فى عنوان (وشاية) فى الرسالة ٥٢٧ ص ٦٣٩ ولم يكن حديث عن أحد من السادة الفضلاء المصريين الذين وردت أسماؤهم فى الخبر.

محمد إسعاف النشاشيبي

١ — إلى الأستاذ العقاد

كتبت كلاماً فى مجلة « الصباح » حول بيت من الشعر قلت فيه: إن شاعرية العقاد الفذة ابتلعت هذا البيت بألفاظه ومعانيه من الأستاذ « على طه » ولم أقرأ رداً على هذه الكلمة من قلم « العقاد » الجبار بل قرأت كلاماً أملاه ضمير ملوث على لسان صنيعة من صنائعه ... فهلا تتفضل أيها العملاق فتتنازل « حسن القاياتى » الكاتب الكسال كما قال « زكى مبارك » ليبين للناس فى الساحة الكبرى لهذه الخصومة: أى الفريقين أحق؟ فريق القاياتى. أم فريق العقاد ... آمل ... أن يسلك الناس طريق الحق ليرفع هذا القناع الأسود الذى احتجب من ورائه أدباء رفعتهم الأمة الجاهلة وغيرتهم من دون الرحمن ... المقول السقيمة ... !

٢ — إلى الدكتور زكى مبارك

قرأت بإعجاب خطابك الأسيف الذى تواضعت « الرسالة » فنشرته لك، وهى بعد — تعرف القاياتى الذى لا يود أن يحاط اسمه بهذا السياج الباهت من الدعاية الكاذبة — ويقحم اسمه بين الأسماء الشاعرة

إن القلم القاياتى يا دكتور نسيج وحده تعرفه الأسواق الأدبية الحرة يوم يكون فى مصر للقلم الكبير أسواق ... تجزى المحسن وتلفظ المسىء

القاياتى أيها الناس نظم الشعر وكثير من أدبائنا الذين تطنطن الصحف بذكرهم اليوم أسماء لا يحلو ترديدها إلا على ألسن اللوات فى الحارة. والأتراب فى القرية !!

القاياتي شاعر من شعراء المدرسة القديمة التى تلقى فيها الدكتور أول درس فى اللغة وآخر درس فى البيان

وليس بضير الشاعر أن يسلك به النشء هذا المسلك الذى لا يحمده الأدب. ولا تسيغه أثلات الأقلام

إن الأدب يا دكتور ليس كلاماً ترجمه الصحافة كل يوم ويطالعه النشء كل ساعة. وليست الصحف التى تملأها بالصحف التى تروق الذين نحب أن تكون واسطة عقدهم « الأدب حساس » لا يزنه إلا الحس المرهف. ولا يفيد إلا المشاعر الحية. ولا يعرف النقد إلا الحساسية فى الأدب

أخال فلاناً لا أرانى الله شخصه. وقد زكته نقابة الصحافة فى قاهرة الفاطمى بأنه أمى مقسول. ثم يكون بعد اللتيا والتى من هيئة النقابة. وواحد الصحافة. وزعيم الأغلبية. لك الله يا بلد المعز. فقد جعلت دهماء الأدب يحكمون هذا الحكم الأعرج على جماعة الأدب فى الشرق ويزنون الناس بغير ميزان فتخاطبهم صعاليك الصحافة وتجهلهم الأخلاق المريضة وليس بكثير على الدكتور مبارك أن يرمينى بالكسل والكسل الهازىء حتى تنجح قضيته الخلابة ويروق منطقه الساخر

أجل أنا لا أريد أن أكثر يا دكتور. وفى كل يوم لى مقطوعة ستكون الشاهد لى يوم يحتاج الأدباء إلى شهود ترفعهم إلى درجات المجد وترقى بهم إلى السماء

إن ديوانى « يا دكتور » يكلم الناس من أربعين عاماً ... وأنت بعد ما تزال حدثاً تكلم الناس بلسان الحكائين وتحدثهم بمنطق الأطفال. ثم ماذا؟ ثم تكون لى ثروة شعرية تحت يدى تقع فى مجلدات ضخمة غير ديوانى الناشىء وباكورتى من نصف قرن. ثم هذه الكلمات العريضة التى اعترف بها البيان. وخلدتها الصحافة. وانتفع بها شيوخ الأدب. وكانت دروساً

ألقيت فى مدارس البيان . «الفاياتي» يا دكتور مبارك لا يعجبه هذا الأسلوب الخادع . فهو أعرف بطوايا قلمك . وخفايا نفسك ولقد توكل على الله يا ولدى العزيز قبل أن يعرفك . وكان قلمه من بين الأقلام المتوكلة عليه سبحانه فانتفع ونفع وجاهد فى سبيل الأدب وخدمة اللغة وسيجاهد إلى أن يقضى الله عليه بالفناء والرسالة التى تقول عنها . أنها لا تجامل أحداً – أعتب عليها هذا العتب البرىء – فأقول : أنها تجامل كثيراً أدباء عرفتهم الصحافة لهم حاضر فى الأدب يحاول الشباب أن يهدمه بالحق . وللحق – ولكنها تطوى رسائله طياً وفى هذا موت للشباب . وحياة للمصانعة الخاتلة ورب رسالة شابة خير من جهاد شيخ يتوكأ على عصا الشهرة ويمشى على سراج خافت ولقد صدق الله إذ يقول :

« تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ... !!!

(دار الفاياتى) حسن الفاياتى

عضو المجمع اللغوى

إلى الأستاذ دريني خشبة

يزعمون أن الحرب ليست شراً كلها . بل أن فيها للانسانية خيرات وحسنات ، وللمجتمع البشرى « المأزوم » نفعاً وفائدة لحياته الاقتصادية والسياسية وحتى الصناعية والعمرانية . ولكن الأدب والفن . ما فائدتهما وعائدتهما منها ؟ ؟ إن معركة حقيرة « بالنسبة للحرب الجارية » هى « حروب طروادة خلقت للأدب هوميروس وأتحفت الأجيال بالألياذة » الباقية على الزمن . فهل تنجب هذه الحرب الطحون هوميروس جديد يخلق لنا إلياذة جديدة خالدة كتلك ؟ إن يكن هذا فإله الأدب والفن مستعد لمعانقة « مارس » إله الحرب إعترافاً بفضله وأياديه عنده . وإلا فهل ابتلى رحم الفن والأدب بالعقم والعُقر ؟ فإذا كان الأمر كذلك فلماذا ؟ وإلى أى الأسباب يعزو ذلك الأستاذ ؟ وهلا يرى معى أن الأدب الإنسانى المادى الحاضر بوقوده وجموده محتاج إلى مصل « إلياذة » جديدة تسكب فى عروقه عناصر الانبعاث والفن والخلق ؟

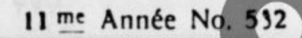
ذلك ما استفتى به الأستاذ الكبير وأطلب فيه إبداء رأيه وأدلاء حكمه على صفحات الرسالة .

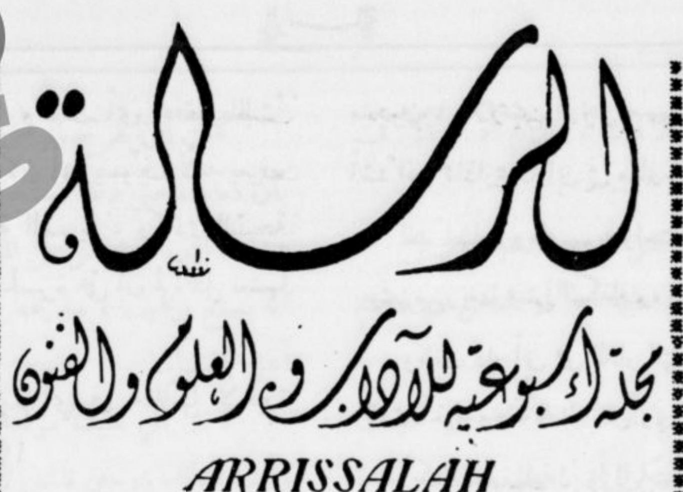
(حلب) كمال الحريرى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 532 — Lundi - 13 - 9 - 1943





الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٣٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١٣ رمضان سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

إلى الأستاذ الزيات

آباؤنا وأمهاتنا وأبناؤنا

للدكتور زكي مبارك

بعد منتصف الليل من هذا المساء (٢٩/٨/٤٣) وسوس الهتاف من جريدة الأهرام :

— ألو ، ألو !

— خير ، من المتكلم ؟

— صالح البهنساوي ، هل أزعجتُك بالحديث في مثل هذا الوقت ؟

— لم تزعجني ، ويسرني أن أسمع صوتك ، فما عندك من الأخبار ؟

— عندنا خبر يقول : إن والدة الأستاذ الزيات ماتت ، وأردنا أن نعرف منك مبلغ هذا الخبر من الصحة قبل أن ننشره في الوفيات

— لم أسمع هذا الخبر إلا منك ، فلا موجب لنشره قبل التثبت

ثم رجعت إلى نفسي أسأل عن مواساة الأصدقاء بعضهم لبعض ، فقد كان يجب أن أكون أول من يعرف هذا الخبر إن كان صحيحاً ، لأحضر دفن السيدة التي أنجبت هذا الصديق ، ولأشترك في مواساته مع الأقربين

وحانت منى التفاتة إلى الماضى يوم ماتت أمى ، فقد طلبتْ بالحاح أن ترانى قبل أن تموت ، وكان أبى يسوّف لأنه يعرف أنى أؤدى أول امتحان فى الجامعة المصرية ، وكانت النتيجة أن تدفن وأنا غائب ، وأن تبقى الحسرة على أن لم أحمل نعشها على كتفى

هل كان أبى يعرف أن توديع أمى فى لحظاتها الأخيرة أحبُّ إلىّ من جميع المغانم العلمية ؟

لو أنه عرف لأعفانى من لوعة سأعانى نيرانها إلى آخر أيامى

وقد لطف الله بأمى فماتت قبل أن يموت أخى سيد بنحو سنتين ، فلم تشهد فجيعة الدار فى موت فتًى لم ينتصر عليه قاهر غير الموت

دخلت على أخى سيد وهو فى الحشرجة فنهض من فراشه ليقبّل يدى ، ثم أسلم روحه إلى بارئ الأرواح

وكانت الفجيعة الأخيرة هى موت أبى ، ولكنها فجيعة نفعتنى أجزل النفع ، فقد هوّنت الدنيا فى نظرى حين صورتها بالصورة الحقيقية ، صورة الصحراء التى لا تضمن لسكانها من الضراغم غير الفناء

وهل تعزيت عن أبى وقد طال الفراق ؟

أريد أن أخفف لوعتى فأذكر أنه عاش ما عاش وهو يعتقد أننى أوفى الأبناء : فما راجعته فى كلمة ، ولا رفضت له نصيحة ، ولا استجزت المخالفة عن أمره فى شأن من الشؤون

كنت ابناً بارًّا بأبيه ، وكان يرى بأبى يتمثل فى صورة لم تخف عليه ، فقد سمعت أنه تحدث بها إلى بعض الأصدقاء ، وهى أنى أخفى عنه همومى وأحزانى ، فما بات ليلة وهو مغموم بسببى ، ولا وصل إليه حزن من طريقى ، ولا عرف أن الأبناء قد يكدرون حياة الآباء

والحق أنى كنت أراعى معنًى هو غاية فى الخفاء ، ومراعاة هذا المعنى كانت أعظم عمل أديته فى حياتى ، فما ذلك المعنى الدقيق ؟

كانت الأقدار قضت بأن تمزّق أملاك جدّى كل ممزّق ، فلا يبقى منها غير أوشال ، وكان أبى آخر المنقود ، فلم تكن له مندوحة من أن يجاهد ليستبقى ومضات من الذهب المضاع

كان أعمامى جبابرة وكانوا قساةً وطغاة ، وكانوا أيضاً منجبين ، فلا يمشى الرجل منهم إلا وهو موصول الجناح بأبناء أشداء ، فماذا يملك أبى فى مقاومة أعمامى ؟

لقد ناضلهم وحاربهم ، واستطاع أن يستخلص بضعة فدادين يعيش من ريعها عيش الكفاف ، إلى أن يجود الله بالغنى حين يشاء

وكانت دار أبى هى الدار التى مات فيها جدى ، لأن جدتى كانت آخر زوجاته الغاليات ، وفى تلك الدار نشأت ، فماذا رأيت ؟

كنا نستيقظ على زلزال يتمثل فى سقوط إحدى القاعات ، فيخفُّ إلينا الجار الأقرب وهو عمى الشيخ سيد أحمد وبيده فانوس ومعه أبناؤه ليعاونوا على رفع الأنقاض

كانت أخطر فاجعة تهون على أبى ما دامت بعيدة عنى

هل أستطيع تأدية واجب الوفاء لأبى ، ولو نظمت فى رثائه ألف قصيد ؟

وفى إحدى العصريات دخلت الدار فوجدت أمى تخرج وهى مذعورة ، فماذا وقع ؟

كانت أمى رأت ثعباناً فى أبراج الحمام فغزته بالنار ليختنق ، فامتدت النار إلى سقوف الدار فحوّلتها إلى نيران

وفى لحظة أو لحظتين بدت شهامة أهل سنتريس

لقد تجمعوا من كل جانب رجالاً ونساء ليخمدوا تلك النيران بالماء والتراب

وماذا يملك أولئك الأوفياء ؟

لم يكن فى بلدنا غير آبار معدودات ، فكان من الصعب إخماد نيران لا يخمدها غير البحر المحيط ، وكانت العاقبة أن يحترق البيت من جميع الجوانب وأن يمسى بلا سقوف ، مع قسوة الشتاء

ونظر أبى فرآنى بعافية ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم جلس على مصطبة المضيفة وهو فى غاية من الاطمئنان

وفى أعقاب السهرة الجيّاشة بكلمات المواساة سمعنا ضجيجاً يخطر فى البال فى مثل تلك الحال ، فما ذلك الضجيج ؟

رأينا جماعة الميسوية تغزو دارنا بركائب محملة بأقوات تكفينا عشر سنين ، فوقف أبى وقال : إن باب الدار لم يحترق ، وسأغلقه إن لم ترجعوا مشكورين

كان مقام أبى فى تلك الليلة مقاماً رهيباً ، فقد أنت النيران

على جميع الأشياء ، وتركتنا بلا قوت ، وإن لم أذكر أنى نمت فى تلك الليلة بلا عشاء

ما الذى كان يمنع من أن يقبل أبى مواساة أعمامى ؟

منعه الخوف من أن يمنّ عليه أخٌ أو صديق فى الأيام المقبلات

كان أعمامى كراماً برغم ما أرادت الأقدار فى تحيّف ما ورثوا من الثراء العريض ، ولكن أبى رفض معروف إخوة سيحاربهم أو سيحاربونه بعد يوم أو يومين

تمثّلتْ لى متاعب أبى فى حياته حين شببت عن الطوق ، فقررت إعفاءه من التعب إلى آخر الأيام من حياته الغالية

أردت أن أكون لأبى ابناً وأخاً وصديقاً فكنت ، وقد محوت عن صدر أبى تلك السطور السُّود ، سطور الشقاء بالأهل والأقرباء

هل عرف أبى أن له ابناً تمتحنه الحياة ؟

لقد أخفيت همومى عن أبى فكانت تصل إليه وهى أساطير ، وكان لا يتوهم أن كيد الدنيا يصل إلى من يكون فى مثل عنفوانى وأنا الرجل الذى عرفه أبى ، فلتحاربنى الدنيا الغادرة إن كانت تطيق

لم أنس يوماً أن أبى تعب فى شبابه حتى شبع من التعب ، ولم أنس لحظة أن تكدير كهولته بسببى قد يكون إثماً موبقاً يكدر ما أرجو لحياتى من صفاء ، ولهذا المعنى حرصت على أن يرانى باسماً فى كل وقت ، وأن يرانى غنياً عن الناس فى جميع الأحايين ، وهل يفتقر المؤمن إلى الناس ؟

لم تكن الدنيا سمحت بأن تخلو حياتى من متاعب ، ومع هذا أخفيت عنه جميع آلامى ، فلم يتصورنى إلا رجلاً خلَتْ حياته من المصاعب والأهوال

كان سلوكى مع أبى سلوكاً هو الصورة المنشودة لأدب النفس ، ولعل الله يتفضل فيتقبل دعواته الطيبات وهو يعانى مرض الموت ، فما مات أب راضياً عن ابنه كما مات أبى وهو راضٍ عنى

وهنا أتذكر أشياء تعدّ من الغرائب ، أشياء متصلة بحياة أمى ، فما تلك الأشياء ؟

كانت أمى تفرح بالمرض أشد الفرح ، لأنها كانت تؤمن بأن دعاء المرضى دعاء مستجاب ، فكانت تقضى لياليها الأليمة فى دعاء الله بأن يجعلنى من الموفقين . كانت تدعو الله وهى توقن أنه يسمع ويجيب ، ولم يخطر فى بالها أبداً شىء مما يخطر فى بال أهل الارتياب

كانت أمى سيدة مؤمنة ، وكان إيمانها موروثاً عن أمها وأبيها ، وكانا زوجين قانتين لا يعرفان غير فاطر الأرض والسماء

ومع أن المألوف فى كل أرض أن الأم لا تستريح كثيراً إلى زوجة ابنها ، فقد كانت أمى تحبنى فى زوجتى ، وتصفها بأجل الأوصاف ، وتخصها بكثير من الدعوات ، بحيث يُعدّ سلوكها من أندر ما يقع فى حياة النساء

وكذلك كان حال جدى لأمى ، فقد كان حين يزور دارنا بعد صلاة العيد يبدأ بالسؤال عن زوجات أبنى ، سؤال الوفاء لا سؤال الرياء ، ثم يدعو الله أن يديم عليهن نعمة العافية والقبول

أما أمر أبى فى تربيتى ، فكان عجباً من العجب ، كان لا يتناول طعاماً بدون أن أشاركه فيه ، ولو كان طعاماً أعدته له إحدى الزوجات المحظيات

كنت أدخل الدار مع الليل ، والشّواء يفوح والنوم فى جفونى ، فآوى إلى مضجعى وأنا أرجو أن يعفينى أبى من مشاركته فى عشائه المرموق ، ولكنه لم يكن يتناول طعاماً بدون حضورى ولو كان تحفة عروس

من الذى أوحى إلى أبى ما غاب عن كبار المربين ؟

كان أهلى يقولون إن الطفل يحتاج إلى تأسيس ، وكانوا يرون أن الطفل المؤسَّس يعيش فى قوة إلى آماد طوال

ثم دارت الأيام واستقللت عن أبى كل الاستقلال ، فقد أكرمه الله بالعيش إلى أن يرانى رجلاً له أهل وأبناء وأملاك ، ومع هذا كان يرانى ضيفه حين أزور سنتريس ، ويبالغ فى الكرم فلا يتركنى لحسن الفهم فى رعاية ضيوفى ، وإنما يتقدم فيكرمهم بأسلوبه الجميل ، أسلوب الرجل المفطور على السخاء الفضفاض

ولن أنسى أنه كان يناجى المسيو دى كومنين مناجاة الرفيق للرفيق ، مع أن لغة التفاهم غير موجودة بأى شكل ، فكان

من ذلك دليل على أن الألسنة أقل إفصاحاً من القلوب

كان لى أب وكانت لى أم ، وأنا اليوم يتيمٌ كهل ، واليتيم الكهل أعرف باليُتم ، كما قال أخونا الأستاذ محمد الهراوى ، طيّب الله ثراه !

أما بعد فأنا لا أوصى باجترار الأحزان ، ولا أدعو إلى أن نطيل البكاء على آبائنا وأمهاتنا ، فذلك يؤذيهم فى عالم الأرواح وإنما هى لوعة نزجيها كارهين لا طائعين ، وهى على قسوتها دون ما يجب فى تسجيل الوفاء

ثم ماذا ؟ ثم يكون الحديث عما نفقد من أبنائنا ، وأنا ذقت مرارة الثكل مرات ، إلى أن لطف الله فأعفانى من ذلك العناء وسيتفضل جل شأنه فيرحم جفونى من دموع الثاكلين ، لأنه أرحم الراحمين

ومن واجبي نحو قرائى أن أدلهم على المذهب الذى سلكته فى ذلك الجحيم :

حين ذقت الثكل أول مرة رأيت له طعما متفرداً بين طعوم الأحزان ، رأيته يقلقل أضراسى ويكاد ينقلها من مكان إلى مكان ، ورأيت تعزية المعزين تزيد أحزانى ، فقررت أن لا يقام للطفل الميت مأتم ولا عزاء ، وقررت أن لا أسمع بكاء أمه عليه ، وأن لا يُذكر اسمه فى البيت ، وأن يمضى إلى من وهبه ثم استرده بلا عويل ولا صياح

كنت أقول : هو لنا عند الله ، فلنتركه ذخيرة تنفعنا يوم الحساب ، إن كنا مؤمنين

والواقع أن هذه أعظم شجاعة بدت منى فى حياتى ، فالطفل لا يموت إلا بعد أن يتجلى تجلياً هو غاية فى الفتون ، فتكون حركاته وسكناته من الغرائب والعجائب ، ويكون تحفة طريفة تحول البيت إلى فردوس من أجمل الفراديس ، بحيث يقال فى وصفه إنه كان ابن موت ، وهذه عبارة مألوفة عند أهل الريف ، وهى غاية فى الصدق

وبقليل من التأمل نرى أن الطفل الذى يموت بعد سنة يكون استوفى من الحياة سنوات وسنوات ، لأنه فى عمره القصير يستوفى من حظوظ دنياه فى المرح واللعب والابتهاج ما لا يستوفيه كبار المعمرين . وهنا تكون الفتنة الدامية ، فذلك الطفل يَعد أهله وعوداً لا تخطر فى البال ، فهو فى إشاراته وعباراته يؤكد بأنه سيكون أعظم العظماء فى القديم والحديث

وفى أقصر من لمح البصر يختضره الموت ، فتبقى له بوارق تذيب لفائف القلوب

ماذا أصنع والأطفال الذين تركتهم كانوا كذلك ؟

قدرت أنهم عاشوا حتى شبعوا من العيش ، والعيش تعبٌ فليستريحوا آمنين

دفنت بيدى أطفالاً كانوا أعز علىّ من نفسى ، ولكنى لم أبك عليهم كما بكيت على أمى وأخى وأبى ، لأنهم لا يطالبوننى بالوفاء ، فقد اختارهم الله إلى جواره قبل أن يعرفوا الفرق بين البر والعقوق

وما حاجة الأطفال إلى البكاء ؟

ألا يكفي أن الله أنجاهم من مكاره العيش ، فى دنيا أتعبت الأنبياء؟

الدمع على الطفل الذاهب أغزر من الدمع على الكهل الذاهب ، فما الذى فاتهم من حظوظ البكاء ؟

بهذه السياسة فرضتُ على زوجتى أن تنسى الأطفال الذين فقدناهم فى مصر الجديدة وفى سنتريس ، فاكتفت واكتفيت بالشياطين الذين عاشوا ، وهم أبناء لم تمنعهم الشيطنة من أن يكونوا غاية فى أدب النفس وصفاء الروح

إذا راعى الابن واجبه نحو أبيه ، فما يضره إن نسى الواجب فى معاملة جميع الناس ؟

أنا لم أفعل خيراً فى حياتى أفضل من الأدب فى معاملة أبى وأمى ، وقد جازانى الله فجعلنى فى عصمة من دسائس السفهاء

الحجر الأول فى بناء الوطن هو الأسرة ، وأبنائى لا يحبوننى متفضلين ، وإنما يرون رجلاً يدبر لهم منافع لن يحتاج إليها قبل أن يموت ، ولو عاش عمر نوح ... وهل أعيش إلى أن أنتفع بما أدبّر لأبنائى ؟

ليت أبنائى يتأدبون بأدبى !

أنا أرى أن حيوية الرجل فوق الحدود ، والسر كله فى طاعة الله ، الطاعة التى يعرفها أصحاب العقول ، الطاعة التى تتمثل فى العمل الموصول بصدق وإخلاص

كونوا يا أبنائى مثل البحر ، فهو قد يغضب فى كل وقت ، ولكن كل قطرة من قطراته تشتمل على حيوات عظيمات

واذكروا دائماً أنى لم أنل رضا الله بالمجان ، فقد نلت رضاه بكفاح يؤيد كرمه فى صحة بنيانى ، وأنا بحمد الله غاية فى صحة البنيان .

زكى مبارك

٢ـ حكاية الوفد الكسروى

لأستاذ جليل

من صائغ أسطورة (الوفد القرشي) التي وردت في العقد والأغاني ؟

ابن عبد ربه يرويها عن نعيم بن حماد عن عبد الله بن المبارك عن سفيان الثورى عن ابن عباس . وأبو الفرج ينسخ الخبر من كتاب عبد الأعلى يحدثه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . . .

ابن عبد ربه أقدم من أبي الفرج ؛ فقد ولد سنة ٢٤٦ وتوفى سنة ٣٢٨[1] في ذلك الإقليم النائى . وصاحب الأغانى ولد سنة ٢٨٤ وتوفى سنة ٣٥٦ . فقد يكون صاحب العقد وقف على مصنف أسبق مما وقف عليه أبو الفرج ، وربما اطلع هـذا على مؤلف أثبت وإن تأخر وقته . فهل صاغها نعيم أو صائغ عزاها إليه أو[2] زخرفها الكلبي ، وإن كان سجعها يبدو بغداديا لا كوفيا ، وهل لشبل الكلبي . . . أعنى ابنه هشاما يد فيها ، وهل أودعها كتاب وفوده ؟

نقص الخزانة العربية اليوم يصدنا أن نجيب جوابا مضبوطا . فلعل بقيات مما نجا من الزمان والتتر والصليبيين والأسبان محرق كتبنا ومغرقيها — يظهر فيخرجنا من ظلمات حالكات نحن فيها

ولا ضرر — وقد عرفنا ذرواً من أخبار ابن الكلبي — أن نعرف شيئا عن أبيه الكلبي . وهذا بعض ما جاء في (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) ج ٣ ص ٦١ :

« قال الثورى : اتقوا الكلبي . فقيل : إنك تروى عنه . قال : أنا أعرف صدقه من كذبه . قال يحيى بن يعلى عن أبيه : كنت أختلف إلى الكلبي أقرأ عليه القرآن فسمعته يقول : مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ ؛ فأتيت آل ... فتفلوا فى فيّ فحفظت ما كنت نسيت . فقلت : لا والله لا أروى عنك بعد هذا شيئاً ، فتركته . قال يزيد بن زريع : حدثنا الكلبي وكان سبئياً . قال الأعمش : اتق هـذه السبئية ، فإنى أدركت الناس وإنما يسمونهم الكذابين . قال ابن حِبان : كان الكلبي سبئياً من أولئك الذينَ يقولون : إن عليا لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا ويملأها عدلاً كما ملئت جورا ، وإن رأوا سحابة قالوا : أمير المؤمنين فيها[1] . التبوذكى : سمعت الكلبي يقول : أنا سبئى . ابن معين : الكلبي ليس بثقة . وقال الجوزجانى : كذاب . وقال ابن حبان : مذهبه فى الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من يحتاج إلى الإغراق فى وصفه ، يروى عن أبى صالح عن ابن عباس التفسير ، وأبو صالح لم ير ابن عباس ، ولا سمع الكلبي من أبى صالح إلا الحرف بعد الحرف ، فلما احتيج إليه أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها ، لا يحل ذكره فى الكتب ، فكيف الاحتجاج به ... »

* * *

قولى منذ (١٩) سنة « ولن يجوّز العقل أن يقعد ابن الأكاسرة لاستماع ثرثرة كل مهذار نفاج ، ويفرغ لشهود عجرفة المتعجرف وعنجهيته » — لا يدل إلا على ما يدل عليه ، وهو شرح حال اقتضاه المقام ؛ وقدُ رهط لنوا عن الصواب فى الخطاب لا يعم فصائلهم وعشائرهم ، دع عنك عمومه الجيل الذى أبدع (المبدع) منه تلك الأمة . والثرثرة والهذر والنفج فى أقوال الوفد الكسروى ظاهرة . فهل يعقل أن يُستقبل مثل كسرى بها وهو سلطان زمانه ، وأقاليم فى الجزيرة من أعماله ، وأمثال النعمان من عماله . وقد تفطن الصباغ لشىء من ذلك فقوّل كسرى فى ختام الأسطورة ما قوّله ، وقوّله حين لفا أكثم بما لفا به[2] : « ويحك يا أكثم ، ما أحكمك وأوثق

(١) هذا فى (وفيات الأعيان) ، وفى أعلام الأديب الكبير الأستاذ الزركلى نيفهان سنة ، وقد بالغ العلامة الأستاذ فى تحقيق كتابه وإحكامه

(٢) جئت ب (أو) إذا لم أجعله استفهاما منقطعا وجملته كلاما واحدا . وفى (الكتاب) : هل يسمعونكم إن تدعون أو ينفعونكم أو يضرون . وقال زهير : ألا ليت شعرى ... البيت

(١) فى الرسالة ١٩٢ ص ٣٦٨ س ٩ جريدة لأكثر المهديين المنتظرين ، يراجع هذا الجزء

(٢) لفا بكذا : تكلم به

كلامك لولا وضعك كلامك فى غير موضعه »

وليست خطبة أكثم من إنشاء (الوضاع) ولكنها أمثال قديمة متفرقة منسوب أكثرها إلى أكثم بن صيفى هذا ، وقد ألف بينها من صاغ الخبر فما تجاوبت ولا تناسبت

وأحب أن أقول اليوم : إن العربية الحقيقة بأن نستمسك بها ونتعصب لها هى التى ذكرت فى (الرسالة) ٢٢١ص ١٥٦٢ السنة ٥ :

« وإذا ذكرنا العربية فإنما نعنى هذه العبقرية ذات التعاجيب المحمدية ، وهذه القوة الخلقية ، وهذه المقاصد القرآنية ، وهذه الآداب الإلهية ، وتلك الحضارة والمدنية ... ليست العربية نسبة ولكنها جامعة تؤلف بين القلوب ... فالعربى هو ذلك المتمدن المتحضر المهذب المثقف المتعلم العالم العزيز الأبى الناطق بلسان القرآن ، وليس بعرب (خُرّاب بادية غرثى بطونهم[(١)]) ولا قراضيب[(٢)] فى (الجزيرة) ولا مُدْلنِفُون[(٣)] ... »

وقد دفع أدباء وعلماء من السلف إلى تفخيم العربية الجاهلية عصبية أو ولع بتعظيم قديم ، ودعت إلى التنويه بها فى هذا الزمان مقاصد خبيثة غربية

إن العربانيين المنتمين إلى دور السياسة و (التضليل) يقولون متوهين : كانت العرب فى الجاهلية وكانت ، وكان عندهم ما كان ، فماذا عملت الإسلامية ، وبأى شىء جاء محمد ؟

« هم العدو ، فاحذرهم ، قاتلهم الله أنّى يُؤفكون »

***

خبر الوفود

إن هذا الخبر لا أصل له ، فلم يقل النعمان في وقت ما قال ، ولم يرسل من ذكرته القصة ، ولم تتحرك الألسنة قدام كسرى بشىء مما روى قط ، ولم يشر إلى هذه الواقعة مؤرخ أو أديب فى مصنف عرفناه أقل إشارة . وقد زخرفه مزخرفه كما صاغ الصواغون من قبله وكما صبغ الصباغون من بعده ، وقد سيطرت

(١) المتنبى . الخارب : اللص وخصه الأصمعى بسارق البعران

(٢) القرضوب : اللص

(٣) الأدلنفاف : المجىء للسرقة فى ختل واستتار

عليه لغته ولغة وقته ، فلم تشبه نثر الجاهليين وإن كنا لا نعرفه إذ لم يثبت من النثر القديم إلا القرآن كما ذكرت ذلك منذ (١٩) سنة ، وإن كنا نجهل ذلك النثر[(١)] فإننا نتصوره ، ولا ريب فى أن هناك نثراً بدوياً[(٢)] ونثراً حضرياً وقد نزل القرآن بالنثر الحضرى لأنه إنما كان لكل جيل وزمان . ولم يشبه أسلوب الخبر أسلوب الإسلاميين ، ولدينا من هذا القرن ما قد يطمأن إليه بعض الاطمئنان

إن صانعه أنشأه (مقامة) لفقها ونمقها ، ولم يحتط ، ولم يفكر فى أن يحتاط ، ولم ير حاجة إلى ذلك هو فى منثور ينثره هو في (البلاغة)[(٣)] لا فى تاريخ يحققه ؛ على أن التاريخ هو ابن عم الأسطورة : وفى الخبر أشياء أدل على الوضع من أشياء ، وهذه طائفة منها . (له)

(١) كلام الناس ، حديثهم من نثرهم ، وقصة ذلك القرنى فى تلك الرواية مشهورة

(٢) هناك نموذجات قلدت النثر البدوى وهى غير المعروف قد تعين فى مثل هذه المباحث

(٣) كانوا يسمون النثر فى ذلك العصر بالبلاغة ، يدل على ذلك ما ذكره أبو بكر الصولى فى كتاب الأوراق فى أخبار أبى محمد القاسم ابن يوسف . قال أبو بكر : « حدثنى الحسن بن يحى قال : قالوا للقاسم ابن يوسف : أقبلت على الشعر وتركت البلاغة ، فقال امتحنونى . فقيل له فاكتب إلى محمد بن منصور ... فكتب .. الخ

٢ـ نشأة الدرامة الانجليزية

للأستاذ دريني خشبة

يحتفظ الأدب الإنجليزي من الدرامات القديسية بأربع مجموعات تنسب إلى مدن مختلفة هي يورك ويكفيلد وكوفنتري وشستر؛ كما يحتفظ بدرامة واحدة من كل من نيوكاسل ودبلن وإيست أنجليا ونورفولك. وتختلف هذه الدرامات طولاً وقصراً وجودة ورداءة، ويتركب بعضها من ثمانمائة بيت من الشعر، في حين يتركب البعض الآخر من ثمانين بيتاً فقط؛ ويتألف بعضها من نظم ونثر، أو نظم فقط، أو نثر فقط، وفي بعضها أغان جميلة كما تحوى بعضها الأغاني الغثة. على أن أجمل هذه المجموعات كلها هي مجموعة يورك لتنوع موضوعاتها وجمال أسلوب الكثير من دراماتها، والحرية الظاهرة في تناول حياة القديسين بالتصوير الجريء، وكثرة الحركة التي هي حياة التمثيليات جماء

أما أقدم درامة قديسية كتبت باللغة الإنجليزية فهي درامة (حَرْث جهنم) أو (إسلافُ جهنم) من سلف الأرض أو أسلفها أي أعدها للزرع بالسلفة، وهي آلة ذات شعب The Harrowing of Hell ولا يعرف مؤلفها على وجه التحقيق. وقد ألفت في أواخر القرن الرابع عشر في عهد إدورد الثاني؛ وهي عبارة عن محاورات شائقة بين السيد المسيح عليه السلام وبين الشيطان عليه اللعنة تنتهي بهزيمة كبير الأبالسة، وتهليل البطاريق وتكبيرهم فرحاً بانتصار المسيح واغتباطاً بإجاباته المفحمة

هذا، وقد كانت عناصر شتى تشترك في تأليف الدرامة، فمن ذلك الموضوع، وهو أهمها بالطبع، ثم الأسلوب، وكان يراعى فيه السهولة واليسر، نظماً أو نثراً؛ وذلك بعد أن فشلت الدرامات التي ألفها جون للي بأسلوبه الجزل وعبارته الفخمة. وجون للي هو مبتدع أسلوب اليوفوِزْم الرائع الأنيق المُرَوَّأ في الأدب الإنجليزي ... ثم الموسيقا والألحان والأغاني ... بيد أن واحداً من هذه العناصر كلها يكاد يكون أهمها، لأنه يتفرد من بينها باهتمام الجماهير، إذ هو الذي يجذبهم لمشاهدة التمثيل، ثم هو بعد ذلك أقوى الأسباب في نجاح الدرامة أو سقوطها ... ذلك العنصر هو عنصر الهزل والتضحيك Farcical & Comic الذي لم تكن تخلو منه درامة قديسية قط.

والعجيب الذي يلفت أنظارنا نحن الشرقيين خاصة جرأة رجال الدين والمؤلفين الدراميين على السواء في إشاعة هذا العنصر في تلك التمثيليات الدينية التي تتناول الأنبياء والقديسين ورجال الدين عامة ... حتى الملائكة ... فهم قد هتكوا تلك الهالة المقدسة التي ينبغي أن تكلل رؤوس هذه الشخصيات المبجلة، وهم قد هتكوها إلى حد التحقير وتهوين الشأن والزراية بما كان من شأن الدين أن يتصونوا في تناوله ... إسمع إلى هذا الحوار الذي نقتطفه لك من درامة «طوفان نوح» لترى إلى أي حد اجترأ المؤلف على شخصية هذا الرسول الكريم، أحد أولى العزم العظماء، من هداة البشرية الأولى ... أنظر إلى هذا الحوار لتعجب كيف أجاز رجال الدين تمثيل هذا العبث بين يدى الشعب:

— نوح: أعددت الفلك، وقد آن لنا أن نبحر، فهلمي يا زوجتي الصالحة!

— زوجة نوح: ماذا؟ أركب في هذه السفينة وأترك تلك الأرض الراسخة؟ أوه! كلا، كلا. إنها لم تصنع من أجلي؛ ومع ذاك، فلدى ما يشغلني يا صاح، فإني ذاهبة لقضاء حاجات كثيرة تلزمنا من السوق اليوم

— نوح: والطوفان؟! ألا تخافين أن تغرقي؟

— الزوجة: آه! كلا. لا عليك. إن هذا لا يخيفني!

— نوح: لقد هطلت شآبيب المطر، وتفتحت أفواه السماء، ولست أرى أنها ستقلع، فتعالي واركبي في الفلك معي!

— الزوجة: الفلك؟ ماذا تعني؟ ما هذا السر الذي أخفيته عني؟ لماذا لم تستشر زوجتك في أمره؟

— نوح: سر؟ ليس هناك سر قط! إنني لبثت أصنع هذه الفلك طيلة قرن بأكمله. ولقد شهدتني أصنعها طوال هذه المائة من السنين ألف ألف مرة بعينيك!

— الزوجة: حسن، بيد أنني لا أحفل كثيراً بالحياة في هذا المركب، إني سعيدة ههنا، ولست أستروح الحياة فوق الماء قط ... ثم إني ... لا أريد أن أصحبك!

— نوح: ولكن ... إنك تغرقين، ما من ذلك بد، إن لم تفعلي!

— الزوجة : ولكنك أفسحت فى مركبك المجال لخصومى والمتقولين علىّ من المؤمنين بك . . . وهم حفنة ! على أننى أعجب كيف تغرينى باصطحابك وترك كل هذا المجتمع ، لأعاشر فى فلكك الوحوش والطيور والزواحف ؟! أفٍّ لك ! إن إغراءك إياى ليغثى نفسى ويكرب صدرى !

« وهنا تلكمه بقوة فوق أذنه »

— نوح : هدئى روعك أيتها الزوجة الصالحة . هدئى روعك ! ولا يزال بها نوح حتى تستسلم وتركب آخر الأمر ، لكنها تثير الشغب فى السفينة من أول الرحلة إلى آخرها ، فى مشاهد تضحيكية متصلة ، لا نرى أنها كانت تتناسب مع الوقار اللازم للرسل

فانظر كيف تلكم نوحاً زوجته فى تلك الدرامة الجريئة ، كما ساط اليهودى قديس الكنيسة فى الدرامة التى لخصناها لك سابقاً ... على أننا سوف نتناول هذا النوع من الدرامات الكوميك (التضحيكية) بالتفصيل فى موضعه من الطور الثالث

الطور الثالث

الدرامات الأخلاقية والفواصل Moralities & Interludes

ذكرنا فى الموجز الذى وضعناه فى مستهل هـذا البحث ، فى العدد السابق ، أن الدرامات الأخلاقية نسخت بالاشتراك مع الفواصل ، الدرامات القديسية وحلت محلها . وفى إيراد الكلام على هذا النحو شىء من المبالغة . وربما كان عذرنا فى ذلك أن خلافاً شديداً قام بين المؤرخين على أصل هذه الدرامات الأخلاقية ، فمنهم ، وهم الأكثرية ، من يقولون إنها نشأت من الدرامات القديسية . ومنهم من يعارض هذا الرأى ، وينفى أن تلك فرع من هذه ، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ مورلى Morley من أساطين مؤرخى الأدب فى العصر الحديث . على أنه لا مشاحة فى أن الإنجيليات والقديسيات قد نشأت فى الأمم اللاتينية عامة وانتقلت مع رسل الكنيسة من فرنسا إلى انجلترا . أما الدرامات الأخلاقية Moralities فأكثر المؤرخين على أنهـا نشأت على أصول القديسيات ، وأنها ثمرة من دوحتها الباسقة . وندع بعد هذا الناحية العلمية من مناقشة الفريقين المتناظرين ، لأنها ليست من شأننا فى هذا البحث . والدرامة الأخلاقية هى تلك الدرامة التى تعنى بالحقائق المجردة abstracts و truths من فضائل ورذائل ، فهى تجعلها أبطالاً وتتخذ منها شخصياتها وموضوعاتها ، ويرجع هذا التجديد إلى أواخر القرن الرابع عشر حينما انتشر الشعر المجازى المشتمل على الكنايات والاستعارات المختلفة . وقد يكون لضيق الشعب بالدرامات القديسية أثر فى هذا التحول ، إذ أنه مل هذا النوع الواحد من التمثيليات الدينية التى أوشك أن يحفظها عن ظهر قلب لكثرة تكرارها ، فأراد المؤلفون أن يتساموا بالدرامة فاقتحموا ميدان الأخلاق ، لأنهم إنما كانوا ينشدون نشر الفضيلة — بعد تلقين دروس الدين — بما يقدمون للنظارة من هذه الدرامات . ولا غرو أن فرنسا كانت قد سبقت انجلترا فى ابتكار هذه الدرامة الأخلاقية ، ولا يبعد أن تكون قد اقتبستها عنها كما اقتبست الإنجيليات من قبل : أما أن الدرامات الأخلاقية قد نسخت ما قبلها ، فقد حدث ذلك بالتدريج فعلاً . فهم يذكرون أن آخر درامة قديسية قد مثلت فى أواخر القرن السادس عشر . أو بالضبط سنة ١٥٩٨ ثم ظلت الدرامات الأخلاقية تمثل بعد ذلك إلى أن ازدهر المسرح الإنجليزى بدرامات مارلو وشيكسبير وبن جونسون . ومن هذا يفهم أن القديسات واكبت الأخلاقيات زمناً طويلاً حتى تغلبت الأخيرة وحلت محلها . وقد كانت الرذيلة أقوى شخصيات الدرامة الأخلاقية . وكأنت تحل دائماً محلاً هزلياً كما كانت الفضيلة توضع فى مواضع الجد . فكان يمثل الرذيلة معتوه أو مُضحك أو أبله يجيد صوغ النكات والحركات التضحيكية ، وكان يبدو دائماً وفى يده خنجر من الخشب ، كما كانت ملابسه تثير الضحك الشديد . ولم تكن شيمة من الشيم إلا ولها موضع من درامة من هذه الأخلاقيات التى تكون فيها الشخصيات قسمة بين الفضائل والرذائل . فمقابل الطمع توجد القناعة ، ومقابل الزنا يوجد العفاف ، ومقابل الكذب يوجد الصدق ، وضد الظلم العدالة وهكذا دواليك . وكان مقصوداً بتمثيل هذه الرذائل أن يحدث تباين Contrast مع الفضائل حتى لا يمل النظارة من كثرة الحض على التمسك بأهداب الفضيلة . ولهذا السبب كان وكد المؤلف أن يجعل شخصية رذيلة ما من الرذائل — كالجبن أو الشح مثلاً — مثيرة للضحك الذى يهز القلب ويفجر

الشاعر ، فإذا نال السامعون هذا النصيب من الترويح انتقل بهم المؤلف إلى شخصيات الفضائل الرزينة العاقلة — كالشجاعة والجود مثلاً — فجعلهما يردان على الجبن والشح فى وقار وهَـوْن ، ثم ينتقل إلى الرذائل ليعطى النظّارة نصيباً من الضحك وهكذا حتى تنتهى الدرامة

وكانت الفترة التضحيكية المخصصة للرذائل تسمى فاصلاً — أو استراحة — Inter lude . وظل هذا هو النظام المعمول به فى مزج الأخلاقيات بالفواصل حتى جاءجون هيْوود Heywood (١٥٠٦ — ١٥٦٥) فألف فى الفواصل خاصة ، وبذلك أخذت تستقل عن الأخلاقيات وتكون نواة الملهاة Comedy . وقبل أن نتكلم عن الفواصل نلم إلمامة ختامية بالأخلاقيات لنعطى القارئ نماذج سريعة من أنواعها ليكوّن لنفسه صورة من النضال المتصل والجهاد الرائع الذى مهد للمسرح الإنجليزى العتيد فى عصر شيكسبير العظيم . فمن هذه الدرامات الأخلاقية ما كان دينياً بحتاً مثل درامة قلعة المثابرة The Castle of Perseverance من عهد هنرى السادس ، وموضوعها الحرب بين النوع الإنسانى Human Genus وزملائه الفضائل السبع الرئيسية ، ضد الكبائر السبع بقيادة زعمائها الثلاثة : مندس وبليال وكارو الذين يحاصرون النوع الإنسانى فى قلعة المثابرة ، ثم نجاة النوع الإنسانى آخر الأمر . ومن هذا القبيل درامة « كل إنسان » وقد كتبت قبل سنة ١٥٣١ وفيها يُستدعى (كل إنسان) هذا أمام محكمة إلٰهية ليقدم حساباً على ما قدمت يداه فى الحياة الدنيا ... وهنالك تخذله رفاقه « الزمالة والخفة والقوة والسرور والجمال » فى حين لا يجد له نصيراً إلا حسناته التى تقدمه « إلى الاعتراف » الذى يبرئ ساحته

ومن تلك الدرامات أيضاً ما تلحظ فيه أثر حركة الإصلاح الدينى والروح البروتستنتى الجديد ، مثل درامة العرف الجديد New Custome أو درامة معركة الضمير . ومنها ما كان يتجه اتجاهاً علمياً يتمشى مع نور النهضة مثل درامة « العناصر الأربعة ، وهى نضال بين العرفان وفضائله ، والجهالة ومضارها » ونحوها درامة (الذكاء والعلم) . ومنها ما كان سياسياً ، مثل درامة (الفارس ألبيون) وهى تصور ذلك النضال الهائل بين الأشراف والعامة ، والصدام الذى انتهى بالإصلاح الدستورى الكبير فى بريطانيا . ونحوها درامة لوردات لندن الثلاثة وسيداتها الثلاث ، وهى ملهاة لكاتب اسمه روبرت ولسن . وكان يحترف التمثيل . والسيدات هن المنفعة الخسيسة والحب والضمير . أما اللوردات فهم السياسة والأبهة Pomp والسرور (وأولئك هم سادة لندن) — ثم الكبرياء والطمع والظلم (وأولئك هم سادة أسبانيا) — ثم الرغبة والمسرة والولاء (وهؤلاء هم سادة لِنْكِلْن) وقد كتبت هذه الدرامة بعد تحطيم الأرمادة الأسبانية . وفيها تحقير شديد للأسبان وإشادة بالمجد الإنجليزى

هذا ، وقد أُلّفت بعد هذه المرحلة درامات لا هى أخلاقية كلها ولا هى فواصل كلها ، بل كانت (بين بين) إن جاز هذا التعبير

أما الكلام عن الفواصل فيحسن أن يستقل بفصل خاص لأهميته ، ولأنه كان البذرة الأولى للملهاة الإنجليزية ، وهو ما سنتناوله فى الفصل المقبل .

دريني خشبة

المشكلات

٥ ـ اللغـــة العربية

للأستاذ محمد عرفه

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

ومن غريب الأمر أن الطريق الذى أشرنا بسلوكه، والذى أبان العلم أنه لا طريق إلى تعلم اللغات سواه ، هو الطريق الذى هدت إليه الفطرة وسلكته فى تعليم الولدان لغات آبائهم ، وتعليم الأجيال لغة أممهم ، فالفطرة اصطنعت فى تعليم اللغات طريق الحفظ والتكرار ، والمرانة والاعتياد

ينشأ الطفل فيسمع أبويه وأهليه يتكلمون بمواضعات خاصة فيحفظها وتتكرر على سمعه ، ويعتادها لسانه فتصير ملكة ، وبذلك يحذق لغة قومه

كأن الفطرة قد علمت أن اللغة فى الإنسان ملكة ، والملكة لا تكتسب إلا بالتكرار فاستعملت ذلك فى تعليم أمم الأرض لغاتها ، ولم تخطىء مرة واحدة فتلجأ إلى طريق القواعد والقوانين لأنها لا تكسب الملكات

أما نحن فجهلنا ذلك ، وأخذنا نعلم اللغة بالقواعد والقوانين ، ولم نلجأ إلى تعليمها بالحفظ والتكرار ، فكانت الفطرة أقرب إلى الصواب ، وأبعد عن الخطأ ، وأثقب فكراً ، وأسد نظراً ، وكنا أقرب إلى الخطأ ، وأبعد عن الصواب ، وأعظم خرقا . وكانت الفطرة تعلم اللغة أثناء المعاملات اليومية من لعب وقضاء حاج ، وبيع وشراء ؛ أما نحن فقد أحطناها بالقوانين التى يفنى العمر ولا تفنى ؛ فكانت مقتصدة أعظم الاقتصاد ، وكنا مسرفين أشد الإسراف . كانت الفطرة تعلمها بالتدرج من الأسهل إلى الأصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، مراعية حال المتعلم ، فتعطيه ما يناسبه ولا يجافى عقله . أما نحن فلم نراع ذلك بل تعمدنا مضادته ، فعلمنا القواعد التى هى فلسفة اللغة ، تعلم بعد تعلمها ، ومرتبتها فى الوجود متأخرة عنها ، فلم تظهر إلا بعد ظهور اللغة بأزمان . أقول علمنا القواعد قبل تعلم اللغة وجعلناها وسيلة إلى تعلمها ، ولم نراع حال المتعلم فجئنا بأطفال الأقسام الابتدائية والتعليم الأولى ، وأخذنا نعلمهم القواعد ، ونعطيهم من العلم ما ينبو عن أذهانهم ؛ فكانت جارية على مقتضى الحكمة ، وكنا جارين على غير مقتضاها ، أو على مقتضى شىء آخر ، وكانت ميسرة كل التيسير ، وكنا معسرين كل التعسير

وكانت تعلمها أثناء سرد الحوادث اليومية ، وأخبار الجيران ، والأهل والخلان ، والمحادثات السارة والأخبار الممتعة ، وتاريخ الناس وملحهم ، وفى أثناء الأغانى والمدائح والمراثى . وكنا نعلمها فى قواعد جافة خالية من كل ذلك ، فكانت تعلمها مع المتعة والمسرة . وكنا نعلمها مع الضيق والحرج . ولما راعت ذلك كله كانت ناجحة فى تعليمها كل النجاح ، ولما أهملنا ذلك كله كنا مخفقين كل الإخفاق

أرانى فيما سبق قد أطلت المسافة فى الاستدلال ، وذكرت فى البين أن اللغة ملكة ، وأن الملكة لا تكتسب إلا بالتكرار ، وكنت أستطيع أن أختصر الطريق ، وأقول لننظر إلى الفطرة كيف تعلم اللغة ، ولننحا كها فيما تفعل ، ولنعمل كما تعمل

وإذا نظرنا هذا النظر وجدناها تعلم أبناءنا اللغة العامية بالتكرار والمحادثة ، وكذلك كانت تعلم أطفال العرب لغة آبائهم . كانوا يسمعون فى طفولتهم من آبائهم ومخالطيهم مفردات اللغة وأساليبها ، والبليغ المأثور من بيانها ، ويتكرر ذلك على أسماعهم ، فيحاكونه ويقلدونه ويتكلمون على نهجه ، فيكتسبون الملكة فى اللغة بالسماع والتكرار والحفظ ؛ فإذا الطفل الناشىء ولسانه البادىء جار على هذه اللغة لا يخطىء ولا يشذ ، ولو حاول جهده أن يحيد عن الصواب لاستعصى ذلك على لسانه ، ولوجد فى ذلك مشقة وعنتا

إن محاكاة الفطرة فى أعمالها داعية إلى النجاح والتوفيق ، وكلما كان المرء أقرب إليها كان أقرب إلى الصواب ، وأبعد عن الخطأ ، ويكون خطؤه بقدر بعده عنها ، ومجافاته لقوانينها

ومن سوء حظ المتعلمين أن ما فى المدارس المصرية مما له تعلق بالطريقة الطبيعية قد أهمل ولم يعن به ، وهو فيها صورة لا معنى ، وشكل لا حقيقة ؛ ففى المدارس المصرية حفظ ومطالعة ، ولكن التلاميذ يهملون ذلك النمد القليل الذى فرضته عليهم المدارس

المصرية من المحفوظات ، ولا يحفظون إلا النزر القليل ليقولوه أمام لجنة الامتحان الشفوى . وفيها مطالعة ، ولكن عمر العام كله وهم لم يطالعوا إلا صفحات معدودة ، وفى الكتب المقررة شواهد على النحو والصرف والبلاغة ، ولكن التلاميذ لا يحفظون شاهداً ، ولا يستظهرون مثلاً

وضمت يدى على خمسة تلاميذ اتفاقا دون اختيار ، وكانوا من تلاميذ الثقافة ، وكان علم البيان مقرراً عليهم وفيه كثير من الأمثلة والشواهد ، وسألتهم واحداً واحداً عما حفظوه من شواهد البيان ، فلم يكن منهم من يحفظ بيتاً واحداً ، ومن المحزن أن الممتحنين لا يقيمون وزنا لذلك ، وأن المدرسين لا يقيمون له وزنا أيضاً ، فلا هؤلاء يحتمون عليهم حفظ الشواهد ، ولا أولئك يرون المقصر فى حفظها مقصراً فى الامتحان

وهذا إهمال عظيم فى الحفظ والتكرار ، وهو وإن كان محزنا فان لهم العذر كل العذر فيه ، لأنه ثبت فى أذهان الجميع معلمين ومتعلمين أن المعول عليه إنما هو القاعدة ، فإذا فهمت وحفظت فما عداها من حفظ الشاهد والمثل فضل ، ولا يعلمون أن هذا الفضل هو الذى إذا عنى بحفظه وتكراره رسم صورة ذهنية ، يكتب الناشىء على مثالها ، وينسج على منوالها

وقد علمتنى التجربة أن ما يؤخذ من المحفوظات فى المدارس لا يغنى التلاميذ شيئاً ، فمن الواجب أن يكلف التلاميذ أن يعكفوا على بعض دواوين الأدب ، فيقرؤوها ، أو يختاروا منها ، ويجمعوا ما يختارون فى كراسة ويحفظوه ويفهموا معناه ، وتكون هذه الكراسة بيد التلميذ عند الامتحان شاهدة على جده وعمله ، فيقدمها للمتحن فيرى أهى كافية أم غير كافية ، ثم يمتحنه فيها من أولها ومن وسطها ومن آخرها ليعلم هل حفظ ما اختار

وقد علمتنى التجربة أيضاً أن ما يؤخذ من المطالعة فى العام الدراسى أمام المدرس لا يغنى عن التلاميذ شيئاً ، فمن الواجب أن يكلفوا بكتب يطالعونها أثناء العام الدراسى ويكتبون آراءهم فيها ويلخصون محتوياتها ، وكذلك فى العطلة ، ويكون لهذا وذاك دخل فى تقدير الدرجات

كل ما فى الوجود يشهد لى أن اللغة إنما تكتسب بالحفظ والتكرار وأن القواعد لا تغنى فى اكتساب ملكة اللغة فتيلا

لعلك جلست إلى بعض المشبين واستمعت إلى حديثه فرأيته يتكلم بالعربية لا يكاد يخطىء : وينحدر كالسيل ، ويهدر كالرعد

ولعلك جلست إلى بطل من أبطال اللغة العربية يعرف قواعد النحو والصرف والبلاغة لا تكاد تخفى عليه منها خافية ، فرأيته يتكلم بالعامية لا يكاد يقيم جملة ، ولا يستطيع أن يلين لسانه بالعربية ، فعجبت كيف يملك الأول هذا القدر من العربية مع جهله ، وكيف يقصر عنه الثانى مع علمه

أتدرى لمَ هذا ؟ إن الأول زاول اللغة العربية عملاً ، وحفظ أدواره فى الروايات ، وألقاها ومرن على ذلك فاكتسب ملكتها ، فإن تكلم بعدُ صدر عن الملكة فأجاد ؛ أما الثانى فعلم قواعد النحو والصرف والبلاغة ، ولم يزاول اللغة حفظاً وعملاً ، فلم يكتسب ملكتها فكان هذا القصور المعيب

أجلست مع بعض العامة الذين يكثرون من قراءة الجرائد والروايات فرأيته يقيم لسانه بالعربية أكثر من ذلك النحوى الذى جعل همه فى القواعد والقوانين

ولعلك رأيت بعض من لا يعرفون علم العروض والقافية ، ولا يعرفون البحور وأوزانها ، ولا الخبن والطى ، إذا سمع بيتاً مكسوراً أدرك عيبه بمجرد سماعه ، وإذا سمع بيتاً صحيحاً أدرك صحته كذلك ؛ ولعلك رأيت بعض من يعرفون هذه العلوم لا يهتدون لعيب البيت أو صحته إلا إذا أخذوا يتعرفون من أى بحر هو ويجرونه على أوزانه . إن ذلك لأن الأول تربى عنده مقياس ذهنى لأوزان الشعر من كثرة قراءته وحفظه ، فإذا سمع شعراً اختل من هذه المقاييس أدرك ذلك بذوقه ، والآخر لم ترب عنده هذه المقاييس بل شغل بقواعد الشعر عن حفظه وقراءته والقواعد لا تربى الملكة

إن كثيراً من علماء العروض لو حاولوا نظم بيت من الشعر أعجزهم ؛ وإن كثيراً ممن لا يعرفون هذا العلم يأتى لهم الشعر طيعاً منقاداً — والسر ما قلناه وكررناه من أمر الملكة والتكرار

لافونتين

LA FONTAINE

(١٦٢١ — ١٦٩٥)

بنــو آدم كالنبت ونبت الأرض ألوان
فنهم شجر الصنـد ل والـكافور والبان

للأستاذ محمد حسنى عبدالله

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

الخرافة وازدواج الشخصية عند لافونتين

ولقد عرف العُشراء والأقربون فى هذا الشاعر ، من تصرفاته وأحواله ، إنساناً قليل الانتباه لمجرى الحوادث ، قليل الاحتفال بوقائع الحياة ، منصرفاً عن حركات الناس وسكناتهم ، متشاغلاً عن حديثهم ولغوهم ، شارد الفكر فيما لم يكن فى مستطاعه الدلالة عليه إذا بدهه سائل بالسؤال عما يشغله ويذهب بلبه . فكان يبدو ساذجاً أشبه بأبله ، من العصى عليه أن يصف لأحد مشافهة ما رأت عينه أو يعيد عليه ما وعت أذنه . فهو لم يكن يُعنى — فيما ظن خلصاؤه وبطانته — بشؤون الناس فى شىء ، عَظُمَ أم حقُر — حتى ولا بشأنه ؛ فكان همه فى الحياة — كزعمهم — العيش فحسب ؛ ومثله الأعلى — كحدسهم — الاستكانة للواقع والانصراف عن الجهاد والكفاح استمراء للكسل مضافاً إليه قليلاً من الُحب ليمد العيش بالنضارة والحلاوة كقليل الملح إذ يصلح الطعام ويجعل له طعما سائغاً

ولـكن كل من قرأ دواوين خرافاته وبحث فيها تصويرها الجامع لألطف المعانى والأخيلة ، الحافل بأدق الأحداث وأشدها ، تطلباً لليقظة ، عرف فيه كما قد عرف مؤرخو الآداب والناس عامة ، يَقِـظاً مرهف الحس ، فطناً لـكل ما ظُن أنه غافل عنه

فللرجل إذن خلقان على طرفى نقيض : أحدهما واضح المعالم ظاهر للعيان ساخر من الحياة ، غير عابىء بواجباتها حتى واجبات الأبوّة والزوجية ؛ والآخر خفى مستبطن ، ولـكنه يقظ منتبه لـكل ما يدور في ملعب الحياة . وثمة انسجام وتآلف بين هذين الخلقين ساق إلى تفادى أضرار هذا التباين بالتنفيس عن الجانب المستتر من خلقه فى أدب الخرافة التى كان إخراجها للناس برهاناً على ازدواج الشخصية عنده وجمعه لعجائب الأضداد

خرافة لافونتين والناس

وكما أن إلياذة هوميروس وأوديسته هما سجل اليونان الحافل ، وديوان أدبهم ، المحدث فى صدق عن معتقدهم ، المصور فى دقة لنظمهم ومراسمهم خلال حقبة طويلة من تاريخهم القـديم ، فـكذلك خرافات لافونتين — هوميروس الفرنسى — مرآة صادقة للحياة الاجتماعية فى عصر من أحفل عصور التاريخ السياسى والأدبى عند الفرنسيين ، ومعبر صريح عن الروح الغاليّة الساخرة العابثة الفطنة فى القرن السابع عشر ، إذ أراد فيها لافونتين بتصويره حاشية الأسد وجاعته من الحيوان ، مجتمع معاصره لويس الرابع عشر نفسه ، بلاطه وشعبه

وما الصفات التى وزعها على الحيوان — كل بما يوائمه من صفة — كالـكرم للأسد القوى ، والحيلة للثعلب الماكر المستضعف ، والنباء للحمار الأخرق ، والطيش للأرنب المستهترة ، والرياء للهر المتلون ، والغرور للغراب المستغر ، إلا صفات إنسانية محضة خبرها فى أهل عصره وصادفها فى مجتمعه فوصفه بطريقته الخاصة — الجادة إذ عبثت — متلطفاً بالمداراة والتأدب فى نقد الناس إذا قدح ، متحامياً الملق والتقرب من أى كان إذا مدح ؛ فخلق بذلك عالماً فى ظاهره غريب عن الإنسان ، وهو فى مستسره وكيد الصلة به . فتهيأت من ذلك للصغار فرصة الالتذاذ والتفكه

سلوا كل كاتب يحوك الوشى ، وينفث السحر ، وكل شاعر يقول الشعر ، وينظم الدر ، فى مصر وفى بلاد الشرق ، بمـاذا نالم هذه المنزلة ووصلتم إلى هذه الدرجة من البيان يجيبوك بأنهم لم ينالوا هذه المنزلة إلا بالقراءة الـكثيرة ، والحفظ الـكثير ومزاولة الـكتابة والحديث

إن قوانين الوجود صارمة نافذة أبدية فمن سايرها وعمل على مقتضاها انتفع بها وسار على ضوئها إلى التوفيق ، ومن جهلها لحقه الضرر بهذا الجهل ، ومن أراد التخلص منها ، وحاول أن يخضعها لإرادته عنى نفسه فيما لا يطاوعه ولا يجد إليه سبيلاً .

محمد عرفة

بشؤون هذا العالم الحيوانى العجيب والإفادة منه ، وللكبار فرصة إعمال الذهن وكدح الخاطر فى ربط الصلة بينهم وبين عالمهم واستخلاص الحقائق الواقعية التى أريد بها عصر لويس الرابع عشر خاصة ولكنها تصلح تصويراً أخلاقياً دقيقاً لكل عصر . وبهذا عدت الخرافات فى مجموعها ملحمة فرنسا الكبرى فكانت تراثاً أدبياً إذا أضيف إلى الألياذة والأوديسه والشهنامة وألف ليلة وليلة ، أعزّ جانب الأدب العالمى .

هومبروس الفرنسى والأخلاق

ولكن يصعب على المنقب فى هذه الخرافات أن يستخلص منها مذهباً أخلاقياً أو مبدأ مثالياً . فهوميروس الفرنسى قد قنع فيها بتصوير الحياة كما هى فأجلها فى قصائد منظومة لا تحسّن حسناً ولا تقبح مرذولاً . وإنما هدفها رسم الأحوال المختلفة وتصوير العواطف البشرية ، شرها وخيرها ، إذ الأمر يتعلق بوصف الحياة لا بنقدها . فالقوة والضعف والغنى والفقر والشر والخير هذه كلها ألوان ليس للحياة منها بد . بل لا محيد للضعيف عن الخضوع للقوى ، ولا مهرب للفقير من استعباد الغنى ، ولا حيلة للخير مع الشر

فلافونتين إذن لا يختط قواعد أخلاقية تتبع ، ولا يبين أغراضاً مثالية تُراعى ، إذ غرضه إزاحة الستار عن حقيقة الحياة الدنيا بغير أن يتطلع إلى خير منها . فإذا عرض للضعيف المغلوب فغالباً يجرده من معونة الغير ومن القدرة على الأخذ لنفسه . وإذا تكلم عن القوى المظفّر حشد فى ركابه الدنيا برجلها وخيلها ، وهيأ له النصر المحتوم من طبيعة الأمور . وهو يؤيد ما قيل من أن « جوبيتير » مد على البسيطة خوانين : خواناً للمجدودين أصحاب الجاه والنفوذ والقوة قد صفت عليه ألوان شهية من الطعام والشراب ، وخواناً للمخذولين الخاضعين ، لا يُلقى إليه إلا بالفضالة والفتات . بل المسألة ـ فيما يرى ـ أدهى وأمر ؛ فالصغار أنفسهم هم مأكول الكبار القادرين . وأيًّا ما كان الأمر فالامتثال والإذعان واجب الضعيف للقوى والمسود نحو السيد . وعلى الكلب ألا يجهل من يكون السبع الملك ، وأى فضائل تلك التى خص بها دون المخلوقات ، ومتى ينبغى توطين النفس على الرضاء بظلمه وحيفه

على أن الحياة كما هى لا بأس بها ، والألم فيها على أى حال خير من الموت . فشمار لافونتين ـ مع هذا ـ الخضوع المطلق للواقع . وهـذا شمار لا يرضى الأراديين وأصحاب الخطة فى الحياة

وقد عاب عليه چان چاك روسو السخرية من الضعيف المغلوب . فبالإضحاك على حسابه يدعو إلى الإعجاب بالغالب المختال ، ويحث على المظلمة والجور . وذكر أن حِكمه وأمثاله ليست من النبل والبطولة فى شىء . فكثيرها ينصح بقبول الحياة حتى فى أحط الأوضاع ؛ ثم ينصح بأخذها بالملق والإذعان والدهاء . وما هذه إلا صفات الخاضع الذليل الذى لا يُرجى نفعه

على أن الخرافات فى الحق وإن سخرت كثيراً من الضعاف لا تخلو من الإشارة إلى الأخلاق . وكيف لا والسخرية نفسها سياط تحدو إلى التفطن والانتباه حذر الوقوع فيما يستوعبها من الغفلة والانخذال . وهل أدل على أن لافونتين قد قصد إلى الأخلاق والنصيحة من قوله هذا « ما أردت إلا الإفادة والإرضاء بهذه الصور الوهمية التى أقدمها للعالمين ، فالحكاية لمجرد التسلية شىء يبدو لى تافهاً صغيراً »

كلمة ختامية

ولئن كان أروج الأمور — فيما يرى لافونتين — التسليم للأمر الواقع فإن ذلك لا يعنى عنده الغفلة عن المسرة واغتنام فرص الحياة . فهو — وهو أبيقورى المذهب — جد حريص على أن يهيب بالناس إلى الاستمتاع بمسرات العيش ما أسعفت الحيلة ومكنت الفرصة . فما للانسان سوى عمر واحد ، فإن هو بذله فى هم وأحزان ، إن كان وضع فى الدنيا موضع كد وحرمان ، فوالله قد عُرّى من دهره وحرم نعيم الرضاء بأية حال . فالمرء لا يعدم مع الفاقة والمسرة والإذعان للسيد المقتدر ، غبطة القناعة وسرور السلام . وهل استطعمت السباع التى خلفت وراءها ما فاض من مطعمها مذاقاً غير الذى ذاقته الثعالب فى هذا المخلّف ؟ على أن الدنيا فى واقع الأمر دار ضيافة ، وليس من عرفان الصنيع فى شىء أن نغادرها دون الشكر للمضيف أيا ما كان القرى الذى يتيسر لنا من حكم الأقدار

أعداء النســاء

للسيدة وداد سكاكيني

أمر من الرجل قد وقع ، وقضاء قد حم على رأس المرأة . وكأن الدهر أبى منذ الأزل إلا أن يقطع أسباب المودة والصفاء بين الرجال والنساء ، فسخّر من غلاظ القلب والحسد من كاد لهن وتربص بهن ، وزعم متلطفاً أنهن شر لا مفر منه ولا غناء عنه ، فأساء الرجل إلى جنسه ، وإلى من خلقت من نفسه ؛ فكان كمن ضل وأضل . إذ كيف جاز فى شرعة الحق والرجولة أن يخلق هـذا الإنسان الجبار عداوة بين الجنسين ، أو فى دنيا مخلوقين بديعين ؟ ومذ بدرت من الطبائع بوادر الخصومة والخلاف هب نفر من الرجال ، وقد حسبوا أنهم يحسنون صنعاً ، فتنادوا إلى ملاحاة النساء والنض من حسناتهن ، ليقال إن العالم يشق بشرهن ويفنيا بأمرهن . وأخذ المتنادون والأشياع يهتفون فى كل جريمة وقعت أو خصومة قامت : فتش عن المرأة . ثم غدا الناقمون مباهين بعداوة النساء ، فروعت بنات حواء وفزعن إلى أخواتهن متسائلات :

— من الشاهر سيفه الكاشر عن أنيابه ، الناشر لمخالبه ، يريد بنا الأذى وينوى لنا الردى ... ؟

فقلن هـذا « أرثور » زائغ الفكر والشعور ، رفع صوته فى الغرب ، فثارت به المرأة تتمنى جلده وتحطيمه . وذلك « التنوخى » الضرير نفث نقمته فى أرجاء الشرق ، فودت له النساء كل شقاء وفناء . وخلف من بعـد هذين الناقمين خلف ورثوا عنهما المكايد والضغائن وصار إليهم بحَوَرَة الماكرين ...

وبعد فما لامرأة اليوم حيلة بالأعداء الغابرين ، فقد ماتوا وخلوا للمشايعين تراث العداوة لها ؟ وكانت تحسب أنها استراحت من الأعداء ، فإذا هم اليوم خصوم ألداء وحقدة أشداء ، يتداولون بينهم ذلك التراث البغيض . من هؤلاء الخصوم فى ديار العرب توفيق بن سليمان الذى جدّ فى عداوته للمرأة فطعن عليها ، ورماها بكل نقيصة فى كتبه ومقالاته . واليوم ظهر فى جنبه بوادى النيل عدو جديد . على أن أكثر هؤلاء الأعداء من الكاتبين والفلاسفة والكبراء ، ما شاع ذكرهم ولا ذاع صيتهم إلا حين تهجموا على النساء بالمثالب والتسفيه ، فإذا بمطاعنهم تدور وتحور ، ويتردد صداها فى كل مكان ، وينبسط مداها مع الزمان ، ويقبل على بضاعتهم الشامتون بالمرأة والناضبون عليها ،

تلك وأشباهها أراء لم تكن إلا صدى لحياة لافونتين نفسهـا . فهو قد عاش قرير العين ، رخى النفس ، لا منفذ إلى قلبه للهم . وكانت له الضياع والعقار فى أراضى « شاتوتيرى Chateau Thierrey » حيث ولد ودرج وشب وعاش حتى الخامسة والثلاثين من عمره — فلم يعن بالإبقاء عليها تحرزاً من غير الدهر وصروف الزمن . فلما صار إلى الفقر نتيجة التبذير والإسراف ، آواه بباريس « فوكيه » وزير مالية لويس الرابع عشر ، فدوقة أورليان ، فدام دولاسابليير ، فهيرفار من بعد ، لم يمنعه ذلك من التسليم والرضا ، ولم يتأسف على ما لم يعن التوفيق ببقائه ؛ بل أطلق لهواه العنان وأخذ بأوفر سهم من لذة العيش قبل أن تولى أيامه وتنصرم مدته . إلا أنه عند دنو الأجل استشعر الندم على ما فرط منه . يتضح ذلك من هذه النبذه التى نختتم بها من كتاب له إلى صديقه الشاعر « موكروا Maucroix »

« من الإسراف يا أخى أن تخال صديقك لافونتين مريضاً بالوهم ؛ فالذى لا ريب فيه أنه لم يبق من أجله إلا أيام معدودات ، ولشدّ ما نالت من قواه العلة طوال عامين بتمامها ، لم يشد أزره على شدتهما سوى نعمة اختلافه إلى المجمع اللغوى بين الوقت والوقت . ولـكن بالأمس وهو فى طريق العودة منه ، بغتته ضعف ظن أنه والموت على موعد . فأخذته الرعدة لا خشية الموت ولـكن خوف الحاكم العادل ، جلت قدرته . فأنت تعلم بأى وجه سيلاق صديقك ربه ... »

وتلك الندامة لعمرى حسنة تسجل للافونتين .

محمد حسني عبد الله

فيشترون من تلك البضاعة المزجاة ويرتأون آراءهم القائلة ، وإذا بها ترن فى المسامع وتطوف بالمجامع ؛ فيهتف التاريخ بأسماء : شوبنهور ونيتشه والمعرى وتوفيق الحكيم وغيرهم ...

ومن عجب أن يجور هؤلاء الأعلام على النساء بما يخالف العرف وينافى الواقع ، ليكتسبوا من هذه المناوأة والمكابرة شهرة جديدة وصيتاً بعيداً . وطالما جار الثالبون على أنفسهم فتعسفوا وتكلفوا وكان خبطهم خبط أعشى . أليس منا أمهاتهم وأخواتهم وخالاتهم وجداتهم ، ولم لا أقول زوجاتهم وبناتهم ؟ ثم أستغفر الله مما وزل به اللسان ، فإن كفيف المعرة كف نفسه عن المرأة ، ولعل له عذراً ، فلو كان كحل عينيه بجمال الغيد ولم يكن دميماً لاجتاحت قلبه واحدة من النساء غيرت معالم اللزوميات ، فلم يطمن علينا فيها بالثانيات ، ولما أدارها معنا وقيمة سجالا وحرباً عواناً ؛ فإن فى كل بيت منها لسيفاً وسناناً . ولقد بنى أبو العلاء صروح شعره على ذم المرأة وما دل عليها ، وكان منها أو إليها ، فالدنيا عنده أم دفر ، وهو أبداً ينحت أثلتها ويبرى عودها ، معتقداً أن كل خطب فيها سببه المرأة ؛ فهو هدام معطل ، لو أوتى قوة شمشون وكان مسبل الشعور لدك بهن العالم وأقفر الوجود . ومن يدرى فلعل شوبنهور أو نيتشه وسواهما من أعداء المرأة فى الغرب والشرق إذ كرهوها وصفدوها ، كانت وراء كل منهم امرأة أفسدت عليه نعيم الحياة ، وسودت فى عينيه بياض الدنيا ؛ فحسب الغدر أو الكيد كله من شيم النساء . وإذ كان لهؤلاء الأعداء الغابرين معاذيرهم فى الغضب على النساء وفى عهود كن مستضعفات ، فأى عذر للناقمين منهن فى عصرنا ؟ وكأن هذه النقمة من أكابر الكاتبين فى أيامنا خصومة بهم أو دلالة عليهم ، فاذا ركد لهم صيت أو فتر من حولهم إعجاب هزوا لأنفسهم رياح الشهرة بمقال يرسلونه ، أو رأى يقولونه ، فى شأن المرأة ، فقذفوا بالباطل عليها ، ودعوا الرجال إلى البطش بها ، وعد الحقوق التى تطلبها ضرباً من الأوهام والأباطيل . من هؤلاء الأعداء المكابرين الكاتب المصرى توفيق الحكيم الذى يجهر بعدائه للنساء فى كل نهزة ، ويسخر قلمه للسخر منهن ومن ثقافتهن . وما كان هذا منه إلا ألعوبة أدبية يلوح بها فى وجوه الناس ليزيدهم لآثاره تقديراً وعليها إقبالاً . ولعلهم كانوا كذلك بادىء الرأى ، أما وقد عرفوا أفانينه فإن توفيقاً أصبح لدى العارفين أديب تربص وانتهاز ، فمنذ عهد قريب دعا قومه إلى تعدد الزوجات ، وحين نشر الدكتور طه حسين كتابه الأخير « أحلام شهرزاد » ضاقت عين الحكيم عن تسريح النظر فى هذه الأحلام التى صور فيها الأديب العميد « شهرزاد » فى رداء من الحصافة والذكاء . ولما رآها مرت أمامه شهرزاد التى صورها خليعة ماجنة . ومن قبل نشر الأستاذ توفيق الحكيم فصولاً عرى فيها المرأة من مواهب الفن فزعم أنها لا تحسن إنشاء القصص التمثيلية ولا تستطيع أن تكون موسيقية تبتكر الألحان ، وقد فاته من أدبنا القديم براعة المغنيات فى عصر بنى العباس ، وفى العصر الحاضر من أهل الملحون نساء فى المشارق والمغارب . أما الروايات التمثيلية فعهد العرب بها جديد ، ولننتظر فإن الزمان لم ينفد أمده ، وما زال الإنسان حياً ، فإن فى مأتى الدهر نجوماً ستنجم يكون بينها مؤلفات للمسرح وموسيقيات . ومن أعجب العجب أن تكون عداوة الحكيم للنساء أشهراً لتكون وحياً جديداً للأستاذ عباس محمود العقاد ، فقد نشر هذا الأديب العظيم مقالين زعم فيهما أن المرأة لا تجيد من الفنون غير فن الرواية ، وكأن هذا الفن فى نظره أهزولة هينة على كل كاتب ، وقال إن المرأة ليست بشاعرة مبتكرة بل هى مقصرة ومكررة ، لأن الشعر ابتكار واقتدار ، وأنها لم تنبغ حتى فيما هو أقرب إليها وأحرى أن تتفوق به على الرجل وهو الرثاء ، وإذا كانوا يضربون المثل بالخنساء فإنه ليس فى ديوانها غير أبيات متفرقات فى البكاء لا ترتقى إلى منزلة الشعر السيار ، إذ كله تكرير لمعنى واحد ، ولا يصح أن يقال إنه معنى من معانى القريحة والخيال . وقال العقاد أيضاً : إن التصوير كالتمثيل والمرأة فيه غير مبدعة . ولم تعرف نابغة فيه خلقت دوراً من محض خيالها وتفكيرها كما يتفق لنوابغ المثلين من الرجال . وهكذا رأينا هذا الكاتب الكبير يجرد المرأة من مزايا الإبداع والإجادة حتى فى صناعاتها الخاصة بها ، كالطهى والوشى والزينة والخياطة ؛ فزعم أن الرجل

يبذها فيها وينافسها ، ونحن نقول إن فى عديد شاعرات الغرب قديماً وحديثاً ، وفى شاعرات العرب اللواتى - روى شعرهن أبو تمام وأبو نواس ، أو التى ينشرن القريض بلغة الضاد أو بلغة الفرنسيين - ما ينقض رأى العقاد ؛ وفى الأديبات المعاصرات من أحرزت جائزة نوبل التى ما أحسب الأستاذ العقاد يزهد فيها ، وفى النساء ممثلات كساره برنارد وراشيل ، ومصورات لا يحصى لهن تعداد ، أليس فيما أشرت إليه حجة بالغة عليه ؟ ونحن لم ننس بعد مرثيته لفقيدة الأدب فى الشرق الآنسة « مى » .

فعداوة العقاد إذن كعداوة الحكيم وكلاهما أديب أعزب وعن النساء بمعزل ، بل ما دار لدى الأول بين يديه فى صحن داره كما يذكر هو فى كتابه « عالم السدود والقيود » غير خادمه الساذج ، وما وقفت فى مطبخه طاهية ولا جارية ، بل لم تخطر فى فناء بيته وحجراته امرأة يدعوها بأم أولاده ، والحكيم يعيش مفرداً متجافياً عن المرأة ، وقد آثر مرة إلفة حمار كما قال عن نفسه فى كتابه « حمار الحكيم » . ويثور بالمرأة أديب آخر يمزح مزاحاً فيه حلاوة وفيه مرارة هو الأستاذ المازنى الذى يتندر على المرأة ويستهزئ بها فى كثير من قصصه ومقالاته ، حتى أن زوجته وبناته لا يسلمن من أهكوماته وزرايته . وأحسب هذه الضروب من الأدب العابث بالنساء أصبح لدى معشر من أدباء العصر أفكوهة الفن وطرفة التجديد ، وما المرأة فى هذا الزمان إلا مستيقظة من سبات ، ناهضة من خمول وهوان ، فعلام يحول أدباؤنا دون تحريرها ورقيها ، ويباهون بالعداوة لها والزراية عليها ، وكان الأولى لهم أن يعالجوا مشاكلها ويتفقدوها فى مجتمعاتهم ، ويجعلوا منها شريكاً فى حياة كاملة طيبة ، وما بال هؤلاء الأعداء - وما جادت الأيام بأندادهم إلا على هامات العصور - يسخرون أقلامهم للهدم والتحطيم ، وقد شرفها الله فأقسم بها وما كان مدادها إلا ليشرق من سواده نور الحق والخير على بياض الأوراق ؟ ليتهم سخروها لرعاية المرأة ورفعتها ، ولسوف تأتى الأجيال القابلة فينظر أهلوها فى آثار هؤلاء الناقين على النساء ، فيرون أن بعضهم كانوا لاهين مباهين بأدب لحنه وهم وخيال وسداه زهو وتحريف ، ينتزعونه أحياناً من الأساطير ويرددونه فى الأدب الحديث باسم الفن والتجديد لقوم حرام عليهم اللهو والهزل والدنيا جادة فى اقتحام الأمجاد وبناء الأجيال ، وهكذا نراهم غير جادين فى آرائهم أو مخلصين لدعواهم ، ولو كانوا يريدون للنساء خيراً ونفعاً لأنشأوا لهن أدباً يبصرهن ويعصمهن ويجمع قواهن فى قوة الرجال فما ينبغى أن يتخلفن عن مسايرتهم فى ركب الحياة

يقول الراسخون فى العلم والنافذون بأبصارهم إلى عالم الغيب : إن فى حياة كل أديب امرأة كان لها تأثير فى توجيهه ونبوغه ، وهذا مارد ده توفيق الحكيم منذ سنين : « فمن أفواهكم ندينكم » يا أعداء المرأة ؛ لولا نساء أظلمت عليكم قلوبهن فلم تدخلوها لما كانت عداوتكم ، وإذا دعوتم إلى تحقير المرأة والبطش بها فإن وراء دعوتكم تشفياً وانتقاماً ، فقد يكون الدهر ابتلاكم بأهواء الحسان ، أو بلوتم زيوف النساء فتجافيتم عن الخوالص الصحاح

ثم ابحثوا أيها المنصفون تاريخ السرائر والنفوس ، فلن تجدوا منذ حواء واحدة من النساء قد نصبت نفسها لعداوة الرجل ، ولو بحثتم عن أعداء النساء منذ آدم لوجدتم فيهم الكثير ، فخلوا عنكم أيها الأعداء ، وحسبكم تسفيهاً للمرأة وتجريحاً ، وعلام هذه البغيضة منكم والقطيعة ، فما العمر مديداً حتى يحتمل فيه الكدر والخصام ، ولا فيه صفاء يدوم لإنسان .

(دمشق) وداد سكاكينى

موكب الحسن . . .

مَوْكِبُ الْحُسْنِ تَهَادَى بَيْنَ أَرْجَاءِ الْحَيَاةِ
ضَاحِكَ الإِشْرَاقِ طَلْقَ السِّحْرِ وَضَّاحَ السِّمَاتِ
أَلْهَوَى رَنَّحَ عِطْفَيْهِ بِسَكْرَى الأُغْنِيَاتِ
وَالسَّنَا رَفْرَقَ مَسْرَا هُ كَأَمْوَاهِ الْقَنَاةِ
خُذْ مِنَ الْبَهْجَةِ يَا شَاعِرُ مَا شِئْتَ وَهَاتِ

هَذِهِ الْجَنَّاتُ مِلْءُ الْعَيْنِ سِحْرًا وَانْبِهَارَا
تَرْقُصُ الأَغْصَانُ فِيهَا رَقْصَ أَعْطَافِ السُّكَارَى
وَنَسِيمُ اللَّيْلِ هَفْهَا فٌ كَأَنْفَاسِ الْعَذَارَى
وَالنَّدَى سِرُّ اللَّيَالِي قَبَّلَ الزَّهْرَ جِهَارَا
وَالدَّيَاجِيرُ تَحَارِيبُ سُكُونٍ لِلْحَيَارَى

وَرَأَيْتُ الْحُسْنَ كَالْخَيْرَانِ يَغْدُو وَيَرُوحُ
أَطْلَقَ الصَّبْوَةَ تَجْرِى خَلْفَهُ لاَ تَسْتَرِيحُ ! !
وَالْهَوَى وَالْوَجْدُ فِى جَنْبَيْهِ نَارٌ وَجُرُوحُ
وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ فِى كَفَّيْهِ أَسْرَارٌ تَبُوحُ
إِنَّ هَذَا الْكَوْنَ جِسْمٌ وَالْهَوَى لِلْجِسْمِ رُوحُ

كُلَّمَا أَبْصَرْتُ ذَاكَ الْبَدْرَ فَتَّانَ الْمُحَيَّا
وَالرُّبَا وَالْبِيدَ وَاللَّيْلَ وَعُنْقُودَ الثُّرَيَّا
وَالنَّدَى وَالزَّهْرَ وَالْغِيدَ وَأَكْوَابَ الْحُمَيَّا
قُلْتُ هَيَّا عَانِقِينِي يَا مَجَالِي الْحُسْنِ هَيَّا
وَتَعَالَىْ نَمْتَلِكْ نَا صِيَةَ الدُّنْيَا سَوِيَّا ! !

إِنْ تَبَدَّى الْحُسْنُ شَتَّى فَهْوَ فِى قَلْبِي جَمِيعُ !
أَوْ تَعَرَّى فَلْيَكُمْ يُكْسَى بِهِ الْفَنُّ الرَّفِيعُ !
يَا تَقِيَّ الْقَلْبِ غُضَّ الطَّرْفَ فَالْحُسْنُ خَلِيعُ ! !
لاَ تَسَلْنِي عَنْ شِتَاءِ النَّفْسِ وَالدُّنْيَا رَبِيعُ

كَيْفَ أَشْكُو الْجَدْبَ وَالأَمْحَالَ وَالْوَادِى مَرِيعُ ؟ !

الدُّنَى تَجْلُو لِى بَشَاشَا تِ تَهَادَتْ فِى حُلاَهَا
وَالْبَرَايَا فِتَنٌ سَكْرَى بِأَحْلاَمِ صِبَاهَا
تَعْبُدُ الْحُسْنَ إِلَهًا حُرَّةً وَفْقَ هَوَاهَا
وَإِذَا مَا صَاغَكَ اللَّهُ شُعُورًا وَانْتِبَاهَا
أَحَرَامٌ أَنْ تَرَى فِى كُلِّ فَتَّانٍ إِلَهًا ؟ !

(كوم النور) **أحمد أحمد العجمى**

من شعر الأطفال

١ – الطيار الصغير

أنا طيّارٌ صغيرُ لستُ أخشى ما يضيرُ
أنا فى الجوّ أطيرُ فوق هامات الرياحْ . . .

* * *

أنا طيّارُ بلادى أنا عُنوانُ الجهادِ
إنْ دعتْ مصر تُنادى قمتُ أسعى للكفاحْ . . .

٢ – البحار الصغير

أنا فى الصبح أقومُ ثمّ فى البحر أعومُ
أنا بحّارٌ عظيمُ كلُّ حىّ للحياهْ . . .

* * *

صاحبى النهرُ الجميلُ ليس لى عنه بديلُ
كلُّ ما فيه جليلُ مُثبتٌ فضلَ الإلهْ . . .

٣ – إخوتى الصغار

لى إخوةٌ صغارُ جميعُهمْ أبرارُ
أحبُّهم من مهجتى كذاك هم أحبّتى
إن غاب يوماً والدى أصبحتُ مثل القائد !
إن سرتُ يتّبعونى أو قلتُ يسمعونى
وهكذا الإخوانُ يضمّهم حنانُ . . .

(المنصورة) **على متولى صلاح**



كلمة بريئة

الصلة بين الكاتب والقارىء ... توثقها روابط المحبة والصدق والمعرفة والإخلاص ... والكاتب الذى يعمل على إيجاد هذه الصلة بينه وبين قرائه كاتب فذ جدير بالاحترام ... ولعل الأستاذ الجليل الدكتور زكي مبارك يعد الكاتب الاجتماعى الأول الذى يعنى بهذه الصلة ... فليس همه إنشاء الأدب المحض ... يسكبه فى أرواحنا فناً يأخذ بالمجامع بل همه المجتمع الذى يعيش فيه يبحث فى مشكلاته ... ويناقش فى معضلاته ... ويشارك القراء أبحاثهم ويناقشهم آراءهم فى أدب جم ... وتواضع كريم . هذا هو الدكتور زكى مبارك .

ويبقى الأستاذ سيد قطب يريد أن يعرف رأى القراء فيه ... ولعلى أتطوع لإبداء رأيى فيه . لا من ناحية قيمة كتاباته من الناحية الفنية الأدبية فهذا أتركه لأساتذة الأدب وجهابذة البيان . ولكن من ناحية أسلوبه فى الخطاب والمناقشة مع الأدباء فهو مع الأستاذ مندور يعتمد على قلمه فى سب الرجل والأخذ بخناقه ظلماً طاعناً فى رجولته من أجل أدبه المهموس . والأدب شىء والرجولة شىء ... والفن هو الفن ... ومع ذلك فلم نر الدكتور مندور إلا ناقداً فنياً أعجب القراء بحثه وتمليله ونقده وتحليله وشرحه وتأويله ... ومعارك القلم عند القراء « عوامهم وخواصهم » لن تجدى فيها دعاية ولا حرب أعصاب أو حملة عمادها الشتيمة والسباب . لا بل القارىء يهمه الحجة والمنطق والأسباب ... ثم ماذا ؟ قرأنا مقال « أيها الأدباء أعصابكم » فإذا بنا ننتهى من المقال لنعيد قراءته . وقد لمسنا حسن التوجيه فى أدب ولباقة ... فإذا بالأستاذ قطب يهاجم الأستاذ دريني تحت عنوان غريب ما يصح صدوره من أديب :

« تصحيحات واجبة فى الأدب والأخلاق » ، ثم قرأنا لنرى « تصحيحات » فإذا بنا نقرأ شيئاً آخر . فهل التصحيحات معناها اتهام الأستاذ دريني بالتحامل ... واتهام القراء بالعامية وأنه لا يتلقى معاييره الفكرية إلا من العوام وأشباههم ... صحيح أن الأستاذ قطب تلميذ العقاد . وهل فى هذا ما يغضب الأستاذ قطب . لا . الأستاذ قطب كاتب وأديب وشاعر وكل شىء ... والقراء يحبونه أن يظل هكذا بينهم ... وبقدر ما يحبونه يحبون آخرين ... فإذا شاء أن يبارك فبقلمه لا بلسانه . وبعد نقول للأستاذ : « أيها الأديب أعصابك » .

أحمد فهمى القاضى
المحامى

الأعراب

فى العدد (٥٣٠) من مجلتكم الغراء ورد اسمى فى رسالة مفتوحة من « أستاذ جليل » إلى رئيس تحرير مجلة آخر ساعة يشكونى فيها إليه لبعض ما كتبته بإمضائى

وقد فهمت مما كتبه الأستاذ الجليل – وقد فهمته بصعوبة لبلاغة اللغة التى كتب بها – أنه يتهمنى بالتجنى على إخواننا العرب لمجرد قولى فى سياق مقال : (كل هذه المدنية التى شيدناها لم تعجب الزائر الكريم ، وإنما أعجبته قطعة من الصحراء أقيمت عليها أصنام ، وقف حولها حمير وإبل وأعراب) ...

هذه الكلمة الصغيرة أغضبت الأستاذ الجليل ، واتهمنى من أجلها بأنى نسيت تاريخ العرب والنبى والإسلام ، ومن حرز مصر ومن هدي مصر والقواد والخلفاء العظام ... الخ ! نسيت كل هذا لأنى حاولت فى مقالى أن أصف صورة واقعية يراها كل من يدفع ثلاثة قروش ثمناً لتذكرة ترام يحمله إلى الأهرام ... صورة الإبل والحمير المعدة لنزهة السائحين ولهوهم ومن حولها أصحابها فعلا من الأعراب ، أو على الأقل من المتزيين بزى الأعراب ، يلهثون وراء السائحين صائحين (بقشيش) !

وقولى : (أعراب) دون (ال) التعريف تمنى أننى أقصد بعض الأعراب لا الأعراب كلهم أو على الأصح ... لا أمة العرب كما فهم الأستاذ الجليل ...

وفى كل أمة ، سواء كانت عربية أم مصرية أم فرنسية ، ينقسم الشعب إلى درجات وطبقات . فلو قلت أن فى مصر ماسحي أحذية ؛ فليس معنى ذلك أن الشعب المصرى كله من ماسحي الأحذية . ولو قلت أن من الأعراب من يقف وراء الحمير والإبل ؛ فليس معنى هذا أن كل العرب يقفون وراء الحمير والإبل

إن العرب أمة من الأمم ... أمة لها مزاياها ولها عيوبها . ومن حقنا أن نذكر عيوبها بنفس الصراحة التى نذكر بها مزاياها أمة لها تاريخ مجيد ... ولكن التاريخ لم يعد يكفي لتقدير الأمم فى هذا الجيل .

إحسان عبد القدوس

من رسائل الرافعي: وحي القرآن باللفظ، القراءات

وحى القرآن باللفظ أمر اختلفت فيه الفرق الإسلامية ؛ فللأشعرية قول، وللمعتزلة رأى، وللحنابلة مذهب. وثم فرق أخرى لها آراء مختلفة. ولا نطيل بذكر هذه الآراء فليرجع إليها فى مظانها من يريد الوقوف عليها، وأنت لو تدبرتها كلها لألفيتها مما لا يسكن إليه العقل، ولا يطمئن به القلب. وقد فزعت إلى الرافعى وهو من أئمة البلاغة لعلى أجد عنده شيئاً يثلج الصدر، ولكنه على ما أتى من قول بليغ، فإن النفس لا يزال فيها من هذا الأمر شيء

ولعلنا نجد من أئمة الدين، أو من غيرهم من العلماء المحققين، من يتولى بالبحث والتحقيق هذا الأمر الدقيق الذى يهم المسلمين جميعاً، حتى نصل فيه إلى مقطع تسكن إليه النفوس القلقة، وتستقر عنده العقول الحائرة

وهذا هو جواب الرافعى رحمه الله

يا أبا رية[1]: السلام عليك، وبعد. فإنك سألتنى مسائل دقيقة، تحتاج إلى الفكر وبسط الجواب وهذا ما لا قبل لى به فأنا مريض الدماغ حقيقة، ولكنى أجيبك بما قل ودل

أما سؤالك فقد كثر الكلام فى جوابه، والذى أراه أنا أن ألفاظ القرآن منزلة بحروفها ونسقها وإلا بطل الإعجاز، لأن الإعجاز لا يكون إنسانياً، وقد كان الوحى ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم فتعتريه حالة روحية وردت صفتها فى البخارى وغيره، وبها ينزع من عالم الحس فتتجرد نفسه الشريفة، فيرى الملك ويسمعه ويأخذ عنه، ثم يفيق فيؤدى ما أوحى إليه بحروفه، وهى حالة كانت شديدة عليه ولذلك تسمى (برحاء الوحى)، وكان جسمه صلى الله عليه وسلم يثقل فيها جداً ويتصبب عرقاً، إلى آخر ما ورد فى صفتها مما يدل على ما تلق نفسه الشريفة فى تجردها وما يلقى الجسم فى هذا التجرد، ولا يمكن فى مثل هذه الحالة أن يكون للانسان وعى وفكر يؤلف به نسقاً فى الكلام كما توهمت، لأن هذا التأليف من أعمال المخ، ولو أمكن أن تكون الألفاظ من عنده صلى الله عليه وسلم لظهر فيها أسلوبه قليلاً أو كثيرا؛ ولما كان فى حاجة إلى نزول القرآن آية فآيتين إلى عشر، بل كان يحدث عن المعنى الذى ينطبع فى روحه جملة واحدة، وفوق ذلك فهذه حالة تستدعى وقوع التفاوت فى أجزاء القرآن وهو غير واقع، وأظنك لم تقرأ الجزء الثانى من تاريخ آداب العرب ففيه كل شيء ما عدا كيفية نزول الوحى، لأنى لم أتعرض لها إذ أردت أن يكون كتابى مقنعاً للمؤمن وغير المؤمن فجئت به من جهة العقل فى كل فصوله. ومن أجل ما بينت لك جزم العلماء كلهم أنه لم ينزل شيء من القرآن مناماً، لأن النوم حالة يستوى فيها الناس لتجرد أرواحهم

أما اختلاف القراءات أحياناً فى بعض الألفاظ فهو أدعى للاعجاب والإعجاز لا كما ظننت، لأن ملهم اللغة ومقسمها فى ألسن العرب على اختلاف قبائلهم أنزل ألفاظ القرآن بطريقة يمكن لهذه الألسنة على تفاوت ما بينها أن تتلوه. ومن المعلوم أن العربى يجمد على لغة واحدة وبعض العرب لا يستطيع أن ينطق غير لغته مطلقاً، كما تراه فى الجزء الأول من التاريخ، فكانت القراءات لهذا السبب وكلها راجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم، وهو تلقاها كذلك عن جبريل عليه السلام؛ ما عدا القراءات الشاذة والضعيفة مما نبه عليه العلماء

أنزل الله القرآن لهداية العرب وإفحامهم به، فكان من الواجب أن تكون تلاوته متيسرة لهم على السواء، وهذا لا يتأتى إلا مع أوضاع فى بعض الحروف، وهذه الأوضاع هى القراءات؛ فمن من العرب كان يستطيع أن يؤلف لكل هذه القبائل كلاماً واحداً لا يعسر على ألسنة قبيلة من قبائلهم إلا أن يكون فى الناس يومئذ إله لغوى ... ؟

من هذا ترى أن القراءات هى معنى من معانى الإعجاز انتبه إليه العرب ولا يمكن أن يدركه غيرهم ممن جاءوا بعدهم، ولهذا لا أستحسن فى رأيى أن يقرأ بها الناس اليوم على اختلافها، إذ لا حاجة إلى ذلك بعد أن اجتمعت الألسنة على لغة واحدة، وقد ظهرت للقراءات فائدة تحقق معنى الإعجاز فيها، وهى تسهيل التلاوة على بعض أصحاب الألسنة المعوجة كالمغاربة ونحوهم. أما فى مصر فلا حاجة إليها

هذا ما يحضرنى وأظننى كتبت فى الجزء الثانى فى هذا المعنى ما فيه كفاية. أما صحتى فهى هى، ولى رغبة شديدة إلى الكتابة والعمل، ولكن الطبيب ينهانى عن ذلك، لأن الدماغ مريض، ولله الأمر أسأله تعالى أن يعيد على عافيتى ويزيدها.
والسلام عليكم ورحمة الله. (مصطفى)

(المنصورة) محمود أبو رية

(١) لما توثقت عرى الصداقة بينى وبين الرافعى كان يكتفى فى رسائله لى بذكر كنيتى فحسب وقد ذكروا أن من الاكرام الدعاء بالكنية قال رسول الله (ص) لصفوان بن أمية أنزل (أبا وهب) (أبو رية)

تعقيب وتنبيه

كنت قرأت فى مقال للأستاذ الفضال محمد عبد الغنى حسن (ع ٥٢٦ من الرسالة) إشارته إلى قول الشاعر :

إذا كنت فى حاجة مُرسلاً فأرسل حكيما ولا توصه

ثم نصه على أن ذلك من قول (شاعر إسلامى) . وأحب أن أذكر هنا أن نسبة هذه القصيدة إلى قائلها أمر مختلف فيه ، ولكن الأستاذ الجليل أحمد يوسف نجاتى ينسبها إلى (الزبير ابن عبد المطلب) عم الرسول عليه الصلوات فى ترجمة طويلة كتبها عنه بالعدد الصادر فى يناير عام ٩٤٠م من صحيفة دار العلوم . فقد أورد الأستاذ القصيدة ثم قال :

« قد ينسب بعض الرواة شيئاً من هذه الأبيات إلى عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ولكن الثقات ينسبون الأبيات كلها إلى الزبير بن عبد المطلب » . وأورد تأييداً لذلك ما جاء فى جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى من تأكيد نسبة الأبيات إلى الزبير

فهذا أحد التنبيهين أتوجه به إلى الأستاذ النابغة محمد عبد الغنى حسن . أما التنبيه الثانى فأخص به أستاذنا الجليل (نجاتى) فهو قد ذكر فى مقاله ـ الذى أشرت إليه ـ عن الزبير أبياتاً للأخطل فى وصف الخمر جاء فيها :

كمت ثلاثة أحوالٍ بطينتها حتى إذا صرحت من بعد تهدار
آلت إلى النصف من كلفاء أترعها علج ولثمها بالجفن والغارِ

ثم قال : كمت جمع كميت وهو الأسود . وجمع على فُعل لتوهم واحد له على وزن أفعل . ثم استطرد الأستاذ إلى تعليل تسمية الخمر كميتاً ، وحدد صفة هذا اللون بين الألوان . وأقول إنه يبدو لى أن صحة الكلمة فى البيت : كُمِّتْ ثلاثة أحوالٍ . أى بالبناء للمجهول من الفعل (كَمّ) بمعنى غطى وستر ، فالشاعر يريد أن هذه الخمر غطيت بالطين فى راقودها ثلاثة أعوام كوامل حتى صرحت وتكشف عنها زبدها ... إلى آخر ما ينص عليه من معنى . هذا وللأستاذين منى عظيم التحية ووافر التقدير

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

دراسات عن مقدمة ابن خلدون

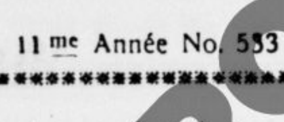
نعلن إلى الأدباء الأفاضل الذين طلبوا من إدارة الرسالة كتاب (دراسات عن مقدمة ابن خلدون) للعلامة الكبير الأستاذ ساطع الحصرى ، أن مؤلفه الفاضل لم يستطع إصداره إلى مصر ولا إلى غيرها من البلدان ، لأن السلطات اللبنانية والسورية تحظر ذلك فى الوقت الحاضر . وبهذه المناسبة نذكر أننا أخطأنا تقدير الثمن لهذا الكتاب القيم ، فإنه يباع فى لبنان وسورية بست ليرات سورية ، وهى تساوى بالعملة المصرية ستين قرشاً ، وهو مبلغ لا يزال ضئيلاً فى جانب ما تكلفه الكتاب من الجهد فى إعداده ونشره

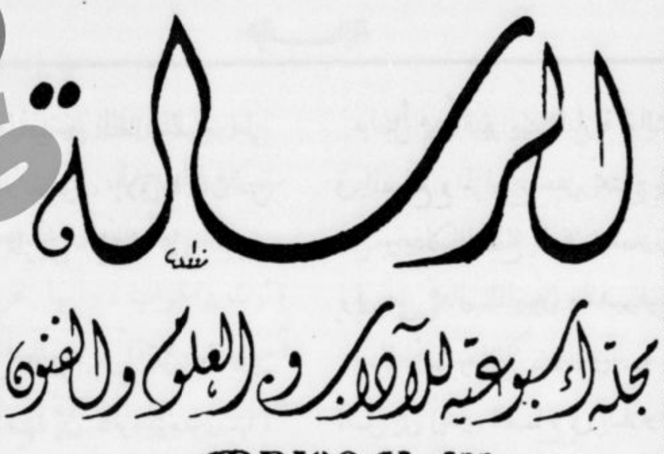
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 533

Lundi - 20 - 9 - 1943





ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٥٣٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٠ رمضان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهــرس

واجب الـكاتب المصرى

للأستاذ عباس محمود العقاد

للدعوة إلى مذهب من المذاهب الاجتماعية أو السياسية طريقان :

أحدهما طريق صريح ، وهو التنويه بفضائل المذهب الذى تدعو إليه ، وتجريد المذاهب التى تخالفه من أمثال هذه الفضائل

والطريق الثانى غير صريح ، وهو الإكثار من ذكر العيوب التى يفهم القارىء أنك توجهها إلى نظام اجتماعى بعينه ؛ ثم السكوت عن إسناد أمثال هـذه العيوب إلى الأنظمة الأخرى ، كأنها براء منها

فإذا كنت تعيش فى ظل الديمقراطية وأكثرت من الكلام عن البطالة والجوع والمرض وغيرها من العيوب الاجتماعية ، فقد يفهم القارىء من ذلك أنك تقدح فى الديمقراطية ولا تمس غيرها بمثل ما تعيبه عليها

ويسرى هذا الفهم إلى ذهن القارىء فى الزمن الذى نعيش فيه خاصة ، لأنه زمن الصراع بين المذاهب الاجتماعية والأمم التى تدين بكل منها ، حتى جاز أن يقال إن نتيجة الحرب الحاضرة هى نتيجة الصراع بين هذه المذاهب على صورة من الصور ، وأهمها الديمقراطية والشيوعية والنازية وزميلتها الفاشية كما هو معلوم

فالكاتب الذى ينقد العيوب الاجتماعية فى النظام الديمقراطى يجب أن يشير إلى أمثالها فى النظم الأخرى ، إلا إذا كان من قصده أن يبشر بتلك النظم من طريق الإيحاء على العيوب الديمقراطية

والذين يذكرون البطالة ومتاعب الفقراء من كتابنا يجب عليهم أن يقرروا الحقيقة التى لا شك فيها إن كانوا يؤمنون بها ، وهى أن المذاهب الأخرى لم تعالج هذه المشكلة علاجا أفضل من العلاج الذى تهتدى إليه الديمقراطية ، ولا تزال تسعى إلى تحسينه ، وإلا كان إلصاق هذه المشكلة بالديمقراطية وحدها مخالفاً للحقيقة ومخالفاً للقصد السليم

أما الحقيقة التى لا شك فيها ، ولا حاجة بها إلى الإطالة فى البيان ، فهي أن النظم الاجتماعية الأخرى قد فشلت فى علاج مشكلة البطالة والفقر ، ولم توفق إلى علاج لها يضمن دوامه وتحمد عقباه

فالبلاد الألمانية مثلاً قل فيها عدد العاطلين قبل الحرب الحاضرة ، واحتاجت إلى الأيدى العاملة من بلاد أجنبية

ولكن الفضل فى ذلك لا يرجع إلى المذهب الاجتماعى الذى غلب على البلاد الألمانية وهو النازية ، وإنما يرجع إلى تسخير الأيدى كلها فى صنع السلاح والذخيرة ، وتقسيم الشبان بين جنود يعملون فى الجيش ، وعمال يصنعون لهم أدوات القتال

والنازية عدو الشيوعية كما هو معلوم ، وبين المذهبين من الخصومة مثل ما بين الأمتين الجرمانية والروسية ، ولكن الروسيين قد استطاعوا فى السنوات الأخيرة ما استطاعه الألمانيون من إقلال عدد العاطلين ، ولا فضل فى ذلك للمذهب الاجتماعى الذى يدينون به وهو الشيوعية ، وإنما الفضل فيه للتجنيد وتحويل الكثير من المعامل إلى مصانع للذخيرة والسلاح

فاشتغال المصانع بالتسليح هو سبب القدرة على إقلال عدد العاطلين ، سواء كانت البلاد التى تدير مصانعها لهذا الغرض شيوعية أو نازية ، أو كائناً ما كان المذهب الاجتماعى الذى تدين به وتقيم الحكومة على أساسه

وليس بالديمقراطية من عجز عن هذه القدرة ، ولا تقصير فى هذا المضمار

بل هى أقدر من النازية والشيوعية معاً على تشغيل الملايين فى المصانع والمزارع حين تحتاج إلى المؤونة والسلاح

وعدد الصناع الذين يعملون اليوم فى البلاد الديمقراطية يربى على عمال النازيين والشيوعيين مجتمعين

والأجور التى ينتفعون بها أفضل وأقوم من الأجور التى تصل إلى أيدى الصناع فى البلاد الألمانية والروسية

فتدبير العمل من طريق التسليح فضيلة لا يختص بها مذهب من المذاهب الاجتماعية على اختلافها

وليس هو حلاً صالحاً للمشكلة الاقتصادية التى تواجه الأمم فى أيام السلم أو أيام الاشتغال بالتعمير والبناء

بل هذا الحل الوبيل هو البلاء الذى يهون إلى جانبه بلاء البطالة وإن ترك بغير علاج

إذ ليس من حلول العقلاء أن تطعم العاطلين فترة من الزمن طعاماً فيه الغنى أو ليس فيه غنى على الإطلاق ثم ترسلهم بعد ذلك إلى الذبح بالملايين من مختلف الميادين

وليس من حلول العقلاء أن تنكشف الحرب فى البلاد المهزومة عن أضعاف من كانوا بها من العاطلين وهم عاطلون وبهم من البلاء ، فوق بلاء التعطيل ، تشويه وتشريد وتنكيل

هذا دواء أهون منه الداء

هذا هو الجنون الذى يؤدى إليه سلب الحرية وتسخير الشعوب المغلولة كما تسخر الأنعام

وشفاء هذا الجنون أن تعالج الأمور على أساس التعاون بين الطبقات والتعاون بين الأمم والتعاون بين الحكومات

وهذا الذى تحاوله الديمقراطية وترجو أن تبلغ فيه بغيتها من التوفيق والنجاح

فإذا نجحت فذلك نجاح الإنسانية ، وإذا فشلت فذلك فشل الإنسانية التى لم تتمخض بعد عن مذهب أصلح من الديمقراطية لعلاج هذه المشكلات

لكن البوادر تدل على الخواتيم

والبوادر كما نشاهدها فى برنامج « بيفردج » أو ما شاكله من البرامج أدعى إلى التفاؤل من جميع هاتيك المواعيد الكاذبة التى تمنينا بها مذاهب التدمير والعداء ، سواء قام العداء بين

الطبقات أو بين الأجناس البشرية من مختار فى زعم أصحابه وغير مختار !

فالخطة الديمقراطية ترمى إلى تحصيل الضرائب الكافية من موارد الشركات والأفراد ، وإنفاق هذه الضرائب على معونة الشيخوخة ومعونة الطفولة ومعونة العاطلين كلما قضت بعطلهم ضرورات المجتمع الذى يعيشون فيه

وهذه هى الخطة المثلى التى تجمع بين المطالب المأثورة فى المذاهب الاجتماعية على تناقضها

فهى تقيم المجتمع على التعاون وتعفيه من أوضار الحقد والبغضاء بين هذه الطبقات

وهى تطلق الأيدى فى التنافس والتسابق وترفع عن الناس وصمة الحجر الذى يتركهم مسخرين مقيدين كنزلاء السجون أو نزلاء الملاجئ والمستشفيات

وهى فى الواقع ترد كل شىء إلى الأمة كأنها تقرر مبدأ الملكية العامة من طريق غير الطريق الذى يتوخاه الشيوعيون ، لأن الأغنياء أصحاب الضياع والمصانع لا يبقى لهم من ثمرات أملاكهم بعد الضرائب التى ترتقى إلى تسعة أعشار الدخل فى بعض الأحيان إلا نصيب كنصيب الموظف فى شركة أو ضيعة يديرها لحساب مالكها الأصيل . ومزية هذه الطريقة على الطريقة الشيوعية أنها تبقى فى الأفراد عزيمة المنافسة والاستقلال والطموح إلى الامتياز ، وأنها مع ذلك ترد الثروة كلها إلى الأمة لتنفقها على سنة التعاون بين الطبقات

وتلك مزية الخطة الديمقراطية .

وفوق ذلك مزية الحرية وهى مناط الكرامة الإنسانية .

ومن الثرثرة الفارغة أن يصيح الصائحون كلما ذكرت لهم حرية الديمقراطية : نعم ! ولكن ماذا تغنى الحرية مع الجوع ؟ وماذا نصنع بالحرية والبطون خاوية ؟

هذه ثرثرة فارغة يلفظ بها بعضهم حسنة نياتهم بريئة مقاصدهم ، ويلفظ بها الآخرون وهم يعلمون أنهم مكابرون وأنهم يخاطبون معدات الجهلاء ولا يخاطبون رؤوس العقلاء .

فمن الذى قال مثلاً إن الحرية لا تكون بغير جوع ؟ ومن الذى قال إن الديمقراطية فرضت خواء البطون على جميع الأحرار ؟

ومن الذى قال إن المذاهب الأخرى قد سلبت الحرية وحلت مشكلة الجوع ؟

فالذى رأيناه أن المذاهب الأخرى حلت مشكلة الجوع بالموت والخراب ، وأنها تخرج من الموت والخراب إلى بطالة أخرى شر على الأمم من البطالة الأولى ، ثم لا محيص لها فى نهاية المطاف من حل المشكلة على الخطة الوحيدة التى يضمن لها الدوام وتؤمن بعدها العقبى ، وهى خطة الديمقراطية كما تمثلها الآن وكما يرجى لها من التقدم بعد التجارب المنظورة

فالذين يقولون : ماذا تغنى الحرية مع الجوع ينبغى أن يدلونا على المذهب الاجتماعى الذى سلب الحرية وأراح الناس من مشكلة الجوع ؟

أما وهم لا يستطيعون ذلك فعليهم أن يذكروا هذه الحقيقة ولا يغفلوا عن التنبيه إليها ، ما داموا لا يريدون الدعوة إلى بعض المذاهب من طريق التشهير بالعيوب وحصرها فى النظام الاجتماعى الذى يعيشون فيه

إن الحرية مع الجوع لا خير فيها

وإن الشبع مع الاستعباد وزوال الكرامة الإنسانية كذلك لا خير فيه

وإنما الفارق بين القولين أن زوال الحرية فى ظل الشيوعية والنازية محتوم ، ولكن الجوع فى ظل الديمقراطية ليس بمحتوم ولا هو من المبادىء التى تدخل فيها كما تدخل الاستهانة بحرية الفرد فى صميم المبادىء الشيوعية والنازية

وهنالك فارق غير هذا الفارق بين القولين : وهو أن الشبع غاية حيوانية ، وأن كرامة الحرية غاية إنسانية ، وكفى بالديمقراطية فضلاً أنها تخاطب الإنسان ولا تخاطب الحيوان ، وأنها تعامله معاملة المكلف الرشيد ولا تعامله معاملة القاصر الذى تشرف عليه الحكومة وتخدعه عن كرامته بأحاديث الشبع والجوع ، وهي لا تكفل له الشبع ولا تريحه من الجوع ... بل تخاطب المعدات لأنها عاجزة عن خطاب العقول .

عباس محمود العقاد

حكم فى الجنحة ٢٢٣ عسكرية باب الشعرية سنة ١٩٤٣ بحبس كل من أحمد على حسانين وعاصم مصطفى ثلاثة شهور مع الشغل وغرامة ١٠٠ جنيه والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لأنهما صنعا أرغفة من الخبز تقل فى وزنها عن الوزن القانونى

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

إلى عمداء الكليات — عتاب لبنانى — ترفق بنفسك يا صديقى — التاريخ الأدبى

إلى عمداء الكليات

هذه كلمة أسوقها برفق إلى عمداء الكليات بجامعة القاهرة وجامعة الإسكندرية ، وأنا واثق بأن ما يَرِد فيها من المعانى قد دار بخواطر أولئك العمداء

سمعنا وقرأنا أن رجال الجامعة هنا وهناك يرون قبول الطلبة العرب بدون نظر إلى تفاوت الدرجات فى شهادة الدراسة الثانوية ، وهذا واقع بالفعل ، وفيه دلالة صريحة على تشجيع التعليم العالى ، وتقوية الروابط بين مصر وشقيقاتها فى الشرق

فما الذى يمنع من أن ينتفع الشبان المصريون بذلك الامتياز اللطيف ؟

أليس من العجيب أن تكون الجنسية المصرية عائقاً يمنع بعض الشبان من الانتفاع بما يتمتع به سائر زملائهم من الطلبة العرب ؟

هل يجب على الشاب المصرى أن يسارع فيتجنس بالجنسية العراقية أو السورية لينجو من تلك القيود ؟

الشبان فى مصر وفى سائر الأقطار العربية إخوة ، فما الموجب لتمييز فريق على فريق ؟

وكيف يجوز أن يكون من حق الشاب المصرى أن يلتحق بأى جامعة أجنبية ولو كان آخر الناجحين فى امتحان البكالوريا ولا يكون من حقه أن يلتحق بجامعة مصرية إلا إن كان فى الرعيل الأول من الناجحين ؟

وبأى حق يكون ترتيب النجاح فى امتحان البكالوريا هو الفيصل فى تقدير المواهب ؟

يجب أن نعرف أن الشاب الذى يجوز امتحان البكالوريا بأى صورة معرَّض لتطورات كثيرة جداً ، لأنه لا يزال فى طور التكوين ، فقد يتحول إلى جذوة من النشاط لم تمرّ به فى مراحل التعليم الابتدائى والثانوى . ويجب أن نعرف أن تمكين الشاب من التعليم العالى قد يضع أمام عقله مسئوليات تنقله من حال إلى أحوال . ويجب ثم يجب أن يتذكر رجال الجامعة أن فى التعليم العالى فرصاً كثيرة لإذكاء العقول ، وهى فرص لا يجوز تضييعها على أى شاب ، ولو شهدت درجاته بأنه كان فى التعليم الثانوى من المتخلفين

لا يجوز أن ننسى أن البكالوريا المصرية أصعب من مثيلاتها فى جميع البلاد ، وفوز الشاب فى هذه البكالوريا بأى صورة دليل على أن فيه خصائص عقلية تؤهله لاجتياز الصعب من باقى مراحل التثقيف

لم يبق إلا أن نتقى الله فى أبنائنا فلا نؤاخذهم بتقصير لا ذنب لهم فيه ، ويكفيهم فوزاً أنهم زُحزِحوا عن نار الرسوب

قلت مرات إنه يجب حتماً أن تكون مرحلة التعليم الثانوى هى المرحلة النهائية فى إعداد الشاب للحياة ، وهى لم تصر كذلك إلى اليوم ، فلنساعد أبناءنا على ما يطمحون إليه فى التعليم العالى ، ولنجُد عليهم بما نجود به على إخوتهم الوافدين من أقطار الشرق

هل تصل هذه الكلمة إلى قلوب عمداء الكليات ؟

عتاب لبنانى

كان الأستاذ محمد عبد الغنى حسن نشر فى « الرسالة » كلمة دعا بها الأستاذ إلياس أبو شبكة إلى كتابة كلمة فى التعريف بالشاعر نجيب إليان ، فردّ الأستاذ أبو شبكة فى « الجمهور » ردًّا يتلخص فى أنه مع إجلاله واحترامه للأستاذ الزيات لن يكتب كلمته للرسالة ، لأنها كسائر المجلات المصرية لا تلتفت إلى الحركة الأدبية القائمة فى لبنان

وأقول إن هذه النغمة — كما يسميها الكاتب نفسه — نغمة جديرة بالسماع ، وهى تتيح فرصة جديدة لتبديد شبهة قديمة تعبت أقلامنا فى تبديدها عدداً من السنين ، ثم ظلت حية لا يعتريها الموت ، كأنها أفعى بسبعة رؤوس !

ثم أقول إن إغفال المجلات المصرية للحركة الأدبية فى لبنان أو غير لبنان من أقطار اللغة العربية لا يرجع إلى نية صحيحة أو عليلة ، وإنما هو فرع من الإغفال العام للحركة الأدبية فى الديار المصرية . فجرائد مصر ومجلاتها تسكت عما يصدر فى مصر نفسها من الآثار الأدبية والعلمية ، بحيث يمكن القول بأن الحديث عن المؤلفات الجديدة لم يعد له فى جرائدنا ومجلاتنا مكان

وقد صار هذا الإغفال فى حكم القواعد المرعية ، مع الأسف . ولم نجد من ينبه إلى أن له عواقب فى إخماد النشاط الأدبى فى مصر ، ولم نجد من يثور على هذا الشح فى تشجيع من يبذلون قواهم فى التأليف ، مع أن الكلام عن المؤلفات الجديدة يُعدّ باباً من توجيه الجيل الجديد إلى ما يجب أن يقرأ أو يتجنب من جديد المطبوعات

وأنا نفسى راعيت هذا الإغفال ، فقررت أن أغفل إهداء مؤلفاتى إلى الجرائد والمجلات ، لأنى أكره إحراج زملاء ليس فى نيتهم أن يلتفتوا إلى التأليف والمؤلفين ، واكتفيت بالإعلان عن مؤلفاتى بالفلوس ، إن احتاجت إلى إعلان

نقد الكتب قد انقرض فى مصر . النقد الذى يبرز محاسنها قبل أن يبرز مساويها ، النقد الذى يراعى فيه خلق صديق للمؤلف ، أما النقد الأثيم فهو بحمد الله موجود !

وكان من عادتى فيما سلف أن ألتفت إلى المؤلفات الجديدة ، فكنت أخصها بصفحات فى جريدة البلاغ ، ولكنى لم أجز على تلك الجهود بغير الجحود ، فإن أثنيت على المؤلف قيل تقريظ ، وإن حاسبته قيل عدوان ، وكانت النتيجة أن أعفى نفسى من عناء ليس له فى مصر جزاء

وما جرى لى جرى مثله لكثير من النقاد ، فانصرفوا عن نقد الكتب إلى غير مَعاد . وستظل الحال كذلك إلى أن نجد من الشجاعة ما ندوس به جميع الأهواء فنقول كلمة الحق فى المؤلفات الجديرة بأن توضع فى الميزان ، غير مبالين بالقراء والمؤلفين

فى هذه اللحظة تذكرت أنى لا أقول كلاماً جديداً ، فقد نشرت لى مجلة المكشوف فى العدد الخاص بمصر مقالاً عما صار إليه النقد الأدبى فى بلادنا ، فاعذرونا إذا فرطنا فى حقوقكم الأدبية ، فقد فرطنا فى حقوقنا الأدبية ، وما ظلمك من ساواك بنفسه فى الإجحاف !

وأنا بعد هذا أرجو أن يكون فى هذه الكلمة مقنع لمن يتهمنا ظلماً بالتغاضى عن الحركات الأدبية فى سائر البلاد العربية

ترفق بنفسك يا صديقى

رأى قراء الرسالة أن السيد حسن القاياتى عادانى من غير موجب للعداء ، وساق إلىّ ألفاظاً لا تصدر عن صديق ، مع أنى لم أسىء إليه فى سر ولا علانية . وكانت حجته أن ناساً حدثوه أنى قلت فيه كيت وكيت ، وهو يعرف أنى أبالغ فى إكرام أصدقائى ، وأنى لا أتعرض لأعدائى بكلمة مؤذية ، إلا إن حاربتهم فى الجهر لا فى الخفاء

والآن ، ماذا يريد السيد حسن القاياتى ؟

أيريد أن أجزيه إثماً بإثم ، وعدواناً بعدوان ؟

أنا حاضر وفى يدى قلمى ، ولكنى لا أشترك فى حرب يكون فيها الغالب أسوأ حالاً من المغلوب ، فترفق بنفسك يا صديق ، واذكر عهوداً يذكرها كرام الرجال

تقول إنك كنت شاعراً كبيراً يوم كنت أنا طفلاً يلعب ، فما قيمة هذه الحجة يا عضو المجمع اللغوى ، كما ذبلت سمك ؟

هل كان يجب أن أسبقك إلى الدنيا لأسبقك إلى الأدب ؟

وماذا أفدت أنت من سبقك اللطيف بحكم شهادة الميلاد ؟

وماذا أفادت جهودك الشعرية فى نصف قرن ، وأنت الذى صرحت بأن باكورتك ظهرت قبل نصف قرن ، يا عجوزاً سبقنى إلى الوجود ؟

اترك هذه الحجة الواهية ، إن كنت تريد الحِجَاج

ثم ماذا ؟ ثم طاب لك أن تتحدانى وتتحدى الأستاذ العقاد بكلمتين جارحتين ، وهذا ظلم منك ، فالعقاد يملك فى محاسبتك ما لا أملك ، لأنه ليس لك بصديق ، فهو لا يبالى تجريحك ، ولا يؤذيه أن تبيت معصوب الجبين

أما أنا فأتردد ألف مرة قبل أن أُصوّب رمحى إلى صدرك ، وقد يرضينى أن أسكت عنك ، لأنجو من محاسبة الضمير على إيذاء الصديق

أتقول إنك أعظم منى ؟ هو ذلك يا أخى !

أيؤذيك أن أكون أشهر منك ؟ إن كان ذلك فأنا أخلع الشهرة عليك ! خذ هذه الشهرة ، خذها ، فقد آذتنى أعنف الإيذاء .

وما رأيك فى الصديق الذى يجازف بصداقة دامت عشرين سنة أو تزيد ؟

ما رأيك فيمن يشتم أخاه فى مجلة مثل الرسالة وهو يعلم قيمة صوتها فى الشرق ؟

لقد ظهر السر فى إخفاقك ، وهو أنك رجل بلا قلب

إن كان لك بعد اليوم حياة أدبية فهى من صنع يدى ، فأنا الذى أغضبتك على كسلك ، وأنا الذى رفعت النقاب عن قلبك المَقوق ، ولن أتركك أو تصير أديباً يعتز بحاضره لا بماضيه ، فما يعتز بالماضى غير الفانين

هل تذكر هذا الجيل ؟ لقد سوّيت من قبلك ناساً فجحدوا جميلي وادعوا أنهم نظرائي ، فكن أنت خاتم الأوفياء يا عقوق .

للتاريخ الأدبي (١)

في سنة ١٩١٧ رفضت وزارة الحقانية أن يستمر الشيخ محمد الخضري بك والشيخ محمد المهدي بك في التدريس بالجامعة المصرية ، وكانا أستاذين بمدرسة القضاء الشرعي ، وهي يومئذ تحت إشراف وزارة الحقانية ، فبحثت الجامعة عن أستاذ للتاريخ الإسلامي لا تسيطر عليه الحكومة ، فظفرت بالأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار ، وكان قريباً للشيخ الخضري ، فقد كانا في الأدب والتاريخ فرسَي رِهان

ولكن أين من يخلف الشيخ المهدي ؟

ذلك سؤال وجهه الأستاذ محمد بك وجيه سكرتير الجامعة في ذلك العهد إلى الشيخ عبد الرحمن المحلاوي أستاذ الشريعة الإسلامية بقسم الحقوق ، فدله على الشيخ مصطفى القاياتي ، أحد أساتذة الأدب بالأزهر الشريف

وفي عصر يوم سمعت صوتاً يناديني وأنا في طريقي إلى الجامعة فالتفت فرأيت الشيخ مصطفى القاياتي ، وانتحينا ناحية في قهوة بميدان الأزهار ليدور هذا الحديث :

— هل تهمك سمعة الأزهر ؟

— تهمني جداً

— وتهمك سمعة الجامعة ؟

— بلا ريب

— إذن يمكن أن أعتمد عليك إذا قبلتُ اقتراح الجامعة ؟ تقترح أن أكون خلفاً للشيخ المهدي في تدريس الأدب العربي ، وقد فكرت كثيراً فيمن أعتمد عليه في معاونتي فلم أجد غيرك

— هل أعطاك سكرتير الجامعة منهاج المحاضرات لهذه السنة الدراسية ؟

— هذا هو

نظرت في المنهاج — وكان من وضع الشيخ المهدي — فوجدتني أقدر على إنجازه بلا عناء ، فأشرت على الشيخ مصطفى بالقبول ، فمضى وأمضى العقد في الحال

(١) الغرض من هذه الكلمة تسجيل تاريخ صحيح أراد بعض الناس أن ينالوا منه بالتحريف

شذوذ غريب !

كان الشيخ مصطفى القاياتي من أخطب الخطباء في عصره ، كان يخطب ساعة أو ساعتين بلا تلعثم ولا توقف ولا تحبّس ، وكان لا يلحن أبداً وهو يخطب ، ومع هذا كانت الكتابة عسيرة عليه عسراً لا يطاق ، فما كان يسهل عليه إنشاء مقال ، ولا كان في مقدوره تحرير خطاب

والذي سمع الشيخ مصطفى خطيباً لا يصدق هذا القول ، فقد كان خطيباً تجاجاً ، خطيباً عرفته منابر الحزب الوطني قبل أن تعرفه منابر الوفد المصري ، فكيف يصعب عليه الإنشاء وكان في الأزهر معلم إنشاء ؟

يرجع إلى أنه نشأ واعظاً وكان أهله من الواعظين ، فقويت عنده ملكة الخطيب الفصيح ، وضعفت عنده ملكة الكاتب البليغ

هل أنسى يوم أنابه الوفد المصري في تأبين الشهيد محمد فريد ؟ لقد ألقى خطبة جميلة جداً ، ألقاها مرتجلاً وهو يجهل أن جريدة اللواء المصري ستطالبه بالنص ، لأن خطبته هي كلمة مندوب الوفد المصري في تأبين الرئيس الثاني للحزب الوطني

عند ذلك دعاني لقضاء لحظة في تحرير الخطبة ، فأنشأتها في حدود ما قال ، إلا عبارات تأباها السياسة الحزبية ، ولكن محرر جريدة اللواء كان أعظم فأضافت إلى الخطبة كلمات قالها الخطيب ولم يسجلها نائب الخطيب !

وتمثل هذا الشذوذ في معرفة الشيخ القاياتي بتاريخ الأدب العربي ، فقد كان برغم فصاحته الخطابية لا يفرق بين عصر وعصر ، ولا يعرف الحدود بين مراحل التاريخ

كان الشيخ مصطفى ذكيًّا جدًّا ، ولكنه كان قليل الاطلاع ، فكان من الصعب أو من المستحيل أن يخلف الشيخ المهدي في تدريس الأدب العربي

أستاذ بالروح

لم يكد الشيخ مصطفى يطمئن إلى معاونتي حتى شعرت بأن واجبي أن أحفظ سمعة الأزهر والجامعة المصرية ، فشرّقت في تاريخ الأدب وغرّبت ، وأعددت أربعين محاضرة لو نشرت اليوم لكانت غاية في دقة البحث ونضارة البيان ، وهي لا تزال

في حيازة الأستاذ يوسف القاياتي ، فتى ينفض عنها غبار النسيان ؟

والمهم أن أسجل أن حرصي على الصدق في أن تصان سمعة الشيخ مصطفى من لغو اللاغين فرضت علي أن أجمل محاضراته في قوة محاضرات الشيخ المهدي

وقد نجحت ونجحت ، وكانت جهودي في تلك السنة ذخيرة باقية لحياتي الأدبيــة ، فقد استقصيت فيها مراحل الأدب في القديم والحديث

وبفضل الشيخ مصطفى القاياتي كان لي تلاميذ بالجامعة المصرية سنة ١٩١٨ منهم الأستاذ حسن ابراهيم وأحمد البيلي وعبد الحميد العبادي وابراهيم الجزيري

ثم ماذا ؟ ثم كان زكي مبارك من تلاميذي ، لأنه أدّى امتحاناً أمام الشيخ مصطفى القاياتي في الدروس التي أعددتهـا بنفسي ، فإن أنـكر زكي مبارك أنه تلميذي فسألحمه بشهادة السيد حسن القاياتي ، وهو رجل شهد ذلك التاريخ المجيد .

زكي مبارك

٣ـ نشأة الدرامة الانجليزية

للأســتاذ دريني خشبة

لم يفـكر جون هيوود عندما ابتـكر الفواصل المضحكة التي أشرنا إليها في الفصل السابق ، في أن تـكون فواصله جزءاً من صلب الدرامة الأخلاقية ، إنما قصد أن تـكون شيئاً مستقلاً كل ما يرمي إليه هو التضحيك والترفيه عن الناس بهذا السيل المتتابع من النـكات الشائقة وطرافة الموضوع ولذع سخريته ، ولهذا كان تمثيل فواصله قاصراً على الحفلات التـكريمية أو أوقات الاستراحة في الحفلات العامة أو المآدب الـكبيرة . وكان أول ظهور فواصله التمثيلية هذه ، التي مهدت الملهاة الإنجليزية الـكاملة ، في العام الثاني عشر من حكم الملك هنري الثامن — ١٥٢١ — ومن أطرف تلك الفواصل فاصله المسمى « الباءات الأربع » ، أو The Four pp. ، والذي نستطيع أن نسميه باسم « المغفلين الأربعة » ، وهم : المحتال Palmer ، والمسامح Pardoner ، والعطار[1] Potecary ، والبائع المتجول Pedlar . وخلاصة هذا الفاصل أن خلافاً يشجر بين المحتال والمسامح ، إذ يدعي المحتال أنه طاف بأرجاء العالم وجال في جميع أصقاعه ، كما حج إلى بيت الله (في فلسطين طبعاً) عشرات المرات ، ولذلك فهو يريد صاحبه على أن يقر له بسعة الأطلاع والتبحر في المشاهدة ، وأنه بذلك قد هذب نفسه ورقق طبعه لـكثرة ما خبر من أحوال العـالم ، وما تمرس به من تجاريب الحياة . بيد أن صاحبه يسخر منه ويغلو في الاستهزاء به ، ويقول له إن من كان شأنه ما ذكر ، كان ينبغي أن يعود أكثر اتزاناً ، وأرجح عقلاً ، وأوفر أدباً ، وأقوى ضبطاً لنفسه ، وأشد سيطرة على أعصابه . . . ويشتد الخلاف بينهما ويستفحل ، حتى يوشكا أن يلتحما لولا أن يقبل عليهما العطار — المغفل الثالث — ، فيرسل هو الآخر تهريجاته المضحكة ، ويصرفهما عما كانا فيه من فخار وتعاظل ليُزهي هو بنفسه ، وليطلعهما على ما وهبه الله من مقدرة وافتنان في تركيب عقاقيره — ولا سيما السموم المهلكة التي تـكثر من زبائن جهنم ، وأنه أحسن مورِّد للـدائن وللقرى على السـواء . ثم يقبل البائع المتجول — وهو المغفل الرابع — فيهرع إليه الثلاثة ليحسم النزاع المشتجر بينهم . . . لـكنه يشيح عنهم ويشتغل بعرض سلعه وترتيبها ، ثم يمضي وقت طويل ولا يمن الله على البائع المتململ بزبون واحد يجبر خاطره بشراء شيء من معروضاته الـكثيرة فيشترك مع الثلاثة الآخرين في مرائهم مضطراً ، لـكنه يرفض أول الأمر أن يقضي بينهم . . . لأن الله لم يكتب له هذا القدر العظيم من الذكاء وعبقرى الفِطَن حتى يستطيع أن يفهم هذه المشكلات العويصة التي يختلفون عليها . . . يقول هذا بعد إذ يلاحظ أن ثلاثتهم مغفلون أغبياء ؛ بيد أنه يتغابى هو الآخر ، ويستدرجهم لـكي يقص عليه كل منهم أكبر كذبة من أكاذيبه . . . وهنا تنشب ملحمة مضحكة من أروع الأكاذيب التي لا يتسع المقام هنا لاستيعابها جميعاً . وما زال هذا شأنهم حتى يدّعي المحتال (النخّاع) أنه طاف بأطراف الدنيا ، وعاشر الملايين من الناس في كل حدب وفي كل صوب ، وأنه بلا من أمور النساء ما لم يتفق لأحد من قبل ولن يتفق

(١) واسمه بالانجليزية الحديثة Apothecary

لأحد من بعد ، وأنه كثير الأصحاب جم الأصدقاء ، وأن فى صويحباته نصف مليون امرأة ! نصف مليون فقط ! — ليس فيهن من تدللت عليه يوماً ولا بدت منها أمارة من أمائر الغضب لأى سبب من الأسباب — ولما كانت هذه من غير شك أغلظ الأكاذيب وأفحشها فقد قضى البائع بالغلبة لهذا المحتال (النخاع !) — والدرامة من أولها إلى آخرها تفيض (بالفَشْر !) — وليغفر لنا القراء هذا التبذل فى التعبير فنحن نكتب عن الملهاة الإنجليزية التى يعتبر (الفشر) أقوى أركانها . ثم هى مليئة بالنكات من النوع الهادئ الذى يفيض عن الطبع الإنجليزى البارد . وقد كتب هيوود[1] قبل هذه الدرامة ـ أو الفاصل ـ فاصلين آخرين أقل منها مرتبة ، وقد أدى للمسرح الإنجليزى أجل خدمة بفصله بين الأخلاقيات والفواصل أولاً ، ثم بخروجه على تقليد الشخصيات المجازية ثانياً ، واتخاذه أشخاص فواصله من الحياة مباشرة . ومما يؤسف له أن أحداً من الأدباء الإنجليز لم يقتف أثر هيوود فى هذا المضمار . على أن أديباً آخر هو « نيقولا أودول N. Udall » ناظر مدرسة أيتون (١٥٠٥ — ١٥٥٦) — وكان من عادته تقديم درامة من الدرامات الكلاسيكية الرومانية فى كل من حفلاته السنوية المدرسية ، قد فاجأ المدعوين بملهاة من تأليفه سماها (رالف رويستر دويستر — كانت أول ملهاة منتظمة من فصول متفرقة شهدها المسرح الإنجليزى — والملهاة بعد ذلك لم تكن شيئاً مذكوراً ولم يكن لها قيمة من حيث الحبكة أو الموضوع أو اللغة إن لم تكن شيئاً غثاً تتقزز النفس منه وتغثى له . وقد نظمها من خمسة فصول وقسمها إلى مناظر وقصد بها إلى تصوير حياة الطبقة المتوسطة من سكان لندن فى القرن السادس عشر . وأبطالها الثلاثة : أرمل تدعى كونستانس ، ثم عاشقان يحاول كل منهما أن يفوز بها . أما أولهما وهو بطل الرواية فهو رالف رويستر دويستر ومعناه الولد الجعجاع الكثير التفاخر ؛ وأما ثانيهما فيدعى جاون جودكك . والبطل هو أحد أولئك الأغرار المغفلين ، أما خصمه فهو الحبيب المدلل المقرب . وتبلغ الملهاة ذروتها ، حينما تجتمع الأرمل وصويحباتها ليقذفن إلى الشارع بالبطل المخبول وبأتباعه العرابيد ، ثم تنتهى بصلح عام !

هذا وقد ألف جون ستِل Still (١٥٤٣ — ١٦٠٨) ملهاته (إبرة الجدة جرتون Gammer Gurton's Needle) على طراز ملهاة أودول ، إلا أنه أشربها كثيراً من روح الفكاهة الشعبية (البلدى !) ، وأرسلها فى لهجة عامية شديدة الغموض ، حتى على الإنجليز المحدثين أنفسهم . وتتلخص الملهاة فى أن الجدة جرتون كانت جالسة ترفو ثياب خادمها هودج ، ثم ذهبت لقضاء أمر ما داخل بيتها ؛ فلما عادت والتمست الإبرة لم تجدها ، فأخذت تسب الدنيا وتلعن الحياة وتسأل أهل الحارة عن إبرتها العزيزة المفقودة ، ثم تلتقى بشحاذ أبله يدعى دِكَّون فيخبرها أن فلانة من أهل القرية قد سرقتها ، فتصيح بها الجدة جرتون ، وتقبل المتهمة وتدفع التهمة عن نفسها ، لكن جرتون تشتط فى صياحها فتصيح المرأة الأخرى وتجتمع نسوة القرية جميعاً ليشاركن فى هذه الملحمة المضحكة ، ويتراشقن (بأشلق !) العبارات ، ثم تهدأ العاصفة حينما يعثر الخادم هودج بالإبرة مثبتة فى مكانها من الرقعة التى كانت الجدة جرتون ترفوها

وقد امتدح الناقد الكبير هازلت روح الفكاهة فى هذه الملهاة وإن لم يمتدح لغتها ... « لأنها غذاء شعبى شهى ليس غريباً على الجمهور الإنجليزى ، وفكاهة بريئة تصويرية لأمزجة متشاكلة ... قد نظنها لأول وهلة شيئاً لا قيمة له ، شيئاً تافهاً غير جدير بالاعتبار ، لأنه ليس كما عندنا ... ونحن إذا انتقدناها انتقاداً سطحياً هكذا ، كنا متجنين على هذا التراث الأدبى البدائى ، وكنا كمن يرفض قراءة كتاب قديم قيم لأن به بعض الأخطاء الإملائية !! »

ومما تمتاز به هذه الملهاة اشتمالها على إحدى الأغانى الإنجليزية التى يهيم بها الإنجليز إلى اليوم . ويرجح العارفون أن هذه الأغنية ليست من نظم ستل ، بل إنه قد أخذها عن شاعر آخر لا يعرف اسمه . ومما امتاز به أيضاً هذه الأسماء الفكاهية التى يلجأ إليها المؤلفون الكوميديون اليوم لتزيد فى كثرة (النكت) ولتزيد بالتالى فى كثرة ضحك المتفرجين — فالبطلة جامر جرتون أى الجدة جرتون ، وقد يلحظ القارىء العربى النكتة فى كلمة

(١) كان هيوود كاثوليكيا صالحاً من أتباع الكنيسة الرومانية ، وقد عرضه مذهبه هذا لألوان جمة من الاضطهاد فى عصرى إدوزرد السادس والملكة إليزابث مع أنه كان من المحببين جداً إلى بلاط الملك هنرى الثامن وقد ألف بالفعل لتسلية هذا البلاط ملهاته الثانية وهى (اللعبة المرحة The Merry Play بين الزوج والزوجة والقسيس)

جامر التي هي نوع ترخيم جدة Grand mother كما يرخمون جد Grand father فيقولون جافر Gaffer ، وهنا موضع تفكهة للانجليز . وخادمتها تب Tib أي عاهرة، وخادمها كوك أي ديك ، وجارتها كات أي قطة ، وخادمة هذه الجدة دُلْ أي عروسة أو لعبة ، والدكتور رات أي فأر الخ . . .

المشاهد الموسيقية Masques :

أشرنا في فصل سابق إشارة خفيفة إلى الدرامة التنكرية Disguising التي هي مشاهد تنكرية أيضاً ، ولكن من نوع مرح يُؤَدَّى في جو مشرق مُرِنٍّ ممتلىء بالبهجة والأبهة في بيوت العظماء والنبلاء والممتازين — وقد انتقلت هذه المشاهد الموسيقية ، أو المشاهد التاريخية — إلى انجلترا في إبان عصر الملك هنري الثامن من إيطاليا ، وتؤدي فيها مشاهد درامية تاريخية راقصة أبطالها اللوردات وأزواجهم في شكل موكب موسيقي حافل أساسه الإنشاد والملبس الزخرفي البهيج خلال رقص توقيعي أو رقص مشترك . . . ومؤلف هذا اللون من المشاهد الذي ألحقناه بفصل الملهاة هو المهندس قبل الشاعر أو الأديب ، وذلك لأنها درامة مشهدية (استعراضية) قبل أن تكون درامة شعرية أو درامة منثورة . فالمهندس أو المخرج ، هو عماد النجاح في هذه الدرامة التصويرية التي ترتكز على الجمال المنظور ، ورعة توزيع الأضواء ، والدقة في إبراز المشهد وسمو الذوق في اختيار الملابس ، والتنظيم الآلي لصالة العرض قبل أن ترتكز على الموضوع أو الأناشيد ، أو ما إلى ذلك من ألوان الأدب ... إذ كل ذلك شيء ثانوي بالقياس إلى المؤثرات المحسة في المشهد الموسيقي . وقد ألف الأديب المسرحي الكبير والشاعر الفحل بن جونسون كثيراً من المشاهد الموسيقية التي ترك للمهندس المسرحي الخالد إنيجو جونس Inigo Jones إخراجها الفني والآلي فبرع في ذلك وأبدع أيما إبداع . . . وقد ألف فيها كذلك الشاعران الكبيران بومونت وفلتشر أكثر مما ألف جونسون ، وذلك باشتراكهما معاً في التأليف على نحو ما يصنع بعض أبطالنا الكوميديين اليوم . وقد استقل فلتشر بالناحية الدرامية ، كما اختص بومونت بالأغاني والنظم . . . أما جونسون فقد كتب أربعين مشهداً ، ثم جاء شاعر انجلترا الكبير جون ملتون فكتب بعض المشاهد بأسلوبه المتفرد العالي ، ثم هذب بعض مشاهد جونسون لتسلك من قمة الرفيع الجبار في سجل الخلود

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن هذه المشاهد الموسيقية —أو الاستعراضية — كانت فاتحة عظيمة للأوبرا والأوبريت[1] في العصر الحديث ، وأن البلاط الإنجليزي في القرنين السادس عشر والسابع عشر كان معرضاً حافلاً لهذه المشاهد الاستعراضية الراقصة ، وأن القناطير المقنطرة من الجنيهات الإنجليزية كانت تنفق بلا حساب على الموسيقيين المحترفين والمغنين ومهندسي المناظر والأضواء ، كي يبلغ إخراجها حد البهاء والكمال ، وهذا هو الذي جعل الملكة إليزابث نفسها تُشفق من هذا اللون من ألوان التسلية الملكية في بلاطها لخطرت أداءه فيه (حتى لا تتعرض خزانة الدولة لتلك البالوعة من بالوعات الإسراف ، وهذا العبء الفادح من أعباء البذخ)

وقد كان عرض المشهد يبتدىء بحوار غنائي أو كلامي تتلوه استعراضات راقصة فردية من الممثلين المحترفين ، ثم يختار هؤلاء (زملاء الرقص) من بين النظارة ، فيصير الرقص زوجياً ، ثم يختلط الحابل بالنابل ويسود الهرج والمرج ... وهنا موضع النشوة المنشودة من (الماسك) وهي تتم على أنغام الموسيقا وترجيع المغنين وتسجيع المنشدين ... وكان على الشاعر أن يسبق المشهد أو يفتتحه بكلمة يلخص فيها الموضوع ويصف المناظر من حيث ما ترمز إليه من بيئة ووسط وجو ، ثم يثني أطيب الثناء وأعطره على السادة الأشراف الذين تنازلوا فقبلوا الاشتراك في التمثيل ، وهم من هم من أمراء البلاد وأعيانها وساداتها ، والذين تفضلوا منهم بالمساهمة في نفقات الإخراج (وما أفدحها وأثقل أوزانها !) ثم يفرغ بعد ذلك إلى الثناء على معاونيه ومساعديه Collaborators من مصورين وموسيقيين ومهندسي إضاءة ومغنين وراقصين... ثم يتقدم فيوزع كراسة (بروجراما) تحوي كل المعلومات عن منهاج الحفلة الفصل ، وكان الحاضرون يحتفظون بها تذكاراً فخرياً يعرضونه في صالوناتهم ، آية من آيات بهاء البلاط الملكي الإنجليزي ولألائه !

(يتبع) دريني خشبة

---

(١) الفرق بينهما أن الحوار في الأولى يكون نظماً كله أما في الثانية فيجمع بين النظم والنثر وبين الغناء والكلام المرسل ، وسنعود إلى الكلام عن شعراء المشاهد في فصل مستقل إن شاء الله

المشكلات

٦ – اللغـــة العربية

للأستاذ محمد عرفه

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لقد هال بعض علماء العربية ما يرونه من تعلم ولدان الأعراب لغتهم بالطريقة الطبيعية إذ يخرجون يتكلمون بها لا يخطئون ويعربون فلا يلحنون ، ووازنوا بين هؤلاء الولدان وبين تلاميذهم الذين يعلمونهم على طريقة القواعد والقوانين ، فرأوا البون شاسعاً ، والفرق واضحاً : هذا يصيب ولا يخطيء ، وهذا يخطيء ولا يكاد يصيب ، إذا أخذ الأول بالخطأ لم يطاوعه لسانه ، وتعذر عليه الخطأ كما يتعذر على الآخر الصواب . رأوا هذه المشاهدة ، ووازنوا هذه الموازنة ، فذهبوا إلى أن اللغة العربية للعرب ولأبنائهم بالطبيعة والفطرة ، ولغيرهم بالتعلم ، وشتان بين ما هو بالطبيعة وما هو بالتعلم والتكلف ؛ ولن يبلغ المتكلف وإن بلغ الغاية شأو الطبعى الفطرى

وهذا المذهب غير صحيح وإن كان أصحابه معذورين فى الذهاب إليه

أما العذر فلأنهم يفنون أعمارهم فى درس اللغة العربية وقوانينها وعللها وأسبابها ، يبذلون طاقتهم ثم لا يجدونهم قد بلغوا ما يبلغه ذلك الغلام الذى ينشأ فى البادية من إجادة اللغة وامتلاك ناصية الشعر والنثر

وأما أن هذا المذهب خطأ فيدل عليه أنه لو كانت اللغة العربية طبيعية فى العرب لما تخلفت ، لأن ما بالطبيعة والذات لا يتخلف . ونحن نحكم بالتخلف ، فلو أخذت صبياناً من أبناء العرب وربيتهم فى فارس أو الروم لخرجوا يتكلمون الفارسية أو الرومية ، ولم يحسنوا شيئاً من العربية ؛ وإذن فليست اللغة العربية فى العرب وأبنائهم طبيعة وليست فيهم لذاتهم ، ولو أخذت صبياناً من أبناء فارس وربيتهم فى بادية العرب لخرجوا يتكلمون العربية ولم يعرفوا شيئاً من لغة فارس والروم . فالصحيح من القول إذن أن اللغة العربية فى العرب وغيرهم بالتعلم والاكتساب ؛ إلا أن الطريقين مختلفان ، فالعرب يتعلمونها بالحفظ والاختلاط وتربية الملكة ، والنحاة يتعلمونها بالقواعد والقوانين ، ويهملون تربية الملكة ، فتكون الطريقة الأولى أجدى وأنفع ، وتكون الطريقة الثانية أخيب وأقل جدوى

ونحن ليس فى استطاعتنا أن نكون البيئة العربية فنأتى بالطريقة الفطرية ، ولكن فى استطاعتنا أن نقارب ، وأن نقلد الطريقة الفطرية فنحسن التقليد ، ونكثر من الحفظ ، ونعمل على تكوين ملكة اللغة بالعادة والدربة والتكرار

أيجمل برجال التعليم أن يخطئوا في تعليم الولدان اللغة العربية فيعلموا بالقواعد ما لا يعلم إلا بالتكرار والحفظ ثم يطالبوهم بكتابة مواضيع تكون جارية على أساليب اللغة ، خالية من اللحن والغلط ، فإن لم يستجيبوا لهم لاموهم ونسبوا إليهم العجز والتقصير ؟

كيف يكتبون كتابة جارية على أساليب العربية ولم تتكون فى أذهانهم مقاييس ونماذج عربية يكتبون على مثالها ؟ وكيف يتكلمون كلاماً جارياً على أساليب اللغة ولم تتكون فى أذهانهم صور ذهنية تدعوهم للتكلم على منهاجها ؟ وكيف نطالبهم بالسرعة والجودة فى الكلام وتوفير الزمن والجهد وهم لم يكتسبوا ملكة اللغة التى بها يكون ذلك ؟

الحق أنكم تستنبطون الماء من الحجر ، وتطلبون فى الماء جذوة نار . الحق أنكم تأتون الأمر من غير بابه ، وتلجمون الفرس من الخلف . الحق أنكم إذ تلومون التلاميذ على خيبتهم فى اللغة تلومون غير ملومين ، وتأخذونهم بذنب أنتم علله ، وبجريرة أنتم أسبابها . ولو أنصفتم لذممتم الطريقة التى علمتموهم عليها ، أو بالحرى لرجعتم باللوم على أنفسكم

يا قوم قد جربتم طريقة القواعد فى تعلم اللغة العربية ألف مرة ، وفى كل مرة تخفقون ، وجربتها الأجيال قبلكم كذلك ، فجربوا مرة واحدة طريق الحفظ والتكرار ، وأنا كفيل لكم أن تحمدوا هذه التجربة ، وألا تعدلوا بها غيرها ، ولو بذل لكم ما يستطاع للعدول عنها إلى طريقتكم الأولى لم تفعلوا ، لأنكم قد وجدتم فى هذه الطريقة النجاح حين وجدتم فى الأولى الإخفاق

***

ونحن نعلم فى مدارسنا المصرية اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية ، كما تعلمها مدارس الجاليات الأجنبية ، ولكن الشركات والبنوك والمحلات التجارية التى تصطنع هاتين اللغتين فى الكتابة والخطابة تفضل أن تستخدم من تخرج فى المدارس

الأجنبية على أن تستخدم من تخرج فى المدارس المصرية ، لأن الأول يجيد اللغتين كتابة وحديثاً ، والثانى أبانت التجربة أنه لا يجيدهما كأخيه . أتدرون لم ذلك ؟ إن شؤم طريقة تعليم اللغة بالقواعد قد تعدى إلى هاتين اللغتين ، فمدارسنا المصرية تعلمهما على طريقة حفظ القواعد ، أما المدارس الأجنبية فتعلمهما على الطريق الطبعى طريق الحفظ والتكرار والمحادثة حتى تثبتهما ملكتين راسختين فى النفس فيجيد تلاميذها الكتابة والحديث بهما ، ومن أين لتلاميذ المدارس المصرية أن يجيدوهما وهم إنما عرفوا القواعد ولم يجعلوهما ملكتين بالحديث والتكرار ؟

ومن ذلك نعلم أن هذا الإخفاق لا يرجع إلى قصور فى عقول التلاميذ المصريين ولا إلى كسل يستولى عليهم ، وإنما يرجع إلى هذا الأسلوب العقيم . وهذا هو السر أيضاً فى كثرة التلاميذ الذين يرسبون فى هاتين اللغتين ، فنحن الذين يجنون عليهم ، ثم نحملهم جريرة عملنا ، ونأخذهم بذنوبنا

سمعت أحد أبنائى يردد صيغاً من اللغة الإنكليزية ويقول هذا للمذكر وهذا للمؤنث وهذا للجمع

فقلت له : ما ذا تفعل ؟ قال : أحفظ درس القواعد . قلت له : ما هكذا يكون ، ينبغى أن تأتى بجمل تامة من اللغة الإنجليزية فى مخاطبة المذكر ومخاطبة المؤنث والجمع ، وتفهم معناها وتكررها وتحفظها ، وتتحدث بها حتى تكون ملكة ، ثم تأخذ القاعدة منها إن شئت . هذا هو الأسلوب الفطرى فى تعلم اللغة ؛ أما أن تأخذ اللغة من القاعدة فهذا ليس طريقاً طبعياً . لقد كان يعجزنا ونحن تلاميذ أن نحفظ قواعد اللغة العربية ، فكنا نستعين عليها باستنتاجها مما نحفظ ومما رسخ فى أذهاننا ، وصار ملكة فينا . مثلاً : إذا كنا لا ندرى ما عمل كان وأخواتها ، وما عمل إن وأخواتها ، رجعنا إلى ما رسخ فى نفوسنا ، واستثرنا ملكاتنا ونطقنا بأمثلة نحفظها ، فيها كان وإن ، ونرى كيف تنطق بها ألسنتنا ، كقوله تعالى : « كان الله غفوراً رحيما » ، « وإن الله على كل شىء قدير » . ونستنبط من ذلك أن كان ترفع الاسم وتنصب الخبر ، وأن إن تنصب الاسم وترفع الخبر ، وهذا تقريب لما أريد أن يكون فى تعليم اللغات . أريد أن تثبت الأساليب والألفاظ بالحفظ والتكرار حتى تكون ملكة ، ثم تستنتج منها القواعد ، ولا أريد أن تحفظ القواعد لتعلم منها الأمثلة ، فإن ذلك لا يجعلها ملكة إلا أن يلجأ إلى الحفظ والتكرار

ومن العجب أن تمكث هذه المدارس بين ظهرانينا هذا الدهر الطويل ونرى أسلوبها الناجح فى تعليم اللغات ، ونلمس نجاحه ولا نقتبس منها هذا الأسلوب !

أرى قوم طائفة تعمل عملاً فتنجح ، ويعملون هم هذا العمل فيخيبون ، ولا تدعوهم أنفسهم لترك أسلوبهم واقتباس أسلوب الناجحين ؟ وأعجب من هذا أن ترى هذه المدارس أسلوبنا الخائب ، وتلمس خيبته فلا تنصحنا ولا ترشدنا إلى الطريق القويم فى تعليم اللغات

أيستطيع أحد أن يرى ضالاً يمشى على غير الجادة تنكبه الأحجار وترديه الحفر ، ولا يقيمه على الجادة ؟

لست أدرى أأرجع باللائمة علينا لعدم استفادتنا منهم ، أم أرجع باللائمة عليهم لعدم إرشادنا ؟ ولكن يظهر أن بين الجماعات منافسة كما بين الأفراد ؛ فلا ترى جماعة جماعة ضالة وتهديها السبيل . فإن كان ذلك كذلك فقد أغنانا كم الله عن أجنبى يضن عليكم بالنصيحة . وها كم النصيحة من رجل من أنفسكم محب لكم يود خيركم ، ويحرص على نفعكم ، ويعز عليه أن تضيع جهودكم ، وأن تبدد أعماركم . وهو ناصح أمين ؛ فهل أنتم منتصحون ؟

محمد عرفة

عمـــر بن الفارض

للأستاذ يوسف يعقوب مسكونى

صفحة ناصعة من تاريخ الأدب العربى . صفحة ذات معان ومزايا متنوعة يقف السامع بإزائها حائراً مبهوتاً كأنه يتسمع إلى ألحان من الموسيقى الإلهية ، بل نغم ينبعث من أجواء علوية ، كأنه الإلهام الذى يستولى على الدماغ ويمتزج بالفكر فيكون سحراً . تلك هى حال القليلين الذين يضن الدهر والتاريخ علينا بهم لأنهم مثلوا عصوره . بهم تفيض علينا معانى النبوغ والعبقرية تلك المعجزة الإلهية ؛ وهذا شأن العظمة التى يخلقها العظيم فيعظم عصره ؛ وهكذا تنطوى عندئذ صفحة من صفحات التاريخ وسفر جليل من السفارة يكون رمزاً للحياة الماضية والحاضرة . وهذا ابن الفارض الشاعر الرقيق المفتون بالعزة الإلهية بشعره ، العابد للجمال الربانى بمنظومه ، فهو شاعر العاطفة الذى يثير ما فى القلب من الأحزان والمآسى التى طبعتها صروف الأيام . يريك ابن الفارض ألواناً من شعره تلذ لك فتبحث عن الرقة والخيال وكل ما هو جميل فى الكون من المبهجات . هو الشاعر المبدع الفيلسوف فى وصف الحب والجمال . وهل من شىء سواها أعز لدى المرء فى الحياة الدنيا ؟ لا أظن شاعراً من الشعراء المتأخرين ممن سلك مسلك ابن الفارض فى شرح معنى الحب والجمال وما يجلبان على المرء من سوء المصير إذا ما عسر عليه وجدانهما أو فقد أحدهما . فهو الذى افتن فى وصف الحبيب والحنين إليه إذا ما غاب ، وفى وصف آلام المحب إذا ابتلى ، وفى خضوع الإنسان للجمال جمال الحبيب الذى يخلبَ اللب ويذيب الأحشاء . كل هذه الأوصاف تعمق ابن الفارض فى تحليلها وسبكها فى قوالب شعرية يعجز القلم عن نعتها . وها نحن أولاء نأتى باليسير منها لضيق المقام . أما مختصر ترجمته فهو الإمام العارف بالله الشيخ أبو حفص أبو القاسم عمر ابن أبى الحسن ابن المرشد بن على الحموى الأصل ، المصرى المولد والدار والوفاة ، المعروف بابن الفارض . ومعنى الفارض أنه يكتب الفروض للنساء على الرجال ، كما جاء فى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان(١) . كانت ولادته بالقاهرة فى الرابع من ذى القعدة من سنة ٥٧٦ هـ فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، وله ديوان شعر لطيف وأسلوبه فيه طريف ظريف ؛ وقد أبدع وأجاد بالمعانى والعبارات الرقيقة ، وشع بشعره فى الأفكار كالشمس فى رائعة النهار ، وكان رجلاً صالحاً كثير الخير على قدم التجريد ، وجاور مكة الشرفة زماناً ، وكان حسن الصحبة محمودة العشرة . وقد قيل عنه إنه ينظم الشعر أحياناً فى النوم ومنه هذان البيتان :

وحياة أشــواقى إليـ ـك وتربة(٢) الصبر الجميل
مااستحسنت(٣) عينى سوا ك ولا صبوت إلى خليل

وهو من أهل الطريقة الرامزة وهى طريقة العرفان بالله ولهذا كنى بالعارف بالله(٤)

وممن وصفه الكاتب المبدع المرحوم جبران خليل جبران بقوله : « وكانت روحه الظمآنة (كذا) تشرب من خمرة الروح فتسكر ثم تهيم سابحة مرفرفة فى عالم المحسوسات حيث تطوف أحلام الشعراء وميول العشاق وأمانى المتصوفين . ثم يفاجئها الصحو فتعود إلى عالم المرئيات لتدون ما رأته وسمعته بلغة جميلة مؤثرة » . ثم يقول أيضاً : « إذا نظرنا إلى فنه المجرد وما وراء ذلك الفن من المظاهر النفسية وجدناه كاهنا فى هيكل الفكر المطلق أميراً فى دولة الخيال الوسيع قائداً فى جيش المتصوفين العظيم ذلك الجيش السائر بعزم بطىء نحو مدنية الحق . ثم يقول أخيراً كان يغمض عينيه عن الدنيا ليرى ما وراءها ، ويغلق أذنيه عن ضجة الأرض ليسمع أغانى اللانهاية . هذا هو الفارضى ، روح نقية كأشعة الشمس ، وقلب متقد كالنار ، وفكرة صافية كبحيرة بين الجبال ، وفى شعره ما لم يحلم به الأولون ولم يبلغه المتأخرون » اهـ(٥) . وتوفى بالقاهرة يوم الثلاثاء الثانى من جمادى الأولى سنة ٦٣٢هـ . ودفن فى الغد حسب وصيته بالقرافة فى سفح المقطم تحت المسجد المعروف بالفارض . وقد قال ابن بنته الشيخ على فى ذكره :

جز بالقرافة تحت ذيل العارض وقل السلام عليك ياابن الفارض
أبرزت فى نظم السلوك عجائباً وكشفت عن سر مصون غامض
وشربت من بحر المحبة والولا فرويت من بحر محيط فائض

وقال أبو الحسن الجزار :

---

(١) جـ ١ ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ ط بولاق

(١) و (٢) و (٣) ديوان ابن الفارض ص ٢ ط ثانية فى مصر وفى وفيات الأعيان لابن خلكان « وحرمة » وكذلك « لا أبصرت » جـ ١ ص ٤٨٤ طبعة بولاق (٤) البدائع والطرائف لجبران خليل جبران ص ١٢٩ مع صورة خيالية من ريشته

لم يبق صيّب مزنة إلا وقد   وجبت عليه زيارة ابن الفارض
لا غرو أن يسقى ثراه وقبره   باق ليوم العرض تحت العارض[1]

أما ديوان شعره فيحتوى على مقطوعات وقصائد منها الموجزة والمطولة، متينة النظم دقيقة الحس رقيقة الشعور. وقد طبع ديوانه مرات وشرحه فى جزأين رشيد بن غالب معتمداً على شرحى الشيخ حسن البورينى والعلامة الشيخ عبد الغنى النابلسى الدمشقى الصوفى. وبهامش الشرح كشف الوجوه الغر، لمعانى نظم الدر، وهو شرح تائية ابن الفارض الكبرى المشهورة بنظم السلوك ومطلعها :

سقتنى حميا الحب راحة مقلتى   وكأسى محيا من عن الحسن جلت

ومنها أيضاً :

وكل الليالى ليلة القدر إن دنت   كما كل أيام اللقا يوم جمعة[2]

وعدد أبيات هذه القصيدة سبعمائة واثنان وستون بيتاً وتشغل جزءاً كبيراً من الديوان. ومطلع شرح الديوان : «الحمد لله الذى بفضله الفارض عمّر بيوت الأدب، وحسن للطبع شرح معان فيها بلوغ الأدب ... الخ»[3]. ويقول المؤلف فى آخر الكتاب نقلاً عن شرح الشيخ عبد الغنى النابلسى : «كان الفراغ منه عشية يوم الإثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف من الهجرة». وقال مورخاً لتمام هذا الشرح.

ولابن الفارض الديوان لما   حكى عقداً نظيماً جوهريا
عنيت بشرحه هذا إلى أن   تكامل أرخوه الفارضيا

وطبع الكتاب بالمطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣١٠هـ. بعناية مصححة محمد الأسيوطى[4]. أما منظوماته التى يفتتح بها ديوانه، وتدل على صناعة شعرية فائقة. فهذا مطلعها :

سائق الأظعان يطوى البيد طى   منعما عرج على كثبان طى
وبذات الشيح عنى إن مررت   بحى من عريب الجزع حى
وتلطف واجر ذكرى عندهم   علهم إن ينظروا عطفاً على[5]

ومنها :

هل سمعتم أو رأيتم أسداً   صاده لحظ مهاة أو ظبى[6]

ومنها أيضاً :

أى ليالى الوصل هل من عودة   ومن التعايل قول الصب أى
وبأى الطرق أرجو رجعها   ربما أقضى ، ما أدرى بأى[1]
ذهب العمر ضياعا وانقضى   باطلاً إذ لم أفز منكم بشئ

وهى طويلة. ولنأت الآن إلى مطلع قصيدة أخرى :

أرج النسيم سرى من الزوراء   سحراً فأحيا ميت الأحياء
أهدى لنا أرواح نجد عرفه   فالجـو منه معنبر الأرجاء[2]

وكذلك قصيدته التى يتغزل فيها بأراضى نجد لأنها موطن ليلاه فيقول :

أوميض برق بالأبيرق لاحا   أم فى ربى نجد أرى مصباحا؟
أم تلك ليلى العامرية أسفرت   ليلاً فصيرت المساء صباحا[3]

أما قصيدته فى تحليل الحب وتعريفه فهى أشهر من نار على علم، وهي مضرب الأمثال. وهذا مطلعها :

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل   فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خالياً فالحب راحته عناً   وأوله سقم وآخره قتل

ومنها :

فإن شئت أن تحيا سعيداً فمت به   شهيداً وإلا فالغرام له أهل[4]

وأما الخمرة فهو يصفها وصفاً نادراً، وهو لم يذقها على رأيى ورأى الكثيرين. فتراه يصفها أبدع مما وصف الحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس. ومن ذلك قصيدته التى مطلعها :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة   سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
لها البدر كأس وهى شمس يديرها   هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم
ولولا شذاها ما اهتديت لحانها   ولولا سناها ما تصورها الوهم[5]

ثم يقول :

يقولون لى صفها فأنت بوصفها   خبير أجل عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا   ونور ولا نار وروح ولا جسم[6]

وللشيخ على سبط الناظم قصيدة مطولة نظمها تكملة لستة أبيات من نظم ابن الفارض. مطلعها :

نشرت فى موكب العشاق أعلامى   وكان قبلى بلى فى الحب أعلامي[7]
وسرت فيه ولم أبرح بدولته   حتى وجدت ملوك العشق خدامى

(١) ديوان ابن الفارض الطبعة الثانية بمصر ص ٢ (٢) الديوان المذكور ص ٢٣ و ٤٤ (٣) شرح ديوان ابن الفارض ج ١ ص ٢ (٤) شرح ديوان ابن الفارض آخر صفحة من الجزء الثانى (٥) ديوان ابن الفارض المذكور ص٣٠ (٦) الديوان المذكور ص٥

(١) الديوان المذكور ص ١٣ (٢) كذلك ص ٦٨ (٣) كذلك ص ٧٢ (٤) كذلك ص ٧٨ وهى طويلة تشتمل على اثنين وستين بيتا (٥) الديوان المذكور ص ٨٢ (٦) كذلك ص ٨٣ وهي قصيدة رائعة تشتمل على أحد وأربعين بيتا، وفى أبياتها خيال رائع ووصف دقيق (٧) كذلك ص ١١٥ وهى ذات خمسة وعشرين بيتا

١ ـ الإسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

يمتاز الإسلام بأنه أوجد لنفسه بنفسه فناً جميلاً كيّفه بعبادته ، وبث فيه روحه ، وغذّاه بتعاليمه حتى استقام عوده ، ونضجت شخصيته ، وتجلت للعيان مميزاته . ولا شك أنه لبيان هذه الميزة ينبغى أن نقارن بين الإسلام وبين ما سبقه من الأديان من حيث موقف كل منها من الفنون الجميلة ثم نعقب على ذلك ببيان الطرق التى أتيح بها للاسلام أن يخلق فناً جميلاً إن اتفق مع الفنون السابقة عليه فى بعض العناصر الزخرفية فقد اختلف عنها أشد الاختلاف فى المبادئ الأساسية والاتجاهات التى سار فيها[1]

فإذا عدنا إلى الوراء آلاف السنين لنشهد الإنسان وهو يتقلب فى أطوار حياته المختلفة على ظهر البسيطة لوجدناه يكافح الوحوش ليعيش ، ويحاربها ليوجد لنفسه بينها مكاناً أميناً يطمئن فيه على حياته ، ولرأيناه ما كاد يلقى سلاحه ، ويفرغ لنفسه بعض الشىء بعد هذا الجهاد المضنى ، ويأوى إلى كهفه ليستريح ويستقر به المقام فى هذا المسكن الجديد ، ويرضى فيه حاجات جسمه من مأكل ومشرب وملبس حتى يقوم إلى جدران هذا الكهف يزخرفها وإلى آلات صيده يجملها ويزينها

ولسنا هنا بصدد الفصل فى سبب اشتغاله بهذه الفنون الجميلة ، فليكن الدافع إليها فيض النشاط الحيوى فيه ، أو لتكن الغريزة هى التى أوحت إليه أن يحاكى بالرسم ما يراه فى محيطه ، أو ليكن اعتقاده فى أن رسم الحيوان يقيده أو تكرار رسمه يكثره ، أو رسمه وقد اخترق السهم أحشاءه يجعل صيده هيناً سهلاً عليه هو الذى حمله على هذا العمل ، أو لتكن هذه العوامل مجتمعة هي التى جعلته يشتغل بهذه الفنون فلن يغير هذا من الحقيقة شيئاً : ذلك أن الإنسان قد عرف الفنون الجميلة قبل التاريخ واستخدمها فى حياته . لقد وجد نفسه ضعيفاً أمام قوى الطبيعة : أمام قوى تعمل من وراء ستار ، رأى براكين ثائرة يتطاير منها الحمم فتصيبه فى نفسه وفى ماله ، وسمع رعوداً صاخبة تكاد تصم بزمجرتها أذنيه ، وأحس برياح عاصفة تدفع به أمامها ، وتلقى فى طريقه بأعظم الأشجار وأضخمها ، ولمح بروقاً خاطفة ترسل إليه بضوئها فتملؤه خوفاً ورعباً . هذه المظاهر المختلفة التى لا يعلم سرها جعلته يعتقد بوجود قوى عظيمة تؤثر فى كيانه دون أن يراها . لذلك فكر فى استرضائها على قدر ما سمح له به عقله المحدود فلجأ إلى الفن الجميل يستعين به على بلوغ مآربه فنحت التماثيل ، وأقام الأنصاب ورسم الصور

وإذا كانت الفنون الجميلة من نحت وتصوير ونقش قد خدمت الإنسان قبل التاريخ فى ديانته الساذجة البسيطة فقد خدمته أيضاً فى العصور التاريخية ، عند ما تعقدت الأمور الدينية بعض التعقيد

فلقد اعتقد المصرى القديم بعودة الروح بعد موت الجسم ، ورأى لزاماً عليه أن يحفظ ذلك الجسم ، وأن يضعه بعد موته فى محيط يشبه محيطه فى الحياة الدنيا ، حتى تطمئن الروح وتأنس بجسمها إذا ما عادت إليه ، فاستعان بالفن الجميل على تحقيق هذه

(١) لست أول من فكر فى هذا الموضوع فقد سبقنى إلى التفكير فى كثير من نواحيه علماء من الأجانب أجلاء، منهم : ماسبنيون الفرنسى وكونل الألمانى ولام السويدى وقد كانت آراؤهم ماثلة فى ذهنى وقت إعداد هذا البحث

وللسبط أيضاً قصيدة أخرى مطلعها :

أبرق بدا من جانب الغور لامع ... أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع

ومنها :

ولما تجلت للقلوب تزاحمت ... على حسنها للعاشقين مطامع
لطلعتها تعنو البدور ووجهها ... له تسجد الأقمار وهي طوالع[2]

هذا هو ابن الفارض ذو الشعر الرقيق الفائق ، وشاعر الحب والجمال الروحانيين . هذا هو المزين لعرش الحب العاقد أكاليل الجمال على رءوس الحوارى والحسان فى خيال الجنان . هذا هو المعزى لأصحاب القلوب الدامية الهائمة فى بيد الطبيعة الجميلة . هذا هو المكفكف لدموع البائسات المخفقات فى نيل عذوبة الحب الذى هو رمز الحياة والطبيعة ، يسود القلوب ويتحكم فى الأنفس الرفيعة . ليكن لنا ابن الفارض عبرة الدهر فى ميدان الرقة والعطف . وليكن ابن الفارض صورة للحياة الجميلة التى نستعذبها ونستذيقها أبد العيش . فليطب هانئاً فى مثواه ومرقده . ولينم نومه الهادىء العميق ؛ فلن يصغى إلى أنين العاشقين ، ولن يسمع زفير المتيمين

يوسف يعقوب مسكونى

(٢) ديوان ابن الفارض ص ١١٢ ، وهى آخر الديوان المذكور ، وتشتمل على أربعة وخمسين بيتاً

العقيدة ، فزينت جدران القبور بنقوش تمثل حياة الميت ، ونحتت له تماثيل تمثله في حياته لتحل فيها الروح إذا ما انحل الجسم أو أصابه عطب ، وأودعت هذه التماثيل القبور مع الجثة ، كما وضع معها أيضاً ما كان يستعمله الميت فى حياته ، وروعى فى تشييد المدافن أن تكون منيعة لتحول بين هذه الأشياء وبين عبث العابثين ؛ ولتظل كذلك فى حرز أمين . وإذا كانت عقيدة البعث قد استفادت من فنون النقش والتصوير ، فالدين المصرى القديم بآلهته المختلفة ومعابده الكثيرة قد انتفع بهذه الفنون أيضاً إلى أبعد حد ، فنحتت التماثيل العظيمة للآلهة ، ونقت جدران المعابد بالزخارف الرائعة ، وطليت بالألوان الزاهية الجميلة

ولم يختلف الحال فى بلاد اليونان القديمة عنه فى مصر الفرعونية ، إذ نجد أن الديانة اليونانية قد استعانت بفنون النحت والنقش والتصوير على إبراز فكرتها وتجسيم عقائدها ، إذ ابتدعوا لأنفسهم آلهة تشرف على شئونهم ، وترمز إلى مثلهم العليا ، وتخيلوا هذه الآلهة على صورة الإنسان وأفرغوا جهدهم فى نحت تماثيل لها كانت أجمل وأروع ما أخرجته يد البشر ، خلدت ذكر اليونان على صفحة الزمن ونقشت أسماء آلهتهم فى سجل القدر

وما كانت أمم الشرق القديمة من بابليين وأشوريين وحيثيين وغيرهم لتشذ عن مصر واليونان فى هذا السبيل ، بل استخدمت هى الأخرى الفن الجميل فى عبادتها الوثنية

واليهودية أول دين سماوى نادى بالوحدانية ، جاء والوثنية هى الدين الشائع بين أمم الأرض جميعاً ، والفنون الجميلة من حفر ونقش وتصوير ونحت هى عماد هذا الدين وقوامه ، فلكى يخرج الناس من ظلام الوثنية إلى نور الوحدانية كان من الضرورى أن يحول بينهم وبين هذه الفنون . وتشددت اليهودية فى هذه الحيلولة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً فحرمتها تحريماً صريحاً إذ جاء فى التوراة فى الأصحاح العشرين من سفر الخروج : « لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ، ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت ، وما فى الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور » وقد قضى هذا النص على الفنون الجميلة عند اليهود قضاء مبرماً فلم تستخدمها كغيرها من الأديان التى سبقتها ولم تحاول أن تجندها لخدمتها .

وإذا كانت الحضارة اليهودية قد بلغت أوجها فى عهد داود وسليمان فتقدمت الصناعة ونهضت التجارة وازدانت فلسطين بما شيد فى ذلك العهد من قصور ومعابد « ومحاريب وتماثيل وجفان كالجواب » أشار إليها القرآن الكريم فى سورتى النمل وسبأ ، كما أشارت إليها أيضاً كتب التاريخ ، فقد استعان اليهود فى ذلك بالأجانب من مصريين وفينيقيين وآشوريين

على أن اليهودية لم تنتشر ، وبقيت الوثنية دين الكثرة من سكان العالم ، وتأثر الرومان فى ديانتهم الوثنية باليونان ، وكما خدمت الفنون الجميلة الدين اليونانى القديم ، كذلك خدمت الدين الرومانى

وظهر الدين المسيحى ، واعتنق المسيحية كثير من بنى إسرائيل ثم انتشرت فى الامبراطورية الرومانية بسرعة عظيمة بسبب نضوج الفكر الإنسانى ، وعدم ارتياحه إلى طقوس العبادة الوثنية . وقد قامت المسيحية تدعو إلى ترك الدنيا والتجرد منها والانقطاع إلى الآخرة والإقبال عليها . ولعل خير ما يترجم عن دعوتها هذه قول السيد المسيح فى الأصحاح السادس من إنجيل متى . « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون . » ومثل هذه المبادئ ليس فيها ما يشجع على ازدهار الفنون الجميلة لأنها تنكر جمال هذه الدنيا وتطالب بكبت ما فى الإنسان من ميول وغرائز ، لذلك لم تبتدع المسيحية فناً جميلاً بل انتفعت بالفن القائم بين يديها ، وما الفن المسيحى المعروف إلا فن وثنى لبس رداء المسيحية ، فهو فن مسيحى فقط باعتبار ما يؤديه من خدمات للدين المسيحى أو المسيحيين لا باعتبار أنه يعبر عن فلسفة هذا الدين لأن فلسفة هذا الدين — كما رأينا — قوامها الزهد والتقشف وكلاهما والفن الجميل على طرفى نقيض .

(يتبع)

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

من آثار العراق

الجسر العباسي

للأستاذ ميخائيل عواد

١ – تصدير

إذا جوّلنا في أنحاء العراق شاهدنا عدداً لا يستهان به من الجسور المتنوعة الطراز، المتفاوتة الحجم، تعلو أنهاره ونهيراته، بينها القديم الأثري، وبينها الحديث المكين؛ كما أن التاريخ ينبئنا بوجود جسور قديمة شيدت في أشهر المدن العراقية المطلة على المياه، غير أن يد الزمان قد عبثت بها فجعلتها أثراً بعد عين

وإلى القارئ، هذا البحث في أحد الجسور القديمة في العراق، نعني به «الجسر العباسي» القائم بجوار بلدة زاخو في شمالي العراق

ولقد استقصينا عدداً من التصانيف العربية القديمة والحديثة، طائفة من كتب الرحالين والسياح الفرنج؛ أملاً في الوقوف على ما ينير السبيل أمامنا في هذا الموضوع، غير أننا لم نعد من جميعها إلا بالنزر اليسير من العلم بأمر هذا الجسر. ولعل أهم ما وقفنا عليه ما دونه الرحالة الأثري «بروسر» في كتابه عن «المباني الأثرية في شمالي ما بين النهرين»[1]

ولهذا الجسر أسماء عديدة أطلقها الناس عليه في ظروف ومناسبات مختلفة. من ذلك: الجسر العباسي، جسر العباسيات، جسر الخابور، جسر دلالي، جسر الإسكندر، جسر الحسنية

ويلاحظ القارئ أن اثنتين من هذه التسميات أطلقتا عليه بالنظر إلى موقعه: «فجسر الخابور» يشير إلى أنه يركب متن هذا النهير، كما أن «جسر الحسنية» يدل على أنه شيد عند بلدة الحسنية. أما سائر التسميات فقد أطلقت عليه بناء على ما شاع بين الأهلين هناك من الروايات والأساطير التي لا تدعمها الحقائق الراهنة ولا تؤيدها المستندات التاريخية

(١) Conrad Preusser : Nordmesopotamische Baudenkmäler Altchristlicher und Islamischer Zeit. (Leipzig, 1911, pp. 22—23).

٢ – موقعه

على نحو من ميل واحد شرق بلدة زاخو ينتصب «الجسر العباسي» فوق نهير الخابور الذي ينبع من الجبال الممتدة في جنوبي أرمينية[1]، ثم يسير متمعجاً بين ثنايا تلك الجبال حتى يصب في دجلة فوق قرية «فيشخابور»[2] على نحو من ٧٥ ميلاً شمالي الموصل؛ أي عند الحدود العراقية التركية. وهذا الخابور هو المعروف في المؤلفات العربية القديمة ب «خابور الحسنية» نسبة إلى البلدة المعروفة بهذا الإسم[3]

وقد تطرّق البحّاثة المستشرق (لسترنج) في كتابه الموسوم ب «أراضي الخلافة العباسية» إلى ذكر هذا النهير وجسره فقال: «إن هذا النهير كان يخترقه جسر حجري لا تزال بقاياه ماثلة للعيان قرب قرية حسن آغا التي ربما تمثل المدينة القديمة. إن الحسنية التي كان فيها جامع تصلى فيه الجمعة قد وصفه المقدسي[4] بقوله إنه موقع ذو خطر»[5]

ويبدو لنا من كلام (لسترنج) أن الأمر قد اختلط عليه بعض الشيء، فلم يفرق بين الجسر العباسي الذي نحن بصدده، وبين جسر آخر ما زالت بعض معالمه ظاهرة للعيان، كان فيما مضى يعلو الخابور ذاته، ويطلق عليه «جسر كيْستَه»[6] بينه وبين الجسر العباسي نحو من ثمانمائة متر

ولا يزال الجسر العباسي صالحاً بعض الصلاح لمرور السابلة من فوقه؛ وقد كان فيما مضى المسلك الوحيد الذي تسلكه

(١) راجع مفصل جغرافية العراق لطه باشا الهاشمي «بغداد سنة ١٩٣٠، ص ١٣١ — ١٣٢»

(٢) سماها ياقوت الحموي «معجم البلدان ٣ : ٩٣١ طبعة وستنفلد» فيشابور، وقال إنها «بليد من نواحي الموصل من ناحية جزيرة ابن عمر، لهم فيه وقائع»

(٣) معجم البلدان ٢ : ٢٧٠، ٣٨٤». وجاء في دائرة المعارف الاسلامية مادة «خابور» أن «هذا النهير يخترق سلاسل الجبال التي تسمى اليوم «حربال» «في الشمال»، و«زاخا» «في الجنوب». وهذه الجبال الأخيرة أخذت اسمها من اسم مدينة «زاخو» التي كانت تعرف في العصور القديمة باسم «آزوخيس» Azochis

(٤) أحسن التقاسيم للبشاري المقدسي «ص ١٣٩ ليدن»

(٥) G. Le Strange : The Lands of the Eastern Caliphate. p. 93

(٦) كيسته : قرية صغيرة على خابور الحسنية أسفل زاخو بينهما مسافة نصف ميل

القوافل حينما تقصد من الأنحاء الشمالية المختلفة ؛ أما « جسر كيسته » فلا أثر لقناطره اليوم ، لأن يد الدهر سطت عليها ، وعملت على تقويضها حجراً بعد حجر ، ولم تبق منها اليوم سوى ركائز قواعدها الحجرية المغروزة فى الماء

٣ — صفته

يبلغ طول الجسر العباسى ١١٤ متراً ، وعرضه ٤ أمتار و٧٠ سنتمتراً وهو يتقوم من خمس قناطر تتفاوت شكلا واتساعاً ، فأكبرهن تكاد تعلو عرض الخابور بكامله هناك ؛ إذ تبلغ فتحتها ١٦ متراً ، وارتفاعها عن مستوى سطح ماء الخابور فى أيام انتقاصه زهاء ١٥ متراً ، ومن هنا تتجلى لنا عظم المصاعب التى تجشمها البناؤون أثناء تشييدهم هذه القنطرة الواسعة ! ومن يلق نظرة على صورة هذا الجسر ير ريازة هذه القنطرة من الطراز المعروف ب « المسنم »

ثم يلى هذه القنطرة سمة ، قنطرة ثانية فتحتها ١٠ متراً ، على شكل يقرب من نصف الدائرة . أما الثلاث الباقيات ففتحاتهن أصغر من السابقة وهنّ على شكل أنصاف دوائر[١]

وطبيعى أن يؤدى هذا التفاوت فى اتساع القناطر إلى ارتفاع وسط الجسر وانحدار جانبيه حتى يتساوى وسطح الأرض عند حافتى مجرى النهر

ويلاحظ المرء أن ثلاثاً من هذه القناطر شيدت على يسار[٢] القنطرة الكبيرة — باعتبار مجرى النهر — وواحدة فقط على يمينها[٣] .

شُيد الجسر العباسى من حجارة مُزَأْمَمة ، مختلفة الحجم ، قليلة الهندام ؛ لكنها مرتبة بنظام ، وقد تلاحكت بعضها ببعض بالملاط القوى

وقد يبدو هذا الجسر للناظر ، لأول وهلة بسيط التركيب ، ضعيف القوام ، لكنه بالرغم من مظهره هذا ، عاش قروناً طوالاً ، وعارك فيضانات الخابور المتدفقة من أعالى الجبال المحيطة بتلك البقاع ، ومياه الخابور ذات أمواج متلاطمة مزبدة ، وهى فى صراع دائم مع الصخور الصلبة التى تكوّن قعر النهر ، وهذا ما يسبب تيارات ودوّارات مائية مريعة تجعل الملاحة فيه كالمستحيلة

فوق هذه الأرض الصخرية القاسية شيد الجسر العباسى بقناطره الخمس ودعائمه الراسخة

وقد تطرقت العالمة الرحالة (جرترود بيل) إلى هذا الجسر فى رحلتها المعروفة « من مراد إلى مراد » ؛ لكنها قالت إنه يتألف من أربع قناطر[١] ، بينما هى فى الواقع خمس كما أسلفنا .

٤ — تشييده :

تضاربت الروايات فى أمر تشييد هذا الجسر ، وذهب الحدس والتخمين فى ذلك كل مذهب ، وما ذلك إلا لعدم وجود كتابة عليه تفصح عن زمن تشييده ، أو نقوش تسعف الباحث فى تقدير تاريخه ، فضلاً عن صمت المؤلفات القديمة وعدم ذكرها له .

ولأهالى تلك البقاع أسطورة يتداولونها فيما بينهم ، ومنهم سرت إلى بعض كتب الرحلات الأجنبية[٢] . وخلاصتها أن هذا الجسر كان على ما يقولون قد سقط ثلاث مرات متتاليات عند محاولة تشييده ؛ حتى نفد صبر البنائين وضاقوا ذرعاً بالأمر ، فقال رئيسهم : يا قوم إن قائمته لن تقوم ما لم يُضَحَّ فى سبيله بدم بشرىّ ، على أن تكون ضحيته أول عابر طريق

وما هى إلا هنيهة وجيزة حتى أقبلت بنت عذراء اسمها (دلالى) فساقها القدر إلى أن تكون أول من يقع عليها القرار الذى أشار به رئيس البنائين ، فاستيقت تلك الفتاة قسراً وأدمجت فى الحال ببناء الجسر وهى حية ، وترك طرف ذراعها ذات

---

(١) هذه القياسات مأخوذة من كتاب « بروسر » المار الذكر

(٢) فى هذه الجهة من النهر يشاهد الجبل المعروف ب « جبل يخنين »

(٣) فى هذه الجهة من النهر وعلى مقربة من الجسر قرية صغيرة تعرف ب « العباسية » على اسم الجسر

(١) G. L. Bell : Amurath to Amurath. (2 nd ed., 1924 ; p.289).

(٢) راجع مثلا الرحلة المسماة Form Monte to Mosul. (p. 135)

السوار الذهبي بادياً للعيان ، ولكن من كانت تلك الفتاة يا ترى ؟ إنها كانت ابنة رئيس البنائين نفسه . ولكن هل لذلك الرئيس من محيص وقد سبق السيف العذل ! وللأهالي القاطنين تلك البقعة أشعار وأغاني باللغة الكردية يتناقلونها صاغراً عن كابر ويتلونها في ذكر دلالي ، وفي عظم الفاجعة التي حلت بها ، وهذه الأشعار ذات لون أدبي خاص ، وتعد من أجمل القطع الأدبية الشعبية

هذا ملخص الرواية الشائعة هناك رويناها دون أن نبدي رأياً فيها ، لأن المراجع القديمة الموثوق بصحتها لا تساعدنا في هذا الشأن

وقد ذهب فريق من الكتبة المحدثين إلى أن تشييد هذا الجسر كان قد تم على أيدي الرومان ؛ فإن هؤلاء القوم اجتازوا بشمالي العراق في المائة الرابعة قبل الميلاد وعبّدوا مسالك عسكرية ومنها الجسور لتمر عليها جيوشهم الجرارة الذاهبة لمنازلة الفرس

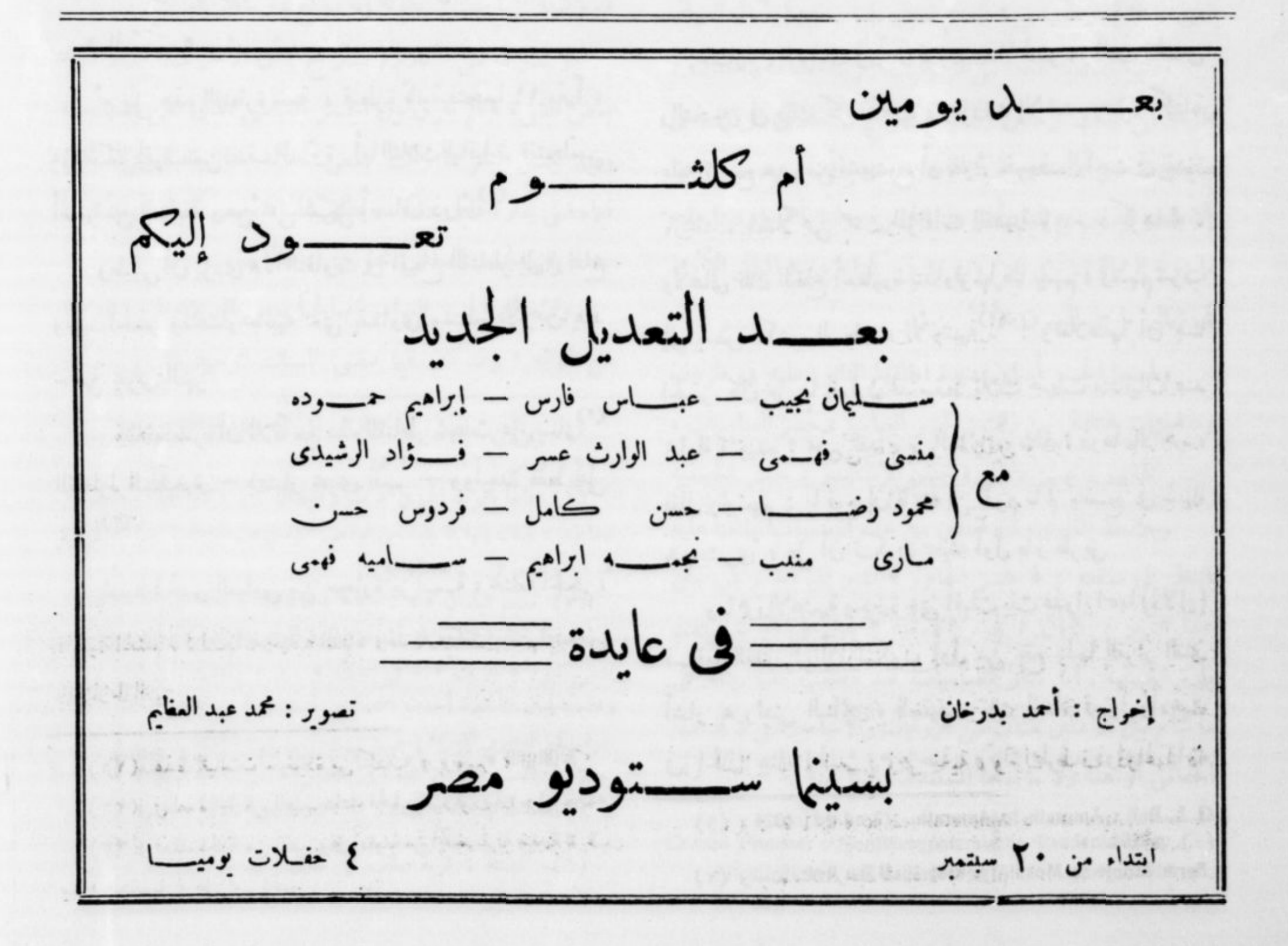
من ذلك ما زعمه (هموتن) بقوله فيه إنه « جسر روماني فخم معقود فوق أحد روافد دجلة عند زاخو ... وصار يعرف على مرّ الأزمان بجسر الإسكندر [١] » ؛ ثم ساق رواية دلالي المارة الذكر

ونحن نرى في هذا الرأي تساهلاً كبيراً ؛ إذ يصعب صمود هذا الجسر مدة تزيد على الألفي سنة يقاوم فيها محن الزمان وتصرفات المياه

والذي انتهى إليه (بروسر) في درسه هذا الجسر أنه لا شيء يوثق به فيما يخص تشييده ؛ ومع ذلك فقد ذهب إلى أنه شيد في المائة السابعة للهجرة (بين المائة الثانية عشرة والثالثة عشرة للميلاد) ، وإنه بهذا الاعتبار من الآثار التاريخية المائلة للعيان التي تعود إلى أواخر أيام الدولة العباسية .

(بغداد) **ميخائيل عواد**

(١) J. A. Hammerton : Wonders of the Past. (Vol. 3., p. 1130).





رسالة المساجد والنهوض بها

أصدر صاحب المعالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الأوقاف القرار الآتى :

تشرف وزارة الأوقاف على آلاف المساجد المنبثة فى الحواضر والمدن والقرى ، وهى بذلك تحمل لواء الإرشاد والتهذيب الدينى والاجتماعى

ورغبة منا فى النهوض بها وبالقائمين على شئونها نهوضاً يلائم تطور الزمن وأحداثه ، حتى تلاحق ركب الحضارة والمدنية ، وتحتل مكانها الذى كانت تحتله فى صدر الإسلام ، يشرق منها نور المدنية الإسلامية ، وتوطد بين جدرانها الألفة والمحبة بين المسلمين ، وتنمي نوازع الخير والهداية وأسباب الكرامة الحقة فى نفوس الشباب

ورغبة منا فى الوقوف على أقوم السبل المحققة لهذه الغاية ، سواء من الوجهة الدينية أو الثقافية أو الصحية أو العلمية ، رأينا تأليف لجنة من حضرات أصحاب الفضيلة والعزة : مصطفى صبرى أفندى شيخ إسلام تركيا سابقاً ، والدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، ومحمد محمد الوكيل بك العضو بمجلس الشيوخ ، ومحمود لطيف بك عضو مجلس النواب ، والدكتور عبد المجيد رمزى مدير الصحة الاجتماعية ، وأمين عبد الحافظ بك مدير الشئون القروية ، والأستاذ أحمد فهمى إبراهيم مدير قسم الهندسة بوزارة الأوقاف ، والدكتور منصور فهمى بك مدير دار الكتب ، والشيخ محمد البنا مدير إدارة الشئون الدينية برياسة مجلس الوزراء ، ومحمد أحمد جاد المولى بك المفتش الأول للغة العربية ، والشيخ عبد الوهاب خلاف الأستاذ بجامعة فؤاد الأول ، والشيخ سيد زهران مدير قسم المساجد ، والأستاذ عبد الحميد خضر ، والدكتور إبراهيم اللبان المفتشين بوزارة المعارف

على أن تكون مهمة هذه اللجنة بحث ما يأتى :

١ — الوسائل التى تحبب الناس فى الإقبال على بيوت الله وقضاء أوقات فراغهم فيها ؛ وبحث العوامل التى أدت إلى انصراف فريق من الناس عن المساجد ، ورسم أقوم السبل لعلاجها علاجاً ناجعاً

٢ — وضع دستور للإرشاد فى المساجد من دروس وخطب ومحاضرات ، وتنسيقه بحيث يوائم الظروف والمناسبات والحوادث والبيئات

٣ — طريقة اتصال وزارة الأوقاف بالوزارات الأخرى لتقف على ما لديها من مشروعات اجتماعية وثقافية وصحية واقتصادية وزراعية ووقائية ليكون وعاظ المساجد لسان الحركة الإصلاحية فى جميع هذه الشئون

٤ — المنهاج الذى يشيع الرغبة بين النساء فى الإقبال على المساجد لتغذيتهن بالثقافة الدينية

٥ — اختيار الطراز الذى يراعى عند إنشاء المساجد لتتوافر فيها وسائل الراحة والصحة والترغيب

٦ — النظر فى شئون مرافقها الصحية وإمكان تزويدها بالمغاسل والحمامات والمياه الساخنة ، وإذا تيسر ذلك فهل تشرف عليها وزارة الأوقاف أو وزارة الصحة ؟

وأملى أن تنتهى اللجنة من تقديم تقريرها فى بحر شهر من تاريخه .

حول « زج الفقراء لا يحل مشكلة الفقر »

تفضل الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى العدد الأخير من مجلة « الرسالة » الغراء ورد على بعض ما كتبته فى صفحة « الأسبوع حوادث وخواطر » بمجلة آخر ساعة ، وتفضل أيضاً وسمح لى فى حديث معه بالرد على رده ، واختار لى صفحات « الرسالة » ميداناً لهذا الرد

وخلاصة الموضوع الذى كتبت فيه هي (الفقر والحرية) ، وهل يمكن أن يتمتع الفقير بحريته رغم فقره ؟ وهل يمكن وضع نظام اقتصادى جديد غير النظام الحالى يقلل من عدد الفقراء ومن عدد الأغنياء ؟

وقد سبق لى أن تناقشت شخصياً مع الأستاذ العقاد فى هذا الموضوع ، وكان فى مناقشته لى قد فهمنى فهماً خطأ ، إذ ظن أنى أدين بمبدأ سياسى معين ، ولذلك خص الجزء الأكبر من رده

على صفحات الرسالة لهدم المبادىء الحديثة كالنازية والشيوعية .

هـذا فى حين أنى صرحت له مراراً ، وها أنا أعود إلى التصريح مرة أخرى ، أنى لا أدين بمبدأ معين ، ولم أتقيد إلى اليوم بفكرة كاتب من الكتاب السياسيين العالميين ، وعلى الأخص (كارل ماركس) . فأنا لا زلت شاباً فى الرابعة والعشرين من عمرى جعل همه مشاهدة الواقع والبحث عن الحقيقة والفكرة التى تنطبق على هذا الواقع ، سواء كانت فى النازية أو الشيوعية أو الديمقراطية ، أو حتى فى الفوضوية ! فدعنا من كل هذه المبادىء وتعال إلى الواقع . أليس فى البلد من يملك عشرة آلاف فدان ، فى حين أن فيه عشرة آلاف فقير لا يملكون ثمن رغيف وطبق من الفول المدمس ؟

أليس فى البلد من يملك عشر سيارات ، فى حين أن فيه عشرة آلاف يسيرون حفاة ؟

أليس فى البلد من يموت بالتخمة وضغط الدم ، وفيه من يموت بالجوع وفقر الدم ؟!

هذا هو الواقع ، وهذا ما ناديت بإصلاحه ، ولم أقل كيف يتم هـذا الإصلاح ، ولم أشر باتباع مبدأ من المبادىء التى أشار إليها الأستاذ العقاد

ولكن الأستاذ العقاد يقول أنه ديمقراطى يدين بالديمقراطية لأنها تصون الحرية الفردية . فلأكن مثله ديمقراطياً ، ولنبحث سوياً بين النظم الديمقراطية المتبعة فى مختلف الدول عن طريقة لإصلاح الواقع الذى تحدثت عنه

وأعتقد أننا لن نتعب طويلاً فى هذا البحث . فالطريقة التى نطلبها متبعة فعلاً فى انجلترا زعيمة الأمم الديمقراطية

ففى انجلترا الآن قربوا الفارق بين الغنى والفقير ، حتى أصبحا متساويين تقريباً . وذلك عن طريق فرض ضرائب مرتفعة على الأغنياء بلغت فى بعض الأحيان ٩٠٪ ؛ فالغنى الذى يصل دخله اليومى إلى مائة جنيه (مثلاً) أصبح لا يملك من هذا المبلغ إلا جنيهاً واحداً يصل به إلى مرتبة الرجل العادى

قد يقول الأستاذ العقاد أن هذا ظرف استثنائى فرضته الحرب ، وأن هذه الضرائب تستغل فى تشغيل العاطلين – وهى أهم الطرق للقضاء على الفقر – ولكن تشغيلهم فى المصانع الحربية ، وهذا ما لا يرضى به العقاد

ولكن لماذا لا يظل هـذا النظام ثابتاً حتى بعد انتهاء الحرب ؟ ولماذا لا تستغل هـذه الضرائب فى سبل أخرى غير إذكاء نار المذبحة الكبرى ؟ لماذا لا تستغل فى فتح الطرق وإنشاء مصانع سلمية ورفع أجور العمال ... الخ . من الوسائل الكثيرة التى فكروا فيها قبل الحرب وكان ينقصهم المال لتنفيذها ؟

***

إذاً فهناك طريقة ديمقراطية للقضاء على الفارق الاقتصادى بين الطبقات ، أو على الأقل لتخفيفه ، وهى طريقة ترضى الأستاذ العقاد ، لأنها لا تتصل بالنازية أو الشيوعية ، ولأنها ديمقراطية ، والديمقراطية لا تقيد حرية الفرد التى يدافع عنها أستاذى الكبير

فإذا ما وصلنا إلى هذا الحد واتفق رأيانا عند هذه النقطة . فلا داعى للحديث عن الحرية ، ومدى ارتباطها بالفقر ، وهو الموضوع الذى كان أساساً لهذه المقالات .

إحسان عبد القدوس

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

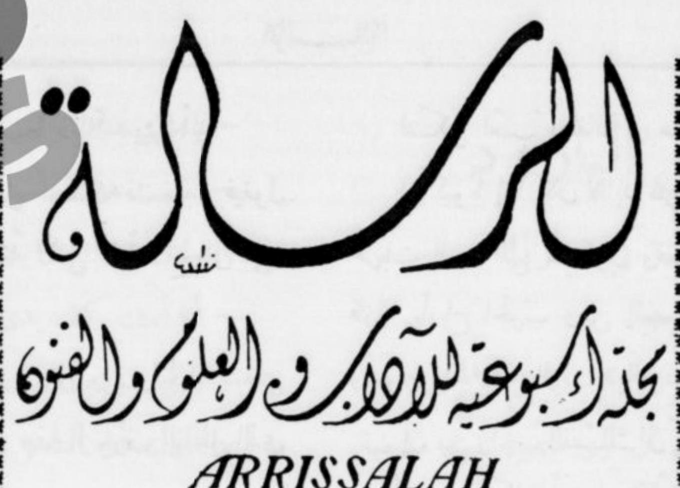


11me Année No. 534

Lundi - 27 - 9 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

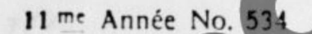
الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



العـدد ٥٣٤ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٧ رمضان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـرس

٢١ ه ١٦

من وحي الفطر

يا دموع الفقراء ...

للأستاذ دريني خشبه

وا رحمتاه لكم يا أحب خلق الله إلى الله !

تُرى مَن مِن أفراد هذا الموكب الزاخر الذي حط عن كتفيه عبء رمضان يذكركم كما تذكركم السماء ، ويمد إليكم يده بالقروش الجديدة الحمْر قبل أن يمدها إلى أبنائه ؟ !

لقد عرف الأغنياء الصائمون فرحتهم صبيحة العيد المبارك ، فهل عرفتم فرحتكم كما عرفوها ... أم كنتم تنظرون إليهم ثم تُقَلِّبون نظراتكم في السماء ... ثم تنتثر من عيونكم تلك الدموع التي لها حسابها عند الله

ألا ليت الأغنياء رحموكم إذ لم يذكروكم فلم يتيهوا بينكم بهذه الثياب التي لا يمكن أن تُشترى إلا بأرباح الحرب ، وما صنعته الحرب في خزائن الأغنياء من أعاجيب

عندي لكم رأي يا أحب الناس إليّ ...

كفكفوا هذه الدموع ولا تُذروها في تلك المناسبة من السهل أن نكون جميعاً نُسّاكاً في مأساة عيدَينا هذا العام ...

وأول واجبات الناسك ألا يغبط ذليلاً يعيش أبداً

ومن واجباته كذلك أن يجعل نسكه فلسفة ، فيقول مثلاً : لقد آثرت أن أكون ناسكاً لأننى لا أحتاج إلى شيء ولا أفتقر إلى أحد ، ...

إننى أريد أن أفرغ إلى الله ربى ، وزخرف الحياة يشغلنى عن الله ربى ، فليست بى حاجة إلى هذا الزخرف الباطل الذى يصرفنى عن تأملاتى !

ليس فى هذا الذى أقول نسيان لنصيبى من هذه الدنيا ، فحسبى أن يكون هذا النصيب جرعة من ماء وكسرة من خبز الشعير وحبة من ثانى الأبيضين الذى يسمونه الملح

ومن واجبات الناسك أن يكون سعيداً بأسماله البالية فلا يتبرم ولا يتسخط ولا يتهم السماء ، حتى حينما يرى الأغنياء الذين لا يبالون هذه الأزمة الطاحنة ، فهم يزهون فى أثمن الثياب وأغلى الأفواف ... إن من واجبه فى تلك الحال أن يبتسم ابتسامته التقليدية الخالدة ... إبتسامته الساخرة التى تستهزئ بالذهب وتستهزئ بالفضة وتستهزئ بالحرير المفتّل ... الابتسامة العامرة العليمة التى تعرف إلى أين ينتهى هذا الذهب وماذا هى عاقبة الفضة والحرير المُفتّل ... وعاقبة الدور والقصور ، وحياة اللهو ومتاع الغرور

لنكن نُسّاكاً وفلاسفة من هذا الطراز يا رفاق !

فإذا صدمتنا الحقيقة ، وأعاد إلينا الواقعُ صوابنا ، وذلك حينما يفاجئنا أطفالنا بمطاليبهم من لُعَب العيد وطُرَفه ، فلنكن نحن لُعَبهم

لندَعْهم يصارعونا ويلاكمونا ويشدوا أذقاننا وأكمامنا . ماذا نخشى على هذه الأكمام يا رفاق ؟ أليست كلها مِزَقاً وأسمالا ؟ إنهم مهما صنعوا فلن يزيدوها تمزيقاً ، لأنهم ليسوا أقوى من الحرب ولا أفتك من الغلاء ، ولا أطول باعاً من السنوات الأربع التى تصرمت فى هذه الشدة ، والتى لم تُبْق من أسمالنا لأولادنا شيئاً يمزقونه ... ولا شيئاً يرتدونه ، حين تكل حيلتنا فيه ، ولا ندرى ماذا نلبس منه وماذا ندع !!

لنكن لُعَبَ أطفالنا فى هذا العيد ...

ليركبونا إذا كان لا بد لهم أن يركبوا شيئاً يعوضهم من عربات العيد التى ستكون وقفاً على أطفال الأغنياء ، والذين فازوا بأرباح الحرب ومن إليهم من مخترنى الشاى والمسامير وأمواس الحلاقة والزيت « الفرنساوى ! »

إن من واجب النسّاك أن يكونوا مطايا لأبنائهم ليحملوهم بعيداً عن موكب أبناء الأغنياء فيستريحوا من المقارنات والموازنات ... ولا يقول قائلهم معترضاً على أبيه وعلى الله وعلى الناس ... لماذا يا ترى يبخل على أبى فلا يشترى لى مثل هذه الصفراء أو تلك الحمراء مما يرتدى هؤلاء الأبناء ؟

وقد علّمنا رمضان القناعة أيها الرفاق ، وإن يكن قد أصاب الأغنياء ومن فازوا بأرباح الحرب بألوان من التخمة ، وصنوف من البطنة ، نسأل الله أن يمشيا بمعالجتها نطس الأطباء ...

فبحسبنا أن نقدم لأطفالنا أكلتين مكان ثلاث أكلات و « تمصيرتين » يحظى بها أبناء الأغنياء ... فإذا شكا أطفالنا مسغبة فذكروهم بما كان فى رمضان القريب من حال الفطور والسحور ...

رضى الله عنك يا ابن عفّان ، ما كان أقوى إيمانك بالله يوم نزلت لفقراء المؤمنين عن عِيرك كلها من دون التجار ... لأنك آثرت البيع لله ، ليُربحه ، ويُربيه عشرة أضعاف ومائة ضعف ... إلى سبعمائة ضعف ...

ألا يذكرك أغنياؤنا فيجعلوا زكاة فطرهم وزكاة مالهم ضعفين أو ثلاثة أضعاف ، فى زمن زاد فيه ثمن الحياة خمسة أضعاف وعشرة أضعاف ؟

أيها الرفاق الفقراء !

لموا شملكم ، واجمعوا قلوبكم ، وارفعوها إلى السماء ... إلى الله بارئكم ... صلاة شاكية باكية ... فيها الحزن الذى يشوبه الرضى ، وفيها الأنين الذى يخالطه الإيمان ... عسى ربكم أن يفرج كربكم ويصلح بالكم .

دريني خشبة

فوق جبل البارود

للدكتور زكى مبارك

طاف الشاعر بالشواطىء طوافاً طال حتى بلغ سبع ساعات، وكانت غايته من طول الطواف أن يرى جنية تفوق صاحبة الميعاد، ليستطيع التمرد عليها إن فكرت فى التمرد عليه، ولكنه لم ير فى الشواطىء ما يصبيه أو ينسيه، فقد كانت الجنية أقوى روح تخطرت فوق تلك الرمال

أيان يذهب الشاعر لو نفرت منه الجنية ؟

لقد سحرته سحراً لا نجاة منه ولا خلاص، وصيرت السجن أحب إليه من الحرية، وفرضت عليه أن يفرح بنعمة الشقاء

إنه يذرع الشواطىء من الجنوب إلى الشمال، ومن الشمال إلى الجنوب، فلا يرى من ذلك المُلك العريض، مُلك الحسن الوهاج، غير ألماح مقبوسة من نيران الجنية، والجنيات خُلقن من النار لا من الماء

سبع ساعات والشاعر فى حيرة من أمره، فى حيرة من بخل الطبيعة بأن تجود عليه بما يُصبيه أو يُسليه ليتمرد على الجنية لحظةً من زمان

وكان الميعاد عند الغروب، فى اللمحة التى تخلع فيها الشمس أثوابها الفضية لتستحمّ فى البحر وتنام إلى الصباح

— ألا تخاف على الشمس من هذه العاقبة ؟

— أية عاقبة يا محبوبتى ؟

— عاقبة اغتراق الجمر فى الماء

— لو كان الماء يطفىء الجمر فى كل وقت لأطفأت دموعى نار قلبى

— ولك دموع وأنت أقسى من الجلمود ؟

ومضينا نخلو نا بمكان لا يهتدى إليه رقيب ولا عذول، وكانت الخلوة مزعجة إلى أبعد الحدود، فقد كان الغرض أن أستطيع حصر نار الجنية فى مكان، وأن تستطيع الجنية حصر قلبى فى مكان

— إجلس هنا لأجلس هناك

— جلست هنا فاجلسى هناك

— ولا تمد يدك ولا بصرك

— أما أملك كف يدى ولا أملك غض بصرى

— وكيف رضيت بهذه الخلوة يا شقية ؟

— أردت أن أمتحن قدرتى على مقاومة الساحرين من أمثالك، فامتحن قدرتك على مقاومة الساحرات من مثيلاتى

ثم أسلمت الساحرة جفنيها إلى نوم عميق

كان قلب الجنية بكراً قبل أن أراها وترانى، فليس لها فى الحب تاريخ، ولم يَجر اسمها على ألسنة اللاجنين، ولا أقلام العابثين، وإنما استهواها قلمى وشعرى فأرادت أن ترى كيف يعيش الكتاب والشعراء

لا بدّ مما ليس منه بدّ

لا بد من احترام رغبة الجنية، وهى قد ألحت فى أن (أقسم بشرف الحب لَتنامَنّ فى أمان)

قال الشاعر: ونظرت فرأيتنى مقهوراً على امتشاق القلم لأسجل ظاهرة روحية لم يعرفها من قبلى أحدٌ من المحبين

كنت ألهمها بعينىّ والقلم فى يدى، وكان نومها شبيهاً بنوم الفتنة، ونوم الفتنة مقدمة المهبوب

نامت الفتنة واستيقظ ضميرى، فهممت بإلقائها من الشباك

ولكن هذه الفتنة ستتعرض لمآثم إن رفعت عنها حمايتى فى مثل هذا الليل

آه ثم آه!

أنا فى هذه اللحظة أقيم فوق جبل من البارود، وشرارةٌ واحدة تكفى لتحويلى إلى رماد تذروه الرياح، وأنا أبغض الفناء

واستيقظت الفتنة فرأتنى فى سياحة فارسُها القلم وميدانها القرطاس

— ماذا تصنع ؟

— أسجل خواطر وكلمات

— وماذا سجلتَ ؟

— سجلتُ ما نصُّه بالحرف :

« هي لحظة جمت أطراف النعيم في جميع الأقطار وفي جميع الأزمان ، فما كان لها مثيل في تصوير عشاق النعيم في زمان أو مكان ، لأنها فوق ما يجوز بخواطر أهل الخيال من طلاب المحال ... هي لحظة فيها تعرف التعابير الدنيوية ، ولكنها فيها تعرف الأرواح آبادٌ أطول من عمر الخلود . . . هي لحظة لا يبالي من يعيشها معنى الحياة والموت ، لأنه اجتاز بها آفاقاً لا يجتازها غير من تسامت قدرته على ضجيج الحياة وسكون الموت . . . في تلك اللحظة طاف القلب وطاف الروح بعوالم ومجاهل لا يدرك العقل منها غير أطياف . . . هي لحظة ولكنها العصارة الدامية من قلب الوجود ، وأنا عشت تلك اللحظة فلتفعل الدنيا ما تشاء ، وما الذي أبقيته للدنيا حتى تنتزعه من يدي ؟ أنا نهبت من الدنيا جميع ما تملك ، فلتقابلني إن استطاعت في ساحة القضاء »

قالت الجنية : أهذا هو المحصول لمثل هذه المغامرة العاتية ؟

قلت : هذا ما يملك قلم يقيم صاحبه فوق جبل من البارود !

— ولكني لم أر جديداً في كلامك

— كيف وهو كلام لم يقله أحد من قبل ؟

— أنت قلت مثله مرات ومرات ، فكان مبتكراً أول مرة ، ثم صار من المبتذلات

— وإذن ؟

— وإذن تقول كلاماً غير هذا الكلام لأرضى عنك

ونامت الجنية من جديد ولم تترك لي سميراً غير قلمي ، فماذا أصنع ؟

الخطر كل الخطر في عشق الوحيات من المليحات . هن يتوهمن أن العشق وسيلة لا غاية ، ويرين أن ثمرة الحب ليست طفلاً يولد على نحو ما تكون ثمرات الحب في عالم الحيوان ، وإنما الثمرة لمثل الحب الذي تسامينا إليه أن ينتج مواليد من كرائم المعاني ، مواليد لا تتعرض للمرض ولا للموت

صوّبت بصري إلى وجه الجنية وكتبت :

« لقد آذاني الحسن المجلوب بالطلاء ، وهو حسن للموت فيه حيوية اللون ، فغمرت محبوبتي في أثباج البحر لأرى قيمة ما تملك من جوهر الحسن الصحيح ، والجمال عندي يوزن بحيوية اللون ، وهي حيوية تتموج فوق الصدر والخد والجبين ، وقد تتموج فوق اليدين بأسلوب لا يدرك مراميه غير فلاسفة الجمال . إن اللون قد يحتفظ بالصورة ، ولكنه لا يحتفظ بالحيوية إلا إن سقاه ماء الشباب . وحيوية اللون هي سرّ السِّحر في العيون الزرق والخضر والسود ، وهي أيضاً السبب في أن يكون بعض السمر أجمل من بعض البيض ، لأن الأمر كله لحيوية اللون ، والقول بأن البياض نصف الحسن قول عليل ، فلا قيمة لنوع اللون وإنما القيمة لحيوية اللون »

ثم صوبت بصري مرة ثانية إلى وجه الجنية وقد هممتُ بأشياء ، فهبّت مذعورة وهي تقول :

— ماذا تريد ؟

— أريد أن أقرأ عليك هذه الكلمات

فرحت الجنية بما سمعت ، ثم استسلمت إلى الهجود ، وتركتني وحدي

أنا أقيم فوق جبل من البارود ، وشرارة واحدة تكفي لتحويلي إلى رماد تذروه الرياح

— أيتها الجنية ، إسمعي !

— لن أسمع ، وإن كنت سمعت

— وما نومُك هذه الليلة تحت بصري ؟

— لأعرف ما عندك من المعاني ، فاكتب كلاماً يرضيني

ثم هجمت الجنية في غيبوبة أبلغ من يقظة القلب الخفاق ، ونهضت قبل الشروق ، لتبلغ مأمنها قبل الشروق ، بعد أن عرفتُ أن الإسكندرية لا تقلّ روحانية عن القاهرة ، والمنصورة وأسيوط

لم تكن ليلتنا مما يُنتظَر في دنيا الحقائق أو دنيا الأباطيل ، ولا جاز في أوهامها أو أحلامي أن تجري بيننا شؤون يفضحها نهار أو يسترها ليل ، فقد شقيتُ بالجنية ما شقيتُ ، ويئستُ منها مايئست ، ولم يبق لي أمل يفوق السماح بأن أعيش في عذاب . . . وفي الحب سجون لا تُدخَل بدون استئذان !

كيف ظفرتُ بالجنية ؟

أ كان من هواها أن تزور المكان الذى نظمت فيه قصيدة ...

أى قصيدة ؟ وهل نظمت بيتاً غاب عنه وحيها الجميل ؟

إن حياتى فى جميع مناحيها الروحية لا تعرف غير تلك الجنية ، وأنا لا أرى الدنيا ولا أحبها إلا حين أتمثل روحها الشفاف وهو يناجينى برفق ، أو يلاحينى بعنف ، ونحن نذرع أودية الخيال

مضيت يوماً لرؤية النيل عند الطغيان ومعى صديق متبرم بمصر والمصريين ، فقلت :

— هل تعرف يا صديقى كيف أرى مصر ؟

— كيف تراها ؟

— أراها فى وجه الجنية التى نشأت فوق ضفاف النيل ، ولولا الخوف من أن تتهمنى بالجنون لقبّلت كل وجه وكل شجرة وكل جدار بهذه البلاد

من أجل مَن ؟

من أجل الجنية ، فهى وحدها الدليل على أن مصر وطن الجمال

— الآن عرفت

— وماذا عرفتَ يا جهول ؟

— عرفتُ كيف نجوت من التبرم بمصر والمصريين

— مصر وطن الجنية ، والمصريون أعمامها وأخوالها ، فأنا لها ولهم أوفى الأوفياء

— وما نصيبك من الجنية ؟

— نصيبى أن تكون لى وحدى ، وهى لى وحدى

— وهل تكون أجمل من الشمس ؟

— جمال الشمس جمالٌ مبذول ، فليس له سحرٌ ولا فتون أما جمال الجنية فهو جمال الزهرة المشرقة فى ضمير البيداء ، ولن تكون لغير من يدرك سرها الغريب

— وكيف اهتديت إلى هذا الجمال المجهول ؟

— لقد اهتدى إلىّ قبل أن أهتدى إليه ؟

— وكيف ؟

— صنع معى ما تصنع السرحة لاجتذاب البلبل ، فأورق وأزهر ليطيب فوق غنائى ، فأنا أبدعت ذلك الجمال

— وهو أبدع شعرك

— وصيّرنى من أقطاب الوطنية ، فما يحب الرجل وطنه إلا إن كان له فيه هوًى وميعاد

مضت أعوامٌ وأعوام ولا أرى شمس مصر عند الشروق ، وقد رأيتها عند توديع الجنية ورأيت معها النخلات المتشوفة لنور الصباح

مضى الزمن الذى كان أبى يوقظنى فيه لصلاة الصبح قبل طلوع الشمس

فهل تعرف كيف قضت الشريعة بصلاة الصبح قبل طلوع الشمس ؟

شباب النهار فى الشروق ، وشباب الروح فى الشروق ، فاحذروا نومة الصبح ، لأنها لا تليق لغير النساء

لو رجمت الجنية لحدثتها بما نقلت عنها وهى تغرب عنى مع الشروق ، كما يذهب الحُلم الجميل مع الشروق

علّمتنى الجنية ما لم أكن أعلم ، علّمتنى أن الحب جهاد ، وأن الله لا يخذل المجاهدين

هل رأيت الجنية فى دارى بالأسكندرية ؟ هل رأيتها هنالك ؟ وهل كان هذا التناجى من الحقائق لا من الأباطيل ؟

قلبي يقول إنى رأيتها وأنا لا أكذب قلبى ، فإن لم أكن رأيتها فما هذا الذى أعانى من لجاجة الواشين والرقباء ؟

لم يرونى معها جنباً إلى جنب ، أو قلباً إلى قلب ، وإنما رأوا بشاشة روحى وأنا عائد من الأسكندرية فقدروا أنى احترقت فى كوثر الوصال

روائح النعيم فى أعطافى ، ونيران الوجد فى أحشائى ، فأنا رأيت الجنية هناك ، ثم رأيتها هناك

رأيتها رأيتها ، وشربت على وجهها كأس الصفاء ، فليفرح روحى بما يزخرف خيالى ، ولو صرحت لتعرضت للشرارة التى تنسف جبل البارود

أنا ما رأيت الجنية ولا رأتنى ، وما كان حديثى عنها إلا ضرباً

٣ـ حكاية الوفد الكسروى

لأستاذ جليل

١ — قول منشىء الخبر حاجب بن زرارة التميمى هذا القول : « ... إن العرب أمة قد غلظت أكبادها ، واستحصدت مرتها نحن وفودها إليك ، وألسنتها لديك ... »

وقد عنى الصباغ بالأمة مصطلح وقته ، وما نذهنه نحن فى هذا العصر ، ولم يقل عربى جاهلى فى زمن : نحن أمة . وإنما يعرف العربى عشيرته أو قبيلته أو رَبعه أو حيّه أو مدتيته أو يمنيته أو تهاميته أو ما ضارع ذلك . وإن كان فى لغته من معانى الأمة (الجماعة) ، فلم يقلها كما لم يقل نحن جماعة العرب قاصداً جميع العرب وأحياءهم وقبائلهم كافة . وما جاءت العرب أمة إلا من بعد أن ألفها (مؤلفها) وقرأت (سفر التكوين ...)

ويعز على العربى الصحيح أن يرى العرب قد نا كروا التأليف الدهر الأطول ، وقرءوا (الكتاب) ولم يعقلوه ، ولو عقلوا لكانوا أمة أى أمة ، ولعربت الدنيا وأحال أهلها[1]

يا هؤلا ، سيروا فى قومكم سيرة عمرية ، وخلصوهم من البؤس والجهل والأمية ، وعلموا العربية ، وعلموا القرآن ، علموا القرآن تقبل إليكم وحدة مجيبة عربية

ابن على الصخر « لا كالبناء على الآجر والطين »

وللأمة فى (الكتاب) معان جمة ، أكثرها الجماعة والدين أو الملة . قال تعالى (والأمة هنا هى الجماعة) :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله . ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون ، وأكثرهم الفاسقون »

فالأمة فى الآية الكريمة « هم الذين هاجروا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلى المدينة ، وخاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » كما جاء فى (جامع البيان) للطبرى

والمهاجرون عرب وغير عرب كما هو معلوم ، وقد كان فيهم سالم بن معقل الأصطخرى ولو لم يستشهد فى قتال عرب مرتدين لكان الخليفة الثالث[2] . وسالم هذا مهاجر ، وبدرى ، وأنصارى بالولاء ، وشهيد (الله أكبر ، الله أكبر !) ، وكان يؤم فى الطريق من هاجر معه من مكة ، وفيهم عمر بن الخطاب (رضوان الله عليه)

فالآية لا تعنى العرب إذ لم يكونوا عند نزولها قد أسلموا فضلاً عن أن يأمروا بمعروف وينهوا عن منكر ، وقد ارتد جلهم حين أظلمت الدنيا بفقد رسول الله ، وكادت مكة[3] ترتد مع المرتدين ؛ لكن أين المفر من الهدى والخير ، وهناك (خير أمة من تزاوير الخيال ، فليطمئن عذالى ورقبائى ، وليعرفوا أن حديث الجنية بعض الذى زورت من الأحاديث

أنا قضيت ليلة مع الجنية بعد ليالٍ وليال ، وهـذا عطرها فى قلبى ، وهذا سحرها فى قلمى ، فليصاولنى سكان وادى عبقر ، إن كانوا يطيقون

أتغضب يا ربى لأن أقول هذا القول ؟ أنا أحكم بما أرى ، وأنت لعدلك لا تطالبنى بأن أحكم بغير ما أرى ، وهـذه الجنية هى آيتك عندى على التفرد بالجمال

هى فى سحرها قَبَسٌ من سِحْرك ، وبجمالها أتعرف إليك ، فاجعل حبى لها كفارة عما ساورنى من العقوق

هى جبين الشمس ، وأنت فاطر الشمس ، فليكن حبى لها وثنائى عليها فنًا من الحب لك والثناء عليك .

زكى مبارك

(١) النهاية : ومنه الحديث : من أحال دخل الجنة يعنى أنه تحول من الكفر إلى الاسلام

(٢) فى (تاريخ الأمم والملوك) للطبرى : أن عمر لما طعن قيل له يا أمير المؤمنين لو استخلفت ، قال : من استخلف ؟ لو كان أبو عبيدة حياً استخلفته ... ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً استخلفته . . » وفى الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون : لوليته أو لما دخلتنى فيه الظنة . وقال ابن خلدون : ولما استعظم عمر أمر الخلافة ورأى شروطها كأنها مفقودة فى ظنه عدل إلى سالم لتوفر شروط الخلافة فيه

(٣) فى كتاب (الأصول) لأبى عبيد القاسم بن سلام : « إن عمر كان لا يعطى أهل مكة عطاء ولا يضرب عليهم بعثاً ويقول : هم كذا وكذا كلمة لا أحب ذكرها »

أخرجت للناس) وفيها أبو بكر ، فيها أبو بكر . وكان معد يكرب أحد رجال الوفد ... ممن ارتد

ومن معانى الأمة (القرن) قال تعالى :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً »

ومن معانيها الدين فى قول النابغة :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

ومثل ذلك قول غيره :

وهل يستوى ذو أمة وكفور

والأمة هى النعمة فى قول الأعشى ميمون بن قيس :

وللموت خير لمن ناله إذا المرء أمته لم تدم

٢ — يقول النعمان لكسرى :

« إن الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم فى الصفات ما ليس لشىء من ألسنة الأجناس [1] »

ذكر وزن الشعر ولم يبق إلا أن يذكر بحوره

الوزن لفظة محدثة وضعها الخليل فيما وضع لفن العروض ، ولو سمع جاهلى : وزن الشعر لدهش وبهت . وقد جال الجوهرى فى أحياء العرب فلم يسمع هذا المصطلح . ولا يفهم العربى فى الجاهلية من الوزن إلا الثقل والخفة فى حقيقة أو مجاز ، كقولهم : كلام موزون ، وهو وزن الرأى أى رزينه كما فى الأساس . وفى اللسان : هذا القول أوزن من هذا أى أقوى وأمكن . وفى جمهرة اللغة لابن دريد : الوزن أصله مثقال كل شىء وزنه ، ثم كثر فى كلامهم حتى قالوا فلان راجح الوزن إذا نسبوه إلى رجاحة الرأى وشدة العقل

وأما قول اللسان : وأوزان العرب ما بنت عليه أشعارها واحدها وزن ومثله قول التاج ، وزاد هذا « وهو مجاز » . فالكلام فى المعجمين تفسير لما اصطلح عليه الخليل لا شرح لفظ ورد عن العرب فى جاهليتها . ولا ريب فى أن نابغة العرب لم يستعمل (الوزن) إلا مجازاً

والقافية من مصطلحات الخليل وإن وردت من قبل ، ومعناها فى أقوالهم هو غير ما أراده الصائغ وقوله النعمان . وقد اختلفوا فى حدها (أعنى القافية) على اثنى عشر قولا ...

ومن بديع ما يروى أن علم القافية « واضعه امرؤ القيس ابن ربيعة المعروف بالمهلهل خال امرىء القيس بن حجر الكندى » واللاغى بهذا القول قد سلب الخليل بن أحمد الفراهيدى حقه سلباً مجيا ، وظلم عبقريته ظلما عبقرياً

واضع علم العروض والقوافى فى العربية هو الخليل ، ولن يضع من قدره شيئاً أنه علم أن عند الإغريق عروضاً ، أو حدثه بذلك عالم باليونانية ، أو أطلعه على باب من هذا الفن عند القوم . فنى (الغيث المُسْجِم فى شرح لامية العجم) للعلامة صلاح الدين الصفدى :

« وذكر لى العلامة شمس الدين محمدُ بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى أن الشعر اليونانى له وزن مخصوص ، ولليونان عروض لبحور الشعر . والتفاعيل عندهم تسمى الأيدى والأرجل . قال : ولا يبعد أن يكون وصل إلى الخليل بن أحمد شىء من ذلك ، فأعانه على إبراز العروض »

إن فضل الخليل فى إبداعه عظيم — وإن صح ما ذكر ابن ساعد — ولن يصغره أقل تصغير منبه حقير نبهه فتفطن لما تفطن له ، وأغرب ذلك الإغراب ، وخاض فى تلك البحور ...

وقل فى (علم العربية) ما قيل فى غيره ، فلن يضع من قدر الناحين الأولين أنهم علموا أن عند السريان واليونان قواعد للغاتهم ، فنحوا فى ترتيب قواعدنا نحوهم

وإذا عرفنا واضع علم فن العروض ، فإنا من واضع النحو فى لبس كبير . وأما قول ابن أبى الحديد فى شرح النهج أن أحد كبار الصحابة (رضى الله عنهم أجمعين) : « هو الذى ابتدعه وأنشأه وأملى على أبى الأسود الدؤلى جوامعه وأصوله ، من جملتها : الكلام ثلاثة أشياء : اسم ، وفعل ، وحرف ، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة ، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم . وهذا يلحق بالمعجزات ؛ لأن القوة البشرية لا تنى بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الاستنباط »

قول ابن أبى الحديد هذا هو أملوحة من الأماليح ، وأبو الحسنين (رضوان الله عليه وعلى إبنيه) كان معلم بطولة

(١) أغلب الظن أن مشى (المقامة) قال : الناس لا الأجناس وقد مشى التصحيف إلى هذه اللفظة كما مشى إلى كثير من ألفاظ (العقد) والأجناس تشمل أمما جمة .. منها الناس وغير الناس ..

وأخلاق ، وكان بانياً من بناة هذه الأمة ، ولم يكن أستاذاً من أساتذة النحو ...

أورد ابن النديم في « الفهرست » هذا الخبر بعد أن روى تلك الأسطورة المشهورة ، وقد يكشف شيئاً من اللبس بعض الكشف :

« وقال آخرون : رسم النحو نصر بن عاصم الدؤلي . ويقال : الليثي ، قرأت بخط أبي عبد الله بن مقلة عن ثعلب أنه قال : روى ابن لهيعة عن أبي النضر قال : كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية ، وكان أعلم الناس بأنساب قريش وأخبارها وأحد القراء »

نروى هذا الخبر إلى أن يتبين للباحثين الحق

***

ذكرني هذا البحث في العروض والنحو بمناظرة كانت بين العلامة الأستاذ الدكتور (بديع الزمان) وبين الأستاذ (أزهري المنصورة) في ذينك الفنين ووقت كونهما حيث تجادل بالأمس صاحب العزة العلامة الأستاذ الدكتور طه حسين بك وسيادة العلامة الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني (أعز الله دولة الأدب العربي بطول بقائهما) وقد أحببت أن أروى هنا آخر مقالة في تلك المناظرة ، ولكن (الرسالة) تأبى إلا الغض الجديد ، فأكتفي برواية المقدمة نموذجاً من العبارات الشديدات في المناظرات ، وهي أقسى ما واجه به الأستاذ (أزهري المنصورة) خصمه العلامة الأستاذ الدكتور بديع الزمان

قال ذلك (الأزهري) :

جاء في تاريخ ابن الوردي

« عزم قاضي الموصل أن يقول للسلطان في إخراج (قضيب البان) الولي المشهور من الموصل في سره ، قال القاضي : فرأيت قضيب البان مقبلا على هيئته المعروفة ، فمشى خطوة فإذا هو على هيئة (كردي) ، ثم مشى خطوة فإذا هو على هيئة (بدوي) ، ثم مشى خطوة فإذا هو على هيئة (فقيه) بصورة غير الصورة المتقدمة ، وقال لي : يا قاضي ، هذه أربع صور رأيتهن ، فمن هو قضيب البان منهن حتى تقول للسلطان في إخراجه ؟ فلم أتمالك أن أكببت على يديه أقبلهما وأستغفر الله ... »

الشاهد في هذه الحكاية أن الأستاذ (بديع الزمان) قد شاكل ولي الله (قضيب البان) فهو يبدو لنا مرة باريسياً ، ويتجلى حيناً أزهرياً ، وتراه في وقت عربياً ، ونلقاه تارة باحثاً غربياً ، وكأنه ما تسمى (بديع الزمان) إلا لكي يأتينا من بدائعه - ليبهرنا - بأشكال وألوان

وقلما أبصرت عيناك من رجل
إلا ومعناه إن فتشت في لقبه

فهو في الإعراب مع المعربين ، وهو في اللحن مع اللاحنات ، وهو في مبحث عند العربيات ، وهو في حديث حدث غربيات - فقلبه وثاب ... - وهيهات أن نخلص منه ، لا علينا ولا لنا ، هيهات

***

إن في (المنصورة) اليوم (لكريماً) ، وإن في (المنصورة) اليوم (لكرماً) (...)

٤ـ نشأة المأساة الإنجليزية

للأستاذ دريني خشبة

المأساة الإنجليزية كالمأساة اليونانية والمأساة اللاتينية هي أرق ألوان الأدب الإنجليزي، وقد اعتمدت في نشأتها الأولى على مصدرين عظيمين، أولهما أهلي - أو إن شئت فقومي - والآخر خارجي. أما الأهلي فهو هذا الثبت التاريخي الحافل المسمي (المرآة لأولى الأمر) The Mirror For Magistrates الذي بدأه توماس ساكفيل (أو لورد بكهرست ١٥٣٢-١٥٨٤) سنة ١٥٥٧ وتوخى فيه سرد مآسي عظماء الإنجليز منذ الفتح النورماندي حتى نهاية القرن الرابع عشر. وقد قلد المؤلف ما جاء في أساطير اليونان من زيارة أحد أبطالها للدار الآخرة - أو هيدز - وذلك كما في أسطورة أرفيوس الموسيقي وأسطورة هرقل، وما جاء في إنيادة فرجيل ورؤيا دانتي حينما قاده دليله (سوء الطالع) إلى الجحيم ليجوب دركاتها دركة بعد دركة، وليسائل ثمة الذين كتب عليهم أن يكون مأواهم النار بعد الذي قدموا في دار الفناء من خير وشر. فهم يقصون عليه الويلات التي سوّدت صحائف حياتهم الدنيا، ويحدثونه أحاديث المصائب التي انصبت على رؤوسهم فيها. ولم يكتب ساكفيل غير مقدمة هذا السفر العظيم، وهي مقدمة سياسية رائعة، ثم كتب من مجموعة الأساطير الكبيرة التي بلغ عددها ثمانياً وعشرين، الأسطورة الأولى... أما الذي قام بهذا العمل الجليل فهو أديب يدعى ريتشارد بولدوين بمساعدة طائفة من الأدباء الآخرين عنوا عناية فائقة بمآسي عظماء حروب الوردتين. والطريف أن هذا الأثر الأدبي الخالد هو نفسه الذي أوحى - بعد تمامه - إلى ساكفيل وإلى زميله توماس نورتون موضوع أول مأساة تمثيلية إنجليزية بحتة، هي تمثيلية جوربودك Gorboduc أو فركس وبوركس. وجوربودك هذا هو أحد ملوك بريطانيا العظمى، وفيدنا هي زوجته، أما فركس وبوركس فهما ولداه اللذان قسم بينهما ملكه، فما لبثا أن تنازعا وقتل أحدهما (بوركس) الآخر، فتثور الملكة، وتقسم لتنتقمن لولدها من أخيه، وتنتهز لذلك فرصة سنحت لها إذ رأته نائماً يغط في سبات عميق، فتستل خنجرها وتغمده في صدره... ويثور ثائر الشعب حنقاً على الملك (جوربودك) وعلى الملكة فيقتلهما على السواء.

فهذه هي المأساة الإنجليزية الأولى، وقد نظمها مؤلفاها في شعر رصين وعبارات مشرقة قوية، وصباها في قالب أخاذ، كما يمتدحها الناقد الإنجليزي العظيم الشاب السير فيليب سدني في كتابه «الاعتذار عن الشعر»، وإن يكن رجال المسرح الحديث لا يحملون لها تلك القيمة التي أسبغها عليها هو. والمأساة موضوعة على نمط المآسي الإغريقية تقريباً، وهو هذا النمط الفذ الذي لا تبدو فيه أشخاص المأساة، وإنما تأتي بأخبارهم رسل يروون الوقائع واحدة بعد أخرى، فهي أشبه بتمثيلية قصصية يسردها علينا رسلها الأربعة - بعد شخصيات المأساة، كما كان الشاعر في المأساة اليونانية - ولا سيما قبل سوفوكلس - هو الذي يؤدي أدوار شخصياته كلها بمعاونة الخورس في الإنشاد فقط، أو في حكاية بعض الحوادث التي تمهد لما بعدها من وقائع الرواية

وهكذا كانت المآسي التاريخية التي حفلت بها تلك (المرآة) مصدراً هاماً للشعراء الذين ألفوا للمسرح في نصف القرن السادس عشر الأخير على العموم، وفي ربعه الأخير خاصة

وقد كان المسرح الفرنسي نبراساً يضيء على البعد المسرح الإنجليزي في هذا المضمار، لكن المسرح الإنجليزي مع ذلك احتفظ بالطابع الذي يميزه ويُبقي له استقلاله، ذلك أنه آثر كمال الوحدة للمأساة، واتساق الحوادث التاريخية وترابطها، دون أن يأبه بما كان هم المسرح الفرنسي أن يأبه له، ألا وهو ذلك النقد اللاذع، والسخرية الحادة، والمظهر العام الذي ينبغي أن يكون براقاً خلاباً. هذا، وقد ظهرت درامات تاريخية أخرى كانت مادة خصبة فيما بعد، أمدت شيكسبير بموضوعات شائقة لكثير من مآسيه؛ فمن ذلك درامة «عهد الملك جون المضطرب» التي اقتبس منها شيكسبير مأساته «الملك جون»، كما اقتبس مأساته «الملك لير» عن درامة مماثلة اسمها «التاريخ الحقيقي للملك لير وبناته الثلاث: جونرل وراجان وكورديلا». وقد وجد الشعراء الإنجليز غير شيكسبير مدداً لا ينتهي في تاريخ ملوكهم،

فاتخذوا منه موضوعات لمآسيهم الجليلة الشجية . فهذا بيل Peele يؤلف فى حياة إدورد الأول ؛ وذلك مارلو ينفح المسرح بمآسيه عن إدورد الثانى وإدورد الثالث ؛ وذاك شيكسبير يُسْلِم للخلود مآسيه عن رتشارد الثانى ولير وهنرى الرابع وهنرى الخامس وهنرى السادس . . . الخ . ولم يقتصر الشعراء على مآسى الملوك ، بل اتخذوا من الأحداث التاريخية نفسها التى وقعت فى عصور هؤلاء الملوك موضوعات لطائفة طيبة من أروع مآسيهم كما صنع توماس هيوود فى مأساته « إن لم تعرفنى فأنت لم تعرف أحداً » التى اتخذ موضوعها من حوادث عصرَىْ مارى تيودور واليزابث . على أن نوعا جديداً من المأساة الإنجليزية الأهلية ابتدعه الشاعر توماس كيد Kyd فى أواخر القرن السادس عشر وأطلق عليه المسرحيون « مأساة الدم » لكثرة ما يتخلل فصولها من الذعر والقتل والفتك والبكاء والجنون والانتحار ، وما إلى ذلك من ألوان الفزع . وتوماس كيد متأثر فى هذا اللون الذى ابتدعه فى المأساة الإنجليزية بشاعر الرومان وفيلسوفهم الأشهر سنكا . وليس يعرف المؤرخون كثيراً من حياة كيد . وهم مختلفون فى تاريخ ميلاده وفى تاريخ وفاته ، وإن اتفقوا أنه قضى حياته كلها فى النصف الثانى من القرن السادس عشر . ويقولون إنه شدا شيئاً من العلم فى مدرسة « مرشانت تايلور » وإنه كان ثمة زميلا للشاعر الكبير سبنسر . على أن الذى لا مراء فيه هو أنه مؤلف المأساة المشهورة « المأساة الأسبانيه » ، أو « هيرونيمو مجنون ثانية » التى يقال إنها جزء ثان لجزء أول من مأساة مفقودة اسمها « هيرونيمو — أو جيرونيمو » والمأساة تبدأ بحوار بين شبح دون أندريا وبين وكيله إلى العالم الآخر ، واسمه الانتقام Revenge) وتنتهى بمذبحة عامة بين جميع أبطالها ، مذبحة أشنع مما تنتهى به مأساة (هملت) لشيكسبير . . . ولكن مأساة دموية أخرى تسمى سليمان وبرسيدا لا تقل شناعة وتمزيقاً للأعصاب وتفجيراً للألم من المأساة السابقة ، بل تفوقها إلى الحد الذى لا تحتمله مشاعر القراء ولا تقوى عليه عواطفهم ، ولهذا فنحن نضرب صفحاً حتى عن تلخيصها . وقد كتب أديب آخر يدعى هنرى شتل Chettle مأساة دموية من طراز مآسى كيد اسمها هوفمان Hoffman ، فساهم بها مع كيد فى التمهيد لظهور المأساة الرومانتيكية (الإبداعية) فى انجلترا ، وهى المأساة التى عفّت على آثار الدرامات الدينية بنوعيها (الإنجيلية والقديسية) كما عفّت على آثار الدرامة الأخلاقية Morality . أما الذى أنشأ هذه المأساة الإبداعية إنشاء ، وسما بها إلى الذروة من الأدب المسرحى الإنجليزى فهو — خرستوفر مارلو الملقب بأبى المأساة الإنجليزية وصاحب الفضل الأكبر فى (تكييف الذوق الإنجليزى العام) وتوجيهه على الوجهة الرومانتيكية الرفيعة التى أزهرت أيما إزهار فيما بعد . ويعود فضله إلى تلك العملية الاختزالية الواسعة التى قام بها فى الدرامة المسرحية بوجه عام ، فلقد وجد تراثاً مختلطاً من المسرحيات الكلاسيكية المشوهة التى ترتكز على الناحيـة الاستعراضية وتحفل بها قبل أن ترتكز على الموضوع المتماسك المتسق ، والتى تعتمد على زيف المناظر وبهارجها وما يُقحم خلالها من مواقف التهريج المضحك إقحاماً ، قبل أن تعتمد على جمال الأداء وتسلسله . فلما أخذ مارلو ينظم أولى دراماته رأى أن يهمل كل هذا الزبد ليذهب جفاء ، وأن يقدم للمسرح سبيكة خالصة من كل تلك الشوائب التى وقع فيها أسلافه وأكثر معاصريه ، فعمد إلى الشعر المرسل الذى لا يرتبط بقافية فنظم به مآسيه ، وأتى فيه بالغرر والدرر ، فلم يصدم الذوق العام بكلام لا هو شعر ولا هو نثر ، ولم ينفر منه ذلك الذوق العام ، بل أقبل عليه وانجذب إليه ، وقدّره قدره الذى هو له أهل ؛ ولم تنفر منه اللغة ولا موسيقا النظم ولا أوزان الشعر ، ولم يفر منه الجمهور ولا ثار به الممثلون ، بل كانوا جميعاً أصدقاءه المؤتلفين معه ، المعجبين به

لقد ترك مارلو للأدب الإنجليزى سبع تمثيليات شهد منها المسرح خمساً بين عامى ١٥٨٦ ، ١٥٩٣ ، أى فى أقل من سبع سنوات . أما أولى دراماته فهى تامبورلين الأكبر (تيمورلنك) وقد صور فيها الفاتح الشرقى صورة شاعرية شائقة إذ جعله بطلاً مثالياً ينشد الجمال المحض ، وهو ينشد هـذا الجمال خلال مناظر الدم والرعب والتقتيل والفزع ، وهو مع ذلك يذوب أسى ويلتهب وجداً حينما يصف مرض زوجته الملكة وشحوبها ، ثم احتضارها ، وهو يبلغ آية الآيات فى السمو حينما ينعى هذه

الزوجة « التي تعدل الدنيا بأسرها » إلى صديقه ملك فاس

لقد نظم مارلو درامته بالشعر المرسل ، أي غير المقفى ، فكانت أول تمثيلية ملكت زمام هذا الشعر للمسرح الإنجليزي... والدهش أن مارلو فاجأ قومه بلون طريف من ألوان الشعر هو عندهم اليوم أرق هذه الألوان وأفتنها وأحبها إلى نفوس الإنجليز... وقد أطلق النقاد على شعر مارلو - في عصره بالطبع - لقب البيت العظيم The Mighty Lin أو ما نسميه نحن نجوزا القريض الفريد . ومع أن مارلو لم يكن يجاوز الرابعة والعشرين إذ ذاك ، فقد نجحت درامته نجاحاً عظيماً ، بموضوعها وبشعرها الفاجيّ المجوّد ، وباستغنائه عن تلك الزوائد المسرحية التي لا تربطها بصلب الرواية صلة

وقد تجلت عبقرية مارلو بكل جبروتها في مأساته الخالدة (الدكتور فاوست) ، أو كما سماها هو « تاريخ الدكتور فاوست المحزن » ولا شك في أنه ابتدع هذه المأساة بعد قراءته لترجمة مأساة حياة الدكتور جون فاوست عن الألمانية Volksbuch كما ابتدع مأساة تيمورلنك من ترجمة حياته عن الأسبانية بقلم الكاتب الأسباني بدرو مكسيا . وقد قرأ نابغة الألمان العظيم جوته مأساة مارلو وأعجب بها غاية الإعجاب ، وربما كانت هي التي أوحت إليه موضوع آيته العظيمة (فاوست) ، بل إننا لنرجح أنه لم يكتبها إلا ليمارض بها مارلو ، ففي الأسطورة الألمانية نرى مجرد اللذة ، أو دافع السرور هو الذي يجعل فاوست يعد الشيطان بأن يُباق إليه زمامه إذا هو - أي الشيطان - استطاع أن يبعد الأحزان عن قلب فاوست ، وأن يُبلغه مشتهاه من لذائذ الحياة جميعاً . أما مارلو فقد جعل عقدة الرهان بين فاوست وبين الشيطان في أن يمنحه الشيطان السلطان المطلق والقدرة على كل شيء... فإذا أمكنه من هذا فله روحه وله نفسه ، وله منه مايشاء . أما جوته فقد أراد أن يجعل العقدة في هذا الرهان شيئاً آخر غير الذي رما إليه مارلو ، وغير الذي رمت إليه الأسطورة الألمانية . لقد جعل عقدة هذا الرهان في أن يمنح الشيطان غريمه العلم المطلق بكل شيء ، وفي سبيل هذا العلم أوقعه الشيطان في جميع الكبائر ، فشرب الخمر وزنى وسرق ثم قتل ... ومع ذلك فلم يؤته الشيطان من العلم شيئاً ... يؤثر أن جوته صاح قائلاً عند فراغه من قراءة فاوست لمارلو : « ألا ما أعظم الفكرة! »

وقد شهد سونبرن Swinburne بما لتلك المأساة من التفرد بين جميع المآسي في جميع العصور ؛ مع أن قارئ مارلو في فاوست يشعر في الصفحات الأولى للمأساة بخيبة شديدة ، لأنه يجد تفاهة وسطحية تشبهان تفاهة الأطفال وسطحيتهم ، ولا يكاد يفهم معنى لكل تلك الكهانات وألوان المرافة السخيفة التي يحشدها مارلو على نطاق واسع في مأساته ... وسرعان ما يفطن القارئ إلى السبب فيكبر مارلو ويعلم أنه إنما قصد إلى حشد ذلك السخف كله ولم يأت به عبثاً ... لقد أراد به تصوير سخفنا نحن ... سخف الإنسانية ... وإلا فلماذا يرتفع مارلو ارتفاعاً شاهقاً في آخر المأساة ، وذلك عند ما يصور هلاك فاوست ، عند ما تقبل عليه الشياطين من كل حدب فتحدق به وتطلب إليه وفاء الرهان

وقد خلت فاوست من العنصر النسائي

ومأساته الثالثة هي (يهودي مالطة) التي عارضها شيكسبير بتاجر البندقية ولولا أن مارلو بالغ في تصوير بطله باراباس حتى جعله شخصاً خرافياً لبذ شيكسبير في بطله شيلوك الذي لا يجافي الحقيقة في نفسيات المرابين . ومع ذلك فقد فضل سونبرن شخصية باراباس على شيلوك بالرغم من وجود هذا الفارق

أما مأساته الرابعة (إدورد الثاني) فتعتبر أكمل أعماله المسرحية ، وإن افتقرت إلى العنصر الفكاهي الذي لا بد منه لتخفيف فعل المأساة في نفوس النظارة

وتعتبر مأساته الخامسة (مجزرة باريس) أضعف مآسيه ، وهي تصور النضال الهائل بين دوق دي جيز ، وبين حزب الهوجونوت

وقد فتح مارلو جنة الشعر المرسل لشيكسبير الذي أنبت فيها المعجزات ، وقد وجدت في مخلفاته نسخة بخط مارلو لقصيدته الخالدة (هيرو ولياندر) ويؤثر أن شيكسبير لم يكن يفضّل عليها شيئاً من الشعر جميعاً . وقد نعرض لذلك في مقالاتنا عن الشعر المرسل والشعر الحر قريباً إن شاء الله .

دريني خشبة

مكتبات عربيــــة
في الشرق والغرب
للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

المكتبة العربية قديمة فى تاريخ الأمة العربية ، ومتى وجد الكتاب وجدت المكتبة . فالمكتبة مجموعة من الكتب يضم بعضها إلى بعض ، ويتكون من مجموعها ما يسمى « بيت الحكمة » فى العصر العباسى ، و « خزانة الكتب » فى العصر الفاطمى ، و « دار الكتب » أو « المكتبة » فى العصر الحديث .

وفى العصر الأموى نجد ذكراً لخزائن الكتب التى أخرج منها الخليفة عمر بن عبد العزيز كناش هرون . ولعل تلك الخزائن هى النواة الأولى للمكتبة العربية الإسلامية

اشتهرت بغداد فى عصر نهضتها العلمية بدار كتب عظيمة يعرفها المؤرخون باسم « بيت الحكمة » ويسميها وزير المعارف على باشا مبارك فى كتابه (علم الدين) « دار الحكمة » ، ويروى فى هذا الكتاب الشائق كيفية استجلاب الكتب من خزائن الروم بعد امتناع ملك الروم من إنفاذ ما اختاره المأمون من نفائسها . فأنفذ المأمون جماعة منهم : الحجاج بن مطر ، والبطريق ، ويوحنا بن ماسويه[١]

وكانت تلك الدار أشبه بمباءة للعلم يجلس فيها المؤلفون والمترجمون والنساخون والمطالعون . وكان للفرس مشاركة طيبة فى نهضة دار الحكمة المأمونية ، كما كان خدمتها والمترددون عليها من الفرس وأكثرهم من الشعوبية الذين يكرهون العرب ، مثل علان الشعوبى النسابة الذى ألف كتاباً فى مثالب العرب[٢] وعسى أستاذنا الجليل إسعاف النشاشيبي يدلنا على نسخة من هذا الكتاب يغنينا عن مثالبه هو للعرب فى مقالاته عن حكاية الوفود الكسروية التى يستكثرها على آبائه الأكرمين ...!

ومن دور الكتب الشهيرة فى الشرق مكتبة الأمير نوح ابن منصور السامانى[١] صاحب خراسان وأمير بخارى . وكان الوزير أبو على الشهير بابن سينا قد برع فى علم الطب ، فذكر عند الأمير نوح ، وكان قد مرض فأحضره وعالجه حتى برىء واتصل به ودخل إلى دار كتبه ، وكانت عديمة المثل ، فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدى الناس وغيرها ما لا يوجد فى سواها ولا سمع باسمه . فظل ابن سينا فيها يكتب من علم الأوائل[٢]

* * *

اقتدى أهل الأندلس بالمشارقة فى إنشاء دور الكتب.. فأنشأ الحكم بن الناصر مكتبة حافلة جمع لها الكتب من نواحى العالم ، وبذل فى سبيل شرائها مالاً كثيراً . وكان يُغرى المؤلفين بالذهب ليشترى منهم مؤلفاتهم ويضمها إلى خزانته ، فقد ذكروا أنه بذل لصاحب الأغانى ألف دينار من الذهب ليرسل إليه كتابه قبل أن يبعثه إلى الخليفة العباسى بالمشرق ، كما ذكر المقّرى صاحب نفح الطيب كثيراً من أخبار الحكم فى هذا السبيل ، وفعل ابن خلدون مثله فى الجزء الرابع من تاريخه

ولم تقلَّ مصر والشام عن بقية بلاد المشرق وسائر بلاد المغرب فى جمع الكتب وتنظيم المكتبات . فالعزيز الفاطمى ينشىء « خزانة الكتب » ، ويجمع لها الكتب بمعونة وزيره يعقوب ابن كلس ، ويجمع من الكتاب الواحد نسخاً عدة قد تبلغ المائة . وللمقريزى فى الجزء الأول من خططه كلام كثير فى هذه الخزانة[٣]

* * *

ولقد نكبت المكتبات العربيه بالتتار والصليبيين فى الشرق وبالفرنجة فى المغرب . ويروى ابن الفوطى المؤرخ المعاصر لغارة التتار على بغداد كيف أحرقت الكتب وأغرقت وبيعت بأوهى قيمة[٤]

ويروى ابن الأثير كيف أحرقت المكتبة التى أنشأها

(١) « علم الدين » لعلى باشا مبارك
(٢) تاريخ التمدن الاسلامى جـ ٣ ص ٦ ٢ و ٢٠٧

(١) هكذا اسمه فى تاريخ التمدن ، وفى « علم الدين » نصر بدلا من منصور
(٢) « علم الدين » لعلى مبارك
(٣) المقريزى جـ ١ ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ ووفيات الأعيان وابن خلدون
(٤) التجارب النافعة فى حوادث المائة السابعة لابن الفوطى طبع بغداد ص ٣٣١

سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة عند ما دخل السلجوقيون بغداد سنة ٤٤٧ هـ[1]

كما يذكر جيبون المؤرخ كيف أحرق الفرنجة مكتبة طرابلس الشام عند ما فتحوها سنة ٥٠٢هـ. ويذكر مؤرخو المسلمين أن البطريق إيكزاميفيس أمر بإلقاء الكتب العربية في النار عند ما دخل الفرنج غرناطة في القرن الخامس عشر الميلادي ...

***

وفي العصور المتأخرة نرى الأمم الغربية تتنافس في جمع الكتب العربية وترتيبها بحسب موضوعاتها، وتعيّن لتنظيمها المختصين من المستشرقين الذي درسوا فن تنظيم المكتبات على قواعد صحيحة. ومن الإنصاف للتاريخ والحق أن نقول إن فكرة العناية بإنشاء المكتبات العربية على وجه الخصوص والشرقية على وجه العموم ترجع إلى مدينة « روما »، فقد انتشرت بين أغنياء تلك المدينة التاريخية بدعة جمع الكتب الشرقية في العصور الوسطى. فأصبح أثرياء الإيطاليين ينافس بعضهم بعضاً في الجمع، ويكاثر بعضهم بعضاً في الاقتناء لا رغبة منهم في العلم ولا حباً في المطالعة، ولكن ميلاً إلى التكاثر والمباهاة كما يصنع المترفون من عشاق التحف وجامعي الألطاف ولو لم يعرفوا قيمتها أو يدركوا حقيقتها[2]

أخذت فكرة جمع الكتب العربية تنمو في بلاد أوربا المختلفة، ومع مرور الزمن واتصال الشرق بالغرب، وحبّ الفريقين في الوقوف على تاريخ الشرق القديم وتتبع تطوره، وشغف هؤلاء بارتياد المجاهل الشرقية لأغراض سياسية أو لمآرب دينية - مع ذلك وغيره من العوامل تغيرت فكرة جمع الكتب الشرقية من مجرد المباهاة والتكاثر والتفاخر وتزيين القصور إلى فكرة الاطلاع والدرس والبحث والتنقيب والتنقير بما يتفق مع مصلحة الغربيين لا الشرقيين

فأنشئت دور كتب عربية عامة وألحقت بالمكاتب الأهلية العامة في العواصم الأوربية الكبرى كلندن وباريس وبرلين

(١) ابن الأثير ج ١٠ ص ١٤٥

(٢) مجلة روضة المدارس المصرية

وفينا وروما ومدريد. وأخذت الولايات المتحدة في أمريكا - في مطلع هذا القرن - تهتم بالدراسات الشرقية وتنشئ بجانبها أقساماً للغات الشرقية في جامعاتها الكبرى. مثل جامعة شيكاغو التي تصدر مجلة:

Journal of Nedr Eastern Studies

ومثل جامعة كولومبيا التي تعنى بالدراسات العربية وتترجم أمهات التاريخ الإسلامي إلى الإنجليزية كما فعلت في كتاب فتوح البلدان للبلاذري الذي ترجمه الدكتور فيليب حتى السوري الأصل، والأستاذ الآن بجامعات الولايات المتحدة

ولقد زار بعض النابهين من أبناء البلاد العربية هذه المكتبات العربية في أوربا وتحدثوا عنها في كتبهم؛ كما فعل الشيخ رفاعة الطهطاوي في كتابه « تخليص الأبريز إلى تلخيص باريز » وكما فعل أحمد فارس الشدياق في كتابيه « الواسطة في أحوال مالطة » و « كشف المخبا عن فنون أوربا »، وهما من مطبوعات الجوائب بالآستانة، وكما فعل أمين فكري بك في كتابه الممتع المفيد « إرشاد الألبا إلى محاسن أوربا » المطبوع بالمقتطف سنة ١٨٩٢

ولقد حدَّث الشيخ محمد محمود الشنقيطي: أنه لما أُرسل من الآستانة إلى أوربا لمشاهدة دور الكتب (وجد فيها كثيراً من الكتب العربية القديمة المهد العظيمة النفع المعدومة الوجود في بلاد الشرق على العموم).

ولعلى باشا مبارك في كتابه علم الدين وصف شامل لمكتبة عربية خاصة في باريس ذكر أسماء بعض ما فيها من نوادر الكتب في التفسير والحديث والتوحيد والفتاوى واللغة ووصف عناية صاحبها بترتيبها وتنسيقها وحسن استعماله لما فيها. إلا أن أمين فكري بك كان في كتابه السابق الذكر أكثر الرحالين من العرب عناية بالمكتبات العربية العامة في أوربا فهو يصف كل واحدة منها وصفاً دقيقاً، فيصف مداخلها ومخارجها ورفوفها وأنضادها، وعمالها والقائمين عليها، ونظام الاطلاع فيها، وينقد ما يراه موضعاً للنقد كما يذكر مواضع الإحسان فيثني. ومن عجب أن المكتبة الأهلية في باريس على عهده - ١٨٩١ م - لم تكن على الحال التي عليها اليوم. فهو يقول عن قسمها الشرقي (توجهنا إلى مأمور القسم وطلبنا منه فهرست الكتب العربية

٢ – الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

رأينا مما تقدم أن الأديان السابقة على الإسلام إما استفادت من الفنون الجميلة فى إيضاح عقائدها وتقريب مبادئها للأذهان ، وإما أنكرت هذه الفنون وقضت عليها ، أما الإسلام فوقفه منها يختلف جد الاختلاف عن هذين الموقفين : فهو لم يستخدم الفنون الجميلة فى دعوته كما استخدمتها الوثنية والمسيحية ، ولم ينكر هذه الفنون كما أنكرتها اليهودية ، ولكنه تضمن



كلمة « الله » محفورة على الحجر بجدار المئذنة الشمالية لمسجد الحاكم بأمر الله — من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك

توجيهات مختلفة كان لها أبعد الأثر فى تكوين الفن الإسلامى بعضها إيجابى ، وبعضها سلبى ، وبعضها كانت بمثابة عوامل مساعدة على رقي الفنون الإسلامية الجميلة ونضوجها . وسنبين فيما يلى هذه التوجيهات المتباينة لنرى كيف استطاع الإسلام بنواهيه وأوامره أن يخلق فناً جميلاً له روعته وبهاؤه

ويتجلى لنا أثر التوجيهات الإيجابية فى فنون الخط والزخرفة والعمارة . أما فن الخط فقد حظى من عناية المسلمين جميعاً بنصيب وفير ، وكان للخطاطين عندهم مركز ممتاز لا نبالغ إذا قلنا إنه قد تسامى إلى مركز الملوك والأمراء إذ نزل هؤلاء إلى ميدان الخطاطين ينافسونهم فى صنعتهم لا سعياً وراء الكسب المادى ، ولكن رغبة فى الحصول على الفخر الأدبى ؛ فكانوا يكتبون بأيديهم نسخاً من القرآن الكريم يقدمونها للبقاع المقدسة . والذى أعطى للخط العربى هذه المكانة الممتازة هو اتصاله القوى بالقرآن كلام الله الذى نزل باللغة العربية على محمد صلوات الله عليه (وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً) فالخط هو وحده أداة كتابة هذا الوحى فضلاً عن أن الحق جل وعلا قد أضاف تعليمه إلى نفسه (اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) ، كما أنه سبحانه أقسم به (ن والقلم وما يسطرون) . ومن هنا كان إقبال من اعتنقوا الإسلام على تعلم الخط العربى ، ومن هنا وجدت صلة من أوثق الصلات ربطت العالم الإسلامى بعضه ببعض ، إذ توحد شكل الكتابة ، فصارت الهندية والإيرانية مثلاً تكتبان بالحروف العربية



قطعة نسيج فاطمية عليها سطران متماسكان بالخط الكوفى تقرأ فى العلوى « الخاصة بدمياط » وفى السفلى « رب العالمين » من كتاب الزخرفة المنسوخة فى الأقمشة الفاطمية تأليف كاتب هذا البحث

هذا ولقد ظهر بظهور التصوف فى الإسلام علم ينسب إلى الحروف العربية أسراراً خفية تمكن الإنسان من التأثير

فلم نجد لها من سوء الحظ فهرستاً ؛ بل أحضر لنا دفاتر متعددة كل واحد منها يحتوى قسم منه على شيء من الكتب العربية غير مرتبة ولا مبوبة فلم يتيسر وجود ما أردناه وحملنا ذلك على قلة طلب الكتب العربية فيها أو على أن طالبيها غيرنا أعرف منا بعظناتها)(١)

ويصف المكتبة العربية بالمتحف البريطانى بلندن فينتقد فهارسها غير المنظمة ؛ كما يصف مكتبة ليدن بهولاندة ويذكر فى كل واحدة من هذه المكتبات بعض ما فيها من نفائس الكتب والمخطوطات .

محمد عبد الغنى حسن

(١) إرشاد الألبا إلى محاسن أوربا

في المخلوقات بواسطة «الأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار في الأكوان»، كما يقول ابن خلدون في مقدمته. ولا يعنينا من أمر هذا العلم إلا شيء واحد، هو أن هذه العقيدة قد دفعت بالمسلمين إلى تزيين ما أخرجته أيديهم من المصنوعات أو شيدوه من العمائر بالآيات القرآنية والعبارات الدينية، والصيغ المختلفة المدح أو الدعاء، طلباً لما وراءها من الخير والبركة. ولقد كان لهذا أثر بعيد في فن الخط، إذ أصبح مضروباً مشتركا في جميع فروع الفن الإسلامي، وتحكمت المادة التي يكتب عليها في شكل الحروف، فظهرت لها صور مختلفة على الآثار المختلفة، وأصبحت على الحجر غيرها على الخشب، وعلى النسيج غيرها على الخزف.

وفي الحق لقد كانت إجادة الفنان المسلم لفن الخط بوحي من الإسلام، ولم تتجل عبقريته الفنية في ناحية من نواحي الفن الجليل بقدر ما تجلت في هذه الناحية: خلق من تلك الحروف ذات الأشكال المتباينة والأوضاع المختلفة طرازاً زخرفياً تبدو فيه صور من الجمال شتى، بعضها يفيض بالقوة، وبعضها يفيض بالرقة والأناقة، أوحت إليه الحروف العربية برؤوسها وسيقانها وأقواسها ومداتها بعناصر زخرفية ما كاد يرسمها حتى بعثت فيه تلك اللذة البريئة التي يحس بها الفنان عند ما يشاهد أثراً جميلاً، فاندفع في هذا التيار يبتكر الزخارف والنقوش، غير آبه بما تفرضه عليه أصول الخط من المستلزمات، ولا بما يسببه للقارئ — في بعض الأحيان — من الإعنات، بل كان همه أن يرضي الفن فحسب، فتارة يجعل الحروف متجمعة كأنها شجرة كثيفة الأغصان وطوراً يرسمها متباعدة، كأنما هي بستان انتثرت فيه الأزهار، وتارة يريك من التنوع الجميل بين الحروف القائمة والحروف المستديرة ما ينتزع منك الإعجاب انتزاعا، ويرغمك على أن تقر له بالتفوق والنبوغ. ولشد ما كان يضحي على مذبح الفن بالكثير من قواعد الخط، ويتركنا نقاسي من الجهد شيئاً عظيما حتى نهتدي إلى ما يريد، وقد لا نهتدي.

نافذة بجوار القبلة بمسجد الحاكم بأمر الله في وسطها عبارة «الملك لله» مكتوبة طرداً وعكساً من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك تأليف كاتب هذا البحث

«يتبع»

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

كوبيرنيكوس

بمناسبة مرور أربعمئة سنة على وفاته

للأستاذ جودة شهوان

فى الرابع والعشرين من مايو سنة ١٥٤٣ سقطت إحدى الدعائم التى بُنيتْ عليها النهضة الأوربية الحديثة بوفاة كوبيرنيكوس، ذلك العالم الذى جاهر بحقيقة كانت قد اختفت وراء حجب الدهر من زمن بعيد، تلك الحقيقة الهامة التى كان لها فضل جم على تقدم علوم العصر الحديث وابحاثه، والتى نقلت العلم من حال إلى حال، وكانت مناراً وعماداً لأبحاث جمهرة من علماء العصر الحديث الذين جاءوا بعد كوبيرنيكوس، والذين أشهرهم « كبْلر » و « جاليليو » و « نيوتن » كما عملت تلك النظرية فى إطلاق عقول الناس وأخيلتهم - التى كانت قد قيدتها خرافات العصر الوسيط - من قيودها لتستقبل عصر النهضة الذى أعقب وفاته . وقد عدَّ « المستر دورانت » الكاتب الأميركى والفيلسوف المشهور، هذا العالم (كوبيرنيكوس) فى مقال له بمجلة « أميركان » أحد قادة البشرية العشرة فى تاريخ العالم وهم : كنفوشيوس — أفلاطون — أرسطوطاليس — توماس أكويناس — كوبيرنيكوس — فرانسيس بيكون — نيوتن — فلتير — كانت — داروين

كانت النظرية السائدة قبل ظهور كوبيرنيكوس أن الأرض هى مركز الكون، وأن الشمس وبقية الكواكب تدور حولها . فلما جاء هذا العالم، وجد بعد أبحاثه الطويلة أن اعتقادهم ذاك كان خطأ، وأن الشمس هى مركز الكون تدور حولها الأرض وبقية الكواكب . وقد سميت هذه النظرية « بنظرية كوبيرنيوس أو النظرية الكوبيرنيكية » نسبة إليه ؛ ذلك لأنها على يديه ولسببه نالت شهرتها وسيادتها المعلومتين

وقد فسّر كوبيرنيكوس أيضاً حدوث الليل والنهار بأنهما ناتجان عن حركة الأرض حول محورها، كما فسر حدوث الفصول بأنها نتيجة لدوران الأرض حول الشمس

ولنرجع الآن لسرد قصة حياته، وطرف من أعماله وآرائه التى جاءنا بها غير التى ذكرناها آنفاً ؛ فنقول :

ولد هذا العالم البولندى الألمانى فى التاسع عشر من فبراير عام ١٤٧٣ فى مدينة ثورن الواقعة على الفستولا فى بروسيا البولانديه، من أب سلافى من (كراكاو)، ومن أم ألمانية اسمها (بَرْبارَهْ وَتْزِلرود) من عائلة غنية وذات مركز هام فى الهيئة الاجتماعية . وقد تكلم كوبيرنكيوس اللغة الألمانية (لغة أمه)، غير أنه علِّم فى البيت شيئاً من اللاتينية واليونانية مات أبوه وهو فى السادسة عشرة من عمره فبقى مع أمه وعمه حتى سنة ١٤٩١ عند ما أرسل إلى جامعة (كراكاو)، حيث بقى ثلاث سنين تعلم أثناءها الرياضيات . وقد حصل أثناء دراسته تلك على مهارة فى الرسم . وفى عام ٤٩٥ سافر إلى إيطاليا حيث قضى بضع سنوات درس أثناءها القانون والفلك والأقرباذين فى « بولونيا » و « بادوا » . غير أن ميله كان إلى الرياضيات أشد

وبعد تبحره فى الفلك ذهب إلى (روما) لزيارة صديقه (رجيومنتانوس) أشهر علماء الفلك، وأذيعهم اسماً حينذاك . وقد تلقاه ذلك الصديق باحتفاء لائق، وكان ذلك عام ١٥٠٠ ؛ وهنالك بمساعدة صديقه المذكور، ولحسن أخلاقه انتخب أستاذاً للرياضيات . وقد قضى تلك السنة فى روما ألقى أثناءها محاضرات فى علم الفلك مختلفة . وقد شاهد فى السادس من نوفمبر هذه السنة خسوف القمر فى روما

ترك الأستاذ نيكولاوس روما عام ١٥٠٥ بعد أن كان قد حصل على شهادة دكتور قبل ذلك بسنتين قاصداً بلده الأصلى (بروسيا)، وسكن فى هيلبرغ كفالكى نعمه (مطران ارملند) . وهنالك أخذ يتدخل فى أمور الدين، وما زال كذلك حتى حصل على شهادة فى القوانين الكنسية وأصبح راهباً . ويقال إنه كان يقسم يومه العملى إلى أقسام ثلاثة : أما الأول فكان يصرفه فى إتمام فروض

وظيفته؛ والثاني يصرفه في منح النصائح الطبية لفقراء الناس. والثالث يصرفه في الدراسة والبحث

بعد أن رجع إلى بروسيا - كما قلنا - وكان في الخامسة والثلاثين من العمر بدأ في استخدام معرفته الرياضية ومشاهداته المختلفة العديدة، في سبيل إصلاح ما كان قد التصق بعقول القوم من نظريات فلكية، فكانت نتيجة ما حاول ظهور كتابه الأشهر الموسوم «بأفلاك الأجرام السماوية» (نورمبر غ١٥٤٣) وقد فرغ من عمل الكتاب المذكور عام ١٥٣٠ غير أنه لم ينشره بل بقي متردداً خوفاً من أن يرمى بالهرطقة، وأن تكسد سوق كتابه لما احتواه من أفكار ونظريات في الفلك حديثة وغريبة، على قوم كانوا غارقين في لجج من الأضاليل والخرافات والاعتقادات. وبقي على حالته تلك اثنتي عشرة سنة، أزمع عند انتهائها ١٥٤٣ على طبعه ونشره. غير أن العلة كانت قد بدأت تنخر في جسمه، وتنغص عليه عيشه، فما زال يصاولها وتصاوله، ويغالبها وتغالبه، حتى ناداه ربه فلباه في الرابع والعشرين من مايو عام ١٥٤٣. ولقد قدر للمؤلف أن يمس أول نسخة من كتابه المطبوع لأول مرة، قبيل مماته بسويعات.

يتألف كتابه المذكور من أجزاء ستة أهمها الأول. وأهم ما يحويه هذا الجزء:

١ - إن الأرض كُرية، كما أن الكون كري

٢ - إن اليَبَس والماء يكونان كرة واحدة

٣ - إن حركة جميع الأجرام السماوية منتظمة ردائرية

٤ - إن الأرض تتحرك في مدار حول الشمس، كما أن لها حركة أخرى حول محورها

٥ - إن الشمس مركز الكون، وأن القدماء مخطئون في اعتبار الأرض مركزاً له

٦ - إنه لمن المحتمل أن يكون للأرض حركات عدة

٧ - تنظيمه للكواكب ورسمه شكلا لنظامها يشبه الشكل الحديث

ولكوبرنيكوس غير الكتاب المذكور كتب أخرى. فله كتاب في المثلثات، (وتنبرغ ١٥٤٢)، نشره صديقه وتلميذه (راتكوس). وكتاب آخر وهو ترجمة رسائل الكاتب اللاتيني (ثيوفلكوس سيموكاتا). وقد كتب أيضاً سنة ١٥٢٦ كتاباً آخر عن النقود. (نشر لأول مرة عام ١٨٢٦). وله الآن كتابات خطية في مكتبة أرشية (ارمرلند)

لقد اهتم كثير من كتاب الغرب بالكتابة عنه وأول من كتب عن حياته هو (جاسندى). ومن الكتاب الحديثين: (ڤون هلبر - ١٨٢٣) و (بلكوفسكى). غير أن أكمل الكتب عن حياته وأعماله، وأجلها كتاب الدكتور («براو» - جزءان - برلين ١٨٨٣)

ولقد خُلد ذكر هذا العالم الشهير، غير الكتابة عنه وعن أعماله، بنصب عدة تماثيل له في أماكن كثيرة من أوربا. أحدها في قصر (كسيمير) بمدينة (وارسو) صنعه (ثاروَلْدسِن) وأقيم هنالك عام ١٨٣٠، وآخر صنعه (تِيك) ونصب في (تورن) وكتب عليه:

Nicolaus Copernicus
Thorunesis,
Terroe Motor,
Solis Coclique Stator

وقد نصب له تمثال آخر في فناء جامعة (كراكاو) عام ١٩٠٠

(فلسطين) عودة شهوان

متى أراكم ؟

— ١ —

تشوّقكم قلبى وكيف لقاؤكم وما ذاك يا أحباب قلبى بالهيّنِ
يضنّ على قلـــبى الزمان بقربكم
وما البين إلا الموت ، وينل من البيْنِ
ألا هل أراكم ؟ حسرة الشعر والهوى
إذا متّ من شوق ولم تركم عينى
فيا من نأيتم ، إن نعيتُ إليكمُ
فلا تعجبوا فالشوق موردنى حَيْنى

سلام على قلبى

— ٢ —

ولى عندكم قلب غريب مصرّحٌ
لدى بابكم يمسى ويصبح فى الكربِ
طليحٌ ، إذا استنهضته كى أقيله تحامل ، ثم ارتدّ من ألم الحبّ
سلامٌ عليه إذ يموت صبابةً وإذ أنتمُ لاهون عن قلبىَ الصبّ
فلا تسألونى عن بكائى فإنما بكائىَ يا أحباب قلبى على قلبى

(فلسطين) دنانير

صـــلاة . . .

جَمَالُكِ تَرْنِيمَةُ الشَّاعِرِ وَدُنْيَا مِنَ الأَمَلِ النَّاضِرِ
وَفَجْرٌ مِنَ الْحُبِّ ضَاحِي الْجَبِيـ ـنِ يَطُوفُ بِمِحْرَابِهِ خَاطِرِى
وَسِرٌّ مِنَ الْغَيْبِ حَارَتْ لَدَيْـ ـهِ قُلُوبُ الْوَرَى وَرُقَى السَّاحِرِ
وَعِطْرٌ مِنَ اللهِ طَافَتْ بِهِ رُؤَى الْخُلْدِ فى حُسْنِهَا الآسِرِ
وَحَقْلٌ مِنَ النُّورِ غَنَّتْ لَهُ عَذَارَاهُ لَحْنَ الْهَوَى الطَّاهِرِ !

جَمَالُكِ رَمْزُ الصِّبَا وَالْحَيَاهْ تُفَجِّرُ نَبْعَ اللَّيَالِى رُؤَاهْ
تَطُوفُ الْقُلُوبُ بِهِ مِثْلَمَا يَطُوفُ الْهَوَى بِنَشِيدِ الرُّعَاهْ !
وَتَحْيَا النُّفُوسُ بِأَسْرَارِهِ فَهَيْهَاتَ تُدْرِكُ مَا مُنْتَهَاهْ
تُقَدِّسُ فِيهِ جَمَالَ الْوُجُو دِ وَتَعْبُدُ فِيهِ جَلَالَ الإِلَهْ !
جَمَالُكِ لَحْنٌ حَبِيبُ الصَّدَى تُغَنِّى بِهِ الْحُبُّ لَمَّا شَدَا
وَأُفْقٌ مِنَ الْفَنِّ سَامِى الرُّسُو مِ بَدِيعُ الْجَمَالِ رَحِيبُ الْمَدَى
يَضُمُّ إِلَيْهِ مَعَانِى الضَّـــلاَ لِ وَيَطْوِى إِلَيْهِ مَعَانِى الْهُدَى
وَقَدْ يُلْهِمُ النَّفْسَ سِرَّ الْحَيَا ةِ كَمَا يُلْهِمُ النَّفْسَ سِرَّ الرَّدَى
سِـوَى أَنَّهُ خَالِدٌ كَالزَّمَا نِ يَعِيشُ ـ عَلَى رَغْمِهِ ـ سَرْمَدَا

جَمَالُكِ حُلْمُ الصِّبَا النَّاعِمِ وَفَيْضٌ مِنَ الأَمَلِ الْبَاسِمِ
وَوَحْىٌ مِنَ الْمَلأِ الْقُدُسِىِّ تَمَثَّلَ فى غَفْوَةِ الْحَالِمِ !
لَمَحْنَاهُ فى سُبُحَاتِ الْخَيَا لِ وَشِمْنَاهُ فى لَوْحَةِ الرَّاسِمِ
وَرَفَّتْ عَلَيْهِ بَنَاتُ الْقَرِ يضِ تُغَنِّى بِقِيثَارِهَا النَّاغِمِ
إِلَى أَنْ أَتَيْتِ بِهِ لِلْوُجُو دِ فَكُنْتِ بِهِ فِتْنَةَ الْعَالَمِ !

(عاليه — لبنان) فؤاد كامل



وحي القرآن باللفظ

جاء في البريد الأدبي بعدد الرسالة الغراء رقم ٥٣٢ مقال للأستاذ الشيخ محمود أبو رية انطوى على شك واضح في حقيقة وحي القرآن الكريم ، وموضوع الوحي وطريقته من القضايا التي فصلت فيها الأيام منذ عهد الرسالة المحمدية الشريفة ، وموضوع خلق القرآن أو قدمه من المباحث التي توفر عليها علماء المسلمين في عهد المأمون والواثق والمعتصم ، وما تركوا فيها ناحية تحتاج إلى توضيح أو استيفاء ؛ وقد كفى الله المسلمين عواقب هذا الخلاف حتى أصبح العلماء والمتعلمون يقرءونه على أنه دراسة للعقلية الإسلامية ، لا على أنهم شاكون في أن القرآن معنًى ولفظاً من عند الله

على أن سلف العلماء وأئمة الفرق الإسلامية لم يختلفوا - كما قال الأستاذ - على أن القرآن لفظاً ومعنًى كلام الله ، وإنما الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة على قدم اللفظ أو حدوثه . والكل مجمعون على أن المعنى قديم لتعلقه بصفة الكلام الأزلي ، ومعنى حدوث اللفظ على رأي المعتزلة ومن إليهم أن الله خلق اللفظ كما خلق السماء والأرض وأوحاه إلى الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام

هذا هو الذي درسناه وفهمناه من آراء الفرق الإسلامية فإذا كان لدى الأستاذ نصوص تخالفه فليدل بها .

(الأسكندرية) محمود البشبيشي

قسم القراءات بكلية اللغة العربية

إذا قدر للأزهر أن يصل في يوم ما إلى الإصلاح المنشود ، فإنه سيكون لمجلة الرسالة الغراء فضل وصوله إليه ، لأنها المجلة الوحيدة التي تعنى به ، ولا تضن بصفحاتها على من يكتب فيه . وسينشأ في هذه السنة قسم للقراءات بكلية اللغة العربية ، وإنه لواجب أن تعنى هذه الكلية بفن القراءات ، وأن تنهض به من تلك الطريقة التلقينية التي يأخذ بها الناشئون فيه ، فتدرسه دراسة أخرى تليق بها ، وتتناسب مع الدراسة التي تأخذ بها في العلوم الأخرى

ولا شك أن هذا لا يتفق مع ما يراد الآن من فتح هذا القسم لكل من يحفظ القرآن الكريم ، ولو لم تسبق له دراسة علمية تؤهله لدرس فن القراءات بالطريقة اللائقة بكلية اللغة العربية ، كما لا يصح أن يجمع مثل هؤلاء الطلاب مع طلاب هذه الكلية ، لأنهم يتفاوتون في ثقافتهم تفاوتاً بعيداً

وإني أرى أن تؤلف لجنة تكون مهمتها وضع مناهج الدراسة اللائقة بهذا القسم ، ليدرس فيه فن القراءات دراسة جامعية ، ولا يكتفى فيه بتلك الطريقة التلقينية ، وأرى أيضاً أن يقصر على حملة الشهادة الثانوية بالمعاهد الدينية ، لتتفق ثقافة طلابه مع ثقافة إخوانهم بالكليات ، ويمكنهم أن يقوموا بهذه الدراسة التي نطلبها لهذا الفن .

(ص)

ظاهرة لغوية

قد يكون من الحديث المُعاد أن نقول إن اللغة ليست ظاهرة تحكمية arbitraire اعتسفها القوم اعتسافاً ، بل هي ظاهرة اجتماعية تُرَدّ إلى طبيعة الأشياء . ولعل خير ما يبين لنا تساوق اللفظ والمعنى ، ما نصَّ عليه قدماء أهل اللغة من « أن المشاركة في أكثر الحروف اشتقاق يدور عليه معنى المادة ، فيتحد أصل معناها ويتغاير في بعض الوجوه » . والأمثلة على صحة هذه الظاهرة كثيرة لا حَصْر لها ، فنجتزئ بذكر الأمثلة التالية :

١ — ورد في التاج (تحت مادة ف ل ح) : « قال شيخنا الفَلْح وما يشاركه كالفلق والفلد والفلذ ونحو ذلك يدل على الشق والفتح كما في الكشاف وصرح به الراغب وغيره »

٢ — النَّبْتُ والنَّبْثُ والنَّبْرُ والنَّبْشُ والنَّبْطُ والنَّبْعُ والنَّبْغُ تدل كلها على ظهور شيء بعد خفائه . فالنبت يقال للبقل وغيره إذا نشأ وخرج من الأرض . والنبث يقال للبئر إذا نبثها المرء وأخرج ترابها . والنبر يقال للمغني إذا رفع صوته بعد خفض . والنبش يقال للمستور إذا أبرزه المرء ، أو للكنز إذا كشف من الأرض واستخرج . والنبط يقال

للماء إذا نبع (ومنه الاستنباط بمعنى الاستخراج) . والنبع يقال للماء إذا خرج من العين ، والنبغ أو النبوغ يقال للشيء إذا خرج وظهر ...

٣ — تدل الأفعال المبتدئة بالصاد والفاء على المعانى المختلفة للأصوات : فالفعل « صَفَد » يقال للأسير إذا أوثقته وقيدته بالحديد (ذى الصوت) والفعل « صَفَر » يدل على التصويت بالنفخ من الشفتين . والفعل « صَفَع » معناه الضرب باليد مع إحداث صوت . والفعل « صَفَق » معناه الضرب بالكفين بصوت مسموع ، وهكذا ...

٤ — تدل الأفعال المبتدئة بالحرف خاء والحرف فاء على معانى الضعف والهمود . فالفعل « خَفَت » يدل على السكون (والموت فجأة فى بعض الأحيان) . والفعل « خَفَج » يقال للبعير إذا أصابه الخفج وهو ارتجاف فى الرجلين . والفعل « خفش » معناه ضعف (ويستعمل على الخصوص لضعف البصر) . والفعل « خَفَض » يقال للصوت إذا غض المرء وأخفاه . والفعل « خَفَع » يقال للمرء إذا أصابه دوار من جوع أو غيره فسقط والفعل « خَفَق » يقال للفؤاد أو الراية أو البرق إذا اضطرب ، ويقال للنَّعل إذا صوَّتت ، وهلم جرّا ...

أما النتيجة التى تقتادنا إليها هذه الظاهرة اللغوية فهى أن لكل حرف معنًى خاصاً ، وبكشف معانى الكلمات ؛ لأن الكلمات إذا اتحدت فى الحروف اتحدت فى المعنى .

زكريا ابراهيم

استدراك

أورد الأستاذ خلدون الكنانى فى كتابه حسان بن ثابت الذى أخرجته مكتبة عرفة بدمشق — ص ٤٨ — البيتين المشهورين فى الرثاء :

كنت السواد لناظرى   فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت   فعليك كنت أحاذر

على أنهما من شعر حسان فى رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تبع فى ذلك ما جاء فى ديوان حسان ، فإن هذين البيتين مذكوران فيه — ص١٦٥ — ولم يتكلم عليهما شارحه الأستاذ البرقوقي . ولكن ياقوت أوردهما فى معجم الأدباء — ج ١ ص ٧٧ — في ترجمة ابراهيم الصولى قال : حدث على بن الإسكافى قال كان لإبراهيم ابن قد يفع وترعرع وكان به معجباً فاعتل علة لم تطل حتى مات فرثاه مراثي كثيرة وجزع عليه جزعاً شديداً . ومن مراثيه فيه

كنت السواد لناظرى   فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت   فعليك كنت أحاذر

باستبدال كلمة فبكى بكلمة فعمى الواردة فى نص الديوان وأوردهما ابن خلكان منسوبين إلى الصولى ج ١ ص ١٢ وأورد هذين البيتين الأستاذ محمد كرد على فى أمراء البيان ج ١ ص ٢٦٥ فى كلامه عن ابراهيم الصولى ، ولكن لفظ البيت الأول فى رواية الأستاذ كرد على يختلف عنه فى رواية المعجم .

أنت السواد لمقلة   تبكي عليك وناظر ؟
من شاء ... ...

وذكر أنهما لإبراهيم يرثى بهما ولداً له . ولعل هذا هو الصواب فإنهما بشعر الكتاب أشبه . وفى زهر الآداب ج ٣ ص ٢١٤ قطعة لبعض الأعراب فى الرثاء آخرها

وبعدك لا آسى لعظم رزية   قضيت فهونت المصائب أجمعا

وعلق عليه مؤلف الزهر بقوله : ومعنى هذا البيت الأخير تداوله الناس نظماً ونثراً ثم أورد رثاء أبى نواس للأمين وفيه :

وكنت عليه أحذر الموت وحده   فلم يبق لى شيء عليه أحاذر

وأورد عدة قطع من النظم والنثر تدور حول هذا المعنى وليس فيها البيتان . وبعد فإن كتاب الأستاذ الكنانى من خير البحوث التى أخرجت فى دراسة شاعر الرسالة وسأتكلم عنه مسهباً فى وقت آخر .

(دمشق)   رشدى عرفة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11me Année No. 535 — Lundi - 4 - 10 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــص
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٣٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٥ شوال سنة ١٣٦٢ — الموافق ٤ أكتوبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة

... ومن أساليبهم

للأستاذ عباس محمود العقاد

أشرنا في مطلع مقالنا السابق إلى أساليب الشيوعيين في نشر مذهبهم على الطريقة الصريحة ، وهي الإشادة بمحاسنه والقدح في نقائص النظم الأخرى ، أو على الطريقة الخفية – غير الصريحة – وهي الإكثار من التهم والعيوب التي يلصقونها بالنظام القائم دون أن يشركوا الشيوعية في أمثال هذه التهم والعيوب

ونرى أننا نحن المصريين والشرقيين عامة بأشد الحاجة في الآونة الحاضرة إلى التنبيه بعد التنبيه إلى هذه الأساليب الخفية لأنها أضر من صراحتهم في التبشير بمذهبهم ، ولأن الحيطة منها أقل ، والحذر من عواقبها ضعيف مهمل لضعف المعرفة بمراميها ودروبها التي تتسلل منها

وجملة ما يقال في هذه الأساليب أنها تتلخص في تشجيع كل عامل من عوامل الهدم والانحلال في المجتمع الذي يحاربونه ، وتحقير كل عامل من عوامل التماسك ، والثبات في ذلك المجتمع سواء تكلموا عن الأدب ، أو عن الفن ، أو عن السياسة ، أو عن الأخلاق

ولهم في كل بلد من البلاد نغمة يخصونها بها ولا يزالون يرددونها ، ولا يقرنونها بذكر الشيوعية الصريح حذراً من تنبيه الخواطر وإثارة الشكوك

فني الأقطار العربية مثلاً هم أنصار الكتابة باللغة العامية حيثما وقعت المفاضلة بينها وبين اللغة الفصحى

لأن اللغة العامية توافق حملتهم على العقائد الدينية كلها ، ومنها العقيدة الإسلامية التي هي قبل كل شيء عقيدة القرآن . ولأن اللغة العامية توافق دعوتهم إلى تغليب الطبقة العاملة التي يزعمون أنهم يهتمون بتعليمها ، وهم يسجلون عليها الجهل والاكتفاء بلغة الجهلاء ، ولأن اللغة العامية تقطع ما بين الحاضر والماضي ، وهم يقرنون بين الماضي والنظم الاقتصادية التي يحاربونها

وإذا سألتهم في ذلك قالوا كما يقول أنصار العامية دائماً إن سواد الناس لا يفهمون الفصحى ، وإن اللغة الحية هي اللغة التي يتكلم بها الناس كل يوم

وكل هذا خطأ ظاهر كما فصلنا القول فيه بما كتبناه عن الفصحى والعامية ؛ لأن سواد الناس يجهلون المعاني العالية ولو كتبت باللغة التي يتكلمونها ، كما يجهلون الرياضة والفلسفة ومباحث العلوم المختلفة . فالعقدة هنا هي عقدة المعاني وليست بعقدة الألفاظ . ومن السخف قولهم إن اللغة الحية هي لغة السوق والطريق ، لأن اللغة الحية هي اللغة الخالدة التي تعيش مئات السنين ، ولا تموت كل بضع سنوات كما تموت لغات الطرق والأسواق . ولا غنى للإنسانية عن هذه اللغة الخالدة ما دامت لها آداب مكتوب لها الخلود من جيل إلى جيل . وأسخف من دعواهم هذه قولهم إن الناس ينبغي أن يكتبوا كما يتكلمون كأنهم يريدون أن يلغوا الترجمة مثلاً ، وهي تنقل إلينا كلام الروسيين والبولونيين ، ونحن لا نتكلم لغة هؤلاء ولا هؤلاء ، سواء بألفاظ الأسواق أو ألفاظ الجامعات

* * *

ذلك أسلوب من أساليبهم الخفية في الأدب ، وهم هنا يشاركون المبشرين ، ويشاركون المستعمرين ، ويشاركون كل من يكره معالم القومية في بلاد الشرق ، وهم كثيرون

أما الفن فهم لا يدينون بآراء الغلاة من المصورين والموسيقيين كأنها آراء الشيوعية والشيوعيين ، ولكنهم يشجعون هذه الآراء في البلاد الديمقراطية ، لأنها خروج على القواعد والأصول واندفاع مع الفوضى والاختلال ، أو مع الهدم والانحلال ، وهم أنصار كل عامل من عوامل الهدم بين الشعوب الديمقراطية

فلا يلزم — شيوعياً — أن يكون المصور من القائلين بالسريالزم و « الفيوشرزم » والكيوزم وغيرها من المدارس التي تبطل قواعد التصوير كما عرفها أساتذة الفن في جميع العصور ، ولكن هذه المدارس تنفي المصور من قواعد الرسم والتلوين والتشبيه ، وأصول الإضاءة والتظليل ، وترسله في عالم من الفوضى لا توجد فيها قاعدة يتفق عليها رأيان

وهذه الإباحة هي المقصودة لأنها تفضي إلى هدم القواعد والقوانين ، وتزلزل أركان الفكر والذوق والاعتقاد في المجتمع الذي يقصدونه بالخلط والتخريب

ومن مضحكاتهم ومضحكات نظرائهم في هذا الباب أنهم يسمون إحدى مدارس الإباحة هذه بمدرسة « المستقبلين » ، وهي في حقيقتها رجوع إلى الهمجية التي تركناها منذ آلاف السنين . فإن صورهم وتماثيلهم لتشبه كل الشبه تلك الصور والتماثيل التي كشفت حديثاً في حفائر الكهوف من بلاد نيجيريا وبورنيو وجنوبي الهند ، وسائر الأقطار التي كان يعمرها الإنسان الأول ، ولا يزال فيها إلى اليوم من الهمج المتخلفين

والعجيب في أذواقهم أنهم إذا قصدوا محاكاة تلك الفنون الهمجية تحروا مشابهتها في الرديء النافر الممسوخ ، ولم يتحروا قط مشابهتها في مواضع الحسن والاتقان ؛ لأنهم منحرفون في تكوينهم انحرافا يظهر في الخلقة إن لم يظهر في الأخلاق والطباع

وعلى هذه الشاكلة مذهبهم في الموسيقى والشعر والتمثيل ، ولكنهم يعتدلون بعض الاعتدال في التمثيل لأنهم يريدونه لنشر الدعوة ، ويخشون أن يفتحوا أبواب المسارح على مقاعد خاوية إذا هم عمدوا إلى تلك « التقاليع » والتهويشات

* * *

ومن أساليبهم التي نص عليها كارل ماركس في منشوراته أن « يشوهوا سمعة كل رجل مسموع الكلمة بين الديمقراطيين »

ولا حرج عندهم أن يختلقوا الأكاذيب ، وأن يعرضوا لشؤونه الخاصة ، وأن يذموا أعماله أقبح الذم ، ولو لم يكن عندهم دليل واحد على ما يذمونه منها

وإذا تكلموا عن الأدباء والشعراء الذين لا يؤمنون بالشيوعية عابوا عليهم أنهم حالمون وأنهم خياليون لأنهم لا يكتبون عن المسائل الاقتصادية ولا يقفون أقلامهم على أسمار الطعام واللباس وشئون الأموال والعمال

والأدباء الديمقراطيون لا يحرمون هذه الموضوعات، ولا يزال منهم من يعرض لها من الناحية الفنية التي هو أقدر على تصويرها، وإنما يعلم الأدباء الديمقراطيون أن في الدنيا علماً اسمه علم الاقتصاد، وعلماء اسمهم العلماء الاقتصاديون، وإن هؤلاء أولى بدرس المسائل التي يفهمونها ويفرغون لها ويستطيعون الحكم فيها، لأن الأدب لم يخلق لإلغاء علم الاقتصاد

ومن مضحكاتهم ومضحكات نظرائهم في هذا الباب أنهم يهدمون مذهبهم من أساسه بهذا الهراء الذي يلفظون به وهم لا يشعرون

لأنهم يستكثرون على العامل الفقير أن يقضي في اليوم ثماني ساعات في طلب الرغيف والكساء، وهم يفرضون على العمال وغير العمال ألا يكون لهم شاغل في ساعات العمل أو ساعات الفراغ إلا طلب الرغيف والكساء، فلا يبحث الفيلسوف إلا ليؤدي بحثه إلى الرغيف والكساء، ولا يحلم الشاعر إلا ليفسر حلمه بالرغيف والكساء، ولا يخترع المخترع إلا لينتفع باختراعه في الرغيف والكساء، ولا يخرج العامل من عمله اليومي ليقرأ أو يستمتع بالفن إلا أن تكون هذه القراءة وهذا الاستمتاع حول الرغيف والكساء

ودون هذا وتحلق لحية كارل ماركس وكل لحية يطلقها أمثاله من أعداء الفنون وأعداء الحرية الإنسانية كأرفع ما تصبو إليه القرائح والأرواح

* * *

أما هدم المجتمع من ناحية الأخلاق فخلاصة أسلوبهم فيه أنهم لا يعرفون شيئاً يسمى جريمة خلقية

وقد عرضنا في كتابنا «عبقرية محمد» لمسألة الزواج والطلاق فقلنا بعد إثبات رأي نابليون: «... كذلك اعترف نابليون بالضرورات الزوجية في العصر الحديث. فكيف اعترف بها «لنين» في الثورة الكبرى بعد الثورة الفرنسية؟ حلَّ مشكلة الزواج بحل رابطة الزواج؛ فلا رابطة بين الزوجين أوثق من رابطة الرفيقين في الفندق أو الطريق. وليس أعجب ممن جعل الزواج شريعة ملائكة إلا الذي جعله على هذا النحو شريعة عجماوات»

قلنا هذا فغضب بعض الأدعياء «أولاً» لأننا كتبنا عن محمد كتابة تعظيم وثناء، وغضبوا «ثانياً» لأننا ذكرنا «لنين» بغير ما ينبغي له عندهم من التعظيم والثناء

وقالوا فيما اتصل بنا أن الطلاق مكروه في روسيا الحديثة، وأن الزوجين المطلقين يعيشان بين الشيوعيين معيشة هوان واحتقار

والذي قال هذا لا يعقل ما قال

وإلا فلماذا يلوم الشيوعيون إذن تلك الآداب التي كرهت الطلاق أو قيدته ببعض القيود أو جعلته محلاً للمراجعة؟

وما هي إذن تلك الجرائم الخلقية التي يعترف بها قانون الشيوعيين ويفرض لها عقاباً يناسبها في الضرر والوخامة؟

إن الحكاية كلها تطاول لا أدب فيه، وكلام يقوله القائل وهو لا يعقل معنى ما يقول

* * *

ومما أراه أنا أن تنبيه الأذهان إلى مساوئ الدعوة الشيوعية أوجب واجب على الكاتب المصري في الآونة الحاضرة، لأنها تمس الكرامة الإنسانية كما تمسها الفاشية والنازية، ولأن الشيوعية ليست مسألة أغنياء وفقراء، وإلا لكنت أحق الناس بالدعوة إلى الشيوعية أو بالسكوت عنها لبعدي عن الغنى اليوم وبعد اليوم، ولكنها مسألة الإنسان وكرامة الإنسان، وهل هو من المخلوقات التي تخاطب بلسان الروح أو من المخلوقات التي تخاطب بلسان المعدة. وكفى دليلاً على فاقة الشيوعية في دواعي الكرامة أنها على احتقارها للوطنية لجأت إليها في الحرب الحاضرة لاستنهاض الهمم وشحذ العزائم، فسمتها «الحرب الوطنية» في المنشورات الرسمية. وما كان أغناها عن هذا التمسح بالوطنية لو كان في المذهب الكفاية لصد الأعداء عن البلاد.

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

سبحان المنعم الوهاب — كن مع الله
تر الله معك — سخافات الأغاني الشعبية

سبحان المنعم الوهاب

قلت لصديق الأستاذ عبد الحفيظ خليفة : إن فاكهة المنجة توحى إلى آكلها بأن يقول الحمد لله ، لأن حلاوتها حلاوة عبقرية ، فهى دون العسل فى الحلاوة ، ولكن لها مذاقاً يفوق الشهد بمراحل طوال ، ولذلك توحى إلىّ معانى من الشكران لا يوحيها أطيب طعام ولا أعذب شراب

فقال صديق : عُرضت فاكهة المنجة على أحد الناس فرفض أكلها بحجة أنه لا يستطيع شكر الله على طعمها اللذيذ . وكان أحد الصوفية حاضراً فصرخ : وهل تستطيع شكر الله على هذا الكوب من الماء ؟

وعند هذه الكلمة سألت نفسى : كيف جاز أن يرخص الماء فلا تكون له تسميرة فى أعوام الحرب ؟

ثم أجبت : كان ذلك لأن الماء هو أساس الحياة ، فلا يعيش بدونه مخلوق ، ومن أجل هذا منحه الله بسخاء ، وهو الزاد الوحيد الذى يستوى الناس فى الاحتياج إليه ، كما يستوون فى الاحتياج إلى النور والهواء

وأنا من قبل هذا الخاطر بأعوام فكرت فى صعوبة انتفاع الأراضى الفرنسية بمياه الأنهار ، لأنها كثيرة التفاوت فى الارتفاع والانخفاض ، ولا يمكن أن تعتمد على مياه الأنهار فى صيف أو شتاء . وكان الجواب أن الله أمد تلك الأراضى بالأمطار الثجاجة بالنهار وبالليل ، فهى فى غنًى عن الأنهار ، ولو كانت فى حلاوة نهر السين

وأنا أيضاً فكرت من قبل فى استواء الأراضى المصرية ، وهو استواء حرمها جمال التفاوت فى الحزون والسهول ، وكان الجواب أن الله جعلها كذلك ليقدر النيل على ريها بلا عناء

أمرُ الله فى خلائقه أعجب من العجب ، فله تدابير تعجز عن وعيها كبار العقول ، وهو قد يجعل السعادة فى الكوخ الحقير أضعاف ما يجعلها فى القصر الكبير ، ليقول بالتلميح لا بالتصريح إن أمره الأمر فى تقدير السعادة والشقاء

ثم نظرت فى حالى وأحوالى منذ ثلاثين سنة ، فقد كان من أدبى أن أفرح علانية بطعام البيت ، وكان فرحى فرحاً حقيقياً ، لأن الطعام فى تلك السنين كان غاية فى نضارة المنظر وحلاوة المذاق ، بحيث صح عندى أن يد زوجتى هى وحدها اليد الصَّنَّاع فى تأليف الصنوف الطريفة من أطايب الطعام المحبوب

ولكن يوماً صائفاً جاء بما لا أريد ، فقُدِّم إلىّ طعامٌ لا أشتهيه فى أيام الصيف ، وكانت النتيجة أن أهمّ بالاعتراض ، وعلى من أعترض ؟

إن زوجتى تحتمل غضبى ، ولا يصعب عليها أن تترضانى ، فهل ألومها على الذى اختارت من الطعام فى ذلك اليوم الصائف ؟

فى أقصر من لمح البصر تيقظ قلبى ، وأدركت أن الاعتراض على رزق الله بداية الانخذال ، وأنى لو جحدت الرزق فى أى صورة لذهب إلى غير معاد

أقبلت على الطعام كارهاً لأتقى غضب الله وإيذاء زوجتى ، فرأيته طعاماً شهيًّا لم أتذوّق مثله مِنْ قبل ، وكانت العاقبة أن أحمد الله من صميم الوجدان

إن نِعَم الله تواجهنا من كل جانب ، ويكذب من يزعم أن الله يتخلى عمن يتوكلون عليه فى النعماء والبأساء

الله لا يتخلى عنا إلا حين ننساه

وهل يتخلى الله عنا حين ننساه ؟

إنه يتركنا لما نريد بأنفسنا ، فيحبّب إلى من نعتمد عليهم أن يشغلونا عنه بالجاه والمال ، تأديباً للانحراف عن طريق الرشاد ؛ والعقاب الصارم هو أن تستغنى عن الله وتحتاج إلى الناس

الديدان الجاهلات فى أجواف الأحجار والثلوج أصدق إيماناً بالله من أشباه العلماء .

والشجرة اليتيمة فى البادية القاسية ترى الله بأقوى مما تراه الأشجار المزوّدة بالأنهار الجارية

وهل حُفظ تاريخ الملوك بقدر ما حفظ تاريخ الصوفية ؟

إن الفاجرين الذين صدّقوا فى فجورهم كانت لهم مكانة فى التاريخ القديم والحديث ، فكيف يضيع من آمنوا بصاحب العزة والجبروت ؟

كن مع الله تر الله معك

صديقى العزيز

هل تذكر حديثنا منذ أيام ونحن نقطع الطريق فى وهج الظهيرة من وزارة المعارف إلى ميدان باب الحديد ، مع أننا نملك اجتياز المسافة بسيارة لا تكلفنا غير دراهم معدودات ؟

هل تذكر أنى قلت لك إنى أحب أن أرى نِعم الله على عباده لزداد إيمانى ؟

وما ذا رأينا فى ذلك الطريق ؟

أنت لم تر شيئاً ، لأنك كنت مشغولاً بمحادثتى فى شؤون لا ينقلها سمعى إلى قلبى ، وسيطول بلاؤك بتلك الشؤون ، فهى لا تخرج عن منصبك وراتبك ، ولا تزيد عن شكواك من نظام الترقيات والعلاوات ، يا عبد الوظيفة ويا عبد التراب !

أما أنا فقد رأيت ورأيت ، فهل تحب أن تعرف بعض ما رأيت ؟

لقد اقتنعت بأن الله لم يجعل القاهرة مدينة البؤس ، كما يقول بعض الناس ، فمن السهل أن ترى العيون ألوفاً من المنعّمين بالثروة والعافية والجمال

فى كل لحظة يقع النظر على وجهٍ أصبح ، ويقع القلب على روح لطيف

وفى كل خطوة ترى طلائع من طلاب الرزق الحلال ، ترى عمالاً يكدحون ليعودوا إلى أهليهم فى المساء وجيوبهم عامرة وأنفسهم فى ابتهاج

وهل قامت تلك البنايات الشامخات إلا بسواعد أولئك الفتيان الضاحكين برغم شظف العيش وخشونة الثياب ؟

إن منظر ذلك البواب سرنى ، فقد أسند رأسه إلى الباب وغفا غفوة مُريحة لن تظفر بمثلها فى سريرك ، يا مشغولاً بحظك الفضفاض من دنياك

ومن العجب العاجب أن ترى رجلاً يقرأ فى مصحف وهو على كيس أحد المخازن التجارية ، كأنه لم يسمع أن بدعة العصر توجب نسيان المصاحف والأناجيل !

وفى الشارع رأينا جنوداً يحتضنون زجاجات البيرة ، وبالقرب منهم رأينا عمالاً يحتضنون القُلل القناوية ، فأين السعداء من أولئك وهؤلاء ؟

صاحب الزجاجة يبتلعها ابتلاعاً قبل أن يحل عليه أمر الحاكم العسكرى بانتهاء الوقت المحدد للشراب ، وصاحب القلة يمتص منها رشفة بعد رشفة وهو فى أمان

هل رأيت ذلك الفتى ؟

إنه غلامٌ لم تظفر بمثله قصور الملوك فى عصور الترف والطغيان ، فكيف رضىَ أن يكون عاملاً فقيراً ، وهو يستطيع بشبابه وجماله أن يكون زهرة فى بستان أحد الأغنياء ؟

فى مصر معنًى اسمُه الشرف ، وهو معنًى ظفرت منه مصر بأعظم نصيب

وهل رأيت تلك الفتاة ؟

إنها ريحانة مطلولة ، وهى تستطيع الاتجار بالقلوب لو أرادت ، ولكنها لا تريد لأنها مصرية ، والمصرية نموذج فى التصون والعفاف ، ويكذب من يزعم أن مخاطر الحرب غيرت أخلاق المصريات

نحن بنينا مدينة القاهرة بأخلاقنا قبل أن نبنيها بسواعدنا ، والساعد المتين فرعٌ عن الُخلُق المتين

إنك لا ترى جلال الله فى أىّ مكان كما تراه فى القاهرة ، ولعلها أول مدينة ينتصر فيها الجِد وينهزم الهزل

ألا ترى أن روح القاهرة ظل قهاراً برغم عوادى الحرب ؟

والذى يعوزك يا صديقى هو أن تكون مصريا مؤمناً بالله ، لتنتصر على أوهامك ، ولتكون من أعاظم الرجال

إنك تلومنى على أن أظل بين أقلامى وأوراقى ساعات من

كل يوم ، فهل تعرف السبب فيما اخترت لنفسى ؟

إنى أؤدى زكاة العافية ، وأنا أفهم كيف أراد الله أن يحمينى من قضاء ليلة واحدة فى سرير المرض ، على طول ما شرّقت وغرّبت فى السنين العجاف

وأنت يا صديق تنكر أن أضيع حظى ممن عرفت من أكابر الوزراء

وأقول إنى أخشى أن يغضب الله علىّ إن اعتمدت على سواه

قال صاحبى : كن مع الدنيا لترتفع معك

فقلت : وأنا لا أنخفض ليرتفع أصحابى !

سخافات الأغانى الشعبية

تقدم محطة الإذاعة من يوم إلى يوم ومن ليلة إلى ليلة أشياء تسميها الأغانى الشعبية ، وهى أغان يغلب عليها السخف ، لأنها تحاول دائماً أن تجعل لغة الشعب المصرى لغة بعض أبنائه من أهل الصعيد (! ؟)

والخطأ ظاهر فى هذه المحاولة ، لأن اللغة العامية للشعب المصرى هى لغة أهل القاهرة ، كما أن اللغة العامية للشعب الفرنسى هى لغة أهل باريس

وقد كان للصعايدة لغة خاصة يوم كانوا لا يتصلون بالعاصمة إلا بعد سفر يطول حتى يخترم أسابيع وأسابيع ، فكيف تكون لهم لغة خاصة بعد أن صارت المسافة بين القاهرة وأسيوط لا تزيد عن المسافة بين القاهرة ودمياط إلا بدقائق ، والمسافة هنا وهناك يقطعها القطار فى مدة أقصر مما بين باريس وليون ؟

سمعت فى مساء اليوم الثالث والعشرين من شهر أيلول مغنياً يقول :

« طال بُعدك ولا ساجل عنى »

و « ساجل » هى « سائل » فهل سمعتم فى أى أرض عربية أن الهمزة تُنطق جيماً إلا على ألسنة الجهلة من أصحاب الأغانى الشعبية فى محطة الإذاعة المصرية ؟

إن لغة الخرطوم هى لغة القاهرة بالضبط الصحيح ، فهل ترون الخرطوم أقرب إلى القاهرة من أسيوط ؟

إتقوا الله فى مصر يا جماعة المتحذلقين من أنصار العامية ، فما يقول « ساجل » وهو يريد « سائل » إلا سخيف بلغ سخفه حداً لا يطاق

« طال بُعدك ولا ساجل عنى »

ذلك ما هتف به مغنٍّ فى محطة الإذاعة ولى عليه شهود ، فماذا يبتغى هذا الظريف ؟ أيزعم أن الصعايدة يجعلون الهمزة جيماً ، وذلك زعم سخيف ؟

إن لغة المصريين ارتقت رقياً عظيماً ، وصار فى مقدور صغار العوام عندنا أن يفهموا ما تنشره أعظم المجلات الأدبية بأيسر مجهود

ولكن محطة الإذاعة لا تفهم هذا القول

وأين محطة الإذاعة ؟ حدثونى فقد غاب عنوانها عنى !

إن جاريت المطرب الذى فرحت به فهى محطة « القزاعة » بالقاف ، ولن ألتفت إلى « سُقالها » إن وجهت إلىّ « السؤال »

الأغانى الشعبية فى محطة الإذاعة هى رِدّةٌ سخيفة إلى عهود لا نحب أن تعود

إن كانت محطة الإذاعة تريد أن تكون محطة بهلوانية فهى وما تريد ، على شرط أن تُصرّح بأن أغانيها الشعبية عبث أطفال

الجد هو دستور الحياة ولو كان فى صورة الهزل ، فجدّى يا محطة الإذاعة لتكونى صوت الحق فى هذه البلاد

زكى مبارك

مهمة تجديد الأدب العربى
بين الشباب وبين الشيوخ

للأستاذ دريني خشبة

سألنى بعض أصدقائى لماذا أومن بالشباب دون الشيوخ ، ولماذا أرجو أن ينهضوا دونهم بعبء إنهاض الأدب العربى ، وسد تلك الثغرات الشائنة فيه ، تلك الثغرات التى تجعل مصر والشعوب العربية جمعاء تعيش فى الماضى وتنجذب إليه أكثر مما تعيش فى الحاضر وتتشوّف إلى المستقبل ...

وأريد أن أصحح لأصدقائى ما وقر فى أذهانهم من أننى لا أومن بأدبائنا الشيوخ ، إذ أنا ، وقد جاوزت حد الأربعين ، أكاد أنحاز إلى معسكرهم ، منفتلاً من معسكر الشباب الذى يعز علىّ أن أفارقه ، ويسرنى أن أعيش فيه بقلبى ونشأتى وأفكارى وجهادى الأدبى المتواضع ... أريد أن أصحح لأصدقائى هؤلاء ما وقر فى أذهانهم من ذلك ، إذ أنا أول من يجل أدباءنا الشيوخ ، وأول من يعرف لهم حقهم الذى لا يمارى فى نهضتنا الفكرية والأدبية ، وفى تبوىء مصر تلك المنزلة الفريدة بين الأمم العربية ... صحيح أننى أغضيت عن ذكر أحد من شعرائنا الشيوخ فى سياق كلامى عن الدرامة المنظومة ... وقد أغضيت كذلك عن ذكر أحد من الشعراء غير المصريين ... أما لماذا أغضيت عن ذكر أحد من شعرائنا الشيوخ فليس سببه عدم الإيمان بهؤلاء الشعراء الأجلاء الأعزاء الذين سبقونا وعبّدوا لنا الطريق وأبانوا معالم النهضة ووصلوا ماضى الأدب العربى بحاضره ... إنما سببه تلك الروح الشؤمية السوداء المنتشرة فى معسكر هؤلاء الشعراء الشيوخ ... فأنت لا تكاد تتحدث إلى واحد منهم عن تخلف الأدب العربى على العموم والشعر العربى على الخصوص فى مسايرة الآداب العالمية ومواكبة ما يجد فيها من مذاهب واتجاهات حتى يعبس وتحس بالضيق الذى يكرب به ، ويأخذ فى الشكوى التى لا معنى لها من قلة التقدير فى هذا البلد الذى قضى أن يعيش أدباؤه غرباء فيه ... ثم يضرب لك الأمثال ... فهذا العقاد لم يملك إلى اليوم قصراً ولم يقتن بعدُ ضيعة . وذاك المازنى ما زال يجالد بقلمه ويجاهد بدمه وبينه وبين شراء عزبة أو اقتناء أبعادية ما بين الأرض والسموات . وهذا أحمد محرم لا تستحيى الدولة من أن تمن عليه بأنها رثت لحالته وأرادت أن تقدره قدره فعينته أميناً لمكتبة دمنهور الأقليمية بهذا الراتب الضئيل النحيل القليل الهزيل من الجنيهات . ثم هـذا أحمد الكاشف الذى لا أرى أن أجرح كبرياءه ـ هكذا يقول محدثى ـ فأذكر لك كيف يعيش ... ثم ذاك طاهر الجبلاوى الذى يسهر الليالى فى نظم درامته « ديك الجن » ، تلك الدرامة الشائقة التى تعجب بها وزارة المعارف ، ويقرها تفتيش اللغة العربية ، وتكتب عنها إدارة التمثيل التقارير الشافية الوافية .. ماذا كان جزاءه وماذا كانت مكافأته ؟ هل رأت درامته ضوء الشمس ؟ هل نفذت إلى أنوار المسرح ؟ هل أحس بها إنسان ؟ لقد نامت فيمن نام من أهل الكهف ياسيدى ... ثم هذا الشاعر النابغة « رشاد راضى » ناظم درامة « جميل وبثينة » ، ماذا لقى من زمانه وماذا لقى زمانه منه ؟ أشهد لو أنك قرأت تلك الدرامة أو شهدتها على خشبة المسرح لفضلتها ألف مرة على مجنون ليلى للمرحوم شوقى بك ؟ ! وذاك الشاعر النابه على أحمد با كثير ... لقد سهر المسكين عاماً وعاماً ثم عاماً ثالثاً فنظم درامة السماء أو إخناتون ونفرتيتى ، ودرامة ابراهيم باشا بطل مصر الأول ، ودرامة كذا وكذا وكذا ... وفكر فى الذى تفكر فيه من استحداث الشعر المرسل والشعر الحر فى الشعر العربى ، وابتدع فى ذلك وأبدع ، فهل أحس أحد به ؟ ها هى ذى درامته « السماء » مطبوعة ، وقد قام بطبعها إبان جنون أزمة غلاء الورق ، فهل تدرى كم نسخة بيعت ؟ وهل سمعت أن المسرح المصرى شهد تلك الدرامة الشائقة الفائقة ؟

وعلى هذا النحو أراد الشيخ أن يأكلنى ويشربنى لينتزع منى إقراراً بالموافقة على وجهة نظره التى تفيض بالشؤم ـ أقصد

التشاؤم ! ؟ - والتي تصدر عن روح كئيبة سادرة لم تعرف كيف تستهزئ بهذا الذي يسميه صاحبها قلة تقدير أو سوء إنصاف بقضيان أن تنحل أوصال الأدب وتفتر أعصاب الأدباء فلا يكون ثمة نشاط ولا يكون هنالك إنتاج ، لأن الحكومة قاتلها الله لا تبيح خزائنها لهؤلاء الأدباء ، ولأن الأمة صنع الله لها لا توليهم رعايتها ، ولأنهم يأمرون فلا يطاعون ، وينشدون فلا يجدون سميعاً ... ألا رحم الله شاعر المعرة الذي اعتذر لقاضي قضاة مصر ، أن يعيش في دنيا من ذهب ، مؤثراً عيش الكفاف الذي جمل منه شاعر العربية وفيلسوفها الأكبر . ورحم الله دستوئفسكي وولتر سكوت وكارل ماركس ، ومئات الأدباء والشعراء الذين كانوا يذوبون جوعاً في حين تتخم آدابهم وأشعارهم وأفكارهم أدمغة العالم ... إننا ما سمعنا قط أن أحدهم اتخذ من مسغبته حجة للانصراف عن الأدب أو التقاعس عن قرض الشعر ... لقد رجوت محدثي أن يبحث لي عن شاعرنا الكبير عبد الرحمن شكري أين هو من عالم الشعر ودنيا الأدب ... وهو والحمد لله - غير محسود ولا مغبوط - في سعة من الرزق ، ولم يفرض عليه أن يجالد بقلمه أو يجاهد بدمه ليعيش ... أين هو اليوم يا ترى ؟ أين بلبله الصداح وشحروره المغني ؟ أين قيثاره وأين نايه وأين موسيقاه ؟ ثم رجوته أن يخبرني لماذا هجر المازني الشعر ... فلما عجز عن الإجابة توليتها أنا فأكدت له أنه عز عليه ألا يستحدث جديداً في الشعر العربي ، وهو أعرف الناس بما عليه الشعر الإنجليزي من سمو وثروة واتساع ويسر ، فغثيت نفسه وضاقت بأوزان الشعر العربي التي لم تتجدد قط مدى ألفين من السنين ، اللهم إلا قليلاً ... ولو أن الأستاذ المازني احتفظ للشعر العربي بميزته الشخصية التي هي الترجمة لأفاده فائدة جليلة القدر ... إلا أن الكسل قاتله الله صرفه عن ذلك أيضاً ... أما العقاد العظيم فهو سيد شعراء المعاني غير مدافع ، والذين زعموا أنه لا شأن له بالشعر هم قوم قليلو البصر بالشعر ، بل ربما كان الأحسن ألا يكون لهم هم شأن بالشعر ... ولو أن العقاد كان يعنيّ بديباجته وتجويد أسلوبه الشعري لخر أمامه أولئك النقاد جثياً ... لقد كان لنا في العقاد أمل ضخم رددناه يوم أصدر ديوانه الضخم المشتمل على ملحمة « الشيطان » ، وكنا ننتظر أن يغزو العقاد للشعر العربي ميادين جديدة في الملحمة والشعر القصصي والدرامة ... إلا أن العقاد انصرف عن ذلك إلى القصائد والمقطوعات . ولسنا نبالي السبب الذي صرفه عن ذلك ، إنما نبالي أنه أضاع أملنا فيه بعد إذ كان أملنا معقوداً به ... على أننا لا نزال نملل النفس بالأماني في العقاد ، لأننا أعرف الناس بقدرته في الإنتاج وصبره على الكفاح الأدبي نحو المثل العليا ... أما أحمد محرم فلسنا نعرف عن جهوده في النظم المثالي شيئاً بعد إسلاميته الرائعة الطويلة الجديرة بالإعجاب . ونحن نتوجه إليه بالرجاء أيضاً أن يستيقظ ، إذ هو في نظرنا في مقدمة شعرائنا تجويداً وطول نَفَس وتفضيلاً لفخامة العبارة وإشراق الأسلوب . وبهذه المناسبة أذكر شاعرنا الجارم الشيخ ... ذلك الشاعر الغزل الرقيق ... ماذا صنع في دنياه غير تلك القصائد التي يوجد من أشباهها الشيء الكثير في الشعر العباسي والشعر الأندلسي... لعل المعاش الهانئ الذي يتمتع به الشيخ ، بارك الله لنا فيه ، أن يوفر له من الوقت ما يعينه على نظم ملحمة أو قصة وإن كنا نطمع أن ينظم ملاحم وقصصاً كثيرة ...

وأما الشاعر الكاشف فليس لدينا ما نقوله فيه ، ولا نملك إلا الدعاء له بحسن الحال ورغد العيش ... وأما شكوى صديقنا الجبلاوي من تعطيل درامته « ديك الجن » وما كان لهذا التعطيل من نكسة أدبية في نفسه ، فأنا لا أقر وجهة نظره وأنا بالرغم مما سقته في مقالاتي عن المسرح المصري من لوم الوزارة ، لا أرى أن يتكل أدباؤنا على العون الذي يحلمون به من الدولة ، بل أرى أن يثور الأدباء على طريقة الإنتاج الأدبي القديم - أدب القصيدة والمقالة والمقطوعة - وإغراق السوق الأدبية بأدب القصة والدرامة - المنظومة والمنثورة - والملحمة والقصة المنظومة ... ثم أنا زعيم للصديق الجبلاوي بأن اليوم الذي يستطيع الأدباء أن يدوّوا بأصواتهم في آذان الوزارة فتصيخ لهم وتستجيب لندائهم قريب لا ريب فيه ، وإن لم

تستجب الوزارة طوعاً فثمة وسائل لا حصر لها لإغرائها بالاستجابة . ويجب أن نستعد لهذا اليوم بأن نملأ أيدينا بهذه الألوان من الأدب التي يفتقر إليها الأدب العربي ... وفرصة الأدباء وافية مؤاتية ، فزعيمهم وعميد الأدب العربي لن يملك إلا أن يمد يده لتلك الحركة بالعون والمساعدة ، والعون والمساعدة إنما ينبغي أن ينحصرا أول الأمر في أن تطبع الدولة على نفقتها ثمرات قرائح أدبائها المجددين ثم مكافأتهم ولو في حدود « جهد المقل ! » ... وقبل أن أفرغ من استعراض شعرائنا الشيوخ لا أرى بداً من التنويه بالأستاذ فريد أبي حديد وكيل دار الكتب الآن وناظم مقتل عثمان وغيرها وغيرها ... ، فلقد سألته مرة ماذا أعد لسوق الأدب ، فتبسم ضاحكاً ثم قال مازحاً : « إن صواميله قد نعمت ! وأن لا رجاء في عودتها للعمل ! » وأنا أسأل الله أن تخشن هذه الصواميل ليعود دولاب أبي حديد إلى المساهمة في ثورة الأدب العربي من جديد

هذا هو موقفنا من شعرائنا الشيوخ صريحاً لا لبس فيه ...

أما شعراؤنا الشباب فهم بكل صراحة أملنا ومعقد رجائنا في مستقبل الشعر العربي ... وقد بدأ كثيرون منهم يستجيبون لدعوتنا ... وقد وصلتني « عينات » شائقة بالفعل تنبئ بتباشير نهضة رائعة . ولست أذيع سراً إذا بشرت القراء الأعزاء بأن صديقي الشاعر النابه الأستاذ محمود الخفيف قد فرغ بالفعل من نظم ملحمة باكية في مقتل الحسين رضي الله عنه ... ولست أذيع سراً آخر إذا بشرتهم بما بشرني الأستاذ الخفيف من أن الشاعر المبدع علي محمود طه أوشك على الفراغ من نظم درامة رائعة سيفاجئ محبيه بها قريباً

ولا يفهم القراء من هذا الكلام الطويل أنني أقصر نهضة الأدب العربي على ميدان الشعر فحسب ، فهنالك أدب القصة الطويلة الذي لم يستو على سوقه بعد ، وإن ظهر عندنا كتاب مبدعون قدموا لنا أقاصيص رائعة تبشر بمستقبل باهر لهذا اللون الهام من ألوان الأدب .. والظاهرة التي أحب أن أفتح عيون أدباء الشباب عليها وألفتهم إليها هي أن شيوخ الأدباء عندنا يملكون زمام هذا الميدان كله تقريباً ، ولا سيما في القصة المتوسطة ... فليُلْق شبابنا الأدباء بالهم إلى ذلك ، وليتنبهوا له ، ولتكن منهم فئة يعنون بأدب القصة الطويلة ، حتى إذا آل إليهم زمام الأدب في المستقبل القريب كانت معهم مؤنة تكفي لبناء شهرتهم وتخليد ذكرهم ... وليذكروا كذلك أن معظم روائع الأدب الغربي المترجمة هي من إنتاج الشيوخ دونهم ، وعلى هذا ، فينبغي عليهم أن يساهموا في الترجمة بنصيب

أما الأدباء غير المصريين فإلى مقال قريب إن شاء الله .

دريني خشبة



قصة دائرة المعارف الاسلامية

للأستاذ صلاح الدين المنجد

الأنسيكلوبيدية الفرنسية ، معجم شامل للمعارف الإنسانية ؛ أخرجته طائفة من علماء القرن الثامن عشر وفلاسفته وضمّنوه ثمرة دراساتهم الطوال ، فبدت فيه روح العصر وعاداته ، وطرائق أهله في المساجلات والمهاترات

لم ينشأ عن دائرة المعارف هذه ، بعث أدبي أو علمي ، فقد كانت نتيجة لعوامل شتى ، لا سبباً لها ، وكانت ملتقى تيارات تتعارض ونظريات تتضارب ، ويلاحظ الأستاذ (أوبيرتان Aubertin) في كتابه : « روح القرن الثامن عشر » أن هذه التيارات تنحصر في الأمور التالية

١ — الانطلاق : وكان مدلوله في القرن السابع عشر استقلال الفكر ، وشنشنة ضد الدين . وكان معناه في القرن الثامن عشر تظاهراً بالدعة مع الجحود والكفران

٢ — الروح العلمي . فقد هيمنت روح العلم على نفر كبير من الناس ، فأضحوا يتملقون بالحادثات الواقعة . نابذين وراء ظهورهم ما وراء الطبيعة ، ثائرين على السلطان . وكانوا يفتخرون بالتقدم العلمي الذي رأوه آنذاك ، ويعتقدون أن الوقت قد حان لوضع أسس جدُد ، ومناهج واضحة ، تسلكها الأجيال القادمة .

٣ — الرغبة في الاستقلال السياسي ، فقد مال الناس إلى احتقار سلطان الملكية ، والثورة عليه ، والسعي في تحطيمه ، ليتقوى سلطان الشعب

٤ — الميل إلى تقليد الأجنبي وخاصة إلى تقليد انجلترة ؛ فقد كان الفرنسيون يرون في كل ناحية من نواحي السياسة والعلم والدين والأدب فيها مثلاً سامياً جديراً بأن يقتفى أثره ، وأن يقلد

فهذه الميول المختلفات . كانت مظاهر عالم جديد يريد أن يحيا . وكانت هذه البيئة تحس في نفسها قوة وجلداً ؛ وترى أنها قادرة على تحطيم ما خلّفه لها الآباء والأجداد ، ولابد للناس أن يملئوا ما خلفته الأجيال الخالية ، وما بذلته من جهود في سبيل رقي الإنسانية ، ولابد لهم أن يدركوا كيف بدأ أجدادهم وإلى أية نقطة من طريق الإنسانية الطويل قد بلغوا . فدائرة المعارف كانت وسيلة إلى ذلك

***

ظهرت دائرة المعارف سنة ١٧٤٥ . فقد أُذن لصاحب مكتبة Le Bretorn آنئذ ، أن ينقل إلى الفرنسية دائرة معارف العلوم والفنون L'Encyclopedie Des Sciences et des Arts التي ألفها الإنجليزي Chambers فاستشار ، ذاك الكتبي عدداً من العلماء . وكانت هذه الاستشارات لا تجدي شيئاً . فعهد عندئذ إلى « ديدرو Diderot » بهذا العمل ، وكان ذا فكر ثاقب محيط . فرأى أنه يستطيع توجيه ذاك الكتبي نحو فكرة قد تكون أكثر جدوى ، وأقرب نفعاً ؛ فلماذا ينقل إلى الفرنسية معجم ذلك الإنجليزي ؟ أليس من الخير لبلاده أن يكتب المعارف الإنسانية بفكر فلسفي ويقدمها للناس ؟ لا جرم أن ذلك يساعد على انتشار آرائه ، وتبيان ما يذهب هو والفلاسفة إليه ، ويكون وسيلة لجمع شتات فلاسفة عصره . وزين ديدرو للكتبي فكرته فقبل . وعندئذ اتصل بدالامبير D'Alembert وانمكفا على وضع نهج العمل

على أن نهج العمل واضح لا يحتاج إلى جهد وتفكير ، إنما الذي يدعو إلى التفكير هو الحصول على المال . فالمعجم سيكون كبيراً ، وهو يحتاج إلى نفقات قد تثقل عاتق الناشر . وعمدوا إلى اكتتاب بالاشتراك . وساعد على ذلك محافل الماسونيين في العالم كله ، واهتمت السلطات العامة بهذا الأمر . وتدفقت الأموال على الناشر وصاحبيه . وابتدأوا يعملون

وفي سنة ١٧٥٠ أخرج ديدرو المجلد الأول ، وفيه المنهج الذي سيكون المعجم عليه ، وتبيان ماسيتضمنه ويحويه . ومقاله لدالامبير سماها : Discours Prèliminaire

ولم يكد يظهر المجلد الأول حتى تهافت الناس على شرائه ؛ ونال رواجاً كبيراً ، وأبدى كثير من الكتاب والعلماء رغبتهم في مساعدة ديدرو ودالامبير

وظهر المجلد الثانى ؛ وفيه طعن ديدرو على القديم طعناً موجعاً ، وثار الناس على مقالة كتبها الأب دُبراد محرر دائرة المعارف فى الإلهيات . وهب رجال الدين يطعنون على هذا المعجم الذى يسوق إلى الإلحاد ويدفع إلى الكفر ، واضطربت السلطة ، واضطرت إلى مصادرة الجزأين . وكاد ديدرو أن يُسجن فى الباستيل ، ولكن الناشر ما زال يسعى حتى أذن له مرة ثانية باخراجها

وما كادت سنة ١٧٥٧ تطلع على الناس حتى حدث ما لم يكن بالحسبان . فقد أثرت الأحداث السياسية فى فرنسة فكانت مؤامرة داميان Damiens ، الذى طعن لويس الخامس عشر بطعنة موسى ، وكان فشل روسباخ Rosbach مما سبب يقظة الشعور الوطنى والأخلاق . ودعا إلى شن هجوم شديد على أولئك الفلاسفة المخرّبين الهدّامين . ومما ساعد على ذلك مقالة عن « جنيف » كتبها دالامبير ، وكتاب « الفكر Esprit » الذى كتبه « هيلفيتيوس Hélvétius » فازداد الطعن على دائرة المعارف ورجالها ، حتى اضطر الملك إلى إيقافها ، ولكن الناشر استطاع بعون من مدام دوبمبادور حظية الملك أن يصدرها . فصدرت وحمتها رجال الشرطة . وظلت تصدر حتى عام ١٧٧٢ إذ انفض عن ديدرو ، دالامبير وروسو ، وبقى وحده .

***

كانت دائرة المعارف كما ذكرت معجماً رُتب على الحروف الهجائية ، وكان يبحث فى الرياضيات والطبيعيات والإلهيات . وكان مراسلوها يذكرون ما وصلت إليه الإنسانية فى كل علم أو فن . ويلاحظ دوكرو Ducros فى كتابه « رجال دائرة المعارف Les Encyclopedistes » أن ديدرو تنبأ بمستقبل الفنون الميكانيكية ، فكتب مقالات كثيرة عن كل صناعة وبين خططها وصورها

ولكن على رغم ذلك فإن دائرة المعارف ظلت خليطاً من أمور غامضة تارة ومضطربة أخرى . لا جرم أنه كان فيها الجيد ، ولكن كان إلى جانبه الرذيل الردىء . وسر ذلك أن مباحثها كتبت بسرعة دون تأمل أو روية

على أن الذى يدهشنى حقاً فيها تلك الروح المهيمنة عليها فى كل صفحة من صفحاتها ، بل فى كل سطر من سطورها . فلقد استطاع ديدرو ، بل وُفق إلى انتقاء مراسليه من الفلاسفة الذين كان بينهم وبينه نسب فى الفكر والمذهب . فإذا تصفحت دائرة المعارف بدا لك هذا الفكر الفلسفى الذى لا يؤمن بكل أمر خفى ، ويسخر من كل أمر مطلق أو خارق ، ولا يعتقد بما وراء الطبيعة ، ويدعو إلى حرية الفكر والكلام والعمل

وما كانوا يصرحون بذلك تصريحاً تاماً ، ولكنهم كانوا يدسون السم فى الدسم ، ويحشون مقالاتهم أفكاراً تسوق إلى ما يريدون . وقد كان من أشد ما يدعون إليه أن يحاربوا المذاهب والآراء التقليدية الموروثة ، وأن يسخروا منها فيصيبها التهديم

ومهما كان من أمرها ، فلقد كانت وسيلة لاجتماع رجال كبار . فقد كتب فيها : مونتسكيو وروسو وڤولتير ، وكتب ديدرو ودالامبير ودُجوكور ودبينتون Daubenton ومارمونتيل وغيرهم . . .

ويلاحظ روستان فى كتابه (الفلاسفة والهيئة الاجتماعية فى القرن الثامن عشر)

Roustan, Les philosophes et la Société au XVIII. Siecle

أن مراسلى دائرة المعارف كانوا أشد حماسة من القائمين عليها . نرى ذلك عندما نقرأ مقالات كوندياك تلميذ لوك ، وهافيتيوس الذى دعا إلى المادية أجرأ دعوة ، وغيرهما

ومازالت دائرة المعارف تتستر ، حتى ظهر جلياً ما تدعو إليه . وعندئذ تركها روسو ، وراح يطعن عليها وينعتها بأنها آلة تهديم ، ويعتذر لنفسه بأنها كتب فيها عن الموسيقى ، وقد خفى عليه ما يريدون

ولكن طعن روسو ، ومن قبله طعن رجال الدين لم يفيدا شيئاً ، فقد انتشرت انتشاراً سريعاً ، فقرأها البرجوازيون المثقفون ، وقرأها بعض الكهنة ، وأعجب بها المحامون . ولئن انفض عنها رجالها ، ثم توقفت ، فلقد غرست فى العقول الشك ، وساقت الناس إلى حدث اجتماعى عظيم هو الثورة الفرنسية .

(دمشق) صبوح الدبس المنجد

٣ـ الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

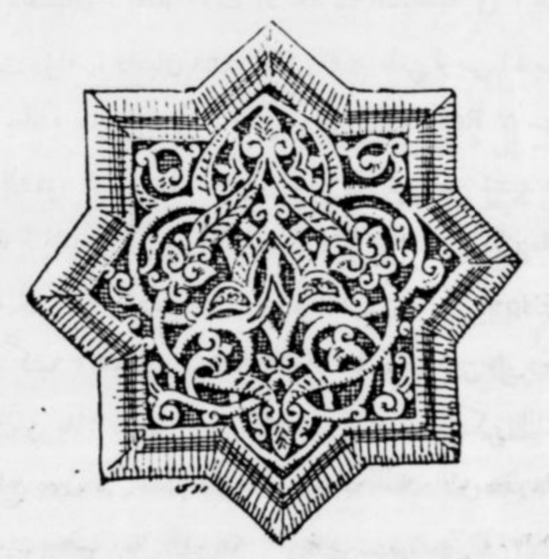
وكما أجاد المسلمون فن الخط ، فقد بلغوا فى الزخرفة شأواً بعيداً أقل ما يشهد به أن كلمة (الأرابسك) عَـلَمٌ — فى تاريخ الفن — على نوع معين من الزخرفة ابتدعه الفنان المسلم . حقاً إنه لم يبتكر وحدات زخرفية جديدة بل استعمل ما وجده بين يديه من مخلفات الفنون السابقة على الإسلام ، إلا أنه لا سبيل إلى إنكار مقدرته فى طريقة رسم هذه الوحدات الزخرفية وتوزيعها والتأليف بينها وتنسيقها تنسيقاً يجعلها تبدو كأنها اخترعت لأول مرة وما هى كذلك ، ولكنه صهرها فى بوتقته ومزجها بفلسفته وسلط عليها أشعة عبقريته فخرجت من بين يديه فناً جديداً لا يخفى عليك أصله ولكنك لا تستطيع أن تنكر عليه شخصيته القوية الواضحة

لم يخترع أشكالاً هندسية جديدة ، ولكنه بالغ فى تقسيمها وتحليلها ، تراها تارة متشابكة ، وأخرى متداخلة ، وأحياناً متلاصقة وأحياناً متباعدة ، حتى ليصح لنا أن نقول فى اطمئنان إنه بعث فى هذا النوع من الزخرف روحاً من لدنه فبدا فى ثوب من الجمال قشيب لم يكن له قبل الإسلام

ولم يبتكر وحدات نباتية أو حيوانية بل رسم الأزهار والأشجار والأوراق والسيقان ، والطيور والحيوان بعد أن حورها تحويراً كادت معه أن تفقد شخصيتها كوحدات نباتية أو حيوانية ، ولكنها وإن بعدت عن الطبيعة فقد دلت على سعة خيال مبدعها وصفاء قريحته

ونفر من الفراغ ، وكره أن يرى سطحاً عاطلاً من الزخرف فكرر الوحدات الزخرفية المذكورة تكراراً يمكن أن يستمر دون أن يقف عند حد

هذه الظاهر الجديدة إتقان الزخرفة الهندسية ، وتحوير العناصر النباتية والحيوانية ، وتكرار الوحدات الزخرفية ، والنفور من الفراغ ، هى فى الغالب نتيجة لبعض توجيهات فى الدين الإسلامى : فقد كان التصوير ـ وسنتحدث عنه فيما بعد ـ أمراً غير مرغوب فيه عند كثير من المسلمين نظراً لما حام حول مزاولته من شك ، فانصرف نشاط الفنانين إلى نواح أخرى ؛ ولعلهم كانوا متأثرين فى بعض ما اتجهوا إليه بما روى فى صحيح البخارى (كتاب البيوع) عن سعيد بن أبى الحسن إذ يقول : « كنت عند ابن عباس رضى الله عنهما إذ أتاه رجل فقال : يا ابن عباس ، إنى إنسان إنما معيشتى من صنعة يدى ، وإنى أصنع هذه التصاوير . فقال ابن عباس : لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، سمعته يقول من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً .



مثال من « الأرابسك » على الخشب من زخارف منبر ابن طولون — من كتاب تاريخ ووصف الجامع الطولونى للأستاذ « محمود عكوش »

فربا الرجل ربوة واصفر وجهه ؛ فقال ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شىء ليس فيه روح » فلا عجب إذا بلغت الزخارف الهندسية على يديهم ذروة الإجادة ، وأصبحت الزخارف النباتية آية فى الإبداع والإتقان وإن كانت بعيدة عن تمثيل الطبيعة تمثيلاً صحيحاً فى معظم الأحيان ، شأنها فى ذلك شأن الزخارف الحيوانية التى ترخص فى رسمها بعض الفنانين ، على أن هذا البعد عن الطبيعة لم يكن نتيجة لضعف فى الملاحظة أو نقص فى المقدرة بل هو ، فى أغلب الظن ، مقصود لذاته ، ولعله ناشىء عن تلك العقيدة التى يؤمن بها كل مسلم أشد الإيمان : ذلك أن البقاء لله وحده ، وأن العالم بمن فيه وما فيه مآله إلى الزوال (كل شىء هالك إلا وجهه) (كل من عليها فان ، ويبقى

وجه ربك ذو الجلال والإكرام) . وليس من اللائق وهذه العقيدة منقوشة فى أذهان المسلمين جميعاً أن يخلد رجال الفن منهم بأعمالهم الفنية ما كتب الله عليه الفناء، لذلك نجدهم لم يعنوا بتصوير الشخصيات العظيمة فى لوحات كبيرة أو تماثيل ضخمة تبقى على الدهر، أو تمثيل جمال الطبيعة بالنقل عنها نقلاً صحيحاً، بل يأخذون من عناصرها ما يرون، ويهذبون فيه ما شاءت لهم ميولهم ومواهبهم الفنية، ثم يكوّنون من هذه العناصر المهذبة زخرفة لا تمت إلى الطبيعة بصلة، قوامها أغصان نباتية متشابكة يتفرع بعضها من بعض، وأوراق أشجار مختلفة يخرج بعضها من بعض، وأزهار وفواكه تنبت من الأوراق أحياناً ومن الأغصان أحياناً أخرى، وهى فى مجموعها تعطى منظراً ترتاح له العين ويسر به الفؤاد



مثال من « الأرابسك » على الحجر — من زخارف المئذنة الجنوبية لمسجد الحاكم بأمر الله — من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك لمحمد عبد العزيز مرزوق

ويعنى الفنان المسلم عناية واضحة بالتفاصيل الدقيقة، ويميل — بل ويسرف فى هذا الميل أحياناً — إلى عدم ترك فراغ ملحوظ بين الوحدات الزخرفية، وربما كان مسوقاً إلى ذلك بفكرة كامنة فى نفسه تجعله حريصاً على أن يخرج زخرفته بحيث لا يستقر النظر فيها على شىء معين يترك فى الذهن صورة واضحة تحتل بؤرة الشعور. أما هذه الفكرة فهى رغبته فى الحيلولة بين نفسه وبين الغرور الذى يملك الفنان أحياناً عند ما يتأمل فى أثره الفنى فيراه واضح المعالم والخطوط، ويدرك أنه استطاع أن يرسم بريشته ما يضاهى به خلق الله. كما أنه أيضاً قد أمن — فى نفس الوقت بطريقته هذه — استغراق الناظر لذلك الأثر الفنى فى جمال الأثر فينسى مبدع الكائنات وهو يتأمل فيما صنعه الإنسان



مثال من « الأرابسك » على النسيج — من زخارف إحدى الحلل التى ترجع إلى عصر المستعلى بالله الخليفة الفاطمى — من كتاب الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية لمحمد عبد العزيز مرزوق

على أن هناك ظاهرة فى الزخرفة الإسلامية تلفت النظر، تتجلى لنا فى الوحدات الزخرفية التى نرى فيها طائراً ينبت من جناحيه وذيله أغصان تتصل بها أزهار، أو سمكة ينتهى ذيلها بفرع نباتى ويخرج من رأسها وجسمها أوراق أشجار، أو رأس آدمى مركب على جسم طائر ذيله عبارة عن غصن طويل ملتف على نفسه، أو قطعة من خشب على شكل قيثارة مثلاً يخرج من جانبيها الأيمن والأيسر رأسا حصانين فى فم كل منهما لجام يتخلص من طبيعته هذه بالتدريج حتى يصبح فرعاً نباتياً تتصل به أغصان وأزهار، وينبت من أذن كل منهما فرع نباتى يدور حول نفسه أولاً ثم يتفرع إلى فروع عدة، أو غير ذلك من الوحدات الزخرفية التى يجمع فيها الفنان عناصر الطبيعة المختلفة من حيوان ونبات وجماد بحيث يخرج بعضها من بعض؛ وكأنه فى عمله هذا يرى أن المخلوقات كلها سواء يستوى لديه

الدين العام المصرى

نشأته وتطوراته

للأستاذ أحمد صادق موسى

ليس الدين شراً كله كما أنه ليس خيراً كله ، ولكنه لم يأخذ أية أمة مثلما أخذ فى مصر طريقاً حافلاً بالحوادث ، مليئاً بالاضطرابات ، حتى أصبح تاريخه فى مصر تاريخاً لفترة طويلة فى حياتها السياسية والمالية ، شهدت فيها البلاد ألواناً شتى من التدخل الأجنبى ، وصوراً متعددة من التعسف ، وضروباً كثيرة من التقلب والاضطراب . ولقد انتقل حكم مصر إلى سعيد باشا والبلاد لا تعرف طريقاً إلى القروض الأجنبية ، حتى أحاط بالوالى الجديد بطانة من الفرنسيين وعلى رأسهم فردناند دلسيبس ، فزينوا له فوائد الإصلاح ويسروا له سبل الاقتراض ، فامتدت يد سعيد باشا إلى المصارف الأوربية للمرة الأولى ، ثم إلى الأهالى ، فاقترض عدة قروض كان منها الدين الثابت على المصارف الأجنبية ويقدر بمبلغ ٣٫٢٩٢٫٨٠٠ ج . ك . ومنها الدين السائر على الأهالى ويقدر بمبلغ ٧٫٨٦٧٫٢٠٠ جنيهاً . فلما توفى سعيد باشا ترك البلاد وعليها دين يزيد على الأحد عشر مليوناً من الجنيهات

وتولى الخديو إسماعيل عرش مصر ، وكان شاباً جريئاً طموحا ، يفيض قلبه بالآمال ، ويجيش صدره بأجمل ما يتمناه ملك يتفانى فى خدمة بلاده ، فأسرعت البطانة الأوربية وخاصة الفرنسية بالالتفاف حوله ، كما التفت حول سلفه ، تلتمس فيه نقط الضعف ، فإذا بها ، ويا لفخره ... رغبته فى الإصلاح وحبه للانشاء . فراحت تزين له آفاق هذا المجال وتمده بالمال ، فاندفع نحو الاقتراض مدفوعاً برغبته الصادقة فى إصلاح حال مصر ، وبحسن نواياه وثقته بمن حوله ، وهم بطانة من الأجانب المرتزقة ، أو المصريين الذين أعمى الطمع قلوبهم وأضل أفئدتهم ، فصرفهم عن أن يخلصوا النصح لمولاهم ، أو يتبصروا عواقب الأمور ... وراحت القروض تتوالى على مر السنوات ، وترتفع الأرقام فى سرعة هائلة ، فإذا الديون الثابتة تبلغ من سنة ١٨٦٢ إلى سنة ١٨٧٣ (أى مع دين سعيد باشا الثابت) ٦٨٫٤٩٧٫١٦٠ ج . ك . والديون السائرة ٢٥ مليوناً من الجنيهات . وقد كان أكبر هذه القروض الثابتة قيمة قرض سنة ١٨٧٣ بمبلغ ٣٢ مليون جنيه إنجليزى ، وكان سعر الفائدة ٧ ٪ ؛ على أنه إنصافاً للحق لم تصل القيمة الاسمية من الديون الثابتة إلى الحكومة ؛ إنما دخلها منها ٤٧٫٣٥٧٫٤٦١ ج . ك فقط ، وضاع الفرق ما بين القيمتين الاسمية والحقيقية ، ويقدر بمبلغ ٢١٫١٣٩٫٦٩٩ فى السمسرة والعمولة والمصروفات الأخرى ، حتى سعر الفائدة ٧ ٪ كان لا يعمل به ، بل كانت تتراوح الفائدة الحقيقية ما بين ١٢ ٪ و ٢٦ ٪ . وقد رهنت فى مقابل هذه الملايين إيرادات بعض مديريات الوجهين القبلى والبحرى ، وإيرادات الجمارك والسكك الحديدية وجميع الثغور والعوائد المختلفة ، وإيرادات أملاك الدائرة السنية ، وكان يقدر الدخل فى الجميع بنحو ستة ملايين من الجنيهات ، وبهذا أصبح معظم إيرادات القطر رهناً لهذه الديون الأجنبية . ولم تزد الحالة إلا سوءاً ؛ فكان كل قرض يعقد يجلب معه الاضطراب الشديد والخلل السريع إلى المالية المصرية ، حتى أقبل عام ١٨٧٥ فإذا بالحكومة

الحيوان والإنسان والنبات والجماد باعتبار أنها لا تثبت على صورة واحدة بل تتغير من حالة إلى حالة وليس لها جميعاً إلا وجود زائل سائر إلى الفناء بينما الخالق وحده هو الحق الباقى الذى لا يعتوره تغير ولا يلحقه فناء . والغالب أن الفنان المسلم متأثر فى اتجاهه هذا بتلك الآية الكريمة التى نزلت فى إبراهيم عليه السلام والتى تشير إلى أن الثبات وعدم التغير من صفات الحق وحده دون مخلوقاته التى من شأنها التغير . يقول جل شأنه : (فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال إن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) .

« يتبع »

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

عاجزة عن تسديد فوائد هذه الديون ودفع الأقساط في مواعيدها ، وقد استخدم إسماعيل صديق باشا (المفتش) وزير المالية يومئذ كل ما تفتق عنه ذهنه من أساليب شيطانية لابتزاز الأموال لتسديد الأقساط . ولما شعر الخديو بشدة وطأة الحال عرض على انجلترا رغبته في أن تبعث إليه بمالي كبير يدرس الحالة المالية ويعاون الوزير المصري في إدارة شئونها وعلاج أسباب اضطرابها ، وجاء هذا الطلب في وقت كانت تطمع فيه كل من انجلترا وفرنسا في بسط إشرافها المالي على البلاد بعد ما أصابها من سوء وانحلال . ولذلك سرعان ما لبت انجلترا رغبته وأرسلت « بعثة » رأسها «ستيفن كيف » لبحث الحالة المالية ، وقدم « كيف » مصر ووضع تقريراً مطولاً مستفيضاً عن الشئون المالية استعرض فيه أسباب اضطرابها وخللها ودواعي عقد القروض وقدم مقترحات تتلخص في تسديد القروض القصيرة الأجال وتحويل الباقي من الديون الأخرى الطويلة الأجل إلى دين واحد قدره ٧٥ مليون جنيه بفائدة سعرها ٧ ./. يسدد في ٥٠ سنة وأن تنشأ مصلحة للمراقبة يعهد إليها تسلم متحصلات بعض أنواع الإيرادات ؛ على أن لا تعقد الحكومة أي قرض جديد إلا بعد موافقتها عليه . غير أن الخديو اسماعيل أغضبه تقرير « كيف » فاتجه للمساعدة الفرنسية ؛ وما لبث أن قدم المالي الفرنسي الذي حضر إلى مصر لدراسة شئونها المالية ، مشروعاً يقضي بإنشاء صندوق الدين . ورأت انجلترا أن فرنسا تنافسها في الميدان فأرادت أن تحمل الخديو على قبول مقترحات كيف ، ولجأت إلى مناورة برلمانية في عهد دزرائيلي ونشرت تقرير كيف عن حالة مصر المالية فأغضب ذلك الخديو كل الغضب وانحاز بكليته إلى المشروع الفرنسي وأصدر أمراً عالياً في ٢ مايو ١٨٧٦ يقضي بإنشاء صندوق الدين على أن يؤلف من أعضاء أجانب يعينهم الخديو بناء على ما تعرضه الدول التابع لها كل منهم . ويستلم الصندوق إيرادات بعض مديريات الوجهي البحري والقبلي المخصصة لخدمة الدين ، وعوائد الدخولية في العاصمتين ، وإيراد الجمارك في جميع الثغور ، والسكك الحديدية وغير ذلك ، وحظر على الحكومة تخفيض أموال الأطيان المخصصة للدين بغير موافقة الصندوق ، كما تقرر أن تكون المحاكم المختلطة هي المختصة بالنظر في النزاع بين الصندوق والحكومة . وأعقب هذا صدور أمر عال آخر في ٧ مايو يقضي بتحويل ديون الحكومة الثابتة والسائرة إلى دين واحد قدره ٩١ مليون جنيه انجليزي بفائدة ٧ ./. ويسدد في ٦٥ سنة ، وأن يخصص لتسديده الإيرادات التي ذكرنا أبوابها وتقدر بمبلغ ٦٫٧٤٥٫٢٥٦ ج . ك ثم رأى الخديو زيادة في حسن الإشراف والإدارة إنشاء مجلس المالية الأعلى ، فأصدر أمراً بتشكيله في ١١ مايو من تلك السنة . بيد أن التنافس الإنجليزي الفرنسي كان يزداد شدة فدعا هذا إلى اتفاق الدولتين على المطالبة بوضع نظام يكفل لها دقة الإشراف المالي على مصر ، وذلك بتعيين مراقب انجليزي للإيرادات ، ومراقب فرنسي للمصروفات . وقد تم لها ذلك بإنشاء المراقبة الثنائية في الأمر العالي في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ على أن توضع السكك الحديدية وميناء الإسكندرية تحت إدارة لجنة أوربية . وبهذا اتخذ التدخل الأجنبي ثاني صوره الرسمية بعد إنشاء صندوق الدين . غير أن توحيد الديون جميعها أثار احتجاجات حاملي السندات القصيرة الأجل وسندات الدائرة السنية فدارت مفاوضات أعقبها صدور أمر عال في ١٨ نوفمبر أيضاً بفصل ديون الدائرتين السنية والخاصة عن الدين الموحد وإصدار سندات ممتازة للمرة الأولى بمبلغ ١٧ مليون جنيه انجليزي بفائدة ٥ ٪ وتخفيض الدين الموحد بذلك إلى ٥٩ مليون ج . ك ، ثم عقد في شهر يونيه ٨٧٧ اتفاقاً خاصاً بديون الدائرتين السنية والخاصة وأصبحت قيمتها الرسمية ٩٫٥١٢٫٩٠٠ ج . ك — وعلى الرغم من هذا ازدادت الأحوال اضطراباً ، فأشار وزير المالية على الخديو بتشكيل لجنة للتحقيق فصدر أمر عال بها في يناير سنة ١٨٧٨ يقضي بتعيين لجنة التحقيق العليا التي كان يرأسها اسماً دليسبس ، وفعلاً السير ريفرز ولسون ، وذلك للبحث في أسباب الخلل ووضع المقترحات اللازمة لعلاج الاضطراب المالي والضيق الشديد . وفي أثناء قيام لجنة التحقيق بعملها تدخلت انجلترا وفرنسا بطلب تعيين وزيرين أوربيين في الوزارة المصرية وتحديد المسئولية الوزارية . وقد تم لها ذلك ، فتولى السير ولسون وزارة المالية ، والمسيو دي بلينر وزارة الأشغال في الوزارة المختلطة التي تألفت في عام ١٨٧٨ ، وبهذا أصبح ولسون يشغل منصبين خطيرين . ولكن تأليف هذه

الوزارة ما لبث أن قوبل بامتعاض شديد من الوطنيين . وكان هذا العمل جرحاً عميقاً للكرامة المصرية القومية ، فاتجهت الأفكار كلها إلى التخلص منها . وكان الخديو أكثر الناس رغبة فى ذلك فما لبث أن انتهز فرصة وضع تقرير لجنة التحقيق العليا التى ذكرت فيه أن الحكومة المصرية فى حالة إفلاس ، وأنه يجب تشكيل لجنة لتصفية الحالة المالية والديون ، حتى أسقط الوزارة المختلطة وعين شريف باشا رئيساً للوزارة الوطنية البحتة ، وقوبل هذا العمل الجرىء من الخديو باحتجاجات شديدة من الوزيرين الأوربيين ودولتيهما ولجنة التحقيق وغيرهم ، ولكن ظل الخديو وشريف باشا على سياستهما الوطنية وإن كانا قد فاوضا الدول فى إعادة المراقبة الثنائية مرة أخرى

وفى ذلك الحين عقد قرض الدومين مع بنك روتشيلد بمبلغ ٨٫٥ مليون ج . ك فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٧٨ ، ثم صدر بعد ذلك مرسوم بالتصفية فى ٢٢ إبريل سنة ١٨٧٩ ، غير أن الدول لم تقبله واحتجت عليه . واستمر النزاع قائماً بين الخديو اسماعيل والدول الأوربية التى نشطت فى تألبها عليه ؛ وأقنعت الباب العالى بضرورة عزله للعمل على الإصلاح المالى ؛ وخضع السلطان العثمانى وأصدر فرماناً بهذا السؤل فى ٢٦ يونية سنة ١٨٧٩ . ويبدأ مع عصر الخديو توفيق عهد جديد تضافرت فيه جهود الدول على العمل لتحقيق غرضين أولهما : البحث الجدى المنتج لتوطيد الحالة المالية المصرية ، وثانيهما الوصول بالتنافس الإنجليزى الفرنسى إلى الاحتلال العسكرى للبلاد

ولقد سار الغرضان معاً فبدأت الحكومة المصرية بإصدار قانون التصفية العام فى ١٧ يولية سنة ١٨٨٠ ويقضى بإصدار سندات جديدة من الدينين الموحد والممتاز ، كما خفض سعر الفائدة فى الدين الموحد إلى ٤٪ ، وضمت أملاك الدائرتين السنية والخاصة إلى الحكومة ، وألغيت المقابلة على أن يسترد ما حصل منها على أقساط شهرية لمدة ٥٠ عاما — وفى هذه السنة نشرت أول ميزانية رسمية للحكومة ، ثم أدى الاتفاق الإنجليزى الفرنسى على احتلال البلاد احتلالاً مشتركاً إلى أن أسرعت انجلترا بالاحتلال الفردى سنة ١٨٨٢ متخذة من بعض الحوادث الداخلية ، كالثورة العرابية وغيرها مبرراً لتنفيذ هذا الاحتلال السريع . وقد نتج من هذا كله اضطراب مالى سياسى جديد ، ورأت الحكومة أن تغطى عجز إيراداتها بعقد قرض جديد بضمان الدول ، وقد تم لها هذا بالأمر العالى فى ٢٧ يولية سنة ١٨٨٥ الذى يقضى بإصدار سندات بقيمة ٩٫٤٢٤٫٠٠٠ ج . ك . بفائدة ٣ ٪ وبضمان كل من انجلترا وألمانيا والنمسا والمجر وفرنسا وإيطاليا وروسيا . وعقد الخديو توفيق ثم الخديو عباس فيما بعد ثلاثة قروض قيمها لا تزيد عن الخمسة ملايين من الجنيهات ، كما حددها السلطان العثمانى ، وذلك لتسوية الحالة المالية . وبدأ الاستقرار المالى يدب بعد ذلك فى الحياة المصرية ، وعمل الإنجليز من جانبهم على التخلص من مشاركة فرنسا فى الإشراف على الشئون المالية ، فألغيت المراقبة الثنائية ، واستبدلت بالمستشار المالى الإنجليزى . وكان من بوادر الاستقرار أن أخذت الحكومة فى تكوين أموال احتياطية تحفظ فى صندوق الدين ، وأعقب ذلك تحويل الديون الممتازة والدائرة السنية والدومين إلى ديون جديدة بفوائد مخفضة . ولما كانت البلاد تحت السيادة العثمانية فقد لجأت تركيا إلى مصر لتكون ضامناً لها فى القسط السنوى للقرض العثمانى ٤ ٪ لسنة ١٨٩١ ، وذلك بتخصيص جزء من الجزية السنوية المستحقة لها لضمان القسط السنوى من هذا القرض الذى أصدره بنك روتشيلد بقيمة اسمية ٦٫٣١٦٫٩٢٠ ج . ك . وحدد له قسط سنوى قدره ٢٧٣٫٦٠٨ ج . م . ويستهلك فى مدة ٦٠ سنة تنتهى فى سنة ١٩٥١ ؛ وفى سنة ١٨٩٤ حدث تعهد مشابه حين قبل الخديو عباس الثانى أن تضمن مصر القسط فى القرض العثمانى ٣½ ٪ لسنة ١٨٩٤ ، وكانت قيمته الاسمية ٨٫٢١٢٫٣٤٠ ج . ك . ، ويستهلك في مدة ٦١ سنة تنتهى فى سنة ١٩٥٥ ، وحدد قسطه السنوى بمبلغ ٣٢١٫٠١٨

وقد ظلت مصر تدفع أقساط هذين القرضين العثمانيين باعتبارها خاضعة للسيادة التركية ، حتى بعد أن رفعت عنها هذه السيادة فى سنة ١٩١٤ إلى أن قرر مجلس النواب فى سنة ١٩٢٤ أن تتوقف مصر عن دفع هذه الأقساط التى لا مبرر لدفعها من زوال السيادة التركية وإعلان الاستقلال ، ولكن معاهدة لوزان التى نفذت فى سنة ١٩٢٤ قررت إعفاء تركيا من كل

التزامات القروض العثمانية ورفع النزاع إلى المحاكم المختلطة التي قضت في إبريل سنة ١٩٢٦ بإلزام الحكومة المصرية بالاستمرار في دفع هذه الأقساط حتى نهايتها

ولما كانت فرنسا تناويء انجلترا مناوأة شديدة بعد فشل الاحتلال المشترك لمصر وتندد بسياستها ، فقد عملت انجلترا على أن تسعى للاتفاق معها ، وقد تم هذا في الاتفاق الإنجليزي الفرنسي سنة ١٩٠٤ الذي أطلقت فيه يد انجلترا في شئون مصر مقابل إطلاق يد فرنسا في شئون مراكش . وبعد ذلك الاتفاق صدر قانون جديد في ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٤ يقضي بتنظيم الدين العام وباستمرار صندوق الدين في عمله حتى ينتهي تسديد هذه الديون ، وأن لا تخفض ضرائب الأطيان إلى أقل من ٤ مليون جنيه إلا بعد موافقة الدول ، وحددت التواريخ لبدء استهلاك هذه الديون

ولقد تمكنت الحكومة بعد ذلك من التخلص من بعض ديونها فسددت دين الدائرة السنية حتى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٥ وكذلك دين الدومين حتى أول يونيه سنة ١٩١٣

وقد شاع الاستقرار في المالية المصرية وانبعث الاطمئنان إلى النفوس بعد التعديلات والإصلاحات المختلفة السابق ذكرها إجمالاً وقامت الحكومة المصرية بعد ذلك بإصدار أذونات الخزانة في سنة ١٩٣٣ بمبلغ ٣ر٥ مليون جنيه مصري استهلكت على دفعتين الأولى في سنة ١٩٣٨ والثانية في سنة ١٩٤٣ ، وكان الغرض من إصدارها تخفيف الأزمة الاقتصادية العالمية التي سببت هبوط أسعار المحاصيل الزراعية ، ثم أصدرت بعد ذلك قرض القطن الأول في سنة ١٩٤١ بفائدة ٤ ١/٢ ./. وبمبلغ ١٧ر٥ مليون جنيه مصري طرح منها للاكتتاب عشرة ملايين استهلك منها حتى الآن ستة ملايين ، وأصدر بالباقي أذونات لمدة قصيرة . والثاني في سنة ١٩٤٢ بفائدة ٤٪ وبمبلغ ١٢ مليون جنيه مصري طرح منها للاكتتاب مليونان من الجنيهات

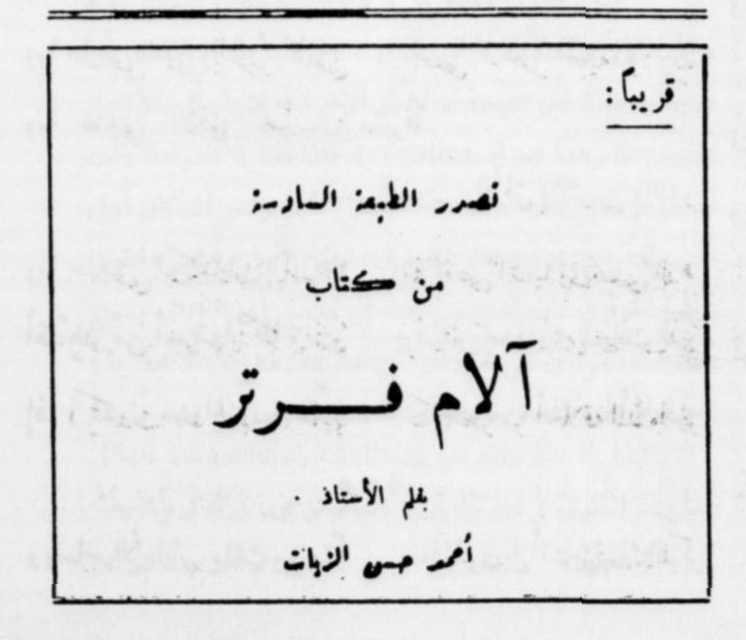
هذا هو مجمل تطور الدين العام ، ويضاف إليه ديون أخرى صغيرة استهلك بعضها والبعض الآخر في دور الاستهلاك

على أنه يجدر بنا ذكر العمل الجليل الذي قامت به الحكومة بإلغاء صندوق الدين في سنة ١٩٤٠ بعد مفاوضات مع الدول ونقل كل اختصاصاته إلى الحكومة التي يتولى البنك الأهلي - نيابة عنها - القيام بخدمة هذه الديون ، وقد صدر بعد هذا مرسومان ملكيان رقما ٦٩ و ٧١ لسنة ١٩٤٠ بتنظيم الدين العام على هذا الأساس الجديد

ويتضح مما تقدم أن الباقي من الدين العام هو : الدين المضمون ٣ ./. وقيمته الإسمية ٩ر٤٢٤ر٠٠٠ ج . ك وقسطه السنوي ٣٠٧ر١٢٥ ج . م والباقي منه ٧٨٥ر٤٠٠ ج . ك والدين الممتاز ٣ ١/٢ في المائة وقيمته الإسمية ٣١ر٦٤٧ر٠٠٠ ج . ك وقسطه السنوي ١ر٠٤٥ر٣٨٤ ج . م والباقي منه بعد الاستهلاك ٣٠ر٦٣٣ر٩٨٠ ج . ك ؛ والدين الموحد ٤ في المائة وقيمته الإسمية ٦٠ر٩٥٨ر٢٤٠ ج . ك وقسطه السنوي ٢ر١٥٤ر٧٦٨ ج . م والباقي منه بعد الاستهلاك ٥٥ر٢٥٠ر٤٦٠ ج . ك ؛ وجملة الباقي من هذه الديون الثلاثة ٨٦ر٦٦٩ر٨٤٠ ج . ك وأما القرضان العثمانيان فجملة الباقي منهما معاً هو ٥ر٣٥٧ر١٨٠ ج . ك

وقد تقرر منذ سنوات مضت أن تدفع الكوبونات والسندات في هذه الديون بالعملة الورق الأسترلينية ؛ وقد بلغت قيمة ما تدفعه مصر سنوياً من فوائد لهذه الديون مع قسط استهلاك الدين المضمون أكثر من أربعة ملايين من الجنيهات المصرية . ولا ريب أن المشروع الجديد باستهلاك بعض هذه الديون وتحويل البعض الآخر إلى دين داخلي أخف حملاً ، عمل جليل يرفع عن كاهل البلاد عبئاً ثقيلاً باهظاً من بعض ملايين الجنيهات كما يرفع عنها ذكريات أليمة تردد صداها في تاريخ مصر الحديث .

أحمد صادق موسى



السامر الموحش

إلى الحبيب الذي أسا كلامي
وغنيته أعذب أنغامي
ونهل وعل من أحلامي
وعاطيته كأس أوهامي
فشربها ولم يذر بقيا
واليوم تناسته الدنيا
ولكن جرحي الفاغر مات آسيه
وأنغامي لم تأنس إلى من تغنيه
وأحلامي لم تركن إلى من تساقيه
وأوهامي لم ترتح إلى من تعاطيه ،
فهي تبعث الذكرى من بعيد وإلى بعيد
وأنا شقي بها ، وإن شئت فقل سعيد

تلفّتُ لا شملي جميعٌ ولا الهوى   قريبٌ ولا فرعُ الصِّبا عبقٌ نضرُ
أحِبّايَ لو غيرُ الردى حال دونكم   دنا البرُّ في عينيَّ وانكشف البحر
بأسماعكم وقرٌ وقد رُحْتُ شاكياً   وحاشا ففي سمع الثرى وحده الوقر
تناستكم الدنيا وحالت عهودُها   كأن لم يرنّحْ عِطفَها بكم الفخر
أنزّهُ آلامي عن الدمع والأسى   فيؤنسها مني الطلاقة والبشرُ
وأضحك سخراً بالوجودِ ورحمةً   وفي كبدي جُرْحٌ وفي أضلعي جمرُ
يغالي بدنياه ويجلو فتونها   ودنياه في عينيَّ موحشةٌ قفرُ
وما حاجتي للنورِ والنورُ كامن   بنفسي لا ظلٌّ عليه ولا سِترُ
وما حاجتي للأفق ضحيانَ مشرقاً   ونفسي الضحى والأفق والشمس والبدر
وما حاجتي للكائنات بأسرها   وفي نفسيَ الدنيا وفي نفسيَ الدهر
أُهَدْهِدُ من أحزانها كلما وَنَتْ   ويُسْلِسُ بعد المَرْي للحالب الدَّرّ
إذا رَكدتْ بعد المحبوب فإنّها   لكالبحر من أخلاقه المدُّ والجزر

* * *

ويا سامر الأحباب مالك موحشاً   معاذ الهوى بل أنت يؤنسك الذكر
أدِينُكَ مِنْ حَبِّ القُلوبِ تمزّقتْ   عليه فَسَالَ الشوقُ وَالحب والطُّهرُ
إذا ظمِئتْ في قطعها البيدَ نسْمةٌ   ألمَّتْ به وهناً فَرَنّحها السُّكرُ
فيا للصَّبا العجلى إذا عبرَتْ به   تأنّتْ كما يرتاحُ في الواحة السفْرُ
تمنّيتُ إجـــلالاً لهُ ومحبّةً   لوَ أنّ حَصَاهُ أنجمُ الفَلَكِ الزُّهْرُ
وأجزَعُ إنْ مرّتْ به الريحُ زعزعاً   وأشرفَ حتى جاوز الحاجةَ القطرُ
فليتَ الربيعَ الطَّلْقَ ساقاهُ كأسَهُ   مَدى الدَّهرِ لا بَرْدٌ عليهِ ولا حَرُّ

* * *

ويا سامِرَ الأحبابِ طيفٌ ولا كرىً   وسُكْرٌ ولا راحٌ وَرَيَّا ولا زَهَرُ
كلانا على ما كلّفَ النفسِ من رِضىً   أضرَّ به نأيُ الأحِبّـــةِ والهجْرُ
تطوفُ بِكَ الأحلامُ نشوى كمدِها   وينطف من أفيائِكَ الحب والعِطْرُ
ويضحكُ لي وجْهٌ نَدِيٌّ مُنَوّرٌ   كأنْ لم يغيّبْ من طلاقتِهِ القبْرُ
وَحَيّا... كأنْ لم يطوهِ عنّي الرَّدى   فهلْ بُعِثَ الأمواتُ أم ردَّه السِّحْرُ
تُلِمُّ به الذكرى فيَحْيا كبارِقٍ   طَواهُ الدُّجى عني لِيُطْلِعَهُ الفجْرُ
وَيبْعَثُه حُبّيَ وفي كُلِّ خافِقٍ   صَحيحِ الهوى بَعْثُ الأحِبّةِ والنَّشْرُ
فَيا قَلْبُ فيك الرَّاحِلون وإن نأوا   وفيك الندامى والرياحِينُ والخَمْرُ
خَلَقْتَ على الموتى حَياةً قويّةً   وطَالَمَهُمْ مِنكَ القِيامَةُ والحَشْرُ

(سوريا — اللاذقية)   احمد سليمان الاحمد



الإبهام والغموض فى التصوف

يذكرنى مقال ابن الفارض المنشور بالرسالة ببحث جرىء لى لم ير النور بعد ، لأن بعض الأذهان لم تتهيأ لقبوله ، وصلت فيه إلى أن التصوف نتيجة اختلاف فى النفسية الجنسية للفرد . وقد اهتديت إلى هذه النتيجة من مقارنة نفسية فجر الشباب حيث فورة الجنس على أشدها وما يصحبها من حالة نفسية لا تفرق عن التصوف إلا فى كونها عابرة غير مستقرة ، ففى هذا الطور من التطور البشرى يشعر الإنسان أنه جزء من الكون ، وكل ما فى الكون يردد صداه فى نفسه التى تتسع لقبول ما فى الكون من إنسان وحيوان وأفلاك ، ويمتاز تفكير هذا الدور بالإبهام والغموض والإيثار كالتصوف تماماً

وقد وجدت فى تاريخ ابن الفارض مادة دسمة لتدعيم بحثى ، فقد روى أن أحدهم استأذنه فى شرح قصيدته « نظم السلوك » فسأله عن مقدار الشرح فقال : إنه سيقع فى مجلدين . فضحك ابن الفارض وقال : « لو أردت لكتبت مجلدين لكل بيت فيها » وروى أيضاً أن محيى الدين بن عربى بعث إليه فى شرح هذه القصيدة فرد عليه الشاعر : « كتابك المسمى بالفتوحات شرح لها » والكتاب المشار إليه يقع فى ٣٣٠٠ صفحة من الحجم الكبير

ففى هذا القول نجد معنى الإبهام والغموض ، فإن أفكار المتصوفين ليست واضحة فى جوهرها ، وإن الشروح المقصودة هى تخريج لمعان لم تتبلور ، ونحن نعلم أن ميزة الفكر البشرى هى الوضوح وسهولة التأدية ، ونجد حتى فى الحيوانات العجم من تحسن التفاهم مع بعضها تفاهما عجيباً فاضت لوصفه مؤلفات علماء الطبيعة ، ولولا سهولة الأداء التى امتاز بها الذهن البشرى لما ترق الإنسان وصعد إلى درجات الرق التى وصل إليها

وقد ادعوا أن هذا الغموض مقصود لحفظ أسرارهم ، والذى وصلت إليه هو أنه نقص فى التعبير من علل نفسانية

أما عن إلهام الحب وما يتبعه من معان وصور فى رياضتهم فهذا هو الجانب المحرج الذى أشرت إليه فى أول هذه الكلمة ؛ ومجال هذا البحث فى الصحف الطبية . . وفى رأيى أنه هو الباعث الأول على الغموض والإبهام .

كامل يوسف

عضو معهد الأبحاث الفلسفية البريطانى بلندن

١ — مؤتمر الأدباء الشباب فى البلاد العربية

إن أدبنا العربى اليوم ، يمشى بخطوات سريعة ، ولكن أكثر الأدباء لا يستهدفون غاية ، فكل يسير على هواه . وإن هناك أموراً شتى يجب البحث فيها ، ومشكلات معدودات ينبغى حلها . ولا بد من هدف يسمى إليه الأدباء لتكون هناك وحدة أدبية عربية فيها توافق وانسجام ، تدفع بالأدب العربى الوليد خطوات ومسافات . ويعود نفعها على أبناء البلاد العربية بالخير والوئام . وإنى أقترح أن يعقد مؤتمر للأدباء فى عيد الأضحى يدعى إليه أدباء الأقطار العربية كلها ، يكون فى القاهرة أو دمشق أو بغداد . فيعرف الأدباء بعضهم بعضاً ، ويتحادثون فيما ينقصنا ، وفيما يشوه أدبنا ، وفيما نحن بحاجة إليه

هذا نداء لأرباب القلم والصحف الأدبية لعلهم أن يرحبوا به ويسعوا إلى تحقيقه . ويتبادلوا الآراء فيه .

٢ — إلى الأستاذ دريني خشبة

قلت فى مقالك الطريف عن نشأة الدرامة الإنجليزية (العدد ٥٣١) إن الدرامة قسمان ، النوع الأول : الإنجيلى أو السمى (؟) وهو يسمى Mysteries والنوع الثاني القديسى أو الكرامى واسمه Miracle

وفى ترجمة هذين الحرفين ، من التجوز ، الكثير ، وفى هذه الكلمات (القديسى ، الكرامى ، إنجيلى) من البشاعة ما يجعلها نافرة ، لا يرضى عنها من أبدع فى نقل أساطير الإغريق ، الإبداع الكبير

فكلمة Mysteries التى تقابل Mystères الفرنسية ، كانت تطلق فى القرون الوسطى على المسرحيات ذات الموضوع الدينى أعنى : a suyet religieux ، وكانوا يدخلون فيها الإله والقديسين والملائكة والشياطين . فترجمتها بالإنجيلية ، أى Evanglique غير صحيحة ، لأن الإنجيلية نسبة إلى الإنجيل Evangile وهذا غير الـ Mystère ؛ فإذا قلنا : الدرامة ذات الموضوع الدينى ، أو الدينية (تحاشياً من إنجيلى وسمى) لكان أولى ولو ترجمت Miracle بالخوارق ، لكان أجلى وأصح . فنقول درامة الخوارق لأن القديسى نسبة إلى قديس أى Saint ، ومعنى Miracle الخوارق التى تخرق قوانين الطبيعة . فهى فى الأنجليزية : A surnatural act وفى الفرنسية :

(Bait suranaturel, contraire au lois de la nature)

هذا ولك شكرى على دعوتك إلى الأدب المسرحى . وإعجابى بإنتاجك

(دمشق) **صلاح الدين المنجد**

المذاهب السياسية المعاصرة

لماذا أخص هذا الكتاب من سلسلة « إقرأ » الثمينة بالكتابة ولم أفعل ذلك من قبل، مع ما للكثير من كتب هذه السلسلة من القيمة الأدبية التي لا تنكر؟ هل ذلك لأن الأستاذ أدهم هو صديقي وزميلي؟ إن كان هذا فالأستاذ عبد الرحمن صدقي هو من أعز أصدقائي علي وأحبهم إلى نفسي، ومع ذلك فأنا لم أكتب عن كتابه كلمة، مع ما كان يستحقه كتابه من ثناء وإطراء ونقد ... الحقيقة إذن هي أنني لم أقرأ في السنوات الأخيرة في مصر كتاباً مركزاً صغير الحجم كبير القيمة تشتد حاجة القراء العرب إليه مثل هذا الكتاب ... إنه خلاصة لمائة كتاب على الأقل من مئات الكتب التي أعرف أن صديقي أدهم يقرأها ويهضمها ويجيد استيعابها ونقل لبابها لقرائه الكثيرين المعجبين به ... إنه ليس من هذه الكتب التي يؤثرها القارىء العجل الذي لا صبر له على المذاهب السياسية ونظرياتها العميقة التي تصدع الرأس وتكد الذهن وتحتاج إلى الصبر وطول الأناة ..

إن كتيب الأستاذ أدهم هو استعراض جيل لهذا الموكب الحافل من أفكار الإنسانية التي تنشد الضوابط وتتوق إلى المثل، وهو وكتاب الأستاذ فؤاد صروف (وعاءان ملئا علماً وتفكيراً) كما كان يعبر الأقدمون ... لقد جهدت أن أتلقف بعض المؤاخذات لأجعل منها مادة لنقد الكتاب فلم أوفق إلا إلى الأخطاء المطبعية وإلا إلى بعض التعبيرات التي كانت في حاجة إلى المراجعة والتهذيب ... على أنني أقترح على صديقي أدهم أن يعود إلى كتابه القيم فيضم إليه فصولا عن تاريخ نشأة تلك المذاهب وتراجم لزعمائها ورجال الفكر الذين ألهموا هؤلاء الزعماء مناهجهم وكانوا سبباً في قيام تلك الحركات الفعالة التي غيرت وجه التاريخ وانحرفت أو لم تنحرف بموكب الإنسانية ... إن الكتاب إذا صدر على هذا النحو كان الأول من نوعه في المكتبة العربية ... على أنه على حالته الراهنة هو الأول من نوعه في المكتبة العربية كذلك ...

ثم ماذا عندي غير التهنئات بعد هذه الكلمة المقتضبة؟

دريني خشبة



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 536

Lundi - 11 - 10 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٣٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١٢ شوال سنة ١٣٦٢. — الموافق ١١ أكتوبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهرس

الأعياد اليومية والأعياد الموسمية

للدكتور زكي مبارك

خطبة سجلت في إذاعة القاهرة لتلقى في إذاعة فلسطين ،
أما بقية الكلام فملاحظات كتبت عن أحاديث العيد

أيها السادة :

أقدم إليكم أصدق التحيات ، راجياً أن يصل صوتي إلى أسماعكم وأنتم بخير وعافية ، وآملاً أن تعيشوا إلى أمثال هذا العيد في رغد وطمأنينة وصفاء

أما بعد فلكل منا أعيادٌ يومية ، وأعياد موسمية ، فما الفرق بين هذه الأعياد وتلك الأعياد ؟

الأعياد الموسمية أعيادٌ شرعها الأنبياء ليوقظوا روح السرور في الناس ، عساهم يلتفتون إلى موكب الحياة من حين إلى حين

هل تعرفون السر فيما قضت به الشريعة الإسلامية من جعل الصوم حراماً في يوم العيد ؟

كان ذلك لأن الرسول خاف على أمته أن تتنسك تنسك الأموات فلا تفرح ولا تبتهج في أي يوم ، ولو كان يوم العيد

هل تعرفون السر في أن يقول القرآن : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ؟

إنه يدعوكم إلى لقاء الله فى الصلوات وأنتم فى أجمل ما تملكون من الثياب ، لتفهموا أن الله يحب أن يراكم فى نضارة النعيم لا فى قساوة الشقاء.

إن الأعياد الموسمية توحى بالسرور الشامل حين تصوّر الناس وقد احتشدوا للفرح والابتهاج ، وحين تدعو كل فرد إلى التجمل ، وحين تدعو كل بيت إلى إعداد الأطايب من الطعام والشراب ، فمن تلك المظاهر المتجمعة يسرى روح المرح فى الجماهير ، وتشعر النفوس بمعانى البِشر والأنس ، وتلتفت القلوب إلى حظوظها المنسية فى دنيا السعادة والهناء

ولعل زكاة الفِطر لم تُشرع إلا لهذا الغرض ، فالمراد منها أن تثور موجةٌ من البر والإحسان ، موجةٌ رحيمة تقضى بأن يجد الفقراء والمساكين ما يغنيهم عن التفكير فى هموم العيش أيام العيد

تصوروا كيف تكون الحال لو أدى الموسرون جميعاً زكاة الفِطر بإخلاص

تصوروا كيف يعمّ الفرح فى مثل هذه الحال ، فيفرح الغنىّ بالتوفيق إلى أداء الواجب ، ويفرح الفقير بأن يجد جاراً يواسيه باسم الشرع لا باسم الإفضال ، فما كانت الزكاة إفضالاً وإنما هى واجب مفروض لا ينتظر صاحبه من الناس أى ثناء

فى هذه الحال يكون الفقراء ضيوف الله فى أيام العيد ، لا ضيوف الموسرين من الجيران ، ومع هذا تذيع القالة الجميلة فترفع أقدار المزكِّين ، وتزيدهم إيماناً بأن المعروف لا يذهب بين الله والناس

ومن مزايا الأعياد الموسمية أنها تذكّر بحقوق ودية ينساها الأهل والأقارب فى أكثر الأحايين ، فما فى كل يوم نسأل عن أقربائنا وأصدقائنا ، ولا فى كل أسبوع ولا فى كل شهر أو كل شهرين ، ولكننا نشعر بوجوب السؤال عنهم فى أيام العيد ، لنجازيهم لطفاً بلطف ووفاء بوفاء

والأعياد الموسمية تقهرنا قهراً على تحية من ينسوا من التحية ، لأنهم ذهبوا إلى العالم البعيد ، عالم الموت ، ولم تبق فرصة لتحيتهم غير فرصة العيد

أندر كون معنى الجمال الروحى فى أن يكون أول من نحييهم فى ليلة العيد هم الأموات ؟

تلك التفاتة معنوية لها قيمة عظيمة ، والوفاء الحق هو الوفاء لمن لا يملك الجزاء

أيها السادة :

إن فضائل الأعياد الموسمية أوضح من أن تحتاج إلى شرح ، فتفضلوا بسماع كلمة وجيزة عن الأعياد اليومية ، الأعياد التى تواجهنا فى كل يوم ، لو عرفنا كيف نروض النفس على إدراك الخفايا من نِعم المنعم الوهاب ، وهى نِعم تتجدد فى كل لحظة ، فنحن بها كل يوم فى عيد

تشرق الشمس والعافية فى بدنك ، والزاد فى دارك ، فيومك يوم عيد

تغرب الشمس وحولك أهلك ، والنوم يداعب جفونك ، فليلتك ليلة عيد

قد تطوف بك أحزان تثير دموعك ، وهذا يقع من وقت إلى وقت ، ولكنه شاهد على أنك فى عيد ، فالدموع فى عيون الباكين أدوية ربانية تصنع فى طب العيون ما يعجز عنه أطباء العيون ، والأحزان فى صدور المكروبين مراهم روحية تصنع ما يصنع المرهم الواقى فى شفاء الجرح البليغ

هل تعرف حكمة الله فى الألم ؟

إن الألم نعمة نفيسة ، فهو بشير العافية ، لأنه ينبه إلى المرض ، والتنبه للمرض يدعو إلى العلاج وهو باب الشفاء

والآفة الخطيرة هى انعدام الإحساس بالآلام ، فإن تألمت فاعرف أنك فى حيوية ، وتذكّر حكمة الله فى الألم ، لتعرف أنك فى عيد

الحزن علامة قوة لا علامة ضعف ، لأنه يشهد بإدراكنا لقيمة ما نفقد ، ولا نكون كذلك إلا ونحن أحياء ، فإن حزنت فاعرف أنك بعافية وأنك فى عيد

وكيف تكون العاقبة لو عشنا بلا أحزان وبلا دموع ؟

إن الأحزان والدموع كانت ولن تزال من أنصبة الموهوبين والحزن العظيم لا يكون إلا من نصيب الرجل العظيم ، ولو كان

البكاء عيباً لنزه الله الأنبياء عن البكاء ، فلم يبك يعقوب على يوسف ولم يبك محمد على إبراهيم ، فإن بكيت فاعلم أنك بخير وأنك فى عيد

إن كنت غنياً فتذكر أن الغنى من النعم السوابغ ، فأنت كل يوم فى عيد

وإن كنت فقيراً ، فما عيدُك ؟ وهل تكون للفقراء أعياد يومية ؟

افتح قلبك واسمع هذا الدرس :

الفقراء فى كل زمان وفى كل مكان هم عماد المدنية ، فبجهودهم تُقام الصروح الشوامخ ، وبأيديهم تُحفَر الأنهار ، وتُزرع الحقول ، وتُنشأ البساتين ، فإن كنت من هؤلاء فمن حقك أن ترى أنك كل يوم فى عيد

خزان أسوان من صنع يدك ، كما كان برج بابل من صنع يدك ، وكما كان سور الصين من صنع يدك ، وما قام فى الدنيا بناء وأنت غائب ، يافقيراً يعمل ليجد القوت ، فأنت بجهادك مصدر العيد لمن ينعمون بالعيد ، ولو عقلتَ لأدركتَ أنك كل لحظة فى عيد

ولنفرض أنك كنّاس يكنس الشوارع ويملأ عينيه ورئتيه بالتراب فى كل يوم ، حتى يوم العيد ، فهل تعرف نعمة الله عليك ؟

تذكّر أن الغبار يقذى العيون ولكنه لا يقذى عينيك ، لأن الله يحميك ، وتذكّر أن الغبار قد يُورث مرض السل ، ومع هذا لم نسمع أن كناساً مات بالسل ، فما يرضى الله بالمرض لمن يحاربون المرض ، كما تحاربه بالمكنسة يا حضرة الكناس ، فأنت كل يوم فى عيد

أيها السادة

فى ظلال هذا الفهم لنعم الله ندرك أننا كل يوم بعافية ، وأننا كل يوم فى عيد ، وأننا مسئولون فى كل لحظة عن إعلان السرور بما يجود به المنعم الوهاب

الطفل يطالب أهله بحلة جديدة فى العيد ، لأنه لا يعرف غير الجديد ، فما حاجتنا إلى حُلل من القطن أو الصوف أو الحرير ونحن فى حُلل من العافية للجهاد فى سبيل الرزق الحلال

أنا لا أرى الله خص بالشقاء جيلاً من الناس

البصير فى نعمة لأنه يرى محاسن الوجود

والضرير فى نعمة لأنه لا يرى مساوىء الوجود

والأصمّ المحروم من لطائف الأنغام صانه الله عن سماع المرذول من الاغتياب

نحن جميعاً فى رعاية الله ، فنحن كل يوم فى عيد

لقد غلا كل شىء فى أعوام الحرب ، إلا الماء ، لأنه أنفس موجود ، والله يجود بالنفيس قبل أن يجود بالخسيس ، وليس فى نعم الله خسيس

أيها السادة

إن الأعياد الموسمية أعياد العوام ، أما الأعياد اليومية فهى أعياد الخواص ، وأنا أدعوكم إلى التأمل فى نعم الله عليكم لتكونوا كل يوم فى عيد

نِعم الله لا تعرف شعبان ولا رمضان ولا تلتفت إلى المواقيت .

نِعمُ الله تُساق مع الأنفاس فليس لها رسوم ولا حدود ، والسعادة من نصيب من يؤمن بأن الله منعمٌ ومتفضل فى جميع الأحوال

ولكن هذه الغاية لا تبدو بوضوح فى كل وقت ، لأن قلوبنا معرضة لغشاوات من الجهل والغرض والطمع والإسفاف

نحن نباتٌ ظهر فوق الأرض ، وأغصاننا مع هذا أطول من جذورنا ، لأننا مجذوبون إلى السماء لا إلى الأرض ، فماذا تريد بنا يا فاطر السماء ؟

نحن منك وإليك ، ولن ننحط فى أى حال ، فما ينحط من يؤمن بك ولو عاش فى ظلمات الأدغال

سمعنا وقرأنا أن عندك نعيما وسعيراً ، فلمن أعددت نعيمك وسعيرك ؟

نحن لا نطالب بأن نكون من أهل رحمتك ، فلسنا لذلك بأهل ، وإنما نرجو أن تجعلنا من أهل عذابك ، لنثق بالصلاحية لأن تضع أعمالنا فى الميزان

العيد هو يومنا عندك ، ولو فى أسوأ الفروض ، فمن السعادة أن نقف بين يديك مسئولين

والعيد الأعظم هو أن توقظ ضمائرنا فى كل وقت لنعانى ألف حساب قبل يوم الحساب

لا عيد ولا جديد إلا إن رجونا رحمتك وخشينا عذابك ، فامنح قلوبنا نعمة الخوف منك والاعتماد عليك لنشعر بأننا كل يوم فى عيد

السماء فى عيدك ، والأرض فى عيدك ، والشمس فى عيدك والقمر فى عيدك ، والنجوم فى عيدك ، وأنت العيد لما نجهل من المواجيد ، فأنت فى غضبك ورضاك عيدٌ وألف عيد ، فهل تسمح يا إلهى بأن نكون بفضلك كل يوم فى عيد ؟

أحاديث العيد

لم نقل مع المتنبي : « عيدٌ بأية حال عُدتَ يا عيدُ » فقد وصل ونحن بعافية ، فلله الحمد وعليه الثناء ، أدام الله علينا وعلى قرائنا نعمة الشعور بكرمه الموصول

١ — فى يوم العيد وصل خطاب من الأستاذ حافظ محمود يقول فيه إن هجوم السيد حسن القاياتى مدسوس عليه ، وأنه لم يخطّ بقلمه حرفا مما دار حوله الجدال فى الأسابيع الماضية ، ويدعونى إلى كتابة كلمة ترضية يَطيب بها قلب ذلك الصديق

وأقول إن المعلومات التى تضمنتها الخطابات المنشورة باسم الأستاذ القاياتى معلومات مريبة لأنها متصلة بشؤون لا يعرفها سواه ، فإن لم يكن هو الكاتب فلن ينكر أنه مصدر المكتوب ، وبهذا يقع عليه شىء من المسئولية

ثم أقول إنه كان يستطيع تكذيب ما نشر باسمه لأول مرة فينحسم الخلاف قبل أن يطول ، ولكنه سكت نحو خمسة أسابيع ، ثم بدأ فى التشكى من العدوان عليه ، وهذا من أغرب ما يقع فى معاملات الناس

وأنا مع هذا أعتذر للصديق عما بدر منى فى مساجلته ، وأعلن أنى أعتزّ بصداقته كل الاعتزاز ، وأنى لن أسمع فيه كلاما ولو نَشر بنفسه فى مقاضبتى ألف خطاب

وهنا أذكر مذهبى فى معاملة رجال الأدب ورجال السياسة ، وهو مذهب يستحق التنويه ويَصلح للاقتداء ، فما ذلك المذهب ؟

خلاصة هذا المذهب أنى لا أتكلم عن أهل الأدب والسياسة بما يشبه النقد فى أى مجلس ، لأن الكلام عُرضة للتزيد والتحريف ، وإنما أكتفى بما يخطه قلمى فى الجرائد والمجلات ، إن طاب لى أن أناوش أحد الرجال

وأذكر أيضاً أنى أعيش فى عزلة بعد الرجوع من عملى إلى بيتى ، فما يحتاج إلى غشيان الأندية غير من يعيشون بمنجاة من متاعب الواجبات ، وأنا أحمد الله الذى تفضل فأكثر من أعبائى فى حياتى ، بحيث لا أجد فرصة لمسامرة المعارف والأصدقاء ، فمن زعم أنه رآنى وأنى حدثته عن فلان أو عِلاّن بكيت أو كيت فهو من الكاذبين

٢ — من عادتي أن أزور قصر جلالة الملك فى يوم العيد لأتشرف بتقييد اسمى ، ولأرى من كبار الرجال من لا يتسع الوقت لرؤيتهم فى غير ذلك الجناب

وقد تأخرت قليلا فى هذه المرة فلم أصادف غير الدكتور هيكل باشا والأستاذ فؤاد باشا سراج الدين ، مع حفظ الحق لبقية من رأيت هنالك من رجال الأدب والبيان

وضاعت الفرصة فى لقاء النقراشى باشا ، ولو رأيته لاعتذرت عن ضياع حظى من زيارة داره فى رمضان ، مع أنه من جيرانى بمصر الجديدة ، ومع أن زواره يتزودون بأكرم زاد من أطايب الأحاديث ، بفضل المجلس الذى ينعقد بداره فى أمسية رمضان ، كما كان الحال فى أكثر البيوت قبل الزمن الجديد ، زمن السهر فى الأندية والقهوات

٣ — كان يجب أن أزور أهلى وأقربائى فى سنتريس ، ولكنى رجعت غضبان ، غضبان من شؤون لا تُغضب إلا من يكون فى مثل حالى من حب البر وبغض العقوق

وقضى الزحام باليأس من الظفر بمكان فى إحدى السيارات ، فتفضل صديق بتوصيلى إلى القناطر الخيرية لأركب القطار من هناك ، ولكن القطار تحرك قبل وصولى بدقائق ، ولا بد من الانتظار نحو ثلاث ساعات ، فماذا أصنع ؟

وقفت على قنطرة الرياح التوفيق مع الواقفين وهم عشرات

أو مئات فى انتظار السيارات ، فماذا أصنع ؟

فكرت فى مروءة أصحاب السيارات الخصوصية ، وقد يكون فيهم من يعرفنى ، فكنت أقول كلما مرت سيارة خصوصية : « خذونى معكم » ، ولكن أين من يسمع ؟

واستمعتْ سيارة لندائى ، وبدت منها يد لطيفة كأنها الغرام فى ليلة عيد ، فمضيت وركبت وأنا لا أصدق أننى وصلت !

ولكن أين صاحب السيارة ؟

لقد نزل للبحث عنى ، ثم تاه فى غمار تلك الخلائق ، فهتفتْ صاحبة المِعصم تعال تعال فالدكتور وصل !

وبعد التحيات المعروفة فى مثل هذه الظروف مضت السيارة وأنا لا ألتفت إلى الوجه الذى يشعّ نوره بمثل ما تشع الشمس عند الأصيل ، وهل يليق بى أن ألتفت إلى وجه سيدة قد تكون زوجة هذا الرفيق ؟

— حَيِّها يا دكتور بكلمة

— ومَن أحيِّي ؟

— هذه نور

— أى نور ؟

— نور الهدى بطلة « فِلم جوهرة »

والتفتُّ فإذا فتاة لطيفة فى لون الصهباء ، لم يشمشع وجهها بطلاء ، فعرفت كيف كان العرب يصفون المرأة الجميلة بأنها صفراء. هل رأيتم جمال الاصفرار فى حيوية اللون ؟

ودار الحديث حول التمثيل والممثلين فقلت : إحرصى يا بنيتى على الانتفاع بعبقرية الأستاذ يوسف وهبى ، فهو أعظم فنان فى هذا الزمان

قال صاحب السيارة : أهذا رأيك فى الأستاذ يوسف وهبى ؟

قلت : هو رأيى

قال : وتسمح بتدوينه فى مجلة الرسالة ؟

قلت : وفى جميع المجلات ، وسأخصك بحديث

قال : أرجوك أن تغفل اسمى ، لأسباب لا أملك عرضها عليك

وصلنا إلى القاهرة لنفترق ، ولأبحث عن الأسباب التى توجب أن اغفل اسم ذلك الصديق ، فما تلك الأسباب ؟

كانت هنالك وليمة عيدية فى « عِزبة الصباح » ، وكان فى الوليمة فنانون وفنانات ، وكانت « نور الهدى » فى العودة من نصيب سيارة هذا الرفيق

وعرفت بعد لأْى أن مجلة الرسالة أثيرة عند زوجة صاحب السيارة ، وأنها قد تغضب عليه إن عرفت من حديثى بمجلة الرسالة أنه رأى « نور الهدى » فى يوم عيد

سأكتم اسمك يا صديقى ، لئلا تثور زوجتك ، فلن أقول إنك صاحب جريدة يومية ، ولن أقول إنك كاتب من الطراز الأول ، ولن أقول إنك المثال فى هندمة الأسلوب ، والأساليب تُهندَم كما تُهندَم الثياب

إن زوجتك لن تعرّفك من حديثى ، لأنى أكره النميمة ، فنم بعافية ، وإن ارتابت زوجتك فى بشاشة وجهك فخدعها أنك طوّفت بسيارتك فى شوارع « مصر الجديدة » يوم العيد

إن التلاميذ يخفون عن آبائهم خطابات نظار المدارس ، فأخف عن زوجتك هذا العدد من مجلة الرسالة ، وقل إنه ضاع فى البريد ، بسبب ازدحام الرسائل فى أيام العيد ، أحيا كم الله إلى ألف عيد !

زكى مبارك

---

٤ ـ حكاية الوفد الكسروى

لأســتاذ جليــل

٣ — يقول النعمان لكسرى :

« ... فأما عزها — يعنى العرب — ومنعتها فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ... »

وهذا قول لا يقوله عامل لعمله ، ولا وال لموليه . وكيف يلغو بمثله وجند كسرى فى بلاده وفى اليمن يجوس خلالها ، والدِّرَفْس [1] يخفق فوق الرؤوس

إنما كان النعمان شُرْطيا[2] عند كسرى يصد الدلنفين والقراضيب عن اجتياز التخوم . كان أمير (الحيرة) لا ملك (الجزيرة) يدعو — آمرا — هذا من اليمن وذاك من نجد وذلك من تهامة وغيرهم من غيرها فيبادرون إليه ، ويمثلون بين يديه ، ويقول : قد سمت من كسرى كيت وكيت فَفِدوا عليه « فإذا دخلتم نطق كل رجل بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه »

لم يكن النعمان هناك ـ كما زوقه المزوق النمق . ولما غضب عليه كسرى — والسبب الحق للغضب مجهول — ضاقت عليه الأرض ، ولم ينفعه أو ينجده متزتر من جماعة (الوفد) « وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحد منهم يقبله » « وأراد طيئا على أن يدخلوه الجبلين ويمنعوه فأبوا ذلك عليه ، وقالوا له : لولا صهرك لقاتلناك ، فإنه لا حاجة لنا إلى معاداة كسرى ، ولا طاقة لنا به » « غير أن بنى رواحة بن قطيعة بن عبس قالو : إن شئت قاتلنا معك ، لمنة كانت له عندهم ، قال ما أحب أن أهلككم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى » ، ثم « أتى هانىء بن مسعود [1] فاستودعه ماله وأهله وألف شكة ، ويقال : أربعة آلاف شكة ، والشكة السلاح كله » وهذا قول أبى الفرج فى الأغانى . والطبرى فى تاريخه يقول : « والمقلل يقول : كانت (٤٠٠) درع ، والمكثر يقول : كانت (٨٠٠) » ومضى إلى سيده كسرى « فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيده وبعث به إلى سجن كان له بخانقين فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه » ، وقيل « بل مات فى ساباط فى حبسه » وقيل « ألقاه تحت أرجل الفيلة حتى مات » ، وقيل « لم يزل محبوساً مدة طويلة ، وإنما مات بعد ذلك بحنين قبيل الإسلام » « فلما قتل كسرى النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائى على الحيرة وما كان عليه النعمان » قال أبو الفرج : « وغضبت له (أى للنعمان) العرب حينئذ ، وكان قتله سبب وقعة ذى قار »

والعرب لم تغضب لمصير هذا الأمير المسكين ، ولم يكن قتله سبب تلك الوقعة ، وإنما سببها — إن ثبتت — « أن كسرى بعث إلى إياس : أين تركة النعمان ؟ قال : قد أحرزها فى بكر ابن وائل . فأمر كسرى إياسا أن يضم ما كان للنعمان ، ويبعث به إليه ، فبعث إياس إلى هانىء أن أرسل إلىّ ما استودعك النعمان من الدروع وغيرها ، فأبى هانىء أن يسلم خفارته ، فلما منعها غضب كسرى ، وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل ، وعنده يومئذ النعمان بن زرعة التغلبى ، وهو يحب هلاك بكر بن وائل فقال لكسرى :

يا خير الملوك ، أدلك على غرة بكر ؟

قال : نعم

قال : أمهلها حتى تقيظ ، فإنهم لو قد قاظوا تساقطوا على ماء لهم يقال له : (ذو قار) تساقط الفراش فى النار ، فأخذتهم كيف شئت ، وأنا أكفيكهم . فترجموا له قوله (تساقطوا تساقط الفراش فى النار) فأقرهم

---

(١) الدرفس : العلم الكبير ، ودرفس حل العلم الكبير ، نقله الصاغانى عن ابن عباد (التاج) قال البحترى فى سينيته المشهورة التى مطلعها : « صنت نفسى عما يدنس نفسى » :

والمنايا موائل وأنوشر ـ وان يزجى الصفوف تحت الأرض

(٢) الصواب فى الشرطى سكون الراء نسبة إلى الشرطة والتحريك خطأ لأنه نسب إلى الشرط الذى هو جمع (الأساس)

(١) قال أبو عبيدة : قال بعضهم : لم يدرك هانىء بن مسعود هذا الأمر (الطبرى)

(قلت) : فاذا لم يدركه هانىء بن مسعود هذا فليكن هانىء ابن قبيصة ابن هانىء بن مسعود حتى يمشى الخبر

وبعث إلى هانئ وجماعته جنوداً عربيين[١] وجنوداً فارسيين ، وكانت تلك الوقعة ، إن كانت

وقد عزوا إلى رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) هذا القول : « هذا يوم (أو ذلك يوم) انتصفت فيه العرب من العجم ، وبي نصروا . أو اليوم انتصفت العرب من العجم » وهم الأخباريون وغير الأخباريين يصوغون كما يحبون ويشتهون

في الأغاني : كانت وقعة ذي قار بعد وقعة بدر بأشهر ، ورسول الله بالمدينة . فلما بلغه ذلك قال : هذا يوم الخ

وهنا شيء يقال : إذا كانت التركة (السابق ذكرها) كما أحصوا (٤٠٠) درع أو (٨٠٠) درع فنحن بين أمرين : إما أن يكون الراوون قد رأوا ما رووا في المنام ، وكثيراً ما بنيت أشياء بل ديانات على المنامات ـ وقصة قسطنطين مشهورة ـ وإما أن يكون كسرى قد جن جنوناً كبيراً حتى يبعث تلك الجيوش وينفق المال الكثير للاستيلاء على حقير .

***

قلت من قبل : إن السبب الحق لغضب كسرى على عامله النعمان مجهول ، ولكن صائغاً بارعاً (لله دره) صاغ لنا خبراً طريفاً غريباً في سبب الغضب ، طرافته وغرابته تدعوان إلى روايته :

« كانت لملوك العجم صفة من النساء مكتوبة عندهم[٢] ، فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة ، فإذا وجدت حملت إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ، ولا يظنونها عندهم ، ثم إنه بدا للملك في طلب تلك الصفة ، وأمر فكتب بها إلى النواحي ، ودخل إليه زيد بن عدي وهو في ذلك القول ، فخاطبه فيما دخل إليه فيه ، ثم قال : إني رأيت الملك قد كتب في نسوة يطلبن له وقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عارفاً ، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة ... فابعثني وابعث معي رجلاً من ثقاتك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبه ... فبعث معه رجلاً جلداً فهماً فخرج به زيد ... حتى بلغ الحيرة ، فلما دخل عليه (على النعمان) ... قال : إنه (يعني الملك) قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصهره ، فبعث إليك فقال : ما هؤلاء النسوة ؟

فقال : هذه صفتهن قد جئنا بها ...

[معتدلة الخلق ، نقية اللون والثغر ، بيضاء قمراء وطفاء كحلاء دعجاء حوراء عيناء قنواء شماء برجاء زجاء ، أسيلة الخد ، شهية المقبل ، جثلة الشعر ، عظيمة الهامة ، بعيدة مهوى القرط ، عيطاء[١] ، عريضة الصدر ، كاعب الثدي ، ضخمة مشاش المنكب والعضد ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبطة البنان ، ضامرة البطن ، خميصة الخصر ، غرثى الوشاح ، رداح الأقبال[٢] ، رابية الكفل ، لفاء الفخذين ، ريا الروادف ، ضخمة المأكمتين ، مفعمة الساق ، مشبعة الخلخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قطوف المشي ، مكسال الضحى ، بضة المتجرد سموعاً للسيد ، ليست بخنساء ولا سفعاء ، رقيقة الأنف ، عزيزة النفس ، لم تغذ في بؤس ، حيية رزينة ، حليمة ركينة ، كريمة الخال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمور في الأدب ، فرأيها رأي أهل الشرف ، وعملها عمل أهل الحاجة ، صناع الكفين ، قطيع اللسان[٣] رهوة الصوت ساكنته ، تزين الولي ، وتشين العدو ، إن أردتها اشتهت ، وإن تركتها انتهت ، تحملق عيناها ، وتحمر وجنتاها ، وتذبذب شفتاها ، وتبادرك الوثبة إذا قمت ، ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست]

... فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان ، فشقت عليه ، وقال لزيد والرسول يسمع : أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟

فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين ؟

فقال له بالفارسية : « كاوان » أي البقر . فأمسك الرسول ، وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به . ثم كتب « النعمان » إلى كسرى :

---

(١) يراجع (يوم ذي قار) في العقد ، وهو في آخر أيام العرب ووقائعها فيه

(٢) أنو شروان أمر باثبات هذه الصفة في دواوينه ، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز . (الأغاني ، الطبري)

(١) طويلة العنق

(٢) في الطبري : القبل

(٣) فلان قطيع اللسان : خلاف سليطه وقطيع الكلام (الأساس) وفي التاج : (امرأة قطيع الكلام إذا كانت غير سليطة) وروى الأساس : قطيع القيام قطيع الكلام تفتر عن ذي غروب خصر والرواية في الأغاني والطبري قطيعة . وقد أشار محققو الطبعة الأخيرة للأغاني إلى ذلك ، وذكروا قول اللسان والقاموس ، ويؤيد البهت فقدان الهاء

٥ ـ نشأة المسرح الانجليزى

[معلومات طريفة كثيرة عن نشأة هذا المسرح]

للأستـاذ دريني خشبة

أشرنا فى الفصل الأول من هذه الفصول عن نشأة الدرامة الإنجليزية إلى المسرح المتحرك (المتنقل) أو ال Pageant ونتكلم فى هذا الفصل عن نشأة الفرق التمثيلية ، ثم عن المسارح البدائية وأول ما عرفت انجلترا منها . وقد قدمنا أن رجال الكنيسة هم الذين اضطلعوا أول الأمر بتمثيل الروايات الإنجيلية والدرامات القديسية ، وأنهم أصحاب الفضل فى تربية الذوق المسرحى وطبعه فى وعى الجماهير حتى انتقل زمام التمثيل من أيديهم إلى أيدى رجال النقابات ، وما قامت به تلك النقابات من مجهود مشكور فى تشجيع المؤلفين والممثلين المحترفين ، ثم نوهنا بما كان لرجال البلاط الإنجليزى والأمراء والنبلاء وأعيان البلاد من فضل فى الأخذ بيد هذا الفن الناشىء ، ومد رجاله بما يفتقرون إليه من المال الذى لا ينجح مشروع بدونه . ولقد نشأ الاحتراف فى المسرح الإنجليزى من ناحيتين ، الأولى هى ناحية صبيان الكنائس الذين كان يتألف منهم الخورس أو المنشدون The Choristers — وقد عنى بتدريب هؤلاء الصبيان على التمثيل منذ نعومة أظفارهم لكى يتفرغوا لأداء الأدوار التمثيلية فى مختلف الروايات خصوصاً بعد أن أصبح إقبال الجماهير على مشاهدة التمثيل إقبالاً رائعاً ، وما حدث نتيجة لهذا الإقبال من استغلال التمثيل استغلالاً اقتصادياً كانت أول موارده تلك المزادات التى أشرنا إليها سالفاً ، والتى كانت تدر على النقابات الأرباح الطائلة . من هنـا رؤى انقطاع هؤلاء الصبيان لهذه الحرفة الجديدة التى جمعت بين شرف العمل وشرف الكسب مع صلتها المتينة بالأدب الإنجليزى الذى كان وما يزال نوط العزة على صدر كل أديب فى انجلترا . أما الناحية الثانية التى نشأ عنها الاحتراف فهى تلك النقابات التى تكلمنا عنها آنفاً . هذا ، وقد تألفت بعد ذلك جماعات من أولئك المحترفين كانت باكورة « الفرق التمثيلية » فى انجلترا ، وكانت كل جماعة تتمتع برعاية أحد النبلاء حتى لا تقع تحت طائلة قانون « المتشردين ! » وذلك لكثرة تقلبهم في البلاد ، وتنقلهم من قرية إلى أخرى ، ولأن الحكومة الإنجليزية لم تكن قد اعترفت بعد اعترافاً رسمياً بهذه الحرفة الجديدة ، فكان أفراد الفرقة من هذه الفرق يجيئون ويروحون تحت اسم : « خدم فلان من اللوردات أو الدوقات أو رجال البلاط ! » حتى يكونوا بنجوة من معاكسات رجال الإدارة (!) ومشاكساتهم ، فهذه فرقة « خدم الأيرل أوف ليستر » ، وتلك فرقة « خدم البلاط الملكى » ، وهذه فرقة « خدم دوق أوف سومرست » ، وهكذا . . . والحقيقة أنه لم تكن ثمة أية علاقة بين هذا الدوق أو ذاك الأيرل ، وبين الفرقة التى انتحلت لنفسها رعايته انتحالا . ولقد كان المسرح الأول الذى تؤدى فيه الدرامة ، هو إما بهو من أبهاء البلاط وإما رواق من أروقة قصور الأمراء أو النبلاء أو عظماء الشعب ، فإن لم يوجد هذا أو ذاك فنى بهو من أبهاء الفنادق ، أو فى أحد أروقة جامعتى

إن الذى طلب الملك ليس عندى ... فلما رجعا إلى كسرى . . . قال للرسول : وما قال ؟

فقال الرسول : أيها الملك ، إنه قال : أما كان فى بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا . فعُرف الغضب فى وجهه ، ووقع فى قلبه منه ما وقع ؛ لكنه لم يزد على أن قال : رب عبد قد أراد ما هو أشد من هذا ثم صار أمره إلى التباب . وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان ، وسكت كسرى أشهراً على ذلك ، وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى أتاه كتابه أن أقبل ، فإن للملك حاجة إليك . فانطلق حين أتاه كتابه ، فحمل سلاحه وما قوى عليه ثم لحق بجبلى طىء . . . »

وقد روى ما نقلنا مختصرين أبو الفرج فى « أغانيه » فى أخبار عدى بن زيد ، ورواه ابن جرير الطبرى فى « تاريخ الأمم والملوك » خبراً تاريخياً لا ريب عنده فيه . وهـذه الأسطورة النعمانية مثل الأسطورة البراقية ، أحدوثة أخت البراق القائلة أو المقوّلة : « ليت للبراق عيناً فترى » القصيدة المثيرة المشهورة

(تم)

أوكسفورد وكمبردج . على أن أبهاء الفنادق كانت أحفل الجميع بالتمثيل المنتظم المستديم – فى جميع أيام الأعياد بالطبع – لأنها لم تكن أبنية خاصة كقصور الملوك أو الأمراء مثلاً ، ولذا كانت أقرب إلى الارتياد الحر وأيسر على أفراد الشعب من غيرها . وكانت فنادق المدينة تبنى كلها فى موضع واحد منها حول ميدان ، أو ساحة كبيرة تنتظر فيها العربات والدواب ، وما إلى ذلك من وسائل النقل والحمل ؛ فكانت شرفة terrasse الفندق الأوسط تستعمل مسرحاً ، ويقف النظارة من أفراد الشعب فى الساحة أو الباحة أو الميدان . أما السَّفْر من نزَّال الفنادق فكانوا أسعد حالاً ؛ إذ كانوا يجلسون فى عظمة وإدلال وأبهة فى شرفات غرفهم فوق الأرائك والكراسى الفخمة ، حيث يطوف عليهم الخدم بالأطايب والأشربات . ولم تكن المناظر المسرحية قد عرفت بعد ، بل كانت تحل محلها «سبورة» ! يكتب عليها بالخط الكبير اسم المنظر الذى يجب أن يتوهمه النظارة توهما ، فيكتب مثلاً : « هـذه قلعة جلوم ! » أو « هنا غابة آردن ! » وهكذا ...

أما كيف أنشىء المسرح الأول فلذلك سبب عجيب مضحك فى آن معاً . . . ويجب قبل إيراده الرجوع قليلاً إلى التاريخ الاجتماعى لانجلترا ، وإلى هذه المصورة التى كانت «مسز جراندى!» رمز الحفاظ والتمسك بأهداب التقاليد والآداب المرعية تتحكم فى المجتمع البريطانى تحكما جباراً لا يسهل الفكاك منه ... ويجب كذلك أن نذكر ذلك الروح الطهرى Puritanism الذى كان يسود الحياة فى المدن الإنجليزية عامة ، ولندن – أم القرى ! – على وجه الخصوص ... ذلك الروح المتزمت الرجعى الذى كان يضيف التمثيل إلى شعبذات المهرجين ومساخر الحواة وأكلة الثعابين وعروض الوحوش ومراقص الدببة والقرود ومصارعى الثيران ، ومن إلى هؤلاء جميعاً من سائر الهاليل (!!) . . . هذا الروح الطهرى هو الذى دفع محافظ لندن إلى محاربة التمثيل والممثلين بالقوانين . . . فأصدر تشريعاً صارما يحظر على رجال النقابات والفرق التمثيلية غشيان أبهاء الفنادق إلا بتصريح خاص – وقلما كانوا يحصلون منه على هذا التصريح – كما حظر عليهم التمثيل فى الميادين والطرقات العامة أو المتنزهات التى ما جمات

فى زعمه إلا للراحة والترفيه عن الشعب اللاغب المتعب من عناء العمل ؛ وكذلك حظر عليهم التمثيل مطلقاً أيام الآحاد . . . ولم يشأ رجال الفرق أن يشاغبوا جبروت هـذا التشريع التعسفى ، بل آثروا السلامة ، وانتقلوا بقضهم وقضيضهم إلى الضفة الجنوبية من نهر التيمس ، حيث لا سلطان لهـذا المحافظ الجاهل ولا لتشريعه الخانق عليهم . وهناك استأجر جيمس بربيدج Burbage (١) قطعة من الأرض فى بلاك فرايرز Blackfriars لمدة إحدى وعشرين سنة وأقام عليها (تركيبة !) من الخشب سنة١٥٧٦ أطلق عليها اسم (التياترو) The Theatre فكان هذا أول المسارح الإنجليزية التى مهدت لأعظم مسارح العالم

ثم أنشىء قريباً من هذا المسرح فيما بعد مسرح الكرتين (الستار Curtain) الذى اشتغل به الشاعر الكبير بن جونسون ممثلاً بسيطاً فى صدر شبابه . ولم يكن الكرتين يتمتع بالسمعة الطيبة التى كان يتمتع بها المسرح الآخر ، بل كانت العلية تصد عنه وتعتبر الذهاب إليه نقيصة أدبية ... والظاهر أنه لم يكن يعرض إلا الدرامات الثانوية « روايات الدرجة الثالثة ! » ، وذلك بالرغم من أنه أخرج درامة شيكسبير الخالدة « روميو وجولييت » سنة ١٥٩٦ . وكانت أجرة الدخول فى هذا المسرح بنساً واحداً يضاف إليه بنس آخر لمن أراد كرسياً فى الأبهاء أو فوق المسرح

ومن المسارح الأخرى التى أقيمت بعد هذين المسرحين الروز « الوردة » والسُّوان « البجعة » ، وقريباً من السُّوان كان يوجد ملعب البير جاردن The Bear Garden حيث كان الناس يستمتعون بمشاهدة عروض الوحوش ، وتقاتل هذه الوحوش نفسها ضد بعضها ... أما مسرح السُّوان فكان يمتاز من مسرح الجلوب المظيم « الذى سيلى وصفه » بما كان فيه من مسرح إضافى لتمثيل الروايات التى من طراز « هملت » ، وحجرة نوم للروايات التى من طراز عطيل حيث تنام ديدمونة ، وكان به شرفة لتمثيل روميو وجولييت ، كما استعملت فيه الستار لأول مرة لقسمة المسرح وذلك لتبديل المناظر . وكان يحتوى

(١) والد ريتشارد بربيدج أحد ممثلى شيكسبير فيما بعد وأحسن ممثلى هملت ولير وعطيل

غرفة للمثلين خاصة تتصل بالخشبة بباب فلا يراهم النظارة حين ينتهون من أداء أدوارهم — ومن الظريف أن حجرة المثلين هذه كانت بأعلى التياترو ! ، وكان لها سلم لولبي لكي لا يشغل حيزاً كبيراً ، كما كانت إلى جانبها حجرة المؤذنين الذين يدقون الطبول إيذاناً ببدء التمثيل . وكان الديوان كبيراً جداً بحيث يتسع لثلاثة آلاف من المتفرجين !

ونعود إلى المسرح الأول ـ التياترو The Theatre فنذكر أنه لما رفض صاحب الأرض تجديد عقد الإيجار ، اضطر بربيدج إلى فك أخشاب مسرحه ونقلها مع جميع أدواته الأخرى إلى الشاطئ الآخر من النهر ، في سوثوارك Southwak ، حيث أنشأ مسرح الجلوب العظيم The Globe سنة ١٥٩٨[1] — وكان عمر شيكسبير إذ ذاك أربعا وثلاثين سنة بينما كان عمره عند إنشاء المسرح الأول اثنتي عشرة سنة فقط

أما هذا المسرح الثاني (الجلوب) ، فقد كان من خارجه سداسي الأضلاع ، أما من الداخل فكان مستديراً ، ولم يكن مسقوفا إلا من فوق أبهائه التي كانت تذكر بأبهاء الفنادق ، وكانت هذه مغطاة بنوع من القش المعروف عندنا بالسمار ، وهو الذي تصنع منه الحصر ؛ أما البت — أي خشبة المسرح ، فقد كان موضعها في الوسط على ارتفاع أربعة أقدام ، ولم تكن حولها مقاعد للنظارة الذين كان شيكسبير يسميهم Groundlings وكان عليهم أن يقفوا طول وقت التمثيل — أما نظارة الأبهاء « البناوير والألواج » فقد كانت لهم مقاعد خشبية ، كما كانت توجد مثل هذه المقاعد أيضاً فوق خشبة المسرح نفسها ، وكان فرق ما بين الواقفين والجالسين هو أن يدفع هؤلاء ستة بنسات أكثر على أن يسمح لهم بشرب الجعة « البيرة » والتدخين بالغلايين . وكانت هذه الطبقة المنتفخة الممتازة تسمى طبقة ال Gallants . وكان منها عدد من الشباب الظريف المثقف يجلس هناك مجلس الصحافي المسرحي ، لينقد المناظر والإخراج وأداء المثلين في فترات الاستراحة بين الفصول . وكان التمثيل يبدأ عادة حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر ، وكانت تسبقه ثلاث دقات تنبيهية بالطبلة النحاسية « الترمبيته » وكانت البرامج تطبع بالمداد الأحمر إذا كانت التمثيلية مأساة ، وإلا فبالمداد العادي . ولم تكن هناك أية مناظر في أول الأمر . ولم تكن ثمة أية عناية بالتوزيع الضوئي . وكانت السبورة أو لوحة الإعلانات Placard تقوم مقام المناظر بكتابة أسمائها عليها كما ذكرنا . ولشارلز لامب في ذلك تسجيل أدبي رائع من شعره الظريف . وكانت الأدوار النسائية تسند إلى ولدان من ذوي الجمال في الجسم والوجه والصوت . وكان لكل فرقة بهلول « بلياتشو ! » يشمبذ في فترات الراحة بين الفصول ، فكان أحياناً يغني أو يُشهّر ببعض الشخصيات التي يثير التشهير بها كثيراً من الضحك بين النظارة ، كما كان يعلق بأسلوب فكه على أهم حوادث اليوم . فإذا انتهى المثلون من آخر فصول الدرامة اجتمع كل أفراد الفرقة في ركن من أركان المسرح ، ثم ركعوا تحية للملك والملكة ، وهو ما يشبه السلام الملكي اليوم ...

هذا ، وقد بُدىء باستعمال المناظر المتحركة بعد النهضة الأصلاحية ، وكان الفضل في استعمالها للسير وليم دافننانت Davenant ، وكذلك حل النساء محل الولدان في تمثيل الأدوار النسائية سنة ١٦٦١ . ذاك وقد كان لكل مسرح من المسارح الإنجليزية علامة مسجلة ؛ فعلامة الجلوب صورة للبطل اليوناني الخرافي الجبار هرقل حاملاً بيديه المريدتين كرة أرضية ، وكان على مقربة من الجلوب مسرح البلاك فرايرز ، وكان شيكسبير يؤلف دراماته لهذين المسرحين خاصة ، كما كان يساهم في التمثيل وفي الأرباح على السواء . وقد كان الجلوب هو المسرح الصيفي ، أما الآخر فكان مسرح لندن الشتوي العتيد ، وبذلك امتاز عن الجلوب الذي كانت المسارح الأخرى تنافسه منافسة شديدة ، ولا سيما مسرح الفورشون « الحظ » الذي أنشىء سنة ١٥٩٩ لمنافسة شيكسبير . وكانت كل هذه المسارح الصيفية ما عدا الفورشون قائمة وسط مستنقعات كبيرة ، وكان المتفرجون يصلون إليها فوق جسر طويل . وقد حدث في سنة ١٦١٣ أن شب حريق كبير التهم المسرح العتيد كله ، ولم يلبث صاحبه أن جدده في السنة التالية ، وقد انتهز الفرصة فاستبدل بالخشب الملاط ، وبقش السمار الإردواز ، واصطنع خشبة

(١) خالف تشارلز هيستنجز كل الروايات فذكر أنه أنهى سنة ١٠٩٢

المسرح من ألواح السنديان ، كما خص الممثلين بغرفة كبيرة خلفية يستجمون فيها ، وزاد فى عدد الأبهاء « البناوير » فجعلها ثلاثة صفوف بدل صف واحد . وقد كلفه المسرح الجديد ثمانين وثمانمائة من الجنيهات قيمتها الآن ثمانية آلاف . ذلك وقد كثر عدد المسارح فى أواخر عهد الملكة اليزابث داخل لندن نفسها ، فكان ثمة مسرح الكوك بت أو الفورنكس ومسرح الردبول Red Bull ... الخ . وقد أحصيت هذه المسارح فكانت أحد عشر مسرحاً . على أن المنافسة الشديدة الحق كانت بين اثنين منها فقط ، وهما : الجلوب وكان تحت رعاية اللورد تشمبرلن ، والفورشون وكان تحت رعاية اللورد أدميرال ؛ وكانا كلاهما يتمتعان برعاية الملك المباشرة . وكان من هذه المسارح ما هو خاص وما هو عام . وكانت الهيئة التى تشرف على المسارح الخاصة ، مثل الكوك بت والسالسبرى والبلاك فرايرز ، هيئة منتقاة يراعى فى اختيارها شرائط لا داعى لذكرها هنا . وكانت المسارح الخاصة على العموم أصغر بكثير من المسارح العامة كالجلوب والفورشون والرد بول ، كما كانت مسقوفة دائماً ليستمر التمثيل فيها طول العام ، بعكس المسارح العامة التى كانت مكشوفة الوسط لاتساعها ، ولم يكن يستمر التمثيل بها غير أشهر الصيف ، من ثلاثة أشهر إلى خمسة . أما فى الشتاء ، وهو سبعة أشهر تقريباً ، فقد كان الضباب الكثيف يحول دون التمثيل فيها ، خصوصاً والمشاعل لم تكن قد استعملت بعد . وقد اقتبست المسارح الإنجليزية فى أوائل القرن السابع عشر وسائل المسرح الفرنسى الآلى فى إخراج المناظر المختلفة . وكانت وسائل فجة غير رائعة ، وكانت تستعمل فى إبراز الغابات أو القصور أو المدن ، كما أخذت عن المسرح اليونانى القديم طريقة الستار الأسود فى أقصى المسرح إذا كانت التمثيلية مأساة . . . على أن هذا النقص فى الإخراج كانت تستره مكتبة المسرح ، إذ كان لكل مسرح مكتبة محترمة تتألف من أصول الدرامات التى يقوم بعرضها ، ثم من مئات من أمهات الكتب التاريخية والمسرحية والأدبية ، ولم تكن المكتبة حبساً على الممثلين ، بل كان الشعب ينال منها نصيباً لا بأس به من الاطلاع . وقد تضاعفت هذه المكتبات بعد نشاط الطباعة وتقدم وسائلها الحديثة ، وصار المؤلفون المسرحيون يعنون بطبع دراماتهم والوقوف على طبعها بأنفسهم . ولم يكن أحسن مسارح لندن يشترى من أحسن هؤلاء المؤلفين حق تمثيل إحدى دراماته بأكثر من ثمانية جنيهات (تساوى الآن ثمانين !) ، وكان أصحاب الفرق يستغلون المؤلفين استغلالا دنيئاً ، فكان المؤلف الفقير يقترض بن مدير إحدى الفرق مبالغ تافهة على أن يقدم بها درامة أو درامتين ، فإن عجز عن السداد دخل الربا بين الطرفين ، وظل المؤلف مستعبداً إلى الأبد . على أن عدداً قليلاً من المؤلفين استطاع أن يقف من هؤلاء الدبرين موقفاً حازما ، إذ استطاعوا أن تكون لهم حصتهم فى ميزانية المسرح ، وعلى رأس هؤلاء مارلو وبن جونسون وشيكسبير

وكان النساء محرومات من غشيان المسارح بادىء الأمر ، فلما خفت وطأة المسز جراندى ، أخذن فى الاختلاف إليه حتى أصبحن عنصراً هاما فيه ... ممثلات ونظارة !

« يتبع » دريني خشبة

المشكلات

٧ – اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لقد استغللنا ما استنبطناه من علم يتعلق بتعليم اللغة فى تعليم اللغة العربية وفى تعليم اللغة الإنكليزية وفى تعليم اللغة الفرنسية وأصبح فى استطاعتنا أن نتقى الأخفاق فى تعليم اللغة الإنجليزية والفرنسية ، وأن نتقى هذا الرسوب الذى يمنى به تلاميذنا فى آخر كل عام دراسى فى هاتين اللغتين والذى يبلغ فى بعض السنين ٧٨٪ ووهبنا للتلاميذ أعماراً بقدر الأعوام التى وقيناهم فيها الرسوب والتى كانوا يرسبون فيها لو لا أخذهم بهذا المنهج الجديد ، ونفينا عنهم وعن أهليهم ذلك الحزن الذى كان يستولى عليهم فى آخر كل عام دراسى بهذا الرسوب . ووفرنا على أهليهم تلك الأموال التى كانوا ينفقونها فى إعادة الأعوام التى رسبوا فيها . ومن ذلك يعلم أن الباب الواحد من العلم إذا استغله أهلوه كان عظيم البركة جليل النفع ، وربما كان أجدى على الأمة والأفراد من كثير من الخيرات المادية

ولسنا نستغل هذا الباب من العلم فى تعليم اللغات فحسب بل سنستغله فى كثير من مشكلاتنا الأخلاقية والاجتماعية والسياسية فيرى كيف يعظم نفعه ، وتجل بركته ، وكيف يجلب من الخير ما لا يدركه الوهم ، ولا يحصيه العد

وهذا وأمثاله هو الذى جعلنى أومن بالعلم وأعظمه وأجله ، وأرى أنه ما من خير للأفراد والأمم إلا وهو مصدره ، وما من شر يصيب الأفراد والأمم إلا وللجهل يد فيه ظهرت أو خفيت

* * *

لعل قائلاً يقول : إنك آمنت بالملكة فى كسب اللغة العربية إيماناً لا تزعزعه الشكوك ، وظننت أنها تفيد فى كسب العربية كما تفيد فى كسب اللغة الإنجليزية والفرنسية ، ولم تفطن إلى ما بين اللغة العربية وسائر اللغات من فارق

إن اللغة العربية كثيرة الأحكام ، متشعبة الفروع ، فلا تستقل الملكة بضبط هذه الأحكام الكثيرة ، ولا يضبطها إلا العلم المفصل بالقواعد والقوانين ، وسأضرب مثلاً (لا) العاملة عمل إن ، فإن شرط عملها هذا العمل :

١ — أن تكون نافية

٢ — وأن يكون النفى الجنس

٣ — أن يكون نفيه نصاً

٤ — ألا يدخل عليها جار

٥ — أن يكون اسمها نكرة

٦ — أن يكون متصلاً بها

٧ — أن يكون خبرها نكرة ـ فإن كانت غير نافية رفع ما بعدها ، وإن كانت لنفى الوحدة عملت عمل ليس نحو لا رجل قائماً بل رجلان ، وإن دخل عليها الخافض خفض ما بعدها نحو جئت بلا زاد ، وإن كان الاسم معرفة أو منفصلاً منها أهملت نحو لا الدار دار ولا الجيران جيران ، ونحو لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون

هذه أحكام كثيرة ولا يسعف بها إلا معرفة القواعد ، فأما الملكة فلا تستطيع الاهتداء إلى هذه التفاصيل

ونحن نقول لهذا القائل إنك أسأت الظن إذ ظننت أن الملكة لا تهتدى إلى الفروق الخفية والدواخل المتشعبة ، إنها أهدى من القطا ، وإن الإنسان يطمئن إليها فى الهداية إلى ما يشتجر من الأحكام . إنها تهدى المرء إلى الصواب الجارى على القواعد وإن لم يعرف القواعد . أنظر إلى الهمزات فى علم الرسم كيف يكتب المرء يئد على ياء ، ويأمن على ألف ، ويؤمن على واو ، تهديه ملكته التى اكتسبها بالمرانة والتكرار وإن لم يعلم القاعدة أو لم يستحضرها

وكذلك الألفات ما يكتب منها ألفاً وما يكتب منها ياء ، فيكتب المرء رمى بالياء ودعا بالألف كأن فى منطقة اللاشعور فيناً عالماً يعلم أن رمى أصلها الياء فتكتب ياء ، ودعا أصلها الواو فتكتب ألفاً ، ويكتب أغزى بالياء كأن عالماً فينا يعلم أنها وإن كان أصلها الواو إلا أنه لما قيل فيها أغزيته كتبت ياء

يعجب المرء كيف تهدى الملكة إلى الحق كأنما تستملى

من قواعد مكتوبة ، وتمتاز الملكة عن القواعد بالسرعة التي لا يبلغها الرجوع إلى القواعد . ولقد بلغ من اهتداء الملكة أنها تكتب المطرد على حسب القاعدة ، والشاذ على ما قيل من شذوذ، فهي تكتب داود بواو واحدة ، وتكتب بعمرو بواو بعدها ، وتكتب مائة بألف زائدة وإن لم تكن في هجائها

فإذا كانت هداية الملكة ما ذكرنا في الكتابة فلا عجب أن تهدى مثل هذه الهداية في الكلام

قال أبو الفتح عثمان بن جنى م ٣٩٢ فى كتابه الخصائص : سألت الشجرى يوما فقلت له : يا أبا عبد الله ! كيف تقول : ضربت أخاك ، فقال : كذاك . فقلت أفتقول ضربت أخوك ؟ قال لا أقول أخوك أبداً . قلت : فكيف تقول ضربني أخوك ؟ فقال : كذاك . فقلت ألست زعمت أنك لا تقول أخوك أبداً ؟ فقال : إيش ذا ؟ اختلفت جهتا الكلام . نقل أبو الفتح هذه الحكاية فى باب عنوانه أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها . واستدل بها على أن العرب كانت تعرف قواعد النحو والصرف ، ورأى أن ما قاله الأعرابى نظير قول النحاة : صار المفعول فاعلاً

وليس ما ذهب إليه ابن جنى من الاستنتاج صحيحاً ، فهذا العربى لم يكن يرجع إلى قواعد ، وإنما كان يرجع إلى ملكته يستشيرها ويستهديها فنبت ملكته عن ضربت أخوك ، ولم تنب عن ضربني أخوك ، كما تنبو ملكة الكاتب عن كتابة الهمزة فى يئد بالواو وفى يؤمن بالياء ، وإن لم يعرف القاعدة ولم يستشرها

لعلنا بذلك قد طمأنا الذين يشفقون على اللغة من أن يكلوها إلى الملكة ، ويرون أن الملكة لا تكفى هادية ، لأن مذاهب العربية مختلطة متشعبة قريب بعضها من بعض ، لا يفرق بينها إلا العقل الواعى والعلم البصير . وقدمنا من الأدلة ما يدل على أنهم إذا وكلوها إلى الملكة فقد وكلوها إلى حفيظ أمين

فليتأمل هؤلاء الذين يصدون — أو سيصدون — عن طريقتنا فيما نحاول ، أننا نحاول كسباً جديداً للغة العربية ، فبدل أن نقتصر على علم قواعدها تكون لنا ملكة وهيئة راسخة من هيئات نفوسنا وجزءاً من كياننا ، وتكون هذه الملكة دعامة لفهم اللغة وتذوقها ، ولفهم قواعدها وأصولها دون جهد أو عناء

ليعلم هؤلاء الذين يحبون النحو والصرف وقواعد البلاغة ، أننا نحب النحو والصرف وقواعد البلاغة أكثر منهم حين ندعو إلى تعليم اللغة بأسلوب يكون ملكة اللغة فى نفوس المتعلمين ، لأننا نريد أن نجعل قواعد النحو والصرف والبلاغة فوق العلم بها ملكات لنا مختلطة بلحومنا ودمائنا غائصة فى أعماق نفوسنا وداخلة فى منطقة اللاشعور فينا

لقد ظفرت اللغة العامية مع عدم الاحتفال بها والعناية بتعلمها بأن صارت ملكة فى النفوس ، فغلبت اللغة العربية التى لم تظفر بذلك إلى الآن ، وكانت لغة البيت والشارع والمدرسة ولغة الدرس والخطاب ولغة الأغانى والمسرح والخيالة ، وليس للغة العربية حظ فى شىء من ذلك إلا أنها لغة الكتابة ، والذين يكتبون بها قليل ، وهذا القليل لم يكتسب الكتابة من القواعد وتعلمها ، إنما اكتسبها من طريق الحفظ والقراءة وتذوق الكثير من بليغ المنثور والمنظوم ومن مزاولة الكتابة والكلام بها ، حتى اكتسب نماذج ذهنية فى نفسه ومناطق اللاشعور فيه ، يتكلم على مقتضاها ، وينسج على منوالها ، فلم لا نسعى لرفع اللغة العربية من مجالها الضيق المحدود إلى المجال الواسع غير المحدود ؟

لم نتركها خافتة ضئيلة النفوذ محدودة السلطان بعيدة عن الجماهير وعن كثير من الخاصة لاتعرفهم ولا يعرفونها مقصورة على طبقة قليلة من خاصة الناس ؟

إنما أريد بما أعرض من هذا التوجيه الجديد أن ننقذ اللغة العربية من سيطرة العامية وأن نوسع دائرة نفوذها فى شؤون الحياة

يا سبحان الله ! أيعلم كل صانع فى الدنيا أنه لا يحذق المتعلم صنعته إلا بالمرانة والتكرار ، فلا يكتفوا بإلقاء القواعد للمتعلمين وحفظها بل يأخذوهم بالدربة والمرانة على أعمال صنعتهم الجارية على حدود قواعدها ، حتى يحذقوا صناعتهم ، ولا يعلم ذلك رجال العلم فى بلاد الشرق منذ آماد طويلة ، فاكتفوا فى تعليم اللغة بدراسة قواعدها ورأوا تلك السبيل المثلى فى تعلمها ، وأنها تفيد الطالب الناشىء ، وتجعله قادراً على التعبير بها فى صحة وإتقان ! ومن عجب أن إخفاق القرون فى هذه السبيل لم يصرفهم عنها ليبحثوا عن منهج أسد ، وطريق أقوم .

محمد عرفه

٤ ـ الاسلام والفنون الجميلة

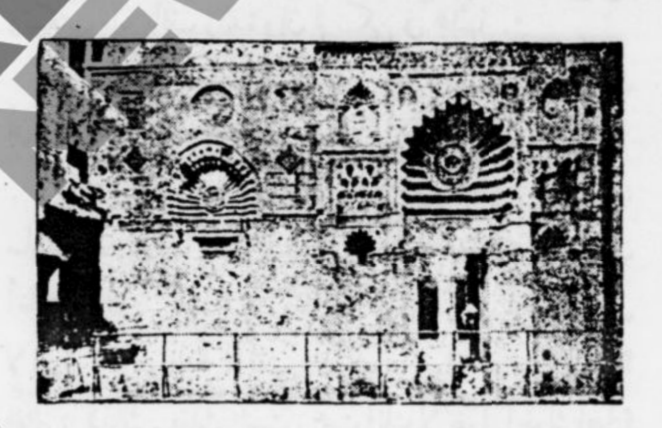
للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

ولقد دفع الإسلام بمعتنقيه إلى العناية بفن العمارة بطريق غير مباشر ، إذ وصف الله فى كتابه العزيز جنات النعيم التى أعدها للمتقين من عباده وصفاً شيقاً لعله كان مبعث الوحى للمسلمين فيما شيدوه من عمائر : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، نعم أجر العاملين) ، (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار ...) . فما كادوا يفتحون الأمصار ويرون ما بها من آثار حتى أقبلوا على البناء فأقاموا قصوراً شاهقة ، رشيقة التكوين ، موزونة الأبعاد ، منمقة الجدران ، ضاع معظمها ، ونفضت معاول علماء الآثار الأكفان عن بعضها ، وأفلت منها من يد الدهر ذلك القصر العظيم الذى شيده بنو الأحمر فى الأندلس ، وهو بغرفه الفسيحة الرائعة ، وقبابه الرشيقة العالية ، ومياهه الرائقة الجارية ، وجناته ذات القطوف الدانية ، خير شاهد على ما تقدم



تربيعات من الخزف كانت تزين باب سبيل من عهد السلطان قايتباى — نقلا عن فهرس مقتنيات دار الآثار العربية تأليف مكس هرتس بك

وما كان للمسلمين وقد سكنوا تلك القصور الرائعة ليقفوا بمساجدهم عند حد البساطة التى كانت عليها فى أيام الإسلام الأولى ، بل تذكروا قول الله عز وجل : (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) . فأقبلوا على المساجد يشيدونها ويزخرفونها إجلالاً لها وتعظيما لقدرها ، وبعداً بها عن مواطن الاستهانة إذا ما قورنت ببيوتهم أو بمعابد اليهود وكنائس المسيحيين . ولبس مسجد المدينة على يد الخليفة الثالث عثمان ابن عفان حلة فخمة خلعت عليها يدُ صناع الحسن والبهاء ،



واجهة الجامع الأقمر بالقاهرة — من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك لمحمد عبد العزيز مرزوق

وأقبل عمر بن عبد العزيز على تزيينه وتحسينه ، وكذلك فعل خلفاء المسلمين من بعدهما ، وكذلك فعل الأمراء والأغنياء فى كافة العالم الإسلامى ، إذ رصعوا جوانبه بمساجد هى آية من آيات الجمال الفنى



جزء من وعاء من الخزف — من رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية للمرحوم الأستاذ حسن الهوارى

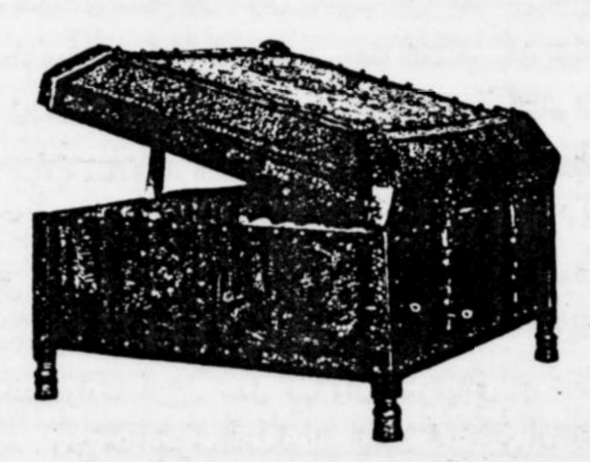
ولقد كان من أثر ذلك أن سار المسلمون بفن العمارة إلى الأمام خطوات واسعة ، ويكفى أن نذكر فضلهم على العالم أجمع فى تحسين القبة — ذلك العنصر المعمارى الذى يعتبر من المميزات

البارزة فى العمارة الإسلامية — فلقد ورث المسلمون القبة عن الأمم السابقة عليهم من مصريين وعراقيين ورومان ، ورثوها صغيرة ساذجة بسيطة محدودة الاستعمال ، وردوها إلى العالم كبيرة معقدة جميلة ، وارتقوا بها فى مدارج الرقى ، وتجلت فى إنشائها براعة بنائهم ، وحذق مهندسيهم ومهارة فنانيهم ، وأكثروا من استعمالها حتى لقد أصبحت من سمات العمارة الإسلامية .

***

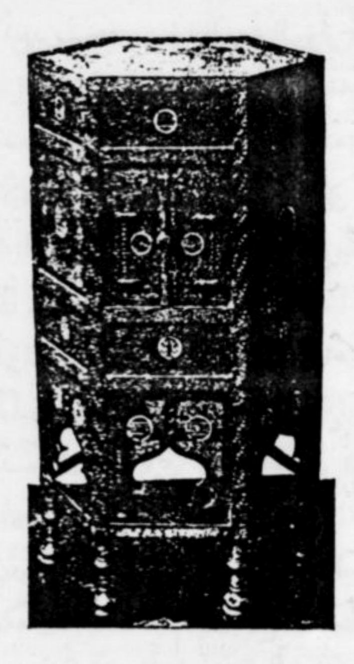
رأينا إذن كيف أثر الدين الإسلامى ببعض توجيهاته الإيجابية فى فنون الخط والزخرفة والعمارة ، وننظر الآن فيما كان لبعض التوجيهات السلبية لهذا الدين من تأثير جلى فى الفنون الجميلة ، فنلمس أثر هذه التوجيهات واضحاً فيما نجم عن تحريم الربا ، وعن كراهية التصوير ، وعن الطريقة التي نظم بها الإسلام استعمال الذهب والفضة والحرير

وليس هناك من شك فى أن تحريم الربا لم يكن له فى صميم الفن أثر مباشر ؛ ولكنه عاون على تقدمه ونضوجه وازدهاره وانتشاره . ذلك لأن هذا التحريم الذى جاء صريحاً فى القرآن



صندوق مصحف من خشب مصفح بالنحاس المكفت بالفضة والذهب — من تربة السلطان الغورى بالقاهرة — نقلا عن فهرس مقتنيات دار الآثار العربية لهرتس بك

« يمحق الله الربا . . . » قد دفع بالمسلمين إلى استخدام الفائض من أموالهم فى توفير وسائل الترف المباح فى حياتهم . ولقد فصلت كتب الأدب والتاريخ حياة البذخ التى كان يحياها الخلفاء والأمراء . ولا يتسع المجال هنا لتفصيل ذلك ، إنما يكفى أن نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر بذخ العباسيين فى بغداد و « سر من رأى » ، وبذخ الطولونيين فى مصر ، والفاطميين فى القاهرة ، وبذخ الأمويين فى قرطبة والزهراء . ولهذا البذخ أبعد الأثر فى تقدم الفنون الجميلة ، فالإقبال على اقتناء التحف والسخاء العظيم فى بذل الثمن لها بعث فى الفنانين والصناع روح



كرسى من النحاس الأصفر من مارستان قلاوون — نقلا عن فهرس مقتنيات دار الآثار العربية تأليف مكس هرتس بك

المنافسة فأخذوا يتبارون فى إتقان مصنوعاتهم ويغالون فى زخرفتها وتجميلها . ومتاحف الفن الإسلامى فى مصر وأوروبا وأمريكا غنية بالكثير من هذه التحف التى هى لسان صدق لما بلغه أجدادنا من المسلمين من رقى الفن وسمو الذوق .

(يتبع)

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

منهج البحث الاجتماعي

للأستـــاذ إميل دوركايم

يقترن اسم إميل دوركايم Emile Durkheim بعلم الاجتماع؛ فهو الذي أخرجه في صورته الجديدة التي هو عليها الآن، وجعل منه علماً مستقلاً له منهج مستقل لا يعتمد على العلوم الأخرى ، بعد أن كان العلماء يعتمدون في تفسيرهم للظاهرات الاجتماعية على أحد منهجين : إما المنهج البيولوجي الذي وضعه هربرت سبنسر في انجلترا ، وهو ينظر إلى المجتمع على أنه كائن حيوي يمكن تفسير ظاهراته تفسيراً حيوياً يعتمد على علم الحياة وعلم وظائف الأعضاء ؛ وإما المنهج السيكولوجي ، ومن أكبر أنصاره تارد Tarde الفرنسي الذي يفسر المجتمع بغريزة التقليد . أما دوركايم فقد جعل علم الاجتماع موضوعاً قائماً بذاته لا يعتمد في تفسير ظاهرات المجتمع على غير هذه الظاهرات نفسها ، فجعله بذلك علماً في مصاف العلوم الأخرى من جهة الموضوع والمنهج ؛ وقد كتب دوركايم كتابه الشهير « قواعد المنهج الاجتماعي Les Règles de méthode sociologique » يبين فيه طبيعة العلم والمنهج الذي يجب اتباعه في دراسته ، ثم لخص ذلك كله في مقالته : « علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية Sociologie et Sciences Sociales التي نشرت في كتاب مناهج البحث في العلوم De la methodes dans les sciences وهي التي نقدم لقراء الرسالة تلخيصها .

تناول دوركايم موضوعه من الناحية التاريخية مبيناً نشأة علم الاجتماع وتطوره ، ثم قسم العلم إلى الأبواب التي يدرسها ؛ وأخيراً بين المنهج المتبع في الدراسات الاجتماعية ، وهو منهج يعتمد عند دوركايم على التاريخ والإحصاء ؛ لا كعلمين بل كطريقتين للبحث العلمي

أولا : من الناحية التاريخية

إن أحسن وسيلة تتبع في دراسة علم من العلوم التي لا تزال حديثة مثل علم الاجتماع ، لتوضيح طبيعته وموضوعه ومنهجه ، هي الرجوع إلى الوراء لنبين كيف ابتدأ وكيف تطور ... لقد كان أوجست كونت Auguste Conte أول من وضع لفظ « سسيولوجيا Sociologie » في القرن التاسع عشر قاصداً به علم المجتمعات ... فالاصطلاح إذن جديد والعلم جديد ، وإن كان هناك دراسات نظرية عن الموضوعات السياسية والاجتماعية وجدت قبل كونت : في « جمهورية » أفلاطون و « سياسة » أرسطو ، وكتابات كامبانيللا وهوبز وروسو وكثيرين غيرهم . ولكن هذه الدراسات كلها تختلف اختلافاً جوهرياً عما يصدق عليه الاصطلاح الجديد . إنها لم تصف ولم تفسر المجتمعات على ما هي عليه ، ولكنها كانت تبحث عما يجب أن تكون عليه تلك المجتمعات ؛ بينما علم الاجتماع يدرس المجتمعات على ما هي عليه في الواقع ليعرفها ويفهمها كما هي مثلما يفعل الفيزيقي ، والكيميائي ، والبيولوجي ، في دراستهم للظاهرات الفيزيقية والكيميائية والحيوية . فعلم الاجتماع إذن لا يريد إلا أن يعين الظاهرات التي يتناولها بالبحث وأن يكشف عن القوانين التي تنتج بمقتضاها هذه الظاهرات دون أن يهتم بالناحية العملية أدنى اهتمام

وعلم الاجتماع الحديث يفترض أن المجتمعات تخضع لقوانين معينة ؛ وأن هذه القوانين تصدر بالضرورة عن طبيعة تلك المجتمعات وتعبر عنها . وكان تكوين هذا التصور بطيئاً ، فقد كان الناس يظنون أن ليس ثمت شيء - حتى الجمادات نفسها والمعادن - يخضع لقوانين معينة ، بل إن كل شيء يمكنه أن يتخذ أي شكل كان ، وأن يكتسب كل الخصائص الممكنة ما دام هناك قوة كافية لذلك . ونفس هذا التفكير كان يسيطر على عالم الظاهرات الاجتماعية . والواقع أنه لما كانت تلك الظاهرات الاجتماعية معقدة تمام التعقيد ، كان من الصعب أن ندرك النظام الذي يمثلها ، وبذلك ظن الناس أن ليس ثمت نظام بينها ، وأن كل شيء ممكن في الحياة الاجتماعية . أليست الظاهرات الاجتماعية تتعلق بنا نحن أفراد المجتمع ، وبنا وحدنا ؟ وإذن يمكننا بإرادتنا أن نعدل فيها وأن نصوغها في أي شكل نريد . ومن هنا انصرف التفكير إلى البحث عما يمكن أن نفعله كيما نصوغها في أحسن صيغة ممكنة ... ولكن في القرن الثامن عشر ابتدأ الناس يرون أن « المملكة الاجتماعية » لها قوانينها الخاصة ككل « ممالك الطبيعة » الأخرى ؛ فأعلن مونتسكيو Montesquieu أن « القوانين هي العلاقات الضرورية التي تستخرج من طبيعة الأشياء » ، وقوله هذا ينطبق على « الأشياء الاجتماعية » انطباقه على جميع الأشياء الأخرى .

ثم جاء كوندرسيه Condrcet فأراد أن يضع النظام الذى يسير على رأيه التقدم البشرى ، وأن يرسم أحسن حالة توضح أن ليس ثمت شىء يحدث عرَضاً أو يأتى اعتباطاً ، بل إن كل شىء يحدث حسب علل معينة . وفى نفس الوقت كان الاقتصاديون يرون أن ظاهرات الحياة الصناعية والتجارية يسيطر عليها قوانين خاصة تسير بحسبها . مع أن هؤلاء المفكرين كانوا يمهدون السبيل للفكرة التى يرتكز عليها علم الاجتماع الحديث ، فإن فكرتهم عن قوانين الحياة الاجتماعية كانت لا تزال غامضة مبهمة ؛ فهم لم يقولوا — ولم يريدوا أن يقولوا — إن الظاهرات الاجتماعية تسير فى تسلسل وارتباط حسب علاقات علّية ـ علاقة معلول بعلته ـ وأن تلك العلاقات محددة ثابتة لا تتغير كما هو الحال فى العلوم الطبيعية . فكانوا يرون أن الإنسانية يمكن أن تنقلب من حال إلى حال بدون استثناء

ولكن فى القرن التاسع عشر ظهر فهمٌ جديد على يد سان سيمون أولاً ثم — على الخصوص — على يد أوجست كونت : فقد استعرض كونت فى كتابه المعروف « دروس فى الفلسفة الوضعية Cour de Philosophie Positive جميع العلوم فى عصره ، فرأى أنها تقوم على أن الظاهرات التى تعالجها تربطها علاقات ضرورية ، وأنها ترتكز على مبدأ الجبرية detérminisme ، فذهب إلى أن ذلك المبدأ الذى يتحقق فى جميع ممالك الطبيعة من أول مملكة الرياضيات ، حتى مملكة الحياة يجب أيضاً أن يتحقق فى المملكة الاجتماعية[(١)] ، وبذلك ذهب المفكرون فى أيامه عن النظر إلى المجتمعات كنوع من المادة المائعة المطاطة التى يمكن للانسان تشكيلها كيفما أراد ؛ وإنما هى حقائق ووقائع لا يمكن تغييرها إلا بمقتضى القوانين التى تسيطر عليها وتوجهها . وعليه فإن نظم الأمم المختلفة مثلاً لا يمكن اعتبارها نتاجاً لإرادة الأمراء والحكام والمشرعين بل على أنها نتائج ضرورية لعلل معينة . فنحن نجد أنفسنا إذن أمام نظام للأشياء ثابت معين ، وأمام علم يقوم لوصف هذا النظام

(١) صنف أوجست كونت العلوم متتبعاً الأدوار المختلفة التى مرت بها المعرفة الانسانية ، فرتبها هكذا : الرياضة ثم الفلك فالطبيعة فالكيمياء فالبيولوجيا وأخيراً علم الاجتماع . وكل علم من هذه العلوم يعتمد على ما يسبقه من علوم ، وكل علم أبسط من العلم الذى يليه وأوسع منه ميدانا . فعلم الاجتماع إذن أعقد العلوم وأضيقها ميدانا ، لأنه لا يدرس إلا المجتمعات البشرية ، بعكس الرياضة مثلا ، فميدانها واسع وتتدخل فى كل شىء ولا تعتمد على غيرها . وأسمى كونت هذا التصنيف « تسلسل العلوم » La Hierachie des Sciences

وتفسيره وتبيين خصائصه وإظهار أى العلل تعتمد عليها هذه الخصائص . وهذا العلم نظرى بحت ليس للجانب العملى فيه أى دخل ؛ وهو علم الاجتماع . وكان أوجست كونت يسميه أولاً بالفيزيقا الاجتماعية La Physique Sociale كما يبين العلاقات التى تربطه ببقية العلوم الأخرى[(١)]

ولكن ، لا يعنى ذلك أن المجتمع خاضع لنوع من القدرية fatalisme لا يمكن الإفلات منها ، وأن الناس لا يمكنهم أن يعدلوا من مجتمعهم وبذلك لا يمكنهم أن يؤثروا قط فى تاريخ بلادهم ؟ الواقع أن لا ؛ فإن العلوم الوضعية كلها تخضع لمبدأ الجبرية دون أن يمنع ذلك من وجود تغيرات فى كل منها : فعلم الطبيعة مثلاً لا ينكر وجود تغيرات فى ميدانه الخاص ، ولكن تلك التغيرات تكون حسب قوانين موضوعه الخاصة . وعلم الاجتماع قبل كل شىء أعقد العلوم الوضعية كلها ، وإذن فمجال التغيرات فيه أوسع من أى منها . وهو لا ينكر وجود تغيرات وتعديلات فى المجتمع ولكن الذى ينكره هو ألا تكون هذه التعديلات متمشية مع طبيعة قوانين المجتمع . وهو يرفض الفكرة القديمة فى أن المشرعين يمكنهم أن يغيّروا المجتمعات حسب أهوائهم من نوع إلى نوع آخر مختلف عنه تماماً دون مراعاة العادات والتقاليد والبناء العقلى لأفراد المجتمع وهكذا .

وقد اعترض البعض على علم الاجتماع بأنه لا يتميز عن علم النفس ، بينما كان من شرائط العلم الحقيقى أن يكون قائماً بذاته لا يختلط موضوعه بموضوعات العلوم الأخرى . وما دام المجتمع لا يتكون إلا من الأفراد ، فعلم المجتمعات إذن لا يتميز عن علم الأفراد أى علم النفس ، ولكن لو صح هذا الاعتراض لوجب توجيهه إلى علم مثل علم الحياة (البيولوجيا) فهو — حسب هذه النظرة — ليس إلا جزءاً من علم الطبيعة والكيمياء ؛ لأن الخلية الحية مركبة من ذرات من الكربون والأزوت وغير ذلك ، وهنا تدرسها الكيمياء العضوية ... الواقع أن هؤلاء المعترضين ينظرون إلى الكل نظرتهم إلى الأجزاء التى يتكون منها ، بينما الأجزاء متى تدخل فى الكل تفقد خصائصها الجزئية وتظهر بدلاً منها خصائص أخرى لا توجد فى الجزئيات . هكذا الحالة فى الخلية التى يدرسها علم الحياة . وهكذا الحال

(١) وضع كونت لفظ Sociologie بدلا من La Physique Sociale فى عام ١٨٨٣ . والسبب الذى دعاه إلى هذا التبديل هو ـ كما يذكر فى الدرس السابع والأربعين من « دروس فى الفلسفة الوضعية » أنه لاحظ من العلماء تطفلا غريباً على الاصطلاح القديم واستعمالهم إياه بكثرة وفى غير ما وضع له

هلال شـــوال

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

مَنِ الأَحْدَبُ النَّشْوَانُ طافَ العَوَالِمَا
وأَوْمَأَ إلى الشَّرْقِ الْمُهَلِّلِ بَاسِمَا ! ؟

يَدِبُّ عَلَى سَاقٍ مِنَ النُّورِ لَمْ تَدَعْ
عَلَى الأَرْضِ رُكْناً مُظْلِمَ الأُفْقِ وَاجِمَا

وَيَمْشِي كَمَا يَمْشِي نَبِيٌّ مُبَشِّرٌ
يُوَخِّي يُزَفُّ الْخَطْوَ كَالطَّيْفِ حَالِمَا

وَيَرْنُو كَمَا يَرْنُو إلى اللهِ عَابِدٌ
يَكَادُ مِنَ الإِصْغَاءِ يُحْسَبُ نَائِمَا

لَهُ قَامَةٌ أَحْنَتْ يَدُ الدَّهْرِ عُودَهَا
فَهَلْ كَانَ شَيْخاً مِنْ حِمَى الْخُلْدِ قَادِمَا ؟

تَحَرَّرَ ، وَاسْتَعْلَى ، وَأَقْبَلَ ، وَانْثَنَى
فَلَوْ كَانَ إِنْسَاً قُلْتُ : حَيْرَانَ ، نَادِمَا !

يَشُقُّ عُبَابَ الْجَوِّ ... لاَ بَحْرَ عِنْدَهُ
وَلاَ شَطَّ ! لكِنْ يَذْرَعُ النُّورَ هَائِمَا ...

هَفَا طَرْفُهُ فِى الغَرْبِ وَجْدًا ! كَأَنَّهُ
يُرِيدُ انْبِثَاقَ النُّورِ لِلشَّرْقِ دَائِمَا ...

أَطَلَّ رَخِيمَ النُّورِ تَحْسَبُ ضَوْءَهُ ... تَحَمَّلَ إِيقَاعاً مِنَ الطَّيْرِ نَاغِمَا

هِلاَلٌ يَكَادُ الْمُسْلِمُونَ صَبَابَةً ... يَطِيرُونَ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ حَمَائِمَا

أَشَارَ لِمَاضِيهِمْ بِكَفٍّ مُلأْلِئٍ ... تَرَامَتْ حَوَالَيْهِ النُّجُومُ حَوَائِمَا

يُعَاتِبُ مَنْ أَغْفَتْ عَنِ النُّورِ عَيْنُهُ
وَكَانَ لِشَرْعِ اللهِ فِى الأَرْضِ هَادِمَا

وَمَنْ رَاحَ يَسْتَجْدِى الْمَسَاكِينَ قَلْبُهُ
فَمَا كَانَ وَهَّاباً ، وَلاَ كَانَ رَاحِمَا ...

وَمَنْ يَسْمَعُ الشَّكْوَى وَيَمْضِى كَأَنَّهَا
عَلَى سَمْعِهِ عَذْلٌ يُطَارِدُ ظَالِمَا ...

وَمَنْ حفَّ لَيْلُ الْعَاثِرِينَ لِصُبْحِهِ ... فَلَمْ يَكُ إِلاَّ مُظْلِمَ النُّورِ قَاتِمَا

وَمَنْ جَاءَهُ الْبَاكِى فَمَرَّ بِدَمْعِهِ ... وَخَلاَّهُ مُنْهَلَّ الْجِرَاحَاتِ سَاجِمَا

وَمَنْ هَزَّ وَسْوَاسُ النَّعِيمِ فَضَاءَهُ ... وَخَيَّمَ فِى أَكْنَافِهِ الدَّهْرُ نَاعِمَا !

وَمَدَّتْ لَهُ الأَيَّامُ كَفًّا يَتِيمَةً ... فَكَانَ لَهَا رَحْباً بَعِيدَ الْمَآتِمَا

وَمَنْ تَزْخَرُ الدُّنْيَا جَمَالاً وَعِفَّةً ... وَيَعْمَى فَيُسْقَى مِنْ يَدَيْهَا الْمَآثِمَا

وَمَنْ كَانَ مِثْلَ الشَّرْقِ تَغْلِى جِرَاحُهُ
فَيَتْرُكُهَا لِلــدَّاءِ تَغْدُو مَغَانِمَا

مَضَى كُلُّ شَعْبٍ لِلسَّمَاءِ مُوَحَّدًا ... وَنَحْنُ عَلَى الْبَلْوَى عَشِقْنَا التَّقَاسُمَا

حِمَانَا حِمَى الإِسْلاَمِ ، وَالنُّورِ ، وَالْهُدَى
فَكَيْفَ غَدَوْنَا لِلْعِبَادِ غَنَائِمَا !

وَمَا نَحْنُ إِلاَّ مُهْجَةٌ ، مِنْ أَثَارَهَا ... أَثَارَ بِجَنْبَيْهَا اللَّظَى وَالسَّمَائِمَا

نمانا تراب الخالدين ، وضمنا ... ثرى مشرق ضم العلا والمكارما

إذا قلب «لبنان» تنهد بالأسى ... سمعت حفيف الارز فى النيل جاحما

وإن أرعشت موج الفرات كآبة ... رأيت أساها فى ربى مصر غائما

وإن أسعدت مصر الليالى سمعتها ... حديثاً بقلب الشرق ريان ناغما

فيا (نيل) خذ عنا الزمام وطر بنا ... ولا تخش ليلات الخطوب الغواشما

فى المجتمعات التى يدرسها علم الاجتماع ؛ فإن من ارتباط الناس بعضهم ببعض تظهر حياة جديدة مختلفة بالمرة عن حياة الأفراد لو عاش كل منهم وحده . إن الشرائع والمعتقدات الدينية والنظم السياسية والتشريعية والخلقية والاقتصادية ، وعلى العموم كل ما يكون الحضارة ، لا يوجد إذا لم يكن تحت مجتمع ما ، وبذلك فعلم الاجتماع غير علم النفس

هذا هو علم الاجتماع كما وضعه أوجست كونت

وقد اتسع نطاق العلم وتمددت ميادينه فى السنوات الأخيرة وتخصص له عدد كبير من العلماء وخاصة فى فرنسا ، ولا زال العلم محتفظاً إلى الآن بمبدئه الأساسى : مبدأ الجبرية الكلية فى المملكة الاجتماعية كما فى بقية ممالك الطبيعة الأخرى . ويعزز من هذا المبدأ ما يذكره علماء الاجتماع من أن هناك نظماً خلقية أو تشريعية أو عقائد دينية معينة توجد مشتركة بين جميع المجتمعات التى تتشابه فيها شروط الحياة الاجتماعية وظروفها . ومهما كانت تلك المجتمعات متباعدة بعضها عن بعض ، فإن تلك النظم تتشابه ، حتى الدقائق والتفصيلات .

(البقية فى العدد القادم)

أحمد أبو زيد



أوراق منسيات على من «قصة الأدب»

قرأت فى كتاب « قصة الأدب » للأستاذين أحمد أمين وزكى نجيب محمود ما يأتى :

« ... ولئن كان المصريون الأولون ينقشون آثارهم على جلاميد الصخر ، فقد كانت بابل تكتب آثارها على ألواح من الطَّفل وهى أيسر حملاً وأخف ثقلاً »

فإن كان ذلك حقاً فمن العجيب ألا نجد للبابليين أدباً أو شبه أدب

والجواب ، كما ذكره الأستاذان : « أنه لم يحدث ذلك لأن القراءة الشعبية لم يكن لها وجود ، ولم يكن يعرف القراءة والكتابة إلا نفر قليل من القساوسة والنساخ ، وكانت الكتابة مقصورة على موضوعات الدين وأعمال الملوك »

وهل اقتصرت الكتابة حقيقة على موضوعات الدين وأعمال الملوك ؟ فأين ذهبت ملحمة كلكاميش إذن ؟

أنا ما كنت أعرف عن هذه الملحمة شيئاً إلى أن قرأت عنها فى مجلة « الثقافة » فى العدد الثالث والثلاثين ، السنة الأولى ، تحت عنوان : « أقدم شعر فى التاريخ » ما يأتى بنصه :

« قد يظن القارىء أول وهلة أن أقدم شعر عرفته الإنسانية هو الشعر الهندى فى أثريه المعروفين (الرامايانا) و (المهابهارتا) وكذلك الشعر الهوميرى لأن كليهما يعود تاريخه إلى ما لا يقل عن عشرة قرون قبل الميلاد ، ولكن الأستاذ جورج كونتنو أمين القسم الشرق بمتحف اللوفر ، بمجموعة الأشعار التى قدمها أخيراً مترجمة عن البابلية تحت اسم (ملحمة جلجاميش) [1] يؤكد أن هذه المجموعة هى أقدم شعر عرفته الإنسانية لأن تاريخها يرجع إلى ماقبل التاريخ المعروف »

« وهذه المجموعة عبارة عن ملحمة شعرية تقص نبأ حياة جلجاميش بطل القصة ، وكيف أنه مركب من جزء من الإنسان وجزأين من الآلهة على عكس خصمه انكيدو المركب من طبيعة حيوانية صرفة . وتفيض الملحمة بعد ذلك فى وصف بطولة جلجاميش ، وكيف أنه قاد أنكيدو المركب من طبيعة حيوانية إلى أرض خصبة وأكسبه صفات إنسانية ، ولكنهما بعد ذلك اختلفا وتخاصما ونشبت بينهما معركة تشبه فى كثير المبارزات التى وصفتها الإلياذة والمهابهارتا . ولكنهما خرجا أخيراً من هذه المعركة صديقين لا ينفصلان »

« وهكذا تمضى القصة فى سرد أنباء جلجاميش سليل الآلهة وأنكيدو ممثل الحيوانية حتى يموت أنكيدو ، ويحزن عليه جلجاميش ، ويصرف وقتاً باحثاً عنه ، ومتحريا عن حقيقة الموت دون جدوى »

« وقد صدرت هذه الملحمة بالفرنسية منذ أسابيع قلائل مقدمة ببحث طريف عن تاريخ العصر الذى تصفه بقلم المسيو كونتنو مترجمها »

لقد قرأت كل هذا فى مجلة « الثقافة » ، وكلنا يعرف

(١) L'Epopée de Gilgamesh, Poeme Babylonien Par George Conteneau

---

عهدناك فى الأهوال تحمل رايةً ... عليها أغانى المجد تسبق « آدما »
وَياماً أُحَيْلَى موجة فيك حُرةً ... ترف فتهدى للعباد العظائما !
وياما أُحَيْلَى جنةً فيك نضرةً ... تمنت شعوب الأرض منها النسائما
تغنيت رقراقاً ، وأشجيت هادرًا ... كأنك تشدو للزمان ملاحما
خفقت بصدر الشرق سراً مقدساً ... من السحر أعتى رهبة وطلاسما
عَلَى شطك الميمون تاج وصولج ... يهز حجاب الشمس بأساعلاهما
تلفتْ تر الدنيا عرتها نفاثةٌ ... من الجن هدت قلبها والمعالما
غدتْ ملعباً للموت ، هذا لجندل ... وهذا صريع ، والجناة كلاهما !
إذا كان هذا الهول يُدعى حضارةً ... فنحن عَلَى التجديد أرعى دعائما
فياشرق طال النوم ، فانهض ، فإنما ... يد الذل تجتاح الشعوب النوائما
تزود من الأخلاق إن سلاحها ... يفل حديد الظلم إن هب غاشما
تراك مهاد الأنبياء ، بشطه ... تدفق نور الكون كالسيل عارما
فأشعل رماد الهامدين ، وقل لهم ... هنا جذوة الماضى تثير العزائما
وأصغ إلى بوق النشور ، يهزه ... من النيل صداح عَلَى الأيك طالما
أتاك يناجى العيد فاهتاج قلبه ... فلم يدرِ أشعاراً شدا أم تمائما ..

محمود حسن اسماعيل

أنها للأستاذ أحمد أمين ... فهل سها الأستاذ عن مثل هذه الملحمة عند ما جاء مع الأستاذ زكي نجيب محمود يصنف الأدب القديم؟ وهل يسهو اثنان؟!

وهل اكتفى الأدب البابلي بهذه الملحمة؟ إن كان ذلك حقاً فأين ذهبت «أسطورة تميوز وعشتار»[1] و «ترنيمة عشتار»[2]؟

ولا أحسب المراجع قد أعوزت الأستاذين، فإن كان ذلك فهناك كتب عدة أحسب أن أجدرها بالذكر: «الأساطير البابلية والآشورية للأستاذ دى. اى. مكنزى»[3] وملحمة «كلكاميش» الآنفة الذكر

(بغداد) نزار الحاج سليم

إلى الأستاذ الفاضل صلاح الدين المنجد

ليس أيسر على المترجم ياصديقى من أن يفتح القاموس فيعرف مرادف الكلمة التي يريد نقلها إلى العربية فيأخذه دون مشقة ولا عناء. غير أني أكره هذه الطريقة المرتجلة في الترجمة. ولما كنت آخذ نفسى هذه الأيام بالدعوة إلى سلك الأدب المسرحى فى الأدب العربى، وبالتالى إلى تجديد الأدب العربى، وذلك فى حدود التواضع الكبير (!) فقد مهدت فى رأس الفصل الأول من فصول نشأة الدرامة الإنجليزية بأن لى غرضاً خاصاً من نشر هذه الفصول ... على أننى لا أدرى لماذا استثقل ذوقك الرفيع كلمة (السمميات أو الإنجيليات مرادفاً لكلمة Mysteries التى تعنى الأسرار الغامضة بالترجمة الحرفية؟ ... لقد استعملت كلمة السمميات بمعناها الدينى الذى يعرفه المسلمون عن جميع الأسرار الغامضة التى لا يصح البحث فيها، أو التى يعجز العقل عن تعليلها؛ فماذا غير السمميات يكفل أداء هذا المعنى؟ وقد فسرتها أيضاً بالإنجيليات لأن جميع مؤرخى الأدب والمسرح الإنجليزى يفسرون هذا النوع من أنواع الدرامة الإنجليزية، بأنه النوع الذى تؤخذ موضوعاته بحوارها من الإنجيل مباشرة دون تغيير أو تبديل. وهكذا أرانى وفقت كل التوفيق فى وضع هاتين اللفظتين لكلمة Mysteries

أما ترجمة Miracles بدرامات الخوارق كما يقترح أخى فقد رأيتها ترجمة قاموسية لا تتفق والعلم المسرحى الذى نحن بصدده؛ فالخارقة تصدر عن أى إنسان؛ أما الكرامة فتصدر عن القديسين عند المسيحيين وعن الأولياء عند المسلمين؛ ولهذا آثرت النسبة إليها فقلت الدرامات الكرامية، ثم أردت أن أربطها فى ذهن القارىء - وذلك من صناعة التعليم التى مارستها عشرين عاماً - فقلت، أو القديسية، وذلك لأنها درامات تتعلق بحياة القديسين أولاً وبما كان يصدر عنهم من (خوارق) - أو كرامات، ثانياً. فأى بشاعة يا أخى صلاح فى هذا الذى آثره صاحب أساطير الإغريق؟!

وبعد، فلا عليك من ذلك؛ ولكن لى رجاء بودى أن تحققه مع الصفوة من أصدقائى أدباء الشام. إن باكورة أعمالك المسرحية التى تفضلت فأرسلتها إلىّ تشف عما يختبىء فيك من الروح الدرامى العظيم، فهل انتويت أن تتحف الأدب العربى بثمرة ثانية وثالثة ... وعاشرة، أم أنت فى حاجة إلى محاربة روح التشاؤم فيك، كما نحاربه في أدبائنا ... أرجو أن تبدأ الشوط مع أدباء الشام الأعزاء، وإن كنت أسأل الله أن يوفق أدباء مصر إلى الفوز بقصب السبق ... وتقبل تحيتى.

دريني خشبة

إلى الأستاذ أحمد الصافى النجفى

وصلنى اليوم هداياك الثلاث: قصيدتك، وتحاياك، وأشواقك؛ ففرحت بالأولى، ولم أنكر عليك كثيراً الهديتين الأخريين ...

وكم أحب أن يتصل البريد الأدبى بينك وبين «الرسالة». وأكتفى منك بالبريد الذى يحمل الأشواق والتحايا ...

ومنذ أسبوعين حدثنى الدكتور طه حسين بك أنه سيُعنَى بشعرك عناية خاصة بعد رجوعه من لبنان، وأعتذر بكثرة مشاغله التعليمية التى حالت من دون جوابه السريع. وكل ما أرجو ألا تغيب عن قراء «الرسالة» الذين طال شوقهم إليك

عبد القادر جنيدى

تصويب

وقعت أخطاء مطبعية فى مقال «أعداء النساء» المنشور بالعدد (٥٣٢) من الرسالة الغراء تصويبها فيما يأتى:

بِحَوْرَة	—	وصوابها: حبل الجَوْرَة
خصومة بهم	—	« خصوصة بهم
مما، وزل	—	« مما فرط من قول وزل
أو التى ينشرن	—	« أو اللاتى

---

(1) Myths of Tammys and Ishtar

(2) Hymn to Ishtar

(3) Myths of Babylonia and Assyria D. A. Mackenzie

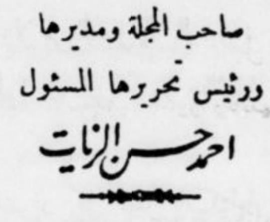
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11me Année No. 537

Lundi - 18 - 10 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول



الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٣٧ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ شوال سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

المقترحون والمؤلفون

للأستاذ عباس محمود العقاد

بين جمهرة القراء في اللغة العربية طائفة لا ترضى عن شيء ولا تكف عن اقتراح ، ولا تزال تحسب أنها تفرض الواجبات على الكتاب والمؤلفين ، وليس عليها واجب تفرضه على نفسها

إن كتبت في السياسة قالوا : ولم لا تكتب في الأدب ؟

وإن كتبت في الأدب قالوا : ولم لا تكتب في القصة ؟

وإن كتبت في القصة قالوا : ولم لا تكتب للمسرح أو للصور المتحركة ؟

وإن كتبت للمسرح والصور المتحركة قالوا : ولم لا تحيي لنا تاريخنا القديم ، ونحن في حاجة إلى إحياء ذلك التراث ؟

وإن أحييت ذلك التراث قالوا : دعنا بالله من هـذا وانظر إلى تاريخنا الحديث فنحن أحق الناس بالكتابة فيه

وإن جمعت هـذه الأغراض كلها قالوا لك : والقطن ؟ وشؤون القرض الجديد ؟ ومسائل المال ، ورؤوس الأموال ؟ وكل شيء إلا الذي تكتب لهم فيه

وقد شبهت هذه الطائفة مرة بالطفل المدلل الممعود : يطلب كل طعام إلا الذي على المائدة ، فهو وحده الطعام المرفوض

إن قدمت له اللحم طلب السمك ، وإن قدمت له الفاكهة

طلب الحلوى ، وإن قدمت له صنفاً من الحلوى رفضه وطلب الصنف الآخر ، وإن جمعت له بين هذه الأصناف تركها جميعاً وتشوق إلى العدس والفول ، وكل مأكول غير الحاضر المبذول

سر هذا الاشتهاء السقيم في هذه الطائفة من القراء معروف .

سره أن الجمهور القارئ في بلادنا العربية لم « يتشكل » بعد على النحو الذي تشكلت به الجماهير القارئة في البلاد الأوربية .

وإنما نعد الجمهور القارئ متشكلا إذا وجدت فيه طائفة مستقلة لكل نوع من أنواع القراءة ، وإن ندر ولم يتجاوز المشغولون به المئات .

وسنسمع المقترحات التي لا نهاية لها ، ولا نزال نسمعها كثيراً حتى يتم لنا « التشكيل » المنشود ، وهو غير بعيد

ولسنا لهذا نستغربها كلما سمعناها من حين إلى حين لأنها مفهومة على الوجه الذي قدمناه

ولكن الذي لا نفهمه أن تأتي تلك المقترحات من كاتب نابه يعرف حاجة الأمة العربية إلى كل نوع من أنواع القراءة ، ولا سيما تاريخها القديم مكتوباً على النمط الحديث

فغريب حقاً أن يشير كاتب نابه إلى كتابة الدكتور هيكل وكتابتي عن أبي بكر وعمر ؛ فيقول كما قال كاتب المصور :

« . . . حسن جداً هذا السباق وقد أجدتما الجرى في ميدانه ، ولكن هل نسيتما أن أبا بكر وعمر كتب عنهما مائتا كتاب ؟ وأن في عصرنا الحاضر موضوعات قومية ووطنية وتاريخية ومالية واجتماعية تستحق منكما نظرة ومن قلميكما التفاتة ؟ وأن أكثر طلابنا لا يعرفون عن تاريخ بلادهم الحديث حرفا ، وأن صدر الإسلام بحمد الله قد وفاه أئمته وأدباؤه وشعراؤه من العرب حقه فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا وفوها وشرحوها وفصلوها ، وبقى تاريخ مصر الحديث والقديم بغير بحث ولا تحليل ؟ ... »

***

غريب هذا الرأي من « المسئولين » كما نسميهم في لغة السياسة وإن لم يكن غريباً من غير المسئولين

وتتم غرابته لأنه يجمع من الأخطاء في بضعة أسطر ما يقدر أن يجتمع منها في صفحات

فبالأمس سمعنا دعوة إلى انفراد كل جنس بالكتابة عن جنسه ، فلا يكتب عن المرأة إلا المرأة ، ولا عن الرجل إلا الرجل ، ولا يسمح للرجال أن يكتبوا عن الحوادث التي تدور وقائعها بين الرجال والنساء

واليوم نسمع دعوة أخرى إلى انفراد كل جيل بالكتابة عن جيله الذي يعيش فيه ولا يتعداه إلى جيل آخر ، فلا يسمح لنا نحن أبناء العصر الحاضر أن نكتب عن شيء يتجاوز القرن التاسع عشر راجعاً أو القرن العشرين متقدماً إلى الأمام

رأي غريب لو صحت مقدماته وأسبابه

وإنه لأمعن في الغرابة حين نرجع إلى المقدمات والأسباب فلا نرى مقدمة منها أو سبباً يقوم على ركن صحيح

إذ ليس بصحيح أن أبا بكر وعمر قد كتب عنهما مائتا كتاب إلى الآن ، لأن الذي كتب عنهما إنما كتب عن الحوادث والأخبار في عصرهما ، وهو مع ذلك لا يزيد على أصابع اليدين

أما « الصورة النفسية » التي تصور لنا كلا منهما على حقيقته الإنسانية فلم توصف قط قبل هذا الجيل . ومتى وصفت صورة نفسية عن إنسان في زمن من الأزمان فهي صورة عصرية تهم الإنسان حيث كان من أول الزمن إلى آخر الزمان

بل الواجب المفروض على كل أمة تنبعث إلى الحياة أن تجدد فهم تاريخها وتعقد الصلات الوثيقة ما بينه وبينها ، ولا تقتصر على فهمه كما كانوا يفهمونه قبل مئات السنين

وعلى أنه لو صح أن المصنفات التي كتبت عن عظماء التاريخ العربي فيها الكفاية التي تغنى عن المزيد من التصنيف والتصوير فليس في ذلك حجة تتجه إلينا وتسوغ اللامة علينا

لأننا لم نترك جيلنا الحاضر معرضين عن أبطاله وزعمائه وأصحاب الأثر في حياته القومية والوطنية ؛ بل كتبنا عن « سعد زغلول » مجلداً ضخماً يساير الحركة الوطنية من الثورة العرابية إلى اليوم الذي تمت كتابته فيه ، وساهمنا بحصتنا في هذا الباب إن كانت هناك حصة مفروضة على كل كاتب في موضوع من الموضوعات .

***

ولكننا في الواقع لا نعتقد أن هناك واجباً مفروضاً على الكاتب غير الإجادة في موضوعه الذي يتناوله كائناً ما كان

وليس هناك موضوع يكتب كتابة حسنة ثم لا يستحق أن يقرأ ولا يفيد إذا قرئ قراءة حسنة

فالبطل القديم الذي يدرس على الوجه الصحيح هو موضوع جديد في كل عصر من العصور

والبطل الحديث الذي يساء درسه خسارة على القارئ والكاتب والبطل المكتوب عنه ؛ لأن العبرة بتناول الموضوع لا بالموضوع . والعبرة بأسلوب العصر الذي تتوخاه وليست بالسنة التي يدور عليها الكلام

فالكتابة عن سنة ١٩٤٣ بأسلوب عتيق هي موضوع عتيق . والكتابة عن آدم وحواء بأحدث الأساليب العلمية أو النقدية هي موضوع الساعة الذي لا يبلى

وأولى من الاقتراح على الكتاب أن نقترح على القراء أن يقرأوا كل ما ينفعهم كيفما اختلفت موضوعاته ، لا أن نشجع « الولد المدلل الممرود » على رفض كل ما على المائدة وطلب كل ما عداه .

* * *

وقد قال الكاتب النابه في ختام كلمته : « سلوا الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي كيف راجت كتبه أدبياً ومعنوياً ومادياً وكيف انتفع بها النشء الحديث في دنيا تأليف مصرية صميمة كلها لحظ وجدب وإملاق »

وقد يهم القارئ من هذا أننا نغرى بالرواج للكتابة في الموضوعات التي اختارها الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي بك

ولا شك عندنا في أن الرافعي بك لم يكتب في هذه الموضوعات لرواجها ، ولكنه كتب فيها لأنها تروقه ويحسنها . ومهما يكن من رواج الكتب في مصر ، فإن المحامي الذي يبلغ في عالم المحاماة مكانة الرافعي بك يكسب من قضاياه أضعاف ما يكسبه من كتبه ، ولا يحتاج في دراسة مائة قضية إلى الوقت الذي يشغله بمراجعة المصادر التاريخية لكتاب واحد

وكذلك نحن لم نؤلف « عبقرية محمد » لرواجه لأننا طبعنا منه في الطبعة الأولى أقل مما طبعناه من كتب أخرى ألفناها ، ولم يكن في وسعنا بداهة أن نعدل عن تأليفه إذا لم تنفد الطبعة الأولى بعد أسابيع معدودة !

وإننا لنعرف موضوعات شتى يقبل عليها عشرات الألوف من القراء وتستغنى عن الإعلانات والترويج

فرواية من الروايات المكشوفة تترجم أو تؤلف قد تطبع منها عشرات الألوف وقد تباع للصور المتحركة وقد تستهوى من القراء والقارئات من ليس يستهويهم تاريخ أمة أو سيرة عظيم ...

وهذه الروايات أسهل في تأليفها أو ترجمتها من الكتب التي تراجع من أجلها المصادر الكثيرة بين عربية وأوربية ولا تخلو من عنت في التمحيص والتحضير

ولكننا نعدل عنها إلى الموضوعات التي هي أصعب منها وأقل رواجاً بين قرائنا

بل نعدل عنها ونحن نعلم أن المدجلين بالروايات المكشوفة يسوقونها مساق الفتوح العصرية والجرأة الفكرية ويعدونها من دلائل النزعة الحديثة والنهضة المقبلة والتحرر من التراث العتيق والطلاقة من القيود ، وإننا لا نسلم من اتهام هؤلاء الأدعياء لنا بالجمود أو مصانعة الجامدين إذ نكتب في سيرة الصديق والفاروق

فلو كان الرواج مغرياً لنا لكانت الكتابة في هذه الأغراض المقبولة أولى وأجدى

ولو كان الرواج مغرياً لنا لما حاربنا المذاهب التي وراءها دول ضخام تكافئ من يدعو إليها ويبشر بأناجيلها . ولا نظن أن الكاتب النابه ينكر علينا أن تلك الدول تعرف قيم الأقلام التي تستخدمها في دعوتها وتحب أن تستخدم منها ما ينفعها

فنحن نكتب ما نريده ولا يعنينا أن يروج أو لا يروج . وواجبنا الذي نلتزمه في الكتابة — ولا نعرف واجباً غيره — هو أن نعنى بالموضوع الذي نتصدى له ونحس القدرة عليه

ولسنا نقترح على الكاتب النابه أن يعدل عن اقتراحه إذا كان مؤمناً بصوابه ؛ ولكننا نقول إننا لو عملنا به لما عدمنا مقترحاً آخر يقول : ما هذه الحوادث اليومية التي تخوضون فيها وقد رأيناها أو سمعنا من رآها ؟ دعوا هذا وا كتبوا لنا شيئاً من عجائب المجهول ...

ويومئذ لا تكون حجته أضعف من حجة الكاتب النابه صاحب الاقتراح ؟

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الكتاب هو سر العظمة الأوربية — ماضينا في صحبة الكتاب — الأستاذ المهياوي — بين المدارس والكليات

الكتاب ...

إن الكتاب هو سر العظمة الأوربية ، فما تفوقت أوربا إلا بفضل الحرص على مسايرة الحيوات العقلية في الشرق والغرب ، وما ارتفع رجل في أوربا إلا وهو مزوّد بأصدق وأجود ما صدر في العقول في القديم والحديث

ويستطيع من يعرف إحدى اللغات الأوربية أن يطّلع على أشهر ما جادت به القرائح في أكثر البلاد ، وهذه حقيقة يعرفها من عاش زمناً في مدينة مثل لندن أو باريس أو برلين

الحق أننا لم نفهم أوربا فهماً صحيحاً ، ولم نعرف السر في حيويتها العارمة ، ولم نلمح من خصائصها غير أطياف

إن أوربا مزوّدة بأزواد عقلية لا تخطر لأكثر الناس في بال ، وقد نعرف غداً أو بعد غد أن المستر تشرشل لم تصرفه مكاره الحرب عن صِلاته بالمكاتب ودور التجليد ، وقد نعرف أنه لم يخرج من بلد إلا وفي يده كتاب ، على كثرة ما زار من البلاد في أعوام الحرب

أوربا المحاربة لا تخيفني ، فقد هزمناها في الحروب الصليبية ، وإنما تخيفني أوربا المفكّرة ، أوربا التي تؤلف وتقرأ وتستفيد في كل وقت ، بلا استثناء وقت الحروب

هل تذكرون كلمة كارليل حين قال إن انجلترا تفضل آثار شكسبير على أقطار الهند ، لو أكرهتها الحوادث على الاكتفاء بأحد هذين المغنَمين ؟

تلك هي العقلية الأوربية ، وذلك هو الفهم الذي يمتاز به أولئك الناس

ماضينا في صحبة الكتاب

لنا ماضٍ مجيد حفظه التاريخ ، فقد سبقنا أوربا إلى تمدين الشرق والغرب ، وخلّف أجدادنا آثاراً عجز عن محوها الزمان فكيف ظفروا بذلك الحظ من الخلود ؟

الكتاب هو السرّ في عظمة أجدادنا ، فقد كان فيهم من يحجّ بيت الله وهو يرمي إلى غاية غير أداء فريضة الحج ، كأن يقف في عرفات للسؤال عن كتاب

وعدوان المغول على بغداد لم تُسجَّل فظائعه في غير ظاهرة واحدة هي تزويد أسماك دجلة بما كان في بغداد من نفائس المؤلفات

والحريق الذي ساور الفسطاط ستين يوماً لم يذكر المؤرخون من بلائه غير اجتياحه لذخائر المكتبات

وكان المسلمون حين يستنفرون إخوانهم للدفاع عن بلد من بلاد الأندلس يقولون إنه وطن النوابغ من المؤلفين والشعراء .

وحين تفرّق شمل المسلمين في بعض العهود الماضية وجد الناهبون لآثارهم العلمية والأدبية والتشريعية ما يعمر مئات المكاتب ، ويضمن الزاد النفيس للأفهام والعقول ، بحيث لا تخلو مدينة من آثارهم الجياد

إن أساس المدنية يرتكز على العلم في جميع العصور ، حتى عصور الظلم والاستبداد ، ألم تروا أن مغامرات هتلر أوحى بها كتاب ؟

إن المدافع والطيارات والأساطيل ليست إلا تعابير عن جانب من طغيان القوة الفكرية ، كما أن الآداب والفنون تعابير عن جانب من ذلك الطغيان

لا تسمعوا لمن يثبطونكم عن الحياة الفكرية ، بحجة أن هذا الزمن ليس زمن الفكر وإنما هو زمن القوة ، فالفكر هو المصدر لكل قوة ، ولو تمثلت في أبشع الألوان

ومصر تتمتع اليوم بسمعة طيبة من الناحية الفكرية ، وهي تدعوكم إلى مواصلة الجهاد العلمي والأدبي ، لتصلوا بها إلى ما تسمو إليه من العزة بين كبار الشعوب

أنا لا أكتفي بأن يكون حظ مصر من المجد القديم هو الأستاذية لفلاسفة اليونان في التاريخ القديم ، وأكره أن يكون حظ مصر في العهد الإسلامي مقصوراً على رعايتها للحضارة الإسلامية بعد سقوط بغداد

انظروا إلى الأمام ولا تنظروا إلى الوراء ، فالفكر من حظ مصر فى جميع العهود ، وسيكون لها فى المستقبل تاريخ يفوق جميع التواريخ ، وستعرفون صدق هذه النبوءة بعد حين .

الأستاذ محمد الهيهياوى

فُجِع الأدب وفجعت الوطنية فى رجل كان من الأعلام بين رجال الأدب ورجال الوطنية ، وهو أخونا الأستاذ محمد الهيهياوى ، على روحه ألف تحية وألف سلام

مات الهيهياوى بعد أن كافح فى سبيل الأدب وفى سبيل الوطن أعواماً نيّفت على الثلاثين . والذين عرفوا الهيهياوى كما عرفته يؤمنون بأنه كان قوة وطنية وأدبية قليلة الأمثال

نشأ الهيهياوى نشأة أزهرية — وكان أبوه من كبار العلماء بالأزهر الشريف — ولكنه تمرد على الأزهر فى وقت مبكر ، وانطلق إلى ميدان الحياة الأدبية والوطنية بقوة وعنف ، ومضى يصاول ذات اليمين وذات الشمال ، إلى أن ظفر من قلوب عارفيه بمنزلة لا يظفر بمثلها إلا كرام الكاتبين

يجب أن نقول كلمة الحق فى الأستاذ الهيهياوى ، بعد أن رأينا أنه لم يُرثَ إلا بكلمات قصار لا تنقل من شمائله غير ملامح غامضة المعانى ، وبعد أن رأينا أصدقاءه يمنّون على الوفاء بأنهم جازفوا براحتهم فشيعوا جنازته فى عصرية وهاجة القيظ !

كان الهيهياوى يجدّ فى كل ما يكتب ، وكان جِدُّه أثراً من صدق العقيدة فى الأدب والوطنية والدين ، وكان مع جده الصارم غاية فى حلاوة الدعابة ، فهو المنشئ لأكثر دعابات « الكشكول » يوم كان لمجلة الكشكول سلطان

وفى الأعوام التى اشتد فيها الخلاف بين الحزب الوطنى والوفد المصرى كان الهيهياوى أخطر كاتب نافح عن الحزب الوطنى ، وقد أبلى بلاء حسناً فى مقاومة « مشروع ملنر » ، ولم يتركه إلا بعد أن مزقه كل ممزق ، ومجموعة « جريدة الأمة » تشهد بصدق ما نقول .

اشترك الهيهياوى فى تحرير كثير من الجرائد والمجلات ، وكتب فى الجد وفى الهزل ، ولكنه فى جميع أحواله كان قوى المنطق ، متين الأسلوب

وكان الهيهياوى شاعراً من الطراز الجيد ، ولو جمعت قصائده الجدية لكان من مجموعها ديوان نفيس . أما قصائده الهزلية فهى غاية فى اللطافة ، وكانت توقع باسم « الشاعر إياه » فى مجلة الكشكول

وإذا كان الرجوع إلى الجرائد القديمة يُتعب من يريد معرفة القيمة الصحيحة لهذا الكاتب ، فأنا أوصى بمراجعة كتاب « الطبع فى الشعر » وقد نشرته « مكتبة النهضة » ، وهو كتاب يشهد لمؤلفه بالبراعة الفائقة فى شرح الدقائق من أسرار البيان

وللهيهياوى كتاب اسمه « مصر فى ثنتى قرن » ، وهو كتاب يصور آمال مصر وآلامها فى العصر الحديث ، وفيه وثبات من الفكر ، وبوارق من الخيال

وقالت انجلترا بعد رفع الحماية « الكلمة الآن لمصر » فنشر الهيهياوى رسالة بعنوان :

« الكلمة لمصر ، ولكن ليس لمصر أن تتكلم »

وهى رسالة شرح فيها ما كانت تعانى مصر بسبب الاحتلال

وكان المنفلوطى هدفاً للناقدين فى أوج شهرته الأدبية ، ولكن الهيهياوى تفرّد برسالة طريفة سماها « قصص المنفلوطى » وسيكون لها مكان حين يؤرخ النقد الأدبى فى هذا الجيل

وأول كتاب نشره الهيهياوى هو « الفرائد » وهو مجموعة ما كتب فى مطلع صباه ، ولو رجعنا إليه لرأيناه على سذاجته صوراً تشهد بحيوية الإحساس ويقظة الوجدان

أخي الأستاذ الهيهياوى

أفى الحق أنك مت وأنى لن أجدك إن حاولت أن أراك ؟

لا يُتعبنى أن أتحيز لك فأختلق محاسن لم تكن فيك ، وإنما يتعبنى أن أبرز محاسنك الأصيلة على الوجه اللائق بمكانها الرفيع

أفى الحق أننا لن نلتقى فى الدنيا مرة ثانية ، ولن نقضى أياماً كالأيام التي قضيناها فى سنتريس بين الزهر والقمر والماء ؟ أفى الحق أننا لن نتصاول بالمقول كما كنا نصنع عند التلاق ؟

تلك أيامٌ خلَتْ ، ولن تعود ، فعليك وعليها تحية الشوق الذى لا يموت

لو رأيت فيك ما يعاب لخفّ حزنى عليك ، ولكنى لم أرك

إلا روحاً أرق من الزهر وأقسى من الزمان ، وتلك هى الخصيصة الأساسية لأحرار الرجال

كنا صديقين ، وكنت أنت الأكرم والأطيب ، فكيف أجزيك وقد ضاعت فرص الجزاء ؟

وهل تنتفع بكلمة فى رثائك وقد مضيت إلى نعيم لا يعادله نعيم ؟

إن موتك دليل على خلود الروح ، فما يجوز فى نظر العقل أن تكون نهايتك هى النهاية ، وقد قضيت حياتك فى شقاء بسبب الحرص على صدق الوطنية وصدق اليقين

هل تعرف « مهيا » أنك نقشت اسمها على جبين الزمان ؟ وهل تعرف « مصر » أنها نُجِّمت فيك ؟ وهل تعرف قيثارة الشعر أنها فقدت وتراً كان غاية فى حنان الرنين ؟

هذا ما أملك فى رثائك ، أيها الصديق الغالى ، وهو أقل مما يجب لك ، وعلىّ عهد الله أن أشيد بذكراك إلى آخر الزمان

بين المدارس والكليات

بدت فى هذا العام ظاهرة تستحق التسجيل ، لأنها لم تقع من قبل ، وهى تأخر المدارس عن الكليات فى العودة إلى استئناف الجهاد . ومحاربة الجهل أشرف ضروب الجهاد

أيكون ذلك لأن الطلبة أقوى من التلاميذ ؟ أيكون ذلك لأن الأساتذة أحرص من المدرسين ؟

لا هذا ولا ذاك ، وإنما هى فرصة أتاحها القدر لنعرف كيف أسرفنا فى استعجال الناشئين إلى ساحات النضال

الطالب فى الكلية غير التلميذ فى المدرسة ، فالأول جاز دور التكوين الجسمانى ، فعليه أن يحمل الواجب فى صدره وإن كان فى إجازة رسمية . أما التلميذ فلا يزال جسمه فى دور التكوين ، وراحته من متاعب الدرس تعود عليه بالنفع الجزيل

الطالب يعود إلى الكلية وهو على بينة مما سيدرس ، فهو يعود جذلان ، أما التلميذ فيجهل ما سيعانى من مصاعب الدروس ، لأنه تلميذ ، والمنهاج يُفرض فرضاً على التلاميذ

والأستاذ بالكلية غير المدرس بالمدرسة ، فالأول يضع بنفسه موضوعات الدروس كما يشاء ، وفى حدود ما يطيق ، أما الثانى فيواجه موضوعات يوجبها « الجدول » ، وقد يكون فيها ما ألقاه بالنص والفص عدداً من السنين

أما بعد فماذ أريد أن أقول ؟

أنا أريد النص على أن الإجازات ليست من الأوقات الضوائع ، كما يتوهم بعض الناس ، وإنما هى مواسم لتكوين الأبدان والأرواح والأحاسيس ، وتلاميذ المدارس أحوج إليها من طلبة الكليات ، وما وقع فى هذه السنة وقع بالمصادفة ، ولكنى أحب أن يكون واجباً نراعيه فى الأعوام المقبلات

هل تذكرون أن إجازات المدارس الأولية زادت فى هذا العام عن ثلاثة أشهر ، وأن ناساً عدّوها ترفقاً خرج عن الحدود ؟

أنتم تذكرون هذا ، ولكنكم تنسون أن الأطفال بالمدارس الأولية كانوا يعودون إلى الدروس فى شهر أغسطس وهو « آب ، اللهاب » ، كما يسميه أهل الشام والعراق

ترفقوا قليلا بالأطفال ، واذكروا أنهم فى عهد التكوين ، وأن راحتهم من الدروس غذاء يفوق كل غذاء

ثم ماذا ؟ ثم انتهز الفرصة فأتحدث عن مشكلة تعانيها المدارس ولا تعانيها الكليات ، وسأفصّل حديثها بدون إسهاب :

هذا مدرس عينته الحكومة بمدرسة ابتدائية وفرضت عليه أن يلقى أربعة وعشرين درساً فى الأسبوع ، فاحتمل العبء راضياً لا كارهاً لأنه فى عنفوان الشباب

وهذا المدرس نفسه ظل يخدم العلم بالمدارس الابتدائية إلى أن شارف التاسعة والخمسين ، فكيف يجوز أن يحمل من أعباء الدروس ما كان يحمل قبل أن يصل إلى الثلاثين ؟

عليه أن يحتمل أو يعتزل ، فالمدارس تعرف التلاميذ ولا تعرف المدرسين ، لأن نتائج الامتحان هى العنوان ! ولو أنها خففت العبء عن المدرس الذى تقدمت به السن لقدّم لها منافع تفوق الحدود

المدرسة الفلانية هى أولى المدارس ، لأن تلاميذها بلغوا حدود التفوق ، ولم تكن أولى المدارس لأن مدرسيها ظلوا من نكد العيش فى أمان

التلميذ هو المقصود بالعطف والرعاية ، أما المدرس فهو جلمود لا يجوز عليه الإفضال

هو مدرس ، ومهنة التدريس « مهنة بلا مجد » فليصبر كارهاً على جدول كان يطيقه قبل الثلاثين ، وليقل « راضياً » إنه يطيقه فى التاسعة والخمسين !

إلى من نوجه القول ؟

على مكتب رئيس التحرير

للأستاذ دريني خشبة

كان ذلك في العشرة الأواخر من رمضان الماضي ...

وكانت الساعة الثانية تكاد تنتصف ... تلك الساعة التي يهمد فيها الجسم ، ويخمد الذهن ، وتفتر الأعصاب ، ويستعد فيها الموظفون في جميع دواوين الحكومة للانصراف

وكنت قد انتهزت فرصة وجود مجموعةٍ من الأدباء المعروفين جاءوا لزيارتنا فأثرت موضوع الشعر المرسل Blank Verse ... وكان الحوار قد استحر برغم همود الأجسام وخمود الأذهان وفتور الأعصاب ، فهذا يرى أنه قد آن الأوان لإدخال هذا اللون من ألوان الشعر في القريض العربي ، وذاك يستنكره ويضيق به ، وهذا يعرف ما له من الخطر في آداب اللغات الأوربية ولا سيما في نظم الملحمة والدرامة والقصة ، إلا أنه لا يتصور كيف يمكن إلقايه على الشعر العربي الذي تتحكم فيه القافية هذا التحكم السخيف الذي اختص به من دون أشعار العالم

ثم دعيت إلى التليفون فجأة ، وإذا أخي محمد ... مدير إدارة الرسالة يدعوني إلى الدار لكتابة مقال لأحد العددين اللذين يطبعان قبل العيد دفعة واحدة ... فقلت له : ولماذا أحضر إلى الدار ولم أتعود الكتابة خارج منزلي ؟ فذكر لي : إن هذا هو ما أشار به الأستاذ رئيس التحرير . ثم أردف هذا بأنه ينبغي أن يُفرغ من طبع العدد كله مساء ذلك اليوم ، ولذلك (فيجب) أن يبدأ الطبع في تمام الساعة الرابعة ... أي بعد ساعتين ... والأستاذ في المنصورة (على فكرة !)

فتبسمت ، وقلت له ... إذن ، سأحضر !

ولم يعد في ذهني منذ هذه اللحظة أثر للشعر المرسل ، ولا للشعر الحر ، ولا لتلك الفروق الواسعة بين الشعر المرسل والشعر الحر ... بل نسيت موضوع الشعر كله ... بل نسيت زائريّ الأفاضل ، وإن كنت قد وضعت ذراعي في ذراع واحد منهم ، ثم توجهت معه إلى الرسالة ... سيراً على الأقدام ... !

وكان صديقي هذا هو السبب في إثارة موضوع الشعر المرسل ، فكان يحاول وصل الحوار في الطريق ، ولكن هيهات ... ! لقد كنت عنه وعن الشعر المرسل في شغل ... وكان أهم ما يشغلني هو الموضوع الذي تسهل الكتابة عنه في رمضان ، وفي مثل هذا الوقت من النهار ، وفي مثل حالتي من التعب وخمود الذهن وفتور الأعصاب ، ... ثم ... في ساعة ... ساعة واحدة ! وأين ؟ بعيداً عن الغرفة الهادئة التي تشرف على حدائق شبرا الغناء وحقولها الفيحاء ، والتي تعودت أن أكتب فيها في سهولة ويسر ، وفي غير مشقة أو عناء ...

وكنت كلما صرفت صديقي عن موضوع الشعر المرسل أبى إلا أن يعود إليه ... فقلت : إذن أشغله بما يشغلني ، وأشركه في البحث عن الموضوع الذي تسهل الكتابة فيه بالرغم مما يحدق به من تلك الظروف ... فقلت له :

إفرض يا صديقي العزيز أنك عدت تلميذاً في المدارس الثانوية ، لا طالباً في الجامعة . . . أو افرض أنك رأيت هذا فيما يرى النائم ، وأنك تجلس الآن — أي في المنام — في لجنة الامتحان لشهادة الثقافة مثلا ... مثلا ... وأنك تسلمت ورقة

توجهه إلى المراقبين بوزارة المعارف وقد اكتوت أيديهم بالتعليم ، ولطف الله بهم فلم يرهقهم بالجدول الكامل إلى أن يشارفوا سنّ المعاش

إني أنظر إلى أولئك المراقبين بعين الاحترام ، لماضيهم الجميل في خدمة النهضة التعليمية ، ولكني أعجب من سكوتهم عن مشكلة لا يجوز عنها السكوت ، وهي اختلاف القدرة البشرية باختلاف الأسنان

ثم ماذا ؟ هذا مدرس قاتلَ المتاعب حتى انتصر ، فبلغ الستين وهو بعافية ، فكيف يحال إلى المعاش ليعاني الفاقة في أعوامه الباقية ؟

أما بعد — وقد تعبت من أما بعد — فهذه ملاحظات أقدمها إلى معالي وزير المعارف ، راجياً أن تظفر من اهتمامه بما هي له أهل ، مع الاعتراف بأن مهنتنا قامت على أساس التضحية ، وأن حظنا هو أجل الحظوظ في أسوأ الفروض

وهل يشكو من يستطيع القول بأن له تلاميذ هم الدرة الغالية في تاج الوجود ؟

زكي مبارك

أسئلة اللغة العربية ، فوجدت في رأسها في المكان المخصص لأسئلة الإنشاء هذا السؤال : إختر موضوعاً من عندك يتعلق بمشكلة اجتماعية من مشكلات هذا العصر واكتب فيه من ثلاثين إلى أربعين سطراً (بشرط ألا تتعرضّ للأحزاب المصرية بخير أو شر !) فماذا عسيت كنت تختار ؟

وافتر صديقى عن ابتسامة خبيثة طويلة عريضة وقال : كنت أكتب عن الشعر المرسل !

فقلت له : وهل للشعر المرسل علاقة بالمشكلات الاجتماعية الحاضرة ؟ أتريد أن تشق عليّ أو تشق صدرى يا أخى ؟

فقال لى وهو ما زال محتفظاً نفمه الهائل بابتسامته الصائمة الظامئة الجائعة : كلا ... ولكنه الموضوع الوحيد الذى أستطيع أن أكتب عنه بحرية مطلقة ، دون أن أتعرض للأحزاب المصرية بخير أو بشر !

وكنا قد بلغنا دار الرسالة فلم أرد عليه ؛ فلما صعدنا إلى الإدارة استأذنته فى ساعة أغيب عنه طوالها بعد أن شغلته بكتاب رجوت أن يتلهى به عن الشعر المرسل ... ولم يفته أن يسألنى فيم أصرف تلك الساعة من هذه الظهيرة القائظة ، فتبسمت ابتسامة أطول من ابتسامته وأعرض ، وأشد جوعا وظمأ ، ثم قلت له : حيث أجيب عن السؤال الأول من أسئلة الإنشاء فى امتحان الثقافة يا صديقى ، وسأجتهد ألا أخرج عن الموضوع كما خرجت ... وسأجيب فى اليقظة لا فى المنام !

ولست أفهم هل فطن أخى هذا إلى ما عنيت ، ولكنى فهمت من أخى محمد أننى سأجلس لكتابة المقال على مكتب الأستاذ رئيس التحرير !

عند ذلك تعاظمنى الأمر جداً ، ونظرت إلى مكتب الأستاذ رئيس التحرير نظرة عمقها خمس وعشرون سنة ، وطولها حياة مليئة بالذكريات ، وعرضها دنيا من الأدب والعلم والتلمذة ...

أجل يا صديقى القارىء ...

فلقد كنت تلميذاً للأستاذ الزيات منذ نحو من ربع قرن ! وكنت قبل أن ألقاه فى المدرسة قد اتصلت به من طريق كتبه قبل ذلك ... فلقد أعطانى ابن عم لى قصة « آلام فرتر » لأقرأها ... أو لأحفظها ... كما أعطانى صديق آخر كتاب « تاريخ الأدب العربى » ليكون لى نبراساً فى مطالعاتى ... فى دنيا هذا الأدب ... ومنذ ذلك العهد وصلتى بالزيات أقوى صلاتى بالناس جميعاً ، ولا أذكر أن الزيات كتب كلمة أو خط حرفا أو أصدر كتاباً لم أقتنه ولم أقرأه ولم أشتغل به

نظرت إلى مكتب رئيس التحرير إذن ، وقد تعاظمنى أمر المقال المطلوب الذى لم أهتد إلى موضوعه بعد ، كما تعاظمنى أن أجلس ، أنا التلميذ المتواضع المهذب المؤدب — ولا مؤاخذة ! — إلى ذلك المكتب العتيد ، مكتب الأستاذ العظيم المهذب المؤدِّب ، ذلك المكتب الذى جعلت أحلق فيه مَشْبوها مشدوها ، وأنظر إليه تلك النظرة التى عمقها خمس وعشرون سنة ، وطولها حياة مليئة بالذكريات ، وعرضها دنيا من الأدب والعلم والتلمذة

كان عليّ أن أفرغ من المقال — الذى لم أهتد إلى موضوعه بعد — فى ساعة ، وقد كان أخى محمد يحسب أنه وقد غلّق عليّ أبواب الحجرة المقدسة ، سيتنزل على الوحى السريع المؤاتى فأدفع إليه بالمقال فى نصف تلك الساعة أو فى ربعها ، وعند ذلك يفرغ هو كما يفرغ عمال المطبعة الذين كانوا يترقبون إجازة العيد بالصبر الذى يصفه البلغاء بأنه صبر فارغ — دون أن أدرى لماذا ؟

كان أخى محمد يُمنى نفسه بهذا كله ، وكان تليفون الرسالة الموجود إلى يسارى فى الحجرة المقدسة يرن فيقدم السيد محمد مسرعاً ليتولى المكالمة ، وكنت أراه يمرر نظراته فوق الصحيفة التى أعدت للمقال المنشود فيراها لا تزال بيضاء . بيضاء ناصعة . أو بيضاء خاوية ... وكنت أرى نظراته وقد ارتدت إليه حاسرة خاسرة فأرثى له ، ولا أرثى لنفسى ... ولماذا أرثى لنفسى ، وقد كنت أستمتع بلحظات سعيدة هُن من أعظم اللحظات فى حياتى ؟ ألم أكن جالساً أضرب أخماساً لأسداس فوق مكتب أستاذى العظيم ؟ هذا المكتب الذى ربما كتب عليه الزيات فصولاً من كتابه الثمين فى تاريخ الأدب العربى ، أو ترجم فوقه فصلاً أو فصلين أو فصولاً كثيرة من آلام فرتر أو من رفائيل ... أو دبّج عنده خمسين أو ستين من افتتاحياته العجيبة التى جمعها فى وحى الرسالة ولم يهد إلىّ منها نسخة مع ما كان يعرف من مرضى وانقطاعى عن الدنيا إذ ذاك ، ومع أنه أهدى منها إلى

جميع الناس ، بالرغم مما ذكر لى مرة أنه لا يهدى كتبه إلى أحد ... ذكرت ذلك كله واشتغلت به عن موضوع المقال ، وذكرت إلى ذلك كله عهود الصبا وشرخ الشباب ... أيام أن كان الزيات العظيم آنق معلم 'معنتَمٍّ' فى مصر ، والشيخ الذى يفتخر الطلاب بالتأدب عليه والتتلمذ له

بيد أن بعض الحوادث سيطرت على كل تلك الذكريات واستبدت بها ، فقد كان الأستاذ يملى علينا يوماً تمريناً فى البلاغة وكان يملى من ذاكرته دائماً ... فلما أملى بيتى جرير المشهورين فى العيون[1] علق عليهما هذا التعليق التقليدى الذى تحشى به كتب الأدب ، من أنهما أحسن ما قيل فى العيون ... وهنا بدا على شىء من الضيق جعلنى أبتسم كالذى يستهزىء بهذا الكلام ، فلما سألنى الزيات ماذا يضحكنى أجبته بصراحة : هذا التعليق الذى تسمح به وبأمثاله كتب الأدب ، فسألنى : ولم ؟ قلت لأننى أحفظ فى وصف العيون شعراً هو فى نظرى أروع من شعر جرير وأنا مع هذا لا أعده أروع ما قيل فى العيون ، ولا أروع ما ينتظر أن يقال فيها ، فسألنى أن أتلو شيئاً مما أحفظ ، فقلت :

نجلٌ تظل حواليها نواظرنا صرعى من الوجد فوق الخد والجيد
لمن إعجاز عيسى إن أردن بنا خيراً وفيهن أسرار المناقيد

وهنا سألنى ، أو أمرنى ، أن أكتبهما على السبورة ، فاعتذرت برداءة خطى الذى يلقى منه عمال مطبعة الرسالة الأمرّين ، فكتبهما الزيات العظيم بيده ، وكان خطه دقيقاً أنيقاً جيداً كعهده إلى اليوم ، ثم التفت إلىّ وسألنى عن اسم الشاعر صاحب البيتين ، فقلت هما لمسلم بن الوليد ... فقال ، لا ... إننى أحفظ ديوان مسلم ولا أعرف أنه قالهما ... فقلت : هما إذن للعباس بن الأحنف ... فقال : ولا للعباس يا خشبة ... فقلت : هما لى إذن وأنا ناظمهما ... وهنا ثارت فى الفصل عاصفة شديدة من الضحك ، وأصر إخوانى الطلبة على أن يسمعوا القصيدة كلها ، فأبيت ، واستنجدت بالزيات العظيم . فلما سألنى : وما ذا يمنعك ؟ أسررت إليه أن معظم القصيدة فى الأدب المكشوف الذى أستحيى أن أنشده ... فاستطاع حفظه الله أن يصرف شياطين طلبة (الأعدادية !) فى

ولم تحصل طبعاً موازنة بين ما قلت وما قال جرير الخالد الذى لا يعقل أن يطاوله فتى فى السابعة عشرة من عمره

ومما كانت ذاكرتى تضطرب به اضطراباً شديداً هذا الحادث الذى وقع لى مرة مع أحد أساتذة اللغة العربية بالمدرسة ، فقد كان هذا الأستاذ يدرس لنا الأدب قبل أن يعوضنا الله منه بالأستاذ الزيات ، وقد كنت دائم الاختلاف معه خصوصاً فى كثير من تعبيراته العربية ، وقد ظن الأستاذ أننى أستخف بمحصوله العلمى فرفع الأمر إلى ناظر المدرسة الذى تعجل فانتهرنى على صورة من الصور ... وقد لِنْتُ للناظر ولكن لا على حساب كرامتى ؛ ثم رجوته أن يُحكّم فى أوجه الخلاف الأستاذ الزيات ... وقد عرفت أنه أخذ باقتراحى ، لأن المدرسة عهدت بعد أسبوع أو نحوه بالفصول (الصغيرة) إلى الأستاذ ، وفوجئنا مفاجأة سارة بدخول الأستاذ الزيات ليدرس لنا مادة الأدب علاوة على المواد العربية الأخرى كلها

وكلفنا الزيات مرة بالكتابة عن المرأة المصرية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها . ثم انتهت الحصة ولم أفرغ من الكتابة بعد وإن كنت قد كتبت اثنتى عشرة صفحة . فلما كانت الحصة التالية تقدمت إلى أستاذى الجليل بكراستين كاملتين فى موضوع المرأة المصرية . ولما سألنى متى كتبت كل هذا (الهراء !) عبست العبوسة الهائلة التى كان لا بد لغرور التلميذ المراهق أن يعبسها ، ثم قلت : ليس ما كتبت هراء ، ولكنه ملخص دعوة قاسم بك أمين ، وما رد به المحافظون والرجعيون عليه ، وعلى رأسهم محمد طلعت حرب بك ... ثم يلى ذلك رأيى ، (أى والله قلت هذا بالفم المتلىء المتهدج !) بصفتى مصريا أولا وبصفتى مسلماً ثانياً . . . وكنت أحبذ آراء المرحوم قاسم بك فى ذلك الحين إلى حد الجنون ، ولا أرى فيها ما ينافى الدين ولا الكرامة ولا الحشمة . ولكن الزيات تبسم فى هدوء وسكينة ثم قال : لا بأس ، لا بأس ! ولكن ابحث لك عن معلم غيرى يصحح لك كراستين كاملتين فى موضوع واحد . فقلت . . . وهى قولة تفيض كبراً ويكاد يخنقها الغرور : على كل حال لقد كتبت فى الموضوع الذى

(١) إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

كافتنا به ، ولست أرى أن ما كتبت فى حاجة إلى تصحيح (!!)

والمدهش أن الزيات — بعد كل هذه الوقاحة — لم يزدد لى إلا محبة ، ولم يجزنى إلا بكل مودة ، ولم يقابلنى إلا بكل رعاية ... مع أننى انتهزت فرصة تفتيش محمد بك الخضرى على المدرسة بعد ذلك بأيام قلائل ، وقدمت له الكراستين مباهياً . . . فشجعنى الرجل عليه رحمة الله بكلمات ، ووعدنى بقراءة موضوعى الطويل ، ورد الكراستين حين يفرغ منهما . وأكبر ظنى أنه لم يفتحهما خارج المدرسة ، لأننى فقدتهما إلى الأبد . . . فيا ترى ! ما ذا كنت قد كتبت فيهما ؟!

هذا بعض ما كان يهجس فى رُوحى من ذكريات أستاذى رئيس التحرير الذى كنت أجلس على مكتبه مشتغلاً بماضىّ معه ، عن الموضوع الذى يجب أن أفرغ من كتابته فى نصف ساعة ، وكان النصف الآخر قد مضى فى استعراض هذه الذكريات ...

ثم دخل أخى محمد فجأة لأمر ما من أمور الإدارة ، فلما رأى الصحيفة بيضاء هذه المرة أيضاً ، كآخر عهده بها ، اربدّ وجهه ، وشحب شحوباً شديداً . وكنت قد أخذت أحلم أحلاما أخرى من نوع آخر ، غير أحلامى بالذكريات السالفة ، فقد انتقل خيالى السابح إلى أدب الأستاذ الزيات شكلا وموضوعاً ، وجعلت أستعرض « فرتر » و « رفائيل » استعراضاً هادئا . فها هو ذا « فرتر » يقبض على مسدسه لينتحر . . . وها هو ذا الدم يتفجر من جبينه بعد أن دوّت تلك الرصاصة الطائشة . . . وها أنذا أبكى — يوم قرأت فرتر لأول مرة بالطبع — متأثراً أشد التأثر . . . ثم ها هى ذى چوليا ، حبيبة رفائيل ، تموت مما بها من مرض ، وها أنذا أتلو على رفاتها قصيدة لامرتين : البحيرة ، ثم قصيدته : الوحدة ، بقلم الأستاذ الزيات ... وبعد ذلك أتذكر وصف الفنى رفائيل ، ذلك الوصف الرائع فى العربية بقلم الزيات ، وفى الفرنسية بقلم لامرتين ، فأزداد انصرافاً عن الموضوع الضائع الذى لم أستطع أن أهتدى إليه بعد ...

ونظرت فرأيت أخى محمداً ما زال واقفاً أمامى . فقلت له : ما هذه الضجة التى أسمعها فى الشارع ...؟

فقال : العمال ...

فقلت ، وقد خفت أن يكونوا عمال المطبعة : مالهم ؟

فقال : سيتناولون طعام الإفطار على مائدة مولانا !!

فقلت : حفظ الله مولانا ، ومسح الله دموع الفقراء ... عن إذنك يا أخى محمد ... خذ المقال بعد ربع ساعة !

ثم كتبت فى وسط السطر : يا دموع الفقراء !

***

وفرغت مما كتبت فى خمس عشرة دقيقة ، وخرجت فوجدت صديقى الشاعر ينتظرنى لنصل ما انقطع من حديثنا عن الشعر المرسل ، فأكملناه على أحسن وجه حتى وصلنا إلى ميدان الملكة فريدة ، ومشينا على الأقدام

دريني خشبة

المشكلات

٨ ـ اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لا أريد أن أضع منهاجاً مفصلاً للطريقة الجديدة لتعليم اللغة العربية ، وإنما أريد أن أضع قواعد مجملة تتبع عند وضع هذا المنهاج ، وهذه مبنية على ما تقدم بحثه .

يجب أن يحذف درس القواعد من التعليم الابتدائى والأولى لأن القواعد كما قلنا لا تكسب ملكة اللغة وإنما هى فلسفة للغة وضوابط ؛ فمن الواجب أن نسعى فى أن نكون للناشئ ملكة اللغة أولاً .

يجب أن نستبدل بالقواعد المطالعة الكثيرة والحفظ الكثير والمحادثة والمحاورة .

ويجب أن يختار للتلاميذ ما يحفظونه بحيث يكون مناسباً لأذهانهم لا يعلو عليها ، وتؤلف لهم محاورات يحفظونها ويتحاورون بها وتكون مما تكثر فى الكلام ويحتاج إليها فى الخطاب .

ويجب أن يعلم أن هذه المحفوظات تحفظ لتكون نموذجاً ذهنياً ليقيس عليه كلامه من حيث لا يدرى فيجب أن يعنى بهذه النماذج فتحفظ صحيحة لا غلط فيها ، ومعربة لا لحن فيها ، فإنه إذا حفظها ملحونة ارتسم النموذج فى ذهنه كذلك ، فنسج على منواله ، وأنفق مما اكتسب . ويجب على المدرس أن يراعى تلاميذه ويعلم موطن الضعف فى لغتهم ويزودهم بما يزيل ضعفهم ، ويقوّم لسانهم ، فإن رأى منهم أنهم يجرون الفاعل فى أحاديثهم فليعلم أنهم بحاجة إلى أن يحفظوا كثيراً من المقطوعات فيها أمثلة كثيرة للفاعل ، وليأخذهم بحفظها صحيحة غير ملحونة .

أما مرحلة التعليم الثانوى فيجب أن يظل التعليم بالحفظ والمطالعة فيها ويزاد عليه قواعد اللغة ، ولكن ليست القواعد التى بين أيدى التلاميذ الآن ، بل القواعد التى سأقدم مشروعها ، والتى تجمع الصدق والوضوح والسهولة .

ويجب ألا تقل العناية بالحفظ والمطالعة فى هذه المرحلة بل يجب أن تزيد ، ويجب كما قلنا أن تؤلف لهم روايات تمثيلية أخلاقية يحفظون أدوارها ويقومون بتمثيلها .

ويجب كما قلنا أيضاً أن يكلف التلاميذ بنخل دواوين الأدب واختيار أحسن ما يقرؤون ، ثم بحفظ أحسن ما يختارون ، وأن تعطى درجات لمن قام بعمل ذاتى فى أيام العطلة الصيفية فى الحفظ والمطالعة .

أما مرحلة التعليم العالى فهى كمرحلة التعليم الثانوى فى الحفظ والمطالعة والقواعد ، ولكن يجب أن يتعمق فى درس هذه القواعد ، وفى بحث أصولها وفى الموازنة بين مذاهب العلماء فيها

فأما خلق جو عربى فى المدرسة أو فى دروس اللغة العربية خاصة لا يتكلم الطلاب والمدرسون فيه إلا باللغة العربية ، وتكليف التلاميذ بكتابة موضوعات ينشئونها فقد سبقت الإشارة إليها فيجب أن تدخل فى البرنامج الجديد لتعليم اللغة .

وينبغى أن يعلم أن تكليف التلاميذ بموضوعات ينشئونها ليس لغواً فى طريقتنا كما هو لغو فى الطريقة الأولى ، لأن الطريقة الأولى كانت تكلفهم الإنشاء وليست عندهم معان يكتبونها لقلة ما يطالعون وما يحفظون ، وليست عندهم ملكة اللغة العربية — أما فى الطريقة الحديثة فهى تكلفهم الإنشاء وعندهم معان خلقتها المطالعة والحفظ والاطلاع على آراء العلماء ، وهى تكلفهم وقد رسخت فى نفوسهم ملكة اللغة بالحفظ والمطالعة والحديث ، وسيسر ذلك المعلمين ويجعل الدرس لذيذاً لأنهم إذ يصححون كراسات التلاميذ فى الإنشاء لا يطلعون على لغو من القول يقذى العين ويغثى النفس كما كان فى الماضى ؛ بل يطلعون على أقوال لها حرمتها ومكانتها إذ هى بنت المطالعة الكثيرة والدرس الطويل .

ذلك أسلوب نراه كفيلاً بكل ما نريد من رقى لغوى وبيانى لأنه كفيل بتكوين الملكات فى اللغة والبيان ، وبهذه الملكات تفهم اللغة وتتذوق أولاً ، وتفهم أصولها وقواعدها ثانياً ، ونراه كفيلاً أيضاً بامتاع المتعلم وإلذاذه ، وكفيلاً بفائدته وخيره .

فأما إمتاع التعليم بهذه الطريقة فإنها تملء اللغة بآداب السالفين ، وحكم الماضين ، وبالأشعار البليغة ، والخطب الفصيحة ، وتواريخ الأمم ، وفى كل ذلك غذاء للعقل ، وإرضاء للقلب ، وإمتاع للعاطفة ؛ والمرء يسر ويأنس للخبر الغريب ،

والنادرة الطريفة ، والحكمة النافعة ، والمثل السائر ، والجواب المسكت ، والقول السديد ، والرأى الحميد ، وهذا كله جمل فى الطريقة الحديثة مادة لتعليم اللغة ، يطالع فيه ، ويحفظ منه ، والقول إن كان بليغاً ، والمعانى إذا كانت رائعة أنست بها النفوس ، وهشت لها ، ووجدت فيها المتعة واللذة

وأما الفائدة فأى فائدة أعظم من التأدب بآداب العلماء ، والاطلاع على حكمة الحكماء ، والانتفاع بتجارب ذوى التجارب ، وهذا كله جُعل فى طريق تعليم اللغة ، والكلمة الطيبة إذا نزلت بالنفس وعلقت بها واستوثقت منها ، وأيقنت بها ، فإنها تكون هادية ومرشدة ، ينتفع بها المرء فى غدوه ورواحه ، وصبحه ومسائه ، كما قال الله تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها »

والمرء ما عاش بحاجة إلى الأدب الذى به تعمر القلوب ، وتزكو النفوس . قال عبد الله بن المقفع : (ولسنا إلى ما يمسك أرماقنا من المأكل والمشرب بأحوج منا إلى ما يثبت عقولنا من الأدب الذى به تفاوت العقول . وليس غذاء الطعام بأسرع فى نبات الجسد من غذاء الأدب فى نبات العقل . ولسنا بالكد فى طلب المتاع الذى يلتمس به دفع الضرر والغلبة بأحق منا بالكد فى طلب العلم الذى يلتمس به صلاح الدين والدنيا ،) وإن المرء قد يفيده الحرف من الأدب ويكون أرد عليه من جيش عرمرم . قال معاوية : لقد رأيتنى وأنا أهم بالفرار يوم صفّين وما يمنعنى إلا قول الشاعر

وقولى كلما جشأت وجاشت ، مكانك تحمدى أو تستريحى

فأين من هذا كله القواعد وليس فيها متعة ولا لذة ، فليست عاطفية حتى تثير العاطفة والوجدان ، وليست عقلية حتى تكون فيها لذة المعقولات لمن اعتاد المعقولات ، إنما اللغة مواضعة واصطلاح ، وقواعد اللغة شرح وتفسير لهذا الاصطلاح ، وليس فيها إلا بعض علل عقلية ، وهذا مغمور وسط علل مدخولة ، وأسباب غير معقولة .

وكما أنها لا تثير لذة ، ولا تبعث متعة ، كذلك لا تحصل منها على فائدة . وما الفائدة منها وهى ليست حكمة ولا مثلاً ولا شرحاً لقانون من قوانين الحياة ، وهى تبعد عن الحياة وتجاربها وعن محيطها الواسع ، وبحرها الجياش المضطرب ، وأن الذى يقرأ كتاباً فى القواعد كالأشمونى أو المطول ، يخرج منه ولم يستفد خبرة بالحياة ، بخلاف من يقرأ كتاباً كالكامل لأبى العباس المبرد ، أو البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ؛ فإنه يخرج منه بحكمة الدهور وعظة الأيام ، ومهما فاته فلن تفوته حكمة أو تجربة ، هى عصارة عصور ، وخلاصة دهور .

وما أظن الأمم الإسلامية منيت بما منيت به ، بعد العز والمنعة والقوة والصولة إلا من شغل علمائها وخاصتها طول عمرهم بكتب القواعد التى لا تكشف إلا عن طرف يسير جداً من هذا الكون الواسع ، أو بالحرى لا تكشف عن شىء إلا عن مواضعة واصطلاح وتفسير لهذه المواضعة وهذا الاصطلاح ، ومن انصرافهم عن هذا الكون الفسيح وعلومه ، وعلل حوادثه وأسبابها ، وشؤون النفوس وخواطرها ، وتزكيتها وتدسيتها

ما هذا الحظ العاثر ! قد جمع لنا المتقدمون أبواب الحكمة وتجارب الحياة ، وكانوا أحرص الناس على حفظها حتى ينتفع بها من بعدهم ، وكان حرياً بنا أن نغترف من هذه الموارد العذبة ، ونستقى من هذا السلسبيل الصافى ، فكان نصيب النافع منا الإعراض والنفور ، ونصيب غيره الإقبال عليه ، والسكاف به

أى شىء أنفع وأجدى من حكم أفادها أصحابها بعد التجارب المرة ، والعثار والخيبة ، والتردى والسقوط ، وبعد النيل تارة ، والإخفاق تارات ، وبعد أن ذاقوا حلو الحياة ومرها ، وصفوها وشوبها ، فأفادتهم التجارب علماً ، فجمعوا هذا العلم فى جمل قصيرة ، وحروف قليلة ، لتكون أقل كلفة ، وأيسر مؤونة ، ليسهل حفظها وادخارها إلى وقت الحاجة لينتفع بها

وهنا شىء أرى من الواجب على أن أنبه عليه ، وهو أن اسم الأدب أطلق كذباً وزوراً على تلك الأبيات من النسيب والغزل المذكر والمؤنث ، وعلى وصف الخمر ومجالس الشراب ، وعلى أبيات البطالة والعجز ، وعلى أخبار الفساق والمجان ، فيجب أن يتحرز من هذه ولا تدخل فى مطالعات التلاميذ ومحفوظاتهم لأن تأثيرها على الأخلاق شديد ، وإفسادها للمروءات عظيم ، فكم من مستقيم أخرجه عكوفه على هذا الأدب الزائف عن استقامته ، وكم من جاد همه المعالى وعظائم الأمور صيره هذا الأدب الزائف مسفاً ذميل الأمل . ولا يصح أن ينكر هذا كله ؛ فإن تأثير القول فى النفوس عظيم ، ونقضه للأسباب المتينة قوى . ويجب إذ آمنا بتأثير الكلمة الصالحة

٥ــ الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

ولقد حرم القرآن الكريم الصور المجسمة التي تتخذ للعبادة « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » والأنصاب هي الأصنام التي تعبد من دون الله كما ذهب إلى ذلك المفسرون. أما التصوير باعتباره أحد الفنون الجميلة، فلم يتعرض له القرآن بشيء بينما تناولته كتب السنة المعروفة بشيء من التفصيل إذ ورد بشأنه نحو مئة وسبعين حديثاً: طائفة منها تنص على لعن المصور، وطائفة تمنع بيع الصور، وطائفة تذكر أن أصحاب الصور يوم القيامة يعذبون، وطائفة تبين إثم من يصنع الصور، وطائفة تحظر استعمال ثوب فيه تصاوير، وطائفة تشير إلى أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، وطائفة أباحت تصوير ما ليس فيه روح، وطائفة رخصت في التصوير على الوسائد وما أشبهها

ويجمع علماء الدين الإسلامي على حرمة الصور المجسمة ما لم تكن صغيرة تتخذ لعباً للأطفال أو ناقصة الخلقة لا تستطيع أن تعيش إن قدر ونفخت فيها الروح. أما الصور المسطحة، فقد انقسموا حيالها إلى قسمين: قسم يرى حرمتها، وقسم يرى إباحتها. ويشك المستشرقون في صحة الأحاديث التي تنص على حرمة التصوير ويرون أنها مكذوبة على النبي افتعلها فريق من الفقهاء تحت تأثير اليهود الذين اعتنقوا الإسلام — والتوراة تنهى عن التصوير كما بينا آنفاً — أو ترغيباً في التقشف والبساطة في العيش وتنفيراً من الإقبال على الترف، أو كراهتهم للتصوير نفسه باعتباره من أسلحة السحر. ويرى هؤلاء المستشرقون تبعاً لذلك أن النبي لم يكره الصور ولم ينه عن اتخاذها، وأن تحريمها لم يظهر إلا بعد وفاته بنحو قرن ونصف عند ما أخذ الفقهاء يجمعون الأحاديث النبوية

ويقف علماء الآثار من هذا الموضوع موقفين متناقضين: فبعضهم يؤيد المستشرقين فيما ذهبوا إليه ويسوقون الأدلة على ذلك بوجود الصور على النقود التي كان يتعامل بها المسلمون مثل الدولة الأموية، وعلى السكة التي ضربها الأمويون والعباسيون، ثم بتلك الصور التي وجدت في بعض أبنية الأمويين والعباسيين والسلاجقة، وبعضهم يرى أن التصوير كان مكروها في الإسلام

في النفوس أن نؤمن بتأثير الكلمة السيئة فيها أيضاً؛ فإن المعاني إذا كسيت الألفاظ الرائعة، والنظم البارع كانت حبيبة إلى كل نفس، وكانت مداخلها إلى النفوس خفية، ونقضها للطبائع المحكمة عظيما. ولأمر ما حذر النبي (ص) من كل منافق جهول القلب عليم اللسان.

وإذا دار الأمر بين تعليم اللغة من سبيل هذا الأدب الزائف وجهلها — اخترنا جهلها، لأنه خير لنا أن نعرب في أفعالنا ونلحن في أقوالنا من أن نعرب في أقوالنا ونلحن في أفعالنا

الآن أشعر بما يشعر به من كان يحمل حملاً ثقيلاً فمشى به أميالاً في صحراء محرقة حتى ارفض عرقاً، وتقطعت أنفاسه تعباً، ثم بلغ به مستراحاً ومقيلاً، فرمى بحمله وجلس بجانبه، فشعر بالراحة من ذلك الحمل الذي بهظه وأنقض ظهره.

أشعر بذلك لأنه كان حملاً ثقيلاً تلك الأمانة التي أخذ الله على العلماء ألا يدخروا نصحاً ولا يجدوا سبيلاً لرفع أممهم إلا أرشدوهم إليه، ونبهوهم عليه، وقد كان يحزنني أن تعلمني التجارب ما علمتني من قيمة القواعد في تعليم اللغة، وضرر الشغل بها عن علوم الحياة ثم أكتمه ولا أبوح به. والآن ولله الحمد قد خرجت من عهدة الكتمان، فبحت به، ولم أكتف بالبوح حتى أعلنته، ولم أكتف بالإعلان حتى دللت عليه. ولم أكتف بالتدليل حتى صرفت القول على وجوه شتى من التزيين والتقبيح والترغيب والتحذير. الآن وضعت الحمل وحمله آخرون.

محمد عرفة

وهذه الكراهية ترجع إلى عصر النبي

والواقع الذي لا شك فيه أن سواد المسلمين من شيعة وسنيين لم ينظروا إلى التصوير نظرة الارتياح؛ ولذلك لم يكن مجالاً لنشاط أغلب فنانيهم. على أن الذين ترخصوا فيه زاولوا رسم الأحياء في كل العصور الإسلامية تقريباً: في القرن الثاني بعد الهجرة في قصير عمرا، وفي القرن الثالث في قصور (سر من رأى)، وفي القرن الرابع في الحمام الفاطمي بالقاهرة، وفي القرن الخامس في مدينة الزهراء، وفي القرن السادس في قصر الحمراء، وفي القرن السابع في ديار بكر وقونية.

وفي هذه الأمثلة التي ذكرناها صور آدمية وحيوانية مسطحة ومجسمة تنطق بأن الفنان المسلم في هذه الناحية قد أجاد إجادة نسبية بالقياس إلى عصره.

على أن عبقريته الفنية لم تتجل في هذه الناحية بقدر ما تجلت في المخطوطات، فقد شغف المصورون المسلمون بتجميل المخطوطات وتزيين كتب العلم والدين والأدب والتاريخ والصناعة بصور تفسر ما تتضمنه من بحوث وحوادث وما تتناوله من الآلات والحيل الميكانيكية.

فكراهية التصوير كان لها أثر بعيد في الفن الإسلامي إذ كان عاملاً فعالاً في نضوج تلك الزخارف الإسلامية الرائعة التي لم ينتج مثلها فن من الفنون السابقة على الإسلام أو اللاحقة له.

صورة مسطحة على الورق تمثل المعراج القرن العاشر الهجري
من كتاب الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي للدكتور زكي محمد حسن

(يتبع) محمد عبد العزيز مرزوق

منهج البحث الاجتماعي

للأستاذ إميل دوركايم

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ثانيا – أبواب علم الاجتماع : العلوم الاجتماعية الجزئية

يميز كونت فى علم الاجتماع بين قسمين : الاجتماع الاستقرارى والاجتماع الديناميكى (التطورى) . ويدرس الاجتماع الاستقرارى statique المجتمع من حيث هو ثابت فى وقت معين من حياته ، ويبحث عن قوانين توازن المجتمعات ؛ فإن الأفراد يحيون فى كل لحظة حياة معينة ، وتقوم بينهم علاقات معينة تكفل التماسك الاجتماعى . ويجب أن يكون هناك نوع من العلاقات المحددة بين جميع مظاهر الحضارة المختلفة فى كل وقت ، بمعنى أن حالةً معينة من العلم مثلاً يتصل بها حالات معينة من الدين والأخلاق والفن والصناعة وما إلى ذلك ؛ فالاجتماع الاستقرارى إذن يبين هذه العلاقات والروابط التى يقوم عليها التماسك الاجتماعى . أما الاجتماع التطورى dynamiques فإنه يدرس المجتمع فى تطوره ويبحث عن قوانين ذلك التطور . ويرى كونت أن هناك قانوناً واحداً للتطور هو « قانون الحالات الثلاث Lois de trois états » ، تمر الإنسانية بمراحلها فى تطورها ؛ والإنسانية تتطور دائماً . وهذه المراحل أو الحالات هى : المرحلة اللاهوتية ، فالمرحلة الميتافيزيقية ، فمرحلة العلوم الوضعية . ولما كان علم الاجتماع أعقد العلوم الوضعية كلها فإنه يتناول ، لا مشكلة واحدة فحسب ، بل مشاكل ومسائل مختلفة ومتعددة بتعدد مظاهر الحياة الاجتماعية . فهناك إذن فروع لعلم الاجتماع ، أو علوم اجتماعية جزئية بمقدار تلك المظاهر المختلفة للظاهرات الاجتماعية التى لم تحص بعد . ويرى دوركايم أن من سبق الوقت أن نضع تصنيفاً منهجياً للظاهرات الاجتماعية لتعقدها وتعددها ، ولكن من الممكن ، فى نظره ، أن نبين بشكل ما الأقسام الرئيسية التى ينقسم إليها علم الاجتماع

إن أول ما يتوجه إليه نظر الاجتماعى هو المجتمع من ناحيته الخارجية ، فيظهر له أنه تكون من كتلة من السكان لها عدد معين وكثافة معينة ، وتسكن أرضاً معينة تتوزع عليها بشكل معين ، وتربطه بما حوله من المجتمعات علاقات وصلات وروابط معينة ، وفيه طرق مواصلات تفرضها طبيعة الأرض ، وهكذا . ولا شك أن ذلك كله من العوامل العامة التى لها أثرها فى الحياة الاجتماعية ، بل إنها أساس تلك الحياة . فكما أن الحياة النفسية فى الفرد تتغير تبعاً للبناء التشريحى المخ ، كذلك تختلف الظاهرات الاجتماعية حسب اختلاف البناء الاجتماعى . فلا بد إذن من وجود علم اجتماعى يكون بمثابة علم التشريح ، ويدرس التكوين المادى الخارجى للمجتمع . هذا العلم هو ما يسميه دوركايم « بالمورفولوجيا الاجتماعية » (أو علم تركيب المجتمع) La morphologie sociale ولا تصف المورفولوجيا الاجتماعية المجتمع وتركيبه فحسب ، بل تحاول تفسير ما تراه ، فتفسر مثلاً سبب تجمع السكان فى موضع دون آخر ، وهل التجمع يكون فى المدن أكثر منه فى الريف أو العكس وسبب ذلك ، وتبين سبب نشأة المدن الكبرى وهكذا . فهى أشبه شىء بالجغرافية البشرية ... وواضح من ذلك أن هذا العلم الجزئى يعالج بدون موضوعات ومشاكل مختلفة ومتعددة

ولئن كانت المورفولوجيا الاجتماعية تدرس الهيكل المادى الخارجى للحياة الاجتماعية ، فإن هناك علماً آخر يدرس هذه الحياة نفسها ، وهو ما يسمى بعلم الوظائف الاجتماعية (أو النظم الاجتماعية) la physiologie sociale ، وهذا العلم معقد أيضاً أشد تعقيد ومركب من عدة علوم جزئية مختلفة

فهناك أولا المعتقدات والنظم والشعائر الدينية . والدين ظاهرة اجتماعية لا يمكن أن تتمثل إلا فى مجتمع ، وتدعمه جماعة أو هيئة لها أصول ومراسيم تسير عليها دائماً ؛ وهذه الهيئة هى الكنيسة فى أوربا . وكثيراً ما يتدخل الدين فى السياسة ويتصل اتصالاً قوياً بالسلطة السياسية . وللدين – ويدخل فى ذلك الخرافات والأساطير وما شابهها عند البدائيين – سيطرة قوية على النفوس ، ولا بد للمجتمع أن يحترمه ويخضع له . ويرى دوركايم أن دراسة الدين هى أهم ناحية فى دراسة المجتمع ، وهى تكوّن ما يسمى بالاجتماع الدينى La sociologie relegieuse. ثم هناك الأخلاق والعادات ، وهى أيضاً ظاهرة اجتماعية هامة ، فلا يمكن تصور إنسان أخلاقى يحيا وحده ، إنما تنشأ الأخلاق من اتصال الناس وتتعلق بمعاملات بعضهم لبعض فى المجتمعات ؛

وفرع علم الاجتماع الذى يدرس الأخلاق هو الاجتماع الأخلاقى sociologie morale . ويتصل بالاجتماع الأخلاقي فرع آخر هو الاجتماع القانونى sociologie juridique ، وهو يدرس النظم التشريعية ، والقانون الذى يتصل أشد الاتصال بالحياة الاجتماعية وبنظمها ، ويحدد أفراد المجتمع . وهناك أيضاً النظم ويدرسها الاجتماع الاقتصادى sociologie économique ، وهو يبحث كل ما يتعلق بالإنتاج والمبادلة والثروات والتوزيع . هذه هى الفروع الرئيسية ؛ ولكن هناك علمين جزئيين آخرين هما الاجتماع اللغوى sociologie linguistique الذى يدرس اللغة من حيث هى ظاهرة اجتماعية تعتمد في وجودها على وجود مجتمع ما بين أفراده معاملات وصلات ، ومن حيث هى تحمل خصائص المجتمع الذى توجد فيه ، بحيث يمكن الاستدلال من اقتراب اللغات على اقتراب الشعوب . ثم أخيراً هناك الاجتماع الجمالى sociologie esthétique ، وهو يدرس أعمال الفن ؛ فإن الفنان — شاعراً كان أو خطيباً أو مثالاً أو نقاشاً — يظهر ذاتية مجتمعه الخاصة فى أعماله ، فهو يستمد معانيه الفنية من البيئة الاجتماعية في عصر معين فيعبر عنها ويخاطب بها أناساً غيره ، مما لا يتيسر إلا فى مجتمع

وقد دُرست بعض هذه الأبواب من قِبل دوركايم وخاصة الظاهرات الاقتصادية التى كانت تدرس تحت اسم « الاقتصاد السياسى Economie Politique » ولكن هذا العلم كان يهتم بما يجب أن يكون أكثر من اهتمامه بما كان أو بما هو كائن . ولا ينظر الاقتصاديون إلى الحقائق الاقتصادية نظرة العلماء إلى الحقائق العلمية الفيزيقية مثلاً ؛ ولذلك لا يرون ضرورة دراستها دراسة نظرية قبل محاولة الإصلاح . ثم إنهم يظنون أن الناحية الاقتصادية بعيدة كل البعد عن بقية نواحى الحياة الاجتماعية أو أنها مستقلة بذاتها ، بينما يرى دوركايم أننا لا يمكننا تفسير الظاهرات الاقتصادية إذا لم نعتمد ونلتجىء إلى بقية الظاهرات الاجتماعية ؛ فأجر العمال مثلاً لا يتوقف فقط على العلاقة بين « العرض والطلب » بل على علاقات أخرى اجتماعية أخلاقية كنظرتنا إلى الشخص الإنسانى واعتباره وفكرتنا عنه وتقديرنا له من حيث هو إنسان

فواضح إذن من التحليل السابق كيف أن علم الاجتماع لا يدرس مشكلة واحدة بل عدة مشاكل ، بحيث لا يمكن لإنسان أن يلم بمشاكله جميعها ، بل لا بد من أن يتخصص فى إحداها . وليس هذا يعنى أن ليس هناك علم كلى تركيبى يجمع النتائج العامة لكل فرع من هذه الفروع الجزئية ؛ فإنه مهما كانت الظاهرات الاجتماعية مختلفة ومتعددة ، فإنها ليست إلا أنواعاً لجنس واحد . ومن الممكن دراسة ما يؤلف وحدة الجنس وما يميز الظاهرة الاجتماعية فى ذاتها . والعلم الذى يهتم بذلك هو علم الاجتماع العام sociologie generale الذى يستخرج القوانين العامة من الجزئيات . وهذا هو الجانب الفلسفى لعلم الاجتماع

ثالثاً – المنهج الاجتماعى

بعد ما سبق يجب علينا أن نبين المنهج المتبع فى دراسة هذا العلم

إن المشاكل الرئيسية فى علم الاجتماع تتلخص فى البحث عن كيفية تكوين نظام سياسى أو قانونى أو دينى الخ ... وعن أسباب وجود تلك النظم . والتاريخ المقارن هو أحسن وسيلة تساعد الاجتماعى على حل هذه المسائل . فالنظم الاجتماعية معقدة أشد التعقيد ومركبة من أجزاء عديدة ، فلكى نفهمها لا بد لنا من أن ندرس كلاً من هذه الأجزاء على حدة ، لأننا لن نفيد شيئاً من دراسة النظام كاملاً على ما هو عليه الآن ، بل لا بد من الرجوع إلى بداية نشوئه ومتابعة تطوره خلال التاريخ ملاحظين ارتباط هذه الأجزاء المنفصلة بعضها ببعض حتى يصل النظام الاجتماعى إلى شكله الحالى . . . لنأخذ مثلاً لذلك ظاهرة القرابة وهى من الظاهرات التى تبدو بسيطة ؛ فإننا حينما نحاول دراستها تظهر لنا لأول وهلة فكرة القرابة الأبوية ؛ ولكننا إذا تقبنا خلال التاريخ ظهرت لنا فكرة أخرى وتصور آخر عن القرابة وهى القرابة التى تنتمى إلى الأم ؛ فهناك عائلات نعرفها خلال دراسة التاريخ لا تعرف إلا هذا النوع الأخير من القرابة ، ولا تلعب القرابة الأبوية فيها إلا دروساً ثانوية . ولكن القرابة الآن مزدوجة ، تعتبر الناحية الأبوية كما تعتبر الأم ، فكيف وصل هذا النظام إلى ذلك ؟ هنا أيضاً نتبع خلال التاريخ مرور هذه الظاهرة فى كلتا الحالتين خلال حضارات مختلفة ، حتى يندمجا معاً ويصلا إلينا على هذه الصورة الحالية المزدوجة . فبالتاريخ إذن نفسر ونبين علل الظاهرات الموجودة ؛ والتاريخ يلعب فى نظام الحقائق الاجتماعية دوراً يماثل الدور الذى يلعبه

الميكرسكوب فى نظام الحقائق الفيزيقية

وبذلك يمكن القول إن علم الاجتماع هو إلى حد كبير نوع من التاريخ . والمؤرخ أيضاً يعالج الظاهرات الاجتماعية ، ولكنه يعتبرها من ناحية خاصة من حيث تعلقها بشعب من الشعوب فى زمن معين وفى مرحلة معينة من مراحل تطوره . أما الاجتماعى فانه يحاول الوصول إلى علاقات عامة وقوانين كلية عن المجتمعات المختلفة . نعم قد يدرس دراسة خاصة ظاهرة ما مثل حالة الدين أو القانون مثلاً فى فرنسا أو انكلترا أو روما أو الهند فى هذا القرن أو ذاك ، ولكن مثل هذه الدراسات إنما هى فى الواقع وسائل فقط للوصول إلى بعض عوامل الحياة الدينية على وجه العموم ؛ ولذا فإن الاجتماعى يقارن فى دراستين مجتمعات من نفس النوع أو بين مجتمعات من أجناس مختلفة ليتأدى إلى ما يريد

وهناك منهج آخر عند دوركايم غير التاريخ ، وهذا المنهج نستخدمه حينما نبحث لا عن كيف تكوّن نظام اجتماعى ما ، بل سبب تمثل هذا النظام أو هذه الظاهرة فى هذه المجتمعات تمثلا متفاوتاً . مثلاً حينما نعرض لدراسة ظاهرة مثل جريمة القتل ، فإننا بدلا من أن نبحث أين نأتى هذه الظاهرة ، نتساءل عن أسباب تفاوت حظ المجتمعات المختلفة منها ، فبعضها تشيع فيها بكثرة ، وبعضها لا تظهر فيها إلا قليلاً . وكذلك الحال فى ظاهرة تفاوت الزّواج والطلاق كثرة وقلة فى المجتمعات المختلفة وهكذا . فنى مثل هذه المسائل نلجأ إلى الإحصاء la statistique(1)

ومهما يكن المنهج الخاص الذى يتبعه الاجتماعى فى دراسته فانه يجب عليه حين يدرس ظاهرة ما أن يتناسى تماماً كل فكرة قد يكون كونها لنفسه فيما سبق ، وأن يتناول الظاهرة كما يتناول علماء الطبيعة والكيمياء والفسيولوجيا والسيكولوجيا موضوعات دراستهم ، وإن كان من الصعب تحقيق ذلك فى علم الاجتماع ، لأننا نكوّن أثناء حياتنا اليومية بعض أفكار عن الأخلاق والقانون والمعاملات الاقتصادية وغير ذلك . ومن العسير نسيان هذه الأفكار .

(الأسكندرية) أحمد أبو زيد

(1) مع أن دوركايم لم يذكر فى هذه المقالة إلا الطريقة المقارنة والاحصاء كمنهجين اجتماعيين ، إلا أن هناك طرقاً أخرى تستعمل كمناهج أيضاً وهى : التحقيق العام L'enquete وهو يستخدم لدراسة الظاهرات الحاضرة القائمة أو التى كانت فى الماضى القريب ، كالتحقيق فى الجرائم مثلا . ثم التحقيق الخاص monographie ، وميدان بحثه ضيق ، ويتناول موضوعاً واحداً كدراسة أسرة معينة من جميع نواحيها وتعميم ما يتوصل إليه من نتائج ، وسحبها علي الأسر الأخري المماثلة ، وهذا التعميم من العيوب التى تؤخذ علي هذه الطريقة . ثم هناك الوثائق المكتوبة documen's ecrits كدراسة القانون والمنشورات الحكومية ودلائل الشركات وغير ذلك . وهذه الطرق على العموم فائدتها أقل من المنهجين الذين ذكرهما دوركايم هنا . والمنهج لا بد له من شروط ، وقد بين دوركايم هذه الشروط فى كتابه : قواعد المنهج الاجتماعى Les règles de la methode sociologiques ، وهذه الشروط هى : ١ — وجوب اعتبار الظاهرات الاجتماعية كالأشياء ٢ — وجوب نبذ كل فكرة سابقة عن الظاهرة التى تعالجها ٣ — تعريف الظاهرات التى تدرسها وتحديدها وتوضيح = أنواعها المختلفة وما بينها من فروق ٤ — عدم التحيز إلى بيئة معينة ، بل يجب القضاء على حساسية عالم الاجتماع الخاصة ٥ — وجوب التفرقة بين الظاهرات الصحيحة السليمة والظاهرات الشاذة المريضة . (راجع فى ذلك كتاب قواعد المنهج الاجتماعى لدوركايم . كذلك استفدت فى كتابة هذه الحاشية بمحاضرات علم الاجتماع التى ألقاها الأستاذ عبد العزيز عزت مدرس علم الاجتماع بجامعة فؤاد الأول على طلبة قسم الفلسفة بجامعة فاروق الأول عام ١٩٤١)

الزهرة اليتيمة

[نبتت فى طريق أحد المتنزهات بين الصخور والأحجار زهرة جميلة فقلت فيها]

للأستاذ أحمد الصافى النجفى

عرضت حسنها برغم الصخور   زهرة لم تنل حظوظ الزهور
فهى تحيا على شفا الموت لما   أن أقامت على طريق العبور
وهى تعطى للعابرين جمالاً   وأريجاً ونفحة من سرور
إنْ تغاضوا عنها دعتهم إليها   بلسان الشــذا ولحن العبير
تسأل العابرين عطفاً عليها   والتفاتاً لحسنها المغمــور
وهى من عين من يمر عليها   لم تطالب بغير حق المرور
أصبحت زينة الطريق جديباً   وترى الزهر زينة للصدور
فهى رغم الشحوب تبدى اختيالاً   وابتهاجاً برغم صرف الدهور
تعصر الريح كى تصيب رواء   وتبــل الظما بلفح الهجير
وهى تحت الغبار تبدى جمالاً   مثل خَوْدٍ تشع تحت الستور
كم دهاها فى الساق كَسر فقامت   تتهــادى بساقها المكسور
ولدت جنب قبرها فهى جذلى   بحيــاة وعينها للمصير
يا لها من يتيمة فصلتها   عن حمى أمهــا يد المقدور
ورماها القضاء مغمضَ عين   وسط دار ليست بدار الزهور
لا رفاق لهـا ولا أخوات   تعست بذرة لها فى البذور
فهى بنت الطريق تحيا وتفنى   تحت ركل ودهسة وعثور
وهى تحكى فقيرة فى طريق   عرضت كف مقعد وأسير
جهلت دارها القديمة لكن   علمت أنهــا غريبة دور

من شعر الأطفال

للأســتاذ على متولى صلاح

١ – طفل يناجى أمه

أمّى : أحبّك مثلما   أهوى وأرغبُ فى الحياهْ
أمّى : أطيعُك دائماً   لأنال رضوان الإله ...

إنى صــغيرُك فاقبلى   منى التحيّة والدُّعاءْ
إنى فــداؤك فاسألى   روحى أقدّمْها فداءْ ...

٢ – تحية الشمس

أشرقى بالضــياءْ   يا حيــاة الوجودْ
أنتِ زينُ السماءْ   أنتِ رمزُ الخــلودْ
أشرقى أشرقى ...

أشرقى للأنامْ   يا جمال الحيــاهْ
وابعــثى الابتسامْ   فوق كلِّ الشفاهْ
أشرقى أشرقى ...

فيكِ معنى الجهــادْ   فيكِ معنى الكفاحْ
فاظهرى للعبــادْ   يا شــعار النجاحْ
أشرقى أشرقى ...

٣ – المدرســة

دارُ عــلم وأدبْ   وسرور وطــربْ
نقطعُ اليوم بهــا   بين جدٍّ ولعبْ
وننفــذى عقلنا   ونؤدِّى ما وجبْ
نحنُ فيهــا دائماً   لا نبــالى بالتعبْ
نحنُ فيهــا إخوةٌ   ضمّنا برٌّ وحُبْ ...



١ — شعراء المهجر

ترددت كلمة شعر المهجر ، وشعراء المهجر ، فى مقالات بعض الأدباء ، وذلك بمناسبة السجال الأدبى الذى دار بين الدكتور محمد مندور ، والأستاذ سيد قطب ، حول (الشعر المهموس) ، وقد رأيت بهذه المناسبة أن أذكر أشهر شعراء المهجر ومنتوجهم الشعرى الذى أخرجوه لعالم الطبع . وغرضى من هذا الإشارة — ولو كانت خاطفة — إلى لون من الأدب العربى المصرى يمتاز بطابع خاص ، وسمة معروفة ؛ تتجلى حين مقابلته مع آداب البلدان العربية الأخرى .

فأشهر هؤلاء الشعراء هم : الأستاذ إيليا أبو ماضى ، صاحب ديوان (الجداول) ومجلة (الناهل) الأدبية ؛ والمرحوم جبران خليل جبران الكاتب الفنان ، وله ديوان (المواكب) ؛ والشاعر المفكر ميخائيل نعيمة صاحب قصيدة (النهر المتجمد) الرمزية ؛ وهو قد جمع شعره ، وسيطبع قريباً باسم (همس الجفون) على ما قالت مجلة (الأديب) البيروتية ؛ والفيلسوف أمين الريحانى الذى أفرد معظم الجزء الثانى من كتاب (الريحانيات) للون خاص من الأدب ، جاء به شعراء المهجر وهو (الشعر المنثور) ؛ ورشيد أيوب الملقب (بالشاعر الدرويشى) وقد توفى فى العام الماضى ، بعد أن ترك مجموعاته الشعرية : (الأيوبيات) و (هى الدنيا) و (أغانى الدرويش) ؛ والشاعر فوزى المعلوف وله ملحمة (على بساط الريح) ،وشقيقه رياض المعلوف ، وقد أصدر مجموعة من شعره بعنوان (الأوتار المتقطعة) وشفيق المعلوف صاحب ملحمة (عبقر) الشعرية ؛ والشاعر إلياس فرحات الذى أصدر قبل سنين رُباعيات باسم (رباعيات فرحات) ، ونعمة قازان ، وله (معلقة الأرز) ؛ وهناك مجموعة جيدة من شعر الشاعر القروى ؛ ومن شعراء المهجر المعروفين ، نسيب عريضة ، وإلياس قنصل ، ولم يجمعا شعرهما بعد — على ما نعلم — ومما يجب ذكره ، ونحن فى معرض الإشارة إلى شعراء المهجر ،أنهم يعنون بالمعانى الشعرية قبل الألفاظ ، وهم قد خرجوا عن حدود الشعر العربى وعروضه المعروفة ، إلى ضروب متباينة من النظم . وشعراء المهجر لا يعنون بالديباجة العربية ، والبيان العربى ؛ وقد تأتى ذلك من معيشتهم فى بيئة غربية غريبة عنهم ؛ عدا الشاعر الكبير إيليا أبو ماضى الذى جمع إلى خياله الرائع وأفكاره العالية لغة حلوة ، وبيانا مسلسلا ؛ وقد اكتسب ذلك من إقامته فى القطر المصرى بضع سنين .

٢ — شاعرية العقاد

أنكر الدكتور محمد مندور شاعرية الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى السجال الأدبى الأخير ، وهذا الذى يعلنه الدكتور مندور لا يرضاه كل من تذوق شعر العقاد ، وقرأ دواوينه الرائعة . والعقاد شاعر موهوب ، ويمتاز شعره بالأفكار الفلسفية الناضجة المبثوثة فى تضاعيفه . والحكمة التى تقرؤها فى بيت للمتنبى مثلاً ، تقرؤها فى أبيات متسلسلة فى قصيدة من قصائد العقاد ؛ كما يمتاز بوحدة الموضوع ، وموسيقى المعانى التى لا يعرضها الشعر العربى الحديث إلا فى شعراء معدودين أبرزهم الأستاذ خليل مطران بك . والذى ينكر شاعرية العقاد يجب عليه أن يقرأ أول آثار العقاد الشعرية ، وهو ديوان (العقاد) ، وأن يعيد النظر فى الطرفة الشعرية الخالدة (ترجمة شيطان) وقصائده : (البدر فى الصحراء) و (أنس الوجود) و (طاس على ذكرى) ، فيرى أن العقاد من كبار الشعراء المعاصرين

٣ — رباعيات الخيام

ذكر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى العدد (٥٢٨) من الرسالة الغراء ، أسماء الشعراء العرب الذين نقلوا رباعيات عمر الخيام إلى اللغة العربية بمناسبة ظهور الطبعة الثانية من ترجمة الصافى الرائعة ؛ ولم يذكر أن هناك ترجمة منظومة للأستاذ محمد السباعى نقلها عن الإنكليزية ، كما لم يذكر المختارات التى انتقاها الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى من رباعيات الخيام ، وترجمها إلى العربية نثراً . ثم أتبعها بترجمة شعرية ،

وهناك ترجمة شعرية لهذه الرباعيات قام بها الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ، ونشر بعضها في مجلة (الرجاء) النسائية ، وفي الجزء الثاني من (ديوان المازني) . وقد ترجمها عن الفارسية نثراً الأستاذ حامد أحمد الصراف ، جملها في ختام كتابه عن (عمر الخيام) : ومن التراجم التي لم تظهر في عالم الطبع ، ترجمة الشاعر الأستاذ محمد مهدي الجواهري ، وترجمة الأستاذ السيد محمد الهاشمي صاحب مجلة (اليقين) البغدادية . ومما أود ذكره في هذه المناسبة أن في ترجمة السباعي ، وهي الترجمة الثانية ، لرباعيات الخيام في اللغة العربية بيتين مسروقين عن الشاعر الشهير با (بن وكيع) ،

وهذان البيتان هما :

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالوقت خلس

سل سيف الفجر من غمد الدجى

(وتعرى الصبح من ثوب الغلس)

ويلي هذين البيتين قول ابن وكيع من القصيدة نفسها :

وانجلى عن حلل وردية نالها من ظلم الليل دنس

(بغداد) محمود العبطة

تعليم الإنشاء في المدرسة الثانوية

في مقطم ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٨ أبديت رأياً صريحاً وجهته إلى حضرة صاحب المعالي وزير المعارف – إذ ذاك – علي الشمسي باشا ، طلبت فيه : أن يختص معلم الإنشاء به ، وأن يفرغ مدرس البلاغة لها ، وأن يكون للأدب أستاذ خاص . وهكذا . . .

واليوم أرى وزارة المعارف تنهض لهذا الرأي ، وإني لأرجو – مخلصاً – أن توفق للأخذ به . وهذا رأيي وعلى تبعته ، « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت »

محمد مختار يونس
المفتش بالتعليم الثانوي

إيضاح

كتب الأستاذ مرزوق في مقاله العدد ٥٣٥ من « الرسالة » قال إن الإسلام نهى الفنان عن ابتداع الصور ، وذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً » وعندي أن هذا الحديث وأحاديث أخرى أعتقد أنها غير صحيحة ، وذلك لأن كتب الحديث لم توضع إلا بعد وفاة النبي بأكثر من مائتي عام تقريباً ، وهذه الأحاديث الخاصة بتحريم التصوير بينها وبين تعاليم اليهود ارتباط ؛ وما أكثر ما اختلقه اليهود من أحاديث نسبوها كذباً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ! واليهود تنص التوراة التي يدينون بها « لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء »

وعلى فرض صحة هذه الأحاديث ، فأعتقد أنها لا ترمي إلى التحريم الذي اعتقده الأستاذ مرزوق في مقاله ، فأنا أنزه الإسلام عن هذا والفن الجميل لا يتعارض مع الدين وكلاهما يدعو للفضيلة وإن كانت الفنون الجميلة في مصر فيها خروج على الدين وتعاليمه وإباحة لرؤية أجساد النساء عاريات وهذا ليس من الفن في شيء . فرسالة الفنان اجتماعية وهي الدعوة إلى الفضيلة ، ودينية هي إبراز محاسن الطبيعة التي تشهد بقدرة الله ، وسياسية وهي التنفير من مذهب يضر بالأوطان ... والإسلام يبيح الفن الذي يدعو إلى الفضيلة . وهناك من الأحاديث « إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم » و « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون »

ولكن المعنى الذي توهمه كاتب المقال وادعاه أعداء الدين ليس المقصود ، إنما قصد الرسول صلوات الله عليه أولئك الذين نحتوا الأصنام ، ثم أعدوها للناس يعبدونها ويتخذونها آلهة من دون الله أولئك يعذبهم الله عذاباً أليما حتى ينفخ أحدهم فيها الروح . وإلا فكيف أتاح معاوية وهو من الخلفاء القريبي العهد ببدء الإسلام أن يضرب نقوداً في عصره عليها تمثال فارس متقلداً سيفاً والروح الدينية على أشدها والعقيدة على قوتها ! وبعد فأنا أستبعد التحريم وأقول إن المقصود هو المعنى الذي سقته ... والفن مباح في حدود الدين والأخلاق

(منفلوط) أحمد لطفي القاضي
المحامي

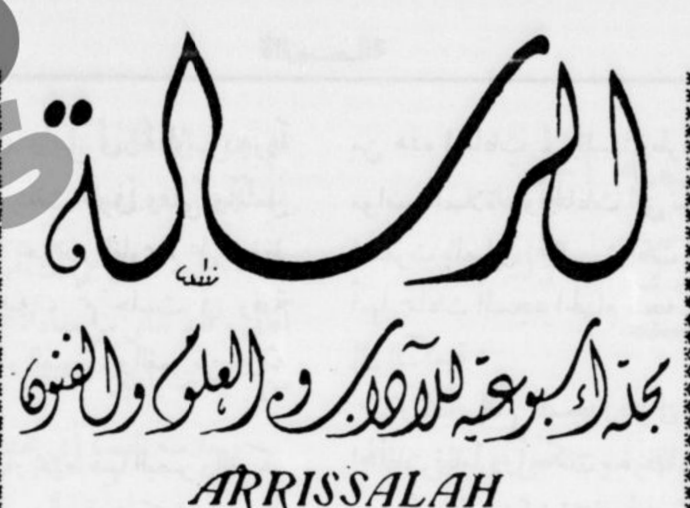
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 538

Lundi - 25 - 10 - 1943





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٣٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ شوال سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٢١ ، ٢١

فى المسجد الأقصى

للدكتور عبد الوهاب عزام

شهدت صلاة العشاء فى المسجد الأقصى فى رمضان ، فلا أنسى ما يستقبل الداخل من روعة التكبير ينبعث من جانب المحراب بعيداً كأنما ينبعث من عالم الغيب . وما أنسى القناديل الخافقة فى أرجاء المسجد كأنما ترعد من جلال التكبير ، ويأتلف تسبيح المصلين وخفقات الضوء كما تتآلف موسيقى من الأنغام والأشعة

وخرجت أمشى فى الساحة الفسيحة الجليلة والرحاب الواسعة فى صحن الصخرة وحوله وأشهد الأسوار والأبنية تحدث أخبارها والفكر طيار بين الماضى والحاضر ، والبصر حائر فى هذه المشاهد الكثيرة المهيبة ، والقمر يرسل أشعته تترقرق على قبة الصخرة الجميلة وتنساب بين الجدران والأشجار ، والظلال تفصّل الضوء فتكتب سطراً من الجمال رائعاً ، أو تخط آية من آيات السجدة فى هذا الحرم المظيم يقرؤها كل ذى قلب فتسجد جبهته أو يسجد قلبه

تركت الحرم وملء نفسى هذا الجمال والجلال ، وملء قلبى ذكر وعبر . ولما خرجت من باب العمود تأملت سور المدينة وقد علا البدر وراءه فتخللت شرفاته الأشعة وبدت كأنها

فلول سيف قارع الحادثات طويلاً ، وأبلى فى الخطوب دهوراً

عدت إلى المسجد مرة أخرى يتلفت طرفى وقلبي وأتأمل هذه المشاهد مرة بعد أخرى كما يحرص القارىء على حفظ آية تروعه أو بيت من الشعر يعجبه ، ثم جلست فى رفقة كرام خارج باب العمود أتأمل السور الضيق ، والقمر من ورائه مرة أخرى

قلت لا بد من زيارة فى ضوء النهار يحيط فيها البصر والفكر بهذه الساحة العظيمة وما يتقسمها من أبنية ؛ فكم دخلت إلى هذا المكان فما استوعبه فكرى ولا أحاط بأرجائه نظرى

ثم واعدت الأستاذ عبد الله المخلص ، وهو من أعلم الناس بالحرم ماضيه وحاضره ، واعدته أن نلتقى بعد صلاة الجمعة فى معتكف السيد المجددى وزير الأفغان من الحجرات فى صحن الصخرة

هذا يوم الجمعة لست بقين من رمضان عام اثنين وستين وثلاثمائة وألف وقد اقترب الظهر وأنا منحدر فى شارع باب العمود أحمد الإسراع الذى يدفع إليه الانحدار . دخلت من باب العمود إلى الطريق المدرّج ذى الدرجات الواسعة الوطيئة التى تهبط أو تصعد بالسابل يكاد لا يحس الانحدار والصعود ، ومررت بهذه العقود الحانية على طريق التاريخ إلى البيت المقدس تحمل الأبنية العالية كأنها عقود السنين تنوء بما تحمل من أحداث وذكر . والسابلة ميممة شطر المسجد يهتدى بسيرها من لا يهتدى طريقه . شهدت فى الحرم جمعة قبل هذه فإذا عيد إسلامى يشترك فيه الرجال والنساء والأطفال ؛ الآباء والأمهات فى صلاة ، والأطفال فى رحاب الحرم يمرحون ؛ ولكن اليوم يوم الجمعة اليتيمة وقد حرص على شهودها فى المسجد الأقصى كثير من أهل بيت المقدس والبلاد القريبة ، وهذه الوفود تتوالى فى أزياء المدن والقرى ، وقد تقسمت المصلين مصلّيات كثيرة فى فناء الحرم رضى بها من أشفق من الزحام فى المسجد الأقصى وقبة الصخرة . وسرت فرحاناً خاشعاً أتحرّى طريق إلى حجرة السيد المجددى فلما بلغت الحجرة أدركنى عند بابها صديق عظيم لا يغيب وجهه عن مشهد من مشاهد الخير[1] قلت : السيد ليس ها هنا الآن نعود بعد الصلاة . وأحسب المسجد مكتظاً فهلم إلى الصخرة . قال : نصلى هنا فى جماعة من هذه الجماعات . فجلسنا وطرفى مقسم بين الجماعات التى تؤم مواضع الصلاة ، والجماعات التى تبوأت أماكنها فى هذا المحشر . استقرت بالمصلين المجالس زرافات لا يرى بينها إمام ، وخيل إلىّ أنها جماعات المسجد الحرام تتجه وجهات مختلفة ولكنها كلها إلى الكعبة

وكبّر إمام المسجد فتوالى التكبير بعيداً فانتفضت هذه الجماعات قياماً ، وأحكمت صفوفها وتوالى تكبيرها . ما أعظم هذا مشهداً جيلاً رائعاً ! وقفت أتلفت إلى الجماعات المتفرقة فى أرجاء المسجد ثم أحرمت فلم يمنعنى خشوع الصلاة من أن أجيل الطرف أمامى : هذه قبة المسجد الأقصى وأبنية أخرى تتخللها أشجار باسقات ، وأمامى على بعد جماعة من النساء اصطففن عند حجرتين عليهما قبتان ، وإلى اليسار جماعة أخرى من النساء وقفن مع عَمَد جميلة تعلو بئراً من آبار الحرم ، وبعدها ذات اليسار جماعة أخرى عند العقود المشرفة على الدرج المؤدى من باب القبة القبلى إلى باب المسجد الكبير وبعدها جماعة من الرجال . ورأيت قبل الأحرام جماعة ذات اليمين فى الفناء الأدنى ، وأخرى خلفنا فوق صحن الصخرة المرتفع . فما زلت أراها بقلبي مع هذه الجماعات التى يدركها البصر أمامى . قلت لنفسى إنك فى شغل عن الصلاة بهذه المشاهد . قالت : إنى أشغل عن صلاة بصلاة ، وأخرج من صلاتى المفردة إلى صلاة الجماعة . ودوّى التكبير بعيداً فركعت هذه الجماعات وكدت أعجب لماذا لا تركع هذه الأشجار القائمة ، وقد ركعت الصفوف كلها ، وذكرت الآية : « ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات ومن فى الأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه »

صلينا ركعتين هما عندى سجدة واحدة متصلة . فلما سلمنا قلت للصاحب الكريم ائذن لى لأشهد الجمع خارجاً من المسجد وأعود . وسارعت أتخلل الجموع المنتشرة بعد الصلاة والصفوف المسبّحة الجالسة التى لم ينتشر نظامها . وهبطت الدرج مسرعاً لأشهد السيل المتدفق من باب المسجد الأقصى وأتفرس الوجوه الخاشعة الفرحة ، وأتأمل الأطفال حول آبائهن وأمهاتهن ، وأرى هذا العيد العظيم فى هذا الحرم المبارك وأسارير وجهى تنبسط ابتساماً ، وتنقبض هيبة ، وقفت على شاطئ هذا السيل البشرى حيناً ثم رجعت أدراجى إلى صاحبي الكريم فى مصلاه...

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

(١) هو أحمد حلمى باشا رئيس بنك الأمة العربية

في محكمة الجن

للدكتور زكي مبارك

مع الاعتراف بأن القلم في يد الكاتب نعمة لا يماثلها شيء من نفائس الوجود ، فأنا كثير الضجر مما يجني عليّ قلمي ، لأنه يتيح الفرص لمن يسرهم إيذائي ، ولأنه يجعلني دائماً على بال الناس ، ويا ويح من يشغل به الناس !

زُرت مرةً إحدى المدارس الثانوية فوجدت ناظرها رجلاً مجهولاً من الدوائر الأدبية والاجتماعية ، مع أن المرء لا يصل إلى مثل مركزه إلا بعد ظهور وبروز في الأدب وفي المجتمع ، فقلت في نفسي : « هذا هو الرجل السعيد . إن منصبه يضارع منصبي من الوجهة الرسمية ؛ وقد يكون راتبه أضخم من راتبي ، لأنه قديم العهد بخدمة وزارة المعارف . ولكنه أسعد مني ، لأنه بعيد من المجتمع ، ومجهول من الجرائد والمجلات ، فلا يتحدث عنه متحدث ، ولا يتزيد عليه قارئ لا يفهم أسرار البيان »

ثم قلت : « أين حظي من حظ هذا الزميل ؟ إن مقالاتي تؤخذ منها قصاصات لتقدَّم إلى وزير المعارف ، فأنا على بال الوزير من يوم إلى يوم ، أو من أسبوع إلى أسبوع . ومعنى هذا أني أقدم سريرتي قبل السؤال عما فيها من مجاهيل »

وعلى مَن يقع اللوم ؟ يقع عليّ وحدي ، فمن حق أي وزير أن يتعقب ما يصدُر عن مساعديه من أفكار وآراء ، ومن واجبه أن يناقشهم فيما يستوجب النِّقاش

والآفة الفظيعة أني مُكثِر ، وقلّما يَسلم المكثار من العِثار . يضاف إلى هذا أن قلمي يجول في شجون من الأحاديث تمسّ طوائف من المعاني الشوائك ، فأنا أعرّض نفسي لمتاعب لن تنقضي إلا يوم أتوب من صحبة القلم ، ولن أتوب !

هل أصدُق كل الصدق فأذكر أني شعرت بدمعة تساور جفوني يوم زرت ذلك الناظر السعيد ؟

لقد تحزّنت وتوجعت ، لأني عرفت أن القلم لا يغنيني في حياتي ، كما يغني أمثالي في الأمم التي يُعَدُّ قراؤها بالملايين ، فلم يبق إلا أن أكون من الموظفين !

أين أنا مما أريد ؟

أنا أريد النص على أن قلمي ساق إليّ متاعب أخطر مما كنت أعاني ، فقد نقلني من معاداة الإنس إلى معاداة الجن ، ونعوذ بالله من كيد الشياطين !

وخلاصة القصة أني تحدثت عن « جِنّية » سامرتها ليلة بالإسكندرية مسامرة الحبيب للمحبوب ، وأنا أجهل أن حديثي عنها ستكون له عقابيل ... فماذا وقع بعد ذلك الحديث ؟

أطفأت النور بالغرفة التي تطلّ على الصحراء ، لأستوحي القمر والنجوم في هدوء وسكون ، ثم راعني أن أرى الغرفة تضيء ، وأن أرى خلائق لم يكن لي بمثلها عهد ، فهتفتُ :

أتوا داري فقلت : مَنُونَ أنتم ؟ فقالوا : الجنُّ ، قلت : عِمُوا مساء

— محكمة !

— أية محكمة ؟

— محكمة الجنّ !

— وفي هذه الأنوار ؟

— هذه أنوار لا يراها عابر ، فلا عليك !

— وهذه الوجوه ؟

— هي وجوه لا يراها غيرك

— وماذا تريدون ؟

— نريد محاسبتك على ما وقع منك

— وما ذا وقع مني ؟

— هل نسيتَ ما نشرتَ بمجلة الرسالة ؟

— عماذا ؟

— عن الجنيّة المحبوبة !

— ذلك خيال في خيال

— ونحن نحاسب على الخيال ، لأنه صورة مصغّرة من الحقيقة الواقعية ، فأنت محاسَبٌ على اقتراف الإثم بمغازلة جنية عذراء ،

— من حديثي بمجلة الرسالة عرفتم ما اقترفتُ ؟

— عرفنا ما اقترفتَ قبل أن تنشر حديثك

— وكيف ؟

— لأننا نراكم ولا تروننا

— وما الذى منع من عقد المحكمة قبل نشر الحديث ؟

— الإثم عندنا يحتاج إلى برهان مكتوب

— وحديثى هو البرهان ؟

— نعم ، ثم نعم !!

— أتسمعون كلمة الحق ؟

— قد نسمع !

— يجب أن تسمعوا ، فاسمعوا . أنتم تقفون من الحياة موقف المتفرجين ، والمتفرج يرى الممثل ولا يراه الممثل ، فالممثل آمر والمتفرج مطيع ، أو هو كاتب والمتفرج قارىء

— أتقول إن الإنس أفضل من الجن

— هو ذلك ، وإلا فأين نصيبكم فى خدمة الآداب والفنون ؟

— نحن الذين أقمنا عرش سليمان

— وأين عرش سليمان ؟

— بقيت منه المعانى

— هى معان إنسية لا جنية ، لأنها متصلة بالناس لا بالجان

— ونحن الذين ألهمنا شعراء الجاهلية

— وهم لهذا جهلاء !

— أنت تحاكم ، فما هذه الغطرسة العاتية ؟

— أنتم تحاكموننى ، يا جماعة الجبن ، ولم يكن فيكم من يتَّسم بشجاعتى ؟

— وما شجاعتك ؟

— أنتم تعرفون شجاعتى ، فما تنكرت ولا تلثمت كما تتنكرون وتتلثمون ، ولا سمح ضميرى بأن أرى الناس ولا يروننى لأنى أحب أن تكون أعمالى فى العلانية لا فى الخفاء

— والجنية التى سرقتها منا ؟

— لم أسرقها منكم ، ولن أردها إليكم

— أطع محكمة الجن

— وهل أطعت محكمة الإنس حتى أطيع محكمة الجن ؟

— سنؤذيك إن تماديت فى العصيان

— لا يستطيع مخلوق أن يؤذينى ، إن حفظت الأدب مع الله فى الترفق بنفسى

— حرِّر الجنية من حبك

— لن أحررها من حبى ، فما أرضى بأن يضيع نصيبها من شرف الوجود

— لا نفهم شيئاً مما تقول

— أنا أقول بأن الإنس أفضل من الجن ، لأن الإنس مجاهدون والجن رقباء ، والمجاهد أفضل من الرقيب

— والجنية المخطوفة ؟

— لن تكون لكم ولو عقدتم ألف محكمة

— وإن اغتصبناها منك ؟

— لن تغتصبوها منى ، بعد أن سمعت أشعارى ، ومن أشعار نظمتها بدم القلب

— أطع محكمة الجن

— لن أطيع

— وإذا حكمنا عليك ؟

— سيصيبكم التنفيذ !

وفى هذه المعمعة برزت الجنية وهى تصرخ : أنا الجانية على نفسى ، إن كان من الجناية أن أخرج إلى الأنوار بعد طول القرار فى غياهب الظلمات

— ماذا تقولين يا حمقاء ؟

— معشوق إنسىٌّ ، يا سعادة الرئيس

— والإنس أفضل منا ، ياشقية ؟

— نعم ، لأن أعمالهم فى العلانية

— وأعمالنا ؟

— أعمالنا فى طيات الخفاء

— لست منا ولا نحن منك

— أنا من معشوق ، ومعشوق منى ، فاذهبوا عنى

— وننهزم أمام الناس

— كما ينهزمون حيناً أمام الجان ، والجروح قصاص

***

ثم انفضَّت محكمة الجن بدون تمنت يحوج إلى الاستمانة

بالمحامين فعرفت أن الجن لا يزالون على الفطرة الأولية فى إدراك الحقائق البديهية ، وعرفت أيضاً أنهم يخافون من الإنس ، وكان معروفاً أنهم يخيفونَ ولا يخافون

ذهبت الأنوار المجلوبة بحضور الجن ، وعادت الغرفة إلى الضوء المرسل من القمر فى لطف ، وبقيت الجنية بجانبي وهى لا تكاد تصدق أنها نجت من تعقب أولئك العماليق

— هل صرنا فى أمان ؟

— أنتِ صرت فى أمان

— وأنتَ ؟

— ألم تعلمى أنى أقيم فوق جبل من البارود ؟

— أتخاف وأنا معك ؟

— أنا أخاف لأنك معى ، فقومُك لن يسكتوا عنى ، وقد يستنصرون بإخوانهم فى الشام والعراق

— المعروف عندنا أن شياطين الشام والعراق من أصدقائك

— ومن هنا أخاف

— تخاف من أصدقائك ؟

— وممن أخاف ؟ هل أخاف من أعدائى وأنا أملك البطش بهم حين أريد ؟

وانتقل الحوار إلى شؤون متصلة بالجمال فسألتنى الجنية عما يستهوينى من جمالها فقلت :

أنا أحب فيك هذا الصوت الناعم المبحوح ، وأشتهى أن تتكلمى فى كل وقت .. أشتهى أن تكون حياتك حديثاً فى حديث ، لا تسكتى ، فما رأيت أندى على قلبي وروحى من بُغامك الذى يُشبه وسوسة الحبَب عند اصطرام الكؤوس . تكلمى لأرى نعيم الفردوس ممثَّلاً فى نبراتٍ هن أعذب وأطيب من همسات الأمانى فى الصدر الحزين

هذا الصوت يزلزل قلبي ، وأنا أسمعه وإن اعتصمتِ بالصمت

— كيف ؟ كيف ؟

— هُويّتك الأصيلة هى هذا الصوت ، فأنت كالبلبل ، وهُوية البلبل فى الحلق ، والله يزيد فى الحلق ما يشاء[1]

— لم تجب عن سؤالى !

— قلت إن هويتك فى الصوت ، وأنت دائماً فى بالى ، فأنا أسمعك فى كل وقت ، وإن غبتِ عنى

— إلى هذا الحد يفتنك صوتى ؟

— وإلى أبعد من جميع الحدود

— كنت تقول إنى أفتنك باللون

— متى ؟

— ليلةَ بتنا بالإسكندرية ، هل نسيت !

— لونك يفتن ، لأنه يَنطق ، وهو يتموّج تموّج النبرات العِذاب . إن فى قدميك خطوطاً نواطق ، فى قدميك ، فى قدميك ، فماذا أقول فى المرمر الناطق وهو صدرك الجميل ؟

— زدنى ، زدنى

— زيدينى فتوناً لأزيدك جنوناً

— ماذا تريد منى بعد أن خاصمت فيك قومى ؟

— أريد أن تتكلمى فى جميع اللحظات

— وأين أجد ما أقوله فى كل وقت ؟

— تقرئين علىّ ما فى المكتبة من مؤلفات أدبية وعلمية ولغوية ، بالعربية والفرنسية والعبرية ، والأمر سهل ، فإن محصول مكتبتى لا يزيد عن عشرة آلاف ، وسنعبُرها ورقةً ورقة فى أقل من عشرِ سنين

— إلى هذا الحد تحبنى ؟

— وإلى أبعد مما أحبَّ المباقرة من الإنس والجن فى جميع الأزمان

— أنا أرتعد من الخوف

— وممَّ تخافين ؟

— أخاف منك ، فدعنى أخرج لألحق بقومى

— لن تعرفيهم بعد اليوم ، ولن يكون لأحدٍ غيرى عليك سلطان ، فليجمع الجن جموعهم ليلقونى فى ساحة القتال ، ولتتمردى ما شاء لك الحمق والطيش ، فلن يكون لك فى غير هذا البيت مكان

— وتحمينى من طغيانك ؟

— إذا اعترفت علانيةً بأن سلطان الجمال أضعف من سلطان البيان

زكى مبارك

(١) إشارة إلى القراءة التى ورد فيها « الحلق » بالحاء بدلا من الخاء

٥ـ حكاية الوفد الكسروى

لأســتاذ جليل

٤ — يقول عامر بن الطفيل العامرى :

« ... وبالحرى إن أدالت الأيام ، ونابت الأحلام ، أن تُحدث لنا أموراً لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الأعلام ؟ قال : مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر على أمر يُذكر . قال كسرى : وما الأمر الذى يذكر ؟ قال : مالى علم بأكثر مما خبرنى به مخبر

قال كسرى : متى تكاهنت يا ابن الطفيل ؟

قال : لست بكاهن ، ولكنى بالرمح طاعن ... »

فى هذا القول شىء من علم الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، وأقوال علماء ومؤرخين كبار مشهورين من المتقدمين فى الكهانة والتكهنين إنما هى تخاليط . روى أبو العباس فى (كامله) :

لا يعلم المرء ليلاً ما يصبحه إلا كواذبَ مما يخبر الفال
والفال والزجر والكهان كلهم مضللون ، ودون الغيب أقفال

وروى صاحب (الكشاف) :

لوى اللهُ علم اللهِ عمن سوءاهُ ويعلم منه ما مضى وتأخرا

وقال شاعر صادق :

لعمرك ماتدرى الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وأخبار مخبرين وأحاديث محدثين عن أناس كانوا يعلمون الغيب من الجاهلية أو من الصحابة والتابعين وغيرهم هى أباطيل وأضاليل « فقل : إنما الغيب لله » . وإذا كان رسول الله سيد هذا الوجود ومعناه ـ وهو رسول الله وهو النبى محمد ـ لا يعلم الغيب فلن يعلم الغيب أحد . وفى المقالة « شق وسطيح » فى الرسالة (٢٤٩ ص ٦٠٥ س ٦) أوضحت الغيب الذى أطلع الله نبيه عليه ، وذكرت آيات من كتاب الله بينات تنادى أن سيد البشر والأنبياء والمرسلين وصفوة النوع الإنسانى لا يعلم غيباً . وذكرت هناك حديث (أم المؤمنين) ـ رضوان الله عليها ـ فى مسند الربيع بن حبيب ، وهو من أقدم كتب الأثر التى وصلت إلينا كما ذكرت قول الإمام علىّ القارى فى الآية الكريمة : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم ، نحن نعلمهم » قال : « وهذا فى (براءة) ومن أواخر ما نزل من القرآن ، هذا والمنافقون جيرانه فى المدينة »

قلت : ومثل الآية فى (براءة) قوله تعالى فى (الأنفال) يخاطب النبى وأصحابه :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم . وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمون »

ذلكم ما فى كتاب الله ولم يزل مسلمون فى كل وقت يصدقون المنجمين والتكهنين فقد جاء فى (الجامع لأحكام القرآن) ج ٧ ص ٣ :

« قد انقلبت الأحوال فى هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان لا سيما بالديار المصرية ، فقد شاع فى رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين ، بل ولقد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاءوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال ، واستخرجوا منهم الأموال ، فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل ، ومن أديانهم على الفساد والضلال ، وكل ذلك من الكبائر لقوله (عليه السلام) : « لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »(١) فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم ... »

قلت : وفى غير مصر مثل الذى هو فى مصر ، والحال ما حال فى هذا الزمان . ومن جنس الدجاجلة التكهنين جماعة (التنويم المغناطيسى) الذين يعلمونك ـ كما تقول إعلاناتهم فى الجرائد وإنها لكاذبة وإنهم لكاذبون ـ بماضيك وحاضرك ومستقبلك ... (ـه)

---

(١) فى هذا الكتاب (الجامع لأحكام القرآن) تفسير الإمام القرطبى : « جاء فى صحيح مسلم عن بعض أزواج النبى (ص) قال : (من أتى عرافاً فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) والعراف هو الحازى والنجم الذى يدعى علم الغيب ، وهى العرافة وصاحبها عراف ، وهو الذى يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها . وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن فى ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة فى ذلك . وهذا الفن هو العيافة وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة ، قاله القاضى عياض والكهانة أدعاء علم الغيب ...

١ـ الشعر المرسل والشعر الحر

للأستاذ دريني خشبة

[إلى الأستاذين الشاعرين ، أبى حديد وبا كثير من رواد التجديد فى الشعر العربى ، أهدى هذه الفصول]

الشعر المرسل هو الشعر الذى لا قافية له ، واسمه بالإنجليزية Blank Verse

والشعر الحر هو الشعر الذى لا يتقيد بعدد التفعيلات فى البيت الواحد ، فقد يتركب البيت فيه من تفعيلة واحدة ، وقد يكون تفعيلتين ، وقد تصل تفعيلاته إلى ثمان أو عشر أو اثنتى عشرة ، وذلك فى القصيدة الواحدة . والشعر غير مقيد فى أبياتها بعدد من التفعيلات يتمها فى كل بيت ، بل هو يرسل نفسه على سجيتها ، فتارة يقول تفعيلة واحدة يودعها إحدى خوالجه ، وتارة يقول خمس تفعيلات تعبر عن خالجة أخرى ، وطوراً تصل التفعيلات إلى ثمان أو أكثر أو أقل ، حتى تتم القصيدة أو الملحمة ، وهذا هو ال Free Verve ويتفق الشعر الحر والشعر المرسل فى التحرر من القافية ، وهما فى ذلك يختلفان عن الشعر الغنائى الذى لا تتم موسيقاه إلا بها

ولا يتقيد الشعر الحر بالأوزان العروضية الرسمية ، فللشاعر أن يبتكر أوزاناً جديدة إن استطاع ؛ وقد غلا شعراء الشعر الحر فى ذلك حتي لا تلتفت إلا الأذن الموسيقية وحدها إلى (غنائهم المكتوب) كما يعبر مؤرخو الآداب الأوربية

وكان أول ظهور الشعر المرسل فى إيطاليا فى أوائل القرن السادس عشر ، حينما كتب به الشاعر ترِسِّينو Trissino مأساته سوفونِسْبَا Sofonisba وذلك سنة ١٥١٥ ، ولا يعرف تاريخ الآداب العالمية شعراً مرسلاً أقدم من هذه المأساة . وقد أنشأ الشاعر جيوفاني روشلاى Gi،vanni Rucellai (١٤٧٥ ـ ١٥٢٥) منظومته (النحل) بعد ذلك ، وهو الذى أطلق على هذا اللون من ألوان الشعر اسم (الشعر المرسل) Versi Sciolti أو Blank Verse كما سماه الإنجليز

وما كاد هـذا النوع من الشعر يظهر فى إيطاليا حتى قابله النقاد والمتأدبون بأعنف صنوف السخرية والاستهزاء ... وكانت أخف صفات التحقير من شأنه هى : غث ... كلام فارغ ... هراء ... هـذا عبث ... ذلك إجرام فى حق الشعر الإيطالى ... لا شك فى أن ترسينو يهذى ... إلى آخر تلك السلسلة الصارمة من ألفاظ الهجاء ...

إلا أن ترسينو ما فتىء يلح على مزاج أمته وينازل ذوقها حتى استجابت له ، وحتى أقبلت على مآسيه تستخفها وتسيغها ، ثم تنسى بها المآسى المنظومة بالشعر الغنائى المُقَفَّى وتنسخها نسخاً

ثم نظم بالشعر المرسل فحول الشعراء الإيطاليون بعد ذلك ، وفى مقدمتهم أريوستو Ariosto الذى نظم به ملاهيه الرائعة كلها ، وتاسو Tasso وجواريني وغيرهم

وقبل وفاة ترسينو بقليل ، انتقل الشعر المرسل إلى انجلترا ، وذلك فى أواخر عهـد هنرى الثامن ، حينما ترجم هنرى هوارد H. Howard جزءين من إنيادة فرجيل إلى الإنجليزية بهـذا الشعر (١)

ثم استعمل الشاعران سا كفيل ونورتون الشعر المرسل لأول مرة فى الدرامة الإنجليزية حينما ألفا درامتهما المشهورة (جوربودك Gorboduc) التى لخصناها للقراء فى فصولنا السابقة عن نشأة الدرامة الإنجليزية . ولم يكد ينتهى القرن السادس عشر حتى كان الشعر المرسل يستعمل استعمالا عالياً واسع النطاق ـ إلا فى العالم العربى طبعاً ! ـ فى جميع الأغراض المسرحية ، وذلك بعد أن لقى فى كل دولة من الدول الأوربية نفس ما لقيه فى إيطاليا من السخرية والاستهزاء ... إذ ناهضه النقاد الإنجليز مناهضة قاسية ، ومع ذاك فقد هيأ الله له فيها شاعراً شابا فخم الديباجة حسن السبك مشرق البيان نقى الأسلوب ، لا يلتوى ولا يغمض ، ولا يتمحل ولا يغرب ، فاستطاع أن يكبح جماح النقاد ، وأن يرغمهم على احترام الشعر المرسل . . . ذاك هو مارلو العظيم الذى ألممنا إلى جهوده الأدبية

(١) فى بعض المصادر أن سرى Surrey هو الذي قبس هـذا اللون من ألوان الشعر عن الايطاليين

فى كلماتنا السالفة ؛ مارلو صاحب القريض الفريد أو أل : Mighty Line كما دعاه النقاد الساخرون أنفسهم فيما بعد

ثم تهيأ للشعر المرسل شيكسبير الخالد ، وذلك عندما أشرفت حياة مارلو على نهايتها ، فقد نظم (سيدا ڤيرونا) : The Pwo Gentlemen of Verona ، ثم أردفها بروائعه المسرحية التى التى بهر بها الدنيا جميعاً حيث تجلت فيها مزاياه التى أكسبت اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزى والشعر الإنجليزى ذلك التفوق الذى سوف يخلد على وجه الزمان . أما هذه المزايا فأهمها الـكمال fiuness والمرونة Suppleness والتنوع Variety ، أضف إلى ذلك الموسيقا التى لا تعرف القلق ، ولا يعتريها النشوز أو (النشاز) بمعناها الاصطلاحى ؛ تلك الموسيقا التى لا غناء لأى نوع من أنواع الشعر عنها ، لأنهـا روح الشعر ونضرته وجماله فى الأذن وفى القلب معاً . . . ثم أضف إلى ذلك أيضاً افتنان شيكسبير وتمـكنه من اللغة ، وبصره بألفاظها ، وذوقه الرفيع النقاد الذى كان أقدر الأذواق على تنخل هـذه الألفاظ وتخيرها فى غير التواء أو تقعر . هـذا إلى خيال خصب وبيان متدفق ومقدرة فائقة على التنقل ، وإلمام عجيب بالأصول المسرحية التى تنبع أول ما تنبع من البديهة العبقرية قبل أن ترتـكز إلى مواضعات علمية

وقد لا يسر القارىء ، بل ربما يضايقه جد المضايقة أن نخوض به فى شىء من مغميات العروض الإنجليزى ، ذلك العروض السهل البسيط الذى لا يصح أن نقيسه إلى عروض الشعر العربى ، ذلك العروض الصعب المعقد ، إلا على الشعراء .

ويحسبنا هنا أن نذكر أن العروض الإنجليزى ، بل كل أنواع العروض فى اللغات الأوربية ، إنمـا أساسها التفعيلة The Foot وليس أساسها الأبحر كما فى العروض العربى

ويحسبنا أيضاً أن نذكر أنهم حينما يبدأون الـكلام عن العروض الإنجليزى ، أو عروض أية لغة أوروبية ، يقولون إن أشهر التفعيلات عندهم أربع[1] ... أربع فقط ، فى حين أن التفعيلات التى تتركب منها بحور العروض العربى كثيرة لا حصر لها ؛ فمنها مستفعلن ومتفاعلن وفاعلن ومفاعلن وفاعلاتن وفعلن وفعولن ومفاعيلن ومفاعلتن ... إلى آخر هذا الثبت الطويل الذى ليس فيه شهير وغير شهير ، والذى يمد الشعر العربى بموسيقا لا نظير لها فى أى من عروض أية لغة من لغات العالم من حيث الدقة فى ضبط الميزان والمحافظة على النغم ؛ فلدينا ستة عشر بحراً غير مجزوءاتها ومشطوراتها كل منه له موسيقاه ورقته وعذوبته . ونستطيع أن نجمل هذه الستة عشر بحراً ألفاً وألفين إذا أردنا ذلك ، وهذا بتأليف نغم أساسه بعض التفعيلات التى اتفق عليها عروضيو العرب بحيث تتم لنا بحور جديدة موسيقية إن كان لا بد أن نزيد فى عدد البحور الموجودة عندنا

ولسنا الآن بسبيل الموازنة بين العروض العربى وألوان العروض الأوربى ، ولهذا نعود إلى العروض الإنجليزى فنقول : إن نقاد الشعر من الإنجليز يقررون أن اللغة الإنجليزية تجرى سهلة لينة طيِّعة حينما تنظم شعراً فى البحر الأيامبى Iambic Metre (أنظر الحاشية بأسفل الصفحة) وهو ذلك البحر الذى يتكون من خمسة تفعيلات إيامبية ـ وقد اختار الشعراء هذا البحر لنظم الملاحم والدرامات لأنه متوسط الطول فهو يتألف من عشرة مقاطع (٥ تفعيلات × مقطعين) ؛ وقد فضلوه على البحور القصيرة التى تتألف من ثمانية مقاطع مثلاً لأنها تـكون قصيرة النفس ولا تنهض بأعباء الحوار فى الدرامة ، ثم هى لا تسعف الشاعر فى أداء المعانى الطويلة فى الملحمة ؛ وكذلك فضلوه على الأبحر التى تتألف من اثنى عشر مقطعاً وعللوا ذلك بحاجة تلك الأبحر إلى القافية لتتم الموسيقا ويستقيم النغم ويسلم الميزان

(١) وأولها وأهمها الـ Spondee وتتألف من مقطعين ممدودين كقولك ما ذا وعوجوا وباعوا fato ؛ وثانيها الـ dacty وتتألف من ثلاثة مقاطع أولها طويل والآخران قصيران مثل Mer-ri-ly أو قولك جاهد وقوتل — ومن الـ Spondee والـ dacty يتكون بحر = مزدوج من عروض الشعر الانجليزى . وثالثها الـ Iambus أو الـ Iamb وتتكون من مقطعين أولهما قصير والثانى طويل مثل The bee بحذف أداة التعريف The وفى العربية مثل طويل وزبون — ورابعها الـ Trochee وتتألف من مقطعين أولهما طويل والآخر قصير مثل Tripod أو Try-on ، ومن الـ Iamb والـ Trochee يتكون بحر مزدوج آخر ـ وتأتى بعد هذه التفعيلات الأربع اثنتان غير مشهورتين هما الـ Anapest وتتألف من ثلاثة مقاطع : اثنان قصيران وثالث طويل . كقولك As they roar — on the shore وهكذا يتكون من هذه التفعيلة وحدها بحر بذاته وذلك كما فى الـكامل الذى وحدته متفاعلن والمتقارب الذى وحدته فعولن والمتدارك الذى وحدته فعلن ـ ثم الـ Amphibrach ويتألف من ثلاثة مقاطع قصير وطويل وقصير كما فى amusement ومثل ريحانه وهى وحدة بذاته أيضاً

وقد أثار الشاعر الأمريكي لنجفلو Longfellow على هـذا التقليد ، فنظم قصته البديعة Evangeline من أطول بحر عرفه العروض الإنجليزي (ستة عشر مقطعاً !) ، كما أنشأ منظومته الطويلة الجميلة Hiawatha من أقصر بحور هذا العروض (ثمانية مقاطع فقط !)

وقد نجح لنجفلو في إڤانجلين نجاحاً عظيما . ولن أنسى قط تلك الدموع التي ذرفتها بعد قراءة تلك المأساة الغرامية الباكية المليئة بالعواطف الجياشة والخيال الخصب والوصف الشائق الأخاذ

أما في هياواثا ، فقد فشل الشاعر العظيم وانحط عن الأفق السامي الذي ارتفع إليه في درته السالفة . على أنني أحسب أن تفاهة الموضوع هي التي ذهبت بروعة القصة ، وليس البحر القصير الذي يشبه المتدارك في العروض العربي ، وللمتدارك موسيقاه الحلوة التي لا تنسى ومنه

« اشتدى أزمة تنفرجي » و « يا ليل الصب متى غده »

ويفضل بعض الشعراء البحر الأسكندري The Alexandrine نسبة إلى الإسكندر الأكبر والقصائد التي نظمت فيه من هذا البحر . ويؤثر شعراء المأساة الفرنسيون النظم من هذا البحر إطلاقاً وهو يتكون من اثني عشر مقطعاً (ست تفعيلات إيامبية مقطعين)

ولم يزل الشعر المرسل يتأرجح بعد شيكسبير بين العلو والسفل حتى جاء ملتون العظيم فنظم به طرفته الخالدة (الفردوس المفقود) التي وصف فيها الحرب بين عيسى (الخير) وبين الشيطان (الشر) ، وكيف تم الفوز للمسيح آخر الأمر ... تلك الطرفة التي بلغ فيها الشعر المرسل قمة الإجادة ... ومن العجب أن يفشل ملتون في منظومته التالية (الفردوس المعاد) في المحافظة على ديباجته التي بلغها في الفردوس المفقود ، ولعل للسن حكمه في هذا الأنتكاس

ومما يؤثر أن ملتون استطاع أن يتجنب كثيراً من العلل التي كان يتورط فيها شعراء عصر إليزابث أو التي لم يكونوا يرون غضاضة في وجودها في أشعارهم ، وقد أبت على ملتون بصيرته النقادة أن يقع فيما وقع فيه أسلافه ، أو أن يبيح لنفسه تلك الضرورات الشعرية السخيفة التي لا يلجأ إليها إلا كل شاعر لم تنضج شاعريته بعد

ثم ركد الشعر المرسل مرة أخرى بعد ملتون حتى عاد إليه شبابه – بعد النهضة – وذلك على أيدي أتواي Otway ولي Lee ودريدن Dryden

واستعمله في القرن الثامن عشر شعراء عظماء فأتوا فيه بالمعجز والمطرب ، ومن هؤلاء طومسون ويتج

ثم استعمله الشعراء المحدثون (شعراء القرن التاسع عشر) أمثال بيرون وشلي وسوينبرن وكيتس وتنيسون ، وإن لم يستحدثوا فيه شيئاً جديداً ، إلا أنهم نظموا فيه الغرر المشجية وأمدوا الأدب الإنجليزي بثروة لن تبيد

وقد فهمت من حديث لي مع بعض الأدباء المصريين أنهم يعتقدون أن الشعر المرسل قد انتهى زمنه ، وهذا رأي خاطئ ، فقد نظم به رديار كبلنج نصف إنتاجه تقريباً كما نظم به برنردشو درامته العظيمة Cashel Byrone's Profession التي أعدها للمسرح عن قصته التي تحمل هذا الاسم ، والتي اعترف هو نفسه بأنه إنما لجأ إلى نظمها بالشعر المرسل لأنه أيسر عليه أسهل من النثر !

وسنعرض في مقال آخر إن شاء الله لشعراء العصر الحاضر الذين لا يزالون يستعملون الشعر المرسل في تأليف قصصهم المنظومة ودراماتهم . وسنرى ما كان يلقاه پينرو Sir Arthur Pinero المتوفى سنة ١٩٣٤ والذي أتى في الدرامة المنظومة بما يضارع ما جاء به شيكسبير إن لم يتفوق عليه أحياناً من عنت نقاد الأدب الإنجليزي الحديث وسخفهم

أما الشعر الحر فلم يقرر المؤرخون على وجه التحقيق متى بدئ استعماله ، ولم يهتدوا إلى مبتكره الأول . وقد حاول ملتون في منظومته عن شمشون Samson Agonistes محاولة بارعة في الشعر الحر ، كما شاع استعماله بين الشعراء الفرنسيين . وقد نظم به لافونتين في القرن الثامن عشر ، ولكن على قواعد العروض اليوناني ، وكذلك استعمله ماثيو أرنولد كثيراً فأجاد

هذا ، وقد تفنن الشعراء في ابتكار الأوزان الجديدة لهـذا الضرب من ضروب الشعر فأتوا فيه بالأعاجيب . . . على أنه لم

المشكلات

٩ـ اللغـــة العربية

للأستاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا في تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لقد فاتحت كثيراً من رجال التربية والتعليم فى مصر ممن يهتمون باللغة العربية فى هـذا الأسلوب الجديد فى تعليم اللغة ، فكانوا جميعاً يلقوننى بشبهة واحدة قد اتفق الجميع عليها . وكأنهم تواطأوا على إيرادها ، أوردها من لا أحصى ممن يهتمون بشئون التعليم فى مصر ، ومن قبل ذلك أوردتها فيما بينى وبين نفسى

وهذا دليل على قوتها ، وقرب تناولها ؛ فإن استطعت حلها فقد ذللت عقبة كأداء فى سبيل الإصلاح المنشود

يقولون جميعاً : مما يعوق ملكة تكوين اللغة العربية عندنا أن اللغة العامية سبقت إلينا فتكونت ملكتها فينا ، واللغة العامية تحريف للغة العربية وخطأ فيها ، فإذا تكونت فينا ملكة اللغة العامية فهذا معناه تكون ملكة الخطأ فى اللغة العربية ، وإذا سبق الخطأ وصار ملكة ثبت ورسخ ، فإذا أريد بعد ذلك إصلاحه وصيرورة هذا الإصلاح ملكة تعذر واستحال

ومما يزيد الأمر تعذراً واستحالة أننا لا نزال نسمع من والدينا وإخواننا وأهلينا ومخالطينا وأصدقائنا اللغة العامية ، يتكلمون بها ونكلمهم ، ونتفاهم بها ونتساجل ، فهى لغة البيت ولغة الشارع ولغة المدرسة ولغة الأغانى ولغة التمثيل ولغة الخيالة ولغة بعض المجلات ، أينما توجهنا وجدناها ، وحيثما أصغينا سمعناها ، وهـذا معناه أن الخطأ واللحن فى اللغة العربية سبق فصار ملكة ، وأنه لا يزال يتردد على أسماعنا ونردده فيزداد رسوخاً ، حتى يختلط بلحمنا ودمنا ، فمهما فعلنا للتخلص من ملكة اللحن والخطأ لم يفدنا ، وكلما هربنا من هذه الملكة لحقتنا ؛ فأين النجاء وأين المهرب ؟ وهى قد سبقت فاستحكمت فينا ، ثم أخذت تلاحقنا وتسابقنا وتتغلب علينا وتقهرنا . ولعل هذا هو الذى دعا العلماء الأقدمين إلى أن ييأسوا من تكوين ملكة العربية الصحيحة ، فاكتفوا بالقواعد والقوانين التى تضبط أمرها مع التنبيه والمعالجة ، ولم يسموا إلى ملكتها التى تعطى التعبير بها دون قصد ولا تنبه ولا تكلف ولا علاج

وإنى أقول فى جواب هذه الشبهة أن ذلك يبين عسر اكتساب ملكة العربية لا تعذره ، والمشقة لا الاستحالة ؛ فإنه لو استحال تكوين ملكة العربية مع سبق ملكة العامية لما وقع لأحد . وكيف وقد وقع لكثير من رجال اللغة والأدب ؟ حقاً إن هذا دليل على التعسر لا على التعذر بدليل أننا نجد خلافه من نفوسنا وخلطائنا ؛ فكثير منا قد سبقت إليه فى صباه ملكة العامية ، ثم عنى بكسب ملكة اللغة العربية بالحفظ والمرانة فاكتسبها ، ولم تمنعه الملكة السابقة أن يكتسب الملكة اللاحقة ؛ بل إنى لأزعم أنه لا يكتب الكتاب ، ولا يشعر الشعراء ، ولا يخطب الخطباء باللغة العربية إلا بفضل الملكة التى اكتسبوها من القراءة والحفظ والاعتياد والتى قاومت ملكات العامية فى نفوسهم فغلبتها وظهرت عليها لا بفضل القواعد وحدها

لقد قام الدليل على أن لا سبيل إلى اكتساب اللغة إلا هذا السبيل وهو أن اللغة ملكة والملكة لا تكتسب إلا بالتكرار ، فإذا تعين هذا السبيل بالدليل فلا معنى لتصيد الشبه من هنا ومن هنا للهروب مما أوجبه الدليل وعينته الحجة . وهل توقفت المدارس الأجنبية عن تعليم تلاميذها لغة غير لغتهم بطريق الحفظ والحديث بحجة أن لغتهم صارت ملكة فيهم فلا يمكن أن يكتسبوا ملكة لغة أخرى . الواقع أن من الناس من يجيد لغات كثيرة وكلها ملكات فيه ، وقد اكتسبها بطريق المحادثة

ينتشر انتشاراً عالمياً إلا قبيل الحرب الكبرى (الماضية) ؛ وتسمى الشعراء الذين آثروه واستعملوه بكثرة باسم The Imagists أى الذين يصورون صور الأشياء بالشعر الحر كما يصور الفنان صورها فى ذهنه بألوان من نور ، ومن هؤلاء عزرا پوند Pound وفلنت Flint ولول Lowell و د . ه لورنس الشاعر والكاتب الروائى الماجن وريتشارد ألدنجتون ، ونرجو أن نوفق للكتابة عن مذهبهم الشعرى بتوسع قريباً

(يتبع) دريني خشبة

والحفظ ، ولم تزاحم ملكة لغة ملكة لغة أخرى عنده ، وإن كانت ملكة بعض اللغات عنده أقوى من بعض فذلك لا يعنينا لأننا فى أصل تحصيل الملكة لا فى جودتها والمفاضلة بين الملكات بعضها وبعض . إن علماء الأخلاق قد جزموا بإمكان تغيير الأخلاق وقالوا إنه يمكن أن يكون الجبان شجاعاً ، والبخيل كريماً ، والشره عفيفاً ، والأخلاق ملكات ، والخلق الذميم تحريف للخلق الفاضل . ورأوا أن التكرار كفيل بالتغيير ، وما على الجبان إلا أن يتشجع ويعمل أعمال الشجعان ، وما على البخيل إلا أن يتسخى ويعمل أعمال الأسخياء ، ليكتسب الخلق الجديد ، ويتخلى عن الخلق القديم

فإذا كانوا قد جزموا بذلك فى الأخلاق غير متحفظين ولا مترددين فما أحرانا أن نجزم به فى اللغة ولا نتحفظ ولا نتردد

وليس ما يتصيدونه من شبه مما يشفع لنا أن نترك الطريق الطبيعى لتعليم اللغة ونسلك طريقاً غير طبيعى فى تعليمها

على أننا قد أخذنا بالحيطة والحزم ، فلم نمنع القواعد إلا فى الأقسام الأولية والابتدائية لجعلنا التعليم فيها بالحفظ والمحادثة فقط ، أما فى مرحلة التعليم الثانوى وفى مرحلة التعليم العالى فقد جمعنا بين الطريقين ، طريق القواعد وطريق الحفظ ، فإن لم يزدها قوة فليس يزيدها ضعفاً ، وهذا ربما يبين للناس بالتجربة صلاحية الطريقة الجديدة لتعليم اللغة ، فإذا بان صلاحها رفعنا القواعد إلا من التعليم العالى ومن المعاهد التى تعد معلم اللغة العربية

إن ما يقال من الصعاب التى تعترض من يريد تكوين ملكة اللغة العربية ، والتى تدفع بعض الناس إلى أن يظنوا أنها تجعل اكتساب هذه الملكة متعذراً ومحالاً إنما هو منبهة على مواضع العقاب فى تحصيلها ، وليس من المحال التغلب على شتى هذه العقاب والصعاب . فلنتلاف منها ما يمكن ملافاته ، ولنبق للزمن ما عليه أن يتمه ، وما دمنا نبذل الجهد المضنى والزمن الكثير الذى هو رأس مالنا فى تعلم العربية فعلينا أن نزيل من معوقات هذه الملكة كل ما تمكن إزالته ، وإلا كنا نهدم باليسار ما نشيده باليمين

علينا أن نجعل أغانينا باللغة العربية ولا نسمح للغة العامية أن تكون لغة الغناء ما دام ذلك يعوق ملكة العربية ونحن نبذل الجهد والمال فى اكتسابها ، ولا يصح أن نتناقض فى أفعالنا

علينا أن نجعل روايات المسرح باللغة العربية ولا نسمح للعامية أن تحتل المسرح لأن ذلك يعوق ملكة العربية فينا ، ونحن قد ملأنا برامج تعليمنا باللغة العربية لنتعلمها ، ولا يصح أن نكون كذلك الممثل الذى ظهر على المسرح وبيده اليمنى أوراق ، وبيده اليسرى أوراق ، فقيل له ما بيدك اليمنى ؟ فقال قوانين . قيل له وما بيدك اليسرى ؟ قال نَسْخ هذه القوانين

علينا أن نحتم أن تكون لغة المجلات هى اللغة العربية ، ولا نسمح للعامية أن تحتل مكاناً فيها للملة نفسها ، وهكذا الشأن فى الإذاعة وفى الصحافة

وإذا كنا إذا بنينا بناء وشيدناه ، وبذلنا المال فى تشييده لا نسمح لغيرنا أن يهدمه ، فحرى بنا ونحن نبنى ملكة اللغة العربية فينا ، وننفق فى سبيلها كرائم أموالنا ، وزهرة شبابنا ، وأعز جهودنا ألا نسمح للمسارح ودور التمثيل والمغنين والمغنيات أن يهدموا ما نبنيه

وعلينا أن نبكر فى تلقين التلاميذ نماذج من المحفوظات العربية ، وقد سهلت مدارس رياض الأطفال علينا هذه المهمة ، فالتلاميذ يذهبون إليها فى سن مبكرة ، فعلينا نحن أن نهتبل هذه الفرصة فنعطيهم نماذج يحفظونها تناسب عقولهم ، ولا تنبو من أفهامهم ، ما دامت الملكة السابقة لها القوة والسيطرة والغلبة

لقد غالى بعضهم وزعم أن تكوين ملكة العربية أسهل على الإنجليزى والفرنسى منها على من سبقت له ملكة العامية ، وذلك مبالغة فى اليأس والقنوط

إن العامية لا يمكن أن تقف فى طريق تكوين ملكة العربية ، بل إنى أرى أنها عون على اللغة العربية ، فمن السهل على من عرف العامية أن يتعلم اللغة العربية وتكون عوناً له عليها ، وتطيعه ملكة اللغة العربية بأيسر وأسهل مما تطيع من لا يعرفها ولا يتكلم بها كالانجليزى والفرنسى ، لأن معرفة العامية تعلم الكثير من العربية فتعلم كثيراً من مفرداتها كالأرض والسماء والسحاب والماء والثرى والهواء ، تعلم كثيراً من أساليبها وتراكيبها ، والنقص الذى دخل على ملكاته من تحريف العامية شيء سهل يمكن ملافاته إذا سار فى الطريق المستقيم عكس من

بمناسبة العتاب اللبناني

الأخوة الأدبيـــة

بين البلاد العربية

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

كنتُ دعوتُ فى البريد الأدبى للرسالة الأديب اللبنانى « إلياس أبو شبكة » إلى رسم لوحة أدبية للشاعر اللبنانى المعاصر نجيب إليان بمناسبة نجاحه فى مسابقة الشعر العربى التى نظمتها محطة الإذاعة اللاسلكية فى لندن . ولقد خصصت بالدعوة الأستاذ « أبو شبكة » ، لأننى أعرف من ريشته الفاتنة فى تصوير الأشخاص ما لا يعرف الكثيرون . ولأن هذه المعرفة جاءتنى من طريق كتاب له عنوانه « الرسوم » صوّر فيه طائفة من أدباء لبنان تصويراً يبرز التفاصيل على أصولها ويخرج الدقائق إخراجاً لا يُخطىء كما لا تُخطىء العدسةُ الطبيةُ فى إخراج التفاصيل

وما عرفتُ « أبا شبكة » معرفة الجسم ولا مرأى العين ، ولكننى عرفته من كتابه « الرسوم » ومن ديوانه « أفاعى الفردوس » الذى تفضل فأهداه إلىّ بتوقيعه الكريم فى سنة ١٩٣٨ . ومن حينها انعقد بيننا ودٌّ روحى أكدته قراءتى له ومتابعتى لآثاره فى صحف لبنان التى تحملها الأقدار السعيدة إلىّ

وما كنت أظن وأنا أقترح عليه هذا المقترح أن فى صدره أموراً طوى كَشْحَه على مستكناتها ، وأن فى نفسه كلاماً يريد أن يقوله ؛ فإذا به فى العدد ٢٩٠ من مجلة « الجمهور » اللبنانية يرد علىّ رداً ينكر به قديم ودنا ويتجاهل « سامحه الله »

(محمد عبد الغنى حسن موقع القسم الأول من البريد الأدبى فى الجزء ال ٥٢٨ من الرسالة)

وإذا كان الأخ قد نسى ودّى فأنا أجد من حق عليه أن أذكِّره بتقدمة الإهداء التى كتبها على « أفاعى الفردوس » ، حين أهداه إلىّ من لبنان البعيد

وفى رد أبى شبكة عتاب على الرسالة خاصة وعلى الصحافة المصرية عامة . ولكنه عتاب شديد مشى فيه صاحبه إلينا بالسيوف كما مشى الشاعر قبله إلى الملك الجبار حين صعّر خده ! ولكنه عتابٌ حبيبٌ إلى النفس ، لأنه عتاب الأخ الكريم والجار الجُنُب ؛ ولأن فيه صراحة لأنه من شاعر لا يحب الكذب ولا المواربة ، ولا يخرج الخبيث من القصد بصورة المجاملة أو اللياقة أو المرونة

ويظهر لى أن العدسة الطبية التى اختص الله بها الشاعر « إلياس أبو شبكة » قد استحالت إلى عدسة مكبِّرة مهوِّلة تخلق القباب من الحبوب ، وتجعل الجبال من النمال ! فهو يثور على صحافة مصر فى غير موضع للثورة ، ويعتب على أدباء مصر فى غير محل للعتاب ، ويتهم الصحافة المصرية إجمالاً بإهمال الحركة الأدبية القائمة فيما يلى مصر من الأقطار العربية وخاصة لبنان . ويتهم الأستاذ أحمد حسن الزيات بالتعصب ، ولكنه يجله ويقدر أدبه ويعرف مكانته هو وجميع أدباء لبنان (الذين لا يعرفون للأدب حدوداً ولا يقررون له مناطق)

وبالطبع لم تمر كلمة الأستاذ أبى شبكة من غير رد أو تعقيب . وكان أسبقنا إلى الكلام الأستاذ ابراهيم المازنى فى عدد ١٢ سبتمبر من البلاغ . وتمنّى الدكتور زكى مبارك بكلمة فى العدد ٥٣٣ من الرسالة اعترف فيها بإغفال المجلات المصرية للحركة الأدبية فى لبنان وغيره من الأقطار العربية ؛ ولكنه رد ذلك إلى إغفال عام للحركة الأدبية فى مصر ذاتها . وهذا كلام فى جملته صحيح ولكنه يحتاج إلى بعض التصحيح ... فالحركة الأدبية فى الأقطار العربية عامة ملحوظة فى بعض الصحف المصرية « كالمقتطف » التى لا ينفى عنها مصريتها كونها من أصل لبنانى . وعجيب جداً أن يتكلم الأستاذ فى « لبنانية المقتطف » أو « مصرية الرسالة » ؛ وهو كلام لا نحبُّ أن نسمعه لأنه يوجع الآذان والقلوب ، ولأنه يفسح المجال لمن يقولون : هذا مصرى ، وهذا لبنانى

لم يعرف شيئاً من العامية ، فيبدأ فى تعلم العربية من جديد كلمة كلمة ، وحرفا حرفا ، وأسلوبا أسلوبا ، ونظما نظما

قد بلغنا فى نصرة الأسلوب الجديد فى تعليم اللغة العربية المبلغ الذى وسعه الجهد ، وإن كان قليلا ، وبلغه الوسع وإن كان ضئيلا ، ولم نترك حجة تفيد نصرته إلا تتبعناها ، ولا شبهة تدل على خلافه إلا أفسدناها ، ولم يبق للمهيمنين على تعليم اللغة العربية فى وزارة المعارف وفى الجامعة وفى الأزهر عذر فى ألا يصطنعوا هذا الأسلوب ؛ فقد وضح الحق ، وانخذل الباطل ، ولم يبق عذر لمعتذر

محمد عرفة

وكيف يا أخي أغفلت « الرسالة » وغيرها أدبكم ، وأهملت إنتاجكم ، وهي تنشر لشكرى فيصل وسعيد الأفغانى وعلى الطنطاوى وطه الراوى وأنستاس الكرملى واحمد صافى النجفى وحسين الظريفى وكوركيس عواد وميخائيل عواد ، وفدوى عبد الفتاح طوقان ووداد سكاكينى وغيرهم وكلهم من الأقطار العربية القريبة والنائية ؟

ثم ما وجه عتابك أنت بالذات يا أخى وأنت لا تكتب حتى فى المجلات المصرية التى يديرها ويشرف عليها ـ كما تزعم ـ لبنانيون كالمقتطف والهلال ؟ فما رأينا لك فيها من زمان بعيد أثراً ، على حين قرأنا لأخينا اللبنانى الأستاذ كرم ملحم كرم أخيراً قصة لبنانية رائعة فى إحدى المجلات الشهرية

والحق أنك يا أخي أصابك نوع من ركود الإنتاج الأدبى فأخذت تتجنى على صحافة مصر البريئة وأدبائها البرآء . ودليلى على ذلك أن صحافة مصر الأدبية فى هذا العام مملوءة بأسماء ميخائيل نعيمة اللبناني وعدنان مردم بك وعبد الوهاب الأمين البغدادى ونقولا زيادة الفلسطيني وأسعد طلس السورى وصلاح اللبكى وزكى المحاسنى وخليل هنداوى وصلاح الدين المنجد وراجى الراعى وغيرهم من أدباء الأقطار العربية . فأين اسمك بينهم ، وأين جولك فى ميادينهم ؟

أما كتبكم يا أخى فلم تغفلها الصحافة المصرية جملة ولا الأدباء المصريون . وإلا كنتَ فى هذه الدعوى متجنياً علينا كعادتك . ففى مجلة مصرية شهرية باب للمكتبة العربية لا يفلت منه كتاب عربى خرج فى سوق الأدب مهما ضؤل حجمه ! حتى ديوان « خيوط الغمام » الذى نظمه الشاعر السورى الرقيق عبد الله يوركى حلاق ، وكتب مقدمته صديقك كرم ملحم كرم . ولست أريد هنا أن أشق عليك وعلى القراء بالحديث عن نفسى وعن مكتبة مصرية شهرية . فما أسمج أن يتحدث المرء عن نفسه !

على أن الصحف المصرية نفسها قد تسكت عما يصدر فى مصر نفسها من الآثار الأدبية ـ كما قال ذلك بحق الدكتور زكى مبارك فى رده عليك ـ فإن سلسلة « إقرأ » لم تظفر من « الرسالة » بكلمة واحدة على طرافة ما كتب فى تلك وجدته . وخاصة تلك « الدجاجة الفلسطينية » التى وجدنا من حديثها هقلاً وعجباً .

وقد تلاحظ يا أخى رواج كتبنا فى بلادكم وإملاق بلادنا من كتبكم . وتلك حقيقة يا أخى لا نحمل نحن مسئولية التقصير فيها . ولعل لتجار الكتب وموزعيها يداً فى ذلك ، فنحن قد تحفى أقدامنا فى السؤال عن كتاب طبع فى الشام فلا نجد له أثراً ؛ حتى كتب الكبار من أدبائكم . فإن « ملوك العرب » لأمين الريحانى لم أجده فى مصر إلى أن أهدانيه مؤلفه وحمّله صديقى المرحوم ألفريد الجميِّل . وكانت لنا مشاركة فى مجلة المكشوف ـ حيا الله صاحبها ـ فلم نستطع الحصول عليها من مكتبات مصر . حتى كتابك الرسوم لم أعثر على نسخة منه إلا بقَدَر سعيد . . . ولولا هدايا كم المتوالية ما عمرت مكتباتنا الخاصة بكتبكم التي نقرؤها ونجلها

على أن المعاتبة بينكم لا تحملك يا أخى على أن تسكت عن دعوة دعوتك إليها فى موضوع الكتابة عن الشاعر اللبنانى نجيب إليان . فاكتب عنه فى أية صحيفة شئت ؛ وارسمه فى أية مجلة أردت ، ولكن لا تنس أنك أسأت الظن « بالرسالة » التى لا ينكر فضلها فى تمكين الروابط العربية إلا غيرُ منصف . وحاشاك أن تكونه والسلام .

محمد عبد الغني حسن

---

٦ – الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

لم يرد فى القرآن الكريم نص صريح يحرم استعمال الذهب والفضة والحرير، وجميع الآيات التى تتعلق بهذه الأشياء إنما تشير إلى أنها مما يتمتع به المتقون يوم القيامة عندما يسكنون الجنة ويلبسون الحرير ويتحلون بأساور من ذهب وفضة؛ ولكن ورد فى كتب السنة أحاديث عدة تنظم استعمال هذه الأشياء. بعضها يحرمها وبعضها يحللها بحسب الظروف المختلفة. والملحوظ فى التحريم على كل حال هو الرغبة الصادقة فى الحيلولة بين الرجال وبين الانغماس فى النعيم، حتى يظلوا متمسكين بعادات البداوة والخشونة ولا يفقدون شجاعتهم وحميتهم. ولقد كان فى تلك الإباحة وهذا التحديد أو التحريم غنم كبير للفنون الجميلة يتجلى لنا فيما أبدعه المسلمون من المنسوجات ومن الحلى والأوانى.

أما الحرير فله فى تاريخ الحضارة قصة شيقة ساهم المسلمون فيها بأوفى نصيب، فقد كان إنتاجه سراً مغلقاً لا يملك مفتاحه غير الصينيين. واستطاع الأمبراطور جستنيان فى سنة ٥٥٦ م أن يقف على هذا السر، وأصبحت بيزنطة منذ ذلك التاريخ من أهم مراكز إنتاج الحرير ونسجه. واقتصر استعمال المنسوجات الحريرية فى أول الأمر على النساء؛ ولكن رجال الدولة الرومانية اتخذوا ملابسهم من الحرير. وعندما ظهر الدين المسيحى ورأى رجال الكنيسة أن فى استعمال هذه الملابس ترفاً لا يقره الدين ولا سيما وقد كانت أثمان هذه الملابس مرتفعة إلى حد بعيد انبروا لمقاومة انتشارها وأعلنوا حرباً شعواء عليها، ولكنهم فشلوا فى حملتهم، وتغلبت روح الترف على الناس فأقبلوا على اقتنائها. وجاء الإسلام فلم يشأ أن يقف جامداً أمام هذه المشكلة، بل نظم استعمال الملابس الحريرية تنظيما كان له أبعد الأثر فى الفن، إذ وردت فى كتب السنة أحاديث عدة أباحت الحرير للنساء إطلاقاً من غير قيد ولا شرط، وحرمته على الرجال إلا لضرورة، أو كان الثوب مشتملاً على قدر أصبعين أو أربع أصابع من الحرير. وعلى أساس هذه الإباحة ازدهرت طريقة الزخرفة المسماة بالتابسترى Tapestry، وكانت المنسوجات التى تزين بهذه الطريقة تنسج بالطريقة العادية للنسيج أى تقاطع خيوط اللحمة بخيوط السدى حتى إذا وصل النساج إلى النقطة المراد زخرفتها أوقف عملية الحشو بخيوط اللحمة وأخذ فى عمل الزخرفة بخيوط من الحرير المختلفة الألوان

صورة مجسمة تمثل عقاباً من البرنز من الدولة الفاطمية – نقلا عن كنوز الفاطميين للدكتور زكي محمد حسن – راجع البحث المنشور فى العدد ٥٣٧ من هذه المجلة

فنرى الثوب وقد ازدان بشريط من الحرير يتضمن زخرفة مدهشة تدل دلالة واضحة على مدى ما بلغه المسلمون من الخبرة الواسعة بالأوضاع الزخرفية والأساليب الفنية والمقدرة الفائقة على اختيار الألوان، حتى أن الإنسان لا يدرى أموضع السحر فى هذه المنسوجات دقة الزخرفة أم التناسق بين الألوان أم جمال الحرير وقد نسج وسط الكتان؟ ولقد كانت هذه الطريقة متمشية مع ما أقره الفقه الإسلامى، وإن كان الفاطميون قد تسامحوا فيها فى أواخر عهدهم فزادوا فى مساحة أشرطة الزخرفة المنسوجة من الحرير عن النسبة المقررة شرعاً

وفى ظل الإباحة المطلقة للنساء تقدمت صناعة نسج الحرير وراجت رواجاً عظيماً، وأصبح فى متناول معظم الناس بعد أن كان قاصراً على الحكام والأمراء قبل الإسلام، وتسلم المسلمون زعامة تجارته فى العصور الوسطى، وكان لهم فضل إدخاله فى صقلية والأندلس

أما الحلى المصنوعة من الذهب فقد نشط الصناع المسلمون فى صياغتها، وتفننوا فى صنعها، وأتوا فيها بالبدع المدهش، والأمثلة القليلة التى عثر عليها فى أطلال الفسطاط — أقدم



صحن من الخزف ذى البريق المعدنى من الدولة الفاطمية — نقلا عن رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية للمرحوم الأستاذ «حسن الهوارى»

العواصم الإسلامية فى مصر — من خواتم وأساور وأقراط خير دليل على ذلك. ولو لا أن الحلى الذهبية من الأشياء التى تصهر ويعاد صنعها فى العصور المختلفة لوصلت إلينا نماذج كثيرة تكشف عن مهارة المسلمين فى هذه الناحية

أما اتخاذ الأوانى من الذهب والفضة فقد حرم بنص الأحاديث المختلفة، ولكن هذا التحريم كان فى الواقع سبباً مباشراً فى اهتداء الفنان المسلم إلى طريقة استطاع أن يوفر بها



شمعدان من نحاس أصفر مكفت بالذهب والفضة مؤرخ ٦٦٨هـ من فهرس مقتنيات دار الآثار العربية للمرحوم مكس هرتس بك

للأوانى الخزفية جمال الذهب وبريقه فتوصل إلى صنع الخزف ذى البريق المعدنى. ولحسن الحظ قد وصلت إلينا من هذا الخزف أمثلة كثيرة تسابق إلى اقتنائها المتاحف والهواة فى الشرق وفى الغرب. وفى الحق أن هذه الأمثلة قد امتزجت فيها دقة الصانع بعبقرية الفنان فأبدعا معاً هذه التحف التى يستمتع الآكل فيها بجمال الذهب ورونقه ويرتاح ضميره — إن كان مسلماً متمسكاً بالدين — إلى إتباع أحكام الدين وطاعته

هذا وقد اهتدى المسلمون تحت ضغط هذا التحريم إلى طريقة تطعيم أوانى النحاس بالذهب والفضة فجعل من الأوانى المنزلة بالذهب وبالفضة أو بهما معاً تحفاً رائعة لها من الجمال الفنى والذوق السامى ما تتضاءل بجانبه الأوانى المتخذة من الذهب الخالص أو الفضة الخالصة.

(يتبع)

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

وحى القــــرآن

للأستاذ محمود أبو رية

كتب الأستاذ محمود البشبيشى كلمة فى العدد (٥٣٤) من الرسالة جعلها رداً على سؤالنا الذى وجهناه من قبل إلى أئمة الدين والعلماء المحققين لكى يبلغوا لنا رأيهم فى أمر وحى القرآن باللفظ ، وكأنه حسب أن هذا الرد فيه بلاغ للناس وجواب عما سألنا

يقول الأستاذ « إن موضوع الوحى من القضايا التى فصلت فيها الأيام منذ عهد الرسالة ، وموضوع خلق القرآن أو قدمه من المباحث التى توفر عليها علماء المسلمين فى عهد المأمون والواثق (كذا) والمعتصم وما تركوا منها ناحيه تحتاج إلى توضيح أو استيفاء »

ونحن إذا كنا لم نعرض بشىء لأمر خلق القرآن فإنا نجيب عن ذلك ، أنه لم يكن لوحى القرآن قضية فى عهد الرسول وصحابته ومن تبعهم حتى يبحثوا عنها أو يفصلوا فيها ، وإنما كانوا يعلمون أن القرآن كتاب منزل يفهمونه ويعملون بما فيه . ولقد كان للسلف مذهب فى فهم صفات الله التى وردت فى القرآن ولم يكن منها صفة (المتكلم) ؛ ذلك أنهم يرونها كما وردت بغير تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل . وظل الأمر على ذلك إلى أواخر الدولة الأموية حين ظهرت مسألة خلق القرآن ، فكان العلماء يتولونها بالجدل والبحث حتى دخلت السياسة فيها زمن المأمون إذ حمل الناس على القول بخلق القرآن ، واستمر الأمر على ذلك أيام المعتصم والواثق إلى أن تولى المتوكل فنهى الناس عن الخوض فى هذا الأمر . ولما كفت السياسة عن تدخلها عاد البحث إلى العلماء يتناولونه فيما بينهم

وبهذا الذى بيناه ينتفى ما قاله الأستاذ البشبيشى من أن علماء المسلمين فى عهد المأمون وما بعده لم يتركوا منه ناحية إلى توضيح أو استيفاء

وقال الأستاذ : « إن سلف العلماء وأئمة الفرق الإسلامية لم يختلفوا — أى كما قلنا نحن — على أن القرآن لفظاً ومعنى كلام الله » وهذا عجب منه لأنى لم أقل ذلك ولم أعرض بشىء (لمعنى القرآن) وهذا نص كلامى « ووحى القرآن باللفظ أمر اختلفت فيه الفرق الإسلامية »

وقال « إنما الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة على قدم اللفظ وحدوثه » ونحن نذكر للأستاذ أنه لم يكن ثم خلاف بين هاتين الطائفتين على حدوث الكلام اللفظي وإنما كان خلافهم على (المعنى النفسى) ، وأن فرقاً كثيرة قد شجر بينها الخلاف فى كلام الله حتى قال ابن تيمية « والناس قد تنازعوا فى كلام الله نزاعاً كثيراً والطوائف (الكبار) نحو ست فرق — وأن الناس فى كلام الله مضطربون وقد بلغوا فيه إلى سبعة أقوال »

ولقد كان مثار خلاف العلماء فى تحقيق كلام الله وحدوثه وقدمه ، لأنهم رأوا قياسين متعارضين فى النتيجة وهما :

١ — كلام الله صفة له وكل ما هو صفة فقديم ، فكلام الله قديم

٢ — كلام الله مركب من حروف وأصوات مرتبة متعاقبة فى الوجود ، وكل ما هو كذلك فهو حادث ، فكلام الله تعالى حادث . من أجل ذلك اضطروا إلى القدح فى أحد القياسين ضرورة امتناع حقيقة النقيضين : فذهبت كل طائفة إلى صحة بعض المقدمات والقدح فى الأخرى ؛ فالأشاعرة والحنابلة ذهبوا إلى صحة القياس الأول ، والمعتزلة قدحت فى الصغرى منه ، والكرامية قدحت فى الكبرى . والمعتزلة والكرامية ذهبوا إلى صحة القياس الثانى ، والأشاعرة قدحوا فى الصغرى منه ، والحنابلة قدحوا فى الكبرى . وثم آراء متباينة لطوائف أخرى كالكلابية والسالمية وبعض الفلاسفة كابن سينا ومن على رأيهم من المتصوفة والشيعة ، وهذا كله غير مذهب السلف الذى أشرنا إليه فى أول كلمتنا . ومن يرجع إلى كتب الكلام الكبيرة وكتب الملل والنحل يجد تفصيل هذا الخلاف ومعترك هذا النضال

ولقد كان من قول أبى الحسن الأشعرى أن كلام الله

يطلق إطلاقين ، كما هو الشأن في الإنسان ، فالإنسان يسمى متكلما باعتبارين ، أحدهما بالصوت ، والأخرى (بكلام النفس) الذي ليس بصوت ولا حرف »

وقد قال شيخنا الأستاذ الإمام محمد عبده : « ليس النزاع في (الكلام اللفظي فإنه حادث باتفاق) ، وإنما النزاع في إثبات (الكلام النفسي) » ، وأبان أن الأشعري لم يثبت الكلام النفسي إلا لترويج ظواهر النصوص الدالة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وإن قوله هذا ليس إلا زيادة قول في المسألة من غير فائدة . ثم ناقش ما استندوا إليه في إثبات الكلام النفسي واستشهادهم بقول الأخطل : إن الكلام لفي الفؤاد الخ . فقال رضي الله عنه : « فليس الكلام لغة أو عرفا ما هو في الفؤاد كما زعموا في قول الشاعر أن الكلام لفي الفؤاد الخ . فالقرائن قائمة على أنه ليس المراد منه الإخبار بأن الكلام هو الصور الخيالية التي يعقبها النطق ، بل الإفادة أن كل متكلم فإنما ينطق عن أخلاقه وأحواله الذاتية الكامنة ، ولفظه إنما هو دليل على ما انطوى عليه كما يعطيه ذوق الكلام » .

وجاء في المقاصد : « خالفنا جميع الفرق في إثبات الكلام النفسي وقالوا لا معنى للكلام إلا المنتظم من الحروف المسموعة الدالة على المعاني المقصودة ، وإن « الكلام النفسي » غير معقول إذ يقيسون ما في نفس الله على ما في نفس الإنسان »

ومما أوضحناه يتبين أن موضوع خلق القرآن لم يكن – كما قال الأستاذ – من القضايا التي فصلت فيها الأيام ، ومن أجل ذلك يكون سؤالنا لا يزال قائما ، والإجابة عنه ما برحت دينا في عنق علمائنا

أما قول الأستاذ إن سؤالنا قد انطوى على شك واضح في « حقيقة وحي القرآن الكريم » ، فهذا ما لا أناقشه فيه ، لأن هذا السؤال كما يبدو لكل ذي فهم قد وقف عند حد « وحي القرآن باللفظ » ، ولم ينفذ إلى ما وراء ذلك ...

وما دام الأستاذ قد تقدم إلى ميدان هذا البحث وجال فيه بقلمه ، فإنا نرجو منه أن يحقق للناس أمر لفظ القرآن ، ويبين لهم كيف كان وحيه ، وما معنى الكلام النفسي ، وإنه لجد عليم ؛ بأن البحث في « كلام الله » أمر مقرر في كتب تدرس بالمعاهد الدينية الإسلامية في جميع أقطار الأرض ، وقد قالوا إنهم قد سموا علم العقائد « بعلم الكلام » ، لأن أشهر مسألة وقع فيها الخلاف بين علماء القرون الأولى هي كلام الله المتلو ، أهو حادث أم قديم ؟

هذا ما نرجوه منه ، فإن لم يفعل فليقف في جانبنا وليستمع معنا ما يتفضل به أهل الذكر علينا

وما دام الأمر بعيداً عن عالم الغيب ومن أصل الوحي فإن البحث يقتضيه ، وأنه لا ضرر من إثارته وتمحيصه ما دامت السياسة لا تعرض له ولا تتدخل فيه .

(المنصورة) محمود أبو رية

نداء الخريف

تعالىْ . أوشكت أيامنا تنفدْ
تعالىْ . أوشكت أنفاسنا تبردْ
بلا أمل ، ولا لقيا ، ولا موعدْ

تعالىْ . هذه الأيام لا ترجعْ
ولا تصغى لنا الدنيا ولا تسمعْ
ولا تجدى شكاة الدهر أو تنفعْ

كلانا ضائع فى الكون مفقودُ
فلا هدفٌ له فى الأرض مشهودُ
ولا أملٌ له فى الغيب موعودُ

ألا ما أحمق اثنين غريبين !
إذا عاشا ـ مع الحب ـ فريدين !
وهذا الكون لا يدرى الشريدين !

نعم قد أدمت الأشواك قلبينا
وسدت هـــذه الدنيا طريقينا
ولكن أين ماضى حبنا أينا ؟

تعالىْ نحى بالأشواق ماضينا
ونبعثْ فى حمى الحب لياليِنا
فهذا الحب إذ نحييه يحيينا

تعالىْ لم يعد فى العمر متسعُ
تعالىْ لم يعد فى الكون منتجَعُ
وغولُ الدهرِ لا يبقى ولا يدعُ

تعالى . نحن بعثرنا السويعاتِ
وضحينـــــــا بأيام عزيزاتِ
فيا أختاه يكفينا حماقاتِ

أجل يا أختُ ما قد ضاع يكفينا
فعودى . ها هو العش ينادينا
فلا نخربه يا أختُ بأيدينا

ربيع العمر يا أختاه قد مرّا
فلم نطعمه أو نغنم به ذخرا
وما عاد لنا منه سوى الذكرى

فلا نخسر هزيعين من العمر
فدفء العش قد يجدى لدى القر
وروح الحب قد يحيي لدى القبر

ويا أختاه زاد العش يغذونا
فإن الزاد قد قل بأيدينا
وجدب العمر يا أختاه يؤذينا

تعالى نقطع الباقى من العمر
رفيقين على الخير على الشر
حليفين على اليسر على العسر

تعالى أوشكت أيامنا تنفد
تعالى أوشكت أنفاسنا تبرد
بلا أمل ولا لقيا ولا موعد

(حلوان) سيد قطب

وداع المصيف

سرت عهود المصيفِ وكل شىء يمـــرُّ
مضت بكلّ طريفٍ من الحيـــاة يسر

نعم وراحت سريعة أيامه والليـــــالي
وبات عرس الطبيعة من ذكريات الخيال

الصبح فيــه حبيبُ يفيض بالبشر فيضا
والليـــل ساج طروب كم سر نفساً وأرضى

بحر من الحسن طامى فى البحر يخفى ويظهر
يروى به كل ظامى إلى الجمال ويسكر

وبسمة وتبسم فى حيثما حـــل ناظر



بريد العراق

قيل إن الصداقة كالخمر يزيدها القِدم عِتقاً إلى عتق ، وهذا هو حالى مع أصدقائى فى العراق ، فما يمر أسبوع بلا بريد يصل من هناك ، فأعرف به أخباراً تزيد شوقى إلى إخوان الصفاء ، أو تسوق حزناً يعذّب الفؤاد ، كالذى وقع حين قرأت نعى السيد صالح البدرى فى جريدة الزمان ، رحمه الله وألهم أهله روح الصبر الجميل

هل يعرف الصديق الذى رثى هـذا الأديب بكلمة موجزة فى جريدة الزمان أنى كنت أحب أن يذكر ترجمة حياته بإطناب ؟

لقد سألت آحاداً من العراقيين المقيمين بالقاهرة عن السيد صالح البدرى فلم يعرفوه ، فأدركت من جديد أن الآذان لا تسمع غير الصوت الضّجّاج ، وقد تفوتها عذوبة الرنين اللطيف

الصلة بينى وبين السيد صالح البدرى لم تزد عن تفضله بتشطير قصيدة بغداد ، وهي فى نظرى أقوى الصلات ، لأن مجاراة الشاعر للشاعر مساجلة بين روح وروح ، فمن واجبى أن أودعه

بكلمة ثناء ، لا كلمة رثاء ، لأنى أومن بأن الفكر لا يموت

وهنالك أخبار من العراق تمثلها الرسائل الواردة من بغداد والكرخ والبصرة والحلة والموصل والنجف ، وهى أخبار تشرح الصدر ، لأنها تصور وفاء القلوب فى تلك البلاد

وهنالك رسائل طُويتْ عنى ، بعد أن كُتبتْ مرة ومرتين ومرات ، لأزداد عذاباً إلى عذاب

سنلتقى يا غاضبين ولو بعد حين ، وستذوقون ثمرات التجنى طائعين أو كارهين

إن الرسائل وصلت ، الرسائل التى طويتموها بعـد أن كتبتموها ، وسأقرأها عليكم يوم التلاق ، وهو بإذن الله قريب

وأنا أيضاً كتبت إليكم رسائل وطويتها عن عمد ، فهـل وصل إليكم منها شىء ؟

بريد القلب هو البريد ، ولكن أين من يعرف تناجى القلوب على بعد الديار ؟

هل عندكم نية لحضور المؤتمر الطبى فى العيد المقبل ؟

سأشترك فى هـذا المؤتمر ، وسأصنع مثل الذى صنعت منذ أعوام ، فأنتظر فى محطة باب الحديد إلى الساعة الثالثة بعد نصف الليل ومعى الأستاذ عبده حسن الزيات ، راجياً أن يكون نصيبى منكم فى هذه المرة أطيب من ذلك النصيب

تعالوا فى العيد ، أو فى غير العيد ، فرؤيتكم هى العيد

زكي مبارك

يا حسنها لو تقسيم تلك الرؤى والمناظر

يا بحر جئناك نسعى وفى القلوب نضوبُ
فراقنا فيك مرعى من الحياة خصيب

دنيا من الصيف تاهت على الربيع دلالا
أزهارها النضر فاقت نور الرياض جمالا

طفقت أرسل عينا والموج غادٍ وآتى
ورحت أمشى الهوينا مجمّعاً ذكرياتى

مُحيياً كل حسنٍ رأيته ومتاع
بنظرة أو بلحن يهدى جميل وداعى

قد كنت يادار أنسى معنى جرى فى جنانى
والآن يغمر حسى بالحب والتحنان

محمد طاهر الجبلاوى

رد على إيضاح

طالعت اليوم « إيضاح » بقلم الأستاذ القاضي المحامى بمنفلوط المنشور فى العدد ٥٣٧ من مجلة الرسالة الغراء بشأن مقالى المنشور بالعدد ٥٣٥

ولقد عجبت كيف ينسب إلىّ قولاً لم أذكره ، وله أن يدلنى على الصفحة والسطر الذى قلت فيه : « إن الإسلام ينهى الفنان عن ابتداع الصور »

وقد كنت أحب لو تريث قليلاً قبل أن يحكم على عقيدتى فى التصوير عند المسلمين ، ولا سيما وقد لفت النظر فى نفس المقال الذى يعلق عليه إلى أننى سأتحدث فى هـذا الموضوع بالذات ، وتشاء المصادفات أن يظهر بحثى فى هذا الصدد فى نفس العدد الذى يظهر فيه هذا الإيضاح ، ثم له بعد ذلك أن يناقش رأيى ويصدر حكمه على عقيدتى

ولشد ما كنت أحب له أيضاً — وهو بحكم ثقافته القانونية قد يجلس يوماً ما بين الناس للقضاء — ألا يتسرع فى الحكم ، ويتعجل فى تكوين رأيه فى عقيدة شخص قبل أن يقرأ بإمعان ما كتبه ، وقبل أن يتوفر له من الأدلة ما يساعده على الحكم عليه ، بل لقد بادر فساق رأيه فيما كتبه فى سهولة عجيبة دون أن يسنده بالحجة أو الدليل

ولست فى حاجة إلى القول بأن رأيى فى التصوير عند المسلمين قد أوضحته جلياً — بما وسعنى من علم — فى هذه المجلة فى العدد ٥٣٧ قبل أن أطلع على « إيضاح » ، وقد نشرت هذا الرأى أيضاً قبل ذلك بنحو خمسة أشهر فى مجلة الهلال فى البحث الذى عقدته عن « مجموعة رفعة شريف صبرى باشا من الصور الإسلامية » فى العدد الذى صدر فى شهر يونيو سنة ١٩٤٣

وأظن أن فيما تقدم ما يكفى لكى ينفى المعنى الذى توهمه عنى كاتب الإيضاح

محمد عبد العزيز مرزوق

الدقة اللفظية

إذا كانت الدقة مستحبة فى كل شىء على وجه العموم ، فهى مستحبة فى التعبير على وجه الخصوص . ولعل أول ما يميز التفكير العلمى الحديث أنه تفكير دقيق لا يخلط بين المتشابهات ولا يعمى عن الفروق الصغيرة ؛ فالدقة معيار هام فى نظر العلم والفلسفة ، والخلط مظهر لانعدام الروح العلمية . وقد نص المنهج العلمى على وجوب تحديد المعانى قبل البدء فى الموضوع ، وإقامة الفوارق بين الألفاظ قبل الشروع فى استعمالها . ولكن الدقة اللفظية لا تتهيأ للكاتب إلا إذا أحاط بمعانى الألفاظ إحاطة وافية ، فلذا يجدر بنا أن نأتى على ذكر معانى الألفاظ التى كثيراً ما يخلط بينها الناس ، قبل أن نطالبهم بأن يفرقوا بينها تفرقة دقيقة محكمة

١ — فالناس كثيراً ما يخلطون بين النفس والروح ، وفى هذا يقول التوحيدى : « وقد ظنت العامة وكثير من أشباه الخاصة أن النفس هى الروح ، وأنه لا فرق بينهما إلا فى اللفظ والتسمية ، وهذا ظن مردود ، لأن النفس جوهر قائم بنفسه لا حاجة بها إلى ما تقوم به ، وما هكذا الروح ، فإنها محتاجة إلى مواد البدن وآلاته » (« القابسات » ١٠٦ ، ص ٣٧٢ — ٣٧٣) « فالإنسان ليس إنساناً بالروح . بل بالنفس ، ولو كان إنساناً بالروح ، لم يكن بينه وبين الحمار فرق ، بأن كان له روح ولكن لا نفس له . فليس كل ذى روح ذا نفس ، ولكن كل ذى نفس ذو روح » (« الإمتاع والمؤانسة » الجزء الثانى ص ١١٣)

٢ — وكثيراً ما يخلط الناس أيضاً بين العلم والمعرفة ، ولكن التوحيدى يفرق بينهما فيقول إن : « المعرفة أخص بالمحسوسات والمعانى الجزئية ، والعلم أخص بالمعقولات والمعانى الكلية ، ولهذا يقال فى البارى : يعلم ، ولا يقال يعرف ... » (المقابسة ٧٠ ، ص ٢٧٢)

٣ — ويفرق التوحيدى أيضاً بين لفظين يختلطان فى الاستعمال العادى ، وهما : الفعل والعمل . « فالفعل يقال على ما ينقضى ، والعمل يقال على الآثار التى تثبت فى الذوات بعد انقضاء الحركة » (المقابسة ٧٥) ولهذه التفرقة نظير فى الفرنسية لأن الفعل يقابل كلمة acte والعمل يقابل كلمة oeuvre

٤ — ومن الألفاظ التى يخلط بينها خلطاً ظاهراً ، ألفاظ المشاركة وهى : المساواة ، والمشابهة ، والمطابقة ، والمجانسة ، والمشاكلة ، والمماثلة . وقد نص ابن سينا فى « النجاة » (المقالة الأولى من الإلهيات) على الفروق القائمة بين هذه الألفاظ ، فبين أن المساواة اسم المشاركة فى الكم ، والمشابهة اسم المشاركة فى الكيف ، والمطابقة اسم المشاركة فى الوضع ، والمجانسة اسم المشاركة فى الجنس ، والمشاكلة اسم المشاركة فى الإضافة ، والمماثلة اسم المشاركة فى النوع

هذه بعض الفروق التى « تجب مراعاتها توخياً للدقة فى القول » ، وهى تدلنا على حاجتنا إلى شىء أكثر من الدقة اللفظية ، خاصة فى بحوثنا العلمية والفلسفية .

زكريا إبراهيم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

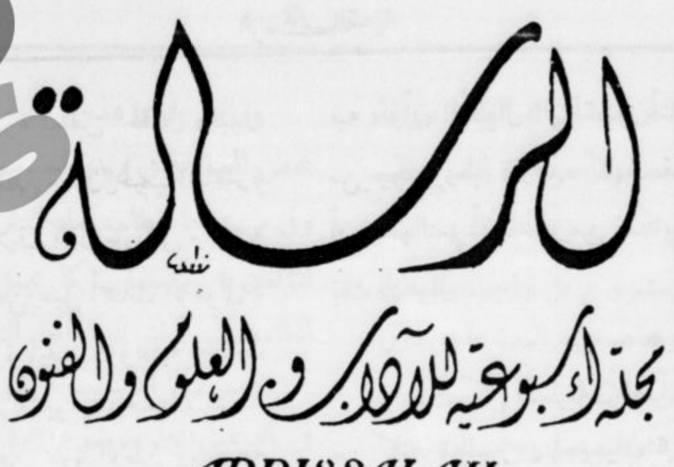


11 me Année No. 539

Lundi - 1 - 11 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٥٣٩ « القاهرة في يوم الإثنين ٣ ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهــرس

حول ما نـكتب

الأستاذ عباس محمود العقاد

علقت صحيفة « البورس إجبسيان » على ما كتبناه في موضوع الشيوعية فقالت بعد تلخيص رأينا فيها : « ... وأن الأستاذ العقاد لينظر إلى الشيوعية في لون قاتم وهي ما زالت على حسب سياسة ستالين في دور الكشف والظهور فلا تعرف على التحقيق إلى أي طريق تسير في تطبيقها العملي بعد تجاربها في السنوات الأخيرة ؛ فقد أنشأ نظام الأسرة فيها يتكون ثم المدرسة ثم الأخلاق ثم الاعتراف بتفاوت الدرجات والرجوع أخيراً إلى الدين ، وكل هـذا معناه أن الشيوعية الحالية ليست إلا اسماً مسمى وإن هي في حقيقتها إلا اشتراكية مستنيرة »

وهذا التعليق في رأينا هو أقرب إلى التأييد والتوكيد ، منه إلى المناقضة أو التفنيد

لأن معناه أن ستالين يخالف الشيوعية التي ننكرها ولا يدين بقواعدها التي بسطها كارل ماركس وشرع في تحقيقها لينين

ومعناه من جهة أخرى أن الشيوعية في تطبيقها تخالف الشيوعية في أصولها النظرية ، وأنها من أجل ذلك مذهب لا يصلح للتنفيذ في الحياة العملية

وقد اضطر ستالين فعلاً إلى الاعتراف بتفاوت الدرجات

والأجور ، واضطر إلى التسليم للأسرة ببعض الحقوق وقبول الملكية فى وضع من الأوضاع ، ثم انتهى خلال الحرب الحاضرة بتعظيم فضيلة الوطنية التى كانت فى عرف كارل ماركس وأصحابه لعنة من لعنات الاستغلال ، وحيلة من حيل أصحاب الأموال ، فهو وأعوانه يسمون الحرب الحاضرة بالحرب الوطنية وحرب الدفاع عن الذمار ، لأنهم علموا أن اسم الشيوعية وحدها لا يشحذ همة الشعب إلى النضال ولا يغنى عن نخوة الوطن والعصبية القومية

فاضطرار الأقطاب الشيوعيين إلى العدول عن بعض قواعدها الأولية يؤيد ما نقول ، ولا ينفى أنها مذهب غير معقول ولا مقبول

ولكننا مع هذا ندعو إلى الحذر من تصديق كل ما يروى عن التطبيقات الشيوعية فى الوقت الحاضر ؛ لأن الوصول إلى حقيقة النظم الروسية اليوم من أصعب الأمور ، ولم يسمح قط لرجل مستقل الرأى منزه عن الغرض بالطواف فى أرجاء روسيا على حريته بغير رقيب أو دليل ، وإذا سمح له بالطواف فى المواطن البعيدة عن الأسرار والخفايا ، فلا ينقضى أسبوع على معاشرته لفرد من الأفراد أو فئة من الفئات إلا أسرع الحاكمون بتبديله وإحلال آخر أو آخرين فى محله ، حتى لا تنعقد بين السائحين المستقلين وبين أحد من الروسيين صلات وثيقة تطلق عقال الألسنة وتكشف كوامن الصدور

ولا حاجة بنا بعد هذا وذاك إلى ملاحظات السائحين المستقلين لإدراك هذه الحقائق الغنية عن الدليل ، فحسبنا أن حرية الكتابة مكبوحة فى روسيا منذ نيف وعشرين سنة لنعلم أن بواطن الأمور غير ظواهرها وأن رعايا الشيوعيين لا يملكون الإفضاء بما فى ضمائرهم لأبناء وطنهم فضلاً عن الغرباء الطارقين الذين يحاطون بالرقباء والأدلاء من قريب وبعيد

ولا نزال نذكر الفكاهة التى رويت على لسان الفلاح الروسى حين سمح له بالتحدث إلى العالم الخارجى من محطة الإذاعة العامة على شريطة أن يفوه بكلمة واحدة ولا يزيد عليها فكانت كلمته التى جمعت كل ما أراد الإفضاء به إلى العالم الإنسانى كله هى : « النجدة ! » ولاذ بعدها بصمت الأموات

فحسبنا أن المذهب فى أصول النظرية غير معقول ، وأن أقطابه لا يقدرون على تطبيقه إلا بعد الانحراف عنه والتعديل فيه ، وأن الأقوال التى تصل عنه إلى العالم الخارجى لا تخلو من حجر ورقابة ، وهذه كلها حقائق متفق عليها حسبنا كما قلنا أن نعلمها لنعلم أن الحذر من تصديق ما يقال هو أقل ما تقابل به تلك الأقوال

* * *

وليست كل التعليقات جداً كهذا التعليق الذى ألمعنا إليه من كلام « البورس إجبسيان »

فهناك تعليقات الأوشاب !

وهناك تعليقات عبيد المعدة !

وهناك تعليقات الماديين الذين يفسرون كل شىء بالماديات !

والأوشاب وعبيد المعدة والماديون هى كلمات مرادفة لكلمة الشيوعيين باعتراف هؤلاء الشيوعيين الفخورين !

وهؤلاء — أو أذناب هؤلاء — يقولون إننى لا أكره الشيوعية ولا أكتب ما أكتب عنها إلا لأننى قبضت من أعدائها خمسة آلاف جنيه للتشهير بها فى بضع مقالات

ولكنى أكتب ما أكتبه اليوم عن الشيوعية منذ كانت الشيوعية ، أو منذ عشرين سنة على التقريب

وأكتب عن جميع المذاهب التى تناقض الديمقراطية كما كتبت عن الشيوعية والشيوعيين

فما تفسير ذلك يا ترى ؟ ولم لا تكون الكراهة هنا كراهة رأى ما دامت مطردة فى جميع الأوقات وعلى جميع المذاهب وبين جميع الأحوال ؟

كلا . لا يمكن أن يفسر كلام إنسان بالرأى والعقيدة فى عرف الأوشاب وعبيد المعدة والمفسرين للتاريخ كله بالماديات

أفى الدنيا إنسان يحارب رأياً لأنه يؤمن ببطلانه ؟ كيف يكون هذا ؟ وكيف يكون الإنسان عبداً للمعدة إذن ويكون الرأى محور أقواله ومثار خصوماته ؟

هذا مناقض « للمذهب » فى الصميم

وهو كذلك مناقض « للخطط الحربية » التى أوصى بها ماركس أتباعه علانية ولم يتورع أن يزينها لهم فى منشوراته على مسمع من الدنيا بأسرها ؛ فهو القائل إن تشويه كل ديمقراطى حسن السمعة واجب مفروض على الدعاة ، وهو الذى سن لهم هذه السنة حين أشاع أن « باكونين » جاسوس للروس والنمسويين وهو يعلم أنه لطريدة الروس والنمسويين !

ومن عقائدهم التى لا يخفونها أن « الحق » المطلق خرافة ليس لها وجود ، وأن ما يسمى حقاً إنما هو جملة المصالح التى تنتفع بها الطبقة الغالبة فى أمة من الأمم ، وأن الكذب الممد على هذا لخدمة « الطبقة » أمر مشروع بل واجب مشكور

فلا عجب إذن أن يقرفنى الأوشاب عبيد المعدة بما يعهدون فى أنفسهم وفى عقائدهم من الخلائق والأدناس

بل عندى أنهم حيونى أكبر تحية فى مقدورهم حين رفعوا سعر الرشوة التى أرشاها إلى خمسة آلاف من الجنيهات أجراً مقدوراً لبضع مقالات

نعم هى أكبر التحيات التى يملكونها وهم يعلمون أن سعرهم جميعاً وأجور مجهوداتهم جميعاً منذ خدموا الشيوعية إلى أن تستغنى الشيوعية عن خدمتهم لن يقارب خمس هذه الآلاف

فلهم على تحيتهم المغصوبة شكر يلائمها

ولهم فوق ذلك تبرع آخر ينتفعون به فى كل لحظة إن وجدوا السبيل إليه

فاننى لمتبرع لهم بهذه الآلاف الخمسة حيثما وجدوها فى مصرف أو بيت أو ثمناً لعقار أو بضاعة أو أسناد تشرى وتباع

وحيثما وجدوا ذلك المال فليكتبوا إلى صاحب الرسالة بموضعه ، ولهم أن أتبع كتابتهم بعد يوم واحد بتحويل صريح يخولهم قبضه حلالاً مباحاً وفاقاً لكل شرط يقترحونه من شروط القانون

وليدعوا لى بالخير إذن كما يدعون للرفقاء أجمعين ، فاننى سأعطيهم إن صدقوا مالم يأخذوه ـ ولن يأخذوه ـ من رفيق !

***

وندع هذه الأضاحيك ونعود إلى موضوع « المؤلفين والمقترحين » الذى كتبنا عنه فى الرسالة مقالنا الأخير

فقد وردتنى فى هذا الموضوع رسائل شتى من مؤيدين ومناقشين ، وخير ما وردنى من رسائل التأييد رسالتان إحداهما يقول صاحبها « ا . زين العابدين » : إن كل نسخة من كتاب يقتنيها قارىء مثقف هى رد مطول على أصحاب المقترحات على قلتهم ، وإن كانوا من ذوى الثقافة والاطلاع

والأخرى يقول صاحبها « محمد عبد الهادى » : إن رضى المؤلف عما كتب لقرائه هو العزاء الذى يرجح بكل جزاء ويغنيه حتى من الإعجاب والثناء

وراقنى فحوى هذه الرسالة على التخصيص لأننى تلقيتها من محض المصادفة فى بريد واحد مع مجلة «ورلد ديجست» الإنجليزية وفى صدرها خطاب معاد لمستر شرشل يتكلم فيه عن « غبطة المؤلفين » ويجملها ـ كما يجمل كل غبطة من نوعها ـ علياً المطامح التى ترتقى إليها آمال الناس فى هذه الحياة

فليس فى الدنيا ـ كما يقول ـ سعادة أسعد من نجاحك فى التوفيق بين موضوع عملك وموضوع سرورك ، أو من اتخاذك العمل سبيلا من سبل الرياضة والرضاء ، وهو يسأل ويطيل فى سؤاله بما خلاصته :

ماذا يعنيك بما يحدث وراء الأفق الذى تعيش فيه بعملك وسرورك ؟ ليصنع مجلس النواب ما بدا له ، وليصنع معه مجلس اللوردات مثل هذا الصنيع ، ولتضطرب الأسواق ، وليثر من يثور ، فلا ضير عليك وأنت منزو فى تلك الساعات القلائل عن عالم يساء حكمه أو يساء نظامه

ثم ينتقل إلى الحديث عن الحرية والتأليف فيرى أن أداة التأليف هى أخف الأدوات مئونة وأقلها كلفة لأنها قلم وصفحات من الورق ، وإن أبقى شىء يبقى من وراء أسداد الزمان والمكان هو الكلمات

***

قل إنه عزاء للمؤلفين يخلقونه من الخيال أو يخلق لهم من وقائع الأيام ؛ فالمهم أنه قد خلق وأنه قد نزل من نفوسهم منزل العزاء الصحيح

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

الزواج بعد العشق — من هذه المحامية الحسناء ؟ — قيمة الصدق — بين الأدب والحياة — جزئيات ! — سؤر الحديث

الزواج بعد العشق

فى أحوال كثيرة ينتهى الزواج بعد العشق إلى الانفصال ، ثم إلى العِداء ، بحيث لا يحب أحد الزوجين المنفصلين أن يسمع خبراً عن صاحبه فى أى معرض من معارض الحديث . . . فما تعليل هذه الظاهرة وهى من الغرابة بمكان ؟

كان المنتظر أن يكون الزواج المنبعث عن العشق أقوى وأمتن وأبقى من سائر أنواع الزواج ، ولكن النتيجة تخالف ما انتظرناه ، وتشهد بأن العشق يكون أحياناً من أسباب الطلاق . . . فما تعليل هذه الظاهرة ، وقد قلت إنها من الغرابة بمكان ؟

يجب أولاً أن نعرف موجبات العشق ، لنرى كيف يمكن أن يصبح من منغّصات الزواج ، فى أكثر الأحايين ، فما تلك الموجبات ؟

يخطئ من يقول إن العشق اتصال روح بروح ، بغض النظر عما يساور حياة العاشقين من الاختلاف الطارئ ، وهو الاختلاف الذى يخلقه ظروف المعاش ، وهى ظروف تتجدد فى كل يوم بأشكال وألوان

أساس العشق أن يكون المعشوق صورة مثالية ، صورة يراها العاشق نهاية النهايات فى الجمال والجلال ، صورة منزهة عن كل ما يغض من نضارة الجسم وحلاوة الروح

ونحن نعرف أن العاشق لا يرى معشوقته ولا تراه إلا بعد تأهب وتهيّؤ واستعداد ، فيكون كل لقاء شبيهاً باللقاء المنشود فى ليلة العُرس ، وتكون الأنفاس فى حرارة محرقة لا يخمدها التلاق ، وتلاق المشاق أقصر من طيف الخيال

وهذا البناء ينهدم حين يصبح العاشقان زوجين ، ينهدم بسرعة ، لأن المرأة لا تتجمل للزوج كما تتجمل للعاشق ، ولأن الرجل لا يغازل الزوجة كما يغازل المعشوقة ، وبهذا يضيع ما كان ينتظر الزوجان من سعادة الحياة ، حياة العشق الذى لا يكدّره فضول الرقباء ، وهما لا يدريان أنهما بعد الزواج ينوبان عن الرقباء فى التجسس والسخافة والفضول !

العاشق لا يغفو أبداً ، والمشوقة لا تغفو أبداً ، فأيسر انحراف من أحد الزوجين العاشقين يخلق متاعب لا تداوَى بغير الفراق

أيكون معنى هذا الكلام أن ننهى عن الزواج بعد العشق ؟

لا ، فإننا نرجو أن يكون العشق من وسائل الزواج ، وإنما ندعو إلى الفهم الصحيح لحياة الزوجية ، وهى تختلف عن حياة العشق بعض الاختلاف أو كل الاختلاف

إذا تزاوَج العاشقان فقد وجب أن ينتهيا عن دلال الحياة الغرامية ، وأن يعرفا أنهما مقبلان على تكاليف ثِقال يوجبها نظام البيت ونظام المعاش

الزوج الذى يصابح زوجته ويماسيها لا يطالب بما يطالب به العاشق الذى يلقى معشوقته من أسبوع إلى أسبوع ؛ والزوجة فى الأصل سكَن للزوج ، ومزية السكن أنه مأوى صاحبه فى أوقات الفرح والترح ، ولحظات التفتح والذبول ، فمن واجب الزوجة أن تفهم أن الزوج لا يصلح فى كل وقت للمطارحات الوجدانية ، ولا يستطيع أن يبتسم فى جميع الأحوال

إذا فهمت الزوجة المعشوقة هذه الحقيقة أمكنها أن تستريح من متاعب كثيرة ، متاعب تخلقها الغيرة السخيفة ، فقد ثبت أن الزوجة لا تردّ سكوت الزوج عن الملاطفة إلى أسباب من اشتغاله بمتاعب الحياة ، وإنما تردها إلى أسباب من اشتغاله بغيرها من النساء . والمرأة لا تدرك أن للرجال متاعب غير الاشتغال بالنساء !

وأنا لا أبتدع هذا الرأى ، فقد التفت إليه أقطاب القَصص الفرنسى ، وعندهم عبارة يضيفونها إلى الزوجة عند معاتبة الزوج فى أتفه الشؤون ، وهى عبارة : « لم تَعُد تحبنى »

Tu ne m'aimes plus

وهى عبارة تماد بحروفها فى أكثر الأقاصيص ، بحيث جنى عليها التكرار فلم تَعُد تثير الإحساس ، برغم ما يصحبها من التوجع والأنين !

والظاهر أن المرأة تخلفت عن موكب الحياة ، فهى لا تزال

تنظر إلى النعيم بالعين الحيوانية ، ولم تدرك أن النعيم صارت له ألوان من التطلع والتوثب والتسامى إلى مراتب لا تخطر للحيوان فى بال

والحق أن الرقى العقلى والروحى والأدبى والمدنى ، الرقى الذى نقل الإنسانية من حال إلى أحوال بصورة تفوق أحلام القدماء بمراحل طوال طوال ، هذا الرقى من صنع الرجل ، وليس فيه للمرأة نصيب ، وستظل فى تأخر إلى الأبد ، ما دامت تؤمن بأن النعيم فى الحياة الزوجية هو نعيم الحيوان

ضعوا المرأة حيث وضعتها الطبيعة ، ولا تدللوها أكثر مما فعلتم ، يا أغبياء التمدن الحديث !

من هذه المحامية الحسناء

خصصت مجلة الشعلة صفحة لمقال دبّجته إحدى المحاميات في تنفير الفتاة من الزواج ، فما حجج تلك المحامية ؟

لا حجج ولا براهين ، وإنما هو دلال فتاة وجدت فرصة للتنويه بأنها ردّت جماعات من الخاطبين ، لتنعم بحياة الاستقلال ، كأن الزواج عبودية لا ترضى بها غير الفتاة العاجزة عن الاستقلال !

نحن نعرف من سنن الحياة أكثر مما تعرف تلك المتمردة ، نحن نعرف أن الفتاة لا تزهد فى الزواج إلا إذا كان بها نقص فى الحيوية ، وهذا النقص يعترى بعض النساء وبعض الرجال ، وهو السبب فى شيوع العزوبة عند فريق من هذا الجنس أو ذاك ، فلا موجب للتباهى بغنًى هو أقبح من الإملاق

إن احتياج المرأة إلى الرجل دليل على كمال الأنوثة ، كما أن احتياج الرجل إلى المرأة دليل على كمال الرجولة . وتباهى المرأة بزهدها فى الرجل لا يقلّ قبحاً عن تباهى الرجل بزهده فى المرأة . وإذا جاز للفتاة الجاهلة أن تقع فى مثل هـذا التباهى الأحمق ، فصدوره عن الفتاة المثقفة إثم فظيع فى نظر الطبيعة ، والطبيعة تبغض الانحراف

وهنالك بدعة جديدة تمضغها بعض الفتيات ، بدعة القول بأن الزواج يحكم على الزوجة بالتبعية للزوج ، ونحن فى عصر المطالبة بالتحرر والاستقلال !

وهذا كلام فى غاية من الضعف ، لأن تبعية المرأة للرجل تبعية طبيعية ، وهى مجردة كل التجرد من معانى الاستعباد .

وسيادة الرجل على المرأة سيادة تشريف ، لا سيادة تكليف . وخضوع المرأة للرجل يزيدها جمالاً إلى جمال ، ويؤيد رسالتها فى تعمير الوجود

كنت ظننت أن تلك المحامية شخصية خرافية ، ولكن محرر الشعلة أكد لى أنها شخصية حقيقية ، وأنى لو رأيتها لفتنتنى بجمالها الوهّاج

وأقول إن الفتاة التى تنفّر أترابها من الزواج لا تفتن أحداً ، ولو كانت فى جمال أفروديت ، لأن سحر المرأة يرجع إلى الحيوية فى الطبيعة الأنثوية ، ولا قيمة للجاه المجلوب ، جاه العلم والمال والجمال

جمال المرأة أنها مرأة ، وجمال الرجل أنه رجل ، فاتركوا هذه الحذلقة ، وتجنّبوا الجدال فى شؤون يفسدها الجدال

قيمة الصدق

الصدق لا يُقوَّم بأى ثمن ، لأنه فوق التقويم وفوق التثمين ، وما قال قائل فى أى زمن أو فى أى بلد إن الصدق آذاه بأية صورة من صور الايذاء ، وما فاز فائز بغير الصدق ، ولا خسر خاسر إلا بسبب مجانبة الصدق ، فتدبَّر هذا القول ثم انظر أين أنت فيما اخترت لنفسك من مذاهب السلوك

إن اقترفت ذنباً فاعترف لتظفر بأول سبب من أسباب النجاة وهو الصدق ، وتذكر دائماً أن الكذب لن ينجيك من غضب الله وإن صرف عنك غضب الناس . وأنا مع هذا واثق بأن من يبوء بغضب الله لن ينجو أبداً من طغيان الناس ، فالله يسلّطهم على من يَكذبون عليه أشنع تسليط ، ليعرف أن الكذب على الله يلاحقه فى كل مكان

لا تُحوِج القضاة إلى شهود ، وكن أنت الشاهد على نفسك ، فإن فعلت فسيصبح القاضى محامياً عنك ، لتمسى وأنت من الناجحين

ومتى تقف أمام القضاء ؟

إن الوقوف أمام القضاء الإنسانى قد لا يصادفك فى حياتك غير مرة أو مرتين على أسوأ الفروض ، وقد لا يصادفك أبداً ، لأن القضاء الإنسانى لا يتعرض لغير من يتبجح بالاجترام ، وأنت فيما أفترض تنزه نفسك عن مسايرة المجترمين المتبجحين .

أنا أخاف عليك غضب المحكمة السماوية ، لا لأنها قد تسارع إلى البطش بك ، ولكن لأنها قد تملى لك إلى أن تفضح نفسك باقتراف الآثام الغلاظ ، من أمثال الزور والبهتان

تعوّد الصدق مع الله فى سرك قبل جهرك ، وإن صدقت مع الله فستصدُق مع الناس ، ستصدُق معهم صدق الترفق لا صدق التخوف ، وستقضى دهرك وأنت من الأعزاء

لو سلّطت إحدى الحكومات على أحد اللصوص ألف رقيب لاستطاع النجاة بأيسر مجهود من التحفظ والاختفاء ، ولكن الهرب من غضب الله لن يتيسر ، ولو اعتصم الهارب الأثيم بشعاب الجبال

اصدُق مع الله لتذوق نعيم الصدق ، ولتؤمن بأن كل شىء ما خلا الله باطلٌ وأن رضاه أنفس من جميع الحظوظ

بين الأدب والحياة

كنت اليوم مقسّم الفكر بين شجون من الأحاديث لا يتصل بعضها ببعض إلا برباط ضعيف ، فأحاديث الصبحية كانت خاصة بمشكلات التعليم ، وأحاديث الظهرية كانت تدور حول الزراعة ، وأحاديث العصرية كانت حواراً بينى وبين أبنائى فى مسائل منوّعة الفنون ، وأحاديث العشوية دارت فى مكان لا تدور فيه الأحاديث إلا ممزوجة بالنجوى الرفيقة بين روح وروح . ثم كان حديثٌ مع الصديق الذى لقينى مصادفة وأنا راجع إلى دارى ، وهو حديث لم يطل ، فقد انتهى فى دقائق ، ولكنه ترك فى نفسى أشياء !

لو دُوّنت هذه الأحاديث كلها لكانت ثروة أدبية ، ثروة حية كل الحياة ، لأنها مقبوسة من جمر الحياة ، فتى نجعل الأدب تصويراً لما نرى ونسمع وندرك فى اللحظات التى تستيقظ فيها الحواس ، أو الأيام التى تكثر فيها التجاريب ؟

لو تحدثنا بصراحة عن المشكلات التى تحيط بنا فى كل يوم لساد التجاوب المنشود بين القارىء والكاتب ، ولأصبح الأدب تعبيراً صحيحاً عن المتاعب التى تساور هذا الجيل

إننا لا نملك الفرار من روح العصر ، مهما تعالينا عليه ، فلنا صلات يومية مع القصاب والخباز والبقال ، ومن إلى هؤلاء من أصحاب الحرف والصناعات ، ولنا صلات بمن نراهم فى الطريق كل يوم ، ولو كانوا فى الظاهر من المجاهيل

جزئيات !

هى جزئيات مضحكة فى نظر القارىء الذى لا يرى للأدب حياة فى غير الحديث عن النجوم والأزهار والرياحين ، ولكن لها مغازىَ تستحق الشرح والتوضيح ، وتستأهل اهتمام الأديب الحصيف ، وإليك طائفة من هذه الجزئيات :

١ — من النادر أن يقدّم راكب الترام ثمن التذكرة إلى التذكرى بدون أن يحوجه إلى الباقى ، ومعنى هذا أن الشخص الذى يركب الترام مرة أو مرتين فى اليوم لا يفكر فى إعداد ثمن التذكرة ، وأنه لا يتأذى من رؤية التذكرى وهو يحار فى صرف النقود لعشرين أو ثلاثين من الركاب ، مع أنه يقوم بهذه المهمة الثقيلة وهو على حافة الترام وفى قلق لا يحتاج إلى بيان

لو كتبنا مقالة فى استهجان هذه المعاملة لوجدنا من ينكر أنها مقالة أدبية ، لأنها خلت من الحديث عن الأزهار والنجوم والرياحين !

٢ — هذا موظف يركب الترام فى بدلة نظيفة وإن لم تكن جديدة ، لأن العمل فى الدواوين يوجب أن تكون الأثواب على جانب من القبول ، وهذا عامل يركب الترام وثوبه مزيت ، لأن شغله لا يمكنه من تغيير الثوب فى كل انتقال ، وهو مع ذلك يرى من حقه أن يجلس بجانب الموظف غير مبال بما سيصنع ثوبه الزيت . . . هل نكتب مقالة فى النهى عن هذا الصنف من السلوك ؟

إن فعلنا فسنجد من يقول إننا نجسّم الفروق بين الطبقات

٣ — هذا فلاح يسيىء معاملة المالك ، فيأخذ خيرات الأرض ، ويترك المالك فى حيرة إلى أن يستنجد بالقضاء . . . هل نستطيع تأنيب الفلاح على هذه الألاعيب ؟

إن فعلنا فسنجد كتاباً يبكون حظ الفلاحين بدموع التماسيح !

وخلاصة القول أن الأدب لا يحيا كل الحياة إلا إن عبر عما فى الصدور تعبيراً يشمل جميع الألوان ، ألوان الإحساس بما فى الحياة من آلام وآمال ، بلا استثناء للجزئيات الصغيرة فى الحياة اليومية

سؤر الحديث

السُّؤر هو البقية ، فما بقية هذا الحديث ؟

٢ـ الشعر المرسل والشعر الحر

للأستاذ دريني خشبة

وظيفة الشعر المرسل والشعر الغنائي — الشعر العربي غنائي كله — الأقصوصة القصيرة المنظومة أو ال Ballad محاولة التخلص من القافية العربية — تحكم القافية العربية في تفكير شعرائنا — القافية المطردة هي التي حرمتنا من الملاحم والقصص المنظومة — ماذا جدد الأندلسيون — هل مضى زمن الملحمة والدرامة المنظومة .

يجب أن نعرف وظيفة الشعر المرسل قبل أن نقرأه ، ويجب أن نعرف أن هذا الضرب من الشعر الذي لا قافية له ، لا يمكن أن يستعمل فيما يستعمل فيه الشعر الغنائي الذي لا يمكن أن يستغني عن القافية ، لأن القافية هي نصف موسيقاه

والشعر المرسل الذي ابتكره الإيطاليون واقتبسه عنهم شعراء الدول الأوربية ، وفي مقدمتهم الشعراء الإنجليز ، إنما يستعمل في نظم الملاحم الطوال ، والقصص الشعرية ، والأبداعية منها على وجه الخصوص ، كما يستعمل في الدرامة المنظومة

أما الشعر الغنائي ، فيستعمل في القصائد والمقطوعات والموشحات ، وذلك لأنها أحوج إلى الجمال الشكلي ، والكمال الموسيقي من الملحمة ومن الدرامة ومن القصة الأبداعية Romance ، وذلك لأنها أيضاً ، أو لأن القصيدة أو المقطوعة أو الموشحة منها ، عبارة عن خلجات سائبة ، يجمع الشاعر أشتاتها لتتم له منها وحدة القصيدة آخر الأمر . فالشاعر الذي يناجي ليلاه ، أو يشكو بلواه ، أو يبرح به الوجد في خلوته ، أو يقدس لله في وحدته ، أو يرثي للانسانية الدامية ، ويرى الشمس تبزغ فتغني لها روحه ، ويهتف بجمالها لسانه ... ويرى الزهرة تفتر عن ثغرها الأقحواني فيذكر ثغر معذبته ، فيجلس هنيهة ليقول بيتاً أو بيتين ، وينظم مقطوعة أو مقطوعتين ، وكأنما يذرف عبرة أو عبرتين ... هذا الشاعر العابر لا بد له أن يتأنى ... إنه في حاجة ماسة إلى الفن الكامل . إنه لا يستطيع أن يتخلى عن وتر واحد من أوتار قيثاره الخمسة ، إنه بحاجة شديدة إلى فتحات نايه الست ... إنه لن يقدر عن الاستغناء عن مفتاح واحد من مفاتحه السبعة .... إنه ينبغي أن يقف عند آخر كل بيت ، لأن كل بيت إنما يحمل معنى مستقلاً بموسيقاه وإن لم يستقل كل الاستقلال بمعناه ... إن شعره هو غناء قلبه وترجمان عواطفه ، وألحان روحه ، وهو إذا رثى أو مدح أو وعظ أو وصف ، فهو يتغنى بفضائل المرثي وأفضال الممدوح ، ويُحبِّب في الخير ويُبغض في الشر ، ويردد أصداء الحديقة أو القصر ، أو الجبل أو البحر ، في نفسه

وكل الشعر العربي شعر غنائي لأن الشعراء العرب لم ينظموا ملحمة ولا قصة ولا درامة . والشعر القصصي الموجود عندنا هو نوع من أنواع ال Ballad أو القصة القصيرة الغنائية المنظومة ، ونحوها بعض قصائد امرىء القيس والنابغة (في المتجردة مثلاً) والفرزدق (في الذئب وبعض القيان) وقصائد عمر بن ربيعة في غوانيه ، وبعض وقائع أبي نواس في غيده وغلمانه ، وما تفيض به يتيمة الدهر من حكايات الفضوليين والمخنثين ومن إليهم ... ويلحق بهذا الضرب من

حين أنست القاهرة زيارة الوفد السوري ، الوفد الذي تقبلته مصر بأحسن القبول ، تذكرت أن الأستاذ محمد خالد حدثني أن جماعة من أدباء سورية ضاقت صدورهم بأدبي ، فاعتزموا إرسال وفد يقنع مجلة الرسالة بوجوب التخفف من مقالاتي !

فمتى يجيء الوفد السوري الجديد ؟ متى يجيء فتستريح « الرسالة » وأستريح ؟

الحق أني لم أفكر يوماً في ملاطفة قرائي ، وهل ألاطف نفسي حتى ألاطف قرائي ؟

أنا أمشي على الشوك في كل سطر أو في كل حرف ، وما يعجبكم أو يغضبكم لا يخطه القلم إلا بعد أن يعتلج في الصدر أياماً وليالىَ وأسابيع

وما حاجتكم إلى كاتب لطيف لا يكتب في غير ما تحبون ؟ ألم تروا كيف تقهرنا الحياة على الاعتصام بالرموز والتلاميح ؟ إن الذي يغضبكم مني هو السر فيما بيني وبينكم من جاذبية يعجز عن إخمادها الزمان

زكي مبارك

ضروب القصص بعض المدائح النبوية التى تعرضت بالشرح إلى معجزات النبى ، ولعلها هى التى أوحت فى العصر الحديث إلى حافظ وعبد الحليم المصرى ومحمود المانسترلى بمنظوماتهم فى عمر وأبى بكر وعثمان

ولسنا نعرف فى تاريخ الأدب العربى أن أحداً من الشعراء العرب حاول التخلص من القافية أو حاول كتابة الشعر المرسل ، على أننا نعتبر الرجز والموشحات والنظم من قافية الألف اللينة محاولة قديمة للتحرر على نطاق ضيق من أسر القوافى ، وأقول أسر القوافى ، وأنا أعنى ما أقول وأقصده لأن هذه القوافى العربية الصارمة هى السبب المباشر فى قِصَر قصائدنا وقصور شعرائنا على السواء ، وهى السبب المباشر أيضاً فى حرمان الشعر العربى من الملحمة الطويلة ومن القصة المنظومة ومن الدرامة المنظومة ومن الروائع القصصية بجميع أنواعها ... لقد آن أن نعترف بأن فحول الشعراء العرب كانوا يضطرون ، تحت أسر هذه القوافى ، إلى استعمال ألفاظ حوشية مهجورة مُغْرِبة ما دامت داخلة فى باب القافية التى ينظمون منها . ومن المؤلم أن نقرر أن هذه الألفاظ الحوشية المهجورة المغربة كانت تتعاون مع الألفاظ السهلة المستعملة المتداولة فى التحكم أحياناً فى سير القصيدة وفى رسم الطريق للمعانى ... وأنا موقن أن الشاعر المطبوع والشاعر غير المطبوع مستويان فى الخضوع لأسر القافية وتحكمها فى جميع ما يريد كل منهما أن يقول ، حتى فى المقطوعات القصيرة ، وحتى فى الموشحات التى تتنوع القوافى فى مقطوعاتها

وأذكر بهذه المناسبة ما يلاحظه بعض نُقّاد الآداب الأجانب على الشعر العربى من البطء الشديد فى أداء المعانى التى تضطرب بها نفس الشاعر . ولا جدال فى أن القافية وحدها هى سبب هذا البطء لتحكمها فى تفكير الشاعر تحكماً سخيفاً مضنياً ينتهى إلى إجهاد قريحته وتجشيمها ما لا تطيق ، وتكون النتيجة المحتومة التى لا مفر منها واحدة من اثنتين : فإما أن تعطينا هذه القريحة المجهدة المتعبة شعراً مُجْهِداً متعباً ، وإما أن يؤدى هذا الإجهاد إلى موت القريحة نفسها وانصرافها عن هذا الشعر المضنى السخيف الذى لا خير فيه إلا تلك الموسيقا الكاملة وإلا الطنين والرنين

لذلك نرجح أن نظم الرجز والموشحات والنظم من قافية الألف اللينة كان محاولة للتخلص من ربقة القافية المتشاكلة المملة التى تتحكم فى معظم الأحوال فى كل ما يريد أن يقوله الشاعر وفى كل ما يفكر فيه ، وفى كل ما يزخر به خاطره من خوالج ، تلك القافية التى لا شبيه لها إلا فى الشعر العربى

ولذلك أيضاً نجزم بأن القافية المتشاكلة المملة هذه ، كانت السبب فى حرمان الأدب العربى أو الشعر العربى على وجه التحديد من الملحمة والقصة الطويلة المنظومة ، ثم من الدرامة ، وذلك لأن أثرها فى توجيه تفكير الشاعر يكون أقسى فى المنظومات الطويلة التى تحتاج إلى المرونة والتدفق ورقة التسلسل وعدم الإرهاق بالإطراد السمج الذى يقتضى حشد خمسمائة أو تسعمائة أو ألف لفظة متفقة الوزن وموحدة الحرف الأخير لمنظومة تتألف من مثل هذا العدد من الأبيات

لقد تعاظم هذا الحظر الشعراء الأندلسيين ، كما تعاظمهم كذلك أن تظل ثقافتهم الشعرية ذليلة لعروض الشعر المشرق ؛ وتعاظمهم أيضاً أن يسمعوا إلى هذه المنظومات الرقيقة المشرقة التى يهتف بها شعراء الأسبان فى غرناطة وقشتالة وطليطلة وغيرها من أمهات المدن الإسبانية ، وأن يظلوا هم عاكفين على قوافى المهلهل والسُّليك والطرماح ومن إليهم من شعراء الجزيرة العربية منذ جاهليتها الأولى ، فداروا مع الزمان الذى استدار ، وقلدوا الأغاريد الجديدة التى سمعوا ، فأمدوا الشعر العربى بتلك الموشحات الرائعة التى كانت خطوة بارعة فى سبيل التخلص من القافية المطردة التى ما زال شعراؤنا أو معظمهم ينتصرون لها ولا يرون التخلص من أصفادها مع الأسف الشديد

قرأت فى أحد كتب المستشرقين أن أدباءنا القدامى ، أى أدباء العرب ، الذين لم يستطيعوا أن يقرضوا الشعر اكتفوا بأن يسجعوا النثر ، وعلل الكاتب هذه الظاهرة بتحكم سلطان القافية فى الشعر العربى ، واستهوائها لنفوس العرب والأمم المستعربة على السواء ، وعلل بهذا ظهور السجع فى كلام العرب القديم .

فإلى متى يا ترى يظل شعراؤنا عبيداً لهذه القوافى المطردة التى لم تتغير منذ عهد عاد !

وكيف يتفوق الأندلسيون على المصريين والشآميين والعراقيين

وعرب المغرب وشعرائنا فى المهاجر من حيث الاستجابة للصوت الجديد الفرد الذى كان يغنى من حولهم فغنوا كما غنى وأنشدوا كما أنشد وشعروا كما شعر ، ثم بزوه بموسيقا العروض العربى ذى الثروة الطائلة من الأنغام والموازين فتأثر هو الآخر بهم كما تأثروا به ، وأذاع بتلك الموازين فى العالم اللاتينى كله ، وتأثر الشعر الغنائى هناك بما يطول ذكره فى تاريخ آداب الأمم اللاتينية (أسبانيا وفرنسا وإيطاليا) مما نرجو أن نعرض له فى فصل خاص إن شاء الله

فكيف لا يستجيب شعراؤنا اليوم لما يدوّى حولهم من موسيقا هذا الوجود ؟

إننا نقرأ شيكسبير ونعجب به ، ونشيد بذكر ملتون ونكب على فردوسه ، ونتلو آثار الشعراء الفرنسيين والألمان والإيطاليين والأسبان ، التى أنشئت بالشعر المرسل فى الملاحم وللمسرح ، ثم نحن تسحرنا هـذه الأشعار بسهولتها وسرعتها وموسيقاها الرائعة التى استغنت عن القافية واستعاضت منها بالنغم الحلو ، والديباجة الناعمة المشرقة ، والأسلوب الذى لا ينزل ولا يسف ، ولا يلتوى ولا يتحذلق ، فلماذا يا ترى لا نستجيب فى شعرنا لهذه الأصداء الأوربية الرائعة كما استجاب العرب الأندلسيون ؟

قد يقول قائل : لقد مضى زمن الملاحم ، فما بالأدب العربى وما بالشعر العربى حاجة إليها ، أما الدرامة المنظومة فقد فشل التمثيل فى مصر باللغة العربية ، فهل يحيا بالشعر ؟

قيل هذا الكلام فى بعض المجالس التى دار فيها الحديث عن تلك الدعوة لتجديد الأدب العربى والدعوة إلى تجديد الشعر العربى كذلك ، والذين سمعت هذا الكلام منهم أدباء متصلون بشيوخ الشعراء المصريين الذين عبنا عليهم فى غير كلمة جودهم وعدم ثورتهم على القديم وتمسكهم بأهداب الماضى السحيق الموغل فى القدم ، لأنه يرتد إلى أكثر من ألفى سنة

منطق عجيب إن دل على شىء فهو إنما يدل على تجاهل لا جهل ، وإصرار على الجمود دون محاولة بذل أى جهد نحو التجديد

لقد مضى زمن الملاحم ... هكذا يقول شيوخ الأدباء فى مصر . وعلى هذا فقد قضى على اللغة العربية وعلى الأدب العربى ، وعلى المتأدبين العرب ألا تكون لهم ملحمة ما ، كالإلياذة والأوذيسة لهوميروس ، والإينيادة لفرجيل ، والكوميديا الإلهية لدانتى ، والشاهنامة للفردوسى ، والفردوس المفقود لملتون ... بل قضى على الأدب العربى ، وعلى الشعر العربى ، وعلى المتأدبين العرب ألا يكون لهم قصص طويل منظوم رائع مثل ڤينوس وأدونيس والكريس لشيكسبير وسوردلو Sordello ، وباراسلزوس والخاتم والكتاب لروبرت برونج ، وتشيلد هارولد ودون چوان لبيرون ، وأدونيس وثورة الإسلام والملكة ماب لشلى ، والقرية المهجورة لجولدسمث ، وسهراب ورستم لأرنولد ، وملاحم تنيسون الموسيقية البارعة ، وأنديميون ولاميا وإيزابلا . هذه الملاحم أو ال Romances الشعرية الرائعة التى كان يخلق بشعرائنا أن يتعلموا منها كيف يقرضون الشعر ، وهى مع هذا من نظم كيتس الشاب الذى لم يعد الثالثة والعشرين !

أما أن زمن الدرامة المنظومة قد مضى ، وأن التمثيل باللغة العربية الفصحى قد فشل فى مصر ، فهو كلام لا يقوله قوم يؤمنون بنهضة أو يوقنون بإصلاح . وسنترك انجلترا وفرنسا وألمانيا فى الرد على هؤلاء اليائسين المتشائمين ونتجه بهم نحو مصر نفسها ، فنذكرهم بالفرق الإنجليزية والفرق الفرنسية التى كانت تزورنا منذ عامين لا أكثر لتمثل لنا درامات شيكسبير وموليير وغيرهما من مسرحيى الإنجليز والفرنسيين . ثم نذكرهم فى الوقت الحاضر بكواكب هوليوود ونجومها الذين — واللائى — يزورون مصر الآن للترفيه عن جنود الحلفاء فى الشرق الأدنى والأوسط ، وقد سمعت منهم — عن طريق الإذاعة — أكثر من خمسين أوبريت و Ballad وعشرات من المشاهد المختارة من أبدع ما أنشأ شعراء الشعر المرسل

لست أدرى لماذا يستمر الإنجليز فى تمثيل درامات شيكسبير ودريدن وبينرو ما دام أن زمن الدرامة المنظومة قد مضى فى نظر شعرائنا الشيوخ الأفاضل ؟

على أنه إن كان زمن الدرامة المنظومة قد مضى فماذا صنع شعراؤنا الأفاضل فى زمن الدرامة المنثورة ؟ لقد دعوناهم إلى مد المسرح والسينما بالدرامات الرفيعة التى نحن أحوج إليها من ألف ألف مقالة أو قصيدة أو مقطوعة مما يكتبون وينظمون ، فهل فعلوا ... هل فكروا ؟ ... لقد دعوناهم إلى أن يفكروا للعصر الحديث بعقول حديثة ، كما ندعوهم اليوم لكى ينظموا للعصر الحديث على غير طريقة المهلهل منذ ألفين من السنين ، فهل استجابوا لصوت العصر الجديد ؟ لقد شكونا إليهم عدم

جامع احمد ابن طولون

[حديث ألقي في نادي النجادة في ليلة القدر]

للأستاذ أحمد رمزي بك
قنصل مصر في سوريا ولبنان

أيها الحفل الكريم

أشكر لكم دعوتكم إياي ، وأقدر عواطفكم نحوي .

قد اعتاد الناس والقراء أن يقدموا لأنفسهم بكلمة أولية يجعلونها كمدخل إلى الموضوع الذي سيكون محل حديثهم وسمرهم ، وإني لا أملك نفسي دفعَ هذه العادة الطيبة المستملحة بل سأخضع لها فأقول ، بأنني لم أستطع أن أختار موضوع حديث الليلة حتى أول أمس . فقد كنت مأخوذاً بين عدة واجبات وأمور لم يكن لي بد من أن تأخذ وقتي وتفكيري

والآن وقد خلوت لنفسي أعود إليكم ، وقلبي مطمئن من ناحيتكم لأني واثق من أنكم ستولونني الكثير من التسامح فما أنا إلا فرد منكم وأنتم أيها السادة إخوان بل رفقاء لي ، فلا تنتظروا المعجز من الكلام ، ولا تطلبوا مني ما هو فوق المتناول

فما أنا إلا واحد من هذه الجماعة يريد أن يتحدث حديثاً يفيدني هذه الليلة المباركة الميمونة أعادها الله عليكم ، وقد تحققت الآمال التي نصبو إليها جميعاً وأشرقت على العالم بأ كمله شمس يوم الحرية والعدالة والديموقراطية الصحيحة

إنني مؤمن وواثق بأن الأيام التي وُعدنا بها وخطتها يد العناية في سجل القدر قد أصبحت حقيقة آتية لا ريب فيها ، وحينما يأتي يوم النصر وتتحقق آمال الشعوب الحرة سنهتف جميعاً : الحمد لله الذي صدق وعده ...

* * *

موضوع حديث الليلة قد نأخذه كموضوع واحد مكون من ثلاثة أشياء أو ثلاثة مواضيع تجمع بينها صلة الصلات . أما الفكرة الأولى التي تسيطر على فهمي تأريخ مسجد من مساجد الله هو مسجد احمد بن طولون . فنحن في مصر قد أولع تاريخنا بإنشاء المساجد حتى أصبحت في عاصمتنا تعد بالمئات وهي لنا تراث للفن العربي في مختلف أدواره . ولقد اتجهت منذ

مشاركتهم في رفع المستوى المسرحي والسينمائي المصري ؛ هذا المستوى الذي ينحط برواياته وشعبذاته ويجعلنا ضحكة الدنيا وسخرية العالم ، فهل نزلوا إلى الميدان ؟

ولقد سمعت كذلك من أحد المتصلين بهؤلاء الشيوخ أن الشاعر إنما ينبغي أن يكون غنائياً فحسب ، لأن كل نظم غير غنائي هو نظم مصنوع فحسب ، وكل نظم مصنوع ، درامي أو نظم ملاحم أو Ballad قصص أو Romance ، لا يمكن أن يكون صادراً عن روح شاعرة تحسه وتنفعل به ... وهذه في رأيي نظرة ضيقة أو حجة يراد بها الجدل الفارغ والدفاع الذي لا يستقيم لصاحبه . وإلا فأين تذهب تلك الصور البارعة التي تسلب المشاعر وتسحر القلوب من صور الإلياذة والأوديسة والأنيادة والكوميديا الإلهية والفردوس المفقود ... ؟ ثم أين تذهب أشعار تاسو وأريوستو ودَى فيجا وسرفنتس وراسين وكورنى القصصية الرائعة ؟ ... أم أين تذهب المشاهد الساحرة المحشودة في هملت والأمير جون وعطيل ومكبث والملك لير وروميو وجولييت وتاجر البندقية وفاوست وتيمورلنك وغيرها وغيرها مما لا يكاد يستقصيه حصر ولا يقع تحت عدد ؟

كم كان بودي أن أعرك أذن الشاعر الشيخ الذي أرسل هذا الهراء ، ثم أصرخ فيها بأعلى أصوات هومر وفرجيل ودانتي وملتون وشيكسبير ومارلو وشعراء الطليان والأسبان واليونان والألمان ، لكي يعلموا أن الشاعر الذي يغني لنفسه بقصيدة أو مقطوعة من بضعة أبيات أو من عشرين أو ثلاثين بيتاً هو شاعر أناني كسول ... أما الشاعر الذي يعد آلام الناس من آلامه ومشاعرهم من مشاعره وقضايا قلوبهم هي قضايا قلبه ، والدموع التي تنذرف من مآقيهم كأنها تنذرف من مآقيه ... هذا الشاعر الذي يستجيب لأحزان الناس فيرددها قصة أو ملحمة أو درامة ، إنما هو الشاعر الحق الجدير بالبقاء ... هذا الشاعر ... هو الذي أبحث عنه بين شعرائنا الشباب ، ولن أفقد الأمل في أن أعثر عليه بين شعرائنا الشيوخ .

(يتبع) دريني خشبة

حللت بهذه الديار إلى هذا النوع من الأبحاث فقلت لنفسي يوماً: لماذا لا يتجه الأدب لتمجيد هذه الآثار وجعل الأحجار تنطق فتعيد إلينا ذكريات الماضي

وأمامنا كتاب الفرنجة وقد عالجوا مثل هذه الأمور فمن في عشاق الأدب الإنكليزي من لم يقرأ ما كتبه « راسكين » عن آثار البندقية؟ إن منادمة الآثار قد حببت الآثار إلى العالم الغربي وحببت الشرق أيضاً لأهل الغرب

وما نحن إذا بقينا كما كنا ولم نعبأ بشيء من الماضي؟

ولماذا لا أكتب شيئاً يحبب إلى هذا الحفل الكريم زيارة القاهرة والتعرف إلى شيء من مساجدها وآثارها؟ وهل هي ملك لمصر وحدها؟ لا، لقد اشتركنا جميعاً في إنشائها فهي لنا ولكم. وهي عنوان التراث العربي والتفوق العربي أمام العالم بأجمعه.

لهذا كله قد فكرت أن أجعل حديث الليلة عن جامع ابن طولون؛ وليس من السهل أن نكتب عن جامع ابن طولون بغير أن نذكر كلمة عن صاحبه. وهذه هي الوصلة الأولى والشق الأول من هذا الحديث

وإني لا أعرف تاريخاً قد ظلمته الأيام وغيرته النزعات وأهمله أهله مثل تاريخ مصر العربية؛ ولا أعرف تاريخاً قديماً غنياً بمصادره ومؤلفاته كتاريخ مصر في طورها العربي الخالد. فإن ظلمت الأيام هذا التاريخ فقد ترك لنا أهله المطول من المراجع والكتب المطبوع منها والمخطوط

فما على أبناء هذا الجيل الواثب المتطلع نحو العلا والمجد إلا أن يقلب صفحاته ليتعرف إلى نفسه وليكشف عن قوته وهي قوة لو تعلمون عظيمة

• إن تمهد الوعي القومي يستدعي الاعتزاز والتمسك بالشخصية؛ وإن الأمم التي تعرف شخصيتها وتتمسك بها وتعتز، هي التي تجعل العالم المتمدن يقر لها بالاحترام والبقاء

نظرة في تعريف أحمد ابن طولون

في القرن الثالث الهجري، كانت الدولة العباسية تسيطر على جزء من أقطار المعمورة. وكان عهد الخلفاء المجاهدين الذين يباشرون القتال بأنفسهم قد انتهى بوفاة المعتصم، وكان النزاع بين حزبي العرب والفرس قد أضعف الفريقين، فكان أن ظهر عليها عنصر إسلامي جديد هو العنصر التركي، وكان نفوذ العاصمة مضعضعاً لترامي الأطراف واتساع الملك. ولذلك أدخل نظام الأقطاع وتقاسم القواد والأمراء الولايات

وكان عهداً تسوده المكائد والدسائس. وقد هبط المستوى الخلقي وماتت روح الكفاح والمقاومة أو انتقلت من المدن حيث بدأت تظهر عوامل الفوضى والفناء والانحلال إلى الثغور والحدود، حيث الجهاد الدائم يدعو إلى التضحية والمقاومة وجمع الشمل والكلمة

في هذا العصر نبغ أبو العباس أحمد بن طولون وظهرت شخصيته الجبارة تدعمها قوة من مكارم الأخلاق وشيم الرجولة، وشدة ذكاء وفراسة، أنف من حياة المدن حيث السفاسف والدسائس والحيل والخداع؛ حيث توضع الولايات والأمصار لتباع وتوزع على المحاسيب والأنصار، واتجه إلى الثغور حيث الرباط والعدة والدعوة لله وحده. حفظ القرآن وسمع الحديث، وفصح بالعربية فملك ناصيتها، كتابة وخطابة، فكان تركياً مستعرباً يجمع أحسن ما في العروبة من مزايا على أحسن ما لدى الترك من أخلاق. وإذا قدر للناس كشف دخائل التاريخ في القرن الثالث الهجري دراسة وتحليلاً، أمكن الحكم أنه بعد وفاة المعتصم لم يعرف التاريخ العربي رجلاً فذاً يداني ابن طولون في قوة شكيمته وسداد رأيه، ومضاء عزيمته ونفاذ بصيرته

ولقد بقيت شخصيته مجهولة، حتى قيض الله الظروف فنشرت سيرة أحمد بن طولون لمؤرخ عاش في عصره هو أبو محمد عبد الله بن محمد البلدي، وكشفت نواحي مجهولة عن حياته الحافلة بالجليل من الأعمال وعن صفاته ومزاياه وتفوقه. وستبعث هذه الحياة العظيمة الكثير من التنقيب في تاريخ مصر العربية، وتخرج ألواناً من الكتابة في المباحث والتراجم، لأنها حياة حافلة لرجل عبقري منتج رج ملك الدولة العباسية رجاً، وهز العالم العربي وأنشأ بذكائه ومقدرته على قيادة الرجال وقوة سيفه دولة وأسرة لها مكانتها ومنزلتها.

(للحديث صلة) أحمد رمزي

وحى القرآن باللفظ

للأستاذ محمود الشبيشى

هـذا عنوان المقال الأول للأستاذ محمود أبو رية وعليه كان مدار كلمتى الأولى، وإنى لألمح فى اقتصار الأستاذ فى مقاله الثانى (المنشور بعدد الرسالة الغراء رقم ٥٣٨) على كلمتى (وحى القرآن) ميلاً واضحاً إلى حصر النقاش فى دائرة لا يتحاماه كل ذى قلب سليم ممن دعاهم الأستاذ إلى البحث فى هذا الموضوع.

ويلوح لى من خلال مقاله الثانى حرص شديد على البراءة من شوائب الشك، وذلك عهدى به، وهو أدرى الناس بأن البحث فى موضوع اليوم غير البحث فى مسألة الكرامات وما إليها؛ تلك المسألة التى اشتد أوارها بينه وبين أستاذ فاضل منذ عامين بالمنصورة، وكان لنا فيها موقف ما أظنه قد نسيه وما أحسبه إلا مثنياً عليه

ولو كان الأستاذ يحسن الظن بى ويرانى من أهل الذكر! لأحلته إلى كتاب (الفرق الإسلامية) الذى ألفته فى نشأة هذه الفرق ومذاهبها وطبعته المكتبة التجارية منذ اثنتى عشرة سنة أو نحوها، ولكنى أحيله على حاشية الجوهرة، أو على الخريدة (مع إعفائه من باب الكرامات)! أو على كتاب (الفلسفة العربية) لأستاذنا المرحوم سلطان بك محمد، أو على كتاب (التوحيد) للمرحوم الأستاذ الشيخ حسين والى، وهذه عدا كتاب ابن حزم فى الملل والأهواء والنحل وهو الكتاب الذى قرأه الأستاذ وأشار إليه فى المقال الثانى

وبعد فما ادعيت أن فى كلمتى الأولى بلاغاً للناس! ولكنى قلت وما زلت أقول: إن البحث فى هذه المسألة أمر فات أوانه، ولن يكون من ورائه جدوى تعود على الباحثين بعد ما أشبعه العلماء بحثاً وتنقيباً وما دونوه من الآراء والحجج فى كتب التوحيد والملل والنحل

وما زلت أرى أن (موضوع الوحى من القضايا التى فصلت فيها الأيام منذ عهد الرسالة). أولَمْ يثر المشركون فى وجه صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ويتقولوا عليه ما تقولوا ويتهموه بأنه ساحر وأن الكتاب الكريم أساطير الأولين (اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا)؛ فما زال القرآن الكريم يبهرهم بنوره ويأخذ عليهم مناهج الحجة حتى آمنوا أنه ليس من كلام مخلوق، وبالتالى آمنوا بالوحى، ودخلوا فى دين الله أفواجا، وما كان ذلك منهم إلا بعد تحدٍّ شديد ولدَدٍ فى العداوة انتهيا بهم إلى تسليم مطلق؛ فكان هذا قضاء صريحاً من المعارضين وهم أرباب اللسن والفصاحة بأن القرآن من عند الله؛ وبذلك (فصلت الأيام فى هذه القضية)، حتى أثارها الباحثون على وجه آخر عند ما تفرقت مذاهبهم فى البحث. ثم استبحرت العلوم العقلية فى المحيط الإسلامى فكان من ذلك ما عده بعض الناس من مظاهر شك الباحثين، وما كان الشك منه فى شىء، وإنما ينحصر الخلاف بين المسلمين فى دائرة محدودة أشير إليها وأجملها فيما يلى:

لاخلاف بين الباحثين فى أن القرآن الكريم دلالات (ألفاظ) ومدلولات (معانى)، والدلالات هى مثار ذلك الخلاف العنيف الذى استحكم بين العلماء وأوذى فيه بعضهم أذى كثيراً؛ أما المعانى فهى من متعلقات العلم الأزلى وهى قديمة قدم العلم، أو هى بعبارة أخرى من متعلقات صفة الكلام النفسى، وما اختلفوا فى أن لله كلاماً وأنه كلم بعض الأنبياء. قال ابن حزم فى كتابه: الفِصَل فى الملل والأهواء والنحل (... أما علم الله تعالى فلم يزل، وهو كلام الله تعالى، وهو القرآن الكريم، وهو غير مخلوق وليس هو غير الله تعالى أصلاً، ومن قال إن شيئاً غير الله لم يزل – أى قديم – فقد جعل لله شريكاً) وهو بهذا يشير إلى مذهب أهل السنة ويرد على من نفوا صفات المعانى فراراً من شبهة تعدد القدماء، وفيه وفيما يلى تعريف الكلام النفسى الذى سأل عنه الأستاذ الشيخ أبو رية (وقد ذهبت المعتزلة إلى أن كلام الله صفة فعل مخلوق. وقال أهل السنة إن كلامه هو علمه، وإنه غير مخلوق وهو قول الإمام أحمد بن حنبل وغيره. وقالت الأشاعرة: كلام الله صفة ذات لم تزل – أى قديمة – غير مخلوقة وهو غير الله تعالى وخلاف الله تعالى وهو غير علم الله) من كلام ابن حزم بتصرف

هذا محصَّل الخلاف فى معنى الكلام النفسى، وهو بحث فلسفى فى صفات الله، وما كان الاختلاف على أن القرآن كلام الله أوحى إلى النبى الكريم بطرائق الوحى التى تكفل بشرحها العلماء فى مظانها المعروفة؛ وقد أجملها الأستاذ الإمام محمد عبده فى (رسالة التوحيد) فقال: (الوحى عِرْفان يجده

المرء فى نفسه مع اليقين أنه من قبل رب العالمين بواسطة أو بلا واسطة) وهذا الرأى يتمشى مع قوله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء) ومسألة الوحى لا تستعصى على كل ذى روية ، فالعلم الحديث وما كشف عنه من عجائب ، وما اتضح للناس من وجود الكهرباء ، وما كادوا يجزمون به من عالم الروح وحركاته وسلطانه ، كل أولئك يُقرب معنى الوحى لمن كان يبتغى الحقيقة المجردة . وقد أستطيع التوسع فى ذلك ولكنى أوثر الإيجاز فى انتظار حكم الأستاذ أبى رية أو ما يدلى به الباحثون من أهل الدراية

هذا وقد كانت الدلالات القرآنية (الألفاظ) مدار تلك المناظرات الحادة فى عهد المأمون والمعتصم والواثق وهى تلك الظاهرة الفلسفية التى انبثت فروعها ، وسميت بمحنة خلق القرآن . والخلاف فى الألفاظ راجع إلى أن المعتزلة يرونها حادثة (مخلوقة) وغيرهم يتورع فيقول بقدمها . وما أراد الفريق الأول بالخلق والحدوث أن الألفاظ من كلام بشر ، وإنما أرادوا أنها أعراض تقوم بالحادث وما قام بالحادث حادث ؛ فالألفاظ على رأيهم حادثة . وما أراد الآخرون إلا التصون ظانين أن القول بحدوث اللفظ قد يسوق من لا بصر لهم بالموضوع إلى القول بحدوث المدلولات (المعانى) وهى قديمة بقدم العلم الأزلى

وهنا يقول العلامة ابن حزم : (اللفظ المسموع هو القرآن نفسه ... وأما من أفرد السؤال عن الصوت وحروف الهجاء والخبر فكل ذلك مخلوق بلا شك)

وبما تقدم يصدق قول الأستاذ الإمام : (ليس النزاع فى الكلام اللفظى فإنه حادث باتفاق) . وأعود فأقرر أن المراد بالحدوث أن الله خلقه وأحدثه كما خلق الشمس والضوء ، وأوحاه إلى الرسول الأمين بطرق الوحى التى أجملناها . وأما قول الأستاذ الإمام (إنما النزاع فى إثبات الكلام النفسى) فراجع إلى صفة الكلام لا إلى معانى القرآن الكريم وهو يشير إلى الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة فى إثبات صفات المعانى لله تعالى وقد قدمنا بيانه .

والآن نرجو من الأستاذ أن يبين للناس معنى قوله : (وحى القرآن باللفظ أمر اختلفت فيه الفرق الإسلامية) ويرينا وجوه ذلك الخلاف ، ثم نسأله أن يبين لنا ما الذى أحرجه من رد المرحوم الرافعى عليه فى هذا الموضوع . وأن يشرح لنا ما وقر فى نفسه من قراءة ذلك الرد . لو تم هذا لاختصر طريق البحث وأراح المتكلمين فيه

وبعد فقد ألمع الأستاذ أبو رية فى لباقة إلى ما عده خطأ تاريخياً وقع فى كلمتى الأولى حيث قلت : « المأمون والواثق والمعتصم » ولا شك فى أن المعتصم يتقدم بداهة على الواثق ، ولكن أما كان يجدر بالأستاذ أن يحملها على سرعة الكتابة ؟ على أنى أبادر فأطمئنه على معنى « واو العطف » وحدودها ؛ فأقول له : إن الواو هنا جاءت لمطلق الجمع فلا تفيد ترتيباً وهو رأى البصريين نقله ابن عقيل فى شرحه وأطلقه ابن هشام فى « المغنى » عند بدء كلامه فى الواو ؛ قال تعالى : « يوحى إليك وإلى الذين من قبلك » وقال : « منك ومن نوح وابراهيم وموسى » وقال جل شأنه حكاية عن منكرى البعث « ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا » وبهذه الآية رد على الكوفيين القائلين بأن الواو للترتيب

وفى هذا القدر كفاية .

(الأسكندرية) محمود البشبيشى

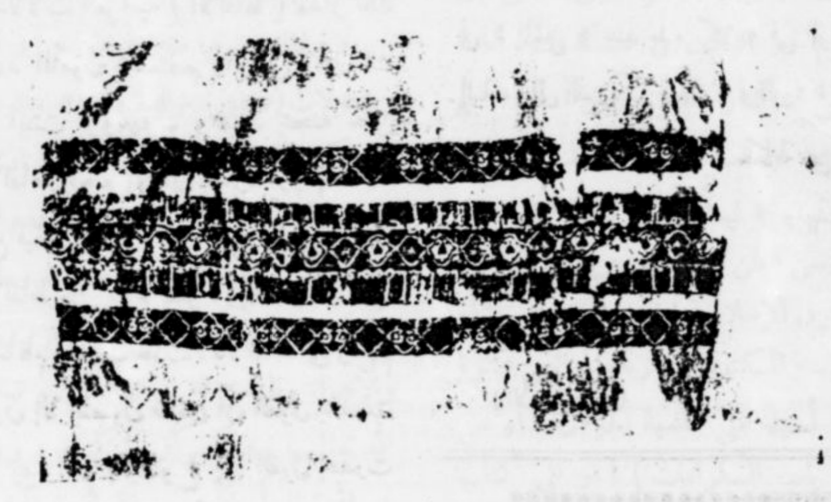
٧ – الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

رأينا كيف كان لبعض توجيهات الدين الإسلامي سواء ما كان منها إجابياً أو سلبياً أثر واضح في إيجاد شخصية قوية للفنون الجميلة التي كان يزاولها المسلمون. على أن هناك عوامل أخرى تستمد أصولها من الدين الإسلامي قد تبدو لأول وهلة كأنها منقطعة الصلة بالفن ولكنها في الحقيقة ذات صلة بهذا الأمر، صلة غير مباشرة إلا أنها فعالة قويه الأثر نرى من الحق علينا أن نشير إليها وأن نبين كيف عاونت على نضوج الفن الإسلامي وساعدت على اطراد تقدمه.

ولعل أهم هذه العوامل المساعدة ثلاثة: النقابات الإسلامية، والحسبة، والوقف. وسنبين أولاً ما هي هذه النظم ثم نعقب على ذلك بإيضاح أثرها في الفنون الجميلة

أما نظام النقابات فلا يعنينا هنا البحث في أصله أو ترجيح أحد الرأيين اللذين يحاولان الكشف عن ذلك، فسواء أكان يرجع في أصله إلى النقابات البيزنطية التي كانت موجودة قبل الإسلام، أو كان من ابتداع الفرق الدينية الإسلامية كالإسماعيلية وغيرها؛ فالأمر الذي لا يتطرق إليه الشك هو أن هذا النظام إزدهر وارتقى في ظل الإسلام، وساهم بأوفر نصيب في تقدم الصناعة، إذ كان لكل حرفة نقابة خاصة يرأسها شيخ الصنعة ويليه النقيب ثم الأساتذة ثم الأسطوات ثم المبتدئون. وكانت أسرار الصناعة تدرس عملياً في هذه النقابات وكان لها قانون يستمد سلطته من الحكومة في كثير من الأحيان ويدور حول حماية المستهلك والمنتج على السواء، فيضمن للأول جودة المصنوع وإتقان الصناعة وإتباع الأساليب المقررة فيها، ويضرب بيد من حديد على الغش والتدليس، ويضمن للثاني سهولة الحصول على المواد الخام اللازمة لصناعته، ويمنع الاحتكار الذي يضر بالعمل ويسعى لرفع مستواه الاجتماعي. ولقد قضى على نظام النقابات بعد أن تغيرت الأسس الاقتصادية التي تسير عليها الأمم الإسلامية في الوقت الحاضر. على أنه لم تزل هناك ظاهرة اجتماعية تذكرنا به هي حفلة إثبات رؤية هلال شهر رمضان إذ تسير نقابات الحرف المختلفة في موكب الرؤية بنظام خاص. ولعل هذه الصورة أوضح في الأرياف منها في القاهرة



قطعة نسيج من الكتان منسوج فيها أشرطة من الحرير، بها زخارف وكتابة كوفية تتضمن اسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله — من كتاب الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية « لمحمد عبد العزيز مرزوق ». (راجع العدد ٥٣٨)

وأما الحسبة فوظيفة أوجدها الإسلام عند ما رأى أن الإنسان لا غنى له في حياته عن التعاون مع غيره، وأدرك أنه لكي يستقيم أمر الجماعة لا بد من إيجاد سلطة تلزم كل إنسان حده، ولا تترك مجالاً لمن طبعت نفسه على الشر أن يعبث بمصالح الناس إرضاء لشهوة جامحة أو نزوة طارئة. وقد استمدت وجودها من آيات قرآنية عديدة نجدها مفصلة في كتب الفقه الإسلامي أو الكتب التي قصرت نفسها على موضوع الحسبة وحده. ويكفي أن نذكر هنا أن أول من أوجدها هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب المحتسب الأول الذي كان أول من شارف بنفسه الأسواق وراقب المكاييل والموازين وأمر بأماطة الأذى عن الطرق. على أن أعمال الحسبة لم تقف عند هذا الحد الذي وقف عنده عمر، بل اتسعت دائرتها حتى شملت جميع ما يتصل بحياة الناس المدنية والدينية من أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر. ويهمنا نحن بنوع خاص أنها تدخلت في شئون

جميع الصناعات ورسمت لأربابها السبيل السوى الذى ينبغى عليهم أن يسلكوه ؛ فالخزّاف والنساج والنجار والحائك والوراق والصائغ وغير هؤلاء من الصناع لهم منهاج عليهم أن يتبعوه حتى يأمنوا عقاب المحتسب فى الدنيا وغضب الله فى الآخرة . وقوام ماهم مكلفون به إتقان العمل والإخلاص فيه وتجنب الغش والتدليس .



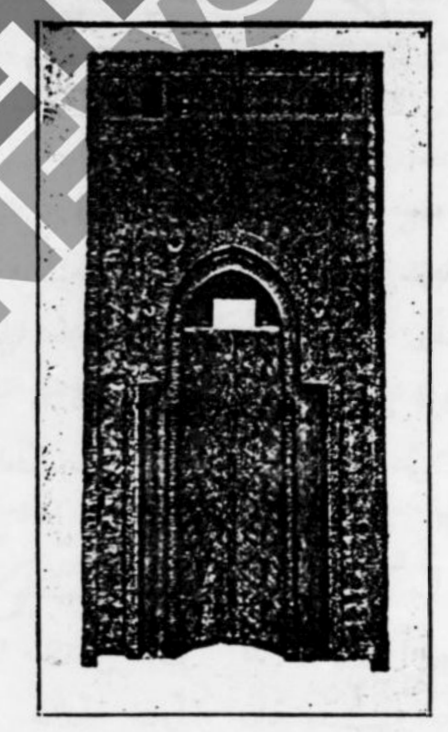
مشكاة من الزجاج المزخرف بالمينا عملت باسم وقف الأمير إلماس وعليها اسم الصانع — من فهرس مقتنيات دار الآثار العربية للمرحوم هرقس بك

وأما الوقف فنظام نشأ فى الإسلام استناداً إلى أحاديث عدة لعل أشهرها ذلك الحديث الذى ذكره البخارى ومسلم فى صحيحيهما كما ذكر أيضاً فى سنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وفى مسند ابن حنبل وفى طبقات ابن سعد وملخصه



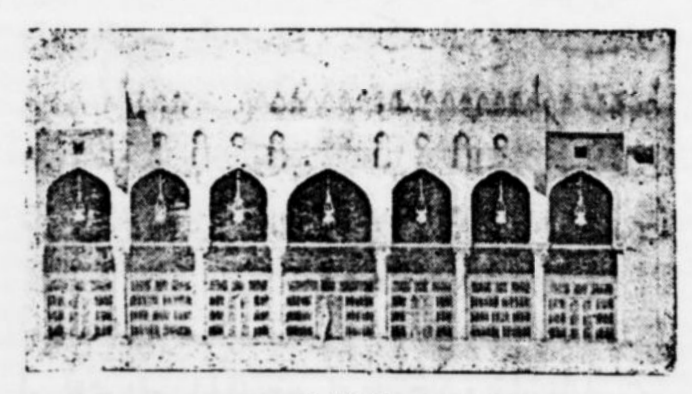
قطعة من تابوت خشب لأم السلطان الأيوبى (الكامل) — من فهرس مقتنيات دار الآثار العربية للمرحوم هرقس بك

أن عمر بن الخطاب أصاب أرضاً بخيبر فأتى النبى صلوات عليه يستأمره فيها ، فقال له النبى إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها . ومنذ عهد عمر ونظام الوقف مستمر حتى يومنا هذا وقد اتسعت أغراضه بحيث شملت معظم نواحى الإصلاح الاجتماعى فأوقفت الأعيان على المساجد والمدارس ، والمارستانات والمدافن ، وعلى المساكين واليتامى ، وعلى الذين وهبوا حياتهم للعلم أو للدين ، وعلى غير ذلك من الأغراض التى سطرها الواقفون فى وقفياتهم ويضيق المجال عن ذكرها جميعاً . والذى يهمنا من هذا



محراب من خشب عمل برسم مشهد السيدة رقية بأمر زوجة الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله — من رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية للمرحوم الأستاذ حسن الهوارى

النظام أن أول قواعده وأهمها عمارة الأعيان المحبوسة سواء ما كان منها لاستخدامه فى الأغراض سالفة الذكر أو لاستغلاله



واجهة ديوان المحراب فى مسجد الصالح طلائع بن رزيك الوزير الفاطمى نقلا من كتاب مساجد القاهرة قبل عهد المماليك لمحمد عبد العزيز مرزوق

للانفاق عليها لضمان بقائها ودوام استغلال ريعها . وبفضل هذا العمل الجليل وصلت إلينا تلك الآثار الرائعة التى تزدان بها القاهرة اليوم من مساجد ومدافن ، وأسبلة وأربطة ، ومدارس ومنازل ومشاهد ووكائل ، وتلك التحف النادرة الجميلة التى كانت تزين تلك الأبنية من محاريب وتوابيت ومشكوات وكراسى .

(يتبع) محمد عبد العزيز مرزوق

غرفة شاعر!

للأستاذ أحمد صافى النجفى

أكافح البرد فى سراج … يكاد من ضعفه يموت
فى غرفةٍ ملؤها ثقوبٌ … أو شئت قل ملؤها بيوت
يسكن فيها بلا كراء … فأرٌ وبقٌ وعنكبوت
للفأر من مأكلى غذاء … والبقُّ جسمى لديه قوت
واعتزل العنكبوت أمرى … وفى بقاه معى رضيت
فهو معى مثل فيلسوف … معتزلٌ دأبه السكوت
مشتغلٌ بالنسيج عنى … يبنى شباكاً بها حميت
فكم بها صاد من ذباب … قد كنت فى أمره عييت
أنعم به صائداً قديراً … ذبابة منه ما تفوت
كم صادنى الصيف من بعوض … قد كنتُ من لذعه خشيت
ينسج فوق الثقوب بيتاً … به من الشمس قد وقيت
هذى نداماى فى الدياجى … عاد بهم شملى الشتيت
يوقظنى الفأر حين أغفى … بالقرض إن طاب لى المبيت
والبق بالقرض رام مزحى … لكنه مازحٌ صموت
يشرب ما راق من دمائى … والسمُّ فى لذعه سُقيتِ
عليه لا يسمعون شكوى … فيا لخصم به بليت
ضيفٌ ولا يبتغى طعاماً … إلا دماً منه قد حَييتُ

***

أغرفةٌ للمنام هذى … أم هى منفى له نفيت ؟
أم تلك قبر الحياة فيه … عذِّبتُ من قبل ما أموت
أبيتُ ليلاً بها كأنى … للبرد تحت السما أبيت
جمدت من بردها ولكن … فى الصيف من حرِّها شويت
يُنثَر من سقفها ترابٌ … لولا غطائى به عميت
كأن ذاك التراب رزقٌ … به من الله قد حبيت
أمشى بها خائفاً لأنى … أخشى انخسافاً إذا مشيت
لها كشباكها ثقوبٌ … أنظر منهنّ حيث شئت

من أزهار الشر

لشارل بودلير

هى هى . . .

« من أين حل بك هذا الأسى الغريب الذى يعلو كاللجة على الصخرة السوداء العارية ؟ »

حين تجنى قلوبنا قطوفها من النشوة ، تغدو الحياة شراً ، كما تصبح ألماً بسيطاً لا خفاء فيه ، يتجلى كمرحك الذى يبهر الأبصار .

فلا تبحثى بعد عن سريرتى أيتها المستطلعة الجميلة !

والزمي الصمت وإن كان صوتك حلوا .

إلزمى الصمت أيتها الجاهلة ، أيتها الروح الثملة بنشوة دائمة وأنت أيها الثغر ذو الابتسامة الساذجة كف عن الكلام فالموت يجتذبنا بأسباب دقيقة خافية أكثر مما تتشبث بنا الحياة .

دعى قلبي ينتشى بسراب خادع .

دعيه يهيم فى عيونك الجميلة كما يهيم فى حلم جميل

دعيه يرقد فى سبات طويل متفيئاً ظلال أهدابك !

ترجمة

عثمان على عسل



تعقيب

قرأت ما كتبه الأستاذ مرزوق فى العدد ٥٣٨ ولمست استياءه مما كتبته فى العدد ٥٣٧ وأرجو أن يزول استياؤه بهذا الإيضاح

فأنا لم أقصد إلا الإبانة عن رأى خاص فى هذا الموضوع الذى تناوله بالبحث الأستاذ مرزوق وكثيرون من علماء التفسير، والذى أتعبنى اختلاف الآراء وتباين الأقوال فيه وهذا أثر اليهود فى اختلاق الأحاديث. فكان الواجب أن أنزه الإسلام عن تحريم التصوير لما للفن الجميل من رسالة سامية لا تعارض الدين الإسلامى

أما مقال الأستاذ مرزوق فكان مشتملاً على تبرير رواج الزخارف دون غيرها من إبداع الصور، حتى قال الأستاذ ما نصه ... « وليس من اللائق وهذه العقيدة منقوشة فى أذهان المسلمين جميعاً أن يخلد رجال الفن منهم بأعمالهم الفنية ما كتب الله عليه الفناء. لذلك نجدهم لم يعنوا بتصوير الشخصيات العظيمة فى لوحات كبيرة أو تماثيل ضخمة تبق على الدهر، أو تمثيل جمال الطبيعة بالنقل عنها نقلاً صحيحاً ».

قد يقال أين ما يدل على أن كاتب المقال يعتقد التحريم حتى أحكم عليه هذا الحكم السريع الخاطئ ...؟ وأقول إننى لم أرد على الأستاذ مرزوق وإنما ناقشت الفكرة التى دار حولها مقاله وهى فكرة تحريم الإسلام ابتداع الصور. أليس ما سقته من كلام الأستاذ عن عقيدة المسلمين يفيد أن الإسلام قد ينهى الفنان عن ابتداع الصور؟

ثم ماذا؟ أنا لم أرد بالتعليق إلا إيضاح رأى حاسم فى الموضوع مجمله أن الفن مباح فى حدود الدين والأخلاق، وأن التصوير مباح ما دام المصور لم يقصد إعداد صورته (مجسمة أو غير مجسمة) للعبادة من دون الله ... ودليلى على ذلك أن القرآن لم ينص على تحريم التصوير وأن الأحاديث الواردة مشكوك فى صدقها كما أوضحت

وبعد فلم أجد فى مقال الأستاذ المنشور فى العدد ٥٣٧ إلا مجرد سرد للآراء المتباينة التى أتعبتنى وأتعبت كثيرين والتى يجب أن يدلى فيها برأى حاسم حتى يتاح لنا النظر إلى الفن الجميل بعين الارتياح والإيمان. ولازلت أنكر على الذين يعتقدون حرمة الصور المجسمة ما دام المصور لم يقصد إلا وجه الفن، ولم يقصد إعداد صورته للعبادة من دون الله، وإلا فما قولك فى تماثيل عظمائنا ... القائمة فى الميادين!

أما أننى تسرعت فى الحكم فمن حسن نية، ولم أقصد إلا الإيضاح البرىء مخافة أن ينساق قلمك إلى الناحية الفنية البحتة دون التعرض لهذه الناحية الدينية

أما شخص الأستاذ مرزوق فحل احترامى ومقالاته محل تقديرى وله الشكر على كل حال.

أحمد فهمى القاضى
المحامى

رسالة إلى شاب

أخى الأديب الفاضل « و. ا. م »

لشد ما يعوزك أن تقدح عزيمتك وتشحذ همتك، فإن قوة الإرادة هى الدواء الوحيد لكل ما تعانى من أدواء ... ألا تذكر يا صديق ذلك الكتاب الذى قرأناه سوياً، يوم كنت تحلق ببصرك فى المستقبل البعيد؟ لقد كنت يومئذ طموحا لا يحصر أفقك يأس، ولا يحد أملك حد؛ أما اليوم فإننى أجد نفسى مضطراً إلى أن أكتب لك عن الإرادة، لكى أعيد على سمعك تلك الكلمات التى طالما رددتها من ذلك الكتاب. أما الكتاب فهو (كما تعلم) موسوم باسم: « كيف تخط طريقك فى الحياة »: « Pour faire son chemin dans la vie »، وأما الفصل الذى كنا نحب الكتاب من أجله، فهو موسوم باسم « الإرادة »: la volonté. وهأنذا أروى لك طرفاً من ذلك الفصل الذى كنا نحفظه عن ظهر قلب:

ليس ثمة شىء مستحيل: فإن هناك مسالك تقتادنا إلى كل شىء، ولو كان لدينا قدر كاف من الإرادة، لكان فى استطاعتنا دائماً أن نجد ما يكفى من الوسائل. بيد أن الإرادة ليست منحة طبيعية أو هبة فطرية، بل هى صفة مكتسبة يحصلها الفرد كما يحصل غيرها من الصفات. والوسيلة الصحيحة لاكتساب

الإرادة هي أخذ النفس ببعض المبادىء ، والعزم الأكيد على تحقيق بعض المقاصد ... إن المعدن لا يعطيك ما فيه إلا بالكدح ، والنار لا تظهر من الحجر إلا بالقدح ، كذلك الغاية لا تبلغها إلا بالقصد ؛ فعليك أن تنمي في نفسك قوة « الإيحاء الذاتي » autosuggestion التي من شأنها أن تعدل خلقك وتغير مزاجك ... لتعمد في لحظة معينة من الصباح ، إلى الاختلاء بنفسك ، وجمع شتات أفكارك بعيداً عن ضوضاء المجتمع وصخب الناس ؛ والتفكر تفكيراً عميقاً في أمر إرادتك ، ولتقل في نفسك : سيكون لي من قوة الإرادة ما أحطم به كل العوائق . أجل ستكون لي إرادة صلبة ، ولن تقف في وجهي الصعاب ! وعند المساء ، لا تذق عينيك طعم الكرى قبل أن تكون قد استعدت في ذاكرتك هذه الفكرة ، وأدرتها على لسانك عدة مرات ! ... فإذا دأبت على التأمل في هذه الفكرة ، وإذا أفعمت رأسك بصورها ، فإن الأمر ينتهي بك إلى الانقياد لوحيها ، والإذعان لقوتها . ولا يمكن أن يضيع أثر هذا الإيحاء الذاتي ، إذا عمدت إلى ورقة بيضاء ، فكتبت عليها بحروف كبيرة واضحة الكلمات التالية :

« إنني إنسان له إرادة .

« وأنا أفعل كل ما تمليه عليّ إرادتي .

« ولست أتملص من أي عهد من العهود التي أخذتها على نفسي .

« وكل ما أشرع في عمله ، فأنا أتممه على أكمل وجه ، خضوعاً لأحكام إرادتي .

« وستكفل لي الإرادة كل ما أصبو إليه من نجاح وتوفيق ا

... هذا هو العهد الذي غاب عنك يا أخي ، فهل تذكره معي اليوم فتقول : « إن الإرادة هي الاستطاعة » ؟ : Vouloir, c'est pouvoir.

زكريا إبراهيم

تصويب

وقع خطأ مطبعي في مقال (الشعر المرسل) المنشور بالعدد الماضي ، وصحته فيما يلي :

ا — في صفحة (٨٤٨) : (١) Two (٢) fulness (٣) dactyl وفي آخر الصحيفة : وهي وحدة البحر بذاته

ب — وفي صفحة (٨٤٩) : (١) وقد ثار (بأول سطر) (٢) البحر الأسكندري يتركب من : ست تفعيلات إيامبيه × مقطعين

الحكومة الملكية المصرية

وزارة المالية

القرض الوطني ٣١/٤ ٪ سنة ١٩٦٣ / ١٩٧٣

سعر الاصدار ١٠٠ ٪

سندات هذا القرض صادرة بمقتضى القانون رقم ٩٥ لسنة ١٩٤٣ وتخصص حصيلة القرض لتحويل وتسديد الدين الموحد والدين الممتاز كلهما أو بعضهما .

رخص للبنك الأهلي المصري في قبول الاكتتاب في القرض المذكور .

تكفل موارد الخزانة العامة رأس مال القرض وفائدته.

تتعهد الحكومة الملكية المصرية بأن تخصص مبلغاً سنوياً لتكوين مال احتياطي لاستهلاك هذا القرض لا يقل عن ٢ ٪ (اثنين في المائة) من مجموع الاكتتاب وذلك بالمطابقة لنص المادة الثالثة من القانون رقم ٩٥ لسنة ١٩٤٣

سندات هذا القرض لحاملها ، وهي بالعملة المصرية . ويجوز لحملة السندات تسجيلها بالبنك الأهلي المصري والحصول منه على شهادات اسمية بذلك .

رأس مال القرض وفائدته معفيان من كل ضريبة حالية أو مستقبلة ، مباشرة أو غير مباشرة بما في ذلك ضريبة التركات .

فائدة القرض ثلاثة وربع في المائة سنوياً ، محتسبة من تاريخ الاكتتاب ، وتدفع كل ستة شهور بواقع نصف الفائدة السنوية في أول مايو وأول نوفمبر من كل سنة بالبنك الأهلي المصري بمركزه الرئيسي بالقاهرة .

تدفع فوائد الستة شهور الأولى في أول مايو سنة ١٩٤٤ عن نصف سنة بالكامل .

يجب أن تكون طلبات الاكتتاب بعشرة جنيهات مصرية أو بمضاعفات العشرة الجنيهات المصرية .

يجب أن يدفع المكتتب ثمن السندات المكتتب بها بالكامل عند الاكتتاب ، مضافاً إليها الفائدة المستحقة من أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ لغاية تاريخ اكتتابه .

يستلم المكتتب شهادة مؤقتة بقيمة اكتتابه ، وتسلم فيما بعد — في مقابل رد تلك الشهادة — سندات لحاملها بقيمة اكتتابه (ملحقاً بها كوبونات الفوائد) من الفئات الآتية :

جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه
١٠	٥٠	١٠٠	٥٠٠	١٠٠٠

يجوز لوزارة المالية في أي وقت ابتداء من أول نوفمبر سنة ١٩٦٣ أن تستهلك القرض كله أو بعضه بالقيمة الاسمية

يعلن عن الاستهلاك الجزئي بطريق السحب في الجريدة الرسمية قبل الميعاد المحدد لرد قيمة السندات المستهلكة بثلاثة أشهر على الأقل .

تنشر أرقام السندات المسحوبة للاستهلاك بالجريدة الرسمية قبل التاريخ المحدد لرد قيمتها بثلاثين يوماً على الأقل

تحتسب الفائدة عن السندات المستهلكة إلى اليوم السابق لليوم المحدد لرد قيمتها .

تدفع قيمة السندات المستهلكة إلى حامليها بالبنك الأهلي المصري بمركزه الرئيسي في القاهرة .

أما السندات التي لا تكون قد استهلكت قبل أول

نوفمبر سنة ١٩٧٣ فترد قيمتها الاسمية لحامليها بالبنك الأهلي المصرى بمركزه الرئيسي بالقاهرة فى التاريخ المذكور .

يسقط الحق فى المطالبة بقيمة السند بعد مضى خمس عشرة سنة ميلادية من تاريخ استحقاق قيمته ويسقط الحق فى المطالبة بقيمة الكوبون بعد مضى خمس سنوات ميلادية من تاريخ استحقاقه .

يجوز قبول سندات الدينين الممتاز ½ ٣ ٪ والموحد ٤ ٪ الصادرن بالعملة الاسترلينية بدلاً من الاكتتابات النقدية فى هذا القرض وذلك بالشروط الآتية :

يجب تقديم الطلبات إلى مكتب خدمة الدين العام بالقاهرة خلال المدة من أول نوفمبر إلى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ بالنسبة للدين الموحد ٤ ٪ وخلال المدة من ١٦ نوفمبر إلى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٣ بالنسبة للدين الممتاز ½٣٪

أما طلبات التحويل المقدمة من حملة هذه السندات المقيمين فى خارج القطر المصرى فإنها تقبل إلى يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٣ بالنسبة للدين الموحد ٤ ٪ وإلى يوم ١٥ يناير سنة ١٩٤٤ بالنسبة للدين الممتاز ½ ٣ ٪ ويقبل كذلك بنك انجلترا بلندرة هذه الطلبات على أن يكون تسليم السندات الخاصة بها فى مصر لحساب طالب التحويل .

تقدر سندات الموحد ٤٪ بعلاوة قدرها ٢٪ فوق قيمتها الاسمية وسندات الممتاز ½٣٪ بعلاوة قدرها ١٪ فوق قيمتها الاسمية . والاكتتابات المقدمة على هذه الصورة والمقدرة قيمتها على هذا الأساس يقبل من قيمتها ما يكون بمضاعفات العشرة الجنيهات وترد نقداً كسور العشرة جنيهات الزائدة على ذلك إلى طالبي التحويل .

(١٠٠ جنيه استرليني = ٩٧ جنيه مصرى و ٥٠٠ م) .

يوقف ابتداء من أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ احتساب الفائدة عن سندات الموحد ٤٪ ، وسندات الممتاز ½٣٪ التى تقدم اكتتاباً فى هذا القرض .

تدفع فائدة سندات الممتاز ½٣٪ عن المدة من ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٣ إلى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٣ عند تحويلها إلى هذا القرض .

يجوز قبول سندات قرض القطن ½٤٪ ١٩٤٢-١٩٤٦ وقرض القطن ٤٪ ١٩٤٤-١٩٤٨ بدلاً من الاكتتابات النقدية فى هذا القرض ، وذلك بالشروط الآتية :

يجب تقديم الطلبات إلى البنك الأهلى المصرى بالقاهرة خلال المدة من أول لغاية ثلاثين نوفمبر سنة ١٩٤٣

تدفع لحملة سندات القرض ½٤٪ ١٩٤٢ — ١٩٤٦ قيمة الكوبون المستحق فى أول ديسمبر سنة ١٩٤٣ مضافاً إليها الفائدة الجارية حتى أول يناير سنة ١٩٤٤ وهو اليوم المحدد لتسديد هذا القرض ويستنزل من ذلك مبلغ الفائدة بواقع ¼٣٪ عن المدة من أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ لغاية آخر ديسمبر سنة ١٩٤٣

يدفع لحملة سندات قرض القطن ٤٪ ١٩٤٤ — ١٩٤٨ قيمة الكوبون المستحق فى ١٥ فبراير سنة ١٩٤٤ بعد استنزال مبلغ الفائدة بواقع ¼ ٣ ٪ عن المدة من أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ لغاية ١٥ فبراير سنة ١٩٤٤

يمكن الحصول على نسخ من هذا الإعلان ونماذج طلبات الاكتتاب من البنك الأهلى المصرى وفروعه ومن البنوك المعتمدة من غرفة المقاصة ومن السماسرة المعتمدين من قومسيون إحدى بورصتى الأوراق المالية .

يبدأ الاكتتاب بالبنك الأهلى المصرى بمركزه الرئيسى بالقاهرة فى أثناء ساعات العمل بالبنك المذكور من أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، ويجوز لوزارة المالية أن تقفل الاكتتاب فى أى وقت تشاء . ١٣٧٠

القاهرة فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٣ وزير المالية

أمين عثمان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 540

Lundi - 8 - 11 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
ـــط
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٤٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

٢ ـ فى المسجد الأقصى

للدكتور عبد الوهاب عزام

وقفت على شاطئ هذا السيل البشرى حيناً ثم رجعت أدراجي إلى صاحبي الكريم فى مصلاه ، ودخلنا الحجرة التى تواعدنا اللقاء بها فرأيت على بعد خطيب المسجد الأقصى يمرّ إلى حجرته وهو فى حلة خضراء وعمامة صلاحية ، وهو زىّ يتوارثه خطباء المسجد الأقصى من عهد صلاح الدين ؛ وهم من بنى جماعة الكنانيين توارثوا هذا المنصب منذ القرن السادس إلى يومنا هذا ، وإنه لشرف عظيم . كانت خطابة الجوامع الكبيرة منصباً مشرّفاً فى تاريخ المسلمين . وكثير من علمائنا يلقبون بالخطيب . وكانت هذه المناصب متوارثة يخلف فيها الأبناء الآباء ويحرص الأسر على شرفها ، كما كانت في تاريخنا بيوت تعرف بالقضاء وأخرى بالفقه وهكذا . ذهبت إلى حجرة الخطيب فزرته وشرفت بمجالسته قليلاً ثم رجعت إلى حجرة الموعد ووافانا في موعدنا من الزمان والمكان الأستاذ المخلص فسرنا نطوّف فى أرجاء الحرم . بدأنا بقبة الصخرة ننظر ما كستها الصناعة والتاريخ من حِلَى أحدثُها الرخام المجزع الذى فرغ منه المهندسون المصريون منذ سنوات قليلة . ولست أستطيع أن أحدث عن تاريخ هذه القبة العظيمة منذ شادها عبد الملك بن

مروان إلى عصرنا هذا ولا أن أصف هندستها وجمالها وحِلاها وأبهتها فقد ضمنت هذا كتب وصور كثيرة. وحسبي أن المقدسي يقول فيها بعد وصفها: « فإذا بزغت عليها الشمس أشرقت القبة وتلألأت ورُئيت شيئاً عجيباً. وعلى الجملة لم أر في الإسلام ولا سمعت أن في الشرك مثل هذه القبة » وكذلك أقول ما رأيت فيما رأيت من عجائب الأبنية في البلاد الإسلامية أجمل من قبة الصخرة. ويستطيع القارئ أن يرى مثالاً صغيراً ضئيلاً منها في القبة التي على ضريح السلطان قلاوون في القاهرة. ومن عجيب ما رأيت على جدران القبة من الخارج حجة وقف للسلطان برسباي وقف فيها بعض القرى على عمارة بعض الأبنية في الحرم. ولقد سجل وقفه في أطهر الصحف وأبقاها

وبجانب القبة قبة صغيرة ثمينة على مثالها غير أنها لا يحوط أعمدتها جدار. وقد قيل إن عبد الملك طلب أن يبنى مثال للقبة قبل أن يشرع في هذا البناء الرائع المظيم النفقة، فبنى له هذا المثال فأعجبه، وبنيت القبة الكبرى على صورته. وقيل بل بنيت القبة الصغيرة من بعد

وهذه القبة الصغيرة مصلًى رأيت النساء يصلين فيه يوم الجمعة. وعلى صحن الصخرة وهو الدكة العالية الواسعة التي تتوسط ساحة الحرم الفسيحة قبة أخرى صغيرة جميلة تحتها قبة صغيرة تسمى قبة المراج. وهناك حجرات أخرى متفرقة في أطراف الصحن

هبطنا إلى الساحة المحيطة بصحن القبة على أحد السلالم المحيطة به. ولهذه الدكة تسع سلالم ذوات درج طويل على كل منها عمد تنتظمه عقود فوقه، ومشينا ذات اليمين نساير السور الغربي من أسوار الحرم وقد توالت بجانبه أبنية تنميها عصور مختلفة، وتخلد عليها ذكرى كثير من سلاطين المسلمين. وحول أسوار الحرم من الداخل والخارج أبنية كثيرة كانت مدارس عمرت بالأستاذين والطلاب زمناً طويلاً، ودرّت على المعلمين والمتعلمين بها خيرات كثيرة. وما أحراها اليوم أن تكون مأوى لعلماء من المسلمين يؤمونها من أقطار الأرض فيتداولون الإقامة بها والتدريس بالحرم حيناً! ما أجدر هذا التاريخ بأن يحفظ، وما أخلق هذه الذكريات بأن توعى! وكم اتصلت بهذه المدارس من تواريخ العلماء والأدباء

رأينا فيما رأينا هناك المدرسة الأشرفية التي شادها السلطان الصالح المعمّر الذي تشهد له اليوم آثاره في بيت المقدس ومكة والمدينة ومواضع كثيرة في القاهرة — ذلكم السلطان أبو النصر قايتباي رحمه الله. وقد عجبت إذ قرأت فيما قرأت من ألقاب السلطان المنقوشة على البناء لقب « الإمام الأعظم » وما عرفته قبل اليوم لأحد من السلاطين

وقد صعدنا منارة المدرسة على قدمها ونيل الأعصار منها فأشرفنا على مرأى جليل من الجبال والأبنية القديمة والحديثة وكأنما أشرفنا على عصور من التاريخ. وعلى مقربة من المدرسة سبيل جميل للأشرف برسباي من سلاطين المماليك. وقد جدده السلطان قايتباي سنة ثمان وسبعين وثمانمائة، ثم السلطان عبد الحميد العثماني وقد سمى في الكتابة التي على السبيل بالخليفة الأعظم. وفي ساحة الحرم كثير من السبل والآبار الجميلة

وانتهى بنا السير مع هذه الآثار والذكَر إلى التكية البخارية وهي التي اتخذت متحفاً إسلامياً، بعد أن ضم إليها قسم من مسجد النساء الذي يأتي ذكره. صفت في مدخل المتحف، وبداخل التكية، رءوس من العمَد القديمة التي كانت بالمسجد الأقصى ونقوش وحِلَى وكتابة من آثار العصور الماضية. وفي البهو الواسع الذي اقتطع من المسجد آثار قليلة جليلة صغيرة في العين كبيرة في القلب، هي كسلاح البطل المجاهد؛ عدة قليلة تحدث أخباراً طويلة، وسيوف ورماح هي عنوان لتاريخ من الكفاح. رأينا فيما رأينا المصحف الذي كتبه بخطه السلطان عبد الحق من سلاطين بني مرين بالمغرب[1]. وقد كتب هذا السلطان التقي بيده ثلاثة مصاحف أهداها إلى المساجد الثلاثة في مكة والمدينة وبيت المقدس.

ورأينا في المتحف سيف الشيخ شامل المجاهد الذي أبلى أحسن البلاء في الدفاع عن البلاد الإسلامية في القوقاز. كما رأينا على الجدار عباءة بها خروق. فأما العباءة فعباءة البطل المقدام، والعربي الحر الأبي سلطان باشا الأطرش. وأما الخروق فآثار الرصاص من دبابة فرنسية هجم عليها هذا الأسد في إحدى ثوراته.

(١) كتب على هذا المصحف أنه كتب سنة ٧٣٤. وهذا التاريخ لا يوافق عهد السلطان عبد الحميد، ولكن هذا يوافق عهد السلطان أبي الحسن من بني مرين، فينبغي أن ينظر في هذا التاريخ

من ليالي الفردوس

للدكتور زكي مبارك

لم يكن أول حب ، فما مرّت ساعة من نهار أو من ليل بلا وجد يعصف بقلبي فيزلزل وجودي ، وإنما كان أخطر حب ، لأنه صادف قلبين كُتب عليهما الشقاء بالهوى لأول لقاء

ولم يكن لهذا الحب مقدمات ، على نحو ما تصنع الطبيعة في إرسال البشير بالغيث ، أو النذير بالوبل ، وإنما صُبّ علينا نعيمه وشقاؤه بلا وعد ولا وعيد ، فأصاب قلبينا برجفة عاتية ستبقى لها ندوب ، إن قُدِّر من بلواها الخلاص ، ولا خلاص !

كنت أعرف أنها مِلك يميني أصرّفها كما أريد ، فأنقلها من الغرب إلى الشرق ، ومن الشمال إلى الجنوب ، وكانت تعرف أنها ملأت قلبي فلا خوف من تعرُّضه لهوًى جديد ، ولو ساقته المقادير على يد جِنّية من جنيات باريس أو بغداد أو بيروت

وطاب لنا في بداية الهوى أن نتكاتم ، فقد كنا شببنا عن الطوق ، وكانت لنا تجاريب تجمل البَوْح من أخلاق الأطفال . وكيف تأمن جانبي وقد « وصلتها أخبار » تشهد بأني لا أقيم على عهد ، وأني أتخذ الحب وسيلة لدرس خلائق الملاح ؟

وكان أمري في الهوى كما قدّرت تلك النجوم ، فما نظرتُ نظرة جارحة إلا لأقبِس من أنوار الخدود شعاعاً أُلوّن به مداد قلمي ، ولا تعرّضت لمكاره الغواية إلا لآخذ من جحيم الفتك جمرةً أذكي بها بياني

ثم كان حالي حال رائض الحيات في مدينة الأقصر ، فما تاريخ ذلك الرائض ؟

هو رائض تطايرتْ أخباره إلى « لورد كرومر » فأحب ذلك اللورد أن « يختبر » تلك الأخبار ليكون من أمرها على يقين ، فقاده « الحاوي » إلى حية كان حبَسها تحت حجر من الأحجار في رحاب « وادي الملوك » ، وكانت تلك الحية تفهم عن « الحاوي » ما يريد ، فتصحو أو تنام وفقاً لما علَّمها من الإشارات

ورفع الحاوي الحجر فثارت من تحته حيةٌ لم يرها من قبل ، حيةٌ لم تتلقَّ عليه درساً من الدروس ، ولا تفهم أنه في صحبة رجل كلَّفته الدولة البريطانية حراسة منافعها في مصر مفتاح الشرق !

وخاف الحاوي على حياته فلاذ بالفرار ، ثم عظُمتْ دهشته حين رأى لورد كرومر أقدر منه على الجري في طلب النجاة ، مع أن في منطقته مسدَّسين ، ومع أنه يمثّل دولة لها في البر جيوش وفي البحر أساطيل !

كان حالي حال ذلك الرائض ، كنت ألهو وألعب بالملاح كما كان يلهو ويلعب بالحيات ، فكيف صار وكيف صرتُ ؟

لقد هرب فنجا ، أما أنا فثبتُّ في مكاني لأصرع الحية أو تصرعني ، وهل كانت حياتي إلا حومة نضال وصيال وقتال ؟

وفهمتْ الحية وفهمتُ أننا لم نكن إلا أرقَمَين يتساوران ، ثم كانت الحرب بيننا سجالاً فلم أنجُ منها ولم تنج مني هي اطمأنت إلى أنها سيطرت على القلب الذي استطاب العبث بقلوب الملاح

وأنا رضيتُ بأن تكون تلك الحية من مرضاي ، وهل من القليل أن تخضع الحية لحبك ، الحية النضناض التي تقتل من تشاء بأيسر نظرة وأهون فحيح ؟

كانت أنياب تلك الحية أشهى إلى فمي من « قَرْط الرُّمان » كما يُعبّر أهل سنتريس ، وكنا نرضى ونغضب بلا اقتصاد ولا احتراس ، فكان لنا في كل لحظة شأنٌ أو شؤون ، وكان

فليت شعري أيّ حلة أشرف من هذه العباءة ، وأي وسام أجل من هذه الثقوب . لقد أحسن الذي حفظوا سيف شامل وعباءة الأطرش في التحف الإسلامي من المسجد الأقصى ، وإنها لعبرة . ورأينا بعد مصابيح من آثار الأيوبيين ، وقدوراً عظيمة من آثار العثمانيين ، ونفائس أخرى لا يتسع لذكرها هذا المقال

ثم اطلعنا على دفتر الزيارة فرأينا توقيعات كثير من الزوار بينها خط الملك فيصل رحمه الله ، وقد كتب هذه الآية الكريمة (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) . وقد رأينا الآية نفسها مكتوبة على باب السكينة من آثار السلطان قايتباي .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

وجهها يربدُّ في وجهي من وقت إلى وقت ، كما تصنع السماء مع المحيط ، كانت ترضى فألفاظها صارت ملكي إلى الأبد ، وكانت تغضب فأتوهمها ضاعت من يدي إلى آخر الزمان

ولكن الشقية في جميع أحوالها جميلة فتانة إلى أبعد حدود الجمال والفتون ، وكانت تعرف أن هواها أقسى وأعنف من القَدَر المكتوب ، وكانت فوق هذا وذاك تفهم أني أول وآخر من يعرف خفايا الأسرار لحسنها المكنون ، وكانت تفهم أني أدرك من أخطارها ما لا يدرك المصريون من أخطار قناة السويس ، وكان يروعها أن تراني مبهوتاً أمام جسمها الفينان كما يُبهت عابد الشمس وقد تجلّت بطلعتها البهية عند الشروق

هل كان جمال هذه الشقية وهماً خلقه القلب الذي يطيب له التغريد فوق أفنان الجمال ؟

وكيف وقد زاحمني إلى قلبها المتمرد مئات الفحول ، فكنت بحمد الهوى أول سابق لا أول مسبوق ، ومن زعم أن له ذراعين أقوى من ذراعيَّ فقد اعتصم بحبل الزُّور والبُهتان

كانت نخلةً لا يميلها غير العواصف التي تثور عن وجداني . كانت امرأةً وقوراً لا يستخفّها غير الغزَل الذي يصدُر عن بياني

كانت في رزانة الجبال إلى أن رأيتُها فعرفتْني ، وكنت قطعةً من ثلوج الشمال إلى يوم البلوى بروحها المقبوس من عذاب السعير ، فكيف صار الحب جداً من أعنف ضروب الجد ، وكان مزاحاً من ألطف فنون المزاح ؟

أنت يا شقية سبب شقائي ، وأنت السرّ في بلواي بالدنيا وبالوجود

ولكنك مع ذلك أشبه الأشياء بنُكت المداد الذي يتساقط حين أخلو إلى قلمي ، فمن قطرات المداد الأسود دوّنت أدبي ، ومن زفرات روحك الأهوج صفت روحي ، وبين الأدب والروح نسبٌ وثيق

أنا القمر وأنتِ السحابة في ليلة من ليالي دمياط ، والنصر للنور ولو بعد حين

* * *

مالي ولهذا الحديث ؟ أنا أُريد وصف ليلة من ليالي الفردوس مع تلك الحورية السمراء ، فكيف كانت تلك الليلة الفردوسية ؟

يجب أولاً أن أقول كلمة وجيزة أُبين بها بعض خصائص المرأة الجميلة حين تصبح على جانب من التهذيب والتثقيف ، وحين يصبح في مقدورها أن تخوض بلباقة وبراعة في شجون من الأحاديث ، فهذه المرأة تخلع على موضوع الحديث عطراً رفيقاً يسري أريجه إلى عقل المحدث فيزيده حيوية إلى حيوية ، وهي تضيف إلى الحديث ألواناً لطيفة من الدعابة والدلال ، وإن كانت لا تقصد إلى الدعابة والدلال ، فالمرأة رقيقة بالفطرة والطبع ، وقد تبلغ نهاية الرقة حين تساجل رجلاً تميل إليه بالقلب والوجدان

وهنالك ظاهرة نفسية تستحق التسجيل ، فالمرأة تحاول الظهور باسم العقل ، ويسرها أن نجد من يقول بأن النساء أعقل من الرجال

وهل قلنا بغير ذلك ، يا ناس ؟

المرأة أعقل من الرجال ، بلا جدال ، فلتطلب من المناصب ما تريد !

وصاحبة الليلة الفردوسية من هذا الصنف ، فهي لا تكف عن المطالبة بمساواة النساء للرجال في جميع الميادين

ولكني أعارض . أعارض لأسمع صوتها المبغوم وهي تجادل وتناضل . وأعارض لأرى كيف يتلون وجهها الجميل حين تنفعل وحين تصرخ ؛ ولا غنى للمرأة عن الانفعال والصراخ

ما أجمل هذه الشقية حين تثور مطالبةً بحقوق النساء !

إنها ترفع ذراعها ، وتلوي وجهها ، ثم تحدق فيَّ لأقتنع !

وهل أقتنع إلا بعد أن أتمتع بهذه المجادلات ساعات وساعات؟

لن أقتنع أبداً ، فلتحبسني في دارها لأسمع تلك الخطب اللطاف، إلى أن أمل من النعيم فأقتنع ، ولن أمل ولن أقتنع !

إن كان من الخيانة للحق أن نساعد النساء على الطغيان ، فأنا بإذن الهوى أول الخائنين !

ومن حسن الحظ أن خيانتي هينة الخطب ، لأن المرأة بعيدة عن عملي ، ولو تعرضت لي في عملي لدستها بقدمي ، فللرجولة وثبات تزلزل الجبال

إذا جدّ الجد فلن أخضع لهذه الجنية ولو كانت من جنيات الأورمان

وما الجد وما الحق بجانب سحر الجمال ؟

آمنت بك يا ربى وآمنت ثم آمنت ، فلولا لطفك لردتنى هذه الجنية إلى أهواء يعجز عن تصورها الخيال

أنا أحبها لأنها أصدق منى . . . تعرضتُ للموت فى حبها فتعرضت للفضيحة فى حبى ، والفضيحة أفظع من الموت

ما أجملها حين تثور فى المطالبة بمساواة النساء للرجال !

لو كان الأمر للهوى لمنحتها ما تريد ، ولكن العقل يساجلنى من وقت إلى وقت ، فأثور على مطالب النساء

ما أنت أيها العقل ؟ ومتى أنجو من شرك ؟

* * *

مالى ولهذا الحديث ؟ ألم أقل إنى أريد وصف الليلة الفردوسية ؟

طال الجدال حول حقوق المرأة فاقتنعتُ لأنى شبعت من مجادلة الجنية السمراء ، ولأنى رغبت فى تلوين الأحاديث ، فدعوتها للمهادنة إلى حين

عند ذلك وقفتْ وقد احتضنت الكمنجة لتداعبها بأناملها اللطاف ، وهى أجمل ما تكون حين تقف ، لأن جمالها يرتكز فى قامتها السمهرية :

أنا والله هالك آيسٌ من سلامتى
أو أرى القامة التى قد أقامت قيامتى

— ماذا تحب أن تسمع ؟

— أنا أحب أن أرى !

— أنت تعرف أنى أبغض المزاح الثقيل

— وأنت تعرفين أنى أبغض الجد اللطيف

— يظهر أننا أطفال

— نحن أطفال كبار ، والطفل الكبير هو الطفل اللوذعىّ ، لأن مطالبه مطالب رجال ، لا مطالب أطفال

— وماذا تطلب أيها الطفل اللوذعىّ ؟

— أطلب تغريدة تعبر بها الكمنجة عما أريد

ولكن الشقية رمت الكمنجة ، ومدت يدها إلى المكتبة فأخرجت كتاب « ليلى المريضة فى العراق »

— تصفح الكتاب ، ثم اقرأ ما طوّق بعلامة الخطر ، وهى التأشيرة الحمراء

— إقرئى أنتِ

— أنا أحب أن أسمع صوت المؤلف ، لأتفوّق على من يتباهون بأنهم رأوا خط المؤلف

— كتاب ليلى لا يُقرأ ، وإنما يرتّل ، وصوتُك أندى فى الترتيل

— أنا أحب أن أسمع صوتك فى مواقف الصّبوات

عند ذلك تمثّل ماضىّ الجميل ، ماضى فى ضيافة ليلى وظمياء ، ماضى الذى لم يظفر بمثله أى عاشق فى أى زمان

وعند ذلك تمثل شقائى فى بغداد ، وأى شقاء ؟

كنت أرجع من دروسى بدار المعلمين العالية أو محاضراتى بكلية الحقوق فأرى العربات محمّلة بأقوام يمضون إلى سهرات المساء ضاحكين حالمين ، وأرانى أمضى إلى دارى لأقضى الليل بين الورق والمداد

هل أنسى أنى استهديت أحد أصدقائى عشاء فى داره لأقول إنى ذقت طعاماً فى أحد بيوت العراق ؟

البيوت العراقية مفتحة الأبواب لكل زائر ، ولكنى لم أهتد إلى هذه الحقيقة إلا بعد أن طال عذابى بالوحشة والانفراد فى ليالى بغداد

وفى تلك الأزمات القاسية سطرت كتاب ليلى المريضة فى العراق .

تمثلت هذه المتاعب لخاطرى وأنا أرتل كتابى ، فانقلب الترتيل إلى نشيج ، ثم رفعت بصرى فرأيت دموعاً تجاوب دموعى ، وهى الدموع الأبية العصية ، دموع الخريدة التى قهرها الحب على البكاء ، بعد طول التأبى والعصيان

— من صاحبة هذا الوحى إليك ؟

— هى ليلى

— غريمتى فى العراق ؟

— عند القلب علم الغيب

— وماذا يقول قلبك ؟

— يقول : « قلبى مات ، قلبى مات »

— ولقلبك قلب ؟

— ولدموعى دموع !

— وما نصيبى عندك ؟

— هو أعظم نصيب ، وهو أخطر من أن يُنصَب له ميزان ، فذخائر الوجود لا تساوى قطرة واحدة من دموعك الغالية

— يفتنك بكائى ؟

— الدموع فوق الخدود أجمل من الأنداء فوق الورود

— ستنشر هذا الحديث فى مجلة الرسالة ؟

— وفى جميع المجلات

— وما ذا يقول الناس ؟

— وأين الناس ؟

— أنت تخاطر بمركزك فى المجتمع

— وأين المجتمع يا طفلتى الغالية ؟ لقد حاربت ألوفاً من الخلائق وحاربونى ، فهل هزمونى ؟ أنا لا أخاف غير الله ، وهو خوف منبعث عن الأدب ، وليس له أية صلة بالخوف الذى يفهمه عامة الناس ، ولو شئت لقلت إنى آمن جانب الله فلا أتخوف منه أى عقاب

— هات السند من الكتب الدينية

— حياتى هى السند ، فقد تفردت بين أهل زمانى بالثورة على الناس ، ثم بقيت سيداً لا يمن عليه مخلوق

— ولكنك فقير ، بالقياس إلى المرائين

— كيف أكون فقيراً وأنت فى حيازتى ، أيتها الجنية السمراء ؟

— هل تبيعنى لتغتنى ؟

— وأين أجد المشترى ؟

— أنت تكايدنى !

— المكايدة لغةُ جنية الأورمان ، عليها غضبة الحب إلى آخر الزمان !

— ومن تلك الجنية ؟

— هى روح لطيف ، وإن لم أتمتع برؤية وجهها الجميل

— أتكون أجمل منى ؟

— جمالها فى الصوت ، وبصوتها فى الهتاف نقلت قلبى من مكان إلى مكان

— هى إذاً غريمة جديدة ؟

— إن آذتك الغيرة فلن تظفرى منى بأى نصيب ، لأن الغيرة تفسد ما بين المرأة والرجل فساداً لا يُرجَى له صلاح

— كنت أحسب أن الغيرة دليل على قوة الحب ، وأنها مِنّة نطوق بها قلب الحبيب

— غيرة المرأة أَثَرَةٌ وأنانية وتحكم وطغيان

— وغيرة الرجل ؟

— غيرة الرجل رفق وحراسة ومروءة وإيمان

— أوضح ثم أوضح ، لأن هذا الكلام يحتاج إلى إيضاح وإيضاح

— إسمعى يا طفلتى الغالية . إن الرجل يستطيع أن يصاهر من يشاء ، ولو شهد ماضيه بأنه كان من أهل العبث والمجون . ولا كذلك المرأة ، فإنها لا تجد خاطباً إلا إن شهد ماضيها وحاضرها بأنها من أهل التصون والعفاف

— هذا هو الظلم المبين

— هو ظلم ياطفلتى الغالية ، ولكنه ظلم لن يُرفع عن المرأة فى أى زمان

— الفجور الصريح لا يؤذيكم ، فكيف تؤذينا كواذب الشبهات ؟

— كان الأمر كذلك ، وسيكون لأننا أقوياء ، وحق الأقوى هو الأفضل ، ألم تقرئى قول لافونتين :

La raison du plus fort est toujours la meilleure

— وأنتم أقوى منا ؟

— الجواب حاضر ، فبينى وبينك فى السن عشرون سنة ، وأنتِ مع هذا تعجزين عن مصارعتى ، وأنا أشتهى أن تصارعينى

— ذوق هذا العصر لا يعترف بالقوة الجسدية

— القوة الجسدية هى الأساس فى جميع العصور

— وهل حصنتكم القوة الجسدية من الضعف ؟

— أى ضعف ؟

— الضعف أمام رقة المرأة

— هذا الضعف من شواهد قوة الرجل ، كما أن ضعف المرأة أمام فحولة الرجل من شواهد قوة المرأة

— أنت إذاً أضعف منى ، لأن خضوعك لى أقل من خضوعى لك

— خضوع الرجل للمرأة خدعة من خدع الحرب ، وأنا منتصر ، والمنتصر لا يحتاج إلى الخداع

— والنتيجة ؟

— النتيجة معروفة ، وهى أن النساء لا يصلحن لمساواة الرجال

٦ ـ حكاية الوفد الكسروى

لأستاذ جليل

عامر بن الطفيل

يقول عامر بن الطفيل : « وبالحرى إن أدالت الأيام وثابت الأحلام أن تحدث لنا أموراً لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الأعلام ؟ قال: مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر على أمر يذكر... »

فمن يعنى منشىء (المقامة) بما سطر ؟ ومن ذا الذى ستلتف الأحياء عليه ، وتنقاد له ؟

أغلب الظن أنه أومأ إلى ما أعلنه سطيح الذئبى وشق الأنمارى وسيف بن ذى يزن . وإن قصد الصائغ عامر بن الطفيل استناداً إلى روايات من نوع خبره رُويت فقد أبعد فى ضلاله . وهذه نبذ مما زخرفوه لعامر تملى طُرَفا وأفاكيه :

« كان أبو على عامر بن الطفيل من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وأبعدها اسما حتى بلغ ذلك أن قيصر ملك الروم كان إذا قدم عليه قادم من العرب قال : ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ فإن ذكر نسبا عظم عنده ، حتى وفد عليه علقمة بن عُلاثة ، فانتسب له ، فقال : أنت ابن عم عامر بن الطفيل ؟ فغضب علقمة وقال : ألا أرانى أعرف إلا بعامر ؟ فكان ذلك مما أوغر صدره عليه وهيجه إلى أن دعاه إلى المنافرة ... »[1]

« قدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليت ألا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى . أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش.. »[2]

« قدم عامر بن الطفيل على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقدم معه أربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر لأمه ، فقال رجل : يا رسول الله ، هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك . فقال : دعه ، فإن يرد الله به خيراً يهده . فأقبل حتى قام عليه ، فقال : يا محمد ، مالى إن أسلمت ؟

قال : لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم

قال : تجعل لى الأمر بعدك

قال : لا ، ليس ذاك إلىّ[3] ، إنما ذلك إلى الله (تعالى) يجعله حيث يشاء

قال : فتجعلنى على الوبر ، وأنت على المدر

قال : لا[4]

قال : فماذا تجعل لى ؟

قال صلى الله عليه وسلم : أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها

قال : أوليس ذلك إلىّ اليوم ؟ وكان أوصى إلى أربد بن قيس : إذا رأيتنى أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف . فجعل عامر يخاصم رسول الله ويراجعه ، فدار أربد خلف النبي ليضربه ، فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله (تعالى) فلم يقدر على سله[5] . وجعل عامر يومىء إليه ، فالتفت رسول الله فرأى

(١) شرح المفضليات للانبارى

(٢) السيرة لابن هشام وتاريخ الطبرى

(٣) فى طبقات ابن سعد : قال : ليس ذاك لك ولا لقومك

(٤) فى الفائق : فأبى رسول الله ، فقام عامر مغضباً وقال : لأملأنها عليك خيلا جردا ، ورجالا مردا ، ولأربطن بكل نخلة فرسا

(٥) فى (السيرة) : قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك ، وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً ، قال : لا أبالك ، لا تعجل على ، والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

— أنت تعرف أنى لا أرى هذا الرأى

— وأنت تعرفين أنى أنكر على المرأة جميع الحقوق

— جميع الحقوق ؟

— حتى حق الحب !

— إذن نفترق

— إن طاب لك الافتراق

— ولا نتلاقى أبداً ؟

— أبداً أبداً

— ولكنى أرى هذه المعضلات تحتاج إلى حلول ، فهل نلتقى فى الأسبوع المقبل ، على شرط أن نظل متخاصمين فى الرأى ؟

ثم انصرفت وأنا من تلك العيون على ميعاد ، للمجادلة والاختلاف ، وسنجادل ونختلف ، ونجادل ونختلف ، لأرى كيف ترفع ذراعها وتلوى وجهها ، ثم تحدق فىّ لأقتنع

آمنت بالحب والجمال ، آمنت آمنت ، فزدنى اللهم إيماناً إلى إيمان .

زكى مبارك

أربد وما يصنع بسيفه ، فقال : اللهم ، اكفنيهما بما شئت . فأرسل الله على أربد صاعقة فى يوم صائف صاح فأحرقته ، وولى عامر هارباً ، وقال : يا محمد : دعوت ربك فقتل أربد ، والله لأملأنها عليك خيلا جرداً وفتياناً مرداً . فقال رسول الله : يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة ، يريد الأوس والخزرج ، فنزل عامر ببيت امرأة سلولية ، فلما أصبح ضم عليه سلاحه ، وخرج وهو يقول : واللات لئن أصحر إلىّ محمد وصاحبه يعنى ملك الموت لأنفذنهما برمحى . فلما رأى الله تعالى ذلك منه أرسل ملكا فلطمه بجناحه فأذراه فى التراب ، وخرجت على ركبته غُدّة[1] فى الوقت عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول : غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية ؟ ثم مات على ظهر فرسه[2] ...

ذلكم مما زخرفوه لعامر . ولقد كبر الرواة ابن الطفيل كثيراً ، وأقعدوه فوق مرتبة عالية ، وتنوقوا فى صبغه وتلوينه ولكن الحق ينزله ، والتحقيق يزيل عن وجهه كل صبغ وتزويق ، فقد أخبروا أن سبب المنافرة إنما هو مهاترة[3] كانت بين عامر وعلقمة لا أن قيصر قال ما قال . ولما ذهبا إلى هرم بن قطبة بن سنان الفزارى ليقضى بينهما ؛ قال هرم لعامر : « أتفاخر رجلاً لا تفخر أنت ولا قومك إلا بآبائه ؟ فما الذى أنت به خير منه ؟ فقال عامر : ناشدتك الله والرحم ألا تفضل على علقمة ، فوالله إن فعلت لا أفلح بعدها . هذه ناصيتى جزها واحتكم فى مالى ، فإن كنت ولا بد فاعلاً فسوِّ بينى وبينه »[4]

وعلقمة إنما ذهب إلى الروم ودخل على ملكهم — إن صح الخبر — فى زمن عمر « وقد كان شرب الخمر فضربه (رضى الله عنه) الحد ، فلحق بالروم فارتد ، ثم رجع فأسلم[5] » ، وعامر هلك فى أيام النبى (صلوات الله وسلامه عليه)

(١) فى طبقات ابن سعد : فسلط الله على عامر داء فى رقبته فاندلع لسانه فى حنجرته كضرع الشاة

(٢) مجمع الأمثال للميدانى

(٣) و (٤) شرح العيون لابن نباتة المصرى

(٥) شرح المفضليات للأنبارى . فى تاريخ الطبرى : كان علقمة أسلم ثم ارتد فى أزمان النبى ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام ، فلما توفى النبى أقبل مسرعاً حتى عسكر فى بنى كعب مقدما رجلا ومؤخرا أخرى ، وبلغ ذلك أبا بكر فبعث إليه سرية ... ثم أسلم فقبل ذلك منه (قلت) إذا صحت رواية الانبارى والطبرى فقد ارتد علقمة مرتين .. وفى شرح العيون أن عمر ولى علقمة حوران .

وكان عامر فاجراً جائراً ، وسماه مسهر بن زيد الحارثى (مبير قومه) وأراد يوم (فَيف الريح) قتله ، وأراحتهم منه ، فوجأه بالرمح فى وجهه ، ففلق الوجنة ، وانشقت عين عامر ففقأها[1] ، وترك مسهر الرمح فى عينه . وقيل : إن عامراً وثب عن فرسه ، ونجا على رجليه ، وأخذ مسهر رمح عامر[2] . وفى رائية عامر — وهى مفضلية — :

لعمرى وما عمرى علىّ بهيّن ... لقد شان حرّ الوجه طعنة مسهر

ولمسهر شعر فى طعنته هذه رواه (العقد) فى (يوم فيف الريح) وقد قال مسهر فيه : إنهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل « وقد كان بنو عامر أخذوا امرأة من بنى عبس ، فما لبثت عندهم إلا يوماً واحداً حتى استنقذها قومها ، ونخر عامر بن الطفيل بذلك ، وذكر أخذه إياها[3] »

أبمثل هذه (البطولة) يفخر الفاخر ، وهل لعامر أن يقول يقظان أو وسنان : « والله لقد كنت آليت ألا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش » كما قص ابن إسحاق ونقل ابن هشام وابن جرير تقول (السيرة) لابن هشام :

« ... بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المنذر بن عمرو فى أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين . إلى أهل نجد[4] فساروا حتى نزلوا بئر معونة — وهى بين أرض بنى عامر وحَرّة بنى سُليم — فلما نزلوها بعثوا حَرام بن مِلحان بكتاب رسول الله إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ... واستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم من عُصَيّة ورِعل وذكوان ... فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتِلوا من عند آخرهم يرحمهم الله ... »

فإذا صح ما نقل ابن هشام فكيف تجاسر عامر بن الطفيل أن يفد على رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) كافراً ، لم يسلم ، سافكاً دماء من سفك دماءهم من المسلمين ، وقد دانت العرب للنبى ، وقد ملك « الجزيرة » ثم يريد أن يقدم هو وأربد على ما نوياه ، وحول رسول الله من هم حوله من أبطال الإسلام ،

(١) شرح المفضليات ، شرح العيون

(٢) العقد (٣) الأغانى

(٤) فى السيرة قال أبو براء عامر بن مالك لرسول الله : « لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك

٣ ـ الشعر المرســـل

وشعراؤنا الذين حاولوه

للأســتاذ دريني خشبة

بين يدى الآن وأنا أكتب هذه الكلمة بواكير من الشعر المرسل لا بأس بها للشعراء الأساتذة : محمد فريد أبى حديد وعلى أحمد باكثير واحمد زكي أبى شادى وعبد الرحمن شكرى وخليل شيبوب والمرحوم جميل صدقى الزهاوى ، ثم قطعة الآنسة سهير القلماوى (السيدة الدكتورة الآن)

ولما كانت القطع التى نظمها الأستاذ عبد الرحمن شكرى والمرحوم جميل صدقي الزهاوى ، ثم القطعة التى نظمتها الآنسة سهير متشابهة من حيث القصر ، ومن حيث كونها أقرب إلى القصائد منها إلى ماوضع الشعر المرسل من أجله (النظم المسرحى ونظم الملاحم والقصص الكبيرة) فنحن مضطرون إلى صرف النظر عنها الآن ، على أن نعود إليها فى فرصة أخرى ، ونرجو أن نوفق إلى ذلك بعد الفراغ من استعراض آثار الشعراء الأفاضل الباقين ، لأنها أهم ما فى الأدب العربى الحديث من الشعر المرسل .

ثم يطمع ذاك المطمع ، ويغضب ويهدد ، ثم يرجع وصاحبه فى ذلك اليوم سالمين

لقد بالغ الصواغون فى تزويق عامر وتلوينه وتشكيله وتكبيره ، والتلوين حائل ، والباطل زائل

٥ — بعث منشئ المقامة الحارث بن عُباد من مرقده ، وأصحبه الوفد ، وقد درج الرجل قبل أن يؤمّر النعمان قومه ويُتمّمله سلطانه بخمسة عشر حولاً كما حقق ذلك المحققون ، فلم يقل الحارث لكسرى : « العرب تعلم أنى أبعث الحرب قدما . . . حتى إذا جاشت نارها . . . جعلت مقادها رمحى وبرقها سيفى ورعدها زئيرى ، فأستمطرها دماً وأترك حماتها (جزر السيوف وكل نسر قشعم) » وجزر السيوف الخ مقتبس من الطويلة المنسوبة إلى عنترة بن شداد وقد استبدلت (السيوف) فى (المقامة) بالسباع . وكانت وفاة الحارث المقتبس قبل وفاة عنترة بثلاثين سنة . وإن كانت تلك الطويلة اليمية إسلامية عادية فبين الوفاتين دهر طويل ... (يتبع)

٢٤ ـ ٢١

أما قطعة الأستاذ شيبوب فقد جمع فيها بين ستة أبحر وربما تناولناها فى حينها

فللأستاذ أبى حديد :

١ — مقتل سيدنا عثمان « درامة كاملة »
٢ — خسرو وشيرين «
٣ — ميسون الغجرية « أوبريت كاملة »
٤ — زهراب ورستم « ملحمة نقلها بهذا الشعر عن الشاعر الإنجليزى ماثيو أرنولد »
٥ — بعض المشاهد عن درامات مختلفة لشيكسبير

وللأستاذ باكثير :

١ — السماء أو إخناتون ونفرتيتى « درامة كاملة »
٢ — إبراهيم باشا «
٣ — روميو وجوليت « ترجمة عن شيكسبير »

وللأستاذ الدكتور أبى شادى :

١ — ممنون « أقصوصة منقولة عن فولتير »
٢ — ترنيمة أتون « منقولة بالشعر الحر عن العلامة برستد الذى ترجمها عن الهيروغليفية إلى الإنجليزية »
٣ — مملكتى إبليس « شبه ملحمة للدكتور الفاضل »
٤ — كثير من القطع القصيرة الأخرى

الرائد الأول :

لست أدرى أى الرائدين فكر لأول مرة فى موضوع الشعر المرسل فى مصر خاصة وفى العالم العربى عامة ، أهو الأستاذ الشاعر عبد الرحمن شكرى ، أم هو الأستاذ الشاعر محمد فريد أبو حديد ؟ ليكن أيهما شئت ، فالذى يهمنى وأفرح به وأتعصب له هو أنهما أحرزا لمصر قصب السبق فى هذا الميدان الجديد من ميادين النظم ؛ ولن يمنعني تعصبى للشعراء المصريين من أنى أكون أول المصفقين لشعراء الشعوب العربية العزيزة حينما يظهر من بينهم هذا الشاعر الأصيل المُجَلّى الذى يبرز فى الميدان ويأتى فى موضوع الشعر المرسل بطرائف وغُرر تبذ طرائف وغرر شعرائنا ، مادام هدفنا هو تجديد الأدب العربى ، وتجديد الشعر العربى بوصف كونه فرعاً من فروع هذا الأدب ، وإخراجه من حدوده الشكلية والموضوعية الضيقة التى وقفت عند النهضة الأندلسية الكبرى

على أننى لا أشك مطلقاً فى أن الأستاذ أبا حديد هو الشاعر

الثائر الأول الذى فكر فى نظم درامة كاملة بالشعر المرسل الذى لا يخضع لسلطان القافية ، فقد نظم درامة « مقتل سيدنا عثمان » سنة ١٩١٨ أى منذ خمس وعشرين سنة ، عندما تخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، وعند ما وضعت الحرب الكبرى الأولى أوزارها

وقد نظمها الأستاذ أبو حديد لنفسه كما يقول فى المقدمة ... أو على حد تعبيره هو : « ... لقد كان أبعد شىء من تصورى أن تلك الرواية سوف تقع عليها عين سواى ، فإنى ما كتبتها إلا لكى ألهو بكتابتها ، أو إن شئت قلت إنى لم أكتبها إلا للذة النفسية التى كنت أجدها فى تأليفها ، فلما أن أتممتها كما رسمت وضعتها فى درج مكتبى ، وكنت لا أعيرها بعد ذلك التفاتاً ... »

وقد بقيت الرواية فى هذا الدرج المظلم المكدس بالمسودات عشر سنوات تباعاً .. ولم تر الضوء إلا سنة ١٩٢٧ حينما كان الأستاذ مدرساً بمدرسة الأمير فاروق الثانوية ، فطبعتها المدرسة لحسابها الخاص ومثلتها فرقة التمثيل بها

ونحن يسرنا أن نسجل هذا كله لفائدة تاريخ الأدب العربى الحديث ، وتاريخ الأدب المصرى بنوع خاص

وقبل أن نتناول الدرامة بشىء من التلخيص أو التحليل أو النقد ، نثبت النادرة ، أو الفكاهة الأدبية التاريخية التالية :

عندما فرغ الأستاذ أبو حديد من نظم روايته ، أو كتابتها كما يقول هو ، حملها معه ، وانطلق بها كأنه وقع على لقية ، أو اهتدى إلى الأكسير الذى أضنى كيمائيى العرب ، حتى إذا بلغ جريدة الأهرام ، دخل على الأستاذ الأديب المغفور له صادق عنبر لحدثه حديثهـا ، الذى هو حديث الشعر المرسل ، ثم استأذن الأستاذ فى أن يتلو عليه بعض مناظرها ... ثم انطلق فى هذه التلاوة ، وعنبر عليه رحمة الله مصغ له . منصت إليه ... وقد خيل إلى الأستاذ أبى حديد أن الأديب الكبير غفر الله له ما تقدم من ذنبه ـ وما تأخر أيضاً ـ قد أخذ فعلا بجمال هذا اللون الغريب من ألوان الشعر ، واستولى على نفسه سحره ؛ فلما فرغ الشاعر الشاب من تلاوته ، التفت إليه الأديب العتيد وتبسم قائلاً : أتدرى يا أبا حديد ؟ إن مصر لم تكسب من هذه الحرب الكبرى غير شيئين ... الشعر المرسل ... والحمى الإسبانيولية ! وكانت الحمى الإسبانية قد تفشت عقب تلك الحرب فى مصر حتى أذاقت أهلها الأمرين !

ولست أدرى لماذا نجوت أنا من براثن تلك الحمى التى أشفيت بسببها على الهلاك إذ ذاك ، ولماذا عشت إلى سنة ١٩٤٣ ، لأدعو من جديد إلى الشعر المرسل ، توأم الحمى الإسبانيولية وصنوها فى نظر المغفور له الأستاذ صادق عنبر ؟!

ترى ... ماذا كان وقع هذا اللقاء فى نفس الأستاذ أبى حديد؟ ولكن لماذا نسأل ؟ ... لقد مضى ينظم من الشعر المرسل الذى يتخلله بعض الشعر المقفى تلك الأوبريت الجميلة الرائعة « ميسون الغجرية » ، والتى طبعها على حسابه هو ، لا على حساب مدرسة كذا أو معهد كذا أو لجنة كذا من لجان التأليف ... ثم مضى يترجم ثم ينظم ملحمة زهراب ورستم التى استأذن القراء فأقول إنى أكاد أحفظ أصلها الإنجليزى عن ظهر قلب لروعة أسلوبها وجمال تسلسلها وبهاء شعرها المرسل المنظوم بقلم ماثيو أرنولد الشاعر الناقد العظيم ! وقد فرغ أبو حديد من نظمها شعراً مرسلاً سوف أعرض نماذج منه فى حينه

ونقف بعد ذلك لحظة ... لقد ذكرت فى التثبت الذى وضعته بين أيدى القراء فى صدر هذا المقال للأستاذ أبى حديد ، درامة خسرو وشيرين ، ولست أدرى لماذا صنعت هذا دون أن أستأذن الأستاذ فى ذلك ، إذ أنه نظم الدرامة وأعدها للطبع ... ثم طبعها بالفعل ... وأصدرها دون أن تحمل اسم مؤلفها ! ... إذن لماذا أذيع أنا هذا الاسم دون استئذان ؟ هل صنعت ذلك دون وعى ، أو أنا إنما صنعته خدمة لتاريخ الأدب المصرى الحديث؟

ثم نتساءل بعد هذا لماذا لم يثبت الأستاذ أبو حديد اسمه على روايته ؟ قد نجد من ذلك الذى نقتطفه من المقدمة جواب هـذا السؤال : « ... وأما إذا أنت صبرت أيهـا القارىء ، فقرأت سطران أو سطرين أو ثلاثة من هذا المطبوع ثم قذفت به حيث أردت ، لم تكن فى ذلك بالمعذور ، بل كنت متفضلاً مضحياً من أجل مجاملتى ، مع أنك لا تعرف من أنا ، وفى هـذا أدب عظيم وكرم مطبوع . وأما إذا كنت قد بلغت من قوة ضبط النفس ورياضتها على المكاره بحيث استطعت أن تثبت على القراءة حتى أتيت إلى آخر كلمة ، ثم تركت لنفسك العنان بعد طول كبحها وحبسها فانطلقت تصخب وتشتم وتنادى بالويل والثبور ـ إذا فعلت ذلك كنت فى نظرى بطلا من أبطال العزيمة وقوة الاحتمال . على أنك لو فعلت ذلك لم يمسنى منك أذى ، وإن بلغت فى ثورتك مبلغاً مخيفاً لأنى قد توقعت مثل ذلك فأخفيت نفسى حتى

لا تتحرج فيما تفعل . . . . . . فافعل ما بدا لك أيها القارئ، ولا تتورع فإن أحجارك أو سهامك لن تصل إلىّ ! »

ولا بد لنا من أن نقتطف القطعة التالية أيضاً :

« وأما إذا كنت يا أخى – ولا مؤاخذة – ممن فى ذوقهم شذوذ عن المألوف مثلى فاستحليت من هـذا القول ما يمر فى الأذواق أو أعجبك منه ما يقبح فى الأنظار فلك رثائى وعطفى ، فالمريض يعطف على مثله ! ومن آية رثائى لك وعطفى عليك أننى أنصحك نصيحة أرجو أن تقبلها . . . فقد تعرضت قبلك من جراء شذوذى عما ألفه الناس لـكثير من الألم والفشل ؛ فأحذرك من إظهار رأيك – (أى فى استحسان الشعر المرسل ! – أمام أحد من الناس ولو كان من أعز أصدقائك ، فالصداقة قد لا تقوى على الثبوت مع الشذوذ فى الرأى والذوق ...) »

لماذا يا ترى يتحرج صاحب مذكرات جحا ! – (وهذه غلطة عظيمة أخرى نغلطها من دون وعى) – كل هذا التحرج ويتأثم كل ذلك التأثم ؟! هل يتحرج كل هذا التحرج ، ويتأثم كل ذلك التأثم ، لأنه كما يقول شذ عن مألوف الناس فى نظم الشعر ، وثار بقوافى العروض العربى ، فتعرض لـكثير من الألم والفشل ؟ ... ولـكنا نسائل أنفسنا عن هـذا الألم وذاك الفشل أين هما ؟ وإن كان أبو حديد قد تعرض للـكثير منهما فما باله لم ينصرف عن هذا الشعر المرسل الثقيل الغث الذى يعرض ناظمه – أو كاتبه – لألوان مرة من الألم ، وصنوف كثيرة من الفشل ؟ ما باله لم ينصرف عن هذا البلاء الذى يؤمن بأن قراءة سطر أو سطرين منه كافية لأن تضع الحمى فى يد القارئ، فيحصب به الناظم أو الـكاتب لو رآه ؟ ما باله يطول جنينه إلى هذا النظم السمج النابى على الأذواق فيـكتب به كل تلك الروايات وينظم منه هذه الملاحم التى يعترف بأن قراءة سطر أو سطرين منها تضحية من القارئ، وأدب عظيم وكرم مطبوع السخاء نفس وتفضل ... وإن القارئ إذا خرج بعد قراءة هذا وسطر أو هذين السطرين عن طوره فقذف بما نظم أبو حديد من حالق أو قذف به فى نارجهنم أو نار المدفأة أو مزقه أو ألقى به من النافذة أو دفعه إلى الأطفال يعبثون به ، فهو معذور لا تثريب عليـه ، لأن أبا حديد زعم له بأنه صاحب نظم جديد وصاحب رسالة جديدة – صاحب نظم جديد هو هذا النظم المرسل الذى لم يعرفه الذوق العربى فضلاً عن أن يألفه ، وصاحب رسالة جديدة هى توسيع مدى الأغراض التى يجب أن يتسع لها أفق الشعر العربى والأدب العربى جميعاً فتـكون لنا دراما عربية وتـكون لنا دراما عربية منظومة ، وتـكون لنا دراما عربية منظومة كما ينظم الشعراء العباقرة فى أوربا ... وإذا لم يكن من ذلك بد ، فلا بد أن نقحم الشعر المرسل على الشعر العربى إقحاماً ، ولا بد أن نصعّر خدودنا للناس وأن نلح عليهم فى قبول هذا الشعر المرسل حتى يعرفوه ويألفوه وحتى يغرموا به كما عرفه الأوربيون وألفوه وأغرموا به من القرن السادس عشر إلى اليوم ... لا بد أن نقحم الشعر المرسل على الشعر إقحاماً ، ويجب أن نصعر خدودنا معشر الشعراء للناس ، ويجب أن نحتمل أذاهم مهما يكن مبلغ هذا الأذى . فما حصوات ترجم بهن مرة أو مرتين ، وما كلمات من سباب لن يمتلئ بهن الهواء قط توجه إلينا هنا أو هناك ؟ سنلح عليهم كما ألح أبو حديد ، فإذا بلغ سخطهم علينا حد القتل ، لا قدر الله ، فلنمكر بهم كما مكر ، ولنمض فى سبيلنا من حيث كتابة الدرامات والملاحم المنظومة بالشعر المرسل ولنطبعها لهم ولنوزعها عليهم بالمجان ... فلنحصبهم بها كما حصبونا بالحجارة ولا داعى مطلقاً لـكتابة أسمائنا – نحن معشر الناظمين أو الـكاتبين – عليها . ولتـكن تضحيتنا فى ذلك خالصة لوجه الوطن والأمم العربية ولوجه اللغة والأدب . الأدب العربى والأدب المصرى على السواء ... ولن نعدم كاتباً كصاحب هـذا المقال يفاجئ الناس بالحق ، ويذكر لهم أننا أصحاب هذه الدرامة والملاحم الضائعة ... ومن يدرى ؟ فقد يأتى يوم يستسمح الناس فيه رجمهم وتمسكهم بالقديم الرث . وقد يزيدون فينزعون عنهم ما نسج لهم المهلهل وذو الرمة وعلقمة الفحل ليرتدوا أفوافاً من نسجنا نحن ... وحينئذ لا نجد داعياً لهذا التخفى ، بل ربمـا أصابنا طائف من الزهو والخيلاء فآثرنا ركوب الجمال ليرانا الناس جميعاً ويشار إلينا بكل بنان ! وهل فى ركوب الجمال شذوذ كشذوذ الشعر المرسل ؟ وهل ركوبهن خروج على مألوف الناس كخروج الشعر المرسل على المألوف المعروف من قوافى الشعر العربى ؟ ولماذا نعد ركوب الجمال شذوذاً وخروجاً على مألوف الناس مع أن المهلهل كان يوكب الجمال ، والمهلهل هو الذى هلهل الشعر فيما يهذى مؤرخو الأدب العربى ، وهو الذى جعل للشعر تلك القوافى المطردة التى ما زال الناس فى جميع العالم العربى يستحلونها

أوزان الشعر

١ - الشعر الأوربى

للدكتور محمد مندور

يخيل إلى أننا قد وصلنا الآن إلى مرحلة من نمو ثقافتنا يجب عندها أن نأخذ أنفسنا بالصرامة فيما نكتب، فلا نتحدث إلا عن بينة تامة وتحقيق لما نقول، بعد أن نكون قد عمقنا الفهم، وإلا فسنظل ندهم ونتوهم أننا نعرف شيئاً نافعاً، ونحن فى الواقع نضرب شرقاً بغرب ضالين مضللين.

وهناك مسائل لا يكفى للحديث عنها أن نقرأها فى كتاب إنجليزى أو فرنسى ثم ننقلها إلى قرائنا حسبما نظن أننا قد فهمناها. هذا لا ينبغى. ونأخذ اليوم لتلك المسائل مثلاً من «أوزان الشعر»، كما تحدث عنها الأستاذ دريني خشبة فيما يحشد من أحاديث.

يريد الأستاذ أن يميز بين العروض الإنجليزى وغيره من الأعاريض الأوربية وبين العروض العربى، فيقول: «وبحسبنا هنا أن نذكر أن العروض الإنجليزى، بل كل أنواع العروض فى اللغات الأوربية، إنما أساسها التفعيلة The foot، وليس أساسها الأبحر كما فى العروض العربى». وهذا قول لا معنى له إطلاقاً، لأن جميع أنواع الشعر الشرقى والغربى على السواء تتكون من تفاعيل يجتمع بعضها إلى بعض، فتتكون الأبحر والشعر العربى فى هذا كغيره من الأشعار. وإنما التبس الأمر على الأستاذ لأنه رأى الأبحر فى الإنجليزية تسمى باسم التفعيلة المكونة لها، فيقولون Jambi meter ... الخ. وأما فى العربية فقد وضعوا لها أسماء أخرى كالطويل والبسيط وغيرها. وإذا كانت فى الشعر العربى أبحراً متجاوبة التفاعيل كالطويل أو البسيط مثلا حيث نجد التفعيل الأول يساوى الثالث والثانى يساوى الرابع، فإن هناك أيضاً أبحر متساوية التفاعيل كالمتدارك والرجز والهزج والكامل وغيرها. وهذه وتلك كان من الممكن أن تسمى بأسماء تفاعيلها فالمسألة مسألة مواضعة. وإذا كانت فى الشعر العربى زحافات وعلل فإن الشعر الأوربى أيضاً فيه ما يسمونه بالإحلال subsitution فتراهم يضعون مقطعاً سبوندياً محل مقطع داكتيلى أو مقطع إيامبى، وفى الشعر العربى والشعر الأوربى معاً لا يغير هذا الإحلال من اسم التفعيل الأصلى. وإذن فكل الأشعار من هذه الناحية لا تختلف فى شىء.

وإنما تتميز الأشعار ببينة التفاعيل، وهنا نلاحظ أن الأستاذ خشبة لم يدرك بأذنه حقيقة الشعر الإنجليزى، وكان السبب فى ذلك اعتماده فيما أرجح على قواميس اللغة الإنجليزية، فقد قرأ فى أحد كتب العروض الإنجليزى أن هناك شعراً تتكون تفاعيله فى الأيامب، وشعراً تتكون تفاعيله من الداكتيل ... الخ. مما يجده القارىء فى هامش مقاله، وبحث فى القاموس فوجد أن الأيامب عبارة عن وحدة من مقطعين،

ولا يرون الفكاك من أغلالها، فلماذا لا نركب الجمال العالية كما كان يصنع المهلهل ...

وندع المهلهل الذى لم يفرض على الناس شعره وقوافيه، ونعود إلى أبى حديد نسائله عن هذا الشعر المرسل، وعن طول حنينه إليه، وما باله يذكر النضال عن هذا الشعر عند ما تصدر مجلة الرسالة فينشر فى سنتها الأولى استفتاء عاماً يجعل موضوعه ترجمة نثرية لخطبة أنطونى فى درامة يوليوس قيصر لشيكسبير - والترجمة بقلم الأستاذ الجليل محمد حمدى بك - ثم ترجمة للخطبة نفسها بالشعر المرسل بقلمه هو ... فيما كان هذا الاستفتاء إذن؟ وفيم كانت محاولة إغراء الناس أو منازلة أذواقهم بموضوع هذا الشعر؟ لقد كانت نتيجة الاستفتاء نصراً شبه كامل لشعر أبى حديد، فما الذى ثناه عنه يا ترى؟ وما الذى أقعده عن المضى فيه؟ ولماذا حرم أبو حديد أدبنا المصرى الحديث من طرفه الرائعة، ومن روحه الدرامية الناضجة، ومن فكاهته العذبة السائغة، ومن فنه المسرحى المتفتح؟ لماذا تصدر درامته - «خسرو وشيرين» - دون أن تتشرف بحمل اسم صاحبها؟ صاحبها الثائر الأول الذى ينبغى أن يحفظ له تاريخ الأدب المصرى هذا الجميل الخالد، وتلك اليد النقية المباركة، ... وإلى متى تظل ملحمة «زهراب ورستم» حبراً على ورق؟ وكيف ينتصر ترسينو فى إيطاليا سنة ١٥٥١ وينهزم أبو حديد وشعراء النظم المرسل فى مصر فى القرن العشرين؟

ولكن ما هو هذا الشعر العربى المرسل الذى من أجله عقد هذا الفصل؟

ذلك مالا يتسع له مجال القول الآن. دريني خشبة

أولهما قصير والثانى طويل وهكذا . وفاته أن هذه التعاريف لا تنطبق على الشعر الإنجليزى بسهولة ، وإنما هي خاصة بالأشعار اليونانية واللاتينية ، فنى هاتين اللغتين تتميز المقاطع بعضها عن بعض بالطول والقصر ، وأما اللغة الإنجليزية واللغة الألمانية فتتميز مقاطعها قبل كل شىء بالارتكاز الصوتى stress ؛ فهناك مقاطع تنطق بضغط وأخرى بغير ضغط ، وعلى هذا يكون الأيامب وحدة من مقطع لا يحمل ارتكازاً وآخر يحمله . ومن ثم لا يكون الشعر الإنجليزى « شعراً كمياً quantitatine » بل « شعر ارتكاز stressed » ، وهذا هو الرأى المعتمد .

وفى موضع آخر يقول الأستاذ : « وبفضل بعض الشعراء البحر الأسكندرى نسبة إلى الإسكندر الأكبر القصائد التى نظمت فيه من هذا البحر . ويؤثر شعراء المأساة الفرنسيون النظم من هذا البحر إطلاقاً وهو يتكون من اثنى عشر مقطعاً (ست تفعيلات إيامبية مقطعين) . » وهذا القول أيضاً يدل على أنواع من عدم الدقة بل ومن الخطأ البين . فعدم الدقة نجدها فى شراح سبب تسمية هذا البحر فهو ليس نسبة إلى الإسكندر الأكبر بل نسبة إلى رواية بالذات كتبت فى القرن الثانى عشر بفرنسا « عن الإسكندر الأكبر Le roman d'Alexandre » ومنها لأول مرة استعمل هذا البحر بدلاً من الأبحر الأقصر منه التى كانت مستعملة فى القرون الوسطى . وأما الخطأ فنى ظن الأستاذ أن البحر الأسكندرى فى الشعر الفرنسى يتكون من ست تفعيلات إيامبية مقطعين ، فهذا لا وجود له فى الشعر الفرنسى ومن المعلوم أن اللغة الفرنسية قد فقدت منذ قرون : (١) الكم فلم تعد هناك مقاطع طويلة ومقاطع قصيرة إلا فى حالات نادرة فى أواخر الكلمات مثل âge ومن المسلم به عند الفرنسيين وعند جميع من كتبوا عن الشعر الفرنسى إن هذا الشعر لا علاقة له بكم المقاطع (٢) الارتكاز فألفاظ اللغة الفرنسية لم تعد تحمل ارتكازاً stress ، وإنما يوجد ارتكاز فى أواخر الجمل ، فكل جملة فرنسية أو شبه جملة تنتهي بارتكاز يحس أنه ارتكاز شدة وارتفاع معاً إلا فى حالة الوقف ، فإنه يعتبر ارتكاز شدة فحسب . فمثلاً جملة cette maison est très belle لا نجد منها غير ارتكازين اثنين أولهما على on والآخر على bel ، والارتكاز الأول ارتكاز شدة وارتفاع فى الصوت ، وأما الثانى فشدة فقط لأن الارتفاع يسقط للوقف . وإذن فالشعر الفرنسى ليس شعراً كمياً ولا شعراً ارتكازياً لسبب واضح هو أن مقاطع تلك اللغة لا تتميز بكم ولا ارتكاز . الشعر الفرنسى يسمونه بكل بساطة « شعر مقطعى syllabique »

من هذه الملاحظات يتبين لنا أن هناك ثلاثة أنواع من الشعر كنا نحب من الأستاذ خشبة ما دام قد أراد أن يبصرنا بحقائق الأوزان أن يميز بينها لنحاول بعد ذلك أن نرى أين يقع منها الشعر العربى ، وبذلك قد نستطيع أن نساعد على ظهور أنواع جديدة من الشعر العربى تمكن شعراءنا الكبار الذين يعجب بهم الأستاذ من إجادة فهم حقاً . وعندئذ سنرى المسرحيات تكتب شعراً كما كانت تكتب منذ ثلاثة قرون ، ونكون بعملنا هذا قد أثبتنا للعالم المتحضر أنهم مخطئون فى عدم استمرارهم على استخدام الشعر فى المسرحيات

هذه الأنواع الثلاثة هى : (١) الشعر الكمى (٢) الشعر الارتكازى (٣) الشعر المقطعى

أما النوع الأول فهو الشعر اليونانى واللاتينى القديم ، وأما النوع الثانى فهو الشعر الإنجليزى والألمانى ، وأما الثالث فهو الشعر الفرنسى

الشعر الكمى :

لنأخذ لذلك مثلاً بيت فرجيليوس فى الأنيادة :

Infandum regina iubes renovare dolorem[1]

نجده مكوناً من ستة تفاعيل ، وكل تفعيل مكون من مقطعين طويلين (سپونديه) ، أو مقطع طويل ومقطعين قصيرين (داكتيل) ، ماعدا التفعيل الأخير فقطعه الأخير قد يكون قصيراً ويكتفى به لأن الوقف يعوض المقطع الآخر القصير الذى حذف . وإليك التقطيع مع رمزنا للمقطع الطويل بالعلامة ـ وللمقطع القصير بالعلامة =

— — — = — — = = — = — — —
Infan - dum re-gina iu-bes reno · vare do-lorem

وأما الأساس الذى يعتبر به المقطع طويلاً أو قصيراً فيرجع إلى الحرف الصامت voyelle ؛ فإذا كان طويلاً بطبيعته كما هو الحال فى بعض الحروف اليونانية ، أو كان حرفاً مزدوجاً

(١) هذا البيت فى مطلع الأغنية الثانية من الأنيادة وترجمته « أيتها الملكة إنك تأمرين بتجديد ألم لا تمكن العبارة عنه » . قاله إينوس بطل الملحمة عند ما طلبت إليه ديدون ملكة قرطاجنة أن يقص عليها نبأ ما كان من تدمير الأغريق لمدينة طروادة وطن البطل الأصلى .

المشكلات

١٠ – اللغـــــة العربية

للأستــاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لقد كان يكفينى ما قدمته من الأدلة على فساد الطريقة الرسميـة فى تعليم اللغـة العربية ، وعلى صحة الطريقة التى بينتها وأفضت الكلام فيها ، ولكنى أعلم أن المألوف شديد انتزاعه ، وأن النفوس تكره العدول عما وجدت عليه الآباء والأجداد إلى شىء لم يكونوا عليه ، وربما خيل إليها أن السلف الماضين لم يؤثروا هذه الطريقة على ما عداها إلا لفضلها و كفايتها ، وأن العدول عنها إلى غيرها عدول عن الحق النافع إلى الباطل الضار ، ولو كان فى هذا الجديد خير لسبق إليه الأولون

وإنى أريد أن أبين أن الطريقة التى ندعو إليها هى طريقة العصور الزاهرة لسلفنا الماضين ، وأنها لم تتغير إلى الطريقة التى نشكو منها إلا فى عصور الضعف والتأخر العلمى ، وأريد أن أذكر من أقوال السلف ما يشهد بتفضيل هذه الطريقة على طريقة القواعد والقوانين لأونس القلوب بأن ما أدعو إليه ليس شيئاً أنا ابتدعته وإنما هو شىء كان يعلمه رجال العلم والتربية من آبائنا السابقين

وأريد بعد ذلك أن أذكر بعض أقوال رجال التربية من علماء الغرب فى هذا الموضوع لأبين أن العقل والدليل ورجال العلم فى القديم ، ورجال التربية فى الحديث وعلماء الشرق والغرب على أن اللغات إنما تكتسب بالتكرار والحفظ والتمهد والدربة وأن القواعد والقوانين لا تكسب ملكة اللغة

أول كتاب وضع فى نحو اللغة العربية وعكفت عليه الأجيال هو الكتاب لسيبويه ، وهو كتاب ملىء بالشواهد من كلام العرب ، شعرها ونثرها ، وكلام الله وكلام الرسـول ، وأبياته تزيد على الألف ، وكان الدارس له يحفظ أبياته وشواهده ويدرس قواعده ، فيكتسب ملكة اللغة بما يحفظ من المنظوم والمنثور ، ويعلم قوانينها بما فيه من القواعد ، ولم يكن النحوى هو من عرف القواعد فحسب ، بل كان النحوى هو من عرف القواعد ، وحفظ أشعار العرب ، وعلم تخريجها ، وحفظ أيامهم وخطبهم وحكمهم ومساجلاتهم ؛ ولذلك كان اسم النحوى مرادفا لاسم الأديب ، وألف العلماء كتباً فى تراجم النحويين سميت باسم طبقات الأدباء ، كما فعل ابن الأنبارى فى كتابه نزهة الألباء فى طبقات الأدباء – وإذا قرأنا ترجمة من تراجم أساتذة النحو فى عصوره الأولى كالمبرد والكسائى والفراء وابن جنى بهرنا ما نرى من حفظهم وإتقانهم واطلاعهم على شعر العرب والمحدثين واستيعابهم لغة العرب ، والملكة التى جاءتهم من مزاولة هذه اللغة ، فما من غريب إلا وهم به محيطون ، وما من شاهد أو مثل إلا وهم به عالمون ، وما من أسلوب إلا وهم عارفون بمعناه قادرون على تخريجه

ولم يكن الأمر كذلك فى النحو فقط بل كان أيضاً فى البلاغة ، فأول كتاب ألف فى البيان العربى وصل إلينا هو البيان والتبيين لأبى عمرو عثمان بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ وهو كتاب حوى من الأشعار والخطب والأحاديث والأمثال

---

diphtonque ، أو كان ناتجاً عن إضمام حرفين صامتين ، أو كان متلواً فى نفس المقطع بحرف صامت consonne ، اعتبر المقطع طويلاً وإلا فهو قصير . وفى القواميس الجيدة نجد دائماً كم الحروف الملتبسة

ونحن لا نريد أن نطيل فى تحليل موسيقى هذا النوع من الشعر . فهى لا شك لا تقف عند التفاعيل والمقاطع بل لا بد لها من إيقاع rythme ينتج عن وجود ارتكاز شعرى يسمى Ictus ، وهو يقع على مقطع طويل فى كل تفعيل . كما أن هناك وقفاً هاماً فى كل بيت يشبه الوقف على الشطر فى البيت العربى . وهو فى البيت السابق يقع بعد المقطع السابع كما وضحنا بالعلامة = والواقع أن أوزان الأشعار اليونانية واللاتينية معقدة صعبة حتى بالنسبة لمن يتقنون تلك اللغات وذلك لأن نطقها غير معروف على وجه دقيق ، ومن باب أولى عناصرها الموسيقية . ولهذا نكتفى بما ذكرنا معتذرين عن اضطرارنا إليه تكملة للعرض .

(للكلام صلة) محمد مندور

والساجلات ما هو كفيل بتربية ملكة البيان ، والكتب التى وضعت بعده كالبديع لابن المعتز ، ونقد الشعر لأبى الفرج قدامة ابن جعفر ، والصناعتين لأبى هلال العسكرى ، كلها كتب ملئت بالشواهد والأمثلة ، ومتنوع الأساليب ، وقد عنوا بذلك ولزموه وحافظوا عليه ثقة منهم بأن كسب ملكة البيان إنما تكون بحفظ الأساليب التى استكملت شروط البلاغة ، وابن الأثير فى كتابه المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر حذر دارس كتابه أن يقتصر على القواعد التى فى الكتاب ، وأوجب عليه أن يكتسب الذوق الأدبى بالاطلاع على بيان العرب من منظوم ومنثور والإكثار من حفظه وممارسة أساليبه ؛ قال فى مقدمة كتابه : ومع هذا فإنى أتيت بظاهر هذا العلم دون خافيه ، وحمت حول حماه ولم أقع فيه ، إذ الغرض إنما هو الحصول على تعليم الكلم التى بها تنظم العقود وترصع ، وتخلب العقول فتخدع ، وذلك شىء تحيل عليه الخواطر ، لا تنطق به الدفاتر . واعلم أيها الناظر فى كتابى أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم ، الذى هو أنفع من ذوق التعليم ، وهذا الكتاب وإن كان فيما يلقيه إليك أستاذاً ، وإذا سألت عما ينتفع به فى فنه قيل لك هذا ، فإن الدربة والإدمان أجدى عليك نفعاً ، وأهدى بصراً وسمعاً ، وهما يريانك الخبر عياناً ، ويجعلان عسرك من القول إمكاناً ، وكل جارحة منك قلباً ولساناً ، فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك ، واستنبط بإدمانك ما أخطاك ، وما مثلى فيما مهدته لك من هذه الطريقة إلا كمن طبع سيفاً ووضعه فى يمينك لتقاتل به وليس عليه أن يخلق لك قلباً ؛ فإن حمل النصال ، غير مباشرة القتال وإنما يبلغ الإنسان غايته   ما كل ماشية بالرحل شملال

وكان كلما أفرط القوم فى درس القواعد والتعمق فيها ظهرت آراء تدعو إلى القصد فى درسها والاقتصار منها على ما أقام الألسن . قال ابن السكيت : خذ من الأدب ما يعلق بالقلوب ، وتشهيه الآذان ، وخذ من النحو ما تقيم به الكلام ، ودع الغوامض ، وخذ من الشعر مايشتمل على لطيف المعاني ، واستكثر من أخبار الناس وأقاويلهم وأحاديثهم ولا تولعن بالغث منها

وقال الجاحظ فى رسائله : « فصل فى رياضة الصبى ، وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ، ومن مقدار جهل العوام فى كتاب إن كتبه ، وشعر إن أنشده ، وشىء إن وصفه ، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ، ومذهل عما هو أرد عليه منه ، من رواية المثل الشاهد ، والخبر الصادق ، والتعبير البارع . وإنما يرغب فى بلوغ غايته ، ومجاوزة الاقتصاد فيه ، من لا يحتاج إلى تعرف جسيمات الأمور ، والاستنباط لغوامض التدبير لمصالح العباد والبلاد ، والعلم بالقطب الذى تدور عليه الرحى ، ومن ليس له حظ غيره ، ولا معاش سواه . وعويص النحو لا يجدى فى المعاملات ، ولا يضطر إليه شىء »

وقد وجد شعور منذ زمن طويل بتفضيل تعلم اللغة بالملكة على تعلمها بالقواعد ، عيب على عمار الكلبى بيت من شعره فامتعض وأنشد أبياتاً منها .

كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم   وبين قوم على إعرابهم طبعوا

فهذا الشاعر قد فاضل بين الطريقتين ، وفضل الطريقة العملية على الطريقة العلمية التقريرية

وكان الناس يأخذون ألسنتهم بالإعراب ، ويلتزمون العربية فى كلامهم . وكانوا يعيبون من يلحن ويحفظونه عليه ويتحدثون به . وما زال الأمر كذلك فى النحو والبلاغة حتى نبتت فى العصور المظلمة تلك الحاقة التى تقدس القواعد وتجعلها كل شىء فى تعليم اللغة وتربية ملكتها ؛ وأعطتها قوة العصا السحرية ، فما هو إلا أن يضرب المرء بها حتى يستحوذ على لغة العرب ، فيكتب بها ويخطب ويساجل وينظم الشعر ، فأكثروا من القواعد وأقلوا من عرض المثل والشواهد والأساليب ، وورثنا نحن عنهم هذه الطريقة وسرنا عليها حتى الآن

ورجال التربية فى القديم والحديث والشرق والغرب طالما دعوا إلى تعليم اللغات بالحفظ والتكرار والمرانة والدربة ، وبينوا أن القواعد والقوانين لا تعلم اللغة ولا تكون ملكتها ، وطالما نددوا بهذه الطريقة التقليدية ، وبهذا الأسلوب العقيم فى تعليم اللغة ؛ فابن خلدون الفيلسوف الاجتماعى م ٨٠٨ هـ بين فى مقدمته أن اللغة ملكة ، وأن الملكات لا تكتسب بالقواعد؛ إنما تكتسب بالحفظ والتكرار . قال فى فصل عنوانه « أن اللغة ملكة صناعية » اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة ؛ إذ هى ملكات

في اللسان للعبارة عن المعاني ... (والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال ، لأن الفعل يقع أولا ، وتعود منه للذات صفة ، ثم تتكرر فتكون حالا ، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة ، أي صفة راسخة) ، ثم بين أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم ، وكان حريا بأهل القرن الثامن وما تلاه من قرون أن ينتفعوا بآرائه وبما بسطه هذا العالم المجدد ودعا إليه من آراء في التربية ، ولكن ابن خلدون رجل سبق عصره فلم تنتفع به أمم الشرق ، ومن المؤلم أننا في عصرنا الحديث لم نفك قيود التقليد ، وننفض عنا غبار الكسل ، ونحرر أنفسنا من هذه الطريقة التي تلاحقنا نتائجها إخفاقا بعد إخفاق ، وخيبة أثر خيبة

هذا حديث الشرق وحديث الغرب أعجب ، فما من كاتب كتب في التربية إلا وأنحى على طريقة القواعد ، ورأى أن اللغة لا تعلم إلا بالحفظ والمحادثة ؛ فروسو رجل الفكر الفرنسي في القرن الثامن عشر نبه في صراحة على أن اللغات يجب أن تعلم بواسطة المحادثات لا بواسطة الصرف والنحو . والدكتور غوستاف لوبون المفكر الفرنسي ذكر في كتابه روح التربية أن الأمم الراقية لا تأخذ التلاميذ في تعليم اللغات بكتب النحو وإنما تأخذهم بالكلام المألوف . ثم قال وهذه الطريقة لا تحرم التلاميذ درس النحو . فهو يدرس النحو أحسن درس بهذه الطريقة اللاشعورية التي تحول النحو إلى ملكة راسخة لا إلى تكلف وتمحل ...

ودعا سبنسر الفيلسوف الإنجليزي في كتاب التربية إلى تعليم اللغات بأسلوب أشبه بسنن الطبيعة التي يتعلم بها الطفل لغته الأصلية بلا معين ولا مرشد فيضمحل التعليم بواسطة القواعد ويعتاض عن ذلك بطرق ناجحة ، وذلك ما أفضى إلى تأجيل تعليم علوم النحو والصرف والبلاغة للطلاب . واستأنس في ذلك برأي المسيو مارسيل الذي ذهب فيه إلى أن علوم النحو والصرف والبلاغة ليست مما يبتدأ به في تعليم الأطفال ، ولكنها متممات ومكملات . ثم قال سبنسر : وقصارى القول أنه لما كانت علوم النحو والصرف والبلاغة إنما نشأت بعد تكون اللغة كان من الواجب أن يتلقاها التلميذ بعد تكون اللغة ،

وسوى هؤلاء كثير من رجال التربية في العصر الحديث

إن أساليب التعليم والتربية التي تسير عليها أمة من الأمم هي خير مقياس لعقليتها وثقافتها ومقدار نضوجها ، فإن كانت تجري على قوانين العقل والوجود وتساير الرقي الإنساني العام ، وتلائم روح طبائع الأشياء ، استدللت بذلك على ثقافتها ورقيها ؛ وإن كانت تخالف ذلك أمكنك أن تحكم على الأمة بالتأخر في مضمار الحياة . وبالضعف في شتى مناحيها العقلية والاجتماعية والسياسية ، وإن الأمم الرابضة حولنا ، والمتطلعة إلينا ، والتي تخالطنا وتجاورنا لتحكم علينا بما نصطنعه من أساليب في التربية والتعليم ؛ فلنأخذ بالأسلوب المطابق لطبائع الأشياء وقوانين الوجود في تعليم اللغة العربية ، إن لم يكن لإتقان اللغة والتوفيق في تعليمها ، فلاتقاء حكم الأمم علينا بالتأخر في مضمار الحياة .

محمد عرفة

حكمت محكمة مديرية جرجا العسكرية في الجنحة ن ٧٣ سنة ١٩٤١ طهطا بتغريم فرغلي حسن علي من طهطا ٥٠٠ قرش ونشر الحكم بمجلة الرسالة لأنه باع قمحاً بسعر أزيد من المحدد في جدول الأسعار

٢ - جامع احمد ابن طولون

[حديث ألقى فى نادى النجادة فى ليلة القدر]

للأستاذ أحمد رمزى بك

قنصل مصر فى سوريا ولبنان

إنه لمن غير المستصعب والمستغرب أن يقيم رجل العصبية دولة بين أهله وعشيرته ، ولكن أن يخرج رجل وحيد ينحدر من سلالة فى أواسط آسيا ، فيؤسس ملكا عريضاً يضم مصر والشام والثغور والعواصم ، ويسيطر بذكائه وفطنته فيقود ، وينتصر ، وتخضع له الخاصة والعامة ، وتدين له الرقاب ويقارع أكبر سلطة شرعية ، ذلك أمر لا يتم إلا لرجل قد امتاز عن كافة الناس وخصته العناية بصفات من الأخلاق والمزايا النفسية لا تتوفر فى غيره

ويذكرنى ذلك بما كتبه أحد مفكرى الغرب عن عظماء الرجال فى القرن العشرين إذ قال : إن هناك قوات جامحة من قوى الطبيعة تسبح فى فضاء هذا الكون ، فتصيب الرجل العظيم الذى هيأته العناية لدور فاصل فى تاريخ الإنسانية ، فتراه قد استيقظ إذ لمسته وأفاق فقبض على هذه القوى بكلتا يديه ، فدانت له الجماعات وخضعت لمشيئته ، فإذا هو على رأسها يسخر هذه القوى ويدفعها إلى الأمام فينير مجرى الحوادث ويكتب التاريخ كما يشاء ، ذالكم هو أبو العباس احمد بن طولون ، رجل من عظماء التاريخ العربى ملك مصر وقاد وانتصر

ولسنا فى موضوع الحديث عنه ولا عن أعماله لنؤرخ له ، وإنما نحن فى مقام التعريف لذلك الرجل الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى ، وإذا كان لى أن أختم هذه الكلمة وما أصعب على النفس ختمها فما لى سوى ترديد قول شوقى فى شعره الخالد عن الزعيم مصطفى كامل إذ ينطبق على أميرنا ابن طولون :

هو ركن مملكة وحائط دولة وقريع شهباء وكبش نطاح

وأنتقل الآن إلى الجزء الثانى من هذه المؤانسة فأحدثكم عن زيارتى لجامع ابن طولون

كان ذلك فى خريف العام الماضى ، حينما حللت بالقاهرة المعزية ، وكان وقت الأصيل حينما توجهت إلى جامع ابن طولون وارتقبت ذلك لأرى أثر أشعة الشمس وقت غروبها ، وما تلقيه من روعة ، على منظر القاهرة ، فإن رؤية مآذنها العالية وقباب مساجدها التى تعد بالمئات مما يدخل فى قلبى رهبة وإحساساً فائضاً وحنيناً إلى الماضى وعوداً إليه

ولما صعدت إلى قمة المنارة نظرت إلى أطراف المدينة من مشهد السيدة نفيسة والإمام الشافعي ، إلى القلعة فالسلطان حسن والرفاعى ، ثم إلى جامع الجاولى حيث أعجبنى هذا التناسق البديع الفائق الحد الذى يبدو بالنظر إلى القبتين المتجاورتين إذ هما قطعتان من قطع الفن العربى الخالد

ولا أحدثك عن الذكريات التى غمرتنى ساعتئذ وإنما تساءلت كيف حفظت العاصمة كل هذا التراث العربى العظيم ؟ وكيف خرج من كل أدوار التاريخ خالداً ، وهو يدافع المحن ويسمو على طوفان الحوادث ؟

ولا بأس من إيراد حديث دار مع سيدة من كبريات سيدات الغرب ، وقت أن نزلت من المنارة واتجهت إلى صحن الجامع ، فقد كانت جالسة على كرسى فحيتنى أحسن تحية ، ثم قالت لى كالمعاتبة لغيرى :

« متى بلغ اهتمامكم بآثاركم العربية هذا الحد حتى أتيت من بيروت لتقضى أجازتك السنوية ، ووقت راحتك فى منادمة أطلال الماضى وما درس من آثاره ؟ »

قلت : بلى أحن إلى هذه الجدران ، وأعرف نقوشها ، وهذه المآذنة والمحاريب وهذا المنبر الذى وضعه حسام الدين لاشين ، وما شعرت يوماً بأنى غريب عنها ، بل هى عندى صورة من صور الماضى الباقى الذى يفيض حياة ، ويلازم فكرى ، وأستمد منه قوة على قوة ، وأسير فى هداه ، وأستمير منه الحجة لأقرع بها الحجة ...

ولما تركتها متجهاً إلى الأروقة قلت يا لله ! إن المساجد له ، وهى مع ذلك تعلو علواً كبيراً ، ليغمرها العز والسؤدد والمجد ثم تهبط إلى التدهور والتفكك والنسيان حتى يقيض الله لها من ينتشلها من وهدتها . فلنتعرف إلى بعض الشيء من عظمة هذه الجدران ...

لقد حمل هذا الثرى الذى أسير عليه ابن طولون وملكه ، وطالما ازدحم هذا الصحن بالأمراء والجند والعامة ، ولو نطقت هذه الجدران لحدثتنا حديث رجال الفقه والتفسير والحديث الذين اجتمعوا هنا لسنين خلت . ولا عادت علينا آيات الكتاب الكريم التى رتلت أصوات المؤذنين والشيوخ والقراء التى ذهبت فى أعماق الماضى البعيد . أين صناديق المصاحف الطولونية والشمعدانات التى وضعها الحاكم بأمر الله ؟

أين القناديل المعلقة بالسلاسل التى وصفها المؤرخون ؟

أين الأبسطة والفرش من عبدانية وسامانية التى أمر بها ابن طولون وخص بها المسجد ؟

أين جماهير المصلين وحلقات الدرس والتلاوة ؟

ووقفت أمام المحراب الكبير ، وقلت هنا صلى بالناس ، عندما كمل الجامع ، القاضى بكار بن قتيبة إماماً ، وهو مفخرة من مفاخر القضاء المصرى فى القرن الثالث ، وهدية البصرة لمدينة مصر

وعلى منبر فى مكان هذا قام أبو يعقوب البلخى يوم الافتتاح خطيباً ؛ ثم جاء الربيع بن سليمان ، وهو من تلامذة الشافعى رضى الله عنه ، بل من أحبهم إلى قلبه ، فافتتح دروسه فى إملاء الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام

« من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة ، بنى الله له بيتاً فى الجنة » .

ففى أى ركن من هذه الأركان كان هذا الدرس ؟

وأين اللوحة التذكارية لهذا اليوم ؟

لا بد أن يكون مكان هذا الدرس على مقربة من المحراب الكبير ، فلنتمهل ولنترحم على صاحب الدرس ، وعلى شيخه وأستاذه .

(للحديث صلة) أحمد رمزى



مسابقة الأدب العربي

سأثور على الكسل وأشرح الكتب المقررة لمسابقة الأدب العربي في هذه السنة ، على نحو ما صنعت في السنوات الماضية ، مع الثناء على من أثاروني يوم تجمهروا حولي في جمعية الشبان المسلمين ، ومع الثناء على الخطاب الوارد من دمياط

والغاية واضحة ، وهي أن أساعد فريقاً من الطلبة على انتهاب جوائز وزارة المعارف ، وسينتهبونها بأيسر مجهود بعد إدراك ما أقدم إليهم من التوجيهات . والله هو الموفق

سأبدأ في الأسبوع المقبل بنقد كتاب « قادة الفكر » للدكتور طه حسين بك ، ثم أمضي إلى نقد سائر الكتب المقررة في الحدود التي يسمح بها الوقت ، وسيسمح الوقت لأن الامتحانات التحريرية ستقع في الرابع والعشرين من فبراير المقبل ، ثم تقع الامتحانات الشفوية بعد ذلك بأيام أو أسابيع .

وسأسكت عن كتاب « المختار » للمرحوم الشيخ عبد العزيز البشري ، لأني تكلمت عنه بإسهاب في العام الأسبق ويستطيع المتسابقون أن يرجعوا إلى حديثي عنه بمجموعة الرسالة في مكتبات المدارس الأميرية

ولا يفوتني أن أنص على أن الذين يختارون كتب المسابقة للأدب العربي — وهم رجال فضلاء — لم ينسوا في أي عام كتب الدكتور طه حسين ، وكتب الأستاذ أحمد أمين ، ولم يفتهم النظر إلى الكتب المودعة بمخازن لجنة النشر والترجمة والتأليف ؟

أنا لا أعترض ، وإنما أسجل ظاهرة أدبية ، ولا حرج على من يصدق في تدوين التاريخ .

زكي مبارك

إلى الأستاذ محمد عرفة

أخي العزيز

قرأت فصولك في اللغة العربية بإمعان . وكلما تم فصل منها أترقب غيره بشغف حتى بلغت تلك الفصول التسعة عدداً .

وهنا أشفقت ألا تطلع علينا بجديد منها فبادرت إليك لأبدي لك شعوري نحو هذا الإصلاح المنشود . وهو إحياء اللغة الفصحى وجعلها ملكة يلهج بها اللسان دون تكلف ...

إني أخاطبك الآن كأخ لأخيه أو بالحرى كانسان لنفسه .

أخي العزيز ...

إن لغتنا هي من أبدع اللغات وأغناها ؛ ولكنها كالكنز الدفين الذي لا يتمتع به أصحابه . إذ أشقينا النفوس بدراستها السنين تلو السنين فلن نفوز منها بطائل يشفي تلك النفوس وينعشها ويحررها من ذلك النقص الذي تشعر به أبداً وقد أورثها تلك الأدواء التي يصفها لنا علم النفس الحديث

إن لغتنا الفصحى سهلة ؛ بل سهلة جداً ؛ ولكن الصعب فيها كما بينت يا أخي في فصولك التسعة في الرسالة الغراء — أنها لم تصبح بعد ملكة عندنا ... ولكن ...

ألا ترى يا أخي أن الفصحى إذا تناولها الجمهور أفسدها . إن لنا بين أيدينا اليوم من كتب وصحف ومجلات . أكثرها فصيح الأسلوب ، ولكن هذا الفصيح كتب عليه الفشل . إنه لا يقوى على النهوض إذا خاطب عيون القراء ... لماذا ... لأن الخط الحاضر (الكتابة) هو الذي أفسد اللغة

فلو كان الخط أميناً لصور لنا الكلام بأمانة مطلقة تصويراً كاملاً واضحاً لا لغز فيه ولا إبهام . ثم لو كان الخط أميناً ... لكانت الفصحى منتشرة على كل لسان

وكيف نكتسب الفصحى بالمران والتكرار عن طريق القراءة التي لا نهاية لها لو ظلت هذه تقدم لنا صباح مساء بخط مبهم العلامات والضوابط ..؟

أتريد أن تنشر الفصحى يا أخي ، قبل أن تحررها من سجن الخط الحاضر . إن الفصحى كادت تموت بين جدران الخط العربي الحاضر المبهم الذي لا ضابط له ولا شكل .

أراني وقد أطلت عليك الحديث مرغماً بعد العذر أن أرجو ملحاً ألا توصد ذلك الباب قبل أن تكمل فصولك الممتعة في هذه المجلة موجهاً عنايتك توجيهاً مخلصاً إلى حل مشكلة الخط أو الكتابة الحاضرة ولك مني وللرسالة — الغراء — ألف شكر

ا . عطاري

المهرجان الأدبي بالسودان

يسرنى أن أزف إلى الناطقين بالضاد فى كل قطر ومصر، وإلى أبناء العروبة أجمعين، وإلى المتحرقين شوقاً لمعرفة سير موكب النهضة الأدبية فى السودان، أن المهرجان الأدبى الخامس قد تم بمعونة الله إخراجه للناس بنادى الخريجين بالخرطوم فى ثانى وثالث أيام عيد الفطر المبارك فى حلة زاهية قشيبة وبطريقة مبتكرة جذبت إليه الجمهور المثقف أمام تلك الدار الزاهرة. فى ذلك اليوم المشهود خلق كثير أتوا من كافة أنحاء السودان لشهود هذا العيد الثقافى المجيد الذى أصبح الناس هنا يعدونه عيداً قومياً له دلالته ومعناه. والحقيقة أنه جدير بهذه العناية وهذا الاهتمام

أجل أقيمت تلك السوق الأدبية الحافلة فألقيت البحوث الأدبية والتاريخية والعلمية، وأنشدت القصائد، وعرضت اللوحات الفنية، وترنم المغنون بأغانيهم الشجية، كما أنشد نشيد المهرجان. ولا يفوتنا أن نذكر أن موسيقى الجيش المصرى كانت تشنف الأسماع بحلو الأنغام وعذب الألحان فقوبلت تلك المساهمة من رجال الجيش المصرى البواسل بالتقدير والحمد

وهناك ملاحظة جديرة بالذكر وهى أن أدباء مصر لم يساهموا فى هذا المهرجان ولم يبعثوا بأى إنتاج فكرى كما اشتركوا فى المهرجان الماضى؛ ولم نسمع صوتاً لباقى أبناء البلاد العربية. فعسى أن نسمع أصوات هؤلاء جميعاً فى المهرجان المقبل بإذن الله

ولقد كان المهرجان الأدبى حديث المحافل والمجتمعات فى أيام العيد، بل حديث القطر بأجمعه، لأنه حدث أدبى جليل الشأن فى النهضة الحديثة فى السودان؛ فللأدب الآن دولة بالسودان لها رعية وأنصار

ويلذ لى أن أذكر أن المهرجانات الأدبية تقام عندنا هنا فى كل عيد فطر. ولقد أقيم المهرجان الأدبى الأول بمدينة واد مدنى عاصمة مديرية الجزيرة، ثم انتقل المشعل إلى أم درمان العاصمة الوطنية، ولم يتم إخراج المهرجان الثانى لأسباب قهرية، ولكن المهرجان الثالث قد أقيم فى نفس المدينة أى أم درمان، ثم سلمت المشعل إلى نادى الخريجين بالخرطوم فى العام الماضى فدأب أشبال النادى يعملون لإخراج المهرجان الرابع؛ لكن الأمنية لم تتحق لأسباب طارئة. وفى هذا العام تمكن النادى عينه من إخراج المهرجان الخامس الذى نحن بصدد الحديث عنه

ولعل من المفيد أن أذكر أن نادى الخريجين بواد مدنى هو الذى أخرج المهرجان الأول وهو صاحب الفكرة نفسها، ونادى الخريجين بأم درمان هو الذي أقام المهرجان الثالث، كما أرى من الإنصاف أن أقول إن الخريجين فى كل مدينة فى السودان هم مصدر الحركة والنشاط والنهضة

أما المهرجان الأدبى السادس الذى يجب أن يقام فى عيد الفطر المقبل فلم يعين بعد اسم النادى الذى سيتولى هذه المهمة السامية فنسأل الله التوفيق.

(الخرطوم — السودان) محمد موسى





11 me Année No. 541

Lundi - 15 - 11 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٤١ « القاهرة في يوم الإثنين ١٧ ذو القعدة سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

في الشـــعر العربي

للأستاذ عباس محمود العقاد

في العدد الماضي من الرسالة كلام عن « الشعر المرسل وشعرائنا الذين حاولوه » للأستاذ دريني خشبة يقول فيه بعد الإشارة إلى بعض الأدباء والشعراء : « ... لست أدرى أى الرائدين فكر لأول مرة في موضوع الشعر المرسل في مصر خاصة وفي العالم العربي عامة ، أهو الأستاذ الشاعر عبد الرحمن شكرى أم الأستاذ الشاعر محمد فريد أبو حديد ... »

والذى نذكره على التحقيق أن الابتداء بالشعر المرسل في العصر الحديث محصور في ثلاثة من الشعراء لا يعدوهم إلى آخر ، وهم السيد توفيق البكرى ، وجميل صدقى الزهاوى ، وعبد الرحمن شكرى .

ولكنى لا أذكر على التحقيق من منهم البادىء الأول قبل زميليه . ولعلى لا أخالف الحقيقة حين أرجح أن البادىء الأول منهم هو السيد توفيق البكرى في قصيدته « ذات القوافى » ، ثم تلاه الزهاوى في قصيدة نشرت بالمؤيد ، فعبد الرحمن شكرى في قصائد شتى نشرت بالجريدة وجمعت بعد ذلك في دواوينه

وكانت مشكلة القافية في الشعر العربي على أشدها قبل ثلاثين سنة ، ولم تكن هذه المشكلة قد عرفت قط في العصر الحديث

قبل استفاضة العلم بالآداب الأوربية واطلاع الشعراء على القصائد المطولة التي تصعب ترجمتها في قصيدة في قافية واحدة ، كما يصعب النظم في معناها مع وحدة البحر والقافية

وكان زميلنا الأستاذ عبد الرحمن شكري يعالج حلها بإهمال القافية ونظم القصائد المطولة من بحر واحد وقوافٍ شتى

وكنت وزميلي الأستاذ المازني نشايعه بالرأي ولا نستطيب إهمال القافية بالأذن . فنظمت القصائد الكثار من شتى القوافي ثم طويتها ولم أنشر بيتاً واحداً منها ، لأنني لم أكن أستسيغها ولا أطيق تلاوتها بصوت مسموع ، وإن قلت النفرة منها وهي تقرأ صامتة على القرطاس

إلا أننا كنا نفسح الفرصة لهذه التجربة عسى أن تكون النفرة منها عارضة لقلة الألفة وطول العهد بسماع القافية

وقد أعربت عن هذا الرأي في مقدمتي للجزء الثاني من ديوان زميلنا المازني ، فقلت :

« . . . رأى القراء بالأمس في ديوان شكري مثالا من القوافي المرسلة والمزدوجة والمتقابلة ، وهم يقرأون اليوم في ديوان المازني مثالا من القافيتين المزدوجة والمتقابلة ، ولا نقول إن هذا هو غاية المنظور من وراء تعديل الأوزان والقوافي وتنقيحها ، ولكنا نعده بمثابة تهيىء المكان لاستقبال المذهب الجديد ، إذ ليس بين الشعر العربي وبين التفرع والنماء إلا هذا الحائل ، فإذا اتسعت القوافي لشتى المعاني والمقاصد ، وانفرج مجال القول بزغت المواهب الشعرية على اختلافها ، ورأينا بيننا شعراء الرواية وشعراء الوصف وشعراء التمثيل ، ثم لا تطول نفرة الآذان من هذه القوافي لا سيما في الشعر الذي يناجي الروح والخيال أكثر مما يخاطب الحس والآذان ، فتألفها بعد حين وتجتزىء بموسيقيه الوزن عن موسيقية القافية الواحدة

« وما كانت العرب تنكر القافية المرسلة كما نتوهم ، فقد كان شعراؤهم يتساهلون في التزام القافية كما في قول الشاعر :

ألا هل ترى إن لم تكن أم مالك ... بملك يدي إن الكفاء قليل
رأى من رفيقيه جفاء وغلظة ... إذا قام يبتاع القلوص ذميم
فقال أقلا واتركا الرحل إنني ... بمهلكة والعاقبات تدور
فبيناه يشري رحله قال قائل ... لمن جمل رخو الملاط نجيب »

إلى آخر الشواهد التي أتيت بها في تلك المقدمة

وكنت أحسب يوم كتبت هذه المقدمة أن المهلة لا تطول إلا ريثما تنتشر القصائد المرسلة في الصحف والدواوين حتى تسوغ في الآذان كما تسوغ القصائد المقفاة ، وإنها مهلة سنوات عشر أو عشرين سنة على الأكثر ثم نستغني عن القافية حيث يريد الاستغناء عنها في الملاحم والمطولات أو في المعاني الروحية التي لا تتوقف على الإيقاع

ولكنني أراني اليوم وقد انقضت ثلاثون سنة على كتابة تلك المقدمة ولا يزال اختلاف القافية بين البيت والبيت يقبض سمعي عن الاسترسال في متعة السماع ، ويفقدني لذة القراءة الشعرية والقراءة النثرية على السواء . لأن القصيدة المرسلة عندي لا تطربنا بالموسيقية الشعرية ولا تطربنا بالبلاغة المنثورة التي نتابعها ونحن ساهون عن القافية غير مترقبين لها من موقع إلى موقع ومن وقفة إلى وقفة

والظاهر أن سليقة الشعر العربي تنفر من إلغاء القافية كل الإلغاء حتى في الأبيات التي تحررت منها بعض التحرر

فالأبيات الأربعة التي أتينا بها آنفاً قد اختلف فيها حرف الروي بين اللام والميم والراء والباء ، ولكن الحركة لم تختلف بين جميع الأبيات ، بل لزمت الضم فيها جميعاً وهي حركة تشبه الحرف في الأذن وإن لم تشبهه في أحكام العروضيين والنحاة

والأمر كما نحسه في حكم الأذن يتفاوت بين مراتب ثلاث من الألفة والارتياح إلى السماع

فالقافية تطرب حين تأتي في مكانها المتوقع

وإهمال القافية يصدم السمع بخلاف ما ينتظر حين يفاجأ بالنغمة التي تشذ عن النغمة السابقة

والمرتبة التي تتوسط بينهما هي التي لا تطرب ولا تصدم ، بل تلاقي السمع بين بين لا إلى التشوق ولا إلى النفور

فانتظام القافية متعة موسيقية تخف إليها الآذان

وانقطاع القافية بين بيت وبيت شذوذ يحيد بالسمع عن طريقه الذي اطرد عليه ويلوي به لياً يقبضه ويؤذيه

إنما التوسط بين المتعة والإيذاء هو ملاحظة القافية في مقطوعة بعد مقطوعة تتألف من جملة أبيات على استواء في الوزن والعدد ، أو هو ملاحظة الازدواج والتسميط وما إليهما من النغمات التي تتطلبها الآذان في مواقعها ، ولو بعد فجوة وانقطاع

وربما زاد هذا التصرف فى متعتنا الموسيقية بالقافية ولم ينقص منها إلى حد التوسط بين الطرب والإيذاء

فالأذن تمل النغمة الواحدة حين تتكرر عليها عشرات المرات فى قصيدة واحدة . فإذا تجددت القافية على نمط منسوق ذهبت بالملل من التكرار ونشطت بالسمع إلى الإصغاء الطويل، ولو تمادى عدد الأبيات إلى المئات والألوف

لهذا لا نحسب أن السنين التى مضت منذ ابتداء التفكير فى الشعر المرسل قد مضت على غير طائل

لأننا عرفنا فى هذه الفترة ما نسيغ وما لا نسيغ ، فعدل الشعراء عن تجربة الشعر المرسل الذى تختلف قافيته فى كل بيت وجربوا التزام القافية فى المقطوعات المتساوية أو فى القصائد المزدوجة والمسمطة وما إليها ؛ فإذا هى سائغة وافية بالغرض الذى نقصد إليه من التفكير فى الشعر المرسل ، لأنها تحفظ الموسيقية وتمين الشاعر على توسيع المعنى والانتقال بالموضوع حيث يشاء

ومن ثم يصح أن يقال إن مشكلة القافية فى الشعر العربى قد حلت على الوجه الأمثل ولم تبق لنا من حاجة إلى إطلاقها بعد هذا الإطلاق الذى جربناه وألفناه

ففى وسع الشاعر اليوم أن ينظم الملحمة من مئات الأبيات فصولاً فصولاً ومقطوعات مقطوعات ، وكلما انتهى من فصل دخل فى بحر جديد يؤذن بتبديل الموضوع ، وكلما انتهى من مقطوعة بدأ فى قافية جديدة تريح الأذن من ملالة التكرار . ويمضى القارىء بين هذه الفصول والمقطوعات كأنه يمضى فى قراءة ديوان كامل لا يريبه منه اختلاف الأوزان والقوافى بل ينشط به إلى المتابعة والاطراد

وإذا كان الأوربيون يسيغون إرسال القافية على إطلاقها فليس من اللازم اللازب أن نجاريهم نحن فى توسيع ذلك على كره الطبائع والأسماع ، وبخاصة حين نستطيع الجمع بين طلبتنا من النغمة الموسيقية وطلبة الموضوعات العصرية من التوسع والإفاضة فى الحكاية والخطاب

وآية ذلك أننا نقرأ الشعر المرسل فى اللغة الأوربية ولا نفتقد القافية بين الشطرة والشطرة أقل افتقاد

وقد خيل إلينا أننا ننساها ولا نفتقدها لأننا غرباء عن اللغة وعن مزاج أهلها . فلما سألنا الأوربيين فى ذلك قالوا لنا إنهم لا يفتقدونها ويستغربون أن نلتفت إلى هذا السؤال ، لأنهم هم لا يلتفتون إليه

وسواء رجعنا بتعليل ذلك إلى وحدة القصيدة عندنا وعندهم ، أو إلى أصل الحداء فى لغتنا وأصل الغناء فى لغتهم ، أو إلى غلبة الحسية فى فطرة الساميين وغلبة الخيالية والتصور فى فطرة الغربيين ، فالحقيقة الباقية هى أننا نحن الشرقيين نلتذ شعرهم المرسل ولا نفتقد القافية فيه ، وأننا ننفر من الغاء القافية عندنا ونداريه بالتوسط المقبول بين التقييد والإطلاق . وأنهم ليتقيدون فى بعض أوزانهم الغنائية بقيود تثقل علينا نحن حتى فى الموشحات ، فليس من اللازم اللازب أن نتعمد مجاراتهم أو يتعمدوا مجاراتنا فى كل إطلاق وتقييد . ولهم دينهم ولنا دين !

عباس محمود العقاد



— انا اعرف واحد بيكسب الف فى المايه وللاهرامسه من التيار الجشعيه
— ده لازم اشترى من اراضى وزارة الأوقاف .

مسابقة الأدب العربي

قادة الفكر «لطه حسين»

للدكتور زكي مبارك

تمهيد

كتاب « قادة الفكر » هو في الأصل بحثٌ وجيز كتبه الدكتور طه بك حسين ليكون هدية لقراء مجلة الهلال ، يوم كان لمجلة الهلال هدايا سنوية . والمؤلف يعتذر في ختام كتابه بأنه كتبه في ظروف منوّعة الألوان ، فلم يكن في جميع تلك الظروف مطمئن النفس فارغ البال . ومعنى ذلك أنه يرى محصول الكتاب دون ما يريد ، ولهذا اعتذر بعبارات حزينة تثير الإشفاق

ونحن ننوب عن الدكتور طه في تقديم هذا البحث الوجيز ، فنقول إنه تحفة أدبية وعقلية ، وإنه يشهد بقدرته على تلخيص ما يقرأ من جيد التصانيف . وكلمة « تلخيص » كلمة مدح في هذا المقام ، لأن المؤلف لم يُرد أن يواجه المعضلات الفلسفية مواجهة الباحث المعتزم أخذ الفلاسفة بنقد ما خلفوا من حقائق وأباطيل

والدكتور طه نفسه يعترف بأنه ملخص : يعترف اعتراف العلماء ، فلا يدّعي أنه أجهد فكره في غير التلخيص ، ولكن أي تلخيص ؟ لقد قدّم للقراء صوراً سريعة متلاحقة بأسلوب سريع لا يسمح للقراء بالوقوف لحظةً من زمان

هل أبخل على المؤلف بكلمة ثناء فأشهد أني قرأت كتابه في سهرة واحدة ، وأني عشت معه لحظاتٍ آمتع من لحظات الحوار الطريف بين الندماء ؟

مزية الدكتور طه أنه يكتب كما يتحدث ، وأنه ينقل إلى قرائه ما استقرّ في نفسه بلا تكلف ولا افتعال

لم يبتكر الدكتور طه كتابه هذا ، إذا أردنا من الابتكار معناه المطلق ، فلكتابه نظائر في الأدب الأوربي ، وإنما ابتكره في الأدب العربي ، فهو أول كتاب لخص آراء الباحثين في طوائف من قادة الفكر الذين سيطروا على العالم القديم والعالم الحديث

وتكاد تكذّب الدكتور طه حين يقول إنه يلخص ، لأنه يفترع الأبحاث بقوة توهمك أنه المفترع الأول، وأن كتابه سيكون المصدر لمن يتحدثون عن هوميروس أو سقراط أو أفلاطون

وهذا كلامٌ أقوله لمنفعة قرائي ، وأنا أحب لهم ما أحب لنفسي ، ولو كان هذا الكتاب ضعيفاً لأخذت بخناق الدكتور طه بدون ترفق ، لأني لا أجامل أحداً على حساب الفكر والبيان

آفة الإخلاص في التلخيص

التلخيص مطلوب ، ولكنه لا يخلو من آفات ، لأنه يصدّ المؤلف عن تعقب من ينقل عنهم نقل الواثق بأنهم على هدًى في جميع الأقوال

وقد وثق الدكتور طه بمن نقل عنهم فلم يجادلهم في رأى من الآراء

وتوضيح هذه المؤاخذة أن الدكتور طهساير الباحثين الأوربيين في القول بأن الثقافة اليونانية هي مصدر الثقافة الإنسانية ، وأن الناس في الشرق والغرب ، وفي جميع الأجيال مدينون لثقافة اليونان

والحق أن للدكتور طه عذراً في هذه المسايرة ، فقد قرأ كتباً ترى هذا الرأى ، ولو أنه تريث لعرف أن هنالك كتباً أجدر من تلك الكتب بالتلخيص ، وهي الكتب التي ترى أن المعارف اليونانية منقولة عن المعارف المصرية ، وأن فلاسفة اليونان القدماء لم يكونوا إلا تلاميذ لفلاسفة مصر القدماء

وأنا لا أسوق هذه المؤاخذة تعصباً لبلادي ، فاليونانيون أنفسهم يعترفون بأنهم تلاميذ المصريين ، وكانت زيارة مصر واجبة على كل يوناني يريد التفقه في درس أسرار الوجود

أستاذية مصر الفرعونية لليونان الوثنية ليست أسطورة من الأساطير ، وإنما هي حقيقة من الحقائق . وإن أراد الدكتور طه أن يساجلني فأنا حاضرٌ للسجال ، ومعي العقل الذي ثقّفه الدكتور طه يوم كان أستاذي بالجامعة المصرية

هدية نفيسة

كان من المألوف بيني وبين الدكتور طه أن نتقارض الهدايا العلمية والأدبية ، قبل أن تدور الدسائس بيني وبين هذا الأستاذ الجليل ، وأنا أريد اليوم أن أقدم إليه هدية أرجو أن يتقبلها مني

قال في كتابه « مستقبل الثقافة » : إن عقلية مصر عقلية يونانية ، وإنه لا بد من أن تعود مصر إلى احتضان فلسفة اليونان .

وأقول إن الأفضل أن يعترف الدكتور طه بأن الفلسفة اليونانية منقولة عن الفلسفة المصرية ، وإذن يكون تقبّل مصر لفلسفة اليونان ترحيباً بآراء مصرية رجعت إلى أهلها بعد طول الشتات

طفولة الإنسانية

أفى الحق أن العقل الإنسانى لم ينضج إلا فى القرن الرابع قبل المسيح ؟ هذا سؤال لم يخطر للدكتور طه فى بال

العقل الإنسانى نضج ونضج قبل الوثنية اليونانية بأزمان وأزمان ، وكان مصدر نضجه فى مصر التى سبقت اليونان بأجيال وأجيال

وأقول مرة ثانية إنى لا أتعصب لبلادى ، فليقل من يعرف أكثر مما أعرف إن مصر سُبقت إلى إذاعة الفكر والعقل عند القدماء ، على شرط أن يقدم البراهين

أنا لا أوجب نظرياً أن تكون مصر أول أمة رفعت أعلام الحضارة الإنسانية ، فمن المحتمل أن تكون سُبقت بأمم سكتَ عنها التاريخ ، ولكن التاريخ المكتوب يحدثنا أن مصر أول أمة رفعت أعلام الحضارة الإنسانية ، فما الذى يمنع من أن يتلطف الدكتور طه فيقول كما تقول الوثائق بأن مصر سبقت اليونان إلى رفع قواعد المدنية فى أقدم عهود التاريخ .

أنا لا أبتكر وإنما ألخص ما قرأت ، بدون أن أزعم أنى أقدر من الدكتور طه على التلخيص ، وإن كان من حقى أن أزعم أنى قرأت أكثر مما قرأ فى تاريخ تلك العهود

اليونانيون تلاميذ المصريين ، والبلاد المصرية فى جميع الأزمنة أخصب من البلاد اليونانية ، بدليل أن مصر كانت الملاذ لليونان فى الفكر والمعاش ، ولم يثبت يوماً أن مصر احتاجت إلى الاستظلال بظلال اليونان

والتاريخ القديم يؤيده التاريخ الحديث

لم تستطع اليونان بعد ظهور الإسلام أن تكون أمة تسيطر على الشرق أو الغرب ، وهى قد جهلت تاريخها القديم وجهلت مبادئ فلاسفتها القدماء ، وجهلت أيضاً لغة سقراط ، فجدها رهين بتعصب أنصارها من الأوربيين

أما مصر فقد وقفت وقفة أبية فى رد الحروب الصليبية ، وذلك موقف لن ينساه التاريخ

معذرة يا أستاذى ، فقد بدا لى أن أرد إليك بعض ما أسديت إلىّ من جميل

بين الإيجاز والإطناب

أطنب الدكتور طه حين تحدث عن قادة الفكر فى العصر اليونانى ، ثم أوجز إيجازاً مخلاً حين تحدث عن قادة الفكر فى العصر الإسلامى ، فهل يرى أن الصراع الفكرى فى عهود الوثنية كان أقوى من الصراع الفكرى فى العهود التى احتدم فيها النضال بين الإسلام والنصرانية ؟

يرجع السبب فى الإيجاز والإطناب إلى الكتب التى كانت بين يديه وهو يؤلف كتابه اللطيف ، وأهمها كتاب ليون روبان فى تأريخ الفكر اليونانى

ولو كانت الأقدار قضت بأن يظهر كتاب يؤرخ الفكر العربى لكان من المؤكد أن يصول الدكتور طه صولة القادر على شرح ما قام به العرب فى رفع القواعد من الحضارة الإنسانية

لقد قرر أن الإسكندر غرس الفكر اليونانى فى الهند ، مع أن الإسكندر لم يلم بالهند إلا إلمامة الطيف ، فما عساه يقول لو تذكر أن الفكر العربى تغلغل فى أرجاء الهند ، وما زال يتغلغل بفضل المذاهب الإسلامية ؟

أهم فصول الكتاب

الفصل المكتوب عن هوميروس خفيف الوزن ، ويقرب منه الفصل المكتوب عن سقراط ، ثم تجلت قدرة المؤلف على البيان حين تحدث عن أفلاطون وأرسطاطاليس ، وسيُسأل الطلبة حتماً عن هذين العبقريين ، لأنهما المنشئان الأصيلان للفلسفة اليونانية

أما الفصل المكتوب عن الإسكندر فهو غرة الكتاب ، ولعله من أجل ما كتب الدكتور طه حسين . وأهمية هذا الفصل ترجع إلى براعة المؤلف فى تصوير قدرة الفلسفة حين تنتقل إلى الميادين العملية ، وكذلك يقال فى الفصل الخاص بجبروت يوليوس قيصر ، وما استطاع أن يصنع فى إيقاظ الرومان

والفصل الخاص بالعصر الحديث موجز جدًّا ، ولكنه جيد ، ففيه لمحات فكرية على جانب من الجمال

أما بعد فكتاب « قادة الفكر » أوضح من أن يحتاج إلى توضيح ، وأنا أوصى الطلبة بأن يقرأوه مرات ، لأن محصوله مبدد غاية التبديد ، ولا يمكن إدراك مرامى المؤلف إلا بعد طول النظر فيما بعثر من المعانى هنا وهناك

وأنا حاضر لشرح ما يستغلق على الطلبة الذين يختارون هذا الكتاب للامتحان الشفوى .

زكى مبارك

٤ ـ الشعر المرســـل

دراسات الأستاذ أبي حديد وملحمة

الأســتاذ دريني خشبة

وقبل أن أعرض على القراء الأفاضل ، وأصدقائي الشعراء منهم خاصة ، نماذج مما نظم روّادنا الأوائل في الشعر المرسل ، وفي مقدمتهم الثائر الأول الأستاذ محمد فريد أبو حديد ، ثم الأساتذة : على أحمد با كثير ، واحمد فريد أبو شادى ، وخليل شيبوب ، ومن عسينا أن نعرض لهم من شعرائنا فيما بعد ... قبل أن أعرض هذه النماذج أرجو أن أذكر القراء والشعراء على السواء أن الشعر المرسل لا يستعمل إلا في الروايات التمثيلية والملاحم والقصص الطويلة بأنواعها ، وأرجو أن أذكرهم أنهم حينما يتفضلون بقراءته فواجب ألا يقفوا عند آخر البيت أو السطر يتلمسون الفقيد العزيز الذى ضُحِّي به في هذا الشعر ... هذا الفقيد الذى ما اخترع الشعر المرسل إلا للتخلص من شره .. هذا الفقيد هو القافية

يجب ألا يقف القراء عند آخر كل سطر يتلمسون هذا الفقيد الذى يحسن ألا يعز عليهم مغيبه ، بل يجب أن يقرأوا هذا الشعر المرسل على أنه كلام موزون لا ينتهى عند آخر البيت أو السطر ، ولكنه ينتهى عند ما ينتهي الغرض من الكلام أو الغرض من الحوار ... فالكلام جارٍ Running ما جرى الحوار ولا يقف إلا عند نهاية المنظر ، وليس يقف أجزاء أجزاء عند القافية كما هى الحال في الشعر الغنائى

وقد اتخذ الأستاذ أبو حديد ـ الشطر ـ وحدة له في شعره المرسل ، وكذلك الأستاذ با كثير ؛ أما الأستاذ أبو شادى فقد جعل البيت كله وحدته في أكثر ما نظم ، ولذلك يضطر قارئ شعره إلى الوقوف آخر كل بيت ، وعند ذلك يشعر القارئ أنه يبحث عن الفقيد العزيز أو غير العزيز ، وهو القافية ، وعند ذلك أيضاً يشعر القارئ بخيبة أمل شديدة لاختلال الموسيقا واضطرابها ... أما الأستاذ شيبوب فقد سلك طريق الشعر الحر ، وذلك بعدم الارتباط بعدد التفعيلات في كل سطر ، لكنه بالغ في تمدد البحور مبالغة شديدة ، وفى ذلك من التنافر ما فيه ، مما سوف نعرض له في فرصة أخرى إن شاء الله

مقتل سيدنا عثمان

ذكرنا في الكلمة السابقة أن الأستاذ أبا حديد نظم هذه الدرامة سنة ١٩١٨ وأنها لذلك أول أثر عربى كبير كامل في الأدب العربى ـ أو الأدب المصرى ـ بالشعر المرسل ، وأنها لهذا السبب جديرة بالدراسة وجديرة بحسن الالتفات . وموضوع الدرامة يتناول تلك المأساة الباكية التي يدمى لها فؤاد كل مسلم ... المأساة التي غيرت وجه الإسلام وذهبت بحرية الشورى التي بشر بها محمد ... المأساة التي قسمت المعسكر الإسلامى وشقت وحدة المسلمين ، وجعلت من أعظم صحابة أعظم نبى فرقاً ممزقة ، ولبستهم شيعاً وأحزاباً ، وأذاقت بعضهم بأس بعض ... فأغمد المسلم سيفه في صدر أخيه المسلم ، وانتهى الأمر بأن أصبحت إمارة المؤمنين ملكاً عضوضاً وعهداً مفروضاً لا رأى فيه لأحد إلا ما تنتزعه القوة من بيعة تفرضها السيوف المُصْلتة ، ويرفضها الدين المختنق ، وتأباها الضمائر المكبوتة ، ولا تباركها السماء

ويبدأ الفصل الأول من المأساة بحوار بين جماعة من المسلمين الحانقين على سياسة عثمان — رضى الله عنه وغفر له — يشكون مما وصلت إليه الحال من استعمال أمير المؤمنين أهله وأقاربه على الولايات ، وعزله عمال عمر وأبى بكر ، ثم نزوله عن خمس مغانم الحرب لبعض الأفراد من بنى أمية ، نزولاً قال عنه عثمان إنه بيع وليس نزولاً ... ثم يقبل مروان بن الحكم — هذا الداهية المسلط على عثمان — مع الشاعر عدى الأموى ، فيدور بينهما حوار يغريه فيه مروان بإثارة العصبية القَبَلية الجاهلية التي محقها الإسلام وعفّى على آثارها ، ويمنيه مروان الأمانى ، فيمده عدى خيراً وينطلق ، ويقول مروان :

أصبح الناس يداً واحــدةً
كلهم يرمى إلى قلب أميــةْ
إن للحاسد قلباً قلقاً
لا يرى الراحة ما دام يرى

أثراً للخير فى كف سواه
ما يودون ؟ أكنا همــــلا
ثم أصبحنا سراةً فى قريش ؟
فلئن بات لنا الأمر فقــد
كان فينا مثله فى الجاهلية
إنمـا يسمون فينا عبثـاً
وسيبقى مجدنا ما دام سيف

ثم يقدم خادم فيعطيه مروان بدرة من المال لينطلق بها إلى الشاعر عدى كى يمدح بنى أمية فى (نادى أسد) ، ثم يقدم عثمان فى بعض أصحابه ومنهم على والزبير فيدور حوار نعرف منه أن علياً خبير بمـا كان يدبره مروان بن الحكم من حصر السلطة فى أيدى الأمويين مستعيناً على ذلك « بسلامة نية ! » عثمان ، ويزجى على النصح لعثمان ، وينهى إليه خبر الشكاوى التى جاءت بها بعض الوفود القادمة من أطراف الإمبراطورية الإسلامية الناشئة فيعد عثمان بتدارك الحال ، وينطلق على والصحابة ويخلو مروان إلى نفسه فيبدى حنقه على إصغاء عثمان لعلى ... ثم يأتى البشير بالفتح وقرب وصول خمس المغانم ، ثم يلى هذا حوار بين نفر من الناقمين على مروان وعلى وعثمان وعلى الأمويين أجمعين ، وفى الحوار غمز شـديد لاستسلام عثمان لمروان

وفى الفصل الثانى يحاول مروان إيغار صدر عثمان على على والزبير وعبد الرحمن بن عوف لما رأى من إقبال الشاكين من عمال عثمان الأمويين عليهم وتدخل على والزبير وابن عوف عند عثمان فيما زعم مروان أنه لاشأن لهم فيه ، وتؤثر وقيمة مروان فى نفس عثمان ، فهو يقول بعد ذهاب مروان :

إن فى القول لحقاً ظـاهراً
كان من قبلي على الناس عُمَر
فتولاهم بعنف ، ورضـــوا
مثلمـا يسلس للحادى البعير
ولقـد كنا نرى الرأى فلا
نحمل القول على غير المشورهْ
وأرى قوى مضوا فى غير هذا
فيسير النـاس بالشكوى إليهم
فيجيئون بشكوى وبلومْ

ولعمرى إن من لان تدنى

ثم تصل جماعة من مصر تشكو عبد الله بن أبى السرح ومعهم على بن أبى طالب الذى يظهر تبرمه لمـا ساد النواحى من ظلم عمال عثمان من بنى قرابته ، ويثور عثمان على على الذى يشتد فى نقده له :

كل يوم وافد من ناحيــهْ
فبمصر أفسد الظلم البـلاد
وعلى الشـام أمـير تكليفهْ
ويضج الناس من حكم العراقْ
وهنا دب الهوى وسط المدينهْ

فيقول عثمان :

ما الذى أسمع ؟ هل كنت ترى
لك هــذا الحق أيام عمر ؟

فيقول على :

أى حق ؟ أتظن النصح حقاً ؟
ما الذى أجنيــه إلا نصبا
إنمـا أقصد خـيراً ، فإذا
كنت تأباه فلن أذكر شيئاً

فيضعف عثمان ويغلب عليه عامل الخير والوفاء والإيمان فيقول :

ليس قصدى كل ما هم بنفسك الخ

فيقول على قولة الحق الذى لا يبالى :

أنت قد أصبحت فى بيت أميهْ
مثلما كان ملوك الجاهليــهْ
أفلا تبصر ما كان عمر ؟
إنه ما كان يرضى درهما
يتولاه نسيب فوق حقــه
ولقـد أفسحت آمالاً كباراً
لبنى جـدك رغم المسلمين
أترى هذا صلاحاً للخلافة ؟

فيقول عثمان :

ذاك رأيى ، ولـكل ما يرى

فيقول على غاضباً :

إننى لولا حفـاظى لقطعتك

ستراني باعداً عن كل أمرك

ثم يخرج ثائراً فيقول عثمان حزيناً :

ساءه ما قلت — والله لقد
هاجني ما قال مروان بشأنه
قبح الله حياة الطامعين الخ ...

وفي الفصل الثالث تجتمع فرق من الساخطين من كل صقع فيعزمون أمرهم على الشكوى لعبد الرحمن بن عوف ، فإذا خرج أكثرهم دخل عثمان ومروان ، ويسأل عثمان عن علي ثم يخبره أحد الحاضرين عما تم بنادي أسد من تفاخر كتفاخر الجاهلية وما انتهى إليه هذا التفاخر من إحياء العصبية الجاهلية التي أراد مروان بإحيائها التفاخر الكاذب بأمجاد الأمويين قبل الإسلام وستر تأخرهم في اعتناق الدين الجديد . وينصرف عثمان لزيارة علي ... ويقبل عبد الرحمن بن عوف في جماعة من المتذمرين الذين يذكرون له أنه كان السبب في اختيار عثمان للخلافة برغم الإجماع على اختيار علي ، فيهدئهم حتى يقبل عثمان ومعه مروان أيضاً فيلاحيه ابن عوف ، فإذا سأله عثمان أجاب أنه لا يذكر شيئاً حتى تنصرف الجماعة . فإذا انصرفت بقي مروان كالذي لصق بالأرض فيأمره عثمان فينصرف متلكئاً وبعد أن يراوغ ، ثم يقول ابن عوف لعثمان مثل الذي قال له علي من الانحراف إلى بني أمية ، ويشتد الصاحبان ، ثم ينصرف ابن عوف غضبان آسفاً ... ويتألم عثمان بل يحزن لانصراف صاحبه على هذا الوجه

وفي الفصل الرابع يكون عثمان ومروان في مسجد النبي بالمدينة ، ويشير عليه مروان باتخاذ الحيطة واستدعاء بعض الأجناد — أجناد بني أمية — من الشام ليكونوا له عدة ضد التألبين — فيرفض عثمان — ثم يصل وفد كبير من مصر يشكو ، فيصرفه عثمان بعد أن يعده خيراً ، فإذا خرج عثمان لحاجة له عند سعد قال مروان :

رب هل هذا أمير الأمم ؟
لا ! فما للأمر إلا رجل
شائك الحد شديد الساعد
إن عثمان ملاك زاهد
يصلح الأمر له لو أنه
حاكم في أمة من زاهدين

غير أن الناس ما زالوا أناسا
إنه لو ضاع عثمان فلا
يرجع الأمر لنا من بعده
وجب الآن علينا أن نرى
كيف نبقي الأمر في قبضتنا

ويهم بالخروج فيسمع لغطاً وضوضاء ، وإذا عثمان يرتد ويذكر لمروان أن التألبين أخذوا عليه الطرقات هاتفين متصايحين . ثم يدخل علي فجأة فيفرح به عثمان ويوسطه في إرضاء الأحزاب على أن يصلح من الأمر كل ما فسد ويتدارك كل ما يشكون منه

وفي الفصل الأخير تتم المأساة . فذان هما الحسن والحسين ابنا علي يذودان عن دار عثمان بسيفهما ، وذلك وفد يجادل عثمان في أمر خطاب زائف ضبطه الثوار مع رسول الخليفة يأمر والي مصر بقتل رؤوس التألبين وعلى الخطاب خاتم عثمان ... لكن عثمان ينكر الخطاب ويخبرهم أنه إنما أمر بعكس هذا ، فإذا أقنعه رجال الوفد بأن هذا المنكر من صنع مروان وأنه لا بد من تسليمه إليهم رفض أمير المؤمنين رفقاً بمروان الذي لم يكن يستأهل ذرة من هذا الرفق — ثم هذا مروان يشير على الخليفة باستعمال الأناة والمكر حتى يقدم جيش الأمويين من الشام فيقضي به على جميع التألبين فيرفض عثمان أن يقتتل المسلمون في عهده . ثم هذا نبل يسقط قريباً من عثمان فلا ينخلع قلبه . ثم هذا محمد بن أبي بكر صديق الرسول يقبل وقد قبض على سيفه يريد قتل عثمان ، فإذا أخذ بلحية الأمير الشيخ ناقماً مستهزئاً ذكره عثمان بمقامه من أبيه أبي بكر فيرتعد فؤاد محمد ، ثم يولي هارباً . ثم يدخل متآمر ثان فيهم بقتل عثمان وتدخل نائلة (زوج عثمان) فتحاول الدفاع عن أمير المؤمنين فيأمرها أن تكف ، ثم يرفع كتاب الله ... القرآن الكريم ... في وجه الثائر ويقول له :

إن عندي شاهداً لا يكذبُ
أترى هذا الكتاب ؟ !

فترتعد فرائص الرجل ويولي الأدبار . . . ثم يدخل متآمر ثالث قائلاً :

لن أضيع الوقت في قول طويل
خوف أن تسحر قلبي بحديثك

ثم يهوى بسيفه فيتلقاه عثمان بيده فيقطعها ، ثم يهوى عليه فيقتله غير حافل بدفاع نائلة . . . ثم يحاول قطع رأسه فتدفعه نائلة ؛ فيمضى لشأنه ، وتقف نائلة تبكى زوجها وترثى أمير المؤمنين

* * *

هذه هى مأساة عثمان صنى رسول الله الذى جاهد فى الله بماله وجاهه وروحه ويده . . . اختارها أبو حديد الشاب سنة ١٩١٨ ليفتح بها ثورته على تقاليد ألفين من السنين ... أو عشرين قرناً من السُّنن العتيقة التى فرضتها علينا القوافى العربية الصارمة . فهل وفق أبو حديد فى هذه المحاولة ؟

لقد اختار أن ينظم من (الرَّمَل) : فاعلاتن فاعلاتن فاعلن — وهى التفعيلات السائدة فى الشطر الأول لهذا البحر ، ثم هو لم يستغن عن تفعيلات الشطر الثانى (العَجُز) ، فكان يأتى في مكان فاعلن الأخيرة بكل التفعيلات التى يبيحها عروض هذا البحر ، فهو يستعمل فاعلاتن وفاعلان وغيرهما مما لا يتنافر وموسيقا الرمل السهلة اللينة التى تيسر للناظم عمله فى غير التواء ولا تعقيد . وسنرى عند عرض درامتيه الأخريين ، ميسون — خسرو وشيرين — أنه ترك هذا البحر ونظم من (الخفيف) = فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن : وسنرى كذلك إلى أى حد وفق فى استبدال هذا البحر بذاك . على أننا نتساءل ما الذى منع أبا حديد من أن يُلوِّن فى استعمال البحور العربية الأخرى . لماذا لم يستعمل المتقارب الموسيقى الجميل ، ولماذا لم يجرب الطويل السهل الذى هو أقرب البحور إلى النثر مع امتيازه بطول النفس ؛ ولماذا غض من قيمة الوافر والكامل والبسيط والسريع وغيرها من بحور عروضنا الفنية الوسيقية ذات الطنين وذات الرنين . إن الشعر المرسل فى حاجة ماسة إلى ما يعوضه عن القافية موسيقا بموسيقا ، وأنغاماً بأنغام

للأستاذ رأيه على كل حال ، وإن كنت أوثر ألا يقطع شاعر فى بحر برأى حتى يجرب النظم منه ، لا مرة واحدة ، ولكن مرات متعددات ، أما أن نقطع بأن هذا البحر خير من ذاك لأغراض الشعر المرسل دون أن نجرى من التجارب ما يؤيد ما ذهبنا إليه فتصرف قد يضيع على الأدب المصرى كثيراً من جهود المجاهدين . ولقد ذكرنا فى الفصل الأول من فصول الشعر المرسل أن الشعراء الإيطاليين والشعراء الإنجليز قد انتهوا من تجاربهم على أن البحر الأيامبى Iambic Metre ذى المقاطع العشرة هو أسلس البحور للنظم المرسل ، فهلا أجرينا نحن أيضاً تجاربنا على بحورنا كلها لنكتشف أفضلها لهذا الغرض ؟

وبعد ، فهل تصلح مأساة سيدنا عثمان لمسرحنا المصرى ؟ وهل لا نزال نشفق من إظهار شخصياتنا الدينية ، شبه المقدسة على خشبة المسرح ؟ وهل عندنا الممثلون الصادقون الذين يصح أن نكل إليهم تمثيل هذه الشخصيات ؟ وإن صح أن لدينا الممثلين ، فمن منهم يؤدى دور سيدنا عثمان أحد العشرة الأول من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ عثمان ... هذا الرجل (الطيب !) الذى أجاد أبو حديد تصويره ، كما أجاد تصوير على . هذا الناصح الحازم الأمين ؟ ثم عبد الرحمن بن عوف ! هذا الصحابى العظيم الصريح ...

أما صلاحية المأساة لمسرحنا فأمر لا مراء فيه ، فهى حافلة بالمشاهد الجليلة التى تزلزل القلب ، والتى صورها أبو حديد ، فأحسن تصويرها ، وإن يكن قد عجل فى بعض المواقف التى كانت تقتضى الإطالة ، وأوجز حيث كان ينبغى الإطناب .

أما مظنة الإشفاق من إظهار شخصياتنا الدينية على المسرح فلم يعد هناك ما يبررها ، وما دمنا نأخذ بأن الأعمال بالنيات وأن لكل امرىء ما نوى ؛ وما دمنا ، كما ذكرت فى مناسبة سابقة ، نستثنى شخصيات الأنبياء استثناء مؤقتاً . . . ولعل الجامعة الأزهرية التى أخذت تفهم روح العصر وتستجيب للنداء الجديد الذى هو فى الأصل نداء الإسلام الحق ، أن يكون لها مسرحها الدينى فى المستقبل القريب ، فتكفينا شر الخلاف فى هذا الموضوع

أما ممثلونا ، فأنا شديد الإيمان بمقدرتهم خصوصاً إذا مثل معظمهم دور مروان بن الحكم والأدوار الأموية !!... على أن لدينا من المخرجين المثقفين الذين أشربوا الروح الإسلامى ما يضمن لنا خلق الملائكة من أولئك الشياطين !

بقيت كلمات عن لغة المأساة ، وعن مطابقة وقائعها لما انتهى إليه المحققون من مؤرخى التاريخ الإسلامى ، وعن الروح التى أملت على المؤلف اختيار هذا الموضوع بالذات

فأما لغة المأساة فمتوسطة ؛ ولن يضير أبا حديد الشاب الذى نظمها سنة ١٩١٨ أن يقال هذا فى لغة مأساته . وسنقول إنه كتب خسرو وشيرين بأسلوب أحسن سنة ١٩٣٣

أوزان الشعر

٢ ـ الشعر الأوربى

للدكتور محمد مندور

الشعر الارتكازى

نأخذ لهذا النوع بيتاً من الشعر الإنجليزى وليكن مطلع « مرثية فى مقبرة بالريف » لتوماس جراى .

the curfew tolls the knell of parting day(١)

نجده مكوناً من ست تفاعيل إيامبية وكل تفعيل مكون من مقطع غير مرتكز عليه ومقطع آخر مرتكز عليه . وإليك وزنه مع رمزنا للارتكاز بالعلامة (ـ) وترك غير المرتكز عليه بدون علامة :

the cùr-few tòlls - the knèll - of pàr-ting dày(٢)

وما على القارئ الذى يريد أن يحس بوزن البيت إلا أن يقرأه مع المرور بخفة على المقطع الغير المرتكز عليه والضغط على المقطع الذى يحمل الارتكاز

(١) ترجمته : « دق ناقوس المساء ينعى النهار المدبر »

(٢) الانجليز يضمون حرف r إلى f وأل t فى المقطعين الثالث والسادس ولكننا جارينا التقسيم العلمى

ومن البين أن ما يميز هذه المقاطع بعضها عن بعض ليس كما كما قال الأستاذ خشبة بل الضغط الواقع على بعضها . وأما أن هذا الضغط قد يزيد من كم المقاطع التى يقع عليها فهذه مسألة تابعة لا يمكن أن تغير من طبيعة هذا الشعر الذى يعتبر إيقاعياً قبل كل شىء . ومن الملاحظ بوجه عام أن اللغة الإنجليزية بوجه عام لغة إيقاع إذا قيست بلغة سيالة كاللغة الفرنسية .

الشعر المقطعى

هذا النوع من الشعر خاص باللغة الفرنسية ، وسبب وجوده هو ما أشرنا إليه من قبل . فاللغة الفرنسية كما هو معلوم تطور للغة اللاتينية على نحو ما تطورت لغتنا العامية عن اللغة الفصحى مع المحافظة على النسب . ولقد كانت اللغة اللاتينية كما رأينا لغة كمية تتميز مقاطعها بعضها عن بعض بالطول والقصر ، ولكن اللغة الفرنسية فقدت هذه الخاصية كما فقدت الارتكاز أيضاً . فكل لفظة لاتينية كانت فى العادة تحمل ارتكازاً على المقطع السابق للأخير ، وذلك ما لم يكن هذا المقطع قصيراً فإن الارتكاز يسمو فى هذه الحالة إلى المقطع الثالث من الآخر . ولكن هذا الارتكاز سقط من الفرنسية بسقوط الكثير من أواخر الكلمات اللاتينية الأصل

فقدت اللغة الفرنسية إذن الحكم والارتكاز . فعلى أى أساس يقوم إذن الشعر فيها ؟ والواقع أن موسيقى الشعر الفرنسى ليست فى جوهرها موسيقى إيقاع ولكنها موسيقى سيالة دقيقة ، ومع ذلك فالأمر فيها ليس أمر مقاطع متشابهة . كل عشرة . أو اثنى عشر أو غيرها تكون بيتاً من الشعر . بل لا بد أن يكون هناك تقسيم لهذه المقاطع فى وحدات موسيقية إيقاعية إلى حد ما . فالوزن الأسكندرى مثلاً ينقسم عند معظم الشعراء الكلاسيكيين إلى أربع وحدات كبيت راسين :

Oui, je viens | dans son temple | adorer | l'eternél.(١)

وفيه نرى كل تفعيلة مكونة من ثلاثة مقاطع (حرف e فى آخر كلمة temple يحذف فى القراءة) . ولكن هذه المقاطع لا يتميز بعضها عن بعض بكم ولا ارتكاز ، وإنما يأتى الإيقاع من وجود ارتكاز شعرى على آخر مقطع من كل تفعيلة

(١) وترجمته : « نعم . لقد أتيت أعبد الرب الخالد فى معبده »

ويسرنا أن نقرر مع هذا أنه لا يوجد فى أسلوب أبى حديد الشاب إسفاف قط

وأما مطابقة وقائعها للحقائق التاريخية فقد حاك فى نفسى شىء من ذلك ، ولو أننى أكتب فى غير موضوع الشعر المرسل لخضت فى هذا الحديث . وقد يكون فى كلامى على هذا النحو شىء من التشكيك أظلم به المؤلف ... ولكن . ليطمئن .. فلم ينته المؤرخون فى أمر عثمان وعلى ومعاوية بشىء ، ولا يزالون مختلفين ...

أما الروح التى أملت المأساة ، فهى من غير شك فخر الشباب المصرى المؤمن المسلم الحديث ... الشباب الذى يؤمن بأن مأساة عثمان هى مأساة العالم الإسلامى كله .

دريني خشبة

(يتبع)

وقد رمزنا له بالعلامة (—). وهذا الارتكاز كما قلنا ارتكاز ضغط وارتفاع معاً فى التفاعيل الثلاثة الأولى وارتكاز ضغط فقط فى التفعيل الأخير لسقوط الصوت عند الوقف

هذا هو التقسيم الثالث عند الكلاسيكيين (١). وأما الرومانتيكيون فقد اعتزوا بالتقسيم الثلاثى، ففكتور هيجو نفسه قد افتخر بتمزيق أوصال الوزن الكلاسيكى لهذا البحر فى بيت ثلاثى شهير هو:

J'ai disloqué ce grand niais d'alexandrin. (٢)

وهو مقسم كما ترى إلى ثلاث تفاعيل، كل تفعيل أربعة مقاطع. وأما عن الإيقاع فيأتى من الارتكاز على أواخر الجمل كما ذكرنا بالنسبة للبيت السابق

هذا والتفاعيل الفرنسية ليست دائماً متساوية فى عدد مقاطعها. ولقد كتب الأستاذ الكبير جرامو Grammont كتاباً هاماً جداً بعنوان Le vers français, son harmonie et ses moyens وفيه يظهر أن التفاعيل الفرنسية وإن لم تكن متساوية فى الكتابة إلا أنه من الواجب أن نقرأها كأنها متساوية. فعدم التساوى هذا قد ساقت إليه غريزة الشعر عند الموهوبين من الشعراء عند ما أحسوا أنه لا بد من أن تسرع القراءة أو تبطئ لتترجم ترجمة صحيحة عن مشاعرهم المتباينة. وإذن فمن واجب القارئ أن يسوى بين التفاعيل فى كمها الزمنى ثم يبحث بعد ذلك عن العلة فيما اضطر إليه من إسراع أو تباطؤ

هذه هى أنواع الشعر الأوربى الثلاثة: كمى وارتكازى ومقطعى. ومن الممكن أن نستخلص منها عنصرين عامين يقوم عليهما كل شعر وهما ١ — الكم ٢ — الإيقاع

أما الكم فنقصد به هنا كم التفاعيل التى يستغرق نطقها زمناً ما. وكل أنواع الشعر لا بد أن يكون البيت فيها مقسماً إلى تلك الوحدات. وهى بعد قد تكون متساوية كالرجز عندنا مثلاً، وقد تكون متجاوبة كالطويل حيث يساوى التفعيل الأول التفعيل الثالث والتفعيل الثاني التفعيل الرابع وهكذا

ولكن هذا الكم الذى يسمى فى الموسيقى mesure لا يكفى لكى نحس بمفاصل الشعر. فلا بد من أن يضاف إليه الإيقاع المسمى rythmc

ولكى نضمن تحديد الفهم نعرف الإيقاع؛ فهو عبارة عن رجوع ظاهرة صوتية ما على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة. فأنت إذا نقرت ثلاث نقرات ثم نقرت رابعة أقوى من الثلاثة السابقة وكررت عملك هكذا تولد الإيقاع من رجوع النقرة القوية بعد الثلاث نقرات الأولى، وقد يتولد الإيقاع من مجرد الصمت بعد الثلاث نقرات الأولى

لا بد إذن أن تكون هناك ظاهرة صوتية متميزة تحدث فى أثناء نطق كل تفعيل وتعود إلى الحدوث فى التفعيل الذى يليه. والأمر فى الشعر الارتكازى واضح. فالارتكاز نفسه كما يميز بين المقاطع يولد كذلك الإيقاع. وأما الشعر الكمى فقد أحس القدماء بأن مجرد عودة مقطع طويل بعد مقطعين قصيرين مثلاً لا يكفى لإيضاح الإيقاع فدلونا على أن هناك ارتكازاً شعرياً يقع على مقطع طويل فى كل تفعيل ويعود فى نفس الوضع تقريباً من التفاعيل الأخرى. وكذلك الأمر فى الشعر الفرنسى فهم لم يكتفوا بتقسيم البحر الإسكندرى مثلاً إلى تفاعيل متساوية فى الكتابة والقراءة معاً أو القراءة فحسب، بل أضافوا إليه وجود ارتكاز ضغط وشدة، أو ضغط فقط فى آخر كل تفعيل وعودة هذا الارتكاز على مسافات زمنية محددة هو الذى يولد الإيقاع. ولكنه لما كان إيقاعاً قليل المدد خفيف الوقع، فإن الشعر الفرنسى لا يعتبر بالنسبة للشعر الإنجليزى مثلاً شعراً إيقاعياً بل شعراً سيالاً كما قلنا

والآن أين يقع الشعر العربى من كل هذا؟ للجواب على هذا السؤال يجب أولاً أن ننقض مذهب الخليل من أساسه وهذا ما سنحاوله فى المقال الآتى.

محمد مندور

---

(١) يسمى الأستاذ الزيات الكلاسيكيين بالأتباعيين والرومانتيكيين بالابتداعيين ولكنهم جميعاً كانوا فى الحق أتباعيين. الكلاسيكيون أخذوا عن اليونان واللاتين، والرومانتيكيون أخذوا عن القرون الوسطى أى من الأدب الرومانى وهو ذلك الأدب الذى كتب باللغة أو اللغات الرومانية langues romanes واللغة الفرنسية إحدى هذه اللغات. فالرومانتيكيون قد فضلوا أن يستوحوا أدبهم القومى فى القرون الوسطى بدلا من الرجوع إلى قدماء الأغريق واللاتين وهذا هو سبب تسميتهم بالرومانتيكيين

(٢) وترجمته: « لقد مزقت هذا الأبله الكبير المسمى البحر الأسكندرى »

الفاكهة المحـــرمة

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

مَن هذه التي أتشهاها وهي مني قريبة ، وأتمناها وهي على قيد خطوة ، وأحلم بها وهي على مرأى ومسمع ، وأدنو منها فلا أقترب ، وأملأ منها يدي ، فإذا يداي منها فارغتان ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٢ —

من هذه التي تلوح كالسراب ، تظمىء الحس وتروي الخيال ، وتطمع النفس ونيلها محال ؛ وتتراءى قريبة مني أبداً ، بعيدة عني أبداً ، كأنها خارجة من قيود الزمان والمكان ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٣ —

من هـذه الأسطورة الخرافية ، التي لا تتجسم في حياتي فتريحني ، ولا تنأى عن طريقي فتريحني ؛ ولكنها تتخايل لي حيثما توجهت ، تسد الطريق على سواها ومكانها خلاء ، وتدعني هكذا في الحياة معلقاً بين الأرض والسماء ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٤ —

من هذه التي تبعد عني فأشتاقها ، وتقرب مني فأشتاقها ، وأهرب منها لأعوذ بها ، وأبلغ نهاية السخط لأبلغ غاية الرضى ، وتختلط أحاسيسي بها فتفقد أسماءها التي تعرفها اللغة ويتعارفهـا الناس ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٥ —

من هذه التي تزدحم نفسي بالخواطر حولها ، فإذا تحدثت إليها تحدثت في تفاهات لا صلة لها بهذه الخواطر ، فإذا هذه التفاهات مليئة ثمينة ، وإذا في هذه التفاهات ريّ وشفاء ، كأنما انسابت فيها تلك الخواطر ، فأفعمتها نبضاً وحياة ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٦ —

من هذه التي أسمعها تضحك أو تقفز من بعيد ، فيشع ذهني بالسنى ، وتفيض نفسي بالحياة ، وتُطيف بي رؤى من السعادة . وأراها ذابلة أو هامدة ، فأتهالك وأنهدّ ، وأحس بوقر السنين على عاتقي ؛ وأعجز عن مواجهة الحياة ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٧ —

من هذه التي لها حساب معلوم في كل ما أفكر وكل ما أقدر ، وكل ما أرسم من خطة أو أتخيل من رجاء . فما أستطيع أن أتصور الحياة إلا وهي معي ، وما أستطيع أن ألمح خطوي إلا وخطوها معي ؛ فإذا حاولت أن أتخيل لها طريقاً غير طريقي تشتت الذهن واضطرب الخيال ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٨ —

من هذه التي أحس من أعماقي أنها خلقت لي وأنني خلقت لها ، فإذا أنا حاولت تجسيم هذا الإحساس ، قامت في وجهي المراقيل ، واعترضت سبيلي الأشواك ، وهتفت بي من اتجاه : مكانك !

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٩ —

من هـذه النابتة في ضميري كما تنبت الزهرة في الغصن ، الشائعة في كياني كما يشيع الدم في الجسم ، المتغلغلة في حياتي كما تتغلغل الحياة في الأحياء ، المنتشرة في عالمي كما تنتشر الظلال والأضواء ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٠ —

من هذه التي لا يؤذيني أن أراها تألم لأجلي ، ويلذ لي أن أراها تألم لأجلي ؛ وتتوالى على حسي ضروب المشاعر التي تتوالى على حسها كالترمومتر الحساس ، وتنعكس على نفسي ظلال خطراتها الخفية في شتى الأحوال ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١١ —

من هذه التي ينطلق في كياني تيار من الكهرباء حين أمسّها

فى لمسة ، أو التقى بها فى نظرة ، أو أحلم بهـا فى خيال ؟ فإذا كيانى كله يهتز ، وتمتزج فيه الأحاسيس المتضادة ، وتتوفر فيه المشاعر والجوارح ، ويشتمل فيه الحس والوجدان ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٢ —

من هـذه التى أكره الحياة من أجلها ، وأحب الحياة من أجلها ، واندفع فى كل اتجاه ثم أعود فى النهاية إليها ، أستمد منها الحياة .

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٣ —

من هذه الصبية العجوز ، التى ترنو كطفلة ، وتتحدث كقهرمانة ، وتشهق بالدمع فتخالها تطلب الحلوى ، وتتعمق الحياة فتحسبها فيلسوفة ، وتفرح بالجديد كالطفل الغرير ، وتزهد فى الدنيا كالراهب الشريد ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٤ —

من هذه التى يخيل إلى فى بعض اللحظات أن أناغيها وأربت عليها لتنام ، وفى بعض اللحظات ألتمس عندها العطف والحنان ، وإنها لصادقة فى الأولى صادقة فى الأخيرة ، وفية للحياة فى جميع الأحوال ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٥ —

من هذه التى أضمها مرة فتخنس كالطفلة ، وأضمها مرة فتنساب كالأفعى ، وأضمها مرة فتنقلب كالغزال ؟ وهى فى كل حالة تفعمنى بالحب والحنان ، وتغمرنى بالفيض والحياة ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٦ —

من هذه القديسة الفجرية فى آن ، الطاهرة الساحرة فى آن العبقرية القلب والجسد ، المثيرة الحس والوجدان ؟ التى يلتقى فيها النبى بالرشد والحيوان بالإنسان ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٧ —

من هذه المشوقة كتمثال فتان ، النسقة كأنها فكرة فنان ، الساكنة كأنها فى خشوع ، المتدفقة كأنها ينبوع ، الهادئة الممات ، الحارة الخلجات ، التى تلتقى فيها الأضداد فى انسجام ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٨ —

من هذه الأنثى بالحس ، الفنانة بالروح ، الراهبة بالفكر ، القديسة بالوجدان ، المخلصة لحواء فى كل آن ، حتى وهى تثور على حواء ، وتسخط على بنى الإنسان ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٩ —

من هذه التى لا أرتوى إلا بها ، ولا أحيا إلا بإشماعها ؟ ثم يقتلنى الظمأ وهى منى قريبة ، وتخذلنى الحياة ويداها إلى ممدودتان ؛ فإذا أنا ثرت على هذا الحرمان ، وتمردت على هذه الحواجز ، قهقه القدر الساخر ، ودوت بضحكه الأرجاء

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٢٠ —

أيها القدر . لماذا وضعتها فى طريقى ، ولماذا جعلتها فاكهة محرمة ؟ إننى أسمع أيها القدر حكمك الصارم الساخر : مكانك ! إنها الفاكهة المحرمة ... وكفى .

سيد قطب

أمتع قصص الحب فى الأدب الفرنسى

الأميرة دكليف

PRINCESSE DE CLÉVES

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ١ —

كان الحب فى القرن السابع عشر ، قرين البطولة وخدين الشرف ؛ فكان إذا هام فؤاد الفارس بمن أحب ، ولذعه الشوق ودلّهه الحب ، عمد إلى البطولة يجعلها ثمناً لحبه ووسيلة إلى هواه ؛ فإذا أوتى العزم الشديد والقلب الحديد ، ونال طيب الأحدوثة وبراعة الفروسة وشرف النقيبة ، وكان خلاً لا يُقرع أنفه ولا يُطعن عليه ، مُتّع بالحب ، وذاق مودة الحبيب

والأميرة دُكليف تمثل ما ذكرته وتبيّن ما وصفته . ولعل من الخير ، قبل أن نقصها عليك ، أن نتحدث عن مؤلفتها مدام دُلافايّيت Mme de La Fayette ، لأن فى حياتها من الطرافة ، ما فى روايتها من الجمال . والحق أنها كانت من نوادر النساء . تلقت فى يفاعتها وصباها أرفع ثقافة يمكن أن تُتلقى فى ذلك الزمان ، فتخرجت على الشاعر المشهور ميناج Ménage فثقّفها وأدّبها . وسرعان ما ظهرت رهافة ذوقها ، ورصانة عقلها ورشاقة كتابتها ، وتخطت العشرين ولمّا تتزوج فاضطرت أن تبحث عن زوج لها فصادفت يوماً الكونت دلافاييت ، وكان كريم المحتد ، طيب العِرق ، ضئيل العقل ، فتزوج بها وحملها إلى مزارعه فى الضواحى ، يبتغى معها عيشاً يقطّعه بالنعيم . ولم يستطع أن يستهويها فلم ترض عنه ، فهجرته وقصدت إلى باريس ، وهناك صادقت هنريت دانجلترة Henriette d'Angleterre فأحبتها ، فكانت تغشى بلاط لويس الرابع عشر وتقطّع الأيام والليالى معها ، حتى إذا قضت هذه ، حزنت عليها ، وجفت البلاط وأهله ، واعتزلت الناس .

وذاع فى باريس صيت مدام دُلافاييت ، وعرفت بذكائها وفطنتها . ولم تلبث أن أصبحت مهوى الأنفس ، وبغية الشعراء والكتاب ، أشباه « هويه Huet » و « ميناج Ménage » و « لافونتين La Fontaine » ولكنها كانت عزوفاً عن كل ضجة ، أنوفاً من الظهور . كانت تحلم بالحب ، وتعجب بالبطولة وكانت تحب الهدوء والسكينة ، تستلقى على سريرها الأرجوانى الموشى ، فيتحلق أصدقاؤها وخُطّابها حوله تفتنهم بالسحر والذكاء ، ويفتنونها بالثناء والإطراء .

وعرفها « الدوق دُ لاروشفوكولد Duc de la Rochefoucauld » ، وكان مغامراً ، يتبع النساء . وكان الناس جميعاً يلهجون بذكره ، وقليل منهم من رآه . فاتصل بها وهى تذرف على الخمسين . تُرى أكان صديقها أم عشيقها ؟ ومهما يكن من أمره ، فقد قضى بقية حياته معها . فكان يزورها فى قصرها كل يوم ؛ وكان فى هذا القصر بركة ينصب فيها الماء ، ونافورة تنفر منها إلى الفضاء ، وخلوة مغطاة بالأعشاب والأزهار . فكانت تقضى الليالى والأماسى معه ، تحت العشب والزهر . وقد تأتى ، بعض الأحايين ، مدام دُ سيفينيه Mme de Sévigné فيجتمعون معاً ، يثرثرون على حفافى سريرها الأحمر الموشى تارة ويتحدثون فى الخلوة المزهرة ، أمام البركة تارة أخرى .

ومن العجيب أنها كانت تنقد حِكَم عشيقها أو صاحبها أحدَّ النقد . كان لديها نسخة منها . وكان تعلق عليها وتكتب فى الهامش « هذا حق ، وهذا جيد » ، فإذا سخرت منه كتبت « هراء ، خلط ، كلام مبتذل ! » . ولقد قرأتُ يوما قوله : « إن ما يسميه الرجال صداقة ، ليس سوى تجارة يكون للأثرة مطمح فيها وربح . . . » . فكتبت بجانبها : « هذا يصح فى الصداقة العامة ، لا فى الصداقة الحق » . وقرأتُ مرة قوله : « مهما ندر الحب ، فإنه أندر من الصداقة الصحيحة » فقالت : « أعتقد أنهما متساويان فى الندرة ، لأن فى الحق حباً ، ولأن فى الحب الصحيح صداقة » . وكتب « إن الذى يجعل كثرة النساء لا يتأثرن بالصداقة ، هو أن الصداقة تصبح لا طعم لها عندما يذقن طعم الحب» . فأجابته : «لا ، بل لأن فى الحب من كل شىء : فيه من العقل ، ومن القلب ، ومن الجسم » لقد تصادقا ، وأثر كل منهما فى الآخر . لقد قالت : « منحنى الفكر ، ولكنى هذبت قلبه وأصلحته ! »

ومن الطريف أن تتمثل هذا الدوق الحكيم ، ذا الوجه الجهم ، والعينين الدرّافتين ، وبجانبه تلك المرأة اللطيفة ، يؤلفان الروايات ، ويتجاذبان أطراف الأحاديث . يذكران أيام لهوهما ، فيقص عليها مغامراته يوم كان ريان الشباب ، وتحدثه عن سحرها يوم كانت فى رونق الصبى

تلك هى قصة حياتها ، وإنها لقصة تثير الأسى . لقد حلمت بالحب والبطولة فلم تذقهما . وأحبت صديقتها هانرييت ففجعها الموتُ بها ؛ ثم هى تاقي لاروشفوكولد ، وقد تقضى شبابه وذوى غصنه . شدّ ما تمنيا لو التقيا فى ريعان صباهما . إذن لروّاها الهوى ولأرته فعلَ السحر .

وفى عزلتها وبجانب لاروشفوكولد ، كتبت مدام دُلافاييت روايتها « الأميرة دكليف »

— ٢ —

وقرأ النـاس قصة الأميرة ولهجوا بذكرها ، وصارت أحدوثة الـكتاب والشعراء والنساء فى المجالس والأنداء والأسمار . ولقد كانت خليقة بأن تشغَل الناس ، لأن الأهواء التى تتضافر فيها على قلب امرأة غض ، فتخيّرها بين زوجها وحبيبها ، تثير الدهشة والعجب . فهنا زوجها جاف القلب كما تراه ، وهناك حبيبها يبدو لعينيها غَزِلاً بطلاً جميلاً . وأخذ الأدباء يسـألون (بوسي رابوتان Bussy Rabutin) نقادة ذلك الزمان عن رأيه فيها . فكانت الرسائل تسرع إليه يسأله أصحابها : « أقرأت الأميرة دكليف ؟ كيف رأيتها ؟ هل أعجبتك ؟ »

إن فيها نزاعاً قوياً بين الحب والواجب لا يقوى عليه النساء ، ونضالا عنيفاً قد يتخاذل دونه الرجال ، وشرفا لا يذود عنه إلا من كان ذا عزم ومضاء . وبرغم ذلك ، فإن الأميرة دكليف تتغلب على هواها ولم تضعف فى نضالها ، وحافظت على شرفها ونبالتها .

ها نحن أولاء فى قصر الملك هنرى الثانى ، نجد آنسة صاغها وصقلها الترف ، كان اسمها « شارتر » ، وكانت ذات ذكاء وأناقة وجمال . يتزوج بها الأمير دكليف ، وكان نبيلا مهذباً فيحبها . ولـكنه كان يعجز عن إظهار حبه لها ، ولا يبرع فى إغرائها وإرضائها ، وكانت جياشة العواطف ملتهبة الإحساس ، تتحرّق على ذواق الحب ؛ هذا الحب الذى سمعت به ، ولـكنها لم تعرفه ، ولم تدر كيف يكون ولا أين تجده . وتقام فى اللوفر حفلة يرقص فيها النساء والرجال ، تحضرها الأميرة ، ويحضرها الفارس (دُنيمور De Nemours) زَين الفرسان ، وحلية الشبان ، وأكثر رجال البلاط لباقة وأناقة . ويلمحها فيشخص إليها ببصرُه ويُفتن قلبُه ، ثم يسعى إليها فيتراقصان . وينظر إليها نظرات كاهن ِشباك وإغراء ؛ فتهتاج وتضطرب ، ثم تسارقه النظرات ، فيخفق قلبها وتحمر وجنتاها ، فتفر منه وقد علمت أنه الحب

وشغل الفارس خاطرها ، فسهرت الليل ، « وليل الحب بلا آخر » . وذرفت الدمع « ودمع العاشق لا ينفـد » . إنه فارس فتان ، كيف تصل إليه ، وكيف يضمها بين ذراعيه ؟

وكتمت الأميرة حبها ، وسعت للقياه . ولقد دعيت ليلة إلى حفلة رقص أخرى فاعتذرت عن الذهاب ، لأن فارسها لن يذهب إليها . واندفعت فى الحب ، ولـكنها أجفلت ذات يوم ، وقد بدا لها سوء ما صنعت . أتخون زوجها ؟ إنه زوجها مهما كان من أمره ، ولا بد من الوفاء . وأفزعتها وخزات الضمير ولذعات الوجدان ، وخافت العار ، ولـكن قلبها لجّ فى شماب الحب فضلّ وتاه . كيف ترضى قلبها الجامح ، وكيف تفى لزوجها المطمئن ؟ ولا تسل عن الأرق والسهاد ، والأسى والبكاء ، والحنين والأنين ، والحسرات والآهات . لقد أحبته حباً صرفاً خالصاً . أفتجمع بين حبين ، وكيف تغالب الوله وتدفع الشوق ، وتفر من الحبيب ؟

وقررت بعد عذاب ونصب ، أن تحدث زوجها بحبها . وتسأله إن كان يرى فى ذلك حرجاً

وتخلو الأميرة بزوجها . وإنه لمشهد من أروع مشاهد الحب . مشهد فيه من بطولة كورنيل ورقة راسين . إنها مفتونة بفارسها ، والألم يفترسها ، وإنه نحب لها مطمئن إليها . هى تريد أن تخبره لئلا يمس شرفه ، وهو يجهـد كل الجهد لينجو من الوساوس ، ويعلم أنها لن تخونه

لقد ظنت أن صراحتها تدفعه إلى الإعجاب بها وإكبارها ولـكن هذه الصراحة أنضجت فى صدره الحقد والحسد والغيرة فمـا تـكاد تحدثه بطرف خاشع ، وقلب خافق ، وعين دَموع ، حتى يشده ويبهت ، ثم يصمت ولا يشكو ، وييأس بعد أيام فيموت

وها هى ذى الآن وحدها ، قد خلا من كانت تخشى أن يُعكَّر شرفه . فلتسرع إلى فارسها الجميل ، لتنعم بين ذراعيه ؛ ولـكن الأمر ليس كما ظنت . لقد سعى هو إليها ، وتقرب منها فصدت عنه ، وأراد أن يتزوج بها فطردته . لقد اعتقدت أن

عليهما ، هى وفارسها ، التبعة فى موت زوجها . وأن أحسن ما تكفر به عن ذنبها هو البعد عمن تحب . فاعتزلت الناس وعاشت وحدها . الحب فى قلبها يهيج ويشتد ، وهى تصبر وتتألم لا تستطيع أن تفرح القلب بالوصال . ثم تموت الأميرة حزينة ، تحلم بالحب ، وتنى للزوج

تلك هى قصة الأميرة دكليف تدور حول حب عنيف يبعثه الإعجاب بالفروسية والبطولة والجمال ، ووفاء شديد يقتضيه الواجب وحفظ العهد ؛ فيتغلب الوفاء على الحب ، وتقضى الأميرة ينهشها الحزن ويذيبها الحنين ، ويتحدث الناس عنها ، ويتكلمون عليها ، ولكنهم ، جميعاً ، يعجبون بها ويطرونها ، ثم يرددون وهم يبتسمون : « ما أنبلها ! لقد كانت أميرة شريفة »

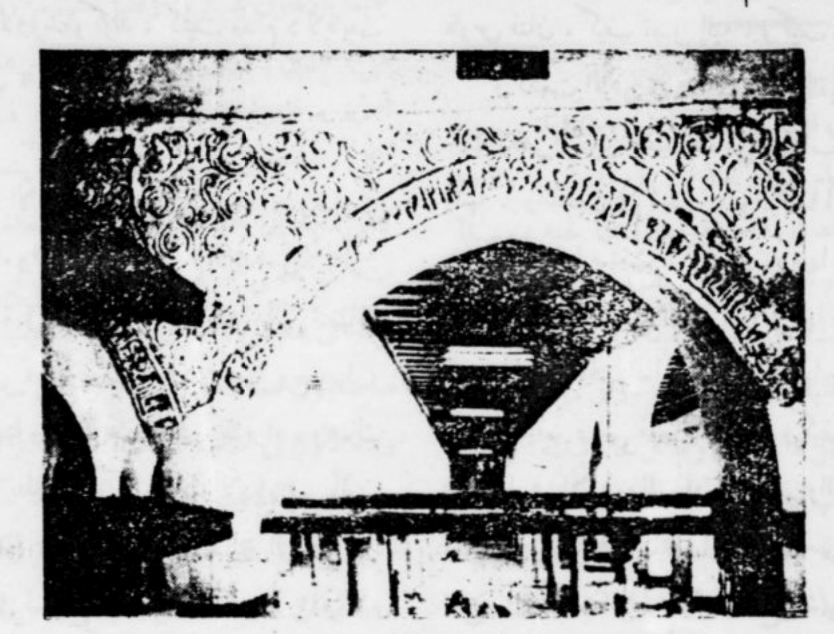
(دمشق) صلاح الدين المنجد الحسامي

٨ ـ الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

نرى كيف أثرت هذه النظم الإسلامية الثلاثة ـ النقابات والحسبة والوقف ـ فى الفنون الجميلة ؟

أما نظام الوقف فنحن ندين له كما ذكرنا بمعظم ما وصل إلينا من روائع التحف والآثار الإسلامية ، ويكفى أن نضيف إلى ما تقدم أن كثيراً من تحف دار الآثار العربية كانت موقوفة على المساجد . فهذا النظام ضمن استمرار نشاط المهندسين والصناع والفنانين ، كما ضمن أيضاً اطراد حركة التطور فى الفنون المختلفة لا سيما تلك التى تتصل بالمساجد من بناء وصناعة وزخرف . فلولا تلك الأموال التى وقفت على العناية بالمنشآت الإسلامية المختلفة لضاع هذا التراث الفنى العظيم . على أن لنظام الوقف فضلا آخر لا يصح إنكاره ، هو تلك الوقفيات التى حبست فيها الأعيان المختلفة فقد تضمنت وصفاً دقيقاً لهذه الأشياء يجد فيه اللغويون والمشتغلون بالآثار الإسلامية معيناً لا ينضب من الاصطلاحات الفنية التى تنير لهم سبل الدراسة



أقدم الكتابات والزخارف فى الجامع الأزهر
من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك لمحمد عبد العزيز مرزوق

وأما نظاما الحسبة والنقابات فينحصر أثرهما فى تحسين المنتجات الصناعية والعمل على رفع مستواها ، والعناية بإخراجها فى أحسن صورة ممكنة . ففى ظل النقابات وبإشراف « المحتسب » خطت الصناعات الإسلامية خطوات واسعة فى سبيل الرقى ، حتى بلغت الغاية القصوى ، وعندئذ سمت عن دائرة الصنعة المألوفة إلى مستوى الفن الجميل . ولكى يكون هذا التطور واضحاً نضرب له مثلاً بالآنية التى تصنع لتمسك الطعام أو الشراب فهى تظل وسيلة تستخدم فى هذا الأمر ما لم يفتن الإنسان فى صنعها وزخرفتها ، ويبذل الوسع فى تجميلها وتنسيق ألوانها ؛ فإذا ما وصلت إلى الكمال فى ذلك أو قاربته غادرت موائد الطعام لتتصدر قاعات الاستقبال متخذة مكانها بين التحف الجميلة . وعندئذ تتغير نظرتنا إليها فننسى وظيفتها الأولى ولا نذكر عنها إلا أنها شىء جميل يمنحنا التأمل فى محاسنه لذة لا تعدلها لذة .

***

رأينا إذن كيف أن الإسلام وقف من الفنون الجميلة موقفاً يختلف عن مواقف الأديان السابقة عليه ، فهو لم يستخدمها فى دعوته كما فعلت الوثنية والمسيحية ، ولم ينكرها كما أنكرتها اليهودية ؛ ولكنه أثر فيها ببعض توجيهاته ونظمه . لقد وقف

على طبيعة الإنسان ، وعلم ما يضطرب بين جنبيه من النزعات وما ركب فيه من الغرائز والميول فلم يحاول كبتها بإلزامه الوقوف عند حد الضروري اللازم لبقائه ، بل تركه يلبي ما تنطوي عليه نفسه من غرائز السمو دون أن يعترض سبيله أو يحد من نشاطه فمهد له بذلك سبيل الوصول إلى أقصى ما قدر له من التقدم المادي . لفت نظره إلى ما يحيط به من المخلوقات ، وشحذ فيه قوة الملاحظة وهي عماد الفن الجميل ، وذكره بالحياة الدنيا وما لها عليه من الحق (ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك) وبصره بما في الوجود من زينة وحببها إليه (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

هذا التسامح الذي عرف عن الإسلام في كل ما يتصل بمباهج الحياة ومتعها ، ما دامت لا تتعارض مع أصوله في شيء ، وما دامت لا تخرج عن دائرة الاعتدال ، دفع بالمسلمين إلى الإقبال على الفنون الجميلة بنفس راضية مطمئنة ، وجعلهم يزاولونها بقلوب مثلوجة وأفئدة هادئة ، فأخرجوا للعالم ذلك الفن الرائع الذي فيه للفكر متعة وللنفس لذة وغبطة . ذلك الفن الذي أثر في الفنون المعروفة على عهده من شرقية وغربية .

سجادة محلاة بخيوط معدنية من القرن العاشر الهجري — من مجموعة معالي علي ابراهيم باشا نقلا عن كتاب : الفنون الايرانية في العصر الاسلامي للدكتور « زكي محمد حسن »

ولقد اعترف علماء الآثار من الغربيين بما تركه الفن الإسلامي في فنون بلادهم من آثار واضحة : فالحروف العربية والزخارف الإسلامية نباتية كانت أو هندسية قد لعبت جميعها في فنون أوربا دوراً هاماً . ومصنوعات المسلمين : من خزف وزجاج ومعادن ، وعاج ومنسوجات ، وسجاد كلها كانت مُثُلاً تحتذى في بلاد الغرب .

(انتهى)

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية



إلى الأستاذ ا . عطارى

سلام الله عليك ورحمته ، وبعد فقد كتبت « فى الرسالة » تثير علىّ مشكلة جديدة وهى مشكلة الخط العربي ، ولم نفرغ بعد من مشكلة تعليم اللغة العربية ، ولكن مشكلة الكتابة العربية لما كانت تتصل بمشكلة تعليم اللغة كان الحديث عنها فرضاً لازماً على من يتكلم عنها

أراك تؤمن معى أنه لا سبيل إلى تعليم اللغة إلا من طريق تحصيل ملكتها بالقراءة والتكرار ، ولكنك تستبعد حصول الملكة من طريق القراءة ، لأن الخط العربى ليس أميناً أمانة مطلقة يصور لنا الكلام تصويراً لا لغز فيه ولا إبهام

وفى الحق أن الخط العربى بدون ضبطه بالشكل ليست فيه هذه الأمانة المطلقة لا فى ضبط بنية الكلمة ولا فى ضبط آخرها ؛ فكلمة (بزرجمهر) يمكن أن تقرأ على وجوه بقدر ما فيها من حروف مضروبة فى أوجه الحرف من ضم وفتح وكسر وسكون ، ولا يعبر عن الواقع إلا وجه واحد ، ولكن هذه الصعوبة تسهل بعض الشيء فى طريقتنا الحديثة لأننا نوجب أن تكون كتب تعليم اللغة فى القسم الابتدائى والثانوى مضبوطة بالشكل والإعجام وهى بذلك أمينة أمانة مطلقة على تصوير الكلمات على ما هى عليه ، فإذا قرأ فيها التلميذ وحفظ منها فاكتسب ملكة اللغة اكتسبها صحيحة غير ملحونة ولا مغيرة ، ولا عليه بعد أن يقرأ فى الصحف والمجلات ، والكتب التى ليست مضبوطة بالشكل ، لأنه يقرأ فيها بما معه من ملكة

وإنما قلت تحل المشكلة بعض الشيء ، لأنها تحل مشكلة أواخر الكلم التى وضع من أجلها علم النحو وتحل مشكلة الكثير من ضبط بنية الكلمة وهى الكلمات المستعملة الواردة فى هذه الكتب

أما الكلمات الغريبة فهذه تحتاج إلى ضبط كما تحتاج فى الغالب إلى معرفة معانيها فلا بد من الرجوع إلى القواميس والمعاجم اللغوية

ومن حسن الحظ أن المطابع أخرجت لنا كتباً مضبوطة بالشكل كالكامل للمبرد والكتاب لسيبويه ، وهذه تعين على ضبط مفردات كثيرة من مفردات اللغة

فأنت ترى أن طريقتنا التى ندعو إليها ليست عظيمة البركة على اللغة وحدها بل هى عظيمة البركة على الخط العربى أيضاً تكمل نقصه وتذلل كثيراً من صعوباته

وإنى أشكر لك عنايتك باللغة العربية المحبوبة واهتمامك بما ينشر عنها من إصلاح ، وثناءك على جهد الرسالة الغراء فى النشر والبلاغ

أسأل الله أن يعيننا على حل مشا كلنا تحت ضوء العلم ، وأن يعين الأمة على قبول الحق من أهله ، والانتفاع بما يبذله لها المخلصون من نصح وإرشاد ، وأن يعين مجلة الرسالة على إبلاغ الحق ، وتأدية الأمانة

محمد عرفة

فهارس مبوبة لآيات القرآن الكريم

يخطىء بعض الكتاب حين يستشهدون فى عرض كلامهم بآية أو آيات من القرآن الكريم ؛ ويرجع ذلك إلى عدم حفظهم للقرآن أو لعدم إجادة الحافظين منهم لما يحفظون ؛ وترى فى الصحف والمجلات تصحيحاً لهذه الآيات التى وردت فى آثار الكاتبين غير صحيحة أو محرفة

وقد كان يلتمس لهؤلاء الكتاب عذر لو لم تكن هناك كتب خاصة فى ترتيب آيات القرآن . وقد كان ذلك مقبولاً قبل أن توضع هذه الفهارس القرآنية التى تسهل على الراغبين طريق الرجوع إلى الآية الكريمة فى موضعها من الصحف . أما الآن وقد ظهرت فهارس منظمة لآيات القرآن ، فما عذر هؤلاء الكتاب الذين لهم في كل يوم تحريف لكلام الله عن موضعه ؟

وقد وضعت للتوراة والإنجيل فهارس منظمة ، وانتفع بها كتاب المسيحيين حين يحتاجون إلى الاستشهاد بآيات العهدين القديم والجديد . فما بالنا لا نستعمل فهارس كتابنا الكريم ؟ وما بال كل كاتب عربى لا يضع بجانب مصحفه كتاباً من كتب فهارس القرآن ، حتى يورد الآيات إيراداً صحيحاً . وبذلك تسلم كتاباتنا ومقالاتنا من خطأ الاستشهاد وخلط الإيراد

ومن كتب الفهارس للقرآن « ترتيب زيبا » وهو مطبوع في استانبول . وكتاب « نجوم الفرقان فى أطراف القرآن » وهو مطبوع في ألمانيا ، و « كتاب فتح الرحمن لطالب آيات القرآن وهو مطبوع فى المطبعة الأهلية ببيروت منذ أربعين عاما . وهناك كتاب آخر للشيخ محمد منير الدمشقى الناشر المعروف

وهناك من فهارس القرآن ما رتب بحسب الموضوعات لا بحسب الآيات كالفهرس النفيس الذى وضعه « جون لابوم » الفرنسى وترجمه إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .

وفى بعض هذه الفهارس عيوب « كترتيب زيبا » فإن الرجوع إليه لا يسهل إلا على حفظة القرآن ، لأنه لا ينتفع به إلا من عرف أوائل الآيات ، مع أن فكرة الفهارس القرآنية هى تسهيل الرجوع إلى غير الحافظين

أما (نجوم الفرقان) فقد أحاط بكلمات القرآن الكريم كلها ، وأشار إلى موضع الكلمة من الآية وموضع الآية من السورة ، ألا إنه جرى فى الترتيب على غير طريقة المعاجم العربية ، وكثيراً ما خلط بين مادة ومادة ؛ فكلمة « مرضى » جمع مريض وضعت فى مادة (رضى) والصواب وضعها فى (مرض) . وكلمة (استبقوا) وضعت فى مادة (بقى) وصوابها « سبق » لأنها من الاستباق بمعنى السبق

أما فهرس محمد منير الدمشقى فهو - فى الغالب - لأوائل الآيات فقط ، فلم يحط بكل كلمات القرآن كما صنع السيد على زادة فيض الله القدسى فى كتابه القيم « فتح الرحمن لطالب آيات القرآن » وهو أوفى وأوسع وأكمل كتب الفهارس لآيات الذكر الحكيم .

محمد عبد الغنى حسن

استدراك

نشرت الرسالة فى عددها ٥١٢ الصادر بتاريخ ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٣ تحت عنوان « الحديث ذو شجون » بحثا للدكتور زكى مبارك جاءت فيه العبارة الآتية فى معرض الكلام عن جلالة المغفور له فيصل الأول : « وأصغيت بأذنى وبقلبى إلى الصوت الذى قال : من غفلة العرب أن ينسوا الأهواز . مع أنها أحق بالعطف من فلسطين »

وقد اتصل بنا أن هذه العبارة لم ترق فى نظر بعض إخواننا الإيرانيين .

ولسنا فى حاجة إلى القول بأننا من أحرص الناس على شعور إخواننا الإيرانيين الذين نعتبرهم كأنفسنا ، وإننا ممن يؤمنون بضرورة المحافظة على ما يربط القطرين الشقيقين مصر وإيران من علاقات مودة وإخاء ، وعلى تدعيم هذه العلاقات

وقد أردنا بهذا الاستدراك وضع الأمور فى نصابها وإثباتاً لحسن النية وإبعاداً لسوء القصد

شعراؤنا والناقد العبقرى

جاءنا رد من الأستاذ دريني خشبة ، تحت هذا العنوان ، على الدكتور محمد مندور ، وقد ضاق نطاق هـذا العدد عن نشره ، وسيظهر فى العدد القادم .

تصويب

جاء فى مقال « الشعر الأوربى » للأستاذ محمد مندور بعض أخطاء مطبعية ، ننشر صوابها فيما يلى :

العمود الأول ، الصفحة الأولى ، السطر الرابع :

وإلا فسنظل ندهم ونتوهم ، صوابها : وإلا فسنظل نوهم ونتوهم

العمود الثانى ، الصفحة الأولى ، السطر الرابع :

Jambi meter ، صوابها : Iambic meter

ع ٢ ص ١ س ٦ : « وإذا كانت فى الشعر العربى أبحراً متجاوبة » صوابها : « ... أبحر متجاوبة »

ع ٢ ص ١ س ٨ : فإن هناك أيضاً أبحر ، صوابها : ... أبحرا

ع ٢ ص ١ س ١١ : subsitution ، صوابها : substitution

ع ٢ ص ١ س ١٦ : وإنما تتميز الأشعار ببينة التفاعيل ، صوابها :

وإنما تتميز الأشعار ببنية التفاعيل

ع ١ ص ٢ س ٨ : quantitatine ، صوابها: quantitative

ع ١ ص ٢ س ١٩ : ومنها لأول مرة ، وصوابها : وفيها . . .

ع ١ ص ٢ س ٣٢ : لا نجد منها غير ... صوابها : لا نجد فيها

ع ٢ ص ٢ س ٢٧ :

Infan-dum re-gina iu-bes = reno-vare do-lorem

ع ٢ ص ٢ س ٢٩ : فيرجع إلى الحرف الصامت ، صوابها : الصائت

ع ١ ص ٣ س ١ : حرفين صامتين ، صوابها : ... صائتين

ع ١ ص ٣ س ١ : Diphtonque ، صوابها : Diphtongue



11 me Année No. 542 — Lundi - 22 - 11 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
م
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٤٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

٣ ـ في المسجد الأقصى

للدكتور عبد الوهاب عزام

لبثت في المتحف الإسلامي حتى سمعنا النداء فخرجنا لنشهد صلاة العصر في المسجد. فلما قضيت الصلاة طوّفنا في المسجد فرأيناه في جلاله ورونقه؛ وقد تمت عمارته هذا العام بعد أن لبث عليه الترميم والبناء سنين. دعم أحد المهندسين الترك القبة العظيمة التي أمام المحراب؛ ثم تولى المهندسون المصريون (١) تجديد معظم الأروقة، وأقيمت عمد جميلة من الرخام مقام العمد القديمة المبنيّة. وقد حُدِّثت أن المهندسين عجبوا كيف احتملت هذه العمد المبنية هذا السقف الثقيل وما عليه من طين وتراب قدر وزنهما تقديراً هائلاً

والمسجد اليوم سبعة أروقة تمتد مع طوله من الشمال إلى القبلة أوسطها الرواق الأعلى الذي ينتهي إلى قبة المحراب العالية الرائعة. وكان طول المسجد، فيما سمعت، من الشرق إلى الغرب، وكان امتداده من القبلة إلى الشمال أقلّ مما هو اليوم. وإذا أدخلنا في مساحة المسجد مصلّى النساء ومسجد عمر كان طوله كما كان من قبل، ممتداً بين الشرق والغرب. والمسجد يشبه جامع بني أمية العظيم الذي في دمشق، ولكن جامع دمشق أضخم

(١) المرحوم محمود باشا أحمد مدير الآثار الاسلامية وخليفة المهندس البارع محمد حلمي عبد الفتاح

بناء، وأعلى عمداً، وأحكم صنعة، وعرض مصلاه قليل وطوله مفرط.

ورحم الله بني أمية لقد بقي على الدهر بناؤهم، وثبتت على رجفات الزمان آثارهم فما تزال دمشق وبيت القدس وقرطبة تشهد لهم بما شادوا وما عمروا. وما يفخر المسلمون والعرب اليوم بعمارة هي أقدم وأضخم مما شاد بنو أمية. وقد قلت في جامع دمشق:

رأيت فيه خلال القوم ماثلة وللبناء من البانين أقدار

ورحم الله شوقي الذي يقول:

لولا دمشق لما كانت طليطلة ولازهت ببنى العباس بغدان

ويقول:

بنوا أمية للأبناء ما فتحوا وللأحاديث ما سادوا وما دانوا

ووقفت عند المنبر الجميل الذي دق صنعه، وجمل شكله، وأخرجه صانعان من حلب طرفة من الصناعة ليس فيها مسمار؛ ولكن دقائق من الخشب متماسكة ومتعاشقة. وقرأنا عليه اسم الملك الصالح نور الدين محمود وابنه

وقد حدث التاريخ أن هذا المنبر صنع والمسجد في أيدي الصليبيين ليوضع فيه بعد الفتح. وما كان الفتح ليستعصى على هذه العزيمة وهذا الإيمان. ثم وضعه في موضعه الذي هو فيه اليوم الملك الناصر صلاح الدين

قال الإخوان: إصعد فتأمل أعلى المنبر فصعدت وكأنما احتشدت أمامي الجموع التي شهدتها هنا القرون، والحادثات التي داولتها العصور. قلت: ما أخطب هذا المقام وما أخطب هذا المنبر! قال أحد الرفاق: وإنك لجدير به: قلت: يوم نظفر بما نبغي لهذا المسجد وأهله من سلام وعزة، يوم تكون أقدامنا جديرة بمكانها من هذا المنبر منبر التاريخ

وإلى جانبي المسجد من جهة القبلة مصلّيان متصلان به يمتدان مع جدار القبلة إلى الشرق والغرب ولا يتسعان إلى الشمال بل عرضهما يقارب عرض رواق واحد من المسجد، وهما يبدوان كأنهما جناحان لهذا المسجد المبارك الذي يصعد بالأرواح كل حين؛ فالذي إلى يمين المصلّى مسجد النساء (وقد اقتطع قسم منه للمتحف الإسلامي)، ويصلي فيه النساء كل يوم. وقل أن يخلو المسجد الأقصى من مصليات قانتات يذهبن جماعات إلى الصلاة ومعهن أطفالهن أحياناً. وهي سنّة إسلامية حميدة شهدتها في جوامع الشام واسطنبول أيضاً

وأما المصلى المبارك الذي إلى يسار القبلة شرق المسجد فيحمل الإسم العظيم والذكرى الخالدة، اسم أمير المؤمنين عمر فاتح بيت القدس رضي الله عنه وأرضاه. ويقال إنه المصلى الذي أمر عمر باتخاذه حينما دخل المسجد الأقصى ورفع عنه الرجس والهوان اللذين جثما عليه عصوراً، وجعله مسجداً طهوراً

والذي أدركته من كتب التاريخ أن الساحة الفسيحة التي نسميها الحرم كانت كلها تسمى المسجد الأقصى؛ ولكن هذا الإسم يخص اليوم أحياناً بالمسجد الذي وصفت. قال ياقوت:

وأما الأقصى فهو في طرفها الشرق (يعني طرف المدينة) نحو القبلة أساسه من عمل داود عليه السلام وهو طويل عريض وطوله أكثر من عرضه

وفي نحو القبلة المصلّى الذي يخطب فيه للجمعة. وهو على غاية الحسن والأحكام مبنيّ على الأعمدة الرخام الملوّنة وليس في الدنيا أحسن منه لا جامع دمشق ولا غيره

وقد نقل ياقوت عن المقدسي أن طول المسجد ألف ذراع وعرضه سبعمائة وأن في سقوفه من الخشب أربعة آلاف خشبة وسبعمائة عمود رخام وكان له ستة وعشرون باباً الخ

ومن يقرأ ما ذكره المؤرخون عن هذا المسجد يعرف أن الذي نراه اليوم بقية الخطوب من هذا البناء العظيم الهائل. وإنما ذكرتُ من هذه البقية ما لا يشق على القارئ إدراكه مما أدركت العين في زيارة سريعة غير مستوعبة ولا مدققة

ثم انصرف الرفاق مشكورين، ولبثت في المسجد، فذهبت إلى الجانب الشرقي فأشرفت من صحن الصخرة على ساحة واسعة بينه وبين السور الشرقي، سور المسجد والمدينة القديمة نفسها. وهي ساحة خربة ولكنها تصلح أن تكون بستاناً كبيراً أو حديقة واسعة أو مدرسة جامعة، أو ما يشاء التفكير والإصلاح لخير المسلمين

وضيّفتِ الشمس للغروب فذهبت إلى حجرة الموعد معتكف الوزير التقي السيد المجددي للافطار مع العاكفين. وصلينا المغرب في قبة الصخرة وعدنا فبسطت سفرة وضعت عليها ألوان من الأطعمة الشهية، وأحاطت بالمائدة وجوه مشرقة تتجلى فيها الطهارة الإسلامية طهارة الجسد والروح والظاهر والباطن. قعدت بين هؤلاء الإخوان البررة الذين صفت قلوبهم ووجوههم واجتمعوا على البر والأخوة في هذه البقعة المطهرة. فخلت هذه المائدة صفاً للصلاة، وهذا الأكل الشهي أسلوباً من العبادة. وإن حظ الأجسام من هذه الغذاء ليس أعظم من حظ الأرواح.

مساجلة الأدب العربي

القيادة الفكرية
بين الفلاسفة والأنبياء
للدكتور زكي مبارك

تاريخ لطيف!

في السبت الأول من نوفبر سنة ١٩١٩ وقف ثروت باشا رحمه الله بقاعة المحاضرات في الجامعة المصرية وألقى كلمة طيبة قدّم بها الدكتور طه حسين إلى الجمهور، وقد قال في تلك الكلمة إنه يود لو كان سعد باشا حاضراً ليقدّم الدكتور طه على نحو ما صنع في العام الماضي وهو يقدّم الدكتور أحمد ضيف «وكان سعد باشا يومذاك منفياً بأمر السلطة العسكرية»

ثم وقف الدكتور طه ليلقي محاضرته الأولى فشكر أعضاء مجلس الجامعة، من كان منهم في مصر ومن كان منهم خلف البحر «وهو بهذا يشير إلى سعد باشا زغلول ومحمد باشا محمود» واندفع بعد ذلك في محاضرته فحدثنا أنه عزم على إحياء التراث اليوناني، لأنه يؤمن إيماناً جازماً بأن مرجع الفكر في الشرق والغرب إلى القدماء من مفكري اليونان

وما كاد الدكتور طه يفرغ من محاضرته حتى نهض أحد طلبة الجامعة واسمه زكي مبارك فردّ على الدكتور طه ردّاً خطابياً أثار إعجاب الجمهور، فوقف الدكتور طه وردّ على الطالب ردّاً ظفر بشيء من القبول

وبدا للأستاذ محمود عزمي أن يؤرخ وقع المحاضرة الأولى للدكتور طه بكلمة ضافية في جريدة الاستقلال، ولم يفته أن يوجه عبارة نابية إلى الطالب الذي ثار حين رأى من يقول بأن مرجع الفكر كله إلى مفكري اليونان

وفي المحاضرة التالية رأى الدكتور طه أن يبدأ بكلمة في التعقيب على مقال الأستاذ محمود عزمي، ليبين خطأ الطالب

وقد تمنيت أني معتكف مع المتكفين ووددت أن أظفر بهذه السكينة في حجرة من هذه الحجرات رمضان من العام القابل

قلت للاخوان مازحاً: إنكم لفي نعيم. وإن غير المتكفين لا يظفرون بمثل هذه المائدة. وقال السيد الجددي وهو يطفيء الكهرباء: هذا اعتكاف آخر الزمان. قلت: هذا اعتكاف إسلامي فيه الطمأنينة والعبادة والفكر، وليس فيه الحرمان والإرهاق «قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق». وشربنا الشاي وتحدثنا قليلاً فسمعنا النداء للعشاء فسرنا إلى قبة الصخرة فدخلنا وقلوبنا تخفق مع هذه القناديل الخافقة. وانتظمت الجماعة في المصلى الخارجي وسمعت تسبيح النساء وراء السياج المحيط بالمصلى الذي تحت القبة فعرفت أن لهن جماعة من وراء هذا الحجاب. وأقبلنا على صلاة العشاء والتراويح. فلما قضيت الصلاة وسرت إلى الباب الشمالي رأيت جماعة أخرى يؤمّ بها السيد الجددي؛ وقيل لي إنها جماعة الحنفية يصلي بها هذا السيد العُمري الأفغاني كل ليلة. وما أجدره بالإمامة في مدينة عمر استأذنت المتكفين وخرجت كارهاً أود أن يطول لبثي في هذه المشاهد على طول ما لبثت فيها. خرجت وأنا أجيل الطرف فيما حولي لأثبت ذكراه في نفسي وأود أن أسير سريعاً في ظلمات الليل فأطوف مرة أخرى بهذه الساحة الفسيحة التي أمضيت فيها معظم النهار وشطراً من الليل

ذهبت إلى التكية البخارية فلبثت ساعة في ضيافة شيخها الشيخ يعقوب البخاري، وما هذه التكايا والمساكن النظيفة الطاهرة الجمَّلة والمزينة بالأوراق والأغلاق إلا مساجد صغيرة. فقد عددت هذه الساعة من ساعات المسجد الأقصى أيضاً

ومضت بنا السيارة إلى رام الله حيث الفندق الذي أنزل فيه، ولا تزال هذه المشاهد في عيني. وملء فكري، تاريخ من المجد، وعصور من الخطوب، وصفحات من السِّيَر، وملء قلبي آمال وآلام. ذِكر ناضرة يتخللها الألم كما تقدح النار من الشجر الأخضر — رجعت إلى مأواي وقد طويت المصورَ في تلك الساعات، والأحداثَ العظيمة في تلك الآثار، ثم طويت تلك الساعات القليلة وتلك الآثار الجليلة في فكري وقلبي.

عبد الوهاب عزام

الذى ثار عليه ، فنهض زكى مبارك وقال : لا تتعالوا علينا ، فنى مقدورنا أن نساجلكم بالحجج والبراهين

وفى تلك اللحظة مال إسماعيل بك رأفت على أذن الدكتور طه فأسرّ إليه كلمات ، فانصرف الدكتور طه عن التعقيب ، ومضى فى المحاضرة الأساسية و « ليس » فى نفسه أشياء

بين تاريخ وتاريخ

هل تغيّر الرأى عندى فى هذه القضية بين نوفمبر سنة ١٩١٩ ونوفمبر سنة ١٩٤٣ ؟

وهل تغيّر الرأى عند الدكتور طه فيما بين هذا التاريخ وذاك التاريخ ؟

لم يتغير رأيى ولا رأيه ، وأنا موقن بأنى على هدى وإن لم يكن الدكتور طه فى ضلال

ولكن ما الموجب لإثارة هذه المشكلة وقد تقادم عليها العهد؟

الموجب هو إصرار الدكتور طه على القول بأن مرجع الفكر فى الشرق والغرب إلى القدماء من مفكرى اليونان ، وحرصه على إثبات هذا القول فى الكتاب المقرر لمسابقة الأدب العربى ، وكان قبل ذلك مقرراً للمطالعة فى المدارس الثانوية ، ونحن لا ندع أبناءنا يقرأون كلاماً يساق بلا بينة ولا يقين

يضاف إلى هذا أن الدكتور طه عقد فصلاً خاصًّا بهذه القضية عنوانه « بين الشرق والغرب » ، وقد أراد بهذا الفصل أن يجعل القيمة العقلية من حظ الغرب ، وأن يجعل البوارق الخيالية من حظ الشرق ، وانتهى إلى النص على أن الغرب وطن الفلاسفة وأن الشرق وطن الأنبياء

فاذا يريد الدكتور طه بهذا القول ؟ وما حظه فى أن يقرر أن العقل الشرقى انهزم أمام العقل اليونانى مرات فى التاريخ القديم وأنه ألقى السلاح فى التاريخ الحديث ؟ وما الغرض من الإصرار على أن العقل الشرقى يذهب فى فهم الطبيعة وتفسيرها مذهباً دينيًّا قاتماً ، بدليل أنه خضع للكهان فى عصوره الأولى وخضع للديانات السماوية فى عصوره الراقية ؟

لا بدّ من نقض هذه الآراء قبل أن يُفتَتن بها التلاميذ ، لأنها صادرة من رجل ممتاز من الوجهة الأدبية ، أو لأنها مسجلة فى كتاب رُقم عليه اسم وزارة المعارف العمومية

وما الذى يمنع من تبصير الدكتور طه بالصواب ؟

هل نجا من شوق التمرف إلى الحق ؟

وهل هان الشرق على أهله حتى نسكت عمن يرمونه بالعقم والإمحال فى الميادين العقلية ؟

على الدكتور طه أن يسمع ، وله أن يجيب إن كان يملك الجواب

نماذج من الأخطاء

وقبل أن نواجه المشكلة الأساسية ، نذكر نماذج من أخطاء الدكتور طه فى تصوير الحياة العقلية

فن أخطائه أن يتوهم أن أخذ اليونانيين عن الشرقيين نظام النقد ونظام المقاييس ليس إلا عملية مادية . ومن أخطائه أن يهوّن من فنون الحساب والهندسة فيجعلها فنوناً عملية لا عقلية . ومن أخطائه أن يقول بأن سيادة النظام الملكى فى الحكومات الشرقية دليل على أنها لم تنضج من الوجهة السياسية

وهذه الأخطاء فى الفكر لا تحتاج إلى شرح ، فن الواضح جدًّا أن نظام النقد كنظام المقاييس وثيق الصلة بالحياة العقلية . ومن الواضح جداً أن فنون الهندسة والحساب ليست فنوناً عملية إلا عند التطبيق ، ولكنها فى ذاتها فنون عقلية . ومن أوضح الواضحات أن نظام الحكومة وسيلة ، لا غاية ، فإن نجح النظام الملكى فلا بأس ، وليس من الحتم أن تكون القلقلات الحكومية فى التاريخ القديم دليلاً على أن اليونان كانوا أرق الناس فى الحياة السياسية

والخطأ الأعظم هو أن يقف الدكتور طه موقف المقرر المتحكم فى قضية واهية الأساس ، فما كان اليونان كما أراد لهم أن يكونوا ، ولا كان هو نفسه يوقن أنه يملك توجيه مؤرّخي الفلسفة من المحدثين ، كما حاول أن يقول

فلاسفة وأنبياء

حجة الدكتور طه على قوة الغرب أنه وطن الفلاسفة ، وحجته على ضعف الشرق أنه وطن الأنبياء ، فما قيمة هذا الكلام إذا أقيمت له الموازين ؟

لا يمكن فهم هذه المسألة فهماً علميًّا إلا إذا غضضنا النظر

عن الناحية الدينية ، وجعلنا الأنبياء والفلاسفة رجالاً كسائر الرجال ، وهم كذلك بالفعل ، فقد صرح القرآن بأن الوحى هو الذى يميز الأنبياء عن الناس ، فما كان الأنبياء ملائكة ولا آلهة ، وإنما هم ناس

يجب أولاً أن نعرف من هو الفيلسوف ؟

الفيلسوف هو محب الحكمة ، هو رجل يريد أن يسمو بنفسه عن الجهل ، ويهمه أن يتحرر من تقاليد الأغبياء ، ولكنه فى أكثر أحواله يؤثر السلامة ، وقد يركن إلى الخمول ، ومعنى هذا أن الفلاسفة لم تكن لهم فاعلية ، بدليل أنهم عاشوا فى عزلة عن المجتمع ، ولم يفكروا فى إقامة حكومة تحقق آمالهم فى شرف الوجود

وسقراط أبو الفلاسفة لم يَسلم عقله من الخضوع لمعبد أبوللون ، وكان حاله عند الحكم عليه غاية فى سوء المصير ، فقد ظهر أنه لم يستطع خلق عصبية تحميه من القتل ، ولم يكن تلاميذه وحواريوه إلا أنصاراً لا يجيدون غير البكاء

وكان هذا عيباً فظيعاً ، لأن سقراط نشأ فى عهود الفروسية ، فلو كان فيلسوفاً متسقاً مع زمانه لجعل تلاميذه من الفرسان ، فى زمان لا ينتصر فيه غير الفرسان

أقول هذا وأنا أعرف أن استسلام سقراط للموت خلق صوراً شعرية قليلة الأمثال ؛ فقد أوحى إلى أفلاطون ما أوحى ، ثم كانت ترجمة ڤيكتور كوزان لأفلاطون موحية إلى الشاعر لامرتين بقصيد هو غاية فى الروعة والجمال

الفلاسفة أصحاب فضل من جهة الفهم لا من جهة الفاعلية وبهذا ظلوا متخلفين عن قافلة الوجود

أنبياء ومرسلون

هنالك فرق بين النبىّ والرسول ، والظاهر أن النبىّ رجلٌ كامل من الوجهة الذاتية ، بغض النظر عن المسئولية الاجتماعية ، فبينه وبين الفيلسوف الصادق تشابه فى السلوك ، مع فوارق ستفصلها بعد حين

أما الرسول فرجلٌ مجاهد يرى من واجبه أن يستقتل فى هداية المجتمع ، وأن يرحب بالموت فى سبيل الجهاد

وقد نجح الأنبياء المرسلون فى هداية الشرق والغرب ، فإليهم يرجع الفضل فى إقامة الدعائم للحضارة الإنسانية

وهل من القليل أن يستطيع ثلاثة من الأنبياء المرسلين أن يسيطروا بالفكر والروح والعقل على الكثير من أقطار الشرق والغرب بأضعاف وأضعاف وأضعاف ما سيطر الفلاسفة الثلاثة سقراط وأفلاطون وأرسطاليس ؟

مثال

نشأ النبى محمد فى بيئة وثنية ، فصعُب عليه أن يَهدى قومَه بالمنطق إلى طريق الحق ، وكان منافسوه من رهبان النصارى وأحبار اليهود يعيّرونه بالعجز عن خلق آية تشهد بأنه رسول

وقد حار النبي محمد فى إقناع خصومه بأن الآيات من عند الله ، وأنه لا يملك تبديل الأنظمة الوجودية ، لأنها من وضع واجب الوجود

وفى يوم من أيام الارتياب مات ابنه إبراهيم ، وفى ذلك اليوم كسفت الشمس ، فأقبل أعداؤه مبايعين ، لأنهم وثقوا بأن الشمس لم تكسف إلا حزناً على موت ابن الرسول

عند ذلك تعرّض محمدٌ لمحنة أخلاقية ، فهو بين أمرين : الأمر الأول أن يستغلّ جهل معاصريه فيوافق على أن الشمس كسفت لموت ابنه إبراهيم فيكون من أكابر الأنبياء ، والأمر الثاني أن يَصدَع بكلمة الحق ، ولو تعرّضت نبوّته للضياع

وقف محمدٌ ينادى بأن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، وأنهما لا يتأثران بمؤثر ، ولو كان من الأنبياء

فى تلك اللحظة تناظرَ أصدقاء محمد عاتبين ، فقد ضاعت فرصة لا ينتظرون أن تعود

ولكن محمداً لا يبالى غضب أصدقائه إذا خاصموا الصدق

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أقول إن محمداً هو القائد الأول فى الفكر الإنسانى ، بهذه اللمحة الواحدة ، بغض النظر عما سبقها ولحقها من اللمحات

وإذن يكون القائد الأول للفكر هو محمد لا سقراط ، ولو غضب الدكتور طه حسين

وما غضبُ الدكتور طه وما خطره وهو يستوحى جماعة من المؤلفين فى تاريخ الفكر عند اليونان ؟!

صيال الآراء

أراد الدكتور طه أن يغض من العقلية الشرقية ، بحجة أنها خضعت للكهان وللأنبياء . وأنا لا أزيد عليه ، فذاك كلامه ، وهو كلامٌ مدوّن فى كتاب طُبع مرتين ، وتبنّته وزارة المعارف بعد مجلة الهلال

والظاهر أن الدكتور طه يتوهم أن الكهانة ظاهرة شرقية لا غربية ، وذلك توهمٌ طريف ، لأن الدكتور طه نفسه يشهد بأن سقراط قد استلهم الكهان ، مع أنه فى زعم الدكتور طه أول محرر للعقل الإنسانى من أغلال الأضاليل

وأقول بعبارة صريحة إن الكهانة لم تصر مهنة مقدسة إلا فى عهود الوثنية اليونانية ، فقد كانت لها معابد ، وكان لمعابدها سدَنة وأمناء ، وكان المصير لكل معضلة فردية أو قومية رهيناً برأى « الصوت المتنكر » فى زوايا الظلام المنشور فوق معابد اليونان

أما كهان الشرق فكان مركزهم فى المجتمع أيسر وأخفّ ، لأن الشرق سبق الغرب إلى استيحاء العقل ، وهل يستطيع مكابر أن ينكر فضل الشرق فى السبق إلى رفع القواعد من الحضارة الإنسانية ؟

ثم ماذا ؟ ثم يجيء الكلام عن تفرد الشرق بالأنبياء ، وهنا تثور المعضلة من جديد ، معضلة الموازنة بين الشرق والغرب

وأقول إن النبوّات فى الشرق دانت الإنسانية بديون يراها الحاضر ويذكرها التاريخ ، فالأنبياء الثلاثة موسى وعيسى ومحمد من أرومة عربية ، وهم قد شرّقوا وغرّبوا ، وملأوا الدنيا ضجيجاً فكرياً وروحياً فى أزمان لم تعرف سوى الذى أثاروا من صيال الآراء

إن الصراع بين الإسلام والنصرانية هو أول وثبة جريئة لإيقاظ العقلية الإنسانية ، ولا نستطيع أن نتصور مدنية حقيقية تقوم على الفكر والرأى قبل الصراع الذى ثار بين المسلمين فى الشرق والنصارى فى الغرب

ومع أن الديانة الموسوية قد هُزمت منذ أجيال ، فنحن نشهد كيف قاتلتْ قتال المستميت ، وكيف استبقت أنصارها على وجوه التواريخ

الفكر الشرقى هو الذى زوّد الديانة الموسوية بزاد النضال ، وهى لم تنهزم إلا بقوة شرقية ، فما جلا اليهود عن بلد بعد جلائهم عن الجزيرة العربية

وطغيان هتلر وأعوانه فى طرد اليهود من ألمانيا لم يكن إلا نزعة عنصرية ، وثورة هتلر وأعوانه على الديانة المسيحية صورة من ثورته على اليهود ، لأن المسيح يهودىُّ العِرق ، وله فى بلاد العرب أخوال

ومن المضحك أن نرى النازيين فى أوقات كروبهم يفزعون إلى الكنائس ، مع أنها معابد شرقية لا غربية

الإسلام يحرر ألمانيا وانجلترا

كانت دعوة « لوثر » دعوة جريئة فى تحرير المسيحية من العبودية الرهبانية ، فما مصدر تلك الدعوة التى حررت عقول الإنجليز وعقول الألمان ؟

مصدر تلك الدعوة مصدرٌ إسلامىّ ، وأنا أتذكر أن الإسلام ظهر فى الشرق !

« لوثر » قوة فكرية عظيمة ، ولكنه لم يخطر على بال الدكتور طه وهو يتحدث عن قادة الفكر ، لأنه لم يأخذ الفكر عن اليونان ، مع أن « لوثر » أثر فى الأخلاق الأوربية تأثيراً لا يقاس إليه تأثير سقراط وأفلاطون

وأعجب العجب أن اليونانيين لم يستجيبوا لدعوة « لوثر » ، ولم يتركوا المذهب الأورثودكسى

قال هتلر فى كتابه إنه لا يعترف بغير قوتين اثنتين : قوة ألمانيا وقوة انجلترا ، ولم يفته غير النص على أن ألمانيا وانجلترا يتبعان الروح الإسلامى ، وهو الروح الذى ينكر أن يكون بيننا وبين الله وسيط ، ولو كان من أعاظم الرهبان

الشرق يؤثر فى الغرب ، ولا يزال يؤثر فيه من الوجهة الروحية والعقلية ، فما هذا الذى يقول الدكتور طه حسين

هو ينقل كلاما ، وناقل الكفر ليس بكافر ، كما قال القدماء

بين الشرق والغرب

تجمّع الغرب النصرانى لمناضلة الشرق الإسلامى فى أعوام

٧ـ حكاية الوفد الكسروى
لأستاذ جليل

٦ — يقول علقمة بن علاثة :

« ... إنّا وإن كانت المحبة أحضرتنا والوفادة قربتنا فليس من حضرك منا بأفضل ممن عزب عنك »

هذا تركيب مولد ، ومثله قول الإمام مسلم بن الحجاج فى مقدمة كتابه (الجامع الصحيح)[1]

« فإذا نحن تقصينا أخبار هذا الصنف من الناس أتبعناها أخباراً يقع فى أسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان كالصنف المقدم قبلهم ، على أنهم وإن كانوا فيما وصفنا دونهم ، فإن اسم الستر وتعاطي العلم يشملهم كعطاء بن السائب ويزيد بن أبي زياد وليث بن أبي سُليم وأضرابهم من حُمّال الآثار ونُقّال الأخبار ، فهم وإن كانوا بما وصفنا من العلم والستر عند أهل العلم معروفين فغيرهم من أقرانهم ممن عندهم من الإتقان والإستقامة فى الرواية يفضلونهم فى الحال والمرتبة . »

قال صاحب الكليات :

« الفاء فى خبر المبتدأ المقرون بأن الوصلية شائع فى عبارات المصنفين مثل زيد وإن كان غنياً فهو بخيل »

وأورد أقوال نحاة أتعبوا أنفسهم فى إعراب هذا التركيب . واعلم أن ما أصله مبتدأ حاله كحال المبتدأ

* * *

يقول عامر بن الطفيل :

« ما هيبتى فى قفاى بدون هيبتى فى وجهي »

دخول الباء على دون لم يجيء فى كلام جاهلى أو إسلامي ، وقول الأخفش فى كتابه فى القوافى وقد ذكر أعرابياً أنشده شعراً مكفئاً : فرددنا عليه وعلى نفر من أصحابه ، فيهم من ليس بدونه »[1] — مولد . ومثله قول ابن الفرضى :

(١) (٤٠٠٠) حديث خرجه من (٣٠٠،٠٠٠) ألف حديث وجامع البخارى (٢٧٦١) حديثاً خرجه من (٦٠٠،٠٠٠) حديث والحديث الصحيح فى الحديث الكذب كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود كما قال الدارقطنى

(١) رواه اللسان ونقله التاج

الحروب الصليبية ، فماذا وقع فى تلك الحروب وقد طالت حتى جاوز مداها عشرات السنين ؟

قهرنا خصومنا ودحرناهم، لأن أسلحة الحرب كانت واحدة ، ولم يكن لخصم أن يتفوق على خصم بغير قوة العقيدة ورسوخ اليقين وكان نصارى الغرب يهمهم أن يستولوا على مصدر النصرانية فى الشرق ، ومعنى هذا أنهم جاءوا مسلحين بمزاعمنا الروحية ، ولولا العقيدة التى نقلوها عن الشرق لعجزوا عن ملاقاتنا فى أى ميدان .

سيوف الله

كان من المؤكد أن ينهزم الشرق الإسلامى فى هذه الحرب ، لأن أدوات القتال قد تغيرت وتبدلت ، ولم يستعد الشرق لمنازلة الغرب ، لأنه غير مزوّد بالأسلحة التى ابتدعها شياطين الغرب الجديد

لطَفَ الله بالشرق الإسلامى ولَطَف . . . ألم تسمعوا أن الحرب فى روسيا لم تمس الأقاليم المأهولة بالقبائل الإسلامية ؟

عتاب !

هو عتابى على الدكتور طه ، فهل يميل إلىّ بفكره لحظة واحدة ليغيّر رأيه فيما بين الشرق والغرب ؟ وماذا يقع إن لم يسمع ؟ الشرق لن يتخلى عن السيطرة الروحية ، وإن عجز عن السيطرة الحربية ، ولن يُوهن من قوة الشرق أن يقرأ أبناؤه كلاما منقولاً عن أحد الأجانب ، ولو كان الناقل طه حسين

أما بعد فأنا أوصي طلبة السنة التوجيهية أن يثيروا هذه المشكلة أمام لجنة الامتحان ، ليفوزوا بدرجات التفوق ، على شرط أن يفهموا المرامى الدقيقة لهذه الرموز والتلاميح

لجنة الامتحان فى مسابقة الأدب العربى ستؤلف من رجال يسرهم أن يجدوا فتياناً يجادلون ويناظرون ، فالقوم بما أدعوكم إليه ، ليفرحوا بكم ، وليطمئنوا إلى أنكم فاهمون لا ناقلون ... أنا ضامنٌ لكم النجاح إن لاقيتم الممتحنين وأنتم مزوّدون بالفكر والبيان ... انهبوا جوائز وزارة المعارف ، لتفرح بكم فرح الآباء بنجباء الأبناء

زكى مبارك

إن الذى أصبحت طوع يمينه إن لم يكن قرأ فليس بدونه

وقد ورد مثل ذلك فى كلام معزو إلى صحابى وهو دليل على صوغ القول وتوليده

يقول قيس بن مسعود الشيبانى :

« لم نقدم أيها الملك لمساماة ، ولم ننتسب لمعاداة »

تعدية الانتساب بغير حرفه مولدة ، وفى (القامة . .) فى قولها : « فلا يدخل رجل فى غيز قومه ، ولا ينتسب إلى غير نسبه » التعدية العربية القديمة

* * *

يقول عامر بن الطفيل :

« . . . ولَبس القول أعمى من حندس الليل »

بناء (أفعل) من عمى غير جائز ؛ قال الرضى : « لكون بعضها مما لا يقبل الزيادة والنقصان كالعمى »

والشاذ فى هذا الباب معروف . وقول عامر يكاد يكون عصريا ...

وأما القول العربى الكريم : « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا »

فالثانية فيه مثل الأولى[1] ، وليست بمعنى « التى تقتضى من » كما قال العكبرى[2] . وقال الزمخشرى : « قد جوزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل » وأنا لا أرى ذلك ، والطبرى يقول : « ... عمى البصر لا يتفاوت فيكون أحدهما أزيد عمى من آخر إلا بإدخال أشد أو أبين . فليس الأمر فى ذلك كذلك ، وإنما قلنا ذلك من عمى القلب الذى يقع فيه التفاوت ، فإنما عنى به عمى قلوب الكفار عن حجج الله التى قد عاينتها أبصارهم فلذلك جاز ذلك وحسن »

ممن اطمأن فى هذا العصر إلى كلام النعمان عند كسرى وأخذه قولا عربيا جاهليا خالصا ــ العلامة اللغوى الكبير

(١) فى الكشاف : الأعمى مستعار من لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة ، أما فى الدنيا فلفقد النظر وأما فى الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه

(٢) قال : أعمى الأولى بمعنى فاعل وفى الثانية وجهان أحدهما كذلك والثانى هى أفعل التى تقتضى من

الشيخ إبرهيم اليازجى[1] ، قال فى مقدمة كتابه (نجعة الرائد) :

« ... إن من اطلع على المأثور من كلام العرب ... أيقن أن هذه اللغة قد انفردت عن سائر اللغات فصاحة وبيانا ، كما انفرد أربابها فى مذاهب البلاغة تبسطا وافتنانا . وحسب الناظر أن يسرح طرفه فى بليغ منقولها ، ويتأمل ما جاء من البدائع فى محكم فصولها ، من مثل مقالة النعمان فى النضح عن أحساب العرب ، وما ورد عن الإمام على من نوابغ الأمثال وروائع الخطب ، وما جاء بعد ذلك من أقوال مصاقع الخطباء فى صدر الإسلام ... »

وقال فى المقدمة فى مقالة النعمان :

« كان من حديث ذلك أن النعمان بن المنذر وفد على كسرى وعنده وفود الملوك من الهند والصين والروم وغيرها وتذاكروا أقوامهم وملوكهم ، فتكلم الملك النعمان ، وافتخر بالعرب ، وفضلهم على سائر الأمم ، ولم يستثن الفرس ، فدخل كسرى منه شيء ، وتكلم فطعن فى العرب ، فأجابه النعمان جوابا طويلا ... »

ثم نشر مقالة النعمان فى مجلته (الضياء) فى السنة (٧) فى الصفحة (٤٦٠) إجابة لأدباء من قراء مجلته سألوه عنها .

وإن كلاما عربيا جاهليا منثورا ليحرص كل أديب أن يقف عليه ليعرف كيف كان الجاهليون ــ يا أخا العرب ــ ينثرون كما يحرص أن يقف على أقوال الصحابة (رضى الله عنهم أجمعين) وعلى أقوال التابعين (رحمهم الله)

* * *

أجتزئ من أدلة الوضع بما أوردت ، وأختم مكتوبى هذا بالثناء على « الرسالة » الغراء وعلى الشاعر الناثر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن الذى دعا أدبه وفضله فيها إلى تأليف هذه السطور .

(ن)

(١) وممن صدق حكاية الوفد الكسروى ونشر أقوالهم فى مصنفه الامام العلامة الكبير الشيخ محمود شكرى الألوسى (بلوغ الأرب ج ١ ص ١٥٥) والعلامة الشهير الشيخ حمزة فتح الله (كتاب أدبيات اللغة العربية ج ١ ص ١٠٣)

بمناسبة افتتاح العام المدرسي

أمين سامي باشا

ناظر ومدرسة

للأستاذ راشد رستم

[الخطبة التي ألقاها الأستاذ راشد رستم في الاحتفال بعيد مدرسة الناصرية عن المتخرجين من أبنائها]

لأول مرة وفي أول يوم من أول حياتهم المدرسية صغار، لا يعرف بعضهم بعضاً ولم يجتمعوا في مثل هذا الحشد أبداً، ما تعودوا غير الحرية والانطلاق، واللعب على الدوام - إذا بهم وقوف في صفوف، مجمَّعين على مواعيد، مفرَّقين في مواقيت؛ وإذا بهم في فصول وفرق، وإذا بهم في غرف لا يؤذن لهم أن يجلسوا فيها كما يشاؤون، وإذا ببعضهم في « عنابر الداخلية » يقضي لياليه بعيداً عن الأهل والإخوان، بعيداً عن الآباء والأمهات

هكذا تنتقل الحياة بهؤلاء الصغار بين ليل ونهار، من حال إلى حال، من فوضى محبوبة إلى تدقيق ونظام

ثم إذا بهم مطلوب منهم ألا يلعبوا دون أن يعملوا، بل أن يعملوا دائبين، فسيحملون الأمانة من جيل ويحمِّلونها إلى جيل ...

***

تلك حال يواجهها كل تلميذ في سنيه الأولى إذا هو سلم منها في أولها سلست له إلى آخرها، وسار على بركة الله وسبحان الفتاح

وإن هو تعب منها في مبدئها، أتعبته طول وقتها، وهو إذن متبرم منها قلق بها وسبحان الحنان.

***

فما قولكم في ذلك الصغير الذي يواجه هذه العقبة، ولكنه يمر منها على ضوء طلعة صبوح، وفي صحبة روح يشع منها الاطمئنان إليها! وفي رحاب نفس طيبة تشعرك الرضا بها والسكون إليها!

سادتي

ذلك كان حالنا يوم أن اجتمعنا لأول مرة في رحاب الناصرية

لم يكن « أمين سامي » نبياً ولا ولياً، وما كان رسولاً ولا مبعوثاً إلهياً، ولكنه كان رجلاً، عاملاً، وطنياً. وكان أميناً وكان سامياً ...

***

كان أمين سامي طبيعياً، يسير مع الطبيعة في بساطتها، كما يقف معها في دقتها، فلم يكن مُرغماً ولا متعسِّفاً

لم يرغم تلاميذه على غير ما تسمح به طبيعتهم، بل يدرس تلاميذه ويدرس طبيعتهم، ثم يسوسهم ويرشدهم ثم يلقنهم ويوجههم

كان يهيئ لتلاميذه جواً مدرسياً محبوباً، يهيئ لهم نخبة من كرام الضباط والمدرسين، هم في مقام الآباء والمرشدين، يعرفون الفرق العظيم بين « ملف » من شهادات، وكنز من أخلاق

يعرفون أن الخُلُقَ مخلوق قبل العلم، وأن التلميذ أخلاق قبل أن يكون علوماً، وأن مصر في حاجة إلى أخلاق

يعرفون أن هؤلاء الشبان الصغار هم هؤلاء الرجال الكبار

يعرفون أن لهم نحو الوطن رسالة وأن عليهم واجباً

وإننا لنفخر إلى اليوم وإلى الغد وإلى الأبد بأننا تلاميذ لأولئك السادة الكرام — رحم الله الأولين الذاهبين وأطال الله حياة الحاضرين.

***

إن « المعهد » أمين سامي كان مخلص النية لتخريج الأبناء أعياناً لمصر، ورجالاً لمصر، ونجوماً في سماء مصر

هكذا كان الغرض وكان الإخلاص، فكان المطلوب وكان المراد

الواقع أننا كنا في مدرسة تشعرنا بأنها تهيئ لنا جميع وسائل العناية بنا

مدرسة نظيفة معنى ومبنى، نظيفة بكل من فيها وما فيها مدرسة محترمة، تفرض علينا أن نتحلى بكل ما يجعلنا محترمين، تبث فينا الشجاعة والوطنية والإقدام، تشعرنا بأن لنا

مستقبلاً وأن علينا واجباً ، بل أن المستقبل لنا ، وأنه مسؤول منا وأن البلاد تنتظرنا وتنتظر الخير منا .

***

كان أمين سامي « الرجل » مثالاً لنا بل ولغيرنا فى هذا وذاك . كان نبيل الطبع نبيه التطبع ، رجولة فى أبوة ، دقة فى رحمة ، مهابة فى سماحة

كنا نترقبه ونتمنى أن نراه ، ونغار من « دار العلوم » إذا أطال هناك بقاءه...

***

كان مثالاً لنا ولغيرنا فى معنى النشاط ومداه

لم يفارقه النشاط أبداً ، فقد كان به مؤمناً ؛ بل هو نشاط المؤمن

لم يفقد نشاطه برغم ما شدّت عليه الحادثات من فقد العزيز وطول العمر

وكان كلما تقدم فى السن سيَّر النشاط وفق السن ، فهو لم ينزل عنه وإن سلّم بالدرجات فيه

فخره أنه لم يكن عجوزاً ولا عاجزاً ، بل كان دائماً قادراً ماهراً ، ولقد جمعنا حوله فى حياته ؛ وها هو اليوم يدعونا فيجمعنا لتخليد ذكراه مثالاً لنا لا ننساه .

***

ها نحن أولاء ، أبناء الناصرية ، نجتمع اليوم من عهود مختلفات ، وسنين متباعدات ، ولكن ألا يجمعنا جميعاً ذلك اليوم الذى يرجع بنا إلى عهد جدول الضرب وحصة المحفوظات !

ألا عودوا بنا لحظة إلى تلك العهود

ألسنا نتمناها جميعاً برغم ما كان فيها من رجفات الامتحانات !

ألسنا نحيا بذكراها اليوم سعداء ، وسط هذا العالم المضطرب ، وسط هذه الألوان من حياة الانفعالات !

نعم

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليـــل يكر عليهم ونهار

إنما

من عنده لى عهد لا يُضيِّعه كما له عهد صدق لا أُضيِّعه

***

نعم . إننا هنا اليوم مع أبناء اليوم ولكننا هناك فى ذلك اليوم

أليس كذلك يا زميل التختة الواحدة ؟

أليس كذلك يازملاء المائدة الواحدة ؟

أليس كذلك يا زملاء « المنبر » الواحد ؟

أليس كذلك يا زميل « العيش الحاف ، والحبس بعد الانصراف » ؟

***

إن للناصرية طابعاً على كل من ورد عليها

وإن لنا لحنيناً إلى تلك الأيام الحلوة برغم « زنزانة » الحبس بالانفراد

إلى تلك الأيام الناضرة ، وإن كانت قد ذهبت مع التاريخ فى سجل الماضى البعيد ، وإن كانت كذلك تنم لنا على ما دارت به معنا عجلات السنين من عدد السنين

وهل فى الوجود معنى هو أحب إلى الرجل من عهد الصبا ، ولا أسرع بالنفس ذهاباً إليه مهما بعد الحاضر عنه

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا...

***

وأما أنتم يا أولادنا الصغار بل يا إخوتنا الصغار ، يا أبناء الناصرية فهى أمنا جميعاً ، الآباء والأبناء سواء . أنتم أملها الجديد ، ارتبطوا بها وحافظوا عليها

إنكم مخلوقون لزمان غير زماننا ، وقد تهيأت لكم ظروف غير ظروفنا ، نرجو أن تكون خيراً وأبعد أثراً

على أنه وإن كان لكل زمان ملابساته فإن جواهر الحقائق والفضائل باقية لم تتغير ، فالاجتهاد لا يزال محموداً ، والإخلاص لا يزال منشوداً ، والجهاد لا يزال مفروضاً

أنتِ الغراس ومنك الخير ينتظر

ما طاب أصل وخاب الفرع والثمر

احملوا الأمانة من جيل وسلموها إلى جيل

سادتى :

هذه هى الناصرية وهذا هو أمين سامى ، وهذا هو المورد ، وقد كنا ممن استسق وورد ، فشرب وارتوى وحمد

راشد رستم

مراجعات

شعراؤنا والناقد العبقرى ...

للأستاذ دريني خشبة

لن أثور كما ثار الدكتور مندور يا حضرات القراء ، ولن أسمح لأعصابى أن تتمزق على هذه الصورة المضحكة التى تعرض صاحبها لرثاء قرائه وطلبهم المغفرة له ، وذلك لأننى دعوت الأدباء فى مصر أن يضبطوا عواطفهم - فى الصيف - وما كنت أظنهم يهملون صمامها ونحن على أبواب الشتاء .

وقد قدح الدكتور مندور فينا بالذى قدح ، غير أننا نثنى عليه بما هو له أهل من أكرم الثناء ... فقد سعدنا بصداقته قريباً ، ودافعنا عن رجولته التى غمزها صديقنا الكاتب المعروف الذى أغضبه منا هذا الدفاع ، وعزاه إلى خصومة قديمة توهمها بيننا وبينه ، مع أننا أزهد الناس فى الخصومات الأدبية وأحوجهم إلى معونة الأدباء بصدد الدعوة التى ندعو إليها

نثنى على الدكتور مندور فنقرر أنه أعلم منا بالموضوع الذى أثرناه له ووجد فرصته فيه ، فانطلق يكتب هذه الفصول القيمة التى سنقرؤها وحدنا - أو مع خمسة أو عشرة على الأكثر من حضرات القراء الذين يعنيهم هذا الموضوع

الدكتور مندور يا حضرات القراء أعلم منا فى موضوع أوزان الشعر الأوربى لأنها من ضمن ما تخصص حضرته فيه ، ونال عليه الدرجات العلمية العُلى ، فهو إذا تكلم فيها ، تكلم عن علم وبصيرة وخبرة

لكننا مع هذا لا نرى أن يمنعنا أحد من التكلم فى أى موضوع نشاء ، إلا فى الطب والهندسة والصيدلة والكيمياء ، وما إلى ذلك من الموضوعات التى لا تصلها بالأدب صلة ، فهل أعاريض الشعر من هذا القبيل ؟

سيقول الدكتور مندور ، أجل ، هى من هذا القبيل ، بدليل أنك تكلمت فى طرف ضئيل منها ومع ذاك فقد (أخطأت وأوهمت وتوهمت وضلّلت وضلّلت وموهت ولم تتحر الدقة بل تردّيت فى الخطأ البين فى أبحاثك التى تحشدها ...) إلى آخر هذه المجموعة الوافية من العبارات الشافية الكافية التى أسبغها علينا الدكتور الصديق محمد مندور ، الذى كنا نتمنى أن نراه وهو يكتب هذا الفصل المنفعل الصاخب الظريف الذى صبَّ حممه فوق رأسنا !

وقبل أن نداعب أخانا مندور بما هو له أهل من الداعبة ، وقبل أن نكشف الغطاء عما هاجه علينا وأحفظ صدره منا ، نتناول تجهيلاته التى جهّلنا بها ، فنرى كيف أوقعتنا المقادير فى ظلماتها حتى أعمتنا - والعياذ بالله - هذا العمي المطلق الذى لم تره غير عين صديقنا العزيز

عند ما قلنا إن أساس العروض الأوربى هو التفعيلة لا البحر فهم حضرة صديقنا العروضى المحترم أننا ننكر وجود البحور فى الأعاريض الأوربية وعلى هذا بنى بحوثه القيمة ، مع أننا ذكرنا كثيراً من هذه البحور فى الحاشية التى أثبتناها فى ذيل مقالنا وقلنا إن هذه التفعيلة هي أساس البحر (الفلانى !) ومن هذه التفعيلة ومن تلك يتكون البحر (الفلانى) ، وإنما قصدنا بأن التفعيلة هى أساس العروض الأوربى أن الشعراء هناك أكثر حرية فى استخدام هذه التفاعيل فلا يتقيدون بعددها فى السطر (أو البيت) كما يتقيد شعراؤنا هذا التقيد الذى عبناه عليهم ولا نزال نعيبه عليهم . فمجرد (توهم) أننا ننكر وجود هذه البحور هو دليل الأعصاب المزقة والموجدة التى تأكل قلب الصديق الحميم علينا للسبب الذى سنبينه بعد أن نرد ترهاته كلها . والمقال موجود أيها القراء بالرسالة (العدد ٥٣٨) ، فقوله إذن إن كلامنا لا معنى له مطلقاً هو كلام يشبه الهوَس ، ونحن مع ذلك نعذره لأن معرفتنا بالدافع الذى أطلق لسانه فينا يفقد العقلاء عقولهم . وقد منعنا من تناول هذه البحور بالشرح الذى شمر له صديقنا الحميم عن ساعد الجد ما قلناه فى صلب المقال من (أنه ربما لا يسر القارئ ، بل ربما يضايقه جد المضايقة أن نخوض به فى شىء من معميات العروض الإنجليزى) ... وربما أوهمه اقتضابنا هذا لذاك السبب أننا (إنما نوهم ونتوهم أننا نعرف شيئاً ...) إلى آخر هذا السَّفَه الذى نمر به كراماً لأن صديقنا الحميم قاله فى ساعة من ساعات الانفعال الذى سنذكر سببه كما قلنا

ويعيب علينا السيد مندور أننا قرأنا المعلومات التى سقناها فى كتيب من كتيبات العروض ثم استعنا فى شرحها بالقاموس ؛ وهذا ، لو أنه حصل ، لا يضيرنا قط ، ولكنه يضير الصديق

الحيم كثيراً ، لأنه يدل على أنه كان فاقداً لتوازنه وهو يكتب هذا الهذر ، إذ كيف يقرأ الإنسان في كتاب من كتب العروض ، ثم يحتاج إلى القاموس مع أن كتب العروض الإنجليزي لا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا تناولتها بالشرح . . .

على أنني لم أفهم لماذا يعيب السيد مندور الرجوع إلى القاموس أو الاعتماد عليه في شرح كلمة من الكلمات ؟ هل ذلك لأن المعلومات التي في تلك القواميس تكون خطأ عادة ؟ وكيف يا أخي يصح هذا ؟ وكيف ياسيد العروضيين تغفل انجلترا ويغفل الإنجليز عن هذا الخطر الذي جاء السيد مندور ليكتشفه لهم صبيحة يوم الأحد في السابع من نوفمبر سنة ١٩٤٣ ؟!

تالله لقد نبهتني إلى (قفشة) أقفشها لك ، فقد أحسست من ثنايا كلماتك أنك رجعت إلى تلك القواميس كما لم يفعل العبد الفقير إلى الله ، لتنظر في معنى بعض تلك (المعميات) كما سميتها أنا رفقاً بالقراء ، فلما وجدت القواميس تنصر حقي على باطلك ، وتواضعي على ادعائك العريض ، عجلت فأردت توهين هذه الحجة التي أقذف الآن بها عليك لتدمغك ، بالرغم من درجاتك العلمية الجامعية التي لا أنكرها قط ، ولا أقدح فيها قط

إسمع يا صديقي الحيم ما جاء في قاموس القرن العشرين في مادة Alexandrine :

A rhyming verse of twelve syllables, six iambic feet, so called from its use in old French poems on Alexander the Great. It is the ordinary verse of French tragedy.

ومعنى هذا اللغو (في نظر الأخ مندور) أنه بحر (من بحور النظم) يتركب من اثني عشر مقطعاً ، ست تفعيلات إيامبية ، وقد سمي كذلك من أجل ما استعمل فيه في القصائد الفرنسية القديمة ، عن الإسكندر الأكبر وهو البحر الشائع في المأساة الفرنسية

فهل قلنا نحن غير ذلك يا سيد مندور ؟ إليكم ما قلناه أيها القراء ، مما نقله الدكتور الفاضل بقلمه عن مقالنا : « ويفضل بعض الشعراء البحر الأسكندري ، نسبة إلى الإسكندر الأكبر والقصائد التي نظمت فيه من هذا البحر . ويؤثر شعراء المأساة الفرنسيون النظم من هذا البحر إطلاقا ، وهو يتكون من اثني عشر مقطعاً (ست تفعيلات إيامبية × مقطعين)

فأينا الذي لم يتحر الدقة ووقع في الخطأ البين كما قال الدكتور مندور الذي نال درجاته العلمية في هذا العلم ؟ أينا المخطىء أيها القراء ؟ أنا أم قاموس القرن العشرين ، أم الدكتور مندور الذي تخصص في أعاريض الشعر قديمها وحديثها ؟ على أننا نرجع إلى لاروس ــ القاموس الفرنسي المحترم ــ لنرى ماذا يقول هو الآخر : فهو بعد أن جاء بالرواية التي ذكرها السيد مندور ، ويضيف إليها أنه يتركب من اثني عشر مقطعاً كما ذكرنا نحن وأنكره الأخ العزيز المتخصص في أعاريض الشعر ، يقول :

C'est le vers heroique, le vers de l'epopée, de la tragedie, des grands poémes.

فأين الخطأ البين الذي وقعنا فيه يا عالم ؟! لعل الأخ مندور ــ المتخصص في الأعاريض بأنواعها ــ أخذ علينا نسبة هذا البحر إلى الإسكندر من القصائد التي نظمت فيه من هذا البحر وعدم نسبته بالذات إلى أل Roman d'Alexandre ؛ فاسمعوا يا أصدقائي القراء ــ وأنا في حاجة إلى تملقكم بهذه النداءات الظريفة ــ ما تقوله دائرة المعارف البريطانية من هذا البحر ، فهي بعد أن تذكر أنه هو البحر الرئيسي في الشعر الفرنسي ، وأنه يستعمل عادة في الشعر القصصي والمآسي والملاهي الرفيعة ، تقول عن أصل تسميته :

There is some doubt as to the origin of the name, but most probably it is derived from a collection of romances published early in the 13 th century of which Alexander of Macedon was the hero.

ومعنى هذا : أنه يوجد بعض الشك بالنسبة إلى منشأ اسم هذا البحر إلا أن أكثرها احتمالا أنه مشتق من مجموعة من الروايات الشعرية ذاعت إبان القرن الثالث عشر ، وكان الإسكندر المقدوني بطلها .

فما رأي الأستاذ مندور في هذا الهذيان الذي لفت به دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تصنيفها ساداتنا جميعاً من علماء الأمة الإنجليزية ، والذين هم بلا شك أساتذتك وأساتذتي في العروض وفي العلم وفي الأدب وفي ضبط الأعصاب أيضاً ! إنهم لم يقصروا تسمية هذا البحر كما فعلت أيها المتخصص في الأعاريض الأوربية التي ذكرت والتي ذكرها لاروس ، بل قالوا كما قلنا ــ نحن الفقراء إلى الله الذين لم نتخصص في هذا العلم ، لأنه ، وحياة ذقنك ، لا يحتاج إلى هذا التخصص أبداً ، قالوا إن ثمة شكاً في

أصل هذه التسمية ، وإن أكثر الروايات احتمالا نسبته إلى الـ Romances التي نظمت في الإسكندر المقدوني

فأين إذن عدم الدقة ، وأين إذن هذا الخطأ الفاحش الذي تردينا فيه ، وأين هو التوهم والإبهام والضلال والتضليل ، وما نتخيله من أننا نعرف شيئاً ونحن لا نعرف شيئاً قط ؟ !

عفا الله عن مستر هايد الذي كان يلقي عليك هذه الوقاحات يا دكتور جيكل ، في ساعة من ساعات عدم الوعي التي يذكر إخوانك أنها كانت تنتاب جيكل المسكين كما طار أحد أبراج عقله الجبار ...

أما تعبيري عن المقاطع بالطول والقصر وأنه لا ينطبق (بسهولة) على العروض الإنجليزي فقد آثرته ليفهمه الشعراء الذين أكتب لهم ممن درسوا أعاريض الشعر العربي ولم يلموا بلغة أجنبية ، وسأجعلك تطير من الفرح حينما أنقل لك هنا تفسير أحد القواميس التي لا يعجبك النقل عنها لإحدى التفعيلات ، كي تقول لقرائك . ألم أقل لكم إن جل اعتماده على القواميس !

إسمع ما يقوله قاموس القرن العشرين في تفعيلة Amphibrach

A foot of three syllables — a short, a long a short

أي :

an accented syllable between two unaccented.

فهل قلت أنا غير هذا الذي قاله هذا القاموس الجاهل أو دائرة المعارف التي ليس عندها علم السيد مندور ؟ ولقد ضربت لذلك مثلاً لاحظت فيه أن يشمل الارتكاز stress الذي نبه إليه حضرة الناقد اللوذعي فقلت مثل : (رَيْحانِهْ) ، ولاحظت وجود الارتكاز في كل ما ضربت من أمثلة عربية

وبعد . فماذا بقي مما جَهَّلنا به السيد مندور لم نرد عليه ؟

وبعد أيضاً ... فماذا يقول القراء في سائر الآفاق عن هذه اللهجة التي ينحط إليها أدب المناظرة في مصر ؟

وبعد . وبعد ؟ فما سبب هذا الموقف الذي يقفه منا فجأة هذا الدكتور مندور ؟

اسمعوا إذن ياحضرات القراء

ليس صحيحاً أنه يقف هذا الموقف لأنني دافعت عن رجولته التي غمزها هو نفسه بالذي غمزها به صديقنا الكاتب المعروف ، كما يتفكه أصدقاؤه وأصدقائي في القاهرة ... وليس صحيحاً أننا نقتسم فيما بيننا تركة ، فالدكتور ليس من أقربائي ، وإن كان ذلك كان يسرني ويشرفني

ولكن المسألة أن الدكتور مندور يدأب منذ طويل في الطعن على شعرائنا المصريين بدون استثناء . وتجريحهم ، والحط من شأنهم ، بل في تجريدهم من شاعريتهم ، وتفضيل شعراء المُهَاجَر عليهم ، أولئك الشعراء الذين نجلهم ونحبهم ونعرف لهم فضلهم ومعاونتهم في نهضتنا العربية الأدبية الكبرى ... لكن أحداً لم يذهب إلى تفضيل هؤلاء الشعراء الأفاضل عامة على شعرائنا عامة غير الدكتور مندور ، وهو يستشهد في هذه الدعوى بقطع تدل على مبلغ تذوقه للشعر ، ومدى مقدرته على الموازنة بين الشعراء . وقد غضبنا لهذه الخطة الجائرة ، لا تعصباً أعمى لشعرائنا ، وإن يكن التعصب البصير دَيْناً لهم في أعناق الكتاب المصريين جميعاً ، ولكن لأن الدكتور قد جاوز حد الدعابة إلى حد الجد ، وأقول حد الدعابة ، لأنني حسبته إنما يداعب شعراءنا أول الأمر ، ولأن الموازنات التي ذهب إليها كانت كثيراً ما تغثي النفس وتقبض القلب ، وتتعمد الغض من أقدار الشعراء المصريين تعمدا باطلا بلغ حد الخطورة على سمعة الأدب المصري والشعر المصري ، الذي هو مع ضيق آفاقه التي نشكو منها دائماً ، ألمع مظهر من مظاهر هذا الأدب

ففي مقالنا عن – تجديد الأدب العربي – بالعدد (٥٣٥) من الرسالة ، كتبنا كلمات ثناء على شعرائنا الشيوخ نفي بها ما كان يحتمل أن يُفهم من أننا نقصر الرجاء على شعرائنا الشباب في القيام بتجديد الشعر العربي شكلاً وموضوعاً ، فلما بلغنا الكلام عن الأستاذ العقاد قلنا إننا كنا نضع فيه أملنا للنهوض بأعباء تلك الثورة ، لكن أملنا هذا – خاب – بهذا التعبير ، حتى لا يظن أحد أننا إنما نحتمي بأحد في ردنا على صديقنا مندور ... وذلك لأن العقاد آثر أن يسلك الطريق القديمة للشعر العربي شكلاً وموضوعاً ... ولكننا قلنا قبل هذا في المقال نفسه ... « أما العقاد العظيم فهو شاعر المعاني غير مدافع ، والذين زعموا أنه لا شأن له بالشعر هم قوم قليلو البصر بالشعر ، بل ربما كان الأحسن ألا يكون لهم هم شأن بالشعر ، ولو أن العقاد كان يعنى بديباجته وتجويد أسلوبه الشعري لخر أمامه أولئك النقاد جثياً ... »

هذا ما قلناه نثبته هنا لأنه هو الذي أحفظ علينا الأستاذ مندور وذلك لأنه هو قائل تلك القولة الجريئة التي تدل على قيمة

أوزان الشعر

٣ـ الشعر العربى

للدكتور محمد مندور

ليس من شك فى أن الخليل بن أحمد كان رجلا عبقرياً نفخر به مع من نفخر بهم من أجداد . ولكن العلم لا يعرف الوقوف ، ولقد تقدمت الدراسات اللغوية تقدما يحملنا على أن نطمح إلى معرفة أدق من معرفة الخليل بالعناصر الموسيقية فى شعرنا العربى .

والذى لا شك فيه أن الخليل قد وضح حقيقة أساسية فى الشعر العربى لا نستطيع أن نغفلها ، وهى انقسام كل بيت إلى تفاعيل متساوية ، كما هو الحال فى الرجز والهزج وغيرهما ، أو متجاوبة (التفعيل الأول يساوى الثالث والثانى يساوى الرابع) كما هو الحال فى الطويل والبسيط وغيرهما . وهذا التقسيم من أسس الموسيقى والشعر عند الأوربيين اليوم ؛ فهناك وحدات موسيقية متساوية isometriques وأخرى متجاوبة symetriques كما وضح الخليل .

ولكننا لا نكاد نترك وجود التفاعيل إلى بنية تلك التفاعيل حتى نختلف مع الخليل ، وذلك لأنه لم يدلنا على وحدة الكلام وهى المقطع . وأكبر ظنى أن الخليل لم يعرف العروض اليونانى وإلا لفطن إلى المقطع ، وإن يكن قد علم فيما نرجح بالموسيقى اليونانية بفرعيها : (علم الإيقاع La rythmique وعلم الانسجام Les harmoniques) . والعروض اليونانى كما هو معلوم يقوم على المقطع ، والسبب الذى منع الخليل من الوقوع على المقطع مزدوج فيما أظن :

١ — عدم كتابة الحروف الصائتة القصيرة voyelles brèves التى نسميها حركات (الفتح والضم والكسر) فى صلب الكتابة العربية التى لا تزال إلى اليوم مقطعية إلى حد بعيد ، بمعنى أننا نكتفى برسم الحروف الصامتة ، وأما الصائتة فلا تكتب إلا الطويل منها (الألف والواو والياء) . فكتابتنا وسط بين الكتابة الفينيقية والكتابة الإغريقية ، ومن الثابت تاريخياً أن الإغريق عند أخذهم بالكتابة الفينيقية قد أضافوا إليها رسوما خاصة للحروف الصائتة كلها طويلة وقصيرة . وأبنى على ذلك أن الخليل لم يفطن إلى أن الحروف الصائتة القصيرة تكون مع الحرف الصامت Consonne الذى توضع فوقه كحركة مقطعاً تاماً مستقلا . ولهذا اكتفى فى تقطيع التفعيل بالحروف التى تكتب مميزاً بينها بالحركة والسكون .

أحكامه « النائمة ! » كما عبر عنها مناظره الأستاذ المعروف ، والتى يصدرها فى غير وعى ليهدم أمجاد شعرائنا والعقاد ومدرسة العقاد فى مقدمتهم ... الدكتور مندور هو الذى قال : إن العقاد لا شأن له بالشعر ، وهو قول يكفى للرد عليه أن نقول ما قلنا ، لأن الذين يقولون هذا هم قوم لا بصر لهم بالشعر حقاً ، بل ربما كان الأفضل ألا يكون لهم شأن بالشعر على الإطلاق ... نقولها اليوم صرحاء بعد إذ كنا نلمح بها تلميحاً عسى أن ترعوى تلك الطائفة من الكتاب الذين لا هم لهم إلا هدم شعرائنا الذين نعتز بهم جميعاً وبلا استثناء لأنهم أعز علينا من ألف كاتب فج من أمثالهم ... ونحب أن نطمئن قراءنا وأن نطمئن الصديق الحميم الأستاذ مندور ، فنحن لم نر العقاد فى حياتنا إلا مرة واحدة فى مأتم ، ولسنا نطمع فى صداقات جديدة بعد الذى بلوناه من صداقة السيد مندور ، ولكننا مع ذلك نعرف العقاد ونقرأه من نحو ثلاثين عاماً وقد كتبنا عنه سنة ١٩٣٠ ، إذ هو سجين فى ذلك الوقت ، مقالاً نجفل منه الأبالسة ، بالمجلة الجديدة قدرنا فيه العقاد الشاعر والعقاد الكاتب ، مما كان سبباً فى الأخذ بتلابيبنا فى ذلك العهد الرجعى الأسود لا أعاده الله ... ومع ذلك فنحن ما زلنا نقول إن العقاد خيب آمالنا فيه ، وعسى أن يسمدها إن شاء الله ، أما أن نقول إنه لا شأن له بالشعر ، فنكون مجانين ـ نحن فقط دون تعريض بأحد ـ إذا لغونا بذلك مع من يلغون به ...

والعقاد على هذا من « الشعراء الكبار الذين يمجبوننا » كما زل قلم السيد مندور فى مقاله ليسجل على نفسه الداعى الذى دعاه إلى كتابة ما كتب . وفرق بين أن يتفقه المرء فى أعاريض الشعر ، وبين أن يكون شاعراً ، أو أن تكون له موهبة تذوق الأشعار وإصدار الأحكام عليها .

وسنأخذ قريباً إن شاء الله فى نشر دراسات هادئة لكثيرين من الشعراء المصريين شيبهم وشبابهم لتبصر الذين كفروا بأمجاد الوطن بما ضلت أعينهم عن إدراكه من آيات العبقرية المصرية

وبعد ... فإنى أعتذر للقراء عما فرط به القلم من لغو القول فى هذا الحديث ولن أرد على لغو آخر قط .

دريني خشبة

٢ — السبب الثانى هو أن اللغة العربية كغيرها من اللغات السامية تغلب فيها الحروف الصامتة فيما يرجح ، وتلك الحروف يقع منها عادة الوقف ، أى السكون ، ولهـذا لاح للخليل أن التتابع إنما يقع فى الحركات والسكنات ، بينما نجـد فى لغة كاللغة اليونانية أن الحروف الصائتة هى الغالبة ، ولهذا لا نحس فيها بالسكنات الموجودة فى اللغة العربية ، بل نحس فوق كل شىء باختلاف كم الحروف الصائتة فى تتابعها .

هـذان السببان لا يجوز أن يحجبا عنا الحقيقة اللغوية التى تصدق على كل لغة وهى أن المقطع هو وحدة الـكلام . وفى اللغة العربية أربعة أنواع من المقـاطع هى : (١) المقطع القصير المفتوح ، وهو المـكون من حرف صامت وحرف صائت قصير (حركة) مثل المقاطع الثلاثة فى كَـتَـبَ (٢) المقطع الطويل المفتوح وهو المـكون من حرف صامت وحرف صائت طويل (ألف أو واو أو ياء — حروف اللين) مثل « كا » فى كانت (٣) المقطع الطويل المزدوج وهو المـكون من حرف صامت وحرفين صائتين مثل « بَىْ » bai فى بيت مع احتفاظنا بالمناقشة العلمية التى تدور حول طبيعة الياء فى هذا المقطع أهى صائتة أم صامتة (٤) المقطع المغلق وهو المـكون من حرف صامت ، ثم حركة فحرف صامت آخر نحو « تُنْ » فى بيتٌ والحرف الصائت فى هذا المقطع قصير دائماً ؛ فهذا قانون هام من قوانين اللغة العربية وليس له استثناء إلا فى حالات محصورة أهمها حالات الوقف على الإسم المنون مثل « نارْ » ؛ فهى تتـكون فى هـذه الحالة من مقطع واحد مغلق حرفه الصائت طويل ، وكذلك الوقف فى حالتى التثنية والجمع مثل محمدانْ ومحمدونْ ، فالمقطع « دان » والمقطع « دون » كل منهما حرفه الصائت طويل ، وإذن فالقانون العام هو قصر الحرف الصائت فى المقطع المغلق ؛ فهل نعتبره مقطعاً طويلاً أم قصيراً ؟ الواقع أنه مقطع طويل ويأتيه الطول من الزمن الذى يستغرقه الحرفان الصامتان ؛ فهذا الزمن لا بد من حسابه وإن لم يحسبه علماء العروض الإغريقى واللاتينى . ولقد أثبت البحث الحديث أنه من الواجب أن يحسب كم الحروف الصامتة فى كافة اللغات ومن باب أولى فى اللغات السامية حيث تغلب تلك الحروف . ثم إنه إذا كان فى كافة اللغـات حروف آنيـة momentanées كحروف الانفجار (باء وفاء مثلاً) ؛ فإن هناك حروفاً ممتدة continues كالسين واللام مثلاً ، فهذه من الممـكن أن نمد فى نطقها كما نشاء . وإذن فالمقطع المغلق نعتبره طويلاً

ونخلص من هذا إلى وجود مقاطع فى اللغة العربية . وهذه المقاطع تختلف فى كمها . فهل نستنتج من ذلك أن الشعر العربى كمي بمعنى أن كل تفعيل فيه يتـكون من مقاطع مختلفة الـكم بنسب محددة ؟

ذلك ما رآه المستشرق إوالد Ewald فقد وضع للشعر العربى عروضاً على غرار العروض اليونانى وهو عروض مستقيم سهل الفهم مبسط عن عروضنا تبسيطاً كبيراً . ولقد درسناه فى العام الماضى للطلبة بالجامعة فأجادوا فهمه . ويستطيع القارىء أن يجده فى الجزء الثانى « من قواعد اللغة العربية » Arabic Grammar للمستشرق المشهور ريث Right ، ولـكننا مع ذلك لا نقر إوالد ومن نحا نحوه من عامة المستشرقين فى اكتفائهم برد العروض العربى إلى المقاطع الـكمية كما هو الحال فى العروض اليونانى واللاتينى ، وذلك لأنهم لم يبصروا بالإيقاع Rythme ؛ فالـكم كما قلنا لا يـكفى لإدراك موسيقى الشعر بل لا بد من الارتـكاز الشعرى الذى يقع على كل تفعيل ويعود فى نفس الموضع على التفعيل التالى وهكذا . ولقد كان للخليل على المستشرقين ميزة الإحساس بهذا الإيقاع فتتابع الحركة والسكون على نسب محددة يوضح ذلك الإيقاع ولا كذلك تتابع المقاطع المختلفة الحكم .

(الـكلام بقية) **محمد مندور**

٣ – جامع احمد ابن طولون

[حديث ألقى فى نادى التجادة فى ليلة القدر]

للأستاذ أحمد رمزى بك
قنصل مصر فى سوريا ولبنان

يذكر المؤرخون الشىء الكثير عن هذا الجامع ، فيقولون : إن ابن طولون رأى الصناع يبنون فى الجامع عند المشاء ، وكان ذلك فى شهر رمضان . فقال : متى يشترى هؤلاء الضعفاء إفطاراً لعيالهم وأولادهم ؟ اصرفوهم العصر فصارت سنة بمصر معمولاً بها إلى اليوم

ويروى أنه فى يوم الجمعة التى صلى فيها ابن طولون لأول مرة ، قام الخطيب فدعا للخليفة العباسى وولده ونسى أن يذكر أمير مصر وعزيزها ثم تنبه لذلك فقال : « الحمد لله وصلى الله على محمد ، ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ، اللهم واصلح الأمير أبا العباس احمد بن طولون مولى أمير المؤمنين »

* * *

ثم انتهت دولة آل طولون ، وزالت آثارهم ، فما بقى لهم سوى هذا الجامع الخالد يذكر الناس بهم وبأيامهم ، وبمجدهم وهل كان مجدهم إلا مجد مصر ؟

ذكر صاحب النجوم الزاهرة من حوادث سنة ٢٩٢هـ « وزالت الدولة الطولونية وكانت من غرر الدول ، وأيامهم من محاسن الأيام »

وقال أيضاً : ولقد بكى الناس والشعراء دولة آل طولون وقالوا من المراثى الشىء الكثير وذكر مما قال فيهم اسماعيل ابن أبى هاشم :

قف وقفة بفناء باب الساج ... والقصر ذى الشرفات والأبراج
وربوع قوم أزعجوا عن دارهم ... بعد الإقامة أيما إزعاج
كانوا مصابيحاً لدى ظلم الدجى ... يسرى بها السارون فى الأدلاج
كانوا ليوثاً لا يرام حماهم ... فى كل ملحمة وكل هياج
فانظر إلى آثارهم تلقى لهم ... علماً بكل ثنية وفجــاج

وقال سعيد القاص :

وكان أبو العباس احمد ماجدا ... جميل المحيا لا يبيت على وتر
كأن ليالى الدهر كانت لحسنها ... وأشراقها فى عصره ليلة القدر

وقال ابن أبى هاشم :

يا منزلاً لبنى طولون قــــد دثرا ... سقاك صوب الغوادى القطر والمطرا
يا منزلاً صرت أجفوه وأهجره ... وكان يعدل عندى السمع والبصرا
بالله عندك علم من أحبتنا ... أم هل سمعت لهم من بعدنا خبرا ؟

لبيك يا ابن أبى هاشم لقد سمعت لهم خبراً ولكن بعد ألف عام من شعرك : إذ فى سنة ١٨٩٠ بينما كانت لجنة حفظ الآثار العربية تنقل بعض الأنقاض للمحافظة على هذا الجامع العتيق ، عثرت على بعض قطع من الرخام ، جمعت ورتبت فتألف منها اللوح الموجود الآن وهو بالكتابة الكوفية جاء فيها بعد آيات قرآنية ما يأتى :

« أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين أدام الله له العز والكرامة ، والنعمة التامة فى الآخرة والأولى ، ببناء هذا المسجد المبارك ، الميمون من خالص ما أفاء الله عليه ، لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة ، وإيثاراً لما فيه تسنية للدين ، وألفة المؤمنين ، ورغبة فى عمارة بيت الله وأداء فرضه ، وتلاوة كتابه ، ومداومة ذكره ، إذ يقول الله تقدس وتعالى : فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله... »

« فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين »

وقد أجمع العلماء على أن هذه الكتابة أقدم كتابة تاريخها ثابت معروف من كتابات الآثار العربية

رحم الله صاحب الجامع وطيب ثراه

وتقلبت الليالى وتعاقبت الدول ودخل القائد جوهر على رأس جيش من إخواننا أهل المغرب فى خدمة دولة ناشئة ذات صولة ومجد وقوة ، وكانوا أهل دعوة وأتباع مذهب وأمامة . وقد دانت لهم دنيا المغرب ، ونزلت على إرادتهم الأمم . ألم ترفع

ألويتهم على سردينيا وصقلية؟ ألم تدفع لهم مدن إيطاليا الجزية؟ ألم يمخر أسطولهم عباب البحار؟ وفي يوم الجمعة ١٨ ربيع الآخر سنة ٣٥٩ هجرية، دخل القائد المنتصر بعسكر كثيف جامع ابن طولون فأقام الجماعة، وجهر المؤذنون بآذان: حي على خير العمل، فكان أول آذان شيعي جهر به في أرض الكنانة، وصلى بالقوم عبد السميع بن عمر العباسي، وخطب الناس وأطال. ويذكر المؤرخون أنه جاء وعليه قلنسوة وطيلسان دبسي، وأنه زاد عقب الخطبة المعتادة ما يأتي:

« اللهم صلى على محمد المصطفى، وعلى على المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول، الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. اللهم وصل على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين. ودعا للقائد جوهر، وجهر باسم الله الرحمن، وقرأ سورة الجمعة، والمنافقين في الصلاة، وقنت في الركوع فكان يوماً تاريخياً خالداً في حياة مصر العربية التي دخلت في طور جديد بدأته بجامع ابن طولون

هذه ذكريات توحيها وقفة أمام المحراب الكبير، بأعمدته الرخامية ذات التيجان الأربعة، والتي تملك النفس حينما تنظر إلى ما هو من جمال الرخام الملون والفسيفساء المذهبة، ثم الكتابة الكوفية الفاطمية الفائقة الجمال في تنسيق الخط وتزهيره. فإذا اتجهت إلى اليمين، فهناك محراب آخر من العهد الفاطمي، عليه اسم الأفضل والمستنصر، وهناك غير ذلك من آثار ذلك العهد، فإذا مررت بها فاذكر أياماً لهم، وترحم عليهم، فقد جد الفاطميون وأنشأوا وصانوا ولهم الأيادي البيض. وهم إن اختلف الناس فيهم وتباينوا في الحكم عليهم فنحن في زمن تعالى عن نزعات الماضي

(للحديث صلة) أحمد رمزي

الريف المصري

للأستاذ محمد طاهر الجبلاوى

أشرق الضوء على كوخي الصغير في ظلال الريف والخلق نيامْ
فتنبهت على صبح نضير ناعم الأنفاس عذب الابتسام

كشف الستر عن الكون القرير بيد من فضة في عسجدِ
فتجلى وجه الصافي المنير بعد النفس بيوم مسعد

وصياح الديك من فوق اليفاع هاتفاً يبعث في الأفق الطربْ
يا له من شاعر هز البقاع حين حيا بالنشيد المقتضب

والعصافير على أشجارها صادحات بأفانين الغناء
أى روح حل في أوكارها فأشاع البشر فيها والصفاء

وخوار وثغاء وبغام باديَ البهجة في كل مكانْ
هي موسيقى نشوز وانسجام تُبعث الدنيا بها في مهرجان

ونباح الكلب من خلف الغنم في انتباهٍ وصراح واقتحامْ
هزه الوجد وأشجاه النغم فجرى في نشوة بين الزحام

منظرٌ في الريف يستهوى الجَنانْ أين منه ضجة في المدنِ
كل ما فيه جمال وحنان خالد الحسن خلود الزمن

وترى الفلاح رحب المنكبينْ باسطاً كفيه مثل الباشقِ
يرمق الزرع بعين أى عين وفؤاد كفؤاد العاشق

هو في الحقل عزيز الجانب وله فيه مضاء وأملْ
ليس يغرى بنعيم كاذب أو يرى حِلف خمول وكسل

فأسه تنبض في قبضته وهي في الحق حديد وجمادْ
عزمه الصادق في حدته بعث القوة فيها والجلاد

يبذر الحب ويرجو الثمراتْ في رضاء ووقار خالب
حيثما سار يبث البركات وهو يسعى في مسوح الراهب

فإذا الأرض مسرى فيها النماءْ وكساها بالقشيب النَّضِر
خالج النفس صفاء وبهاء وتجلت فتنةً للنظر

فتنة لا بل ضياء وهدى وجمال جل في إتقانه
ذلك المخضلُّ من تحت الندى كم أراح القلب من أشجانه

لو رأيت القطن في بهجته وهو يختال على الغصن المديدْ
قلت حلم الصب في نشوته يتوشى كل يوم بجديد

وكأن القمح في رأد النهارْ يتراءى في شذور الذهبِ
لجة الماء يُغشّيها النضار وتحلى من شعاع المغرب

والسواقي من قريب وبعيدْ صادحاتٌ بالمياه الجارية
يتغنى خلفها طفل سعيد مستظلاً بالغصون الساجية

وبنات الريف يحملن الجرارْ في دلال يكتسى بالخجل
هن للقرية زين وفخار وعليهن صلاح المنزل

حبذا الزوجة تصفى ودها وتواسى الزوج بالقلب الأمينْ
تحلب الشاة وترعى ولدها وهي في الحقل له نعم المعين

خُلق يورق في ظل الربى ويروَّى من معين لا يشابْ
هو والنبت ونفحات الصبا فطرة تذكو بأرواح عِذاب

أيها الريف زهت فيك الحياه وتجلت صنعة المقتدرِ
كلما حدثت قلبي بمناه راعنى فيك جمال الذِّكَرْ

فإذا النفس تولاها الكرى ومضت تغفل عن دنيا الزحام
لحتَ في الخاطر حلماً مزهراً يتلاقى الصفو فيه والسلام

محمد طاهر الجبلاوى



إلى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

أشكر لك أيها الأستاذ الجليل بيانك الجيد عن الشعر المرسل ، ولكنى ما زلت ألح على ثقافتك الممتازة واطلاعك الواسع وشاعريتك السامية العالية ألا تؤثر على هذه الدعوة التى أدعو بها الشعراء كي يقوموا بتجاربهم فى هذا اللون من ألوان الشعر قبل أن يحكموا عليه بمنافاته للذوق وعدم انسجامه وموسيقا الشعر العربى ؛ فهذه هى الاعتراضات نفسها التى صرح بها النقاد فى إيطاليا فى وجه ترسينو ، وفى انجلترا فى وجه مارلو، وفى كل مكان فى وجه الذين حاولوه المحاولة الأولى ... التجربة وحدها هى التى تثبت صلاحية هذا الشعر أو فساده . وقد عرضنا ـ وسنعرض نماذج من شعر الأستاذ أبى حديد ـ وهى نماذج متوسطة ، من نظم رجل لم يشتهر بالشعر ، ولم يمارسه ممارسة المنقطعين للنظم ، وهى مع ذلك لا تسف ذلك الإسفاف الذى يجعلها تنبو فى الذوق ، أو تصدم الأذن الموسيقية ، فما بالك لو كان لدينا اليوم نماذج من هذا الشعر ، وعلى الأسس التى ابتكرها أبو حديد ، من نظمك الشائق الممتاز ، أو من نظم مطران أو محرم أو الكاشف أو الجارم أو على طه أو راى أو ناجى أو الجبلاوى أو شيبوب ، أو من نظم شعرائنا الشباب محمود حسن اسماعيل أو غنيم أو الصيرفى أو عتيق أو بخيت أو البحيرى أو قطب أو فهمى أو المجمى أو جودت أو البشبيشى أو محفوظ أو فتحى أو الوكيل ... إلى آخر هذا الثبت الطويل الذى تمتز به مصر الحديثة من شعرائنا الشباب والشيوخ على حد سواء . . .

أظنك تتفق معى أيها الأستاذ الجليل على أن التجربة وحدها هى التى تكفل لنا الحكم الصادق على صلاحية هذا الشعر أو عدمها ، وأن التجربة التى قام بها أبو حديد إنما ينبغى أن يقوم بها شعراء أقوى ـ ولن يضير أبا حديد هذا القول ـ شعراء مارسوا الشعر وامتازوا بالأسلوب القوى والديباجة المصقولة ، شعراء يستطيعون أن يمنحونا هذا ال Mighty Line كما منحه مارلو وكما منحه شيكسبير للأمة الإنجليزية

ونحن لا نرى أنه من اللازم للازب أن يكب شعراؤنا على هذا اللون وحده من الشعر ، فى نظم الملاحم والمطولات ، إذ يكون هذا هو التعسف بعينه ، فقد تكون المقطوعات أو ال stanzas أجمع للرواية والموسيقا من الشعر المرسل ، خصوصاً إذا قام بنظمها الشاعر الفحل الممتاز ؛ لكننا مع ذلك لا نستطيع أن نغض من قيمة الشعر المرسل المتدفق الذى انتشر فى لغات الأرض قاطبة إلا فى اللغة العربية مع الأسف الشديد . وأحب أن أؤكد للشعراء أنه لا اللغة العربية ولا طبيعة الشعر العربى هما السبب فى عدم إساغتنا لهذا الشعر . بل السبب الحقيقى هو أننا لم نجد التجارب الجيدة فيه ، التجارب التى يحسن أن يقوم بها كبار شعرائنا لا (متأففين) ولا مستنكرين

وبعد ، فأنا أعيذ العقاد العظيم من أن يكون سبباً فى انصراف شعرائنا عن محاولة القيام بتجاربهم فى الشعر المرسل ، بل أعيذه هو من أن يصر على الانصراف عن هذا الشعر .

دريني خشبة

حول أصل الحضارة اليونانية

عرض الدكتور زكى مبارك عند حديثه عن كتاب « قادة الفكر » لمناقشة الرأى القائل بأن « الثقافة اليونانية هى مصدر الثقافة الإنسانية ، وأن الناس فى الشرق والغرب وفى جميع الأجيال مدينون لثقافة اليونان » . وقد انتهى الدكتور من حديثه إلى تقرير أن « الفلسفة اليونانية منقولة عن الفلسفة المصرية » ؛ وهذه النتيجة التى انتهى إليها ، وإن كانت صحيحة على وجه العموم ، إلا أنها تحتاج إلى شىء من الإيضاح

أما بيان ذلك فهو أن أرسطو قد أرجع أصل الفلسفة إلى اليونان حين قرر أن طاليس هو الفيلسوف الأول الذى نشأت على يديه (فى القرن السادس قبل الميلاد) أول فلسفة عرفها التاريخ ؛ ولكن ذيوجانس اللائرسى - وهو من المؤرخين اليونانيين - عارض فى هذا الرأى ، فتحدث فى مقدمة كتابه الموسوم باسم « حياة الفلاسفة » عن وجود فلسفة سابقة للفلسفة اليونانية عند الفرس والمصريين . وعلى ذلك فإن مشكلة أصل الفلسفة قد اختلف فيها من قديم الزمان ، وتبعاً لذلك فقد تساءل الباحثون : هل كانت الفلسفة شيئاً استحدثه اليونان أم تراثاً انتقل إليهم من « البرابرة » ؟

بيد أن النتائج التى انتهى إليها الباحثون أخيراً قد رجحت الرأى الثانى ، إذ أن الكشف عن وجود حضارات سابقة

للحضارة اليونانية ، كالحضارة العراقية (فيما بين النهرين) والحضارة المصرية ، والتحقق من أن مدن أيونيه — وهي مهد الفلسفة اليونانية — قد كانت على اتصال بهاتين الحضارتين ؛ كل هذا قد ساعد على ترجيح الرأي القائل بأن الشرق هو أصل الحضارة اليونانية . ولا يمكن أن يكون التشابه القائم بين قول طاليس بأن الماء أصل الأشياء وبين العبارات الواردة في فاتحة « قصيدة الخلق » Poème de la Création التي كتبت في العراق قبل ذلك بقرون كثيرة ، راجعاً إلى مجرد الاتفاق والصدفة . هذا إلى أن البحوث المتأخرة في الرياضيات وتاريخ نشأتها ، قد تأدت بالباحثين إلى نتائج مماثلة : إذ أن جاستون ملهو G Milhaud في كتابه : « دراسات جديدة في تاريخ التفكير العلمي » قد انتهى إلى القول بأن « المواد التي استطاع الشرقيون والمصريون أن يجمعوها في الرضيات ، كانت بلا شك أكثر أهمية وأوفر غنى مما كنا نتوهم منذ نحو عشر سنين » . وفضلاً عن ذلك فإن علماء الاجتماع الذين قاموا بدراسة « العقلية البدائية » قد وجدوا في الفلسفة اليونانية آثاراً تدلنا على أن المذاهب الفلسفية الأولى لليونان لا يمكن بحال ما من الأحوال أن تكون بدائية أولية ، وعلى ذلك فإنها لا بد أن تكون صورة مهذبة ناضجة لتفكير أكثر من ذلك عراقة وقدما . وإذن فإن من المرجح أن تكون الفلسفة اليونانية قد نشأت عن أصل شرقي ، وأن يكون الفلاسفة اليونانيون الأولون منظمين ومعدلين ، لا مخترعين ومبتدعين[1]

زكريا ابراهيم

حياة مي : للأستاذ محمد عبد الغني حسن

بين يدي الآن كتاب « حياة مي » دفعه إليّ الأستاذ فتح الله صقال ، لأنظر فيه ، وأكتب

فتحت الكتاب لأقرأ (الآنسة مي) والفهرس ، ثم أطبقه إلى أن تتاح لي فرصة لقراءته ، فلما قرأت ترجمة الآنسة مي شاقني ما بعدها ، وقادني حسن البيان ، وسلاسة العبارة من صفحة إلى أخرى حتى رأيتني أفرغ له فلا أدعه حتى أتمه ، ولا أتمه حتى أهمّ بالكتابة عنه ، ولا أهم بالكتابة حتى يمضي بي الفكر إلى غايته . ولشد مارغبت لو طال الحديث عن مي ليطول استمتاعي بتلك اللذة الساحرة التي لا يظفر بها المرء إلا في أمثال هذه الآثار الأدبية التي لا يحس المرء في تلاوتها ضجراً ولا تعباً .

لقد جنيت من هذا الكتاب ثمراً حلواً وظفرت منه بمتاع قيم ، ووجدت فيه لنفسي غذاء كما وجدت عن نفسي ترويحاً وعليها ترفيهاً . وأحب أن يشاركني القراء في هذه المتعة القوية . فالكتاب مشوق جذاب بموضوعه وطريقة أسلوبه

أما موضوعه فمن أحب الموضوعات إلى النفس لأنه يبحث عن « حياة مي » . وأنا أحب مياً وأكلف بها ، وأحب التحدث عنها والاستماع للذين يتخذونها موضوعاً للحديث حين يخوضون من حياتها وأدبها . فهي من الشخصيات الجديرة بالدراسة حقاً من حيث أنها غذت نهضة الفكر العربي ، والنهضة النسائية مدى ربع قرن ، فكان لها في كل موضوع رأي ، وفي كل مكتبة أثر

وأما طريقته فطريقة التحليل النفسي بصدقه ودقته ، والعرض الروائي بطلاوته وحبكته . وأما أسلوبه فأسلوب أدبي قوي لا عوج فيه ولا التواء ، ينساب في كثير من المواضع كالجدول الصافي . ولا ريب أن الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، قد بلغ أقصى ما أراد في الجهة التي اختارها أو اختارها له « المقتطف » شيخ المجلات العربية الذي يحسن أن نشير إلى ما كان بينه وبين الأديبة النابغة من مودة وثيقة دامت ردحاً من الزمن ، فلا عجب إذا تولى المقتطف إخراج هذا الكتاب وفاء لصديقته وقياماً بالواجب الأدبي نحو إنتاجها الفني . وقد استوعب الكتاب ترجمة مي وثقافتها ومحافظتها على الروح الشرقية ، وعطفها على الحياة الإنسانية ، واحترامها للشرائع السماوية ، وحبها للغة العربية ، وطريقتها في الكتابة النثرية ، وجهودها في النهضة النسائية ، وتأسيس ندوتها الأدبية ، وكل ما اتصل بحياة مي الثقافية من الأحاديث والأخبار التي حصل عليها الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، من قادة الفكر في مصر كدليل على صدق خدمتها للأدب ورفيع مكانتها في النهضة

لذلك أرى أن القارئ يصيب من مطالعة هذا الكتاب غرضين ، معرفة الآنسة مي ، والوقوف على آراء الأدباء والشعراء فيها . وكلاهما جليل الخطر ، عظيم الأثر . وهو أثناء ذلك يستمتع بتلك الروح العذبة تطالعه من بين السطور ، روح الآنسة مي ، تشع بالنور ، وتنضح بالعطر . وتنبض بالحياة

جزى الله الكاتب الفاضل خير ما يجزى به العامل المخلص على جهده وتوفيقه . والشكر الجزيل للمقتطف على عنايته بتقديم هذا المجهود الأدبي إلى الأدب العربي الذي لا يستغنى عنه أديب .

(حلب — سوريا)

صبحي العميلي

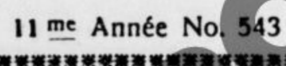
---

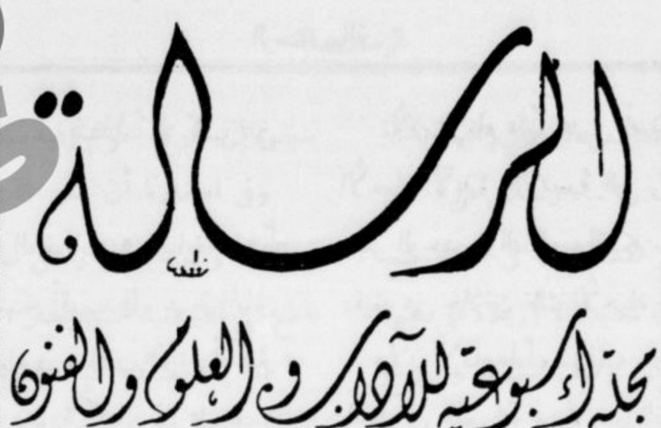
(١) « تاريخ الفلسفة » لاميل برية ، الجزء الأول ، الكتاب الأول ؛ المقدمة باريس سنة ١٩٣٨ من ص ٣ إلى ص ٦

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 543 — Lundi - 29 - 11 - 1943





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٥٤٣ « القاهرة في يوم الإثنين أول ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـرس

وجهـــات نظر

للأستاذ عباس محمود العقاد

كانت الملاحظات التي أبداها النقاد على كتابي « عبقرية الإمام » قليلة فيما كتب عنه حتى الآن

وأقل منها الملاحظات التي تشتمل على وجهة نظر في التاريخ أو التحليل النفسي تقوم على الدرس وتستحق المناقشة

ومن هذه ملاحظات الزميل الفاضل الأستاذ أحمد أمين بك في كلمته الموجزة بصحيفة « الثقافة »

وخلاصتها :

١ — أنني اعتمدت على بعض الروايات من غير كبير نقد ، كاعتمادي على رواية نهج البلاغة في وصف الخفاش والطاووس ونحو ذلك

٢ — وأنني اعتمدت على ما روى في حديث سوأة عمرو ابن العاص ، وهي رواية لم يقرأها الأستاذ الفاضل في الطبري ويذكرها المؤرخون الأثبات بصيغة « التمريض » . فيقول السمودي : وقد قيل في بعض الروايات ، ويشير إليها ابن عبد البر في الاستيعاب فيقول ... « فيما ذكروا » وكلها عبارات تدل على التشكيك

٣ — وأن تقسيم الكلمة الذي نسب إلى الإمام في علم

النحو أشبه بالتقسيم المنطقى اليونانى . وهذا كله ناب عن طبيعة العصر

٤ — وعلى الجملة كنت فى « العبقريات » السابقة فناناً وقاضياً فمضيت فى كتابى هذا على نهج أقرب إلى نهج المحامى والفنان ، فتعرضت للدفاع عن الإمام فى مواقف النزاع أكثر مما تعرضت لرسم شخصيته . ولعل جو الكتابة فى على نفسه قضى بذلك ، لأن حياته السياسية كانت نزاعاً لم ينته حتى بالموت

* * *

وهذه الملاحظات كلها يصح أن تلخص فى أمر واحد وهو اختلاف مقياس الترجيح والنفى والإثبات

وخلاصة هذا القياس عندى هو أن نجزم بدليل قاطع أو ننفى بدليل قاطع ، وأما الترجيح فالمعول فى قوته وضعفه على مشابهة القول المرجح للمعهود والمعقول ، فإن كان هذا القول مشابهاً لهما فلا ضير من الأخذ به على أية حال ، كأن نعلم أن فلاناً رجل محسن فلا يضير بعد ذلك أن يقال إنه أحسن بدينار فى يوم من الأيام ، وهو فى ذلك اليوم نفسه لم يحسن بدينار ولا بدرهم ، أو يقال إن آخر لص معروف فلا يضير أن يتهم بسرقة رجل بعينه وهو لم يسرق منه بل سرق من رجال آخرين

* * *

وعلى هذا القياس نرجع إلى اختلاف وجهة النظر بيننا وبين الأستاذ الفاضل فى موضوع الملاحظات التى أبداها ، فلا نرى أننا تجاوزنا القدر اللازم من الترجيح ، أو أننا قررنا شيئاً يحتاج تقريره إلى برهان أقوى من البرهان الذى اعتمدناعليه

فأما نهج البلاغة فقد تشككنا فى نسبة بعضه إلى الإمام كما تشكك غيرنا من قبلنا ، ودعانا إلى الشك فى بعض عباراته كما قلنا فى عبقرية الإمام « ... غلبة الصيغة الفلسفية عليها وامتزاجها بالآراء والمصطلحات التى اقتبست بعد ذلك من ترجمة الكتب الإغريقية والأعجمية ، ولا سيما الكلام على الأضداد والطبائع والعدم والحدود والصفات والموصوفات »

ولكن لا يدخل فى هذا ما جاء فى نهج البلاغة من الكلام على الطاووس والخفاش وما إليه ، لأنه لا يشتمل على شىء يستغرب صدوره من الإمام على أو يستغرب صدوره من العصر الذى عاش فيه

لأن الإمام علياً عربى أصيل ، والعرب مشهورون بوصف الأحياء الآبدة والأنيسة التى رأوها ، ولهم فى الخيل والإبل وبقر الوحش والظباء والكلاب والطير أوصاف لا يدق عنها دقيق من خلائق تلك الأحياء

ولأن الإمام علياً مسلم وفقيه دارس للقرآن ، والمسلمون مأمورون بالنظر فى خلق الله ، ولا سيما الفقيه الدارس المطيل للدراسة

ولأن الإمام علياً عرف بالنزعة الصوفية التى جعلت كثيراً من علماء الكلام ورجال الطريق ينسبون أنفسهم إليه

ولأن العبارات التى وصف بها الخفاش والطاووس فى نهج البلاغة لا تنافر بينها وبين عبارات الإمام أو عبارات عصره

فترجيح نسبتها إليه لا ضير فيه

وإذا بطلت نسبتها إليه بطلاناً جازماً — وهى لم تبطل قط — فالحقيقة المعهودة المعقولة باقية كما كانت قبل نسبتها إليه ، وهى أنه كان ينظر فى خلق الله وينزع فى تأمله نزعة المتصوفين

* * *

أما حديث سوءة عمرو ، فقد رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار وابن عبد ربه فى العقد الفريد ، ورواه الذين ذكرهم الأستاذ الفاضل بصيغة التمريض

فإبطال هذه الروايات إنما يقوم على تنافر بين العمل وبين طبيعة عمرو بن العاص أو طبيعة على بن أبى طالب

ولا تنافر بين العمل وبين طبيعة الرجلين

فعمرو بن العاص فى عنفوان شبابه سمع رجلاً يطلب قبلة من امرأته فحقد عليه وأضمر الكيد له ، ولكنه لم يمنعها أن تقبله بل أمرها بذلك قائلاً : « قبلى ابن عمك » ثم انتقم منه بعد أن خرج من المأزق الذى كان فيه

فليس بمستغرب من معهوده ومعقوله أن يخرج من مأزق الموت فى وقعة صفين بمثل تلك الحيلة ، وقد بلغ الشيخوخة التى تهدأ فيها عرامة النفوس

وليس بمستغرب كذلك من الإمام أن يعرض عنه ، لأنه كان لا يتبع مولياً ولا ينظر إلى عورة ، وكان ينهى جنده أن يتبعوا المولين ويهتكوا العورات

وليس بناقض لهذه الروايات أن الطبري لم يحفل بها ولم يثبتها ، لأن الطبرى فى تاريخ عمرو بن العاص خاصة مخل أيما

إخلال . وقد نبه إلى هذه الحقيقة كتاب بطلر الذى طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر فقال بحق : « ... ولكن من أكبر ما يدعو للأسف أن كتابه ناقص نقصاً عظيماً فى أخبار فتح مصر ، فإن روايته فى ذلك قليلة قلة شديدة ، وزيادة على قلتها قد دخلها خلط كبير فى كل ما يتعلق بوصف البلدان وتواريخ الحوادث وذلك يدعو إلى كثير من التضليل »

فليس الطبرى بالمرجع الوافى المقنع فى تاريخ عمرو وما ينسب إليه ، لأنه قليل الاحتفال بمعظم تفصيلات هذا التاريخ

ونعود إلى قاعدتنا فى قياس الترجيح فنسأل : ترى لو لم يثبت حديث الرواة فى هذه المسألة فماذا يبطل من صفاتنا للامام ؟

إننا جئنا بها مع غيرها للدلالة على نخوة الإمام

ونخوة الإمام صفة ثابتة له على كل فرض من الفروض التى تحوم حول هذه الرواية

فهى إذن شىء لا يجزم بنفيه

وهى إذا جزم بنفيها لا تغير الحقيقة النفسية التى أثبتناها للامام أقل تغيير

***

وقد عرضنا نحن لرواية من قال إن الإمام علياً وضع أساس علم النحو فقلنا : « ... وتواتر أن أبا الأسود الدؤلى شكا إليه شيوع اللحن على ألسنة العرب فقال له : اكتب ما أملى عليك ، ثم أملاه أصولاً منها أن كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف ... إلى آخر ما جاء فى تلك الرواية

وإلى هنا نحن نقرر الواقعة التاريخية ولا نزيد عليها ، لأن التواتر فى كتب العرب هو هذا بلا مراء

ثم نعقب فى عبقرية الإمام فنقول : « وهذه رواية تخالفها روايات شتى تستند إلى المقابلة بين اللغات الأخرى فى اشتقاق أصولها النحوية ولا سيما السريانية واليونانية »

إلى أن نقول : « ولا يمتنع عقلاً أن يكون الإمام أول من استنبط الأصول الأولى لعلم النحو العربى من مذاكرة العلماء بهذه الأصول بين أبناء الأمم التى كانت تلتقى فى الكوفة وحواضر العراق والشام ، وهم هنالك غير قليل ، ولا سيما السريان الذين سبقوا إلى تدوين نحوهم وفيه مشابهة كبيرة لنحو اللغة العربية »

وفى اعتقادنا أن الحد الذى وقفنا عنده هو الحد المأمون فى الشك والترجيح ، وليس لنا أن نقول غير ما قلنا بغير دليل قاطع من الأسانيد الصحيحة

أما إذا اعتمدنا على المقاربة الترجيحية فالسريان أقرب إلى اللغة العربية وإلى الكوفة من اليونان ، ومذاكرة الإمام لعلمائهم أقرب من مذاكرته لعلماء اليونان . ومن شاء بعد ذلك أن ينفى الروايات المتواترة نفياً قاطعاً فعليه الدليل

***

هذه أمثلة لقياس الترجيح والتشكيك عندنا فى مختلف الروايات ، وهو على ما نعتقد القياس الوحيد المأمون ؛ لأن الرواية التى نشك فيها لا تبطل شيئاً من الآراء التى نقررها سواء مضينا بالشك إلى التأييد أو إلى التفنيد . وليس لنا أن نتجاوز الشك إلى الجزم بغير برهان وثيق وسند لا مطعن فيه

***

وبعد فإننا نوافق الأستاذ الزميل على أننا قد اتخذنا موقف المحامى عن الإمام فى كتابنا عن عبقريته ، وأن جو الكتابة هو الذى قضى علينا باتخاذ هذا الموقف ، لأن النزاع حول على يوجب التعرض لوجوه هذا النزاع ، كما يوجب إنصافه مما قيل فيه

ولكننا لا نوافقه على أن الدفاع يمنع « رسم الشخصية » على الوجه الأمثل ، لأن تصحيح الأقوال التى يوصف بها رجل من الرجال هو القدمة الأولى لتصحيح صفاته والتعريف بحقيقة شخصه ، وليس من اللازم أن يكون حكم القضاء مخالفاً لبرهان الدفاع . بل كثيراً مايعتمد عليه وينقله بنصه ويبطل كل ماعداه

وإن من الحق علينا لزميلنا الكبير أن نشكر له ملاحظاته القيمة ، لأن اللاحظات التى تصدر عن وجهة نظر هى جلاء لوجهة نظرين بل لوجهات أنظار ، ومنها الفائدة التى يبتغيها النقاد والقراء والمؤلفون .

عباس محمود العقاد

حكمت محكمة مصر بجلسة ٤ – ٦ – ٩٤٠ بتغريم حامد عبد ربه بقال بروض الفرج ١٥٠ قرشاً ونشر الحكم بمجلة الرسالة لبيعه كبريتاً بأزيد من السعر المحدد .

مسابقة الأدب العربي

البهـــاء زهـــير

للدكتور زكي مبارك

تمهيد

ينص منشور وزارة المعارف على أن المتسابقين يُمتحنون تحريريًّا فى الكتب الآتية :

١ — ديوان البهاء زهير وديوان عَـلَم الدين المحيَوى

٢ — كتاب أخبار أبى تمام للصولى

ومعنى هذا أن الديوانين الأولين جُعِلا فى حكم الكتاب الواحد، لأنهما لشاعرين عاشا فى عصرٍ واحد وفى بيئة واحدة ، ولأنهما يقتربان فى المناز ع الشعرية بعض الاقتراب ، وسنعرف هذه الشئون حين نوازن بينهما فى الأحاديث المقبلات

حياة البهاء زهير

للأستاذ مصطفى باشا عبد الرازق بحثٌ جيّد عن « البهاء زهير » ، وفى ذلك البحث كلامٌ مفصّل عن حياة الشاعر ، فمن الواجب أن يرجع الطلبة إليه ، وهو يوجد فى مكتبات المدارس الأميرية . وإنما أشير بالرجو ع إلى هذا البحث ، لأنه أوفى ما كُتب فى ترجمة البهاء زهير ، ولأن الاطلاع عليه يقدم إلى الطلبة فوائد أدبية وتاريخية لا يظفرون بمثلها إلا بعد عناء

ومن طريف الحوادث أن وزارة المعارف كانت رأت توزيع هذا البحث على تلاميذ المدارس الثانوية ، ولكنّ ناساً من أهل الأسكندرية ثاروا وطالبوا بسحبه من مدارس البنات ، بسبب قطعة وردت فيه ، وهى أبيات من شعر البهاء تُشبه ما يسمونه الأدب المكشوف ، مع أنها لا تستوجب العنت فى اللجاج ، ومع أنهـا فى كتابٍ عُرف مؤلفه بالحرص على مراعاة الذوق فى الكتابة والحديث

رأى الدكتور طه حسين

حين أظهر الشيخ مصطفى بحثه عن البهاء تفضّل وأهدانى نسخة ، فحدثت الدكتور طه فى تلك الهدية فقال : لقد أتعب الشيخ مصطفى نفسه فى غير طائل ، لأن البهاء زهير لا يستحق هذا المجهود ، ولن يكون من أعلام الشعر بأى حال ، فمن الظلم أن نحلّه ذلك المكان

قلت : ولكن البهاء زهير تفرّد بالرقة فى التعبير ، وتلك ظاهرة أدبية تستحق الالتفات

فقال الدكتور طه : الشعر العربى مظلوم من هذه الناحية ، فالوعورة لا تغلب إلا على الشعر الجاهلى والشعر الأموى ، ثم غَلبت السهولة بعد ذلك على أكثر الشعراء

القول الفصل

هو القول الذى نطق به التاريخ الأدبى ، فقد ثبت أن ديوان البهاء زهير ظفر بقبول لم يظفر به ديوان ، فقد طُبع عشرات المرات فى مصر وفى غير مصر ، وتُرجم شعراً إلى اللغة الإنجليزية منذ زمان ، وقال مترجمه إنه قريب الروح من شعراء الإنجليز فى القرن السابع عشر ، ومعنى ذلك أنه انتقل من الصبغة المحلية إلى الصبغة الدولية ، وهذا مغنمٌ ليس بالقليل

والواقع أن فى شعر البهاء نفحة عطرية لا نجدها عند أكثر الشعراء ، فقد كان مرهف الإحساس إلى أبعد الحدود ، وكانت قدرته على التعبير قدرةً عاتية ، لأنه استطاع أن يعبر عن جلائل المعاني بعبارات هى غاية فى اللطف والإيناس

مشكلة المشكلات

هى مشكلة التعبير ، ويعزّ علىّ أن أقرر أن هـذه المشكلة سيطرت على تاريخ الأدب العربى ، ولم تظفر إلى اليوم بما تستحق من الحلول

ومرجع هذه المشكلة إلى اعتبار الجزالة أساس البلاغة فى لغة العرب ، فالكلام الجزل هو الكلام البليغ ، الكلام الجدير بالانتساب إلى العرب الفُصحاء

أما الكلام الرقيق فهو من أفانين المولدين ، لأن الحضارة

هى التى أوحت بالرقة واللطف ، ولهذا استباح الدكتور طه أن يرتاب فى كل شعر رقيق ينسب إلى العصر الجاهلى ، كما تشهد نصوص كتابه الذى أثار الناس قبل سنين

وأقول بأن الدكتور طه لم يفطن إلى مقامات الكلام عند شعراء الجاهلية ، وهى مقامات لا تعترف بوحدة الأسلوب ، وإنما تلوّن الأساليب وفقاً لما توحى به شجون الأحاديث ، فترى الجزالة هنا وترى الرقة هناك

وفى القرآن شواهد على صحة هذا القول ، فهو يُؤثر الرقة فى مقام الوعد ، ويؤثر الجزالة فى مقام الوعيد ، ونثرُ القرآن نثرٌ جاهلىّ ، كما بينت ذلك فى كتاب « النثر الفنى » ، لأنه نزل على العرب وهم جاهليون لا إسلاميون

لحظة مع الشيخ مصطفى عبد الرازق

هى لحظة قصيرة أتعالم فيها عليه ، لأزعم أنى أعرف من أسرار البلاغة أكثر مما يعرف ، وهيهات ثم هيهات !

هذا الشيخ صورة من أدب النفس ، والتحامل عليه لا يليق ، لأنه يرحب بهجومى عليه ، ويسرّه أن أساجله فى أى ميدان ، وأنا سأشرح صدره فأقدم إليه فائدة بلاغية لم تخطر فى باله عند تأليف الكتاب

لقد نصّ فى كتابه على أن الرقة فى شعر البهاء زهير هى الطبع ، وأن الجزالة هى التطبّع ، وأن البهاء لم يُؤثر الجزالة إلا فى الظروف التى يحاول فيها منافسة خصومه من أعيان الشعراء

وأقول بأن الجزالة فى شعر البهاء قضى بها الطبع لا التطبع لأنها من وحى المقام لا من وحى التكلف ، وإلا فما الذى يريد الشيخ مصطفى أن يقول البهاء وهو يذكر انتصار الملك الكامل ، وإجلاءه الإفرنج عن ثغر دمياط ؟

هل كان ينتظر أن يصطنع لغته فى الغَـزَل ، اللغة التى يرقّ بها فيقول :

سـلِّمْ علىّ إذا مرر ... تَ فلا أقلّ من السلامِ
الغدر فى كل الطبا ... ع فلا أخصّك بالملام
ما أكثر العذّال فى ... ولمى عليك وفى غرامى
هَـبْنى كتمتهمُ هوا ... كَ فكيف أكتمهم سقامى

هذه لغة فى رقة الخد الأسيل ، وهى هنا مقبولة لأنها أشبه بمناغاة الحبيب للمحبوب ، ولـكنها لا تصلح للتعبير عن اصطخاب القلوب عند انتزاع ثغر دمياط من أوشاب المغيرين

أمِـن التكلف أن يقول البهاء فى مدح الملك الكامل :

بك اهتز عِطف الدِّين فى حُلَل النصر ... ورُدَّت على أعقابها مِلّة الكفرِ
وليلةِ غزوٍ للعدو كأنها ... بكثرة من أرديته ليلة النحر
فياليلة قد شرّف الله قدرها ... ولا غرو إن سميتها ليلة القدر
سدَدْتَ سبيل البر والبحر عنهمُ ... بسابحةٍ دُهمٍ وسـابحةٍ غُرِّ
أساطيل ليست فى أساطير من مضى ... بكل غرابٍ راح أفتك من صقر
وجيش كمثل الليل هولاً وهيبةً ... وإن زانه ما فيه من أنجم زُهرِ
وكل جوادٍ لم يكن قطّ مثله ... لآل زهـير ، لا ، ولا لبنى بدر
وباتت جنـود الله فوق ضوامرٍ ... بأوضاحها تُغنِى السُّراة عن الفجر
كفى الله دِمياط المكاره إنها ... لَمِن قبلة الإسلام فى موضع النحر
وما طاب ماء النيـل إلاّ لأنه ... يحلّ محل الريق من ذلك الثغر

فهذا الشعر يراه مصطفى باشا مجاراةً للقدماء ، لغلبة الجزالة عليه . ولـكن الواقع أن الجزالة هنا ضرورية ، لأن المقام لا يسمح بالرقيق

وعند مراجعة القصائد الموسومة بالجزالة نرى مقامات الكلام هى التى فرضت على الشاعر أن يختار الجزل ، وهذا من دقائق الصناعة الشعرية ، فلا موجب للحكم بأنه يخرج على الطبع ليساير القدماء

ولنذكر مثالاً ثانياً من الجزل هو قوله فى مدح الملك الصالح نجم الدين أيوب :

ولقد سعيت إلى العلاء بهمةٍ ... تقضى لسعيي أنه لا يُخفق
وسريت فى ليلٍ كأنّ نجومهُ ... من فرط غيرتها إلىّ تحدّق

متى وصلتُ سرادق الملك الذي
تقف الملوك ببــابه تسترزق

فإليك يا نجم السماء فإننى — قد لاح نجم الدين لى يتألق
الصالح الملك الذى لزمانه — حسنٌ يتيه به الزمان ورونق
ملأ القلوب مخافةً ومحبةً — فالبأس يُرهَب والمكارم تعشق
فعدلت حتى ما بهـا متظلمٌ — وأنلت حتى ما بهـا مسترزقُ
يا من رفضتُ الناس حين لقيته — حتى ظننت بأنهم لم يُخلقوا
قيدتُ فى مصر إليك ركائبى — غيرى يغرّب تارةً ويشرّق
وحللت عندك إذ حللت بمعقلٍ — يُلقى إليـــه مارد والأبلق
وتيقّـن الأقوام أنى بعـدها — أبداً إلى رُتب العلا لا أسبق

فرُزقت ما لم يُرزقوا ، ونطقت ما
لم ينطقوا ، ولحقت ما لم يلحقوا

فما عيبُ هـذا المديح حتى يقال إنه دون سائر فنون البهاء فى الطرافة والإبداع ؟

وأحب أن أذكر مثالاً ثالثاً يؤكد ما قصدت إليه من أن الجزالة فى شعر البهاء طبعٌ لا تطبُّع ، لأن المقام يوجبها كل الإيجاب .

قال فى مدح الملك الناصر يوسف :

ومذ كنت لم ترضَ النقيصةَ شيمتى
ومثلُك يأباها لمثلى ويأنف

ولا أبتغى إلا إقامة حرمتى — ولست بشىء غيرها أتأسف
ونفسى بحمد الله نفسٌ أبيةٌ — فما هى لا تهفو ولا تتلهف
ولـكنَّ أطفالاً صغاراً ونسوةً — ولا أحدٌ غيري بهم يتلطف
أغار إذا هبّ النسيمُ عليهمُ — وقلبى لهم من رحمة يترجّفُ
سرورى أن يبدو عليهم تنعّمٌ — وحزنى أن يبدو عليهم تقشف
ذخرتُ لهم لطف الإله ويوسفاً — ووالله لا ضاعوا ويوسف يوسف

أكلّف شعرى حين أشكو مشقةً
كأنىَ أدعوه لمـا ليس يُؤْلَف

وقد كان معتاداً لكل تغزّلٍ — تهيم به الألبابُ حسناً وتُشغف
يلوح عليـه فى التغزل رونقٌ — ويظهر فى الشكوى عليه تكلف
وما زال شعرى فيه للروح راحةٌ
وللقلب مَسلاةٌ وللهمّ مصرف
يناغيك فيه الظبي والظّبي أحور
ويُلهيك فيه الغصن والغصن أهيف

شكوت وما الشكوى إليك مذلةٌ
وإن كنت منهـا دائماً أتأنف

هذا أيضاً شعرٌ جزل ، وهو مع ذلك برىء من التكلف ، وإن زعم الشاعر أنه تكلف !

وهل كان يمكن فى مثل هذا المقام أن يرق على نحو ما يتفق له فى شكوى الصدود ؟

لـكل مقام مقال ، وقد كان البهاء من أعرف الناس بمقامات الـكلام .

ولـكن ما هى ذاتية البهاء ؟ وما حياته فى مصر والحجاز ؟ وما مركزه بين معاصريه ؟ وما وزنه الصحيح فى تاريخ الشعر العربى ؟

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة فى الحديث المقبل . والله بالتوفيق كفيل

زكى مبارك



٥ـ الدكتور طه حسين
والشعر المرسل

اكتشاف عجيب فى كتابه الأخير على هامش السيرة (الجزء الثالث)

للأستاذ دريني خشبة

مصادفة عجيبة ...

مصادفة وقعت عليها وأنا أقرأ الجزء الثالث من كتاب «على هامش السيرة» للدكتور طه حسين ...

وقبل أن أسوق للقراء خبر هذه المصادفة أقرر أننى كنت أقرأ طه حسين هذه المرة «بنية سيئة !» ... نية سيئة جداً ... بل هى أسوأ النيات جميعاً ، وليؤول صديق الفاضل « ... » هذا الكلام على الوجه الذى يرضيه ، فنحن فى غنى عن أن نقاسمه أن كلامه الذى كتبه عنا بصدد شهرزاد لم يكن السبب فى نقدنا للمستشار الفنى ، وصاحب كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » حين أخذنا عليه عدم اهتمامه بإحياء الترجمة فى مصر ، أو بتنشيطها على الوجه الأكمل الذى تقتضيه نهضتنا ، برغم ما أثبته فى كتابه الذى ذكرنا من أن كل نهضة فكرية أو أدبية نحاول إيجادها فى مصر خاصة ، وفى الشرق العربى عامة ، إنما ينبغى أن تقوم قبل كل شىء على الترجمة ... لما كتبنا ذلك لم يهتم الدكتور ولم يلق باله . . . ومع أن اللهجة التى كتبنا بها كانت مما يحتمل أن يؤاخذ عليها كانبها فى ظروفه الخاصة التى تشبه ظروفنا ، فإن الدكتور أغضى ولم يحفل بشىء ، وإن يكن قد شرع يمهد إدارة الترجمة بوزارة المعارف بالأذكياء المقتدرين الأكفاء . وقد خيل إلينا أن الدكتور لم يقرأ ما كتبناه ، فهيأ لنا غرورنا (والعياذ بالله !) أن عدم القراءة أوجع لنا من القراءة مع الإغضاء ...

لهذا ، أو لبعضه ، قلت إننى كنت أقرأ الجزء الثالث من هامش السيرة بنية سيئة جداً . . . نية الناقد الذى تأثر بطريقة النقد الحديثة فى مصر ... النقد الذى يتسقط الهفوات ، ويعد الغلطات ، ويحصى الهنات ... النقد الذى لا يملك أعصابه ، بل يرسلها فيما ينقد إرسالاً ....

ومضيت فى القراءة ...

فهذه عشرون صفحة ليس فيها شىء ! أقصد أن ليس فيها هفوات ولا غلطات ، ولا هنات هينات ! وإن كان كل ما كتب فيها كان حسبه من هذه الصفحات العشرين عشر صفحات أو خمس عشرة صفحة ...

لا ... ليس هذا عيباً ... لأنك إن عددته عيباً فستضحك منك قراءك . . . ابحث عن شىء آخر . . . فالأسلوب جميل خلاب ، والقصص مسترسل رائع ، وحسب هذه الصفحات العشرين أو الثلاثين ما فيها من ذاك جميعه ، فذاك جميعه هو الأدب ... والأدب القصصى بنوع خاص

ما هذا ؟ الدكتور طه حسين يُنطق ناساً من عرب الجاهلية بما هو من القرآن ، أو ما يقرب أن يكون من القرآن ، ولما ينزل القرآن بعد ؟ ! ما هذا الذى يقوله نسطاس لورقة بن نوفل : وظل الصبى يتيما عائلا ضالا ... أليس فى هذا الكلام (رائحة !) من القرآن فى سورة الضحى ؟ ... ومثل هذا شائع فى الفصول التى تسبق مبعث النبى صلى الله عليه وسلم . . . وعلى ذكر (صلى الله عليه وسلم) هذه ... لماذا آثر الدكتور أن يختصرها هذا الاختصار الذى يذهب بجمالها ... (تلك الكلمة حلوة المجرى على اللسان ، حسنة الموقع فى القلب ، خالدة فى الدهر ما بقى الدهر) ! لماذا يختصرها الدكتور هذا الاختصار صلعم ؟ لماذا لا يقولها كما يجب أن تقال عظيمة كريمة رخيمة ! كما قالها بعد ذلك مرتين أو نحوهما

لا . لا ... ولا هذه أيضاً ... إنما يجب أن تترك فصل نسطاس وورقة فلا تعيبه بشىء ، لأنه من أروع فصول هذا الجزء الثالث ، وإن يكن أروع منه هذا الفصل الذى انعقدت فيه أواصر الصداقة بين عمرو بن هشام — أو أبو جهل كما سوف يذكر لك — وبين أبو مرة ، أو زعيم الأبالسة . . . وتقول أبو جهل وأبو مرة فى موضع الجر عامدين كما تعمدها المؤلف ، وندع التأويل لكل قارىء لبيب ...

بل قل إن أردت أن تنقد الهامش بشىء إن انتقال الدكتور من الرواية إلى التاريخ ، ومن القصص الشائق إلى التحقيق العلمى بعد الصفحة الثانية والثمانين هو عمل لا يتفق وما أعلنه وأذاع به من أنه لم يكتب كتابه للمؤرخين . وقل إن الدكتور

هيكل قد ذهب بالتحقيق العلمي كما ذهب الدكتور طه باحياء السيرة وتجديدها ، فما باله يحاول أن يكتب للعلماء الذين لا يصدقون مطلقاً ، أن ساق حمزة رضى الله عنه قطرت دماً حينما مسّها الفأس خطأ بعد دفنه بستين عددا ... ؟ ثم هـذا الحديث الحلو عن زيد بن حارثة الذى يحيك فى الصدر منه شئ غير قليل ..:

ولـكن لا ... فالدكتور لا يكتب للعلماء ولا للتحقيق العلمى ولـكنه يقص علينا أحسن القصص وأبرعه وأروعه

إذن ... فقل إن بالهامش أحاديث مكررة ... إذ يحدثنا الدكتور عن سيد الشهداء حمزة عم النبى حديثاً حـلواً طويلاً (ص ١١١) ، ثم يعود فيحدثنا عنه حديثاً طويلا كذلك ، بعبارات هى نفسها عباراته الأولى تقريباً فى فصـله عن (نزيل حمص) ص ١٧٩ . وهكذا فعل فى غير موضع من هذا الهامش . ولـكن كيف تنكر أن هـذه حسنة وليست سيئة ؛ فالحديث الأول كان أكثره عن حمزة ، أما الثانى فأكثره عن وحشى .

ومع هذا فالحديث عن الرسول وعن أصحابه هو أعذب ما يتحدث به مسلم لمسلم ، ولن يضر الدكتور شيئاً ، ولن ينقص من كتابه شيئاً كذلك أن تفيض أعداد « الرسالة » الممتازة بمعظم أنباء ما تحدث إلينا به . إذ حسبنا أننا نقرأها اليوم بقلم طه حسين مبتكر هذا الأدب الدينى القصصى فى مصر ... الرجل الذى برهن بكتابه هذا على أن تصريفه لأمور وزارة المعارف لم يصرفه عن رسالته الأولى التى هى الإنتاج الأدبى القيم ، كما وهم من وهم . وحسبه أن يخرج فى أقل من سنة كتابين من هذا النسق القصصى الممتاز وأرجو أن يخرج الثالث قبل أن يتصرم العام ، وهذا الثالث — إن لاق أن نذيع سراً ائتمننا عليه طه حسين — هو (أضياف شهرزاد) ، الذى أوشك أن يفرغ منه ، أو هو قد فرغ منه بالفعل ...

ولـكن الـكتاب كله يوشك أن ينتهى دون أن نذكر لنا علاقة هامش السيرة بالشعر المرسل ... فأقول ... سوف أذكر لك تلك العلاقة بعد أن تتدبر معى هذه الأرقام ، وهى التى يتألف منها معظم فهرس الـكتاب :

(١١١ — ١٢٥ — ١٣٩ ، ثم ١٥١ — ١٦٥ — ١٧٩ — ١٩٣ — ٢٠٧ — ٢٢١ — ٢٣٥ ؟؟)

فاذا قلت وما علاقة هذا بذاك ، قلت لك : اطرح أى رقم سابق من أى رقم لاحق من هذه الأرقام ، فإنك تحصل على الرقم (١٤ ؟) فما معنى هذا ؟ أليس يعنى أن الدكتور طه يؤلف وفى يده (ترمومتر ؟) وإلا فما معنى أن يستغرق كل فصل من فصول كتابه أربع عشرة صفحة بالتمام والـكمال لا يزيد عليها ولا ينقص منها ؟ ! أليس هذا تأليفاً ميكانيكياً ؟ فإن قلت إن هذا ليس من النقد فى شئ ... بل إن هذا هو العبث ، وإنك جعلت عنوان مقالك (الدكتور طه حسين والشعر المرسل) وأنت إلى الآن لم تذكر لنا من أمر الدكتور طه حسين والشعر المرسل شيئاً ... قلت لك ... إن هذا هو أسلوب النقد فى مصر اليوم ، ولن أذكر لك شيئاً من أمر الشعر المرسل فى هامش السيرة حتى تقرأ تلك القطعة الشائقة التى أختارها لك لترى رأيك فيها ، ولتعترف معى بأن الدكتور طه حسين هو كاتب من أرق كتابنا وأسلسهم ، وأقواهم بياناً : إقرأ إذن :

« أقبلت تسعى رويداً رويداً مثل ما يسعى النسيم العليل ، لا يمس الأرض وقع خطاها ، فهى كالروح سرى فى الفضاء ، نشر الليل عليها جناحاً فهى سر فى ضمير الظلام ، وهبت للروض بعض شذاها فجزاها بثناء جميل ، ومضى ينشر منه عبيراً مستثيراً كامنات الشجون ، فاذا الجدول نشوان يبدى من هواه ما طواه الزمان ، ردت الذكرى عليه أساه ودعا الشوق إليه الحنين ، فهو طوراً شاحب قد براه من قديم الوجد مثل الهزال ، محب الأيام يشكو إليها بثه لو أسمعته الشكاة ، وهو طوراً صاخب قد عراه من طريف الحب مثل الجنون ، جاش حتى أضحك الأرض منه عن رياض بهجةً للعيون ، ونفوس العاشقين كُرَات يعبث اليأس بها والرجاء ، كحياة الدهر تأتى عليها ظلمة الليل وضوء النهار . »

هذا يا أخى هو ما أردت أن ألفتك إليه من بيان الدكتور طه ، الذى ربما تـكون قد سمعت عنه أنه ينظم الشعر ، ولـكنك لم تقرأ له شعراً قط ... ومن يدرى ... فربما تـكون قد قرأت له شعراً فى غير كتاب من كتبه ، ولـكنك مررت به وأنت لا تدرى أنه شعر ، كما كنت عسيت أن تقرأ ـ على هامش السيرة ـ كله ، من غير أن تنتبه إلى أنك قد قرأت فيها شعراً ... وشعراً مرسلاً ... هو هذا الشعر الذى نقلناه لك هنا ... والذى كان السبب فى هذه المقدمة التى لم يكن لها (داعى !) كما نقول فى كلامنا الدارج ...

حقيقة لم يكن لمقدمتنا الطويلة التى سقناها (داعى !)

مطلقاً ... فنحن كما يعرف القراء جميعاً من تلاميذ الدكتور المعجبين به ، الأوفياء له ... وليس حقاً أننا كنا نقرأ على هامش السيرة بسوء نية ... وليس حقاً أن الدكتور يغضب من أحد إذا نقده في حدود النقد المعقول ، فلا يعمد إلى الهنات الهينات فيجعل من (حبَّتها قبّة) أو من نمالها جمالاً ... ولا يقول كما تندّرنا مثلاً ... إطرح أى عدد سابق من أى عدد لاحق من هذه الأرقام ، فإنك تحصل على الرقم ١٤ فى كل الحالات ! فما بال الدكتور طه يكتب عشرة فصول ، فلا يزيد فى أحدها ولا ينقص عن أربع عشرة صفحة ؟ أليس يؤلف الدكتور طه وفى يده ترمومتر ؟ !

ليس حقاً إذن أن أى شىء من ذلك كان ... ولكنا تعمدنا أن نغط فى هذه المقدمة مطاً ، وأن ندس على القارئ هذا النموذج الذى اخترناه له اختياراً جاء عن طريق المصادفة ولم يأت عن طريق العمد ... أردنا أن ندس هذا النموذج من بيان الدكتور المشرق ، وأسلوبه المبين ، وعبارته الشائقة ... فلا يتنبه القارئ إلى أننا إنما وضعنا بين يديه شعراً ... وشعراً مرسلاً ... مما قال عنه شاعرنا الكبير الذى نحبه ونجله ونمجده ـ الأستاذ العقاد ـ إنه ينبو فى الأذن ولا يخف على السمع ...

وقد لا يكون القارئ شاعراً فيعرف كيف يكون شعراً هذا الكلام الذى نقلناه من هامش السيرة (جـ ٣ ص ١٢٧) ولهذا فلا بأس من أن نعيد له هذا الكلام نفسه فى نظامه الشعرى الذى تعوده الناس :

أقبلت تسعى رويداً رويداً
مثل ما يسعى النسيم العليلْ
لا يمس الأرض وقعُ خطاها
فهى كالروح سرى فى الفضاء
نشر الليـــل عليهـا جناحا
فهى سر فى ضمير الظـــلامْ
وَهبتْ للروض بعض شذاها
فجزاها[1] بثنـاء جميـــلْ
ومضى ينشر فيــه عبيراً
مستثيراً كامنات الشجونْ
فإذا الجدول نشوان يُبدى
من هواه ما طواه الزمانْ
ردّت الذكرى عليــه أساه
ودعا الشوق إليه الحنينْ
فهو طوراً شـاحب قد براه
من قديم الوجد مثل الهزالْ
صحب الأيام يشكو إليهـا
بثه لو أسـعدته الشكاه
وهو طوراً صاخب قد عراه
من طريف الحب مثل الجنونْ
جاش حتى أضحك الأرض منه
عن رياض بهجةً للعيون
ونفوس العاشـقين كرات
يعبث اليأس بهـا والرجاء
كحيـاة الدهر تأتى عليهـا
ظلمة الليل وضوء النهارْ ! [1]

فهذا إذن هو نظم الدكتور طه حسين من الشعر المرسل الذى أورده فى آخر كتبه ـ على هامش السيرة ـ الجزء الثالث ـ الصادر فى أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، أى فى الوقت الذى كنا نحسب ألف حساب ونحن ننشر فصولنا داعين شعراءنا لإجراء تجاربهم فى هذا الشعر عسى أن يوفق أحدهم أو أكثر من واحد منهم إلى أسلوب رائع يخلو من العيوب التى يأخذها عليه النقاد المحترمون

ونحن لا يسعنا إلا أن نبدى أكبر إعجابنا بهذا المجهود المشترك الذى ساهم به زعيم النهضة الأدبية فى مصر ، وعميد الأدب العربى ، فى الثورة على القديم الذى ندعو إلى الثورة عليه وإن كنا نهتف بجميع شعرائنا أن فى وسعهم أن يعطونا شعراً مرسلاً أجود بكثير جداً مما عرضنا عليهم من شعر الأستاذ أبى حديد ومن هـذا الشعر الذى نقدمه إليهم اليوم فخورين من شعر الدكتور طه حسين

(١) فى الأصل فجازاها ونحسبها سهواً لأنها تكسر الوزن .

(١) من المديد ووزنه فاعلاتن فاعلن فاعلاتن .

أوزان الشعر

الشعر العربي

للدكتور محمد مندور

(تتمة)

الواقع أن الارتكاز في اللغة العربية موضوع شاق لا يزال في حاجة إلى البحث ، ونحن لا نظن أن المستشرقين يستطيعون بحثه ، لأن معرفتهم باللغة مهما اتسمت لا يمكن أن تصل إلى الإحساس بمسائل موسيقية لغوية دقيقة كهذه . فهل مستطيعون نحن ذلك ؟

ليسمح لى القارىء بأن أقول إننى قد حاولت حل هذا الإشكال فى بحث طويل كتبته باللغة الفرنسية بعد دراسة وتحليل لثلاثة أبحر من الشعر العربى بمعمل الأصوات بباريس ، وهى الطويل والبسيط والوافر (١) .

ولنأخذ مثلاً من هذه الدراسة بيت امرىء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى

فهو يوزن على مذهب أوالد كما يأتى ، (مع رمزنا للمقطع القصير بالعلامة ب والطويل بالعلامة —) :

— ب — ب — — — ب | — — — ب | — — ب

— ب ب — ب | ب — ب — — — ب ب — ب

ولكن هذا الوزن لا يبصرنا بالحقيقتين الكبيرتين اللتين يقوم عليهما الشعر فى كافة اللغات ، وهما : الكم والإيقاع .

الكم mesure

نقصد بالكم لا كم كل مقطع منفردا ، فذلك ما سبق أن أوضحناه ، بل كم التفاعيل ، فنحن هنا أمام تفاعيل متجاوبة (التفعيل الأول يساوى الثالث والثانى يساوى الرابع) ، ولكننا مع ذلك نسلم بجواز زحافات وعلل ، فكيف يستقيم الكم برغم هذه الزحافات والعلل التى تنقص من التفعيل فى الغالب .

هذه المشكلة حيرت المستشرقين ، ولقد حاول العالم الفرنسى الثبت جويّار Guyard أن يحلها فى كتاب له بعنوان : Nouvelle theorie de la metrique arabe ، وفيه يطبق مواضعات الموسيقى وأصولها على الشعر العربى ، ولكنه لا يدخل فى حسابه غير الحروف الصائتة كما يفعلون فى الموسيقى ، فيعطى تلك الحروف المختلفة قيما متفاوتة من نقطة بيضاء إلى نقطة سوداء إلى كروش إلى كروش مزدوج ... الخ . ومن البين أنه قد أخطأ لسوء الحظ السبيل بإهماله كم الحروف الصامتة العظيمة الأهمية فى اللغة العربية واللغات السامية عامة كما أشرنا .

(١) هذا البحث لا يزال مخطوطا لأن الحرب حالت دون نشره بأوربا ولا يستطيع نشره غير هيئة علمية لكثرة السجلات الصوتية والرسومات فيه ، ثم لخصوصية موضوعه .

وبعد ...

فأحسب أن الدكتور طه قد أعلن رأيه الآن بطريقة فعلية فى الشعر المرسل ، وأنه فى جانبنا من قبل أن نبدأ دعوتنا ... ونحن نقول هذا حتى لا يقعد أحد من أصدقائنا الشعراء الذين وعدوا بإجراء تجاربهم فى هذا الشعر ، متأثرين برأى الأستاذ العقاد ، عن القيام بهذه التجارب ، وذلك لما للأستاذ الكبير من أثر عميق فى قلوبهم ولأن أكثرهم شعراء من مدرسته .

وبقيت ملاحظة ؛ فلقد كتب الدكتور طه شعره كأنه نثر فلم يوزعه شطراً شطراً كما فعلنا ، ولا شك فى أن غرضه من ذلك هو ألا ينبه القارىء إلى أنه يقرأ شعراً فينفر . خصوصاً إذا علم أنه يقرأ شعراً مرسلاً ...

ولقد كنت ذكرت للقراء فى إحدى مقالاتى ألا يقفوا عند آخر كل شطر ، بل رجوتهم أن يصلوا القراءة حتى لا يعز عليهم الفقيد العزيز ـ الذى هو القافية ، ويسرني بهذه المناسبة أن أقرر أن الأستاذ أبا حديد كان قد اقترح لى أن يكتب الشعر المرسل بهذه الطريقة التى كتبه بها الدكتور طه ... فهل هو توارد فى الخواطر ؟ أم أن الصديقين العزيزين كانا قد خاضا معاً فى مثل هذا الحديث من قبل ؟!

هذا ولقد قرأنا لأستاذنا الزيات رأيه فى الشعر المرسل فى السنة الثانية من « الرسالة » العدد (٣٧) ، ولعله يلاحظ أن صديقه طه قد حرص فى نظمه ذاك على كل المقترحات التى أشار بها صديقه الزيات منذ عشر سنوات .

دريني خشبة

والذى اهتدينا إليه بحساب الآلات الدقيقة هو ما يأتى ، مقدرين كم كل تفعيل بأجزاء من مائة من الثانية :

٧٤	١٣٢½	٧٧½	١٢٣	٧٧	١١٥½	٨٥½	١٣٣

وهذه نتائج غريبة نلاحظ عليها :

١ — أن التفاعيل المزحفة كالتفعيل الخامس والسابع قد ساوى كمها فى النطق كم التفاعيل الصحيحة بل زاد .

٢ — أن هناك فروقاً بين التفاعيل المتساوية كالتفعيل الثانى والرابع والسادس والثامن .

وتفسير ذلك هو أولا : أن الفروق التى ظهرت فى حساب الآلات لا تدركها الأذن ، لأنه من الثابت أن الفرق الذى لا يزيد عن ١٦/١٠٠ من الثانية لا تكاد تدركه الأذن ، وإذن فهذه نستطيع إسقاطها .

ثانياً : وأما عن مساواة التفاعيل المزحفة للتفاعيل الصحيحة فهذا يفسر بحقيقة هامة تحدث عند إنشاد الشعر ، وهى عبارة عن عمليات تعويض تقوم بها آلياً . وهذا التعويض يحدث بطرق مختلفة ، منها تطويل حرف صائت بشرط ألا ينتج عن ذلك لبس يأتى من قلب الحرف القصير بطبيعته اللغوية إلى حرف طويل ، ومنها مد النطق فى حرف صامت متماد كالسين أو اللام أو غيرهما ، ومنها الصمت بعد لفظ أو عند حرف آنى كحروف الانفجار مثل الباء والفاء وغيرهما

وإذن فالزحافات والعلل لا تغير شيئاً فى كم التفاعيل عند النطق وهى لذلك لا تكسر الوزن

الارتكاز Ictus

الارتكاز عنصر أساسى فى الشعر العربى بل عنصر غالب ، ومن تردده يتولد الإيقاع ، ولهذا بحثنا عنه فى عناية . والذى يبدو لنا هو أن هناك ارتكازاً على المقطع الثانى من التفعيل القصير (فعولن) ، وأما التفعيل الكبير فيقع عليه ارتكازان أحدهما أساسى على المقطع الثانى والآخر ثانوى على المقطع الأخير فى (مفاعيلن) ، وقد رمزنا للارتكاز الأساسى بالعلامة « وللارتكاز الثانوى بالعلامة » . ومن المعلوم أن الارتكاز لا يقع إلا على مقطع طويل ومن ثم نلاحظ أن هذا الوزن لا بد أن يسلم منه دائماً مقطع طويل بعد المقطع الأول القصير ؛ فإذا لم يحدث ذلك انكسر البيت ؛ فالمجموعة (٧ —) الموجودة فى أول كل تفعيل من البحر الطويل هى النواة الموسيقية للبيت وهى عبارة عن وتد مجموع فى لغة الخليل

ومن عودة الارتكاز على هذا المقطع من كل تفعيل يتكون الإيقاع ، لأنه كما قلنا عبارة عن عودة ظاهرة صوتية ما على مسافات زمنية محددة

وإذن فاستقامة الوزن أو عدم استقامته لا يعود إلى الكم الذى تؤثر فيه الزحافات والعلل تأثيراً ظاهرياً فقط إلا إذا نتج عن هذه الزحافات والعلل فقدان للنواة الموسيقية التى تحمل الارتكاز

ولكن هل ينتج عن ذلك أن الشعر العربى شعر ارتكازى بمعنى أن مقاطعه تتميز بأنها تحمل ارتكاز ضغط أو لا تحمله ؟ الجواب أيضاً بالنفى ، فالمقاطع العربية كما تحمل الارتكاز تتميز بالكم كذلك ؛ وإذن فالشعر العربى يجمع بين الكم والارتكاز وربما كان هذا سبب تعقد أوزانه

ونلخص طبيعة الأوزان العربية بأنها تتكون من وحدات زمنية متساوية أو متجاوبة هى التفاعيل ، وأن هذه التفاعيل تتساوى أو تتجاوب فى الواقع عند النطق بها بفضل عمليات التعويض سواء أكانت مزحفة معلولة أو لم تكن ، وأن الإيقاع يتولد فى الشعر العربى من تردد ارتكاز يقع على مقطع طويل فى كل تفعيل ويعود على مسافات زمنية محددة النسب ، وعلى سلامة هذا الإيقاع تقوم سلامة الوزن

وهكذا ننتهى فى هذا المقال إلى ما انتهينا إليه فى المقال السابق من قيام كافة الأشعار على عنصرى الكم والايقاع ؛ وأما موضع الاختلاف بين الأشعار المختلفة فهو فى كيفية تحقيق هذين العنصرين[1] .

محمد مندور

---

(١) باستطاعة القارئ إذا أراد أن يقرأ مقالا مفصلا عن « الشعر العربى . غناؤه وإنشاده وأوزانه » فى « مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول » وهى مجلة ستصدر كل عام مرة ، والعدد الأول منها سينتهون من طبعه فى هذه الأيام وهى مخصصة لأبحاث أساتذة الكلية وطنيين وأجانب

العلم فى روســــيا

للأستاذ خليل السالم

كان العالم فى السنة الماضية يعجب ببسالة الروس واستماتتهم فى الدفاع عن وطنهم ؛ وهو اليوم يقف مشدوها أمام عظمة الجيش الروسى وقدرته على سحق قوى الألمان الهائلة وتدمير آلتهم الحربية الجبارة وإيقاع الهزائم المنكرة بهم فى كل ميدان

ولنحاول رد تلك المقاومة الرائعة إلى أسبابها الأساسية وتفسير هذه الانتصارات الحاسمة ، نجدنا مسوقين حتما إلى الحكم بأن انتشار الثقافة العلمية وتقدم معاهد العلم وتطبيق النواميس العلمية فى دور الصناعة ووفرة الابتكار والاختراع كانت بين الأسباب القوية والعوامل الفعالة التى يسرت للجيوش الروسية أن تحرز هذا النصر الباهر وتطرد النازى الغاشم من أراضيها

كان العلم فى روسيا حتى ظهور النظام السوفيتى وتوليه الأمور زينة رسمية تنصبها الحكومة وتغدق عليها الأموال الطائلة دون أمل فى الربح ودون تكليف العلماء جهداً مرهقاً لخدمة الناس ونفع المجتمع . وكانت البلاد منذ أيام بطرس الأكبر الذى أسس أكاديمية العلوم الروسية على النسق الفرنسى تعتمد فى نشر النظريات العلمية الجديدة وشرحها على العلماء الذين يفدون من أوربا الغربية

فدعا بطرس الأكبر مثلاً دانيال برنيولى وليونارد يولر . وحذا خلفاؤه حذوه فى استيفاد العلماء الموهوبين ؛ إلا أن تخلف العامة وتكبيلهم بقيود الجهل لم يتيحا للثقافة العلمية أن تشيع وتزدهر . وقصرت أكاديمية العلوم فى أداء واجباتها وتبليغ رسالتها فلم يكن على العضو الذى انتخب لقدرته وكفاءته والشهادة له بالذكاء والنبوغ إلا أن يقبض الرواتب الباهظة ويتبع وجيه الخاص فى البحث سواء كان مبتكراً مجدداً أو كان مزوقاً وجه المعرفة بشروح وذيول للنظريات العلمية الشائعة . فعجز العلم لذلك عن أن يغير من حياة الناس ويسمو بمستوى معيشتهم ، ولم يظهر فى سماء العلم إلا عدد ضئيل من النجوم المتألقة من أمثال منديليف ولومونوسوف ولوباتشفسكى ...

وبين عشية وضحاها أصبحت روسيا بلداً عامراً بالعلم والعلماء وركناً أساسياً فى بناء العلم الخالد ؛ فهى تقدم اليوم لفروع المعرفة أيادى بيضاء لا تقل أثراً عن غيرها من الأمم إن لم تزد

ومع أنها لا تستطيع فى بعض الموضوعات اللحاق بالأمم التى يسر لها الحظ أن تعنى بالكشف والتحقيق قبلها إلا أن ما تسعى له من ترويج الثقافة العلمية وتشجيع البحث سيهيىء لها أن تبلغ الشأو العالى وتتربع على عرش القيادة العلمية مع انكلترا وأمريكا وألمانيا مثلاً : فقد فرضت الحكومة سلطتها فى نشر الفكر المنظم بين طبقات الشعب ، وهى تعمل على خلق البيئة العلمية الصالحة لأن يترعرع فيها العلم وينمو

وتنشر الصحف الكبيرة مقالات مسهبة فى مواضع علمية وصناعية وفنية ، كما تحتل أخبار البحث وتقدم الهندسة الآلية الصفحات الأولى منها . وتكثر المكتبات بشكل عجيب ويعم تداول الكتب ؛ فقد بلغ ما بيع من طبعة روسية لأحد كتب الفيلسوف (كانت) سنة ١٩٣٦ مائة ألف نسخة . وبكلمة موجزة نقول إن العلم فى روسيا لقى من التشجيع أكثر مما لقى فى أى قطر آخر سواء فى تأسيس المعاهد أو تمويل المحترفين

لا يزيد عدد العلماء اللامعين الذين يحتلون مقاماً عالياً على الأربعين ، تثقف معظمهم على عهد القيصرية . فما لا شك فيه أن الوضع القياسى الذى وجد علماء الروس الناشئون أنفسهم فيه قد أجبرهم على التهام الحقائق الجديدة والنظريات الواسعة بسرعة ، فأعوزهم الاختبار الحصيف والنقد المنيف ، نذكر من مشاهيرهم الأستاذ جوف Joffe مدير المعهد الطبيعى التكنيكى فى لينتغراد ، ومؤسس هذا المعهد تحت إشراف أكاديمية العلوم ، ويكاد تكون بحق بانى النهضة العلمية الحديثة ؛ فمن معهده تخرج الأساتذة الذين يديرون المعاهد الأخرى فى بقية البلدان الروسية . وميدان بحثه خواص الأجسام الموصلة توصيلاً جزئياً . وقد ألقت دراسته ضوءاً ساطعاً على كسر الأجسام العازلة . ويدرس أيضاً مقاومة الأجسام الصلبة ، وكيف تزيد إمكانية الحد أو قوة المادة

ومن تلاميذه ستيبانو Stepano الذى ارتأى أن الاحتكاك

بين سطوح البلورات المتجاورة الواقعة تحت ضغط عال يعقب ميوعة وقتية تفسر كيف تلتوى قطعة معدنية بسرعة ثم تبقى محافظة على الشكل الجديد الذى تأخذه

ومن تلاميذ جوف أيضاً برزلر Bresler وفينو جينوف Phino genov اللذان استخدما لأول مرة كرات الصلب الدقيقة الميكروسكوبية أخاديد فى المكائن ، وانتهيا إلى أن كرات قطرها ($\frac{1}{10}$) من الليمتر ممزوجة بالزيت تنقص قوة الاحتكاك مرتين ونصف المرة عما تكون عليه لو استعمل الزيت وحده

ومن الأعلام سكوبلتزن Skobeltzyn الذى اكتشف الدقائق السريعة فى الأشعة الكونية . فى سنة ١٩٢٦ ابتدأ قياس سرعة الكهارب المنطلقة من مادة مشعة باستخدام غرفة ولسن القائمة المحاطة بمجال مغنطيسى . وفى سنة ١٩٢٧ نشر صوراً فوتوغرافية لدقائق انبعثت بسرعة عجيبة حتى أن مساراتها لم تتضح وتظهر . وحصل سكوبلتزن على صور للبوزيترونات وكان حسن الحظ فى سبقه كل العلماء فى التعرف إلى طبيعتها

ودرس سيمينوف Semenov وجارتون Chariton التفاعلات السلسلية ، وقدمت مدرستها معلومات هامة عن التفجرات ، وخصائص بعض الآلات

وقد بنيت مؤسسة « للمسائل الطبيعية » فى موسكو ليشتغل فيها العالم الفذ كابتزا Kapitza وهو مبتكر مسيلة هواء جديدة تستخدم ضغطاً جوياً ضئيلاً لتشغيل الهواء حتى يفقد طاقته ويبرد بنفسه

ومن العلماء الناشئين ليسنكو Lysenko الذى استطاع أن يكسب لنفسه شهرة عالية بالرغم من حداثة سنه . وقد نشر أول أبحاثه سنة ١٩٢٨ وهو يبحث فى الحياة النباتية ويدرس العلاقة بين الزرع والبيئة ، والشروط الصحية التى يحيا فيها النبات ويسرع نموه ، وساعده رازوموف Razumov وليبمنكو Liubimenko فى أن يجعلوا سهول أكرانيا الفسيحة تنتج أضعاف ما كانت تنتج بانتخاب أنسب الأوقات لبذر الحبوب . وهو عالم نظرى بالإضافة إلى أبحاثه الزراعية الحيوية . ويقول فى مناسبة ما : « إن الشعب فى روسيا المتحدة لا يولد ؛ إن هى إلا أجسام حية تلك التى تولد ؛ أما سائقو الجرارات ، وميكانيكو المحركات ، والعلماء ، والباحثون فإنهم هنا يصنعون . إننى من أولئك الرجال الذين صنعوا ولم يولدوا . ويسعد المرء جداً أن ينتسب إلى مجتمع كهذا »

ومن العلماء النابهى الذكر رهبايندر Rehbinder ، درس خواص السطوح سواء الطبيعية والكيميائية منها . وله آراء جليلة حول وظيفة العلم فى المجتمع ، وهو يرى أن العلم لا يخدم الصناعة وإنما يسودها بخلق صناعات جديدة وإفساح مجالات أرحب للتطبيق العملى . وله مكتشفات رائعة عن قوة المعادن وتأثير الصفائح الرقيقة فى قساوة الأجسام

ومنهم فافيلوف Vaviloff ، وقد عنى بدرس أصل الزراعة وتزاوج النباتات فى أنحاء الاتحاد السوفياتى . وقد وجد أن هناك عشرين نوعاً من قمح الخبز فى أوروبا ، واثنين وخمسين نوعاً فى إيران ، ولا أقل من ستين نوعاً فى أفغانستان . ومنهم أيضاً العالم مِسْفِسكى وقد درس قوة الأشعة الكونية فى النفاذ من طبقات مائية كثيفة . وأجرى تجاربه فى نهر نيفا قرب لننغراد فى شمال روسيا ، وأسفرت تجاربه عن نتائج أيدت نتائج ملكن العالم المشهور بدراسة هذه الأشعة

وعلى وجه العموم نرى أن علماء روسيا معنيون أول ما يكون بدرس المسائل العلمية المتعلقة بالصناعة والتطبيق والحياة . فقد فرضت السلطة سيطرتها على العلم ، ووجهت أكاديمية العلوم وجهة تقصد التجديد فى الصناعة واستغلال القوى الكامنة فى البلاد والعمل لرخاء الشعب ، فنقلتها إلى موسكو لتكون مؤسساتها فى موقع حربى أمين ، وتكون قريبة من الإدارة الحكومية . وجرى تبادل رجال العلم بين الجامعات ودور الصناعة ، فأستاذ الجامعة يقضى وقتاً كبيراً فى المصنع مشرفاً عليه محاولا تحسينه وجودة إنتاجه . ويحاضر رجال الصناعة فى الجامعة فى مدى تطبيق العلم النظرى ، وعن المشاكل الراهنة التى تجابهها الصناعة والتى يتوقع من المختبر حلها . وكان لهذا التعاون الفريد نتائج باهرة فى الناحيتين المهنية والتطبيقية .

ويقضى التنظيم الحديث أن يعنى العالم بتطبيق ما يكتشف قبل أن يسير وراء نتائجه إلى أبعد الحدود النظرية . ولا يجوز له

أن يصرف جهوده في بحث توفر عليه أحد العلماء الآخرين . ويجب نشر آخر ما ينتهي إليه عالم ليوفر على آخر جهداً يقصد منه الوصول إلى تلك النتائج عينها . فيتوزع بذلك الاهتمام العلمي بين الأبحاث على وجه مستقيم ، ولا يفر العلماء إلى ميادين كلاسيكية نظرية .

ولا يجوز لعالم أن يغير اختصاصه المقرر له إلا بعد مداولات طويلة مع رؤساء المعهد الذي ينتسب إليه ، وندر ما لقيت رغبة العالم فيما يود الخوض فيه من أسرار الكون والحياة أدنى اعتبار .

وعند النظر في قيمة هـذا التنظيم وانسجامه مع روح العلم ونجاحه في خلق العلماء والمبتكرين ، نرى أن علماء أوربا الغربية وأمريكا لا يتفقون على وجهة نظر واحدة . فمنهم من يحبذ رسم الخطط العلمية ، لأن غرض العلم الأساسي ، كما يجب أن يكون ، خدمة المجتمع وسعادة الناس . ويرى هـذا الفريق أن إرشاد العلماء وحشدهم في فئات مستقلة تدرس كل فئة منها موضوعاً بعينه يتقدم بالعلم خطوات فسيحة ، ويحول دون أن تضيع جهود كثيرة عبثاً .

والذين ينكرون هذه الطريقة يعتقدون أن ضغط السلطة وفرضها أوامر متحكمة على العلماء يؤذي العبقريات ويخمد جذوتها المشتعلة ، ويحرمهم من اختصاصهم الذي يلذ لهم ويشغفون به ، وحجتهم أن التاريخ العلمي يوضح بجلاء أن العلماء الذين أفادوا البشر وخدموا الصناعة لم يقصدوا ذلك قبل أن يقصدوا لذتهم الخاصة وكشف الحقيقة قبل أي شيء آخر . وقد انتقل هؤلاء من بحث إلى آخر ، كما تنتقل النحلة بين أزهار الرياض . فيجب أن يكون لكل عالم تفرده في البحث وحريته في اختياره كحريته في النشر والكلام .

وتدور اليوم معركة حامية في الكتب والمجلات بين كبار العلماء من أنصار الرأيين . ولا ينكر أن العلم المنظم قد نجح في روسيا نجاحاً باهراً ؛ فهل يعني هـذا أن تنظيم العلم ضروري ؟ لعلنا نعود للجواب على هذا السؤال في بحث قريب .

« السلط — شرق الأردن »

خليل السالم
ب . ع من الدرجة الأولى
في الرياضيات

عبقرية الإمام

للأستاذ محمود أبو ريه

لم يُؤت أحد من أصحاب رسول الله من العلم والفضل مثل ما أوتى على رضى الله عنه، ولم يرد فى حق أحد منهم بالأسانيد الجياد مثلما جاء فيه. وما ظنك برجل خرج هو والنبى من نبعة كريمة واحدة، ونشأ تحت جناح النبوة وتربى فى كنفها وتولى رسول الله هدايته وتثقيفه وجعله أولى الناس به فقال له: « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ » ، وعلى أنه كان بهذه المكانة فإنه لم ينل أحد من الظلم مثل ما ناله، ولا لقى إنسان من المصاعب والمتاعب مثل ما لقى؛ فقد أحاط به ما نغص عليه عيشه وأفسد عليه أمره من أحقاد جاهلية وسخائم أموية وضغائن بدرية وإحن أحدية وغير ذلك. وإذا رجعنا إلى تاريخه ألفيناه قد ضاع بين متشيعين بالغوا فى تشيعهم حتى ألهوه، ومبغضين أمعنوا فى بغضهم حتى كفروه

فمثل هذا الإمام العظيم المؤتلف فى نفسه المختلف فى تاريخه كان جديراً ألا يتولى ترجمة حياته ودرس عبقريته إلا مؤرخ حكيم ينفذ إلى نفسيته بفكر ثاقب ونظر نافذ، ويدرس تاريخه بعقل القاضى العادل البصير الذى يبحث ويستقرىء، فيرد الأمور إلى أسبابها والأحداث إلى عللها ليخرج هذا التاريخ صحيحاً لا إفراط فيه ولا تفريط، فيعرف الناس منه فضله ويقدرونه قدره ويقبلون على سيرته يدرسونها وينتفعون بها.

ولقد سرنا أن يتولى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد درس تاريخ هذا الإمام وأن يجعل من هذا التاريخ فريدة فى سمط عبقرياته النفيسة سماها (عبقرية الإمام)

قرأنا هذا الكتاب فرأينا كاتبنا الكبير يقول فى تقديمه: « فى كل ناحية من نواحى النفوس الإنسانية ملتقى بسيرة على بن أبى طالب رضوان الله عليه، لأن هذه السيرة تخاطب الإنسان حيثما اتجه إليه الخطاب البليغ من سير الأبطال العظماء وتثير فيه أقوى ما يثيره التاريخ البشرى من ضروب العطف ومواقع العبرة والتأمل » ، ثم نفذ إلى ما اتصف به الإمام من مثل التقوى والزهد، وإلى ما ورثه عن أسرته العربية من النبل والأيد والشجاعة والمروءة والذكاء، وبين الآثار العملية لكل ذلك مع أعدائه وأوليائه على السواء، وانتهى من هذا الفصل إلى (مفتاح شخصيته) ثم تناول هذا المفتاح ليفتح به كل مستغلق من شخصيته ويوضح كل مبهم من سيرته

كسر الأستاذ العقاد كتابه على عشرة فصول بعد التقديم ختمها بفصل عنوانه (صورة مجملة) جرى قلمه فيها كلها بما عهدناه من قبل فى عبقرياته التى سبقت من حيث البحث العميق والدرس الدقيق مما كنا نود أن نعطيه حقه من البيان ونوفيه قسطه من الإشادة، ولكن المقام لا يتسع فلنجتزىء بكلمة صغيرة عن فصل البيعة الذى هو أروع فصول الكتاب

مهد المؤلف لهذا الفصل بفصل آخر عن عصر الإمام قال فيه إنه لم يكن عصر خلافة بل كان عصراً عجيباً بين ما تقدمه وجاء فى أعقابه؛ فلم يثبت كل الثبوت ولم يضطرب كل الاضطراب فكان فى ناحية كل عوامل الرضا عن النظام الاجتماعى، وفى ناحية أخرى كل عوامل التذمر من هذا النظام، ومضى يبين أسباب استقرار النظام فى الجانب الذى كان من نصيب معاوية؛ فذكر أن الشام كان أرضاً أموية من يوم أن لجأ إليها فى الجاهلية أمية جد الأمويين وما جاء بعده من أبنائه متجرين أو مهاجرين إلى أن تولى إمارتها يزيد بن أبى سفيان من قبل أبى بكر الذى جاء بعده معاوية من قبل عمر ذلك الدّرهى الذى قضى زمناً طويلاً لا يعمل عمل الوالى، ولكن يعمل عمل صاحب الدولة التى يقيمها لنفسه ولأولاده من بعده. وكانت وسيلته فى ذلك أن يغمر الناس بالأعطية، السوقة منهم والشرفاء. وقد بلغ من دهائه أن طوى عقيلاً أخا على بعطائه، أما المخالفون له فكان جزاءهم العقاب والنفى، ثم أخذ يصف الجانب الآخر الذى كان يتولاه على؛ فقال إنه كان مصاباً بعلل التنافس بين العواصم والتبرم من العيش والتطلع إلى الخلافة وما تكنه العبيد والموالى لقريش بله ما وراء ذلك كله وهو المال الذى كان فى يد معاوية وحده

ولما أنشأ يتكلم عن بيعة على قال إنه بويع بالخلافة بعد حادثة من أفجع الحوادث الدامية فى تاريخ الإسلام وهى مقتل عثمان؛ وأخذ يحلل الحوادث التى أفضت إلى قتل هذا الخليفة وموقف على من هذه الجريمة، وناضل ببراهين قوية عن هذا الموقف، وانتهى من نضاله إلى أن علياً — لم يكن يقدر على اجتناب هذا المصير

من معاوية أو من عثمان نفسه — وأنه صنع غاية ما يصنع رجل معلق بالنقيضين ، مسئول عن الخليفة أمام الثوار ، ومسئول عن الثوار أمام الخليفة ، وإنه كان يعالج داء « استعصى دواؤه وابتلى به أطباؤه » . ثم أخذ بعد ذلك يناقش الذين خرجوا في وجهه يطالبون - بزعمهم - بدم عثمان ، فقال عن طلحة والزبير إنهما كانا يمهدان أثناء حياة عثمان لتولى الخلافة ؛ أما عائشة فقد كانت تنادى بقتل عثمان وتود أن يتولى الخلافة طلحة لأنه من قبيلتها أو الزبير لأنه زوج أختها

وعلى أنه قد درس مواقف هؤلاء الثلاثة الذين كانوا يتآمرون على عثمان قبل قتله ، ثم خرجوا على علىّ بعد ما تولى وأبان وجه الحق فى ذلك فإن قلمه كان رفيقاً بعائشة فلم يجر بشيء من مؤاخذتها

وقد عرض المؤلف لما قام بين على ومعاوية من خلاف فاستقصى أسبابه البعيدة والقريبة وانتهى إلى أن أمر معاوية لم يكن كما يبدو فى ظاهره من أنه كان من أجل عثمان وإنما كان من أجل أبهة الملك وسلطان الحكم ، وقضى بحق أن هذا الخلاف لم يكن بين على ومعاوية وإنما كان « بين نظامين متقابلين وعالمين متنافسين ، كان صراعا بين الخلافة الدينية كما تمثلت فى على ، والدولة الدنيوية كما تمثلت فى معاوية » ولا ريب فى أن يكون الغلب للدولة الدنيوية ، لأن هـذا هو ما تقضى به طبائع النفوس وغرائز الأمم . ولقد صدق عمرو ابن العاص فى قوله : « لا يصلح لهـذا الأمر إلا رجل له ضرسان يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر »

وقد انتهى كاتبنا من دراسته لتاريخ هذا الإمام إلى أنه « هو الذى شاء القدر أن يجعله فدية للخلافة الدينية فى نضالها الأخير مع الدولة الدنيويّة » وأجمل صورته فى أنه كاد « صورة المجاهد فى سبيل الله بيده وقلبه وعقله أو صورة الشهيد »

ولنقف عند هذا الحد كما وعدنا إذ لا نستطيع أن نبين كل ما تناوله قلم العقاد من بحث وما نفذ إليه من استقصاء

بقيت أشياء لا بد من ذكرها والإبانة عنها حتى نبلغ من كلامنا ما نريد ، ذلك أنى عثرت وأنا أقرأ ببعض ألفاظ كنت أقف عندها مثل لفظ (رِتملاء ص ٤٠) و (حانقين ص ٥٥) و (فشل ص ٨١ و ٩٦ و ١١٠ و ١٢٦) وقد رجعت إلى معاجم اللغة التى بين يدى فى اللفظ الأول فوجدته من لغة طي ، وإذن يكون استعماله جائزاً ؛ أما اللفظان الآخران فإنى أرجع فيهما إلى الأستاذ العقاد وأسأله :

هل يجوز استعمال كلمة (فشل) فى معنى أخفق وخاب وإن يأتى اسم الفاعل من حنق على حانق هذا إذا لم تكن هذه اللفظة من أخطاء الطبع التى كثرت فى هذا الكتاب على غير ما نعهد فيما يطبع بمطبعة المعارف التى عرفت بجودة الطبع ودقته

واستشهد بعبارة مشهورة وضعها شيوخ الدين وجعلوها حديثاً للرسول ليعلوا بها قدرهم ، وهى (علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل)

وكنا نود من مؤلفنا وهو الأديب الكبير أن يطيل الحديث فى بلاغة الإمام ، وأن يعرض لأسلوبه وطريقته فى الكتابة والقول فيدرسها ويبين هذا الأسلوب لكي يعرف الأدباء من هـذه الدراسة ما لعلى فى كتاب نهج البلاغة وما لغيره ، لأن الأدب وتاريخه فى حاجة إلى هذا العمل الجليل ؛ ولعله يجعل من هذا الدرس بحثاً فنياً برأسه يضيفه إلى أبحاثه القيمة التى ينفع بها الأدب والأدباء .

(المنصورة) محمود أبو ريه

اليــوم



باتوزيس يرثي أزمردا

أغنية الرياح الأربع

للأستاذ على محمود طه

[باتوزيس وأزمردا من أبطال قصة أغنية الرياح الأربع التى تصدر بعد يومين للأستاذ الشاعر على محمود طه ، أولهما مصرى وثانيهما فينيقى . كانا فى بدء حياتهما صديقين يعملان فى الملاحة ثم ضربت الأيام بينهما فاذا بالأول يهيم فى الآفاق شاعراً منشداً يعيش ليومه قبل غده ، وإذا بالثانى يصبح قرصاناً ذائع الخطر . وتجمعهما الأيام فى ميناء بيلوس فيروع باتوزيس نوازع الشر والاثم من صديقه أزمردا ، ويسخر أزمردا بمثل صديقه العليا وما هو فيه من فقر وتعفف . ويضيف صديقه فى سفينته ، وتسنح آلهة الرياح الأربع لأزمردا فى صورة فتيات جميلات يتخطرن على شاطئ مصر فيدفعه الشر إلى اقتناصهن ليبيعهن فى سوق الرقيق ، ولكنه يعلم من أمرهن الحقيقة فيغلو فى أطماعه فيفكر فى اختطافهن للاستيلاء على الرياح الممثلة فيهن ليسخر قواها فى غزواته الاجرامية . وتنتهى وقائع القصة فى سفينته حيث تظهر معجزة آلهة الرياح الأربع وتقف دونها أروع الحيل التى لجأ إليها القرصان . فيخر أزمردا صريع غدره بالآلهة وطمعه فيما لا قبل لبشرى به ، فيغرق بسفينته المحطمة بينما تطير الرياح الأربع إلى الشاطئ ومعهن باتوزيس وقد وقف ذاهلا مما مر به ، محدقاً فى بقايا السفينة الغارقة وهو ينشد :

أثرٌ ليس يُلمَحُ   وخيالٌ مُجنَّحُ
وشراعٌ مُحطَّمٌ   حوله الموتُ يسبحُ
مُغْرَقاً لا تَهزُّهُ   نَسْمةٌ أو تُرنِّحُ
يحتويهِ مزمجرٌ   مظلمُ الغور أفيحُ
غرقتْ تلكم السفيـــنةُ وانفضَّ مسرحُ
ما لرُبَّانها الطمو   حِ : أما عاد يطمحُ ؟
وجهُهُ وهو ذاهلٌ   أغبرُ الوجهِ أكلحُ
يتكفَّا رجالُه   حوله وهو يَضبحُ
بعد ما كان بينهم   يتغنَّى ويمــرحُ
غرّهُ السيفُ مُصْلَتاً   بالمنــايا يُلوِّحُ
لا يبالى إذا رمى   كيف يُثرى ويذبحُ
خالنى إذ دعوتُهُ   دعوةَ الخير أمزحُ
عاشَ لو قدَّرَ النصيـــحةَ أو كان يُنْصَحُ
يحسنُ الشرَّ بالغريـــزةِ والخيرُ يقبحُ
صاحبَ الأمس لا رحيـــقَ ولا كأسَ تصدح
فاشربِ اليوم من إنا   ئكَ بالموت يطفحُ
أمِنَ البحرُ مخلبيـــكَ وشطٌّ وأبطحُ
وعذارى كأنهنَّ   الأقاحُ المُفتَّحُ !
محصناتٌ تصيدهنَّ   وتغوى وتفضحُ
أيها الصقرُ لا تُغرَّ   فللرِّيحِ أجْنُحُ !
يتلقَّاكَ بأسُها   صامداً لا يُزَحْزَحُ
هُنَّ من رحمةِ السما   ءِ مقاديرُ تسنحُ
فإذا الطائرُ السَّجـــينُ طليقٌ مُسرَّحُ
وإذا العائدُ الغشـــوم صَريعٌ مُطَرَّحُ
من دم الغدر قَلْبُهُ   سائلُ العرقِ ينضحُ
فامضِ لا فرحةً بمو   تكَ ! ما الموتُ يُفرِحُ
قد عفا عنكَ هالكاً   قَدَرٌ ليس يصفحُ !

على محمود طه



بين الفكر اليوناني والفكر المصري

ذهب الدكتور طه حسين بك إلى أن الثقافة اليونانية هي مصدر الثقافات الإنسانية ، وأن الناس في الشرق والغرب ، وفي جميع الأجيال مدينون لثقافة اليونان

والدكتور زكي مبارك يرى أن الدكتور طه قد قرأ في كتب تتعصب لليونان ، ولم يقرأ في كتب ترد أصل الحضارات إلى مصر ، وهو قد قرأ ما قرأ وهو مطمئن كل الاطمئنان إلى من ينقل عنهم في غير ما نقد ولا تحليل

فما هو وجه الحق في هذه المسألة ؟

قد يكون من الحق أن العقل وجد مع الإنسان وبقي هو هو في جوهره ، وقد اصطفته الأمم الشرقية في الماضي السحيق فاستحدثت الصناعات والعلوم والفنون ولقفتها اليونان فحملت عنها عبء التفكير فيها وكفتها شر هذا الجهاد الذي كان لا بد أن تنفقه حتى تخلص إلى هذه النتائج التي انتهى إليها الشرقيون

نعم ! لقد كانت القصص الدينية وبعض الأفكار في العالم والحياة معروفة ؛ فقد كان هناك التوحيد والشرك ، وكانت الثنائية الفارسية ، وكانت وحدة الوجود عند الهنود

غير أنا إذا لحظنا صيغة القول ومنهج البحث عند الشرقيين لم ندع هذا الضرب من المعرفة فلسفة ، لأن أفكار الشرق كانت تسيطر عليها النزعة الدينية الخيالية التي لا تمت إلى منهج البحث العقلي بأية رابطة

ومع ذلك فقد يمكن القول بأن البابليين والعبرانيين والمصريين قد جهلوا الفلسفة بالرغم مما بلغه علماؤهم من ثقافة عالية . ولعل في قصة أوزوريس وعبادة أمون ما يدل دلالة واضحة على أن المصريين لم تكن لهم فلسفة بالمعنى المعروف في الاصطلاح

هذا ما قصد إليه الدكتور طه وهو رأي لا يحتاج إلى توضيح

ماهر قنديل

المناقشة بعد المحاضرة نظام إسلامي قديم

منذ أيام كنا نستمع في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية إلى إحدى المحاضرات ، وفي نظام هذه المحاضرات أن يعقبها أسئلة يوجهها السامعون للمحاضر مكتوبة على أوراق صغيرة ؛ وهو يجيب على ما يستطيع الإجابة عليه منها

وقد قالوا إن نظام المناقشة بعد المحاضر على النحو السابق نظام ابتدعته الحضارة الحديثة ، وكان للجامعة الأمريكية فضل استحداثه وتنظيمه في مصر والشرق

والحق أن نظام المناقشة بعد المحاضرة على الطريقة المذكورة نظام إسلامي كان معروفاً في البلاد الإسلامية منذ ستة قرون أو يزيد ؛ والرحالة أبو عبد الله شمس الدين ابن بطوطة المتوفى سنة ١٣٧٧ م قد أشار إلى مثل هذا النظام في رحلته وهو يتكلم عن مدينة « تُسْتَر » التي فتحها المسلمون على يد خالد بن الوليد ، فيقول عن الشيخ شرف الدين موسى ما نصه(١) :

« وهذا الشيخ من أحسن الناس صورة وأقومهم سيرة ، وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع . ولما شاهدت مجالسه في الوعظ صَغُر لدي كل واعظ رأيته قبله بالحجاز والشام ومصر ، ولم ألق فيمن لقيتهم مثله

حضرت يوماً عنده ببستان له على شاطئ النهر وقد اجتمع فقهاء المدينة وكبراؤها ، وأتى الفقراء من كل ناحية ، فأطعم الجميع ، ثم صلى بهم صلاة الظهر ، وقام خطيباً وواعظاً بعد أن قرأ القراء أمامه بالتلاحين المبكية ، والنفحات المحركة المهيجة ، وخطب خطبة بسكينة ووقار ، وتصرف في فنون العلم من تفسير كتاب الله ، وإيراد حديث رسول الله والتكلم على معانيه ، ثم ترامت عليه الرقاع من كل ناحية ؟ ومن عادة الأعاجم أن يكتبوا المسائل في رقاع ويرموها إلى الواعظ فيجيب عنها ؛ فلما رُمي إليه بتلك الرقاع جمعها في يده ، وأخذ يجيب عنها واحدة بعد واحدة بأبدع جواب وأحسنه ؛ وحان وقت صلاة العصر فصلى بالقوم وانصرفوا » ا هـ

« كلية اللغة العربية » **أحمد الشرباصي**

(١) أنظر « مهذب رحلة ابن بطوطة » ج ١ ص ٤٤٦ طبعة ١٩٣٩

لبشار أم لكثير عزة؟

١ — كنت أطالع في قصة الأدب في العالم حتى وصلت إلى الباب الذي عقده الأستاذ « أحمد أمين بك » عن الأدب العربي في العصور الوسطى ، فاستوقفني ما نسبه إلى « كثيّر عزة » (ص ٣٧٤) ، وهو يعرض أمثلة من شعر الغزل والتشبيب لإمام المحبين « جميل بن مَعْمر » ومجنون ليلى :

فقد جاء ما نصه أن « كثيّر عزة » قال :

يزهدني في حب « عزة » معشر
قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو « اللب »
وما تبصر العينان في موضع الهوى
ولا تسمع « الآذان » إلا من القلب
وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا
وألف بين العشق والعاشق الصب

فلو وضع « عَبْدة » موضع « عزة » — والأذنان مكان الآذان حتى يستقيم المعنى جيداً — لكانت أمامنا أبيات بشار المشهورة ، وقد ذُكرت هذه الأبيات في الأغاني منسوبة إلى بشار (ص ٦٥ ، جزء ثالث — للشنقيطي)

٢ — وبهذه المناسبة أيضاً أقول بأن الأبيات المشهورة التي رويت عن حمدونة الأندلسية تصف فيها وادياً — والتي نتخذها مثالاً بارعاً يشير إلى تأثير طبيعة الأندلس الخلابة في شعرائها :

وقانا لفحة الرمضاء واد   سقاه مضاعف الغيث العميم الخ

قد نسبت خطأ إلى « أبي نصر أحمد بن يوسف المنازى » في قصته مع أبي العلاء المصري .

(المنصورة)   عبد الحميد عثمان عبد المجيد

من الشعر المنسي لحافظ بك ابراهيم

نسي الأستاذان احمد أمين والزين أن يوردا هذه القصيدة في ديوان حافظ فآثرنا نشرها في الرسالة الغراء :

أنا في يأس وهم وأسى   حاضرُ اللوعة موصول الأنين
مستهين بالذي لاقيته   وهو لا يدري بماذا يستهين
سورَهٌ عندي له مكتوبة   ودَّ لو يسرى بها الروح الأمين
إنني لا آمنُ الرسل ولا   آمنُ الكتب على ما يحتوين

رضوان العوادلي

الخطايا السبع

نحن في حاجة ماسة إلى القصص المترجمة بنوعيها ، القصيرة والطويلة ، ونحن في حاجة ماسة إلى القصص المنقولة بأقلام قوية معروفة في عالم الأدب المصري الحديث لأنها الأقلام التي تضع لنا دعامة هذا الأدب وتغذيه وتواليه في نشأته الأولى حتى يقوى ويشتد ساعده ... أما الأقلام المرتزقة التي تمسخ روائع الأدب الغربي وتسمى عملية المسخ هذه ترجمة فهي أضر شيء بنهضتنا ... لأن القصص المترجمة تكون عادة نماذج يحتذيها كتابنا الناشئون ولا سيما الذين لا يعرفون لغة أجنبية ؛ فإذا وضعنا بين أيديهم قصصاً ناضجة أحسنا اختيارها لهم وترجمناها ترجمة صادقة قوية أفدناهم بعملنا هذا أجزل الفائدة ... والعكس ...

أكتب هذا بمناسبة فراغي من قراءة هذه المجموعة الجميلة (الخطايا السبع) لصديقي الأستاذ علي أدهم الذي أغبطه وأهنيه بما وفق إليه من اختيار هذه القصص القصيرة الشائقة لأحسن الكتاب العالميين وترجمتها هذه الترجمة الرائعة التي أكسبها ذوقه الفنان وقلمه المبدع ثوباً حبيباً قشيباً ...

وإن كان لا بد من أن أتناول (الخطايا السبع) بشيء من النقد ، فإني أحصر ملاحظاتي فيما يأتي :

١ — كان يحسن أن يشرح الأستاذ الكلمات التي تدق على فهم غالبية القراء في أسفل الصفحة ... وإلا فكم من القراء يفهمون هذه الكلمات : وَحْف . فرعاه . تغر شتيت . الجماقر . عقلة النفوس ... وذلك في قصة واحدة

٢ — كنت أوثر أن يهمل الأستاذ القصة المشهورة إلى غير المشهورة ... وذلك مثل قصة تشيكوف (قصة بلا عنوان) فقد ترجمت غير مرة ، وإن تكن من القصص الروسية الرائعة

٣ — أوصاني الأستاذ أن أبدأ بقراءة قصة فرانس (في الصومعة) فلما فرغت منها عرفت أن الأستاذ أدهم — العالم الذي يهوى الفلسفة — هو الذي كان يوصيني أن أبدأ بهذه القصة ... ولو سألني عن رأيي الصريح لأخبرته أنها ليست قصة ، ولكنها مقالة أو Essay فلسفي ... ولم يكن موضعها بين هذه القصص الشائقة

٤ — كان يفيد الأستاذ قراءه جداً لو أنه سبق كل قصة

بترجمة خاطفة لكل كاتب لا تزيد على نصف صفحة كما ترجم ل سينكوكز مثلاً

ومع هذا .. فالخطايا السبع من أحسن مجموعات القصص المترجمة عندنا ونحن ننتظر من الأستاذ الصديق ... المزيد .

دريني خشبة

جماعة نشر الثقافة – حفلة تأبين نقلا باشا

تقيم جماعة نشر الثقافة بالإسكندرية حفلة لتأبين فقيد الصحافة « نقلا باشا » فى تمام الساعة الرابعة والنصف من مساء يوم الإثنين الموافق ٢٩ نوفبر سنة ١٩٤٣ بمسرح نادى موظفى الحكومة (المواساة) وخطباء الحفل وشعراؤه الأساتذة الأجلاء .

١ – كلمة الافتتاح صاحب السعادة أحمد كامل باشا مدير بلدية الأسكندرية

٢ – كلمة للأستاذ عبد الحميد السنوسى المحامى

٣ – قصيدة الأستاذ خليل شيبوب

٤ – الأهرام فى خدمة الصحافة والأمة الأستاذ أحمد الطاهر

٥ – قصيدة . الأستاذ عثمان حلمى

٦ – تحية القارىء العادى للأهرام . الأستاذ إلياس بدوى

٧ – قصيدة دمعة الأسكندرية . الأستاذ مصطفى على عبد الرحمن

٨ – الإبن سر أبيه . الأستاذ صديق شيبوب

٩ – قصيدة . الأستاذ حسين البشبيشى

١٠ – كلمة الأهرام

إستدراك

جاء فى المقال الأول بالعدد ٥٣٧ للدكتور عبد الوهاب عزام ، وفيما يليه ، بعض كلمات مبهمة ، ننشر صوابها فيما يلى :

أتأمل السور الضيق . والصواب : السور العتيق

أتأمل الأطفال حول آبائهن . والصواب : حول آبائهم

وفى المقال الثانى :

قبة صغيرة جميلة تحتها قبة صغيرة . والصواب : تحتها حجرة صغيرة

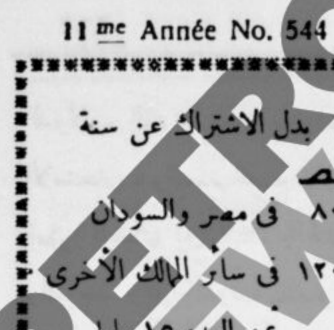
صففت فى مدخل المتحف وبداخل التكية . والصواب : فى مدخل المتحف وهو التكية

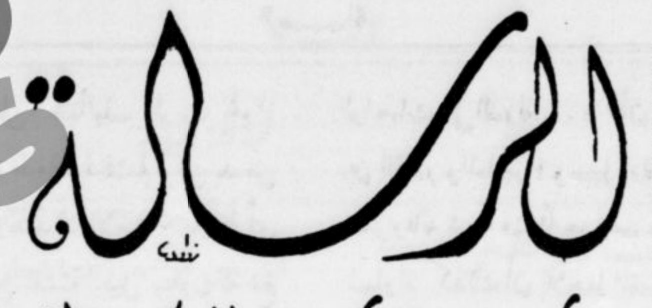
وفى الحاشية : وهذا التاريخ لا يوافق السلطان عبد الحميد . والصواب : السلطان عبد الحق .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 544 — Lundi - 6 - 12 - 1943





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٤٤ « القاهرة في يوم الإثنين ٨ ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٦ ديسمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

تقرير معالي وزير المعارف

عن إصلاح التعليم في مصر

لأول مرة في تاريخ المعارف المصرية يصدر عن وزيرها تقرير كهذا التقرير يجمع بين الرأي والعزيمة في تنفيذ خطة مرسومة لغاية معلومة. ومن قبل كانت سياسة التعليم في مصر نمطاً من سياستها العامة: سيراً على غير خطة، أو خطة إلى غير غاية. وكانت وزارة المعارف على الأخص قد عاهت بالاستعمار فظل نباتها نكِداً لا يُغل ولا يُظل. وكان البانون على أثر دنلوب يحاولون أن يرفعوا البناء فلا يرتفع، ويجهدون أن يدعموه بتقارير الخبراء ومباحث اللجان فلا يندعم؛ ذلك لأنهم كانوا يبنون على أسس دنلوب وقواعده؛ وأسس دنلوب وقواعده هي أولئك الموظفون المخضرمون الذين نشّأهم المستشار على آلية التعليم حتى صارت فيهم عقيدة، وأخذهم بروتين النظام حتى أصبح لهم فطرة. فإذا كان القائم على أمور الوزارة قوياً انطوت هذه الفئة انطواء القنافذ، وتركوا النشاط للشباب ذوي العلم والخبرة، فغيروا المناهج وقوموا الخطط ورسموا الثناية وبدلوا الكتب وبدأوا التجربة. وإذا كان ضعيفاً بسطت سلطانها على كل إرادة، ورجعيتها على كل تجديد، فاحتبست الإرادات في الرءوس، واستقرت الأنظمة في المكاتب، وعاد

الفهـــرس

الدولاب القديم يدور دورانه البطىء بالتأليف المريب لجواز الامتحان، والتعليم الفج لبلوغ الوظيفة. لذلك لم يكن بد من قصور البنيان بين البناء والهدم، وتذبذب الإصلاح بين الرأى والعزم، وعجز المدرسة المصرية عن تنشئة جيل يكون له مع العلم خلق، ومع العمل ضمير، ومع الشهادة إرادة ...

ذلك إلى أن القائمين على ثقافة هذا البلد قد اتسموا بعدم السياسة العامة، فحصروا همهم فى الديوان، وقصروا جهدهم على الشكل، ولم يشغلوا ذرعهم إلا بالتعيين والنقل والترقية والميزانية والدرجات والامتحانات والتقارير والتجارب والدسائس، ولم يكلفوا أنفسهم النظر من نوافذ المكاتب الرسمية إلى هذا الشعب الذى يعيشون عليه ويعملون له ليضعوا سياستهم على مقتضيات حاله، ويرسموا خططهم على دواعى حاجته

* * *

نعم، لأول مرة فى تاريخ المعارف المصرية يتولاها وزير يريد أن يعمل ويدرى كيف يعمل. وهذا التقرير الذى نشره نجيب الهلالى باشا هو المقدمة الممهدة للتاريخ الذى سيُكتب بعد الحرب لمصر العالمة العاملة. وليست قيمة هذا التقرير الخطير فيما اشتمل عليه من خلاصة الآراء الفنية لأساطين التربية فى انجلترا وأمريكا؛ إنما قيمته العظمى فى الروح الذى أوحاه، والغرض الذى توخاه، والعزم الذى انطوى عليه. وهل كانت تقارير الفنيين من أمثال «مان» و «كلاباريد» تعوزنا حين كنا ندور على أنفسنا دوران أبى رياح لا نتجه ولا نسير، ولا نعرف قبيلاً من دبير؟

نهج معالى الوزير فى تقريره الخطة المثلى لإصلاح التعليم وتجديده، ولم يعتمد فى نهجه كما قال «على الخيال والأمانى، وإنما اعتمد فيه على تجارب مصر فى نهضتها الحديثة، وتجارب الأمم الراقية التى سبقتها إلى النهوض فى أوربا وأمريكا»[1]

وهذه الخطة تعتمد «على أسس بلغت من الوضوح حد البداهة، لا فى مصر وحدها، بل فى العالم المتحضر كله، وهى أن التعليم حق للناس جميعاً ... وأن المساواة ما دامت أساس الحياة الديمقراطية يجب أن تشمل حقوق الناس وواجباتهم كلها، والتعليم من أول هذه الحقوق لأبناء الشعب، ومن أول هذه الواجبات على الدولة ... و «أن هذه المساواة تستلزم إزالة الفروق بين القادر والعاجز؛ وسبيل ذلك تيسير التعليم للناس جميعاً بإلغاء مصروفاته شيئاً فشيئاً حتى يصبح هذا الإلغاء عاماً. وتستلزم هذه المساواة كذلك أن يلاحظ المشرفون على التعليم مواهب المتعلمين وكفاياتهم، وأن يوجهوا كلا منهم إلى أن ينفع وينتفع ويكون مواطناً عاملاً كريماً فى وطن راق كريم»[1]

وعلى هذه الأسس الثابتة أقام الهلالى باشا دستور التعليم المقترح. وأقوى مبادىء هذا الدستور «أن الديمقراطية لا يتحقق معناها الرفيع إلا إذا اعتمدت على أساس راسخ من التعليم الصحيح»[2]؛ و «أن التعليم ضرورة من ضرورات الحياة للأمة، وليس شأنه فى سنوات الشدة بأقل من شأنه فى سنوات الرخاء؛ فعليه يتوقف مصير كل أمة ويتضح سبيلها وتحدد غايتها»[3]؛ و «أن الغرض من التعليم هو أن تُيسر للأبناء طفولة سعيدة، ويُهيأ لهم أن يبدأوا حياتهم بدءاً حسناً، وأن يوفر للشعب كله أوفى قسط ممكن من الخير والنعيم، وأن تدبَّر جميع الوسائل لتنمية المواهب المختلفة وحسن توجيهها، وأن يتاح للشباب كل الفرص الممكنة ليتعلموا ويتقدموا، وأن تُبذل الجهود التى تفتح لهم أبواب العمل تأميناً لمستقبل الفرد ورفاهية الجماعة»[4]؛ و «أن كل فرد يجب أن يتعلم التعليم الذى يؤهله لمواجهة تجارب الحياة العاملة ومشكلاتها»[5]؛ و «أن الدولة محتوم عليها أن تسوى بين جميع طبقات الأمة فيما تتيح لهم من فرص التعليم»[6]؛ «فلا يجوز بحال ما أن يعوق الفقر طالبَ علم عن إتمام تعليمه، ولا أن يحول بينه وبين المدرسة التى يهيئه لها استعداده العقلى»[7]؛ «وأن الأمة لا يمكنها أن تحتفظ بمجدها الصناعى والتجارى إلا بالتوسع فى التعليم الفنى»[8]

هذه الأسس والقواعد وما بنى عليها أو استند إليها معلومة فى بدائه العقل فلا سبيل عليها لناقد؛ إنما سبيلنا وسبيل المخلصين أن ندعو لها اللهَ أن يبقى الوزير فى الوزارة، والمستشار فى الاستشارة، حتى تخرج إلى النور، وتصبح فى حمى الملك والدستور

احمد حسن الزيات

(١) التقرير ص ٨٨

(١) التقرير ص ٨٨ (٢) ص ٥ (٣) ص ١١

(٤) ص ٦ (٥) ٣٩ (٦) ص ١٩

(٧) ص ٣٠ (٨) ص ٦٦

مسابقة الأدب العربي

٢ - البهاء زهير

للدكتور زكي مبارك

مصرية البهاء

يقول الأستاذ مصطفى باشا عبد الرازق إن البهاء لم يكن طفلاً حين هاجرت أسرته من الحجاز إلى وادي النيل ، لأنه وجد في شعره قصيدتين يذكر فيهما عهده بالحجاز ، الأولى قصيدة :

أحنّ إلى عهد المحصَّب من مِنًى ... وعيشٍ به كانت تَرِفّ ظلاله

والثانية قصيدة :

سقى الله أرضاً لست أنسى عهودها ... ويا طولَ شوقي نحوها وحنيني

ثم يقول بعد إيراد هاتين القصيدتين : « وليست ذكريات طفل هذه الذكريات التي يحنّ البهاء زهير إلى عهدها بين المقام وزمزم ، فلا بد أن يكون شاعرنا جاء إلى قوص فتًى مستكملاً »

وأقول إن القصيدتين تشهدان بأن البهاء كانت له ذكريات غرامية بالحجاز ، فإن صدقناه فيما ادعى لنفسه من الصَّبَوات بالبلاد الحجازية ، فمن حقنا أن نسأل كيف خَبَتْ حرارة الذكريات لتلك الصبوات فلم توح إليه غير قصيدتين اثنتين ؟

والأستاذ مصطفى باشا يحدثنا أن المؤرخين قالوا :

« وانتقل البهاء زهير من قوص بعد أن رُبّي فيها وقرأ الأدب وسمع الحديث وبرع في النظم والنثر والترسل »

ومعنى هذا أن البهاء بدأ حياته في قوص وهو في عهد التربيب ، وأنه لم يجيء إلى قوص وهو فتًى مستكمل الفتوة ، كما حكم سعادة الأستاذ قبل لحظات وهو يدوّن بحثه الطريف

يجب أن نتذكر أن الكلام عن الحجاز وذكرياته الغرامية بدعة أدبية شرعها الشريف الرضي ، وأتبعه فيها من تلاه من الشعراء ، فكان من هوى كل شاعر قضى وقتاً بالحجاز أن يقول إن له حجازيات ، كما كان للشريف حجازيات .

مشكلة لغوية

لغة البهاء زهير لغة شاعر عريق في المصرية ، ولولا إجماع المؤرخين على أنه وُلد بالحجاز لكان من الحتم أن نفترض أنه وُلد في قرية مصرية من قُرى المنوفية ، فكيف نصدق أن أهله حجازيون ؟

لقد رأينا رجالاً نشأوا بالشام أو لبنان ، ثم هاجروا إلى مصر فعاشوا فيها سنين وسنين ، إلى أن استمصروا بحكم القانون ، ومع هذا بقيت ألسنتهم وأخيلتهم شامية أو لبنانية ، فكيف جاز أن يكون هذا الحجازي أعرق في المصرية باللغة والروح والخيال ؟

أنا أرجح أن تكون أُسرة البهاء زهير مصرية لا حجازية ، وإن كانت عربية العِرق ، وأرجح أنها انتقلت من مصر إلى الحجاز للتجارة ، بدليل أنها لم تنتقل من الحجاز إلا إلى قوص ، وكانت مدينة قوص ملتقَى القوافل الواردة من الهند والحبشة واليمن . الحجاز ، وملتقى الُحجّاج من المغاربة والمصريين

ويمكن أن نقول إن أسرة البهاء هاجرت إلى الحجاز لتنضم إلى جماعة المجاورين ، والمجاور في الاصطلاح القديم هو من يجاور الحرم النبوي ، وبه وُصف المجاور للحرم الأزهري في القاهرة ، أو الحرم الحيدري في النجف . وفي القاهرة مقابر تُسمّى « قرافة المجاورين » من باب التشريف ، فما انحطت كلمة مجاور إلا في عصور الانحطاط

ويرجح هذا القول أن مصطفى باشا رأى في أحد المخطوطات أن والد البهاء وُصف بـ « العارف محمد ، قدّس الله روحه » و « العارف » كلمة لم يكن يُنعَت بها غير المعروفين بالتنسك والتصوف

ولا يقدح في هذا القول ما صار إليه البهاء من الإقبال على المناصب الدنيوية ، فالرأي الغالب عند أسلافنا أن طلب الدنيا لا يغض من قيمة التمسك بالدين ، ما دام طالب الدنيا حريصاً على التحلي بمكارم الأخلاق

إن البهاء مصريّ اللغة والروح ، مصري « ابن بلد » بلا جدال ، فكيف نجعله من الحجازيين ؟ وهل ينطبع الرجل على لغة بلد وعلى أوهامه وأحلامه وهو في الأصل غريب ؟

وما هو الروح الحجازى فى أشعار البهاء لو جعلنا أسرته حجازية الأصل ، وأنها لم تعرف مصر إلا فى أواخر القرن السادس ؟

أنا أقدم هذا السؤال ، وإن كان لا يخلو من ضعف ، لأنى أعتقد أن الحجاز لم تكن له قومية محلية فى العهد الإسلامى ، فقد صار الملتقى لألوان من اللغات والآداب ، منذ اليوم الذى صار فيه ملتقى لألوان من الأمم والشعوب

وجملة القول أنى أرجح أن أسرة البهاء أسرة مصرية أقامت مدة فى الحجاز ، ثم رجعت إلى مصر ، ولغة البهاء تؤيد هذا الترجيح ، وقد تظهر فى المستقبل أشياء نعرف بها صدق هذا الترجيح

لو عرف المؤرخون أن هذه القضية ستشغل الباحثين بعد أزمان لحدثونا بالتفصيل عن المنابت الأصيلة لدوحة البهاء

ذاتية البهاء

البهاء زهير ذاتية واضحة جداً ، ذاتية نفسية وذاتية فنية . ولننظر هذه الأبيات :

أحبُّ من الأشياء ما كان فائقاً ... وما الدُّون إلا من يميل لدون
فأهجرُ شربَ الماء غير مصفَّقٍ ... زُلالٍ وأكلَ اللحم غير سمين
وإن قيل لى هذا رخيصٌ تركتهُ ... ولا أرتضى إلا بكل ثمين

فهذه الأبيات ليست من البدائع ، بالقياس إلى ما يتمدح به أكابر الشعراء ، وهى مع ذلك من الطرافة بمكان ، لأنها تصور المصرى التأنق فى اختيار الطعوم والمشروب والملبوس

ولننظر قوله فى معاتبة الأمير مجد الدين :

فيا تاركى أنوى البعيد من النوى ... إلى أى قوم بعدكم أتيممُ
ألا إن إقليماً نَبَتْ بى دارُهُ ... وإن كَثُر الإثراء فيه لمعدم
وإن زماناً ألجأنى صروفُهُ ... لخاوتُ يُبعدى عنكم لمذمَّم
وأعلم أنى غالطٌ فى فراقكم ... وأنكمُ فى ذاك مثلى وأعظم
فلا طاب لى عنكم مُقامٌ بموطنٍ ... ولو ضمَّنى فيه المَقام وزمزم
ومثلك لا يأسى على فقد كاتبٍ ... ولكنه يأسى عليك ويندم
فمن ذا الذى تُدنيه منك وتصطفى ... فيكتُب ما توحى إليه ويكتم
ومن ذا الذى تَرضيك منه فطانةٌ ... تقول فيدرى أو تشير فيفهم
وما كل أزهار الرياض أريجةٌ ... وما كل أطيار الفلا تترنم

فهذا عتاب نرى مثله عند المتنبى والأرَّجانى وابن درَّاج ، والمعانى فيه مألوفة ، إن لم نقل مطروقة ، ومع ذلك نجد فيها عذوبة بهائية زهيرية تشهد بأنها صادرة من شاعر خفيف الروح ، رقيق الأسلوب

وهل رأيتم فى تصوير « كاتم السر » وهو ما نسميه اليوم بالسكرتير أدق من هذين البيتين :

فمن ذا الذى تُدنيه منك وتصطفى ... فيكتُب ما توحى إليه ويكتُم
ومن ذا الذى تَرضيك منه فطانةٌ ... تقول فيدرى أو تشير فيفهم

هذا هو « السكرتير » المنشود ، وكذلك كان البهاء

وإيمان البهاء بذاتيته إيمانٌ متين ، فهو يثق بنفسه وبفنه ثقةً بصيرة ، لا ثقةً عمياء ، ومن شواهد ذلك قوله فى مخاطبة أحد الأمراء :

هذا زُهيرك لا زهير مزينةٍ ... وافاكَ هَرِماً على علاتهِ
دَعْه وحولياته ثم استمع ... لزهَير عصرك حسن ليليَّاته
لو أُنشِدَتْ فى آل جفنة أضربوا ... عن ذكر حسَّانٍ وعن جَفَناته

فهل رأيتم قبل البهاء من يعارض الحوليَّات بالليليَّات ؟ هو شاعر الفطرة والطبع ، فمن حقه أن ينتظر جود الخاطر فى الليلة القصيرة بما لا يتيسر لغيره فى الحول الطويل

ولننظر كيف يتمدح بأخلاقه وأشعاره وهو صادق :

مذ كنت لم تكن الحيا ... ة فى المحبة من خَلاقى
ولقد بكيتُ وما بكيتُ ... من الرياء ولا النفاق
رقيقة الألفاظ تحكى ... الدمع إلا فى المذاقِ
لم تدرِ هل نطقت بها الـ ... أفواهُ أم جرَت المآقى
لطُفتْ معانيها ورقَّتْ ... والحلاوة فى الرِّقاق
مصريةٌ قد زانها ... لطفاً مجاورة العراق

مصرى ابن بلد

المصريون يسمون الفتى الحلو الفكاهة والدعابة « ابن بلد »

وفى أشعار البهاء كثيرٌ من التعابير البلدية ، وما نظرت فى ديوانه إلا أيقنت أنه « من الناحية بلدنا » وهتفتُ :

يا زرع بلدى عليك يا وعدى

ويضيق المجال عن الإكثار من الشواهد ، والمهمّ هو أن نرشد المتسابقين إلى هذا الجانب ، لأنه سيرِدُ حتماً فى أسئلة الامتحان ، لأهميته فى الدلالة على الألوان المحلية

قال البهاء :

فياصاحبى أما علىَّ فلا تَخَفْ
فما يطمع الواشون فى عاشقٍ مثلى

وعبارة « أمَّا علىَّ فلا تخف » لا تزال على ألسنة المصريين « ما تخافش عَليَّه »

وقال :

أتتك ولم تبعُدْ على عاشقٍ مصرُ

وأولاد البلد يقولون : « مصر لا تبعد على حبيب »

وقال :

سيدى قلبىَ عندك سيدى أوحشتَ عبدك

و « قلبى عندك » عبارة بلدية نقولها فى كل يوم ، ومثل عبارة « أوحشت عبدك » فهى تدور على كل لسان ، ومن « أدوار » الغناء عندنا هذا الدور

ياما انت واحشنى وروحى فيك

وقال :

أين مولاى يرانى ودموعى فوق خدى

فنى الشطر الثانى عبارة بلدية مألوفة

وقال :

لنا صديقٌ سيئٌ فعلُه ليس له فى الناس من حامد
لو كان فى الدنيا له قيمةٌ بعناه بالناقص والزائد

والمصرى يقول حين يُضجره السوق : « بناقص بزائد سأبيع »

وقال :

سيندم بَعدى من يريد قطيعتى
ويذكر قولى والزمان طويل

والخصم عندنا يقول لخصمه : « أنا وأنت والزمان طويل » .

وقال :

إياك يدرى حديثاً بيننا أحدٌ فهم يقولون للحيطان آذانُ

فنى هذا البيت عبارتان مصريتان لا تحتاجان إلى بيان .

وقال :

وكانت بيننا طاقٌ فهدنا نحن سددناها

فنى هذا البيت عبارة بلدية صريحة .

وقال :

جاءنى منه سلامٌ سلَّم الله عليه
الله يسلّمك .

وقال :

له فصولٌ كلُّها فضولُ

يريد أن يقول إنها « فصول باردة » .

وقال :

حاشاك أن ترضى بأن أموت فى الحب غلطْ

كما نقول اليوم : « فلان مخلوق غلط »

وقد أكثر فى شعره من عبارة : « يا ألف مولاى »

ونحن نقول للزائر : « يا ألف مرحب »

وأنا أكتفى بهذه الشواهد ، وأترك للمتسابقين مراجعة نظائرها فى ديوان البهاء

الشاعر العاشق

يظهر أن البهاء زهير فُتن بالجمال فتنةً دامية ، فهو عاشق من الطراز الأول ، ولم يمنعه منصبه فى الدولة ولا مركزه فى المجتمع من إعلان هيامه بالجمال ، كأن يقول :

أروح ولى من نشوة الحب هزةٌ
ولست أبالى أن يقال طَرُوبُ
محبٌ خليعٌ عاشقٌ متهتكٌ يلذّ لقلبى كل ذا ويطيبُ
خلعتُ عذارى بل لبست خلاعتى
وصرّحتُ حتى لا يقال مريب
وفى لىَ من أهوى وصرّح بالرضا
يموت بغيظ عاذلٌ ورقيب
فلا عيشَ إلا أن تُدار مُدامةٌ ولا أُنس إلا أن يزور حبيبُ
وإنى ليدعونى الهوى فأجيبُهُ وإنى ليَثْنينى التقى فأُنيب
فيا من يحبٌّ العفوَ إنىَ مذنبٌ ولا عفو إلا أن تكون ذنوب

وكأن يقول :

لحا اللهُ قلباً بات خِلواً من الهوى
وعيناً على ذكر الهوى ليس تذرفُ

أنا ... وتوفيق الحكيم

وجهاً لوجه ...

للأستاذ دريني خشبة

ذهبت لأسلم على الأستاذ الزيات بعد عودته إلى القاهرة فوجدت إحدى الأديبات قد سبقتني إلى هذا الفضل ... وهذا خبر لا يهم القراء في شيء ...

إنما الذي يهم القراء حقاً أنني لم أكد أستقر في مكاني حتى فتح الباب ودخل الأستاذ توفيق الحكيم ... فهل كنا على ميعاد ؟

وعند ما كنت أكتب فصولي في « شهرزاد » وأحلام « شهرزاد » أراد الأستاذ الزيات أن يعرفني إلى الأستاذ الحكيم ... فاعتذرت ... وقلت له حين سألني عن السبب : حتى أفرغ من هذه القضية بين الحكيم وبين طه حسين ... وذلك لكي تصدر فصولي كلها بروح واحد ...

ثم مضت الأيام ، ولم أعرف الأستاذ الحكيم إلا من كتبه ، ولم يعرفني الأستاذ الحكيم إلا من مقالاتي ... حتى كان هذا اللقاء المفاجئ !

والعجيب أننا تصالحنا في لحظة خاطفة ... ولم يكن هذا الصلح على حسابي ... بل كان على حساب الأستاذ الحكيم الذي عاهدني وعاهد الأستاذ الزيات ألا يكتب كلمة واحدة ضد المرأة ... ولقد رثيت له ورحمته وهو يواثقنا على ذلك ، لأنه كان بحضرة الأديبة المهذبة فلك طرزي ، فلم يكن في مستطاعه أن يدافع في قضيته بشيء

ثم دار الكلام في موضوعات شتى ، حتى وصلنا إلى آخر كتب توفيق الحكيم ، (زهرة العمر) ، فلم أقطع فيه برأي لأنني لم أكن قرأته ، بل لم أكن شهدته ... وذلك أننا معشر الـ ... أدباء (والسلام !) نفضل أن نشتري بنقودنا خبزاً لأولادنا هذه الأيام ... على أن نشتري كتباً لأذهاننا ، لأننا نجيد الاحتيال لقراءة هذه الكتب ، حتى تسكت هذه الحرب فنشتريها كما يشتريها الأغنياء والعظماء ، بل نعود كما كنا أحسن زبائن المكتبات

وكان الأستاذ الحكيم قد أهدى (زهرة العمر) إلى الأستاذ الزيات ولم يكن قرأه بعد ، فوجدت من حسن الاحتيال أن أدعي أنني سريع القراءة جداً ، وأنني أستطيع أن أفرغ من الكتاب قبل أن ينتهي الزيات من (تفتيح) صفحاته ... فوافق الرجل ... بشرط ! أن أكتب عن الكتاب وطبعاً عن صاحب الكتاب ! ... كل هذا والأستاذ الحكيم

وإني لأهوى كلَّ من قيل عاشقٌ
ويزداد في عيني جلالا ويَشْرُفُ
وما العشق في الإنسان إلا فضيلةٌ
تُدمِّث من أخلاقه وتُلطِّف
يعظِّم من يهوى ويطلب قربه ... فتكثر آدابٌ له وتظرُّفُ

وهو يرى الموت في العشق حياة ، كأن يقول :

ما لَهُ أصبح عني معرضاً
تحت ذا الأعراض من مولاي شيّ
أنا من قد مِتُّ في العشق به ... هنّئوني : ميِّت العشاق حيّ

وغزل البهاء غاية في الرقة والعذوبة واللطف ، وما أحلاه وهو يصور غيرته على من يهواه :

وأنزِّه اسمك أن تمرَّ حروفه ... من غيرتي بمسامع الجلّاس
فأقول بعض الناس عنك كنايةً
خوف الوشاة وأنت كل الناس
وأغار إن هبَّ النسيم لأنه ... مُغرًى بهزّ قوامك الميّاس
ويروعني ساق المدام إذا بدا ... فأظن خدّك مُشرقاً في الكاس

وما ورد «المُطمِع المتنِع» في الشعر العربي بأكثر مما ورد في شعر البهاء . أليس هو الذي يقول :

سيدي قلبيَ عندكْ ... سيدي أوحشت عبدكْ
سيدي قل لي وحدّثني ... متى تنجز وعدكْ
أترى تذكر عهدي ... مثل ما أحفظ ودكْ
قم بنا إن شئت عندي ... أو أكن إن شئت عندكْ
أنا في داريَ وحدي ... فتفضّلْ أنت وحدكْ

وأشعار البهاء تفيض بالمطارحات الغرامية ، مع خفة الدم ، ولطف الروح ، وأنا أرجو أن يعفيني المتسابقون من إيضاح هذه الناحية ، لأنها أوضح من أن تحتاج إلى إيضاح

ومن سمع الغناء بغير قلب ... ولم يطرب فلا يَلُم المغنّي

وقد غنّى البهاء وأجاد ، فاسمعوه بالقلوب .

زكي مبارك

يسمع وكأنه لا يعلم شيئاً . ثم خضنا فى المسرح وفى التمثيل ، وسألته لماذا لا يؤلف للمسرح المصرى روايات تمثيلية ، فسمعت منه الجواب الذى سمعته من خمسين أو من ستين شاعراً مصرياً وكاتباً مصرياً ... ليس عندنا مسرح ... ويجب ، إذا ألفنا ، أن يكون تأليفنا على نوعين ، فنوع للخاصة ، ونوع للعامة ... نوع للخاصة الذين يسعهم أن يفهموا القطع الخاصة الرفيعة وأن يتذوقوها ، ونوع للعامة الذين لا يسعهم أن يفهموا القطع الخاصة الرفيعة ولا أن يتذوقوها ... هكذا كان جواب الأستاذ الحكيم الذى لم تمض على معاهدة الصلح والسلام والمودة بينى وبينه غير دقائق ... ولقد سكت على هذا الكلام لأنى أردت أن أجعل منه مادة لهذا الحديث ، لأنى لا أحب مطلقاً أن ينعقد السلام بينى وبين هذا الرجل الذى أحبه جداً وأعجب به جداً ، على حساب العامة . لأن تقسيم الجمهور المسرحى إلى خاصة وعامة هو أقتل سلاح نصوبه إلى صدر المسرح الذى نحلم بإنشائه ، وكل محاولة لإنشاء هذا المسرح إن لم تعتمد على العامة — وهذا رأيى وعلىَّ تبعته — قبل أن تعتمد على الخاصة ، هى محاولة فاشلة ، بل هى محاولة فيها إثارة لمشكلة الطبقات ، بل هى محاولة للأزراء بسواد الشعب والانتقاص من ملكاته ... على أن الأدب الذى يُكتب للخاصة هو فى رأيى أيضاً أدب لا يمكن أن يمثل أمة ، بل هو أدب لا يمكن أن يمثل الخاصة نفسها ، لأنها خاصة تتألف من عناصر متباينة ، يتعاظل بعضها على بعض ، ويبالغ بعضها فى بز البعض الآخر فى المظاهر الكاذبة التى ربما أخفت وراءها قدراً عظيماً من العقلية المقيدة التى ترسف فى أغلال من الذهب ... وفى وسع الأستاذ توفيق الحكيم أن يقول : إنما أنا أقصد الخاصة المتعلمة ذات المواهب ، وأنا أرد عليه إذن بما قلته مراراً على صفحات هذه المجلة وهو أن التعليم وحده لا يستطيع أن يصنع الحاسة الفنية لشعب ما من الشعوب ، فلقد كان العصر الذهبى للمسرح اليونانى فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد فى زمن لم ترتفع فيه نسبة المتعلمين فى أثينا نفسها عن عشرة أو ستة عشر بالمائة ، وكذلك الحال فى رومة والحال فى انجلترا (فى القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر) حينما كان المسرح الإنجليزى فى أوجه إذ ذاك ، وكان جل اعتماد المسارح اللندنية على الموارد التى تتدفق عليها من طبقات الشعب ، وبالأحرى من سواد الشعب غير المتعلم ... ومن الأمانة فى نقل الحديث أن أذكر ما ذكره الأستاذ توفيق نفسه من أنه إنما يرى هذا الرأى لما لقيته مسرحيته « أهل الكهف » من مصير على يد الفرقة القومية وفى دار الأوبرا الملكية ... لقد قالها الأستاذ توفيق فى شىء يشبه المرارة . . . وهو مخطئ فى زعمه هذا . . . فأهل الكهف كتبت لتكون من أروع آيات الأدب المصرى الحديث ، وقد أثبتت وجودها بالفعل ، ولسوف تخلد على وجه الزمان قطعة فنية قوية أنشئت للقراءة وللترف الذهنى ، ولم تُنشأ للتمثيل ... والذين أشاروا بإخراجها للمسرح هم الذين كتبوا لها هذا المصير . وبهذه المناسبة أذكر أن الأستاذ توفيق أرسل إلىَّ خطاباً يقول فيه :

... وجهتم إلىَّ أمس سؤالاً التبس على وهو : لماذا لم أوجه عنايتى إلى المسرح ؟ ولعلكم قصدتم أنى لم أعن بإخراج رواياتى على المسارح ... وهذا حق ... ذلك أن كتابة القصة التمثيلية نفسها والتأليف المسرحى فى ذاته لمن القوالب الأدبية الفنية التى حرصت منذ نحو عشرين عاماً على العناية بهـا ... ولقد كتبت ونشرت — كما تعلمون — نحو خمس عشرة قصة تمثيلية أو قوامها الحوار الأدبى . وهى (ثم أورد حضرته أسماءها) ... ثم قال ... وكل هذه الروايات التمثيلية منشورة فى كتب مستقلة وفى مجموعتى « مسرحيات توفيق الحكيم » فى مجلدين . أما إذا كان قصدكم معرفة سبب عدم إخراج هـذه القصص على المسارح حتى الآن (باستثناء أهل الكهف وسر المنتحرة) ؛ فإن الجدير بالإجابة هم القائمون بأمر مسارحنا ...) وأنا عندما وجهت هذا السؤال إلى الأستاذ كنت أفهم عنه وكان يفهم عنى فى غير لبس ولا عناء . وإذا كان يريد أن يقول لى إنه عُنى بالتأليف للمسرح المصرى فإنى أخالفه مخالفة تامة ، مع أننى من أشد المعجبين بأدبه التمثيلى الذى يخرجه فى الغالب فى شكل حوار لذيذ ممتع ، وهو مع هذه اللذة وذلك الإمتاع لم يخرج عن كونه قصصاً تمثيلياً أنشىء للقراءة ولم ينشأ للمسرح . وعندما أكتب فصلاً آخر أو فصولاً أخرى عن « فن توفيق الحكيم » بوصف هذا الفن ظاهرة هامة من أوضح ظواهر الأدب المصرى الحديث ، فسأفيض فى شرح ما أريد الآن إجماله من الناحية التمثيلية فى أدب هذا الأستاذ العظيم ... هذا الأدب الذى شق

طريقه بسرعة فائقة فى حياة مصر الأدبية الحديثة ، حتى احتل مكانه فى جلالة وبهاء بين الطليعة من أدبائنا الأمجاد

لقد وجهت سؤالى الى الأستاذ وهو يفهم عنى أحسن الفهم ولا داعى مطلقاً إلى القول بأن هـذه القطع الرائعة الخمس عشرة كتبت للمسرح ، لأن الكتابة للمسرح شىء آخر غير الكتابة للقراءة المُتْرَفة ، أوالقراءة للذة الفنية التى يتقنها توفيق الحكيم إتقاناً عجيباً لا نعرفه لغيره من كتابنا المصريين . وإنى حينما أقول إن الكتابة للمسرح شىء آخر غير الكتابة للقراءة المترفة ، لا أعنى أن ألقى درساً على أحد ، أستغفر الله . بل أعنى أنه يحسن ألا يغالط أحدنا الآخر على هـذا النحو ؛ فلقد سرنى جداً ما ذكره الأستاذ توفيق فى كتابه (زهرة العمر) الذى لم يتسع هذا الفصل للتحدث عنه ، من أنه أخذ يعنى بقراءة (برنود شو)[1] فى لغته الأصلية ، أى الإنجليزية ، بدلاً من أن ينتظر ترجمته إلى اللغة الفرنسية التى كانت تيسر له قراءة هذا الرجل الذى يعتبر من غير شك (عاهل المسرح الحديث » فى العالم قاطبة ... وسوف يسرنى أكثر أن يكون الأستاذ توفيق قد وازن بين (فن شو) المسرحى وما فى قصصه هو من هذا الفن المسرحى . ولسوف يسرنى أكثر وأكثر أن يكون قد وازن بين (مُثُل شو) العليا ، ومُثُله هو ، تلك المثل التى تعنى بالفن من أجل الفن ، قبل أن تعنى بالفن من أجل الحياة .

هذا ... ولست أوصى الأستاذ الحكيم بدراسة إبسن أو بجورنسن من كتاب الدرامة السكندناڤيين ، أولئك الكتاب الذين تتلمذ عليهم شو ، ووفقه الله إلى استكمال نقصهم . وذلك أن إبسن مثلاً كان يشخص علل المجتمع الإنسانى وأدواءه ، ثم يكتفى بذلك التشخيص . لم يكن يعنى قط بوصف العلاج الذى يكفل القضاء على تلك العلل ، أما شو ، الذى تشبه كثير من دراماته قصص الحكيم التمثيلية ، من حيث صلاحيتها جداً للقراءة دون صلاحيتها للمسرح ، فكان فى نقده البارع وسخريته اللاذعة مشخصاً ومعالجاً فى وقت معاً

أما لماذا أوصى الأستاذ الحكيم بعدم دراسة الكتاب السكندناڤيين ومن إليهم من الكتاب الواقعيين ، فذلك لخشيتى على فنه الجميل الخلاب من أن يتأثر بهم ، ولأن الحكيم فى ذاته رجل مشبع بمذهب (المودرنزم) الذى يفتتن به افتتاناً لاحد له ويجعل منه الاطار الذهبى الذى يعلق لنا فيه ترجمته كلها ، وصورته الحقيقية التى فطره عليها خالقه الذى لا نحب أن نسميه الآن !

إسمع إليه يقول فى كتابه « زهرة العمر » ص ٣٦ :

« ... انتهى رأيى إلى استحالة المضى فى روايتى التى كتبت منها قليلا وأنا فى هذه البيئة الأوربية العاصفة . هذه البيئة الحديثة وما يسود فيها من جو (المودرنزم) يُفسد حسن فهمى للأشياء ويحول دون تعرفى حقيقة شخصيتى فى الفن والأدب . أنا أحب المودرنزم ، وأخشى أن أقول لك إنى أقلد أساليبه على الرغم منى . وهذا بالذات ما يخيفنى ويدعونى إلى التريث حتى تهدأ عاصفة هذا الفن الحديث ، ونعرف إلى أى حد يستطيع أن يثبت إلى جانب الأساليب التى اعترف بهـا التاريخ . لقد شاهدت فى المسارح أخيراً قصصاً تمثيلية على طراز النزعة الحديثة ، مثل قصة au grand large ، كما شاهدت قصص ما قبل الحرب مثل ... واطلعت على رأى النقاد فى ذلك . أتدرى ما ذا فضل النقاد ؟ إنهم فضلوا قصص (ما قبل موجة المودرنزم) ورأوها هى الخليقة بالبقاء

واسمع إليه يقول أيضاً ص ٥٢ : « . . . إن خيالى مع الأسف ليس من نوع الخيال المثمر الذى خدم الشعراء والكتاب ، بل هو من نوع الخيال المهلك الذى أضاع فى وديانه السحيقة كثيراً من عاثرى الحظ الذين حسبوا أنفسهم شعراء زمناً طويلا وهم ليسوا بشعراء . ثم هنالك شىء آخر إخالك لم تلتفت إليه هو طبيعتى التى تميل إلى عدم الأخذ بما يأخذ به الناس جميعاً من أوضاع ، هرباً من الوقوع فى الابتذال وشغفاً جنونياً بالتميز والإغراب . فنى لبسى لا أرتدى كما يرتدى الآخرون ، ولا أدخن لأن التدخين عادة عامة . وربما دخنت لو انقطع الناس عن التدخين . لا أهدى إلى حبيبتى الأزهار الجميلة ولا العطور اللطيفة بل أهدى إليها ببغاء فى قفص . ولا أكتب إليها مباشرة عن الحب ، بل أتبع طرقا لن يتبعها عقلاء الناس . وتسألنى بعد ذلك لماذا أحب (المودرنزم) ؟ أليس لأنه أقرب الفنون إلى الخروج على المتبع المألوف ؟ لقد قالها أحد النقاد الحاقدين على هـذا الفن الحديث : « إن أهل هذا الفن يأتون كل سخيف مهجور بحجة حرية الابتداع والتفنن فى الابتكار » . الواقع أنى وجدت فى هؤلاء ، لا مأواى ومعقلى ، بل وجدت كل طبيعتى وما تنطوى عليه من حمق وجنون ، لقد وجدت على الأقل سنداً وأساساً لرغبتى المحرقة فى الخروج على ما أسميه (المنطق العام) »

---

(١) زهرة العمر ص ١٢٦

واسمع إليه أيضاً يقول فى ص ٩٧ : « . . . إنك تعلم من غير شك أن لى منطقاً خاصاً يشط بى أحياناً عما اعتاده الناس ، فإذا أنا فى واد والناس فى واد ، ينظرون إلى ويقولون : إما أنه أبله وإما أنه فطن . لا أذكر فى حياتى أن الناس حكموا على غير الحكمين المتناقضين ، ففريق ومنه والدى يقول إنه أبله ، وفريق ومنه والدتى يقول إنه فطن ، ولم أسمع طول عمرى حكما وسطاً بين هذا وذاك . »

وبعد أن نعتذر للقراء من طول هذا الاقتباس الذى لم يكن منه بد ولا عنه معدى ، نشرع فى الدفاع عن أديبنا المصرى الكبير توفيق الحكيم ضد هذا الكاتب (المودرنست) توفيق الحكيم ، الذى وصف توفيقنا هذا الوصف المؤلم فى تلك العبارة الصارمة المؤلمة ... فالصورة وإن تكن حقاً فى جملتها ، إلا أنها مكتوبة فى عبارات لا نحب أن يكتب بهـا توفيق الحكيم عن توفيق الحكيم . . . حقيقة إن توفيق الحكيم كاتب يحب المودرنزم لدرجة أنه لا يدخن لا لشىء معقول ، ولكن لأن الناس يدخنون . . . فإذا امتنعوا عن التدخين أقبل هو عليه ، ولو أنفق فيه جميع ثروته . وحقيقة إن هذا المودرنزم يحول بين توفيق الحكيم وبين تعرف حقيقة شخصيته فى الفن والأدب ، بل هو يفسد حسن فهمه للأشياء . وحقيقة إن نقاد المسرح الفرنسى قد أجمعوا على تفضيل درامات ما قبل موجة المودرنزم ، وأنهم رأوها أجدر من غيرها بالبقاء ... فهل يسمح لنا الأستاذ توفيق الحكيم بأن نوضح له سؤالنا الذى وجهناه إليه فلم يفهمه على وجهه ، أو أنه التبس عليه ، حتى أسرع فأرسل إلينا خطابه تصحيحاً للموقف ، لأنه أيقن أننا شارعون فى الكتابة عنه لا محالة؟ إذن فاعلم أيها الأديب الذى أصبح علما فى الأدب المصرى الحديث أن جميع آثارك الخمسة عشر هى من مذهب المودرنزم أو مذهب الشذوذ على العرف ، ومذهب (خالف تعرف !)، ثم هى مكتوبة لتقرأ[1] ولمجرد الترف الذهنى ... هى فن للفن . ولولا أننى لم أعد أحب إزعاجك بتذكيرك بمداوتك المرأة — تلك المداوة المطلقة — لقلت لك إن أصل هذه المداوة ليس حباً خائباً كما يزعم أصدقاؤك أو كما تزعم أنت عند ما لطمك الحب على خدك الأيمن[2] ، بل إن أصلها هو هذا المودرنزم المضمر فى مزاجك الخاص ، فكل الناس يحبون الكمثرى (ورحم الله حافظ إبراهيم !) ولكنك لهذا السبب تحب الحنظل ؛ وإذا عكسوا عكست ! وكل عباد الله يستحمون فى الشتاء بالماء الدافىء ، ونحن نستنتج من المذهب الذى تأخذ نفسك به أنك تستحم ، بل تستنقع فى الشتاء فى حوض (بنيو) مملوء بالثلج والبَرَد ! لهذا ، لا لغيره ... سألناك لماذا لا تمى بالتأليف للمسرح المصرى كما نفهم هذا المسرح ، وكما يفهم المسرح برنرد شو ، وكما يفهمه إبسن وبجورنسن والنقاد المحترمون الذين لم تعجبهم الروايات التى ألفت على قواعد المودرنزم . والتى شهدتها فأغرمت بها ، لأنها صادفت هوى فى فؤادك

هل عرفت إذن ماذا نقصد يا أحب الأدباء التمثيليين إلى نفسى ؟ وهل رأيت كيف أن خطابك لم ينطل علينا ؟

على أننى ضد السيد المحترم الوالد العزيز فيما ذهب إليه بشأنك . ولو فطن لعلم أنك أذكى البشر

وأستودعك الله إلى الحديث المقبل . دريني خشبة

(١) ليهدأ الأستاذ توفيق فهذا هو رأيه أيضا فى كتابه ص ٢٨٩ ، ٢٩٠

(٢) زهرة العمر ص ٢٥٥



الضريبة الأدبية

على الأدباء الناجين

للأستاذ محمد صادق رستم

كان المذهب الخيالى « رومانتيك » فى إبان ازدهاره بفرنسا فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر حين وضع ألفريد دوفينى الكاتب الشاعر مسرحية سماها « شاترتون » ، وإنما عنى بهذا الاسم فتى إنجليزياً شاعراً مطبوعاً كان يسكن فى غرفة منعزلة عالية بدار تاجر مالى ، ويقضى يومه ومعظم ليله فى استنزال وحى الشعر السامى ، رجاء أن يعرضه للنشر فينال الربحين الأدبى والمادى . فحدث أن طال عليه دلال ذلك الوحى وتجنت عليه القريحة ، ومر شهر فى إثر الشهر وفى عنقه أجرة الغرفة التى يسكنها ، فأوعز التاجر المالى الذى لا يفهم غير لغة النقود والأرقام إلى زوجته أن تنذر الفتى نزيل الدار بوجوب الدفع العاجل وإلا فالمقاضاة والطرد . . . وكان فتانا الشاعر البائس قد ألف الائتناس بطفلى السيدة ربة الدار ، وكثيراً ما كان يلاطفهما ويرسم لهما الصور المضحكة المسلية ، فأشعرت السيدة العطف على هذا الفتى الأليف ، وداخلتها الشفقة عليه فسوفت فى إبلاغه إنذار زوجها ، وجاءت تدبر له مخرجاً ، وتجد له ما يسدد به ما عليه ، لذلك الذى لا يعرف عذراً ولا يصبر على حق ، ولكن الجدود العواثر رمت بالفتى فى طريق هذا الجبار على باب الدار ، فاستطال لسان الذهب على الديباجة الرقيقة من الأدب ، فكبر الأمر على فتانا « شاترتون » ، فلم يجد مخلصاً إلا فى الانتحار بالأفيون ، ولعله « قبر فى صدره القصيدة الخالدة »

***

تلك خلاصة وجيزة للمسرحية ، والذى يعنينا منها أن « دوفينى » المؤلف قدم لها يوم طبعها بمقدمة بارعة فرق فيها بين الأديب والكاتب الكبير والشاعر . فذكر أن الأولين كثيراً ما يشقان طريقهما إلى الشهرة فيكفل لهما العمل رغد العيش وميسرة الحال ، وقال المؤلف إن مثل هذين الرجلين يستطيعان أن يفهما الجمهور ويفهمهما الجمهور فيسهل عليهما انتزاع الرزق من يد القراء فى أى وقت شاءا ، أو شاء لهما جرى القلم ، أما الشاعر فشىء آخر . . .

ومضى دوفينى يصف الشاعر بأنه مخلوق خاص لا يكاد يحسن شيئاً من وسائل طلب العيش فى غير دائرة الشعر وزيد فى طينته بلة أنه غريب فى وسط الجماهير ندر من يفهمه ، وأندر من ذلك من يعرف له قدره . ثم إنه يضن بوقته إلا على التماس الوحى الشعرى . ويضاف إلى ما تقدم طبعه ومزاجه ، ولعله كوّن كالساعة التى صنعت لتدور على غرار خاص . فثل هذا العندليب الذى لم يخلق إلا ليتغنى ، ولا يحسن إلا أن يتغنى ، ألا ينبغى أن تسنده يد فى زحام هذه الحياة التى ينحى الناس فيها بعضهم بعضاً عن سبل العيش والكسب بالمناكب . « لعل فى صدر ذلك المستضعف القصيدة الخالدة » فكيف نصرفه عن مناجاة وحيه إلى الدأب المستمر وراء اللقمة ، وفيم نحفل بالعندليب فنقتنيه ونتخير له القفص المزدان ، ونتقدم إليه بالحب الخاص ، ونقيه عاديات الجوارح ، ونشفق عليه حتى من عوارض الطبيعة ، وشاعرنا الإنسان العبقرى فى زوايا الإهمال ومطارح الإغفال ! . . .

***

هذا ما كان يقوله دوفينى فى عهد ازدهار دولة الأدب الخيالى ، وهو عهد لم يطل ؛ فقد ألح عليه أمثال فلوبير بالمذهب الحقيقى (ريالزم) وزولا بالمذهب الطبيعى (ناتورالبزم) فتوارى ؛ بل لقد أفرد زولا لأمثال تواليف دوفينى كتاباً فى النقد اسمه المذهب الطبيعى فى المسرح (لوناتورالبزم أو تياتر) تناول فيه فى جملة ما تناول ، رواية شاترتون ومقدمتها بالذات وأبى على دوفينى وصفه للشاعر واستنكره وسخر منه . وجلى أن الناقد إميل زولا لم ينظر إلى الموضوع إلا بمنظاره الخاص ، ولم يقسه إلا بمقياسه الذهبى فلندع له رأيه المحترم

ولقد عرفنا نحن فى بعض شعرائنا المطبوعين أن كثيراً منهم، وخصوصاً بعد عهد جوائز الأمراء والكبراء، بله الخلفاء، كان يعمل بيديه ليرتزق مثل الجزّار وخابز الأرز والرفاء والسراج والوراق ونحوهم، ولكننا نذكر مع ذلك العهد الذى كان يُعال، ولو شفت اللفظة، فيه الشاعر العبقرى، أو بعبارة أخرى يُكفى شيئاً من الكد وراء الرزق ليتوفر على التفكير والاستيحاء، فكان للأخطل مثلا مروانه، وللمتنبي سيف دولته، وللبحترى متوكله، كما كان لشوقى توفيقه ثم عباسه، ولحافظ الأستاذ الإمام. فقال فى رثائه:

لقد كنت أخشى عادى الموت قبله
فأصبحت أخشى أن تطول حياتى

وكانت فى فرنسا على الأخص للمملقين من الشعراء حاميات أو راعيات يفتحن لهم (صالوناتهن)، وإلى جنب ذلك بعض الجمعيات التى تسدى العون الأدبى، وتجيز مادياً أحياناً فيجد الشاعر وخصوصاً الناشىء الذى لم يستجل بعد وجه الشهرة متكأً وظهراً ومؤازراً، أما المنكوب بالطبع الشعرى اليوم، وبخاصة عندنا فأمره بيد البؤس إذا هو لم يعمل ليعيش قبل كل شىء، فهل لهذه الحال الشائنة فى عصر النهضة الحديثة القائمة من دواء؟

لعل الذين يُسألون هذا السؤال هم أدباؤنا وشعراؤنا النابهون الذين عبدت سبلهم ودنت قطوفهم واستقر ذكرهم، من أمثال الأساتذة: طه حسين، وزكى مبارك، والعقاد، والحكيم، والمازنى، وعلى محمود طه، وأضرابهم.

ثم لعل فى حظ كل منهم من الاشتهار ما يجيز فرض ضريبة ولو أدبية عليه تقتضيه التفكير فى حماية قرنائه فى الفن إن لم نقل إن الوقت ملائم لتأسيس «جماعة أدب» يعتز بها الشاعر والأديب الخامل.

ولعلنا بعد ذلك نسمع رأياً أو مقترحاً فى هذا الموضوع من ذوى الشأن. وأكبر اليقين أن صفحات «الرسالة» ترحب بهذا وتفسح له خير صدر

محمد صادق رستم

في التيـــــه!

للأســـتاذ سيد قطب

شيطان الحقيقة

لا تقرب . لا تقرب . إنها هكذا جميلة !

ماذا تريد ! أتبغى أن تحقق فيها ، وأن تمتحن صدق النظرة البعيدة ؟

كلا . كلا ! إنني لأشفق أن تبديها النظرة القريبة شوهاء ، أو أن تظهر بها بعض الندوب والخدوش !

هي جميلة هكذا ونحن من بعيد ؛ فماذا نبغي غير أن نراها جميلة ؟

الحقيقة ؟! ويحك ! ومن أدراك أنها تبدو دائماً على مقربة ؟ ولم تكون الحقيقة هي التي نراها على هذا البعد البعيد ؟ وهبها ليست كذلك ، فماذا يضيرنا ؟ ولماذا نصر على رؤيتها عن كثب إذا كانت من بعيد تبدو لنا جميلة ؟

إن قصارى ما تستطيع الحياة أن تهبنا إياه أن تبدي لنا الأشياء جميلة . فلماذا نصر نحن على نبذ هذه النعمة بحجة البحث عن الحقيقة ؟

ألا ويح هؤلاء الفانين في العالم الأرضي المحدود ! إن الشيطان قد نفس عليهم نعمة الوهم التي منحتها إياهم السماء ، فجعل يوسوس لهم باسم الحقيقة ، ليخرجهم من هذا النعيم ، وهم يحسبون أنفسهم الرابحين !

جمـال الظلال

هذا المخلوق الشائه القبيح . هأنذا أرى ظله جد جميل ! إنه يقفز في رشاقة ويتراءى في رواء . إنه يتثنى ذات اليمين وذات الشمال كتمثال حي من تماثيل الجمال . إن هذا الظل ليبدو طليقاً من قيود التقاسيم والألوان

ألهذه الطلاقة يا ترى هو جميل ؟

وهذه الشجرة الباسقة النامية ، إنها جميلة ولا شك ، ولكن ظلها أجمل ! إن حركاته أرشق ، وخطراته أشف ، إنه يتمايل هكذا وهكذا في شبه حرية لا تتمتع بها الشجرة

ألهذه الحرية يا ترى هو جميل ؟

ما الجمال ؟ إنه الحرية ، إنه الطلاقة . إنه الانطلاق من الأوضاع والأشكال والتقاسيم والحدود

ألهذا يبدو الخلود جميلاً لأنه غير محدود . لأنه الظل الطليق لهذه الحياة المقيدة ؟ ألهذا يخلق الناس الآلهة ؟ ألهذا يركنون إلى الإيمان ؟

من يدري ؟ فربما كان خلق الناس للآلهة وركونهم للإيمان هما نفسهما الصلة الحقيقية بين الإنسان الفاني المحدود ، والإله الباقي غير المحدود

الإله الطليق

أيها النور ، أأنت طليق ؟ أأنت تفيض حيثما تشاء ، وتنطلق كيفما تريد ؟ أأنت تغمر الكون في سعة وفيض لا يخشى عليهما النفاد ، ولا تحد من طاقتهما الحدود ؟

لقد كنت أحسبك كذلك ، وكنت سعيداً بأن أحسبك كذلك ، إلى أن قرأت وعرفت ! عرفت أنك خاضع ـ كـكل مظاهر الطبيعة ـ للقانون ، عرفت أنك مقيد بالناموس

وا أسفاه ! إنك أيها النور كائن محدود !

واأسفاه ! لقد تقصيت مظاهر هذا الكون ، وحصرت أملي فيك ـ أيها النور ، لأنك أنت الوحيد من بينها الذي كنت تخيل إليّ أنك طليق !

ثم ماذا ؟ ثم ها أنت ذا غير طليق !

والهفتاه ! أليس هنالك غير المحدود ؟ ما أحوج القلب البشري إلى هذا اللانهائي . إنه يفقد أعز عقائده وأجمل أمانيه حين يفقده

ماذا ؟ أليس هنالك عزاء ؟

بلى ، هنالك عزاء وحيد . هنالك الإله . الإله الذي لا أول لوجوده ، ولا آخر لامتداده . الإله الطليق من جميع القيود

أبهذا الإله العظيم

إنني أحبك ! أحبك لأنك « غير المحدود » الوحيد في هذا الوجود . أحبك لأنك الأمل الوحيد للقلب الإنساني حين يضيق بالحدود !

قيود الملك

متى تستطيع الكائنات أن تكون شيئاً آخر غير « المالك » و « المملوك » ؟

إن « الِملك » قيد من قيود الفناء يتنزه عنه الخلود . إن المالك ليس أقل تقيداً بما يملك من المملوك المقيد بمن يملك ، وإن نسبة الترابط بينهما لهي واحدة أو تكاد

إن الطبيعة حين ولدت أبناءها جميعاً ، تسربت فيهم جميعاً فهم أجزاء متكاملة ، كل جزء منهم يحمل جزءاً من الفكرة التي خلقوا ليعبروا عنها . إنهم متكاملون أو متداخلون ، ولكنهم ليسوا مالكين ومملوكين !

كم بت أكره المِلك المتحيز حتى في الحب . لا أريد أن تكون هذه (لي) أو تلك . أريد أن أكون عابداً . أن أنظر من بعيد إلى الهالات الإلهية المرتسمة حولها دون أن أمد يدي إلى شيء منها . أريد أن تغمرني غبطة شاملة . أريد أن أحس بالكمال الذي لا يحتاج ، وبالرضى الذي لا يطلب ، وبالإشراق الذي لا شعاع فيه !

تطهير الصنم

قال لي صاحبي — وقد رآني أدافع عنها بحرارة ضد نفسي وأدفع عنها كل ما قد رميتها به من قبل — : ويحك ! أهي نكسة إليها بعد كل ما كان ، وهل نويت الرجوع ؟

قلت : كلا ! لم أنو شيئاً ، والرجوع — بعدُ — مستحيل . إنما أريد تطهير الصنم ، كيما أتوجه إليه بالعبادة ؟ فما أنا بمستطيع أن أعبده — وهو ملوث — وما أنا بقادر على البقاء بلا عبادة !

إنها يا صاحبي لم تخسر شيئاً بهذه الشكوك التي أحطتها بها ، والتي حسرت عنها هالاتها المقدسة في نفسي ؛ إنما أنا الذي خسرت : خسرت الإيمان وخسرت المعبود ، وخسرت القِبلة التي أتوجه إليها

أو تحسب يا صاحبي أن الآلهة يفيدون شيئاً من عبادة المؤمنين ، أو يخسرون شيئاً من تولي الكافرين ؟ كلا يا صاحبي إنما يكسب ويخسر أولئك الفانون الذين فطروا وفي قرارة نفوسهم ميل إلى الإيمان ، هو غذاء أرواحهم المعذبة ، ومستقر قلوبهم الحائرة .

والرسل والأنبياء يا صاحبي ! أتحسب أنهم ينشئون الإيمان في هذه القلوب إنشاء ؟ كلا ! إنما يحاولون فقط أن يردوا إليها الثقة والحرارة حين تخبو حرارتها ويتطرق الشك إليها ، فيما كانت تعبد من قوة في السماء ..

آه يا صاحبي ! لو أستطيع أن أغمض عيني مرة أخرى فلا ترى ! ولكنها جناية المعرفة . جناية الوعي المتيقظ ، جناية هذا العقل الإنساني الذي يسلبنا سعادة الإيمان ، ثم لا يعوضنا إلا شقوة الشكوك .

لست أبغي الرجوع أيها الصديق ؛ إنما أبغي قداسة الصنم المعبود . فهل فهمتني الآن ؟ أستغفر الإيمان . أعني هل أحسست ما يختلج في نفسي من أحاسيس ؟

الانسياب

أتدري فيم أكتب إليك ؟ إنه أمر غريب حقا ! إنني في حاجة إلى من يرد عليّ إيماني بشعر « الحالات النفسية » . إنني لفي شك مؤلم في هذا النوع من الشعر الذي أصبحت أراه محدود الآفاق .

إنني لا ألجأ إلى هذا الشك راضياً ولا مختارا . لقد أحببت « شعر الحالات النفسية » وآمنت به فترة طويلة ؛ ولقد كان عندي لونا من ألوان المثل الأعلى للشعر الجديد .

فماذا عساي يا صاحبي أريد ؟

أريد الانطلاق . أريد الانسياب في الطبيعة كأنني ذرة منها لا تحس لها كيانا مستقلا . أريد ألا أحس بالقصد والغاية ، ولا بالحالات الواقعية المحدودة . إنني أكره « الوعي » لأنه نوع من الحدود !

أريد الهالات التي لا حدّ فيها بين الأضواء والظلال . أنكر شعري وشعر الكثيرين ، لأنني لا أجد فيه ما أريد . وأخشى ألا يكون بين شعراء العالم من يلبي هذه الرغبة العميقة . من ينساب في إحساسه وفي تعبيره بلا حدود . أخشى أن تكون الموجة التي تغمرني ليست سوى شعور غامض غير قابل للتعبير عنه في لغة البشر المحدودة . إنها إذن تكون كارثة . ألا يوهب البشر نعمة التعبير عن هذا الشعور ؟

(حلوان) سيد قطب

بتاريخ ١٥ — ٦ — ٩٤٣ حكم في الجنحة ٢٤٢٥ عسكرية الأزبكية سنة ١٩٤٣ بحبس المتهم قلدس بشاي ٣ شهور وتغريمه ١٠٠ جنيه والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لصنعه جبناً أقل من الوزن القانوني في ١٤ — ٥ — ٩٤٣

مصر والشـــام

للسيدة وداد سكاكيني

كنا إذا ولينا الوجوه شطر مصر كالعيس فى البيداء ، تتلهف ظمأ إلى الماء وهو على ظهورها محمول . فيا عجبا لذاك الحنين الذى كان يطفو على جنبات نفوسنا كموج البحر وهو يمور ويفور ، ثم لا يكاد موجه أن يندفع على الصخور حتى يحور ويغور ، فهو هباء منثور . كذلك كنا إذا هزنا الشوق إلى مصر هفونا إليها من ربوع غسان ودارات أمية ، فكانت رياح الحنين غادية غير رائحة ، ومقيمة غير مبارحة . ولقد مرت بالشام عهود وأحداث كانت فى خلالها بمعزل عن غيرها ، لا يبلغ مصر من هذه الديار إلا التجار ونزر من الأخبار يتلقاها النسيب من النسيب ، حتى تصرمت تلك القطائع وتواصلت بعدها أواصر ووشائج ، كان وثاقها يشتد على ترادف الأيام؛ ولكن لم تبلغ مداها ولا أدركت مناها ، فحنين العرب إلى مصر عريق فى الدهر ، ظهرت بوادره منذ تطامنت لوادى النيل مقاليد الحكم والسيادة من عهد الخصيب أميرها ، وكافور الأخشيدى مليكها ، فقد أتاها النواسى زائراً ومدح أميرها بقصيدته التى مطلعها :

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحـــر

ثم ورد عليها أبو الطيب المتنبى منتجعاً وشاعراً فكان لها فى نفسه أثر ما زال أروع طوابع شعره . وكأنما أراد الله لمصر بعد أن هوى تاج العز عن رؤوس العباسيين أن يتألق على رأسها فكان لها من المجد والعلم ما كان لعواصم الغرب التى أفادت من علماء الروم بعد طغيان الحرب على بلادهم فكانوا حيثما توجهوا وأينما حلوا ينابيع معرفة وثقافة ، فما أديلت العباسية وطوائف الملوك حتى كانت مصر مورداً عذباً لجماعة من العلماء والكبراء ، ومثابة لطائفة من المؤرخين والفقهاء ، وكأنها قبلة علمية توجهت إليها الأنظار والأفكار ، وذلك قبل عهد الانحطاط الشامل الأخير . ولما امتدت يد الظلمة والخمول إلى أرجاء الشرق كانت مصر فى البلاد الهاجعة فانطفأت تلك الشعلة الباقية من مصابيح العرب الأوائل ، حتى كان البعث الحديث زمن الغزوة النابوليونية ثم أيام النهضة المباركة التى خلق فيها مصر من جديد محمد على باشا الكبير

وفتح العالم العربى عينيه بعد سبات عميق ، وتلفت المستيقظون صوب البلاد الآمنة الخيِّرة ، فلم يجدوا غير مصر مراحاً لأرواحهم وعبقرياتهم ، وصورة لأمجادهم وذكرياتهم ، فتوافدوا عليها شيقين طامحين ، وأكرمت هى وفادتهم ومودتهم ، وقد عقدت بينها وبينهم وشائج القربى والتاريخ وروابط اللغة والدين . وسبق اللبنانيون إليها مهاجرين فسكنوا وادى النيل وكأنهم بين أهل وعشيرة ، فاستهوتهم بحفاوتها وخيراتها ، وساهموا فى نهضتها المعاصرة مساهمة لمت آثارها فى المرافق التجارية والحياة الأدبية ، وما زالت مجانى ثقافتهم وصحافتهم دانية القطوف فى المقتطف والهلال والمقطم والأهرام . على أن هؤلاء المستوطنين ما لبثوا أن تركوا طوابعهم السورية واللبنانية ماوراء العقبة واتسموا بمياسم مصر فتكلموا لهجتها العذبة واقتبسوا من عاداتها وتقاليدها ، واكتسبوا من « جنسيتها » فشاركوا أهلها فى التبعات والواجبات وصار لهم حق فى مراتب الدولة ، وفى مجلسى الشيوخ والنواب .

وشاءت الأحداث منذ الحرب الغابرة أن تفرق بين الإخوان والجيران فى التخوم والإقليم ، أما وحدة الشعور واللغة وعلائق المودة والهموم ، فكانت تزيدها الأيام والآلام حدة وقرباً ، وما ألمت بمصر حادثة أو دهمت بلاد الشام كارثة حتى كانت صيحات المواساة والمؤتمرات تعلن تبادل الولاء والوفاء بين القطرين المجاورين . وللشام كما قلت هوى بمصر عريق ، ولكنه كان كميناً دفيناً فلم يجد له بثاً وبعثاً غير الأدب والثقافة ، فكانت المنابر والأقلام مظاهر ذلك الشعور والإخاء ، وأكب العرب فى جميع أقطارهم على أدب المصريين وصحافتهم . بيد أن الشاميين كانوا أشد تعلقاً بأدباء الكنانة وشعراء النيل . ولا بدع إن اتجهت أنظارهم صوب مصر الشقيقة الكبرى وأعجبوا بآثار أدبائها وشعرائها ومآثر العروبة والإسلام فيها ، فقد كان هذا القطر العزيز سباقاً إلى نشر الثقافة والمعرفة بما توافر لديه من أعلام الفكر والصحافة ، وبما تكاثر فيه من دور التربية والتعليم ومعاهد اللغة والدين ، فما يكاد يصدر عن مصر كتاب لأحد أدبائها حتى يتهافت كل مثقف فى هذه الديار على قراءة هذا الكتاب واقتنائه ، بل ما أحسب أن دار علم عندنا أو معهد فن أو مكتبة أديب أو متعلم تخلو من مؤلفات المصريين فى ألوان الثقافة والأدب ، وما تظهر مجلة مصرية

أو جريدة حتى نتلقاها بشوق وترحاب ، وقد عجب لهذا طابعو الكتب وبائعوها فعلموا أن جل هذه الأسفار والصحف تقرأ وتروج فى بلاد الشام وسائر الأقطار العربية أكثر مما تروج وتنتشر فى بلاد المؤلفين المصريين والصحافيين ، وإن جمهرة العرب فى هذا الشرق الأدنى يحلون علماء مصر وأدباءها وأهل الفن فيها من أنفسهم محلاً رفيعاً ما يكون لهم من المصريين أنفسهم، بل إننا لا نمن على إخواننا وجيراننا إذا كنا لا نغادر صغيرة ولا كبيرة من شؤونهم إلا نحيط بها علماً ، لأننا نجد فى شعورهم وتفكيرهم صدى لشعورنا وتفكيرنا ، وكما أن الشاميين عبروا بحفاوتهم وأقلامهم عن إعجابهم بالأدب والطرب بطرفانهم من نحو مصر ، فإن شعراء النيل مازالوا يرسلون قصيدهم فى تحية الشام وبعث ذخائرها وأمجادها . ولقد زار دمشق فى ماضيها القريب أمير الشعراء أحمد شوقى فملأ عينيه وروحه بمفاتنها ومباهجها ، ورأى بتحديقة واحدة دنيا أمية راقدة تحت الثرى منبثة فى هذه الربوع فبعثها فى شعره الملهم إلى دنيا الحياة ، ونظم فيها قصيدته الفريدة التى ناجى بها جلق وتغنى بماضيها الأغر المحجل ، وفيها خلع على الشام أوصافاً لا تمحوها يد الحدثان . فيا لأمية فى هامتها وربوتها ، فى نيربها وغوطتها ! ويا لعظمة بردى مسلولاً كسيف من فضة يوزع الخصب والبركة ، ويبدع الحدائق والظلال !

لقد كانت الشام مطوية المحاسن والفاتن ، كامنة الحنين إلى الأمجاد وعز الأجداد ، حتى هاجها شوق من مكامنها ورصع بها شعره الخالد ، فهب الشاميون على شعر شوقى وترنموا به ورجعوه فى مغانيهم ، وفى مجالسهم ومدارسهم ، واهتاجت مشاعرهم شوقاً إلى ضفاف النيل وحمى الأزهر وحصن الإسلام . وما اكتفى شوقى بشعره فى وصف دمشق ومجاليها ، بل سكب من قريحته بلسماً لجراحاتها فرثى من أجلها وبكى ، وخلد ميسلونها ؛ وحين تهدم بنيانها ناح شوقى على منازل العز وهى بأيدى البلى من أحياء دمشق

وما كان حافظ إبراهيم ضناناً بقريضه فى مناقب الشام ومحامد أهليها وأنهم خير من رعى الجوار والإخاء . وقد أنشدهم بلهجته الساحرة قصيدته التى حيا بها من بالشام ، حياه وتمنى أن تجرى المودة طلقاً فى أعراق الشرق كجرية الماء فى الأفنان ؛ وحدث سامعيه عن وجد النيل ببردى ، وأهدى إليه أشواق ولهان وتحنان

ومن قبل هذه التحية الطيبة قال حافظ :

لمصر أم لربوع الشام تنتسب   هنا العلى وهناك المجد والحسب

وقال :

إذا ألمت بوادى النيل نازلة   باتت لها راسيات الشام تضطرب

ولكن الأدب فى هذه البلاد ما زال عاتباً على غفلة المصريين عن أهله ، ولطالما تواترت الملامة من أدبائنا لتغاضى مصر عن أدبهم وتصانيفهم حتى عدوا ذلك منها إغفالاً وإهمالاً . وقد اعترف بهذا التفريط أعلام الثقافة والأدب فى وادى النيل ، فكتب الدكتور عبد الوهاب عزام : « وليس الأمر بيننا تشابك أقوام واتصال أوطان فحسب ، ولكنه الحب المؤكد والود الصريح ينطق على ألسنة القوم ويتجلى فى أساريرهم ويبين فى أعمالهم ويشهد به اهتمام القوم بكل صغيرة وكبيرة فى مصر وتحدثهم عن علمائها وأدبائها وأحزابها وقادتها حديث المحب العارف الخبير ، وحرصهم على قراءة ما تخرجه مصر من كتب ومجلات وجرائد ، وكثيراً ما نرى فى الشام والعراق من يعلم عن مصر أكثر من أبنائها . » ثم على مصر ألا تتردد فى الاستفادة بما فى هذه البلاد من مزايا ؛ فلا ريب أن فيها من الآداب والأخلاق والصناعات ما يجب علينا أن نتلقاه عنها ونحتذيها فيه »[1] ، وقال الدكتور طه حسين فى حديث له عن الشرق العربى نشرته صحف كثيرة منذ بضعة أعوام وأشارت إليه « فنحن مثلاً نزعم لأنفسنا ويتفضل إخواننا الشرقيون فيزعمون لنا أننا قادة الرأى فى الشرق العربى وزعماء النهضة الأدبية فى العصر الحديث ، ونحن نتأثر بهذا الغرور ونرى لأنفسنا حقوقاً ولا نكاد نشعر بما علينا من واجبات ، نرى أن على الشرقيين أن يقرأونا وأن يتأثرونا ولا نكاد نشعر بأن علينا أن نقرأهم دائماً وأن نتأثرهم أحياناً »

على أن الحكومة المصرية الجليلة شعرت بهذا القفول عن أدب الإخوان والجيران فأعدت العدة لتوحيد الثقافة فى جميع البلاد العربية ، وقررت تبادل المؤلفات والمعلمين والمعلمات بين الأقطار الشقيقة والمجاورة . أما أمنية الأدب التالية فى ربوع الشام فلم تحقق ، وما يزال أدباء مصر يجهلون أدباءنا وآثارهم ، ولا تكاد تجد فى إحدى المكتبات المصرية كتاباً لأديب سورى أو لبنانى فى غير بلادهم

وشاءت الأقدار فى هذه الأيام أن تؤلف الهموم والخطوب

(١) مجلة الرسالة ش ٤ ع ١٦٨

آراء للمناقشة

ختان البنات في مصر

للدكتور أسامه

تختص مصر بهذه العادة دون سائر بلاد العالم المتمدن ، إذ لا يشاركها فيها سوى قبائل السودان وأواسط أفريقيا . ولم أهتد إلى أصلها ؛ غير أن اقتصارها على هذه المناطق واختصاص نساء الغجر بإجرائها ، ويشاركهن الدايات الآن ، يحمل على الظن بأنها عادة مصرية قديمة انتقلت إلى مصر من الجنوب بواسطة هؤلاء الغجر الذين اتخذوا منها مورداً للارتزاق .

ولست أعرف رأى القانون ووزارة الصحة فى ممارسة هذه العملية إذ أنها عملية جراحية حقيقية لها أخطارها ، ويجب أن يكون لها إجراءاتها وقيودها ؛ غير أننى كطبيب أريد أن أوضح لأبناء وطنى ما ينطوى عليه ممارسة هذه العملية من أضرار طبية ونفسية واجتماعية ، بجانب ما يظن لها من فوائد أكثرها وهمى

وأول هـذه الأضرار هو الخطر الجراحى الذى ينشأ من النزيف ، والأضرار الأخرى لا تحدث أعراضها إلا بعد زواج الفتاة ، ومنشؤها أن الجزء الذى يقطع (البظر) هو عضو تناسلى أساسى ، لأن به كل الحساسية الجنسية للأنثى ، وليس هو كما يظن الشخص العادى يماثل الجزء الذى يقطع فى ختان الذكور ، فإن هذا قطعة من الجلد لا قيمة لها . فإزالة هذا العضو تماثل فى نتائجها قطع الجزء الحساس من العضو التناسلى فى الذكر . فالمرأة المتزوجة فى هذه الحالة لا تحصل على الاكتفاء الجنسى الذى هو أساسى لحياتها التناسلية ، وينتج عن ذلك الإصابة بالنورستانيا والأمراض النفسية والعصبية المختلفة ، كما وهذه الأمراض منتشرة بين النساء اللواتى يجب اعتبارهن جميعاً ناقصات جنسياً لهذا السبب . وإننى أعتقد أن فى اقتصار حفلات الزار على البلاد التى تمارس هـذه العادة وهى مصر وأواسط أفريقيا ما يوضح العلاقة بينهما ، كما يوضحها كثرة انتشار الخرافات المتعلقة بالاعتقاد فى إصابة بعض النساء بالجن والمشايخ والأسياد وما يجده الدجالون من سوق رائجة بينهن باستغلال هذه المعتقدات

ومما ينشأ أيضاً عن عدم الاكتفاء الجنسى لدى المرأة أنها تظن ذلك بسبب عجز تناسلى من زوجها الذى يشاركها فى هذا الاعتقاد لجهله ، ويظن بنفسه نقصاً فى رجولته أو مقدرته الجنسية (وليس به أى نقص فى الحقيقة) فيحاول تعويضه أولاً بالإجهاد الجنسى (الإفراط) ، وثانياً باللجوء إلى الوصفات البلدية الشائعة وهى لا تؤدى إلى أى نتيجة حقيقية ، وأكثرها يتركب من الحشيش والأفيون والداتورة وبعض مواد أخرى قد تكون شديدة الإضرار بصحته وقد تؤدى به إلى الإدمان

وإن ما هو معروف من أن تعاطى هـذه المكيفات إنما هو لغرض جنسى يحملنى على أن أقرر أن أهم عامل فى انتشار المخدرات فى مصر يرجع إلى النقص الجنسى فى النساء المصريات الناتج عن إجراء عملية الختان لهن

وفضلاً عن هذا فإن الشعور الجنسى للرجل يقل كلما ضعف هذا الشعور فى زوجته . ولست أرى محلاً هنا للتبسط فى هـذا الموضوع وشرح نتائجه وصلته بنجاح الحياة الزوجية أو فشلها وبكثرة حوادث الطلاق وسواه

وقد يظن البعض فى مصر أن هذه العملية عادة إسلامية ، أو أن لها أصلاً دينياً ، ولكن هذا الظن لا أساس له من الحقيقة

بين الأقطار العربية فتسمى بالتعاون والتضامن إلى خير الإنسانية ونصرة الديمقراطية ، وتطلعت مصر إلى أخواتها بمحبة وبهجة تستجلى الأمانى والآمال ، ومدت يدها تصافح الإخوان والجيران ، فوجدت أن الأحداث لم تنل منالاً من أهل هـذه البلاد وهم المؤمنون بعطف مصر ومساعيها النبيلة لنهضة العرب وبسط حضارتهم ونشر ثقافتهم ؛ فهل يقيض لأدب الشام أن يرى مصر مراعية لأمره ساعية إلى تحقيق التبادل فى المؤلفات وفى الآراء التى تؤول إلى ازدهار الحياة الأدبية عندهم وعندنا ؛ وإن علماء الاجتماع ليعلموا أن كل نهضة لا تقوم على الأدب والثقافة مكتوب لها الخيبة والإخفاق . أما وقد لمسنا فى المصريين الكرام مظاهر التعاون الثقافى فى المعاهد العلمية والدينية فى بعض البلاد العربية ؛ فإن الأمل وطيد بأن نرى فى القريب بشائر التضامن الأدبى فى هذه الأقطار التى ترتقب عهداً جديداً أغر يصل طريفها بتليدها ، ويحيى فى مرافقها وآفاقها تراث الأجداد والأمجاد .

« دمشق » وداد سكاكيني

ويكفي لإزالة هذه الفكرة أن نعلم أن هذه العادة لا يمارسها أهل الحجاز أو العراق أو اليمن أو سوريا أو تركيا أو إيران أو المغرب ولا أي شعب إسلامي آخر سوى المصريين . بل إن أعراب الصحراء الغربية في مصر لا يعرفونها ، وفي مصر يمارسها المسلمون والأقباط على السواء ، وأكبر الظن أن الأخيرين هم مصدرها وأنها انتقلت منهم لمواطنيهم المسلمين

بقي أن نقول كلمة عن الفوائد المزعومة لهذه العملية وبعضها قد يكون صحيحاً إلى حدّ ما ، ولكنه كما سنرى لا يبرر إجراءها قط . وأولها ما يقال من أنها نظافة ، والمقصود بهذا أنها تشبه النظافة التي تنتج من ختان الذكور وهذا خطأ ، لأن المقارنة التشريحية للأعضاء التناسلية في الذكر والأنثى تبين لنا أن هذه النظافة حقيقية في الأولى ولا أثر لها في الثانية . ونظافة عضو لا تكون بإزالته . وهنا يجب أن أوضح أن ختان الذكور عملية سليمة من الوجهة الصحية ولا ينطبق عليها شيء من الاعتراضات المبينة هنا

وثانية الفوائد أو الحجج أن لهذا العضو شكلا بشعاً ، والحقيقة أن شكل الأعضاء التناسلية منفر لكل ذي ذوق سليم من الجنسين ؛ والمقرر علمياً أن الجاذبية الجنسية في الشخص المتمدين لا تحدث من الأعضاء التناسلية الخارجة ؛ إنما تحدث من الصفات الجنسية الثانوية ، وهي في الأنثى جمال الوجه والقوام والساقين والفخذين والذراعين ورقة الأنوثة والصوت والثقافة والشعر الخ

وثالثة الحجج وأهمها فعلاً وأحقها بالبحث هي العفة ؛ والحق أن ضياع العضو الذي به الحساسية الجنسية في الأنثى يقضي على المنبهات التي كانت ترد منه ؛ ولكنه لا يقضي على المنبهات التي ترد من المخ وباقي الجسم (من حواس النظر والسمع واللمس) ، فإزالة البظر يحدث عفة جزئية للفتاة قبل الزواج مشكوكا في قيمتها ، ولكنه بعد الزواج يحرم المرأة المتزوجة من الشعور الصحيح باللذة الجنسية . وقيمة هذا العضو لدى الفتاة الأجنبية كقيمة أي عضو أساسي آخر . وليس من شك في أن هذه العملية جناية على جسم الفتاة ليس من حق أي إنسان ارتكابها ، وإنها كبتر العضو الجنسي في الذكر : أما الحرص على الشرف وتعليم الفتيات العفاف فيكون بالتربية الجنسية الصحيحة

ومما تجب معرفته أن الميل الجنسي ليس مصدره الأعضاء الخارجية ، ولكن المخ والغدد الجنسية الداخلية (البيضين في الأنثى والخصيتين في الذكر) ، وأن هذه الغدد تتأثر في وظائفها بالإفرازات الداخلية للغدد الأخرى التي تسمى الغدد الصماء مما لا مجال للافاضة فيه الآن . فإزالة كل أو بعض الأعضاء التناسلية الخارجية لا يؤثر في الميل الجنسي الطبيعي من أحد الجنسين نحو الآخر ، ولكنه يحدث في الأنثى اضطرابات نفسية شديدة على صحتها

وكثيراً ما عرضت لي حالات مرضيـة في السيدات لم أجد لها سبباً إلا النقص الجنسي المتسبب عن هذه العملية . وقد تبينت لهذا الموضوع من الأهمية ما دعاني للكتابة فيه أخيراً . وأرى أنه يستحق اهتمام الهيئات التي تعنى بأن يكون لمصر جيل جديد سليم . ولست أطلب تشريعاً جديداً إذ يكفي تطبيق القانون الخاص بتعاطي مهنة الطب على القائمين بممارسة هذه العملية مع بيان أضرارها للجمهور ، حتى يقضى عليها سريعاً ونتفادى أضرارها في الجيل الجديد . وإلى هذا أوجه نظر وزارة الصحة ووزارة الشئون الاجتماعية ، وكل حريص على مستقبل وطنه وصحة أبنائه .

دكتور
ع . أسامة

أين أخي ؟ !

[مهداة إلى روح أخي الشاعر محمد أبي الفتح البشبيشي]

... كنت فيما مضى أهيم مع العط ... ر وأسري مع النسيم لزهره
وأشق الفضاء كالضوء جيا ... شاً وأسمى مع الهزار لوكره
أين مني أخي وأين إخاء ... سكر القلب من أفاويق خمره
أين مني أخي فإن يد المو ... ت ترامت به لظلمة قبره
أين مني أخي ؟ ترى اليوم ينـ ... ـساني وقلبي مقيد بين ذكره
كلما طالعت عيوني صبحاً ... ذكرتني الأنوار فتنة سحره
وإذا زهرة تهادت بحس ... نفحات ؛ لمست نفحة عطره !
وإذا ظلمة تمادت بليـل ... غامض يشمل الوجود بسره
كدت من لهفتي أراه حنيناً ... يتمشى به كومضة بدره ! !
وإذا موجة من الأبد النا ... ئي ترامت على الوجود وصخره !
ذكرتني به خيالاً أبياً ... يرقص الكون من ألاحين شعره

طاف بالقلب من عهودك طيف ... بعث الشوق في الفؤاد الكسير
وبروحي رأيت روحك تهفو ... لعهـود وضيئة ووكور
وبوهمي بعثتُ ومضةَ عينيـ ... ـكَ تبث المنى بميت الشعور
وتخطيت ما أمامي من صبـ ... ـح وليـل ولجةٍ وصخور
وتهاويل بثها الزمن العا ... تي هباء بعالم مسحور
كي أرى وجهك النبيل تجلّى ... من وراء الفنا وليل القبور !
آه إني أحس شوقاً ويأساً ... من جوىً عاصف وحزن مرير
أين مني أخي يرطب أيا ... مي بصفو المنى وصفو الضمير
أين مني أخي فقد صرت دوحاً ... راعش الظل مقفراً من زهوري

كنتَ تسمى إشراقة من شعاع الفـ ... ـن تُزْجي الحياة للخامدات !
نمقتها رؤى الخيال فكانت ... فتنة لم تزل تضيء حياتي
كم ليال عبرتها يوم كنا ... فرحة صُوّرت لماض وآتي
كنت فيها هدى لعقل شرود ... لم يزل سادراً مع الترّهات
من تُرى غالها ؟ ومن بدد الشمـ ... ـل ؟ ومن أيقظ الردى من سبات ؟
إنه الداء ... داء قلبك لم يرْ ... حم دموعي ولم يصخ لشكاتي
ما عسى تنفع الحزين دموع ؟ ... هل ترى تقهر الأسى عبراتي ؟
سأظل الحياة أعبد ذكرا ... ك وأطوي مع الدجى أمنياتي

(الاسكندرية) حسين محمود البشبيشي

إلى زهرتي

إسمعيني ...

إسمعيني كلما غنيت في دنيا الأماني
إسمعيني واسمعي الأطيارَ تشدو بلساني
أنا قلبي جدول للشدو سلسال الأغاني
كلما غنيت ألقَى سمعه لي كل عاني
أنتِ إلهامي ووحيي ، أنت روحي وَجنَاني
فاسمعيني قبل أن تذْبل في نفسي المعاني

كل ما في الكون يا زهرة بسّامٌ المحيا
فابسِمي يا زهرة الآمال أو حنّي إليّا
أنا شعر في فم الأيام فاصغَيْ لي مليّا
ردّدتني أنةُ الحائرِ لحناً موصليّا
ورآني المدلج الساري شعاعاً عبقريا
فاسمعيني قبل أن تطويني الأوهامُ طيّا

لستُ يا زهرةُ مثل الناس لكني غريبُ
كلما أشجاهم التغريد أشجاني النعيبُ
لا تلوميني فهذي قسمة لي ونصيبُ
واسمعيني فأنا سر من الغيب عجيبُ
واذكريني واذكري عهدي عسى صفوي يؤوبُ
كيف يا زهرة يُنْسى العهد ، والعهد قريبُ ؟ ؟

ذاك عودي في يدي أشدو عليه فاسمعيني
ودعيني أملأ الدنيا بأنغامي دعيني
سلسل الغيب نشيدي ورواه للسنين
غير أن الحظ يا تعسي أراه للمجون
فإذا ما حطم العود بكفي فاعذريني
واسألي لي الله أن يرحم شجوي وأنيني

عبد الرحمن الشربيني



ازدواج الطبيعة الإنسانية

استوقفني في كتاب « زهرة العمر » قول الأستاذ توفيق الحكيم : « إني أعيش في الظاهر كما يعيش الناس في هذه البلاد ، أما في الباطن فما زالت لي آلهتي وعقائدي ومثلي العليا . كل آلامي مرجعها هذا التناقض بين حياتي الظاهرة وحياتي الباطنة . » ، وقد أثارت في نفسي هذه العبارة تلك المشكلة الخطيرة المتعلقة بوحدة الطبيعة الإنسانية في الفرد : فإن الرأي الشائع بين الناس أن في النفس وحدة قوامها التآلف والانسجام ، على حين أن التجربة الباطنة تشهد بأن النفس الإنسانية مزدوجة قوامها التناقض والاختلاف . والواقع أن الإنسان « نسيج من الأضداد »: tissu de contradictions كما قال رينان ؛ فإننا كثيراً ما نشعر بأن ثمة نوازع متعارضة تتجاذبنا ، وكثيراً ما نعاني صراعاً عنيفاً يقوم بين النفوس المختلفة التي تتقاسمنا . ولا ريب أن فرويد كان على حق حين قال إن شخصية الإنسان تتركب من : النفس الشعورية (أو الذات) Ego ، واللاشعورية : Id والنفس العليا Super-Ego ؛ فإن التناقض الذي طالما يشيع في أقوالنا وأفعالنا ، مرجعه إلى أننا لا نصدر في جميع الأحوال عن نفس واحدة : إذ أننا في تصرفاتنا العادية نصدر عن النفس الشعورية ، وفي نزعاتنا ورغباتنا المكبوتة نصدر عن اللاشعور . وأما في مثلنا العليا ومعاييرنا التقويمية ، فإننا نصدر عن النفس العليا . ولعل هذا هو السبب فيما نراه من أن بعضاً من المجرمين الذين تحجَّرت في نفوسهم الطبيعة الخيِّرة ، قد يتناقضون مع أنفسهم في بعض الحالات : فيندفع اللص الذي يستلب الناس أموالهم ، إلى العطف على فقير معدم ، وينساق القاتل الذي يسترق الناس أرواحهم ، إلى الأخذ بيد شيخ هِمٍّ محطم . ولعل هذا أيضاً هو السبب فيما قاله رينان عن نفسه في كتابه : « ذكريات الطفولة والشباب » : « إن شخصيتي مزدوجة ؛ فقد يضحك مني جانب ، في حين يبكي الجانب الآخر » "Je suis double; quelquefois une partie de moi rit quand l'autre pleure."

زكريا ابراهيم

إلى الدكتور عبد الوهاب عزام

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فقد قرأت مقالتيكم النفيستين « في المسجد الأقصى » المنشورتين في الرسالة عدد ٥٣٨ و٥٤٠ ، وقد استوقف نظري في مقالتكم الثانية في العدد ٥٤٠

١ — قولكم : « فرأيت على بعد خطيب المسجد الأقصى يمر إلى حجرته في حلة خضراء وعمامة صلاحية وهو زي يتوارثه خطباء المسجد الأقصى من عهد صلاح الدين وهم من بني جماعة الكنانيين توارثوا هذا المنصب منذ القرن السادس إلى يومنا هذا »

٢ — وقولكم : «وانتهى بنا السير مع هذه الآثار والذكر إلى التكية البخارية وهي التي اتخذت متحفاً إسلامياً »

١ — أقول إن إسناد خطابة المسجد الأقصى لبني جماعة لم يكن في عهد صلاح الدين ولا في القرن السادس بل في أواخر القرن السابع ؛ فإن أول شيخ من بني جماعة سكن بيت المقدس هو الشيخ إبراهيم بن جماعة قدمها من حماة سنة ٦٧٥هـ في عهد الملك الظاهر بيبرس ، ولم يلبث إلا أياما حتى أدركته الوفاة بكرة عيد الأضحى سنة ٦٧٥ ودفن بمقبرة ماملا بالقدس : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٥١ والأنس الجليل ج ٢ ص ٤٩٤ . أما أول من ولي خطابة المسجد الأقصى من بني جماعة كما يؤخذ من الأنس الجليل فهو القاضي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة وليها في سنة ٦٨٧ هجرية في عهد الملك المنصور قلاوون بعد وفاة قطب الدين عبد المنعم بن يحيي الزهري النابلسي خطيب المسجد الأقصى ، وقد مكث قطب الدين المذكور خطيباً في الأقصى أكثر من أربعين سنة : الأنس الجليل ج ٢ ص ٤٧٩ والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٧٨ .

٢ — إن مكان المتحف الإسلامي في المسجد الأقصى يعرف بجامع المغاربة . وهو مجاور للزاوية الفخرية وهي المعروفة قديماً باسم الخانقاه الفخرية أما التكية البخارية وهي المعروفة بالتكية

النقشبندية ؛ فهى خارج المسجد الأقصى ولم تتخذها متحفاً .

قال فى الأنس الجليل جـ ٢ ص ٣٨٦ « الخانقاه الفخرية ، وهى مجاورة لجامع المغاربة الذى تقام فيه صلاة المالكية من جهة الغرب وبابها من داخل المسجد عند الباب الذى يخرج منه إلى حارة المغاربة » ، وهذا الوصف لجامع المغاربة ينطبق على مكان المتحف الإسلامى الحالى كل الانطباق

محمد صبرى عابدين
مدرس بالمسجد الأقصى

حول الإبهام والغموض فى التصوف

استنتج الأستاذ كامل يوسف من أبحاثه فى التصوف بأن أفكار الصوفية يشوبها الإبهام والغموض ، وهو فى نظره نقص فى التعبير من علل نفسانية ولم يأت لنا بدليل قوى يؤيد ما ذهب إليه فى وصف تلك العلل وأثرها فى عقلية المتصوفة

وأقوى دليل عندى على توضيح الغموض والإبهام فى كلامهم هو : غيرتهم على طريق الله أن يدعى معرفتها أحد بالعبارة ؛ فإن الكتاب يقع فى يد أهله وفى غير أهله فقصدوا برمزها بقاءها فى الوجود بعدهم تنوب عنهم فى إرشاد المريدين . وقد هلك من لم يرمز كلامه من أهل الطريق ورماهم الناس بالكفر والزندقة ؛ وما أمر الحلاج والسهروردى بخافٍ علينا جميعاً ...

قال بعض المتكلمين لأبى العباس بن عطاء : ما بالكم أيها الصوفية اشتققتم ألفاظاً أغربتم بها على السامعين وخرجتم على اللسان ؟ هل هـذا إلا طلباً للتمويه وستراً لعوار المذهب ؟ فقال أبو العباس : ما قلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه لعزته علينا كى لا يشربها غير أهل طريقتنا

وقد كان الحسن البصرى وبعده معروف والسرى السقطى والجنيد رضى الله عنهم لا يقررون مسائل العلم بالله تعالى إلا بعد غلق أبواب بيوتهم وأخذ مفاتيحها ووضعها تحت وركهم خوفاً من إفشاء أسرار الله تعالى بين المحجوبين عن حضرته . فهل نقول إن هؤلاء السادة عندهم علل نفسية !

وبالجملة لا يسلم لهؤلاء القوم مواجيدهم إلا من أشرف على مقاماتهم . ومن لم يصل إلى هذا المقام فتارة يسلم أحوالهم على كره منه ، وتارة يجحدها جملة . ولا يزال هذا الأمر فى الخلق إلى يوم القيامة ، وما دمنا جميعاً رائدنا الوصول إلى الحقيقة من أى طريق فنحن فى جهاد وكفاح حتى يظهر الحق واضحاً

محمد منصور خضر

إلى قراء الرسالة

اطلعت فى مجلة قديمة على قصيدة قوية المبنى رائعة المعنى لشاعر مغمور لم أسمع به من قبل ولم أقرأ شيئاً عنه ، يدعى حسن حسنى الطويرانى . والغالب على ظنى أنه أحد شعراء مصر فى القرن الماضى أو أوائل القرن الحالى . وإنى لشاكر من يتفضل من قراء الرسالة الأكارم فيروى على صفحاتها قصة هذا الشاعر الموهوب وشيئاً عن حياته وأعماله الأدبية . والله أسأل أن يجزيه عن الأدب وأهله خير الجزاء .

(بغداد) على الشوكانى

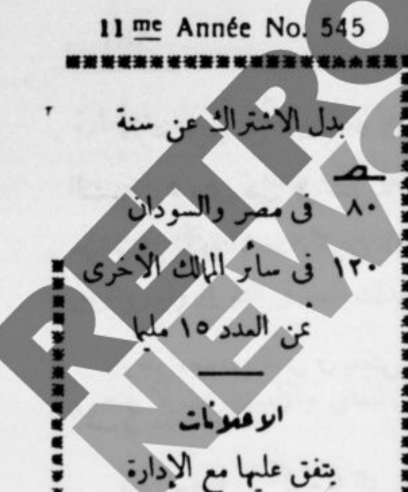
بتاريخ ١٩-١٠-٩٤٣ حكم فى الجنحة ن ٣٧٩٤ عسكرية الأزبكية سنة ١٩٤٣ بحبس سيد عبد الغنى ٣ شهور شغل وتغريمه ١٠٠ جنيه والنشر والتعليق لأنه فى ١٣-٩-٩٤٣ حاز خيوط غزل بدون ترخيص

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



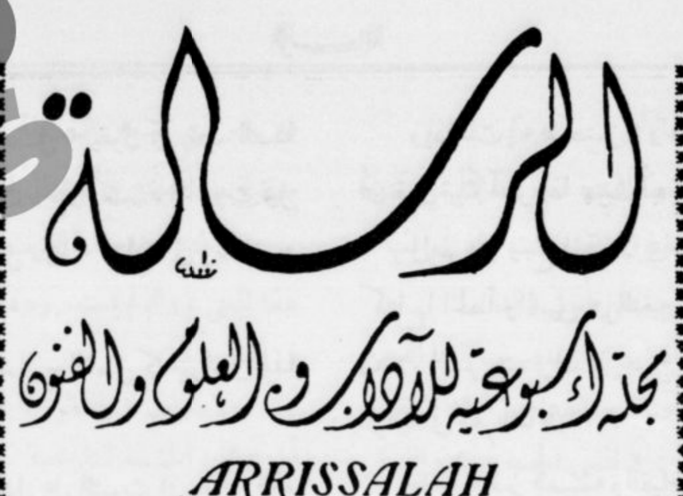
11 me Année No. 545

Lundi - 13 - 12 - 1943


بدل الاشتراك عن سنة

مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٤٥ «القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

بين التزمت والاباحة

فى قواعد اللغة

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت بالرسالة مقال الأستاذ الفاضل الشيخ محمود أبى رية عن « عبقرية الإمام » .

وإنى شاكر له ثناءه على الكتاب وحسن تلخيصه لفصوله وأغراضه ، ومعقب على ملاحظته الأخيرة فى اللغة حيث يقول :

« بقيت أشياء لا بد من ذكرها والإبانة عنها حتى نبلغ من كلامنا ما نريد . ذلك أنى عثرت وأنا أقرأ ببعض ألفاظ كنت أقف عندها مثل لفظ (يقلاه ص ٤٠) و (حانقين ص ٥٥) و (فشل ص ٨١ و ٩٦ و ١١٠ و ١٢٦) ؛ وقد رجعت إلى معاجم اللغة التى بين يدى فى اللفظ الأول فوجدته من لغة طيء ، وإذن يكون استعماله جائزاً . أما اللفظان الآخران فإنى أرجع فيهما إلى الأستاذ العقاد وأسأله : هل يجوز استعمال كلمة فشل فى معنى أخفق وخاب ، وأن يأتى اسم الفاعل من حنق على حانق ؟ »

وجوابى : نعم يجوز أن نأتى باسم الفاعل من حنق على حانق ، لأنه لا يكون اسم فاعل إلا إذا كان على هذا الوزن

وجوازه ثابت بالنص وثابت بالقياس الذى لا يرد ، وهو فى بعض الأقوال أقوى من النصوص

الفهـــرس

فالزمخشرى فى كتابه « المفصـل » يقول فى باب الصفة المشبهة : « وهى تدل على معنى ثابت . فإن قُصـد الحدوث قيل هو حاسن الآن أو غدا وكارم وطائل ، ومنه قوله تعالى وضائق به صدرك ... الخ »

وجاراه موفق الدين بن يعيش شارح المفصل كما جاراه فى هذا الحكم جلة النحاة

فإذا صح فى (كرُم) التى تدل على الثبوت أن يقال كارم للدلالة على الحدوث ، فذلك أصح وأولى فى حنق التى ليس فيها معنى من معانى الثبوت

بل إذا كانت كلمة غداً أو الآن لا تكفى للدلالة على الحدوث ولا تغنى عن الأتيان باسم الفاعل على صيغته الشائعة ، فمن الحق ألا نستغنى عن هـذه الصيغة حين لا تقترن بلفظ يعين الحدوث فى الحال أو الاستقبال

* * *

على أننا نفرض أن النصوص فى كتب النحو لا تقرر هذه القاعدة ولا تثبتها على الوجه الصريح الذى قدمناه

بل نفرض أن النصوص قد وردت بمنع « حانق » وما شابهها وجزمت بخطئها على طريقة النحاة أحيانا فى تخطئة بعض الصيغ والأوزان ، فمن الواجب فى هذه الحالة على خادم اللغة العربية أن يخالف النحاة ويخالف السماع الناقص تكملة له بالقياس الصحيح الذى لا محيد عنه

إذ ليس من حق لغة من اللغات أن تضطر كاتباً بهـا إلى الأخطاء فى معناه

وليس من حق لغة من اللغات أن تبطل الفارق بين معنيين مختلفين ثم تمنعنا أن ننشىء هـذا الفارق لضرورة الصـدق فى التعبير

فهناك فارق بين من يحنق من حادث يعرض له وبين من يلازمه الحنق فى طباعه وأخلاقه

فإذا قلت عن رجل إنه « حَنِـق » وعنيت به أنه دائم الحنق كما تدوم الصفات المشبهة ؛ فمن الواجب أن أقول : « هو حانق من كذا » ، إذا كان الحنق يفارقه بعـد ذلك ، ولا يلازمه فى طباعه وأخلاقه

وإذا قلت إنه « حَنِـق » وعنيت به ما نعنى باسم الفاعل وجب أن نقول شيئاً آخر إذا عنيت أنه متصف بطبع الحنق فى عامة أوقاته

وليس فى وسع لغة ولا فى وسع اللغات جميعاً أن تفرض على كتابها الخطأ واللبس فى التعبير ، ثم تصدهم عن تصحيح الخطأ وجلاء اللبس بتصرف لا يخرج بهم عن قياسها ولا يخل بأصولها المرعية فى أعم ألفاظها

فالنص يجيز الصيغة والقياس يوجبها عند منع النص وهو بحمد الله غير مانع

وإننا لخلقاء أن نغيظ أنفسنا على أن اللغة العربية « منطقية » فى إجراء القواعد على الأوزان حيث تتشابه المعـانى وتتخالف أوزان ألفاظها

فقد يُحمل الشىء على غيره فى المعنى فيجمع بجمعه . وانظر مثلاً ما ذا بلغ من هـذه النزعة « المنطقية » فى أوزان الجموع وهى التى لا تجرى على وزن واحد كصيغة اسم الفاعل ؛ فليس فى اللغة « هليك » بمعنى هالك ولا جريب بمعنى أجرب أو جربان أو جرب ، ولـكنهم يقولون هلكى وجربى قياساً على قتلى وجرحى ولدغى ، لأنها جميعاً تدل على داء أو بلاء ، وهـذا هو منطق النحو العربى الذي ينطلق أحياناً مع المعانى ولا يتحجر أبداً مع الحروف

* * *

أما « فشل » بمعنى أخفق فلها حكم آخر . فهذه الكلمة من الاستعمال الحديث الذى شاع حتى غطى على معنى الكلمة القديم ، مع تقارب المعنيين حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصـد الآخر ، لأن التراخى والضعف والخواء قريبة كلها من الحبوط والإخفاق

وتجدد المعاني على حسب العصور سنة لا تحيد عنها لغة من اللغات ، وفى مقدمتها اللغة العربية

فلو أننا أخذنا ألف كلمة من المعجم وتعقبنا معانيها فى العصور المختلفة لما وجدنا خمسين أو ستين منها ثابتة على معنى واحد فى جميع العصور

وربما غلب المعنى الجديد وبطل المعنى القديم وهو أصيل فى عدة كلمات

خذ مثلاً كلمتى الجديد والقديم ، وكيف ظهرا ، ثم كيف

تحولا إلى الغرض الذى نعنيه الآن .

فالثوب « الجديد » هو الثوب الذى قُطع حديثاً من جَده فهو جديد أو مجدود ، وكانوا يقطعون المنسوجات عند شرائها ، كما نقطعها اليوم ، فيسمونها جديدة من أجل ذلك

ثم نسيت كلمة الجديد بمعنى المقطوع فلا ينصرف إليها الذهن الآن إلا بتفسير أو تعيين ، وأصبحنا نعبر بالجدة عن أمور لا تقطع ولا هى من المحسوسات ، فنقول : « المعنى الجـديد » والفكر الجديد ، وما شابه هذه الأوصاف

وكانوا يقولون تقدم فلان أى مشى بقدمه ، ثم ضمنوا تقدمه معنى سبقه ، فأصبح السابق هو القديم ، وأصبح الزمن القديم هو الزمن السابق ، كما نفهمه الآن

وقد نسى الناس « كتب البعير » بمعنى قيده ، وأطلقوها اليوم على الخط فى الورق ، وهو فى الأصل مستعار من التقييد

ونسى الناس « خجل البعير » بمعنى تحير واضطرب ، وأصبحوا يستعملونها « للحياء » الذى شبه بالخجل ، لأنه يدعو إلى الحيرة والاضطراب

وكل أولئك لا ضير منه على اللغة كما رأينا ، بل هو مادة إنشاء وابتكار وتنويع

والأستاذ الفاضل « أبو رية » يأخذ بالشيوع قاصداً أو غير قاصـد حين يقول « المعاجم » ، وهى جمع معجم بضم الميم ، والمعجمات هى الجمع الذى يرتضيه المتزمتون ولا يرتضون غيره

* * *

إلا أننى هنا أنكر الإباحية العمياء ، كما أنكر التزمت الأعمى

وعندى أنه لا يصح إلا ما أمكن أن ينطوى فى قاعدة من القواعد المعروفة ، أو أن يؤدى المعنى أداء لا يناقض العقل والقياس

ومن أمثلة ذلك أننى كنت أشهد منذ أيام رواية « قيس ولبنى » للشاعر المجيد عزيز أباظة بك ، فأعجبت بسـلامة اللغة وصحة العبارة ، ولـكننى لاحظت أنه استعمل كلمة « تضحية » بمعنى فداء أو خسارة ، كما نستعملها نحن الآن

والتضحية عند العرب هى ذبح الشاة أو غيرها فى وقت الضحى ثم أخذت معنى الفداء أو القربان ، لأن الناس ينحرون ذبائحهم فى الضحي يوم عيد النحر الذى عرف من أجل ذلك بعيد الضحية

فإذا كنا نحن المتكلمين — ونعنى أبناء العصر الحاضر — فلا ضير من تضمين الـكلمة هذا المعنى بعد أن أخذته باستعارة معقولة ، وكسبته بالاستعمال المتفق عليه بيننا

ولـكننا إذا جعلنا العرب فى عصر « قيس ولبنى » يستعيرون هذا المعنى ، وهم لم يستعيروه ، فذلك خطأ فى التاريخ وليس بخطأ فى اللغة وكفى

والاعتراف « بالتطور » في المعانى والاستعارات لا يقتضى أن نخالف الحقيقة التاريخية

على أنني حين استعملت كلمة فشل لم أكد أخرج بها عما اصطلح عليه الأولون

فقلت : « يحاول الغلبة من حيث فشل » ، ولو جعلت فشل هنا بمعنى ضعف لـكانت مقابلة للغلبة أحسن مقابلة

وقلت : « ولا طائل فى البحث عن علة هـذا الخذلان الصريح ، أكان هو الطمع فى الملك بعد فشـل على ، أم النقمة على الأشتر » . فلو أنك قلت بعد « ضعف » على لاستقام هنا التعبيران القديم والحديث

وكذلك قولنا : « مُنى بالفشل لأنه عمـل بغير ما أشار به أصحابه الدهاة » ؛ فإن التعبيرين فيه يتلاقيان

كذلك قولنا : « ولـكنها خطة سلبية لا يمتحن بها رأى ولا عمل ، ولا ترتبط بها تجربة ولا فشل »

فليس المتزمت قديم أن ينـكر موقع هذه الـكلمة فى حيث وضعناها من هذه العبارات كلها ، وإن كنا مع هـذا لا نحرم إطلاقها على معنى الإخفاق الذى لا يحتمل تأويلا بمعنى آخر ؛ وكل ما ننكره أن تأتى بكلمة « فشل » فتطلقها على معنى القوة والنجاح ، أو معنى يناقض الضعف والتراخى المقصودين بها قديماً ؛ أو أن تأتى بهذه الـكلمة فتضعها على لسان على بن أبى طالب ، أو رجل فى زمان سابق لزماننا الذى أعارها ما نفهمه منها الآن على الشيوع والتواتر

وليس الخطأ فى تجديد المعانى على حسب العصور ، لأنه سنة لم تفلت منها كلمة فى لغة من اللغات إلا وهى على موعد من تجديد يأتى بعد حين

إنما الخطأ هو إنـكار هـذه الحقيقة ، وهى تصادفنا فى كل ما نقرأ ونـكتب بالعربية وبغير العربية

ونحن على طريق السـلامة ما أبحنا مبصرين وتزمتنا مبصرين ، وحينئذ لا نـكون إباحيين ولا متزمتين ؛ بل نجرى علي السواء الذى نسلـكه مهتدين

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربي

ديوان علم الدين المحيوى

للدكتور زكي مبارك

غرائب التاريخ الأدبي

إن تاريخ اللغة العربية أعجب من العجب ، فقد مر بها عهد قدرت فيه على أن تغزو قلوباً كانت من الجفاء بمكان . ونستطيع أن نحكم بأنه لم يتفق لأية لغة من اللغات الغنية أن تجتذب الغرباء كما اتفق ذلك للغة العربية . وصحة هذا الحكم في غاية من الوضوح والجلاء ، فالإنجليز مثلاً سيطروا على كثير من بقاع الأرض ، ومع هذا لم يتيسر النبوغ في الأدب الإنجليزي في البيئات الأجنبية لغير آحاد . وكذلك يقال في الأدب الفرنسي ، فالنبوغ فيه مقصور على أهله ، ولم ينبغ فيه من الأجانب غير أفراد

وقد قلت مرة إن الفرنسيين لا يعترفون بالأدب البلجيكي ولا يعدونه من الأدب الفرنسي إلا بتحفظ ، مع أن البلجيك يتكلمون بلغة الفرنسيس منذ أجيال

فما هي الأسباب التي جعلت لغة العرب لغة محبوبة يتسابق إليها الأجانب ؟ وكيف أمكن أن تكون الكثرة من أدباء اللغة العربية ترجع إلى أرومات غير عربية ؟

السبب الظاهر هو الإسلام ، وهو دين لا يعترف بالعصبية القومية ، ولا يقيم لها أي ميزان ، فمن حق المسلم في أي أرض أن يقول إنه من ورثة الرسول ، ومن حقه أن يتسامى إلى المنازل العالية ما دام يعتصم بمبادىء الدين الحنيف

ولكني أعتقد أن هذا السبب الظاهر تؤيده أسباب خفية موصولة بروح اللغة العربية ، فهي لغة خُلقت للحياة ولم تخلق للموت ، بدليل أنها لم تنهزم بانهزام الإمبراطورية الإسلامية ، وهي إمبراطورية لم تسيطر على العالم سيطرة حقيقية أكثر من قرنين اثنين ، فلو كانت اللغة العربية لم تعش إلا بحراسة الإمبراطورية لوجب أن تزول ، ولكنها لم تَزُل ، ولن تزول للغة العربية خصائص ذاتية تستحق الدرس ، فمتى ندرس تلك الخصائص ؟ ومتى نعرف بالبراهين القواطع كيف استطاعت الانتصار على الموت ، مع أنها تعرضت ألوف المرات للموت ؟

هذه قضية تستحق الدرس ، فمتى تُدرَس ؟ ومتى نفهم أن هنالك أسراراً لحيوية اللغة العربية غير الأسرار التي تحدث عنها الأسلاف ؟

فخر الترك

أكتب هذا بعد ساعات قضيتها مع فخر التُّرك ، وهو عَلَم الدين أيدَمُر المُحيوى ، أحد شعراء مصر في القرن السابع ، وهو تركي الأصل بإجماع من تحدثوا عن شعره البليغ ، وهم الذين سموه « فخر الترك » لأنه في نظرهم أشعر من عرفوا من الأتراك في ذلك الزمان

وقد سكت التاريخ الأدبي عن هذا الشاعر فلم يذكره إلا في مناسبات قليلة جداً ، ولولا عناية « دار الكتب المصرية » بطبع المختار من شعره لظل من المجاهيل

وهل التفت أحد إلى هذا الشاعر بعد أن نُشرت مختارات أشعاره في سنة ١٩٣١ ؟

الذنب يقع على رأس دار الكتب المصرية ، فقد غلَت في ثمن تلك المختارات فجملته ثلاثة قروش ، وبثلاثة قروش نشتري علبة سجائر ، وهي أنفع من أي ديوان !

مؤلف مجهول

تعب الأستاذ أحمد نسيم رحمه الله في البحث عن ترجمة وافية لعَلَم الدين المحيوى ، ثم انتهى إلى أنه شاعر نبغ في منتصف القرن السابع ، وقرر أن ديوانه ضاع ، ولم يبق غير مختارات دوّنها أحد الأدباء المجهولين

وأقول إن في هذه المختارات قطعة تشهد بأن المحيوى كان شغل نفسه بالتأليف ، على نحو ما كان يؤلف عشاق الأدب في العصور الخوالي ، فأين الكتاب الذي ألفه هذا الشاعر البليغ ؟

لم يقل أحد إن المحيوى كان مؤلفاً ، ولم يلتفت قارئو ديوانه إلى أنه كان من المؤلفين ، وأنا قد التفتُّ إلى هذه الناحية عن غير قصد ، حين رأيته يقول في إهداء مجموع له إلى الصاحب محيي الدين محمد بن سعيد :

العبد أيدُمُرٌ تطلَّب تُحفةً ... تُكسَى القبول لسيد الأصحاب
فرأى أجل هدية تُهدَى له ... ذَوْبَ النُّهى ونتائج الألباب
فأجال في روض القرائح فكره ... ثم انتقى منسه لُباب لُباب

من طيب نادرة ولطف فكاهة ... وبديع بادرة وحسن خطاب
وسوائر الأمثال قد وشحتها ... فيه بمعجز بينة وكتاب

ثم مضى فذكر أن كتابه جمع بين الجد والهزل ، وجمع نوادر الحكماء والبلغاء والخطباء والشعراء والكتاب ، وجمع بين رقة الحضر وجزالة الأعراب . فأين ذلك الكتاب ؟

نرجو البحث عن هذا الكنز الدفين

طيف البحترى

عند هذا التركى المستعرب أطياف بحترية ، فله قصيدة تضاف إلى ديوان البحترىّ بدون عناء ، لو كان البحترى زار الروضة ورأى المقياس ، مقياس النيل

هى قصيدة قافية تقع فى نحو مئة بيت ، وهى من الشعر الجزل الرصين ، وفيها لفتات فى غاية من الجمال

الروضة والمقياس

نحن اليوم لا ندرك معنى شعرياً لهاتين الكلمتين ، بسبب طغيان القاهرة على الفسطاط ، وهل نعرف اليوم أين الفسطاط ؟

لقد قضى شعراء مصر مئات من السنين وهم يتحدثون عن الروضة والمقياس ، بفضل ماصنعت هاتان البقعتان فى إذكاء العواطف ، وإيقاد القلوب

كان الحديث عن الروضة والمقياس سُنة شعرية . وأنا رحمت البارودى فى دراسات السنة الماضية فلم أقل إنه تحدث عن غرامياته بالروضة والمقياس حديثاً هو المحاكاة لما قرأ من قصائد الشعراء القدماء

وأين القاهرىّ الذى يسأل عن الروضة والمقياس ، بعد أن انتهت حروب العيون والقلوب حول الروضة والمقياس ؟

هل كانت للبارودى غراميات فى هاتين البقعتين ؟

أنا أستبعد ذلك ، وأرجح أنه بكى واستبكى فوق أطلال الذكريات الموهومة لقدماء الشعراء

يوم التخليق

كان للمصريين يوم فى كل عام يسمونه يوم التخليق ، والتخليق وضع الخَلوق على عمود المقياس ، والخلوق هو أنواع من الطيب أشهرها الزعفران

وكان ملوك مصر فى العهد الإسلامى يحرصون على أن تكون لهم آثار باقية بجانب الروضة والمقياس ، وقد اهتم الملك الصالح نجم الدين أيوب فأقام الأبنية الشامخة فى الروضة « وكانت تسمى جزيرة مصر » وجدد البرج القائم على المقياس ، وانتهز فرصة الفراغ من هذه الأبنية ليحتفل بها فى يوم التخليق

فأين الشاعر الذى يسجل مجد ذلك اليوم المجيد ؟

قصيدة وقصائد

من المؤكد أن ذلك اليوم لم تُنشَد فيه قصيدة واحدة ، وإنما أنشدت فيه قصائد ، فقد كانت مصر تموج بأفواج من الشعراء

وهذا الحديث لا يتسع لأخبار ذلك المهرجان ، فلنكتف بقصيدة التركىّ المستعرب ، أو العربى المستترك ، فما نظن أن له تاريخاً عند الأتراك

هذا الشاعر عربىّ اللغة ، وإن كان تركىّ العِرق ، وقد وصف بالعتيق ، فهل كان مملوكاً لأحد الأمراء ؟

إن تعقبنا هذه القضية فسنزعج التاريخ فى مرقده ، وسنثير حوله مضجرات لا تطاق

المهم أن نسجل أن الشاعر كان معروفاً بالجمال والظرف ، وأنه قهر أحد الوافدين من حلب على أن يقول فيه هذه الأبيات :

وكنت أظن الترك تختص أعين ... لهم إن رنت بالسحر فيها وأجفان
إلى أن أتانى من بديع قريضهم ... قواف هى السحر الحلال وديوان
فأيقنت أن السحر أجمعه لهم ... يقر لهم هاروت فيه وسحبان

وعيون الأتراك لها فى الشعر المصرى مكان دل عليه ابن النبيه حين قال :

يصدّ بطرفه التركىّ عنى ... صدقتم إن ضيق العين بُخلُ

والذين رأوا المحيوى لم يفتهم النص على أنه كان فتى خفيف الظل ، ولطيف الروح ، ويكفى أنه عاش فى عصر البهاء زهير ، فتحتُ يدى نص صريح بأن البهاء كان نهاية النهايات فى دمامة الوجه وقبح الخلقة ، واضطراب الملامح ، ومعنى هذا أن البهاء ستر دمامته بحلاوة اللسان ، كما صنع الجاحظ فى قديم الزمان !

القصيدة اليتيمة

هى قافية المحيوى فى تهنئة الملك الصالح بالأبنية التى أقامها فى جزيرة الروضة ، والبرج الذى جدده حول المقياس . ويحسن أن نذكّر قراءنا بأن الملك الصالح بقيت له ذكرى هناك ، فأول جسر على النيل فى مشارف الفسطاط اسمه « كوبرى الملك الصالح » فليترحم عليه من يمر فوق ذلك الجسر فى الصباح

أو فى المساء ، وليتذكر كل عابر أن تلك البقعة كانت ملاعب صبابة ومدارج فتون ، بأقوى وأعنف مما كانت حومل والدخول

بدأ الشاعر قصيدته بوصف أيام الربيع وصفاً لو ترجم إلى لغة من لغات الغرب لاعترف الغرب بأن وطن الشعر هو الشرق ، ولننظر كيف يقول علم الدين :

الروض مقتبل الشبيبة مونق   خضل يكاد غضارة يتدفق
نثر الندى فيه لآلئ عقده   فالزهر منه متوج ومنطق
وارتاع من مر النسيم به ضحى   ففدت كمائم زهره تتفتق
وسرى شعاع الشمس فيه فالتقى   منها ومنه سنا شموس تشرق
والغصن مياس القوام كأنه   نشوان يصبح بالنعيم ويغبق
والطير ينطق معربا عن شجوه   فيكاد يفهم عنه ذاك المنطق
غرداً يغنى للغصون فتنثنى   طرباً جيوب الظل منه تشقق
والنهر لما راح وهو مسلسل   لا يستطيع الرقص ظل يصفق
فتمل أيام الربيع فإنها   ريحانة الزمن التى تستنشق

إن الصياغة جيدة إلى أبعد حدود الجودة ، بحيث يظن أنها لشاعر من صميم العرب لا من الترك ، والمعانى مألوفة ، فقد طاف حولها كثير من الشعراء ، ولكنها مبتكرة مبتدعة ، لأن إحساس الشاعر بها غاية فى التوقد ، فهو لا ينقل ما قرأ ، وإنما يصور ما أحس . وهنا سر الابتكار والابتداع ، وهل يمكن الامتراء فى أصالة هذا البيت :

والغصن مياس القوام كأنه   نشوان يصبح بالنعيم ويغبق

« والنعيم » هنا هو الخمر ، وهى كلمة قليلة الورود فى الخمريات ، ولكنها لا تعظم على من ينافس أبا نواس فيقول فى هذا القصيد :

وسلافة باكرتها فى فتية   من مثلها خلق لهم وتخلق
قد عتقت حتى تناهت جدة   وكذاك يصفو التبر حين يحرق
شربت كثافتها الدهور فما ترى   فى الكأس إلا جذوة تتألق
يسعى بها ساق يهيج به الهوى   ويرى سبيل العشق من لا يعشق
تتنادم الألحاظ منه على سنا   خد تكاد العين فيه تغرق
راق العيون غضارة ونضارة   فهو الجديد ورق فهو معتق
ودنا كما لمع الحسام المنتضى   ومشى كما اهتز القضيب المورق
لا غرو أن ثملت معاطفه فما   ينفك فى فيه الرحيق يصفق
وأظله من فرعه وجبينه   ليل تألق فيه صبح مشرق
وكأن مقلته تردد لفظة   لتقولها لكنها لا تنطق
فإذا العيون تجمعت فى وجهه   فاعلم بأن قلوبها تتفرق

وهذا والله من نفيس الكلام ، كما يعبر محمد بن داود فى كتاب الزهرة ، على روحه اللطيف ألف تحية وألف سلام !

كان أبو نواس يشترى المعانى من الشعراء ، يشتريها بالدنانير ، ويهدد باغتصابها إن رفض البائع ، وكانت حجته أنه الباقي وأن من يساومهم إلى فناء .

فما الذى كان يصنع أبو نواس لو عاصر المحيوى وقرأ هذه الأبيات فى وصف الخمر والتغزل في الساق ؟

كان يقدم أيامه لا دنانيره ليضيف هذه الأبيات إلى أشعاره فى الخمريات

هذه أبيات نفيسة جداً ، والشرح يفسدها ، فلنتركها بلا شرح ، فهى كمقلة ذلك الساق ، تردد لفظة ولكنها لا تنطق !

ثم ما ذا ؟ ثم ينطلق الشاعر فى مدح الملك الصالح بأسلوب يشبهه البحترى المتفرد بإجادة المدائح ، فيقول :

إيه مديحي لا خطاك قصيرة   يوم الرهان ولا مجالك ضيق
هذا مقام الملك حيث تقول ما   تهوى وتطنب كيف شئت فتصدق
فى حيث لا شرف الصفات بمعوز   فيه ولا باب الدائح مغلق

هذا شاعر كان له ملك يتذوق الشعر فأبدع فى الغناء ، وطاب له أن يقول :

فالله محمد ثم « أيوب » الذى   أمن الغنى به وأثرى المملق

والشطر الثانى من هذا البيت يصور المجتمع المصرى فى ذلك الزمان ، فقد كانت الغاية أن يأمن الغنى سطوات الناهبين ، وأن يصل المملق إلى الإثراء .

وفى وصف الأبنية يقول المحيوى :

شيدت أبنية تركت حديثها   مثلاً يغرب ذكره ويشرق
من كل شاهقة تظل تعجباً   من هول مطلعها الكواكب تشهق
لبس الرخام ملوناً فكأنه   روض يفوفه الربيع المندق
واختال فى الذهب الأصيل سقوفه   فكأنه شفق الأصيل المشرق
يا حسنها والنيل مكتنف بها   كالسطر مشتملاً عليه المهرق
فكأنها طرف إليه ناظر   وكأنها جفن عليه محدق
وافاه مصطفقاً عليه موجه   فكأنما هو للسرور مصفق

صور من توفيق الحكيم

كتابه «زهرة العمر»

الأستاذ دريني خشبة

لو لم ألق توفيق الحكيم ، ولو لم أقرأ كتابه (زهرة العمر) لظلت صورته التي صورتها له في خيالي هي هي لا تتغير ... وهل يصدق القارئ أنني كنت أتصوره في هيئة سيدي العارف بالله السيد أحمد البدوي ، مع أنني لم أر هذا العارف بالله إلا في صور تلاميذه وأتباعه ومريديه!

لا يتوهمن القارئ أنني كنت إخال أن لتوفيق الحكيم ذقناً ركبت فيه لحية مستطيلة على هيئة لحى أولئك المريدين الذين أحبهم وأعجب بهم ... كلا ... لقد كنت أتصوره بغير لحية ، أو بلحية ربَّاها في فوْديه ، تنبت بالدهن من رأسه الكبير!

ولقد ثبتت تلك الصورة التي تصورتها لتوفيق الحكيم في ذهني ... ثم رسخت وزادت رسوخاً عند ما قرأت له (عصفور من الشرق) لسبب واحد . ذلك أنه أهدى هذا الكتاب إلى الست الطاهرة ... السيدة زينب !!

لقد أكد هذا الإهداء العجيب صورة توفيق الحكيم في ذهني ، ولولا ما أعرفه من تاريخ سيدي العارف بالله السيد أحمد البدوي من أنه كان نظيفاً حسن السمت ، لزدت في صورة توفيق الحكيم أشياء وأشياء ... ولا داعي لذكر شيء منها اللهم إلا (الشمروخ) الهائل ، والعمامة الكبيرة الخضراء ، والسبحة التي تزن كل حبة من حباتها رطلاً أو ... أقة ... ثم هذه (الفرّاجية) الكبيرة الفضفاضة !

ليتني إذن ما لقيت الأستاذ وما رأيته ! وليتني ما قرأت زهرة العمر ! ليتني ما رأيت الأستاذ الحكيم . لأن هذه الرؤية نسخت نصف الصورة التي تصورتها له ، وليتني ما قرأت (زهرة العمر) ، لأن هذه القراءة نسخت النصف الآخر لهذه الصورة التي كنت أحبها وآلفها ، وأكبر توفيق الحكيم من أجلها ... إن كل ما بقي من تلك الصورة هو هذا التثني الذي يجيده مريدو ولي الله البدوي وقت الذكر ، أما (زهرة العمر) فاليك كيف مسخ الصورة الفقيدة الغالية الخالدة مسخاً :

«... لقد دخلت عليه الخادم في الصباح تحمل صينية الفطور ، فوقع بصرها عليه في السرير ، لا يبدو منه إلا رأس يطل من اللحاف الناصع كأنه رأس يوحنا المعمدان على صينية

وتجاذبت أيدي الرياح رداءه ... عنه فظل رداؤه يتمزق
وسرى النسيم وراءهن برفقه ... فرقا الذي غدت الرياح تخرق
تلك المنازل ، لأحديث يفترى ... مما سمعت ولا العراق وجلّق

ويوم القياس عند الشاعر هو ثالث العيدين ، ولكنه عيد لا يذهب الناس فيه إلى المساجد ، وإنما يذهبون إلى ملاعب الصَّبَوات

يومٌ تجلَّى الدهر فيه بزينةٍ ... لما غدا المقياس وهو مُخلَّق
هو ثالث العيدين إلا أنه ... للَّهو ليس على العبادة يُطلَق
جُمعت لمشهده خلائقُ غادرت ... فيه رحيب البَرّ وهو مضيَّق
وعلى عُباب البحر من سُبَّاحه ... أممٌ يغص بها الفضاء ويَشرَق
كادت تَبين لهم على صفحاته ... طرق ولكن يفتقون ويرتق
خفت جسومهم لفرط صبابة ... هزت إليك فما خشوا أن يغرقوا
متجردين عن المخيط لأنهم ... حجاج بيتك غير أن لم يحلقوا
طافوا به سبعاً على وجناتهم ... سمياً وأرخى ستره فتعلقوا

ومن هذه الأبيات نعرف أن الاحتفال بوفاء النيل كان يشترك فيه السباحون من فتيان القاهرة وفتيان الفسطاط ، ونعرف أن «ثوب البحر» لم يكن معروفاً في تلك العهود ، فقد حدثنا الشاعر أن السباحين كانوا يتجردون عن المخيط ، ومنها أيضاً نعرف أن ألعاب السباحة في ذلك الوقت لم تكن مقصورة على الفتيان المُرْد ، فقد كان يشترك فيها الكهول ، بدليل قوله إنهم لم يكونوا يحلقون ، والحلق هنا لا يراد به شعر الرأس وحده ، وإنما يشمل حلق الذقون ، وكان حلق الذقن مما يعيب الرجال في ذلك الزمان

أما بعد فقد ضاق المجال عن تشريح هذه «القصيدة اليتيمة» فلينظر فيها المتسابقون بتحقيق وتدقيق ، لأني أرجح أن يسألوا عنها في الامتحان ، لأنها أعظم أثر خلفه هذا الشاعر البليغ

وليكن مفهوماً عند المتسابقين أن اللجنة لن تسألهم إلا عن المسائل الأساسية ، فمن البعيد أن لا يرد سؤال عن هذا القصيد

لا ذنبَ لي قد قلت للقوم استقُوا

زكي مبارك

الفضة ، ولـكن ... حاشا لله أن يكون هذا معمدانا ! صاحب هذا الرأس لا يمكن أن يكون من الآدميين ! ذلك ولا ريب ما جال بخاطر الخادم ، وهى تنظر إلى شعرى الذى هب قائماً إلى ما فوق مسند السرير فى شكل دائرة ؛ كأنه هالة من (الهباب) الأسود على حافة الوسادة البيضاء . . . ثم ذهبت الخادمة تقول لسيدتها مرتاعة : « أتدرين يا سيدتى من حل بدارنا ؟ » فسألتها : من ؟ . فأجابت ! C'est le diable إنه الشيطان ! »

ويقول توفيق الحكيم بعد هذا : ولعلها صدقت ! ولست أدرى ما ذكرنى الساعة بهذه الحادثة التى كدت أنساها . ولم يذكرنى بها حتى خطابك الممتع الذى حدثتنى فيه عن ذلك القسيس الذى ظن « توفيق الحكيم بملابسه السوداء » الشيطان أو المسيح الدجال ! ... ومن يدرى ؟ لعلى أخذت عن إبليس صورته وهيئته ! لكن ... هل تظن أن لى أيضاً قلبه ؟ لا أظن . وبعد . فلتسكتَ الطبول ، وليغسل (البلياتشو) وجهه ، فقد انتهى الفصل المضحك[1]

فاللهم لا حول ولا قوة إلا بك ! نتصور الأستاذ الحكيم فى صور الأولياء والصالحين ، وفى مسوح القديسين ... ويصور هو نفسه فى صورة الشيطان الذى له شعر فوق مفرقه كهالة من الهباب الأسود !

لقد أوشك أن يتفق معنا فى صورة يوحنا المعمدان لأنه من القديسين والشهداء ، كما تصورنا ... أما الشيطان ... فلا ! وأما قلب الشيطان فسئلة فيها نظر ، ونقول ... مسئلة فيها نظر للصورة الثانية التالية :

لقد كنا نؤمن بأن مؤلف أهل الكهف ، ومحمد ، وسليمان الحكيم ، هو من خلق الله ، أى من صنعه ! ولكن . ليتنا ما قرأنا زهرة العمر ! فتوفيق الحكيم يقول فى كتابه هذا « ... إن الله لم يخلقنى ! إنما هو الشيطان أراد أن يخلق طرازاً جديداً من الآدميين . أو (موديل !) من الإنسان ، يضارب به الطراز الشائع المعروف ، فجاء خلقه عجيب البناء غريب التركيب ، به أثر من عبقرية الشيطان ، ولكن به نقصاً ينم عن تخبط فى شئون الخلق والإبداع ، ومع ذلك ، حتى على فرض أن الله هو الذى خلقنى لا الشيطان ، فإنه كان لسوء حظى يضجر ويتبرم كلما جاءه جبريل بلوحى المحفوظ ليمين فيه خطوات حياتى . فقد كان يصرخ فى وجه الملاك الأمين قائلاً : « اذهب عنى الآن ! » فيقول جبريل خاشعاً : « لكن يا إله السموات والأرض ، المدعو توفيق الحكيم ولد وشب ونما وكاد يدنو من الثلاثين ، وهو لم يزل يدب على الأرض ويعيش فيها بالمصادفة . وكلما جئت إليك بلوحه لأجل التعيين ... » فيسمع كأن الصوت العلوى يصيح به : « قلت لك اذهب عنى الآن ولا تشغلنى بهذا المخلوق ! »[1]

ولا شك فى أن الذى خلق جسم توفيق الحكيم ورأسه ، هو الذى خلق قلبه ، ولا شك فى أن الشيطان كان يأوى إلى هذا القلب حينما أملى على توفيق الحكيم هذا التجديف ! والعجيب أن ينسى الحكيم هذا اللغو فيقول عن نفسه (ص٢٤٨) إنه ملاك من ملائكة السماء ! ثم يدعى (ص ٢٥٥) : « أن شخصى غير مفهوم الآن حتى لنفسى ! على أنى أعتقد أنى خلقت للخير لا للشر ، وإذا نفذ إلى الشر فنكم أنتم يا أصدقائى ومعارف ! » هكذا يدعى بعد الذى وصم به خلقه أنه خلق للخير لا للشر ! » ثم يختم كتابه هذا الجيل الذى تمنيت أنى لم أقرأه ، بتلك الوثنية : « إنى أومن بأبولون ... أومن بأبولون إله الفن الذى عفرت جبينى أعواماً فى تراب هيكله . إنه ليعلم كم جاهدت من أجله وكم كافحت وناضلت وكددت ... »

ثم اللهم لا حول ولا قوة إلا بك مرة ثانية وثالثة وألفاً وألفين حتى تغفر لعبدك وابن عبدك توفيقَ الحكيم ! أحقاً إن صاحب هذا التجديف هو ذلك الرجل الذى كنت فى سذاجتى القديمة أتصوره فى صورة سيدى العارف بالله السيد أحمد البدوى ، أو على الأقل فى صورة يوحنا المعمدان كما صور هو نفسه ؟

لا . لا ... لا تثوروا أيها المؤمنون فأنا والله محاميه ولست جلاّده ! لقد قال المتهم هذا الكلام وهو فى ظروف تضايق حقاً . وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما معناه : أن الزانى لا يزنى وهو مؤمن ، وأن السارق لا يسرق وهو مؤمن . وكذلك إن توفيق الحكيم لم يقل هذا الكلام وهو مؤمن . وذلك هو السبب فى بعض التناقض الذى كان يقع فيه وهو يقذف بخطاباته الكثيرة هذه على رأس (أندريه) صديقه الباريسى المسكين . ومن هذا التناقض أن يقرر أنه شيطان . ثم (ياحلك !) فيقول إنه ملاك . ومنه أيضاً أن الإنسانية لم تخسر شيئاً إذا تمكن العلم الحديث من بتر الحب واستئصاله[2] . مع

---

(١) زهرة العمر ١٨٧

(١) زهرة العمر ص ٩٨ (٢) ص ٣٠

أنه يعود فيدعى أنه يحب الحب ، وأن للحب عنده مقاماً كبيراً في الحياة . في كل حياة[١] ؛ ومن تناقضه أيضاً وقوعه في هوى (إيما) لا لشيء إلا لأنها عرفت كيف تعذبه بالتيه والدل والبعد وكل ما في معجم الهجران من هوان . ثم دلاله هو على ساشا الجميلة الجذابة التي اعترف بأنها أجمل من إيما وأكثر جاذبية ، وذلك لأنها كانت مفتقرة إلى بره وإلى قليل من دريهماته ، ثم إلى مقاسمته سريره وكتبه ... ومن تناقضه أيضاً عداوته للمرأة (قبل المعاهدة التي أبرمناها معه بهذا الصدد) بسبب حبه لإيما . إيما الهيفاء التي كنت أحس لسع حبها ولفحه . بل اضطرامه يتأجج به فؤاده في ثنايا سطور (زهرة العمر) ، وهو لا يزال يتلظى بناره حتى هذه الساعة ... إيما — وكم في الدنيا من إيما التي تملك وحدها كما قلت له ذلك أمام قاضينا الزيات — أن ترده إلى الجنة التي طردته منها في ساعة من ساعات الجنون

آه يا ساشا المسكينة لو عرفت سر توفيق الحكيم ! إنه عند ما رآك أول مرة نسي إيما ونسي بيفاءها ونسي باريس كلها ، وطلب سكينا لينتحر تحت قدميك الجميلتين الصغيرتين ، لكنك حينما جئت إليه وفي عينيك لمحة من أسى ، وبَلّة من بكاء . عند ذلك انخفضت قيمتك في عينيه ، وهبط ثمنك في سوق غرامه .

آه يا ساشا المسكينة لو عرفت سر توفيق الحكيم ، وعرفت تناقضه في الحب ، وفي الفن ، وفي الله ، وفي الشيطان !

لقد عَرَفَت إيما هذا السر فعبثت بصاحبك ، وصاحبها ، زمناً ليس بالطويل وليس بالقصير ، فلما عرف سرها طارت عنه وتركته يناصبها العداء ، ويناصب كل امرأة من أجلها العداء . ثم يحتج في تناقضه مع الدنيا نفسها ومع إخوانه البشر . بهذا الودرنزم ، وذلك حين يدعي ، برغم الحب الذي ينشب أظفاره في نياط قلبه ، أنه لا يريد أن يعصي الله من أجل التفاحة التي هي الحب ، والتي خيل إليه أنه لم يذق حلوها قط[٢] ! فهل صدقت يا ساشا وهل صدقتم أيها المؤمنون أن توفيق الحكيم ، رجل يقع أحياناً في التناقض الشديد الذي يجعله مؤمناً مرة ، ويجعله كافراً مرات ، ثم يجعله مغرماً طوراً ، ويجعله رجلاً لم يقع في شراك الهوى قط ! اسمعي يا ساشا واسمعوا أيها المؤمنون هذا الرجل المولع بالمودرنزم يقول[١] : « إني لم أزل أحب إيما لأنها شيء بعيد ، غير موجود في كل وقت ... وتمتع إلى غناؤها من دفتها كأنه شعاع يأتيني من بعيد . إنها أعطتني بعض أسرار نفسها وجسمها . ولكنها مع ذلك ليست في يدي ، شأنها شأن الطبيعة التي تعطينا وتستعصي علينا . إن الحب قصة لا يجب أن تنتهي . قصة إيما مستمرة لا تريد أن تنتهي ... لو أن إيما قبلت أن تترك حجرتها كما عرضت عليها وتأتي لتقطن معي في حجرتي لكان حظها عندي حظ ساشا . هنا الفرق بين الغرام والزوجية !

فتوفيق الحكيم لا يحب إلا المرأة التي تمزق قلبه بالهجر ، وتؤرق جفنه بالسهد ، وتذوي شبابه الفينان بحرق الغيرة ونيران الشك ... لماذا لا يتزوج توفيق الحكيم ؟ إليك جوابه بقلمه ! « ... إني أدرك لماذا يفتر الحب الملتهب بين الخليلين إذا تزوج وقد يعود إلى سابق اشتعاله إذا عادا خليلين »[٢] ... « أندريه ، أندريه ، أخشى أن يحطمني المجتمع ... يحطم الفنان في ... ربما كان قد حطمني وكسرني ... ولكني أقوم ... منذ أسابيع وأنا أتلقى من أهلي خطابات يغرونني فيها بالزواج ... ويذكرون لي أسماء لامعة في الثروة والجاه ... ويتهمونني بالحمق والغفلة والعته إذا خامرتني فكرة الرفض ... لقد قلت لهم « لا » بأعلى صوتي ، وهم مشدوهون لا يعرفون السبب »[٣] .

إنه يقول إنه لن يتزوج لأنه فنان . فهل جميع الفنانين غير متزوجين ؟! كلا ... ولكنه التناقض . التناقض والمودرنزم ! هنا عيب توفيق الحكيم يا ساشا ! عيبه الذي هيأ له أنه من صنع الشيطان لا من صنع الله ، وعيبه الذي يجعله يحفل من فكرة معصية الله من أجل التفاحة ، ومن أجل هذه التفاحة نفسها يعصي الله

أيها المؤمنون لا تغضبوا ! وفيم الغضب وهذه طبيعة الفنان ؟ وفيم الغضب ونحن لا نؤمن بما كان يؤمن به اليونانيون القدماء . نحن لا نؤمن بربات الانتقام ، أو الـ Furies ... ولذلك فلن يخشى توفيق الحكيم كيدهن ، وحتى لو أنهن لاحقنه لأنقذه

(١) ص ٥٨ (٢) ص ١٧٤

(١) ١٠٠ ، ١٠١ (٢) ص ١٠٢

(٣) ص ٣٠٢ ، ٣٠٣

أبوللو منهن كما أنقذ (أورست)[1] منذ ثلاثة آلاف سنة ! ! أليس أبوللو هو إله الفنون الذى يزعم توفيق الحكيم أنه يؤمن به ، وطالما عفر جبينه بتراب هيكله ؟

لا تصدقوا أن هذه هى عقيدة توفيق الحكيم ، فهو رجل متناقض ، لأنه رجل مؤمن . ألم يؤلف (أهل الكهف) وقد أخذ موضوعها من القرآن ؟ ألم يكتب كتاباً طويلاً عن محمد ؟ ألم يكتب قصة عجيبة عن سليمان أخذها من الكتب المقدسة ! إن كنتم فى ريب من هذا ، فذاكم كتابه « زهرة العمر » الذى يفيض بالدفاع عن الأدب العربى ، وعن ألف ليلة وكليلة ودمنة والجاحظ والإسلام ... لا تراعوا إذا وجدتموه ينتقل فجأة من الكلام عن إعجابه بقصص القرآن إلى الكلام عن بنت الهوى فى باريس ، فكتبنا العربية قد سبقت إلى هذا الشىء من عدم مراعاة النظير ، فنى العقد الفريد يأتى فصل عن مجون المكشوف وأخبار القيان بعد الفصل الذى فيه خطبة الرسول فى حجة الوداع ... وأمثال ذلك كثيرة فلا ضير على توفيق الحكيم أن يقع فيه مرة فى حياته ...

أيتها العزيزة ماشا :

لقد ابتدع توفيق الحكيم لوناً جديداً فى الأدب المصرى هو من فنه الخالص ... هو من عصارة قلبه النابض ، هو مزيج من الموسيقا والألوان وعبير الحدائق ، وفى هذا المزيج كثير من دموعك ، بل من دمك ، ولكن فيه أيضاً الكثير من دموعه هو أيضاً ومن دمه

إن توفيق الحكيم هو أحد أولئك الذين يخلقون لنا مصر الحديثة ... أدب مصر الحديثة ، وذوق مصر الحديثة ، وروح مصر الحديثة ، وفن مصر الحديثة ، وكل ما تفتقر إليه مصر الحديثة من لغة وفلسفة وشعر وسمة !

إنه تلك الابتسامة الحلوة التى رفت فجأة على شفاهنا حينما كنا نفتقد المجددين ذوى المواهب فلا نجد منهم ثلاثة أو أربعة !

إن روح توفيق الحكيم تتلألأ فى كل سطر من سطور (زهرة العمر) فى خطوط الفنان القوية أحياناً وفى مسوح الراهب المتأمل أحياناً أخرى ... وقد تظهر فى ألف صورة من صور الأحياء المتارين خصوصاً فى صورة (البلياتشو !) من غير حاجة إلى الدقيق على الوجه أو الطرطور على الرأس ... لأن توفيق الحكيم يستطيع أن يضحك إلى حد الإغراب بدون هذه الوسائل الشكلية ... إنه مضحك موضوعى ممتاز ... ولو أنه عنى بالتأليف للمسرح على النحو الذى يعرفه المسرحيون لأشرنا عليه أن ينقطع الملهاة . . . إنه إذاً فمل يتيح للمسرح المصرى فرصة موانية ومركزاً عالياً ومكانة عالية لا تعد لها مكانة ... على أنه مع ذاك أقدر من يستطيع أن يؤلف المأساة فى مصر ... لأن الضحك الذى يصنعه توفيق الحكيم مصدره البكاء ...

وبعد ، فقد ذكرت أننى كنت أصوره فى نفسى على صورة العارف بالله السيد احمد البدوى ، أفتدرى يا سيدى القارئ أن سيدى المرسى أبا العباس قد صدّر توفيق الحكيم إلى طنطا . إلى البدوى المظيم ... وأن البدوى المظيم قد صدره بدوره إلى سيدى ابراهيم الدسوقى ! ! فما معنى هذا فى تاريخ حياة أديبنا الألمى ! وما الصلة الروحية بينه وبين أقطاب الأولياء فى مصر ؟ وما الصلة بين هذا كله وبين إهدائه عصفور من الشرق إلى (الست الطاهرة ... السيدة زينب ؟ !)

كل من رأى توفيق الحكيم ولو مرة واحدة ... يفهم سر ذلك !

دريني خشبة

حاليا



(١) درامة تبرئة أورست لاسخيلوس لخصناها فى الرسالة منذ ثمانى سنوات .

٤ - جامع احمد ابن طولون

للأستاذ أحمد رمزى بك
قنصل مصر فى سوريا ولبنان

ولا أجد حرجاً من إيراد نص اللوحة التذكارية التى كتبت بالخط الكوفى المزهر لذلك العهد وفيها :

- « نصر من الله وفتح قريب ، لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، أمر بتجديد هذا الباب ، وما يليه عند عدوان النار على أيدى المارقين ، السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ، ناصر الأنام أبو النجم بدر المستنصرى ، أدام الله قدرته ، وأعلى كلمته ، ابتغاء ثواب الله ، وطلب مرضاته وذلك فى صفر سنة سبعين وأربعمائة »

وتدل تلك الكتابة على حوادث الثورة ، التى جرت فى عهد المستنصر حينما اعتصم بعض الثوار بالجامع وتحصنوا فيه ، فحوصروا وأحرق بسبب ذلك جزء منه جدده الأمير بدر الجمالى وزير الدولة الفاطمية

***

فى تاريخ مصر العربية ، وقفات حزن وأسى ولوعة ، اضطرب فيها قلب مصر كما قال أحد كتابنا فى دفن الزعيم مصطفى كامل ، ولقد قال شوقى يومئذ :

شقت لمنظرك الجيوب عقائل وبكتك بالدمع المتون غوانى

ولقد وقفت القاهرة صفاً صفاً ، تودع الزعيم الشاب إلى مرقده الأخير ، وأثر فى هذا المنظر ، أنا القاهرى الناشىء ، فصرت وطنياً وأنا فى السابعة إلى نهاية ما يكون الوطنى عليه فى الحماس

وأثر فى كرجل يميل إلى التاريخ والأدب ، فصرت أتتبع أيام مصر التى اضطرب فيها قلبها ، اضطراب يوم مصطفى كامل

وإنى لأذكر بعد البحث ، أن صفحات تاريخنا مملوءة ، بمثل هذا اليوم ، ولكنى لا أجد حزناً ولوعة بنسبة حزن مصر وأهلها على زوال ملك الفاطميين

إن ما وصل إلينا من ذلك قليل من كثير ، ولكنه يفيض حناناً . والحقيقة أن العصر الفاطمى قد ترك فينا معاشر المصريين أكبر الأثر ، وصبغ حياتنا صبغة خاصة ، فإذا أردت أن تدرس مصر العربية ، لا تنسى أن تدرس الدولة الفاطمية بالتفصيل ، فنحن لا نزال نسير على سننهم ومراسمهم ؛ فزيارة آل البيت فرض على كل من يؤم القاهرة من أهل الريف ، والاحتفال بصلاة الجمعة اليتيمة والعيدين ، والاهتمام بالقراء والتلاوة والتلقين كلها من آثار ذلك العهد

ومنذ أيام كنت أقلب كتاب الروضتين فجاء ذكر الشاعر عمارة اليمنى بأنه من أتباع الدولة المصرية وأورد له شعراً رقيقاً يفيض حنواً على الإمام العاضد آخر خلفائهم إذ يقول :

أسفى على زمن الامام العاضد أسف العقيم على فراق الواحد

لهفى على حجرات قصرك إذ خلت

يابن النبى من ازدحام الوافد

ولقد دفع عمارة الشاعر الثمن بحياته جزاء إخلاصه ، وبشعره تطوى صفحة من تاريخ مصر ، تصحبها نغمة من نغمات الحزن العميق والتقدير ، لندخل طوراً من أطوار المجد والبطولة تغمره الحوادث والمعارك والنصر والغلبة

أنتقل إلى القسم الأخير من هذه الكلمة ، فأعرض لوصف المسجد وصفاً مختصراً :

الجامع الطولونى هو الثالث فى ترتيب المساجد الجامعة التى أقيمت فيها صلاة الجمعة فى مصر ، بعد الفتح التحريرى العربى ، بناه الأمير أحمد بن طولون على جبل يشكر فى الجهة الجنوبية من القاهرة ، بينها وبين الفسطاط ، فى حى السيدة زينب الآن ، وهو أقدم مساجد مصر بلا نزاع ، بل أقدم آثارها العربية ، بعد مقياس النيل بجزيرة الروضة ، وأول جوامع مصر هو الذى بناه عمرو بن العاص ، ثم جامع العسكر . فلما قدم ابن طولون صار يصلى فيه الجمعة بجنده وسودانه ، فشكا أهل مصر إليه ، فعزم على بناء جامع ، فأشار عليه جماعة من الصالحين أن يبنيه على جبل يشكر ، وذكروا له فضائله فأخذ برأيهم .

ذكر ابن دقلق والقريزى عن هذا المسجد من أن بناءه أقيم على مثال جامع سامرا أو سر من رأى

ولقد ذكر الأستاذ كريزول ما يأتى :

إنه على عهد بنى أمية كانت الدولة عربية خالصة ، وكان يغلب على العمارة التأثير السورى واستعمال الفسيفساء

ثم انتقلت عاصمة الخلافة إلى بغـداد فى عهد بنى العباس ، وصارت مركز التطور الدولى ، فغلبت على العمارة المؤثرات الفارسية وأساليب العمارة الساسانية والعراقية

وابن طولون من مواليد سامرا وقد جاء إلى مصر يحمل معه كل تقاليد البلاط ، وما من شك فى أنه يميل إلى تقاليد مولاه

كتب الكثيرون فى وصف المسجد ، ولقد أخذنا ما تقدم نقلاً عن الأستاذ محمود عكوش فى كتابه المطبوع ١٩٢٧ ، ولكن ظهر بين يدينا اليوم كتاب الأستاذ كريزول العظيم ؛ ويتضح من أبحاثه التى قام بها فى العراق والصور التى أخذها لجامع سامرا من الجو ، أن التماثل بين المسجدين عظيم ، وأن مسجد ابن طولون ما هو إلا صورة مصغرة للمسجد الذى بناه المتوكل فى عاصمة ملكه سامرا بالعراق

فإذا كانت البوائك على صفين من الجانبين فى مسجد مصر ، فهى أربعة فى مسجد المتوكل ، وقس على ذلك السعة والأروقة والارتفاع والضخامة ، ولقد كشفت صور الجو أن تحت الثرى مدينة بأكلها قد غطتها الفيضانات العالية ، بدجلة تنتظر الكشف لتخرج مدينة سامرا القديمة بشوارعها ومبانيها كما كانت فى أيام العباسيين

ولا شك فى أن مسجد ابن طولون سيكون انموذجاً ، قد حفظته مصر للعراق ، إذا فكرت الحكومة العراقية فى إعادة بناء مسجد المتوكل ، إنه سيكون تحفة من تحف الدنيا ، ومظهراً من أضخم مظاهر مدنية العرب ، وجبروتهم فى العمارة والإنشاء

ونعرض هنا إلى موضوع المنارة ، فهى من أغرب ما يستوقف الأبصار ، وتعد من الألغاز لأنها مبنية على شكل لا نظير له فى المنائر بجميع الأقطار العربية والاسلامية . ولقد انقسم العلماء واختلفوا كعادتهم هل هى لاحقة لبناء المسجد ، أم بنيت معه وهل هى صورة من منارة سامرا الحلزونية ؟ والعلماء وهم كعادتهم قد جزموا بأن الأثر البيزنطى ظاهر واضح فى كل شىء ، وأن العرب لم يأتوا بجديد ، فكبر على نفوسهم أن تأتى الحفائر والاكتشافات فتظهر أن المسجد صورة من مسجد عربى ، أكبر من هذا هو جامع سامرا ، وأن الأسطورة البيزنطية لا شأن لها اليوم وقد وضعت العناية الحق على لسان الأستاذ كريسول فدعمه بعلم وتمحيص دقيق يعجز عنه المتصدرون لاستعمال العلم لغايات فى أنفسهم هى الإقلال من شأن العرب والعروبة

وللمنارة حديث طويل ، وفى أواخر القرن السابع الهجرى لجأ إليها الأمير حسام الدين لاجين المنصورى ، وكان المسجد مهجوراً ، ويوقد به سراج واحد ، ويدخله خادم ، وقد تعطلت الشعائر الدينية فيه

(البقية فى العدد القادم) أحمد رمزى



— الراجل ده يايكونه انفتح له كنز يايكونه كسب الدربى

— لا كده ولا كده ... ده اشترى حته من اراضى الأوقاف

من أدب التاريخ

شاعر ومنجم ...

للأستاذ محمود عزت عرفه

العهد عهد الخليفة المستعين أبي العباس أحمد بن محمد بن المعتصم ، ذلك التولى فى الخامس من ربيع الآخر عام ٢٤٨هـ ، إثر وفاة الخليفة المنتصر ولى عهد أبيه المتوكل وقاتله . والشاعر هو الوليد بن عبيد الله البحترى المكنى أبا عبادة ؛ أما المنجم فهو جعفر بن محمد البلخى ، المكنى أبا معشر

ولم يكن أبعد من هذين الرجلين على عهدهما صيتاً ، ولا أثبت منهما فى فنيهما مقاما ؛ ومع ذلك فقد لقيا أيام المستعين من المجافاة والإعراض وقلة المبالاة ما ضاق معه عيشهما ، وانسدت به مسالك الحياة الهنيئة دونهما

فقد كان الأول شاعر المتوكل الأثير ... شهد بعينيه مصرعه الرهيب على يد ابنه وولى عهده ، وسمع بأذنيه ـ بعد حين ـ قصة نقض البيعة الموثقة التى عقدها المتوكل لولده المعتز من بعد أخيه ؛ فكان حزن الشاعر على الخليفة المصروع لا يوازيه إلا عطفه على الأمير المخلوع

ولما عجلت بالمنتصر ميتته المريبة فالتى بها أول ما يلقاه كل عاق ناكث للعهود ، بادر نصراؤه من قواد الأتراك إلى تنصيب المستعين بالله على عرش الخلافة ؛ إمعاناً منهم فى إقصاء المعتز الذى طال بتدبيرهم حرمانه ، وتنزت بسبب ذلك فى صدره السخائم والأحقاد عليهم

وزادوا على هذا أن ألقوا بالمعتز فى غيابة السجن ، مع أخيه المؤيد ثالث أولاد المتوكل وأولياء عهوده ؛ فلم يكن لشاعر كالبحترى أن يظهر فى مثل هذه الفترة ، أو أن يؤمل عند المستعين وشيعته جاهاً ...

ذلك موجز حديث أبي عبادة ؛ أما صديقه أبو معشر فأيسر ما تقول فيه أن المستعين كان يعتد له من الإحسان ذنباً ، وينحى عليه ببالغ العقوبة أشد ما يكون ترقباً منه للاحسان والمثوبة ؛ حتى لقالوا إنه ضربه مرة أسواطاً على ما صح من حدسه فى أمر أخبر بوقوعه قبل حينه ، فكان أبو معشر يعجّب الناس من ذلك ويقول : أصبت فعوقبت !

أمضى الصديقان عاماً من خلافة المستعين وهما أبأس ما يكونان حالاً ، وقد انعقد واهى أملهما على سجين قصر الجوسق بسامراء ، أبي عبد الله المعتز ، وكان معتقلاً هنالك مع أخيه ابراهيم المؤيد .

ولقد كان من حقهما أن يستمسكا بهذه الآمال التى عقداها على الأمير المسجون لما كان يشهدانه من اضطراب حبل السياسة فى يد المستعين ؛ إذ راح الأتراك يقتتلون بدافع أطماعهم حول دعائم العرش التى أقاموها بأذرعهم ، وبلغ من ضعف نفوذ الخليفة يومئذ أن امتدت أيديهم إلى وزيره (أتاش) وهو قائم بين يديه فى قصره ، فسلبوه الحياة مع كاتبه (شجاع) ، وقد حدث ذلك يوم السبت رابع عشر ربيع الآخر عام ٢٤٩هـ

ومن الطريف أن نرى البحترى ـ وقد قرت عينه بهذا الحادث دون شك ـ يبعث إلى المستعين بهذه الأبيات مادحاً ومهنئاً فى موضع كانت السخرية فيه أقرب إلى لسانه ، والتشفى أعلق بفؤاده :

لقد نُصر الإمام على الأعادى ... وأضحى الملك موطودَ المهاد
وعرفت الليالى فى (شجاع) ... و(تاشٍ) كيف عاقبة الفساد
تمادى منهما غيٌّ فلجّا ... وقد تُردى اللجاجة والتمادى
وضلا فى معاندة (الموالى) ... فما اغتبطا هنالك بالعناد !

وما نشك فى أن البحترى كان أصدق فى شعوره ، وأبلغ فى الإبانة عن وليجة نفسه ، حين انكفأ غبَّ ذلك إلى بيته يناجى خادمه « نائلا » بخفى أمانيه فيقول :

ألا هل يحسن العيش ... لنا مثل الذى كانا ؟
وهل ترجع يا نا ... ئلُ بالمعتز دنيانا ؟
عدمت الجسدَ الملقَى ... على كرسى سليمانا ...
فقد أصبح للنعْـ ... ـمةِ بقلاه وبقلانا !

* * *

إزداد نفوذ المستعين بين رعاياه تقلصاً ، حتى لأصبح « الجسد الملقى » حقيقة كما وصفه البحترى . وانتهى الأمر بأن انحازت إليه شعبة من الأتراك على رأسها وصيف وبُغا ؛

وراحت شعبة أخرى يقودها باغر تدبر له الكيد وتغشى حوله الضراء من كل سبيل. ثم قتل باغر بتدبير من حزب الخليفة، فثارت ثائرة أنصاره حتى لم يجد المستعين بدًّا من الانحياز إلى بغداد (في المحرم عام ٢٥١هـ)

وتناهت هذه الأخبار إلى البحتري وأبي معشر وهما في معتكفهما، فأقبلا يتداولان في الأمر ملياً، ويجددان من قديم أمنيتهما، وقد أمَّلا أن تطرد الحوادث في طريقها حتى تفضي بهما إلى كل ما يسر ويرضي... ثم انبعثا يقولان: وماذا علينا والحال كما نرى، أن نمضي إلى المعتز بالله في محبسه فنتودد إليه ونؤصل عنده أصلاً؟

وطابت لديهما الفكرة فجدًّا في إنفاذها، واحتالا حتى توصلا إلى لقيا الأمير في معتقله. ولم يكن البحتري قد أعد لهذا اللقاء شعراً، وأي شعر يقال لسجين يترقب الموت في كل لحظة!

على أنه فكر هنيهة حتى استرجع في ذهنه أبياتاً له قديمة كان قد واسى بها أبا سعيد الثغري وهو في معتقله أيام المتوكل، فأعاد تحريرها في رقعة لطيفة، وكان أبو معشر قد هيأ صحيفة في أحكام النجوم سهر على ضبطها وتصحيحها الليالي الطوال

وفي إحدى غرف الجوسق مثل الرجلان أمام المعتز فواسياه بما تهيأ لهما من كلام. ثم استأذن البحتري في الإنشاد، وتلا أبياته من رقعتها... كأنه نظمها من يومه:

جُعلنا فداك، الدهر ليس بمنفكٍّ
من الحادث المشكوِّ والنازل المُشكي

وما هذه الأيام إلا منازل ... فمن منزل رحب ومن منزل ضنك
وقد هذبتك الحادثات، وإنما
صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك

أما في نبي الله يوسف أسوة ... لمثلك محبوساً على الجور والإفك؟
أقَام جميل الصبر في السجن برهة ... فآل به الصبر الجميل إلى الملك
على أنه قد ضيم في حبسك الملا ... وأصبح عز الدين في قبضة الشركِ

وأصغى المعتز إلى الشعر في تأثر، ثم تناول الرقعة ودفعها إلى خادمه وقال: احفظ هذه وغيبها، فإن أفرج الله عز وجل عني فذكرني بها لأقضي حق هذا الرجل الحر

وتقدم أبو معشر فقال: إني جئتك والله أيها الأمير بأعظم البشرى وأصدقها. كنت قد أخذت مولدك يوم عقد لك العقد، ويوم عقدت البيعة للمستعين، فنظرت في ذلك، وصححت الحكم لك بالخلافة بعد فتن وحروب تجري. وصح عندي الحكم على المستعين بالقتل، وهاك صورة مما عملت

فتناول المعتز الصحيفة مستبشراً، وشكر للرجلين نبلهما ووفاءهما، ثم وعدهما ومناهما. فخرجا وهما أكثر الناس رضاء وأرحبهم أملاً...

***

وانقضى شهر على حادث المستعين إلى بغداد جرت أثناءه مداولات غير مثمرة، ثم آب الثائرون إلى سر من رأى فأخرجوا المعتز من الجوسق وبايعوه بالخلافة. واضطرمت نار الفتن والحروب عاماً كاملاً خلع في نهايته المستعين، ثم نقل مخفوراً إلى «واسط» حيث قتل بعد أشهر. واستقر أمر الخلافة للمعتز... وهكذا صدق فأل البحتري وصحت نبوءة أبي معشر

ومثل الصديقان بعد حين أمام المعتز فهش لهما وبش، ورفع من مجلسهما حتى رمقتهما العيون بالغبطة، ثم قال لأبي معشر: لم أنسك منذ لقيتني، ولقد صح حكمك، وأنا مُجرٍ لك في كل شهر مائة دينار رزقاً وثلاثين نُزُلاً، وجاعلك رئيس منجمي دار الخلافة. ثم قد أمرت لك عاجلاً بإطلاق ألف دينار صلة... فقبض أبو معشر ذلك كله من يومه

أما البحتري فقد أنشد في ذلك اللقاء بائيته المشهورة:

يجانبنا في الحب من لا نجانبه ... ويبعد عنا بالهوى من نقاربه

وفي القصيدة مدح للمعتز وهجاء للمستعين؛ ونحن ندع للقارئ أن يراجعها بتمامها في ديوان البحتري، ولكنا نختص مع ذلك بالتسجيل هنا قوله:

بكى المنبر الشرقي إذ خارَ فوقه ... على الناس ثور قد تدلت غباغبه
تخطى إلى الأمر الذي ليس أهله ... فطوراً ينازيه وطوراً يشاغبه
ولم يكن المغتر بالله إذ سرى ... ليعجزو (المعتز بالله) طالبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر ... وعُرِّي من بُرد النبي مناكبه
وقد سرني أن قيل وُجِّه عارياً ... من الشرق تُحدَّى سفنه وركائبه

إلى (واسط) حيث الدجاج ولم يكن

لتنشب إلا فى الدجاج مخالبه !

وكان رضى الخليفة بالغاً غايته عن شاعره الأول وشاعر أبيه من قبله ، فاستحضر الرقعة القديمة بعينها وفيها أبياته الستة ؛ ووهبه على كل منها ألف دينار ، فأُعطى البحترى ستة آلاف دينار كملا

ثم نصح إليه المعتز ألا يبادر بإنفاقها فى شراء ما قد يروقه من غلام أو جارية أو فرس ... وقال له : « إن لك فيما تستأنف معنا فى أيامنا ، ومع وزرائنا وأسبابنا إذا عرفوا موضعك عندنا ، غناء عن ذلك ... »

ثم حسن له شراء ضيعة ينتفع بغلاتها ، ويبقى عليه وعلى ولده أصلها . وكذلك صنع البحترى ... فعاش إلى انتهاء خلافة المعتز فى رفاهة من الحال ورغد من العيش .

(جرجا) محمود عزت عرفة

[منازع المقال :

١ — إخبار العلماء بأخبار الحكماء للوزير القفطى

٢ — الفرج بعد الشدة للقاضى التنوخى

٣ — ديوان أبى عبادة البحترى

٤ — بعض مصادر التاريخ العام « العصر العباسى »]

من حضارة الإسلام

دور التحف العربية

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

المتاحف أمكنة لحفظ التحف والألطاف والآثار . وهى الآن سبيل من سبل المعرفة . وقل أن تجد عاصمة غربية من غير دار للتحف تضم أشتاتاً من الآثار . فالمتحف البريطانى بلندن معروف مشهور . وهو مؤسسة قومية تضم كثيراً من الكتب والمخطوطات والمطبوعات والرسوم والآثار القديمة وقطع النقود . وقد أسس سنة ١٧٠٠ ، ولم تفتح أبوابه للزائرين إلا سنة ١٧٥٩

وفى باريس مجموعة من المتاحف أشهرها متحف اللوفر الذى يضم مجموعة ثمينة من الآثار المصرية القديمة والأشورية واليونانية والرومانية ، وطائفة كبيرة من آثار العصور الوسطى والعصر الحديث .

وفكرة إنشاء المتاحف وفتح أبوابها لإفادة الجمهور فكرة أوجدتها النهضة الأوربية الحديثة المعروفة بالرينسنس . وكانت إيطاليا أسبق الأمم إلى العمل بها . ومنها تسربت إلى بقية الدول . وقد بدأ الإيطاليون بها فى القرن الخامس عشر ، وهو ذلك القرن الذى شهد مصرع الإسلام فى الأندلس وسقوط دولة بنى الأحمر

ويظهر أن الإيطاليين أخذوا فكرة المتاحف عن العرب الذين نقلت معارفهم وعلومهم وألوان ثقافتهم إلى أوربا عن طريق الإيطاليين . ولقد مهد لذلك وجود طائفة كبيرة من الآثار والتحف والألطاف التى أخذها الإسبانيون من خزائن ملوك غرناطة المسلمين . فكانت تلك الأسلاب والنهائب النواة لإنشاء المتاحف العامة التى تزدحم الآن بكثير من الآثار العربية وغير العربية .

ولم يكن عند العرب نظام المتاحف العامة حتى يقال إن الغربيين أخذوه عنهم . ولكن الحق أن العرب كان عندهم نظام المتاحف الخاصة والخزانات العامرة فى قصور الخلفاء والأمراء والوزراء التى تحوى كل نفيس ، وتضم كل ثمين . فرأى الغربيون أن يجعلوا ميدان الانتفاع بهذه الفكرة أوسع ، ومجال الاستفادة منها أعظم ؛ فنقلوها إلى بلادهم ، وأخرجوها من ملكية الأفراد إلى ملك الأمة وتراث الوطن حتى يضمن لها البقاء ، وتسلم من الضياع والتعرض للنهب والحريق وغيرها .

وكان الخاصة يجمعون التحف على سبيل المباهاة والافتخار ، لأنهم أقدر الناس على جمعها . فقد حكوا أن أحشويرش الأشورى كان عنده خزانة خاصة افتنّ فى جمع آثارها ، كما افتن البطالسة فى مصر فى جمع التحف وأقاموا لها المتاحف فى مدينة الإسكندرية التى كانت زاهرة فى عهدهم .

ولم يُعن النبى عليه السلام وخلفاؤه الراشدون بجمع التحف لأنهم لم يكونوا أهل مادة ودنيا ، ولكن أهل تقية وعفاف وتحرج . وقد كان عمر بن الخطاب يتحرج من مزاولة التجارة .

ولم يهتم خلفاء بنى أمية بجمع التحف حتى على تشبههم بالأعاجم فى اتخاذ التيجان على رءوسهم . وهذا عمر بن عبد العزيز كان قبل الخلافة مفرطاً فى التنعم ، حتى لم يجد فيه حساده عيباً إلا هذا . فلما ولى الخلافة تزهد .

فلما جاء العباسيون مالوا إلى الاهتمام بجمع التحف والآثار ، وكان لكل خليفة من جامعي آثارهم هوى خاص . فهذا الخليفة الراضي ابن أخي الخليفة القاهر اتخذ في داره خزانة خاصة لجمع البلور حتى قال فيه الصولي : « ما رأيت البلور عند ملك أكثر منه عند الراضي ، ولا عمل ملك منه مثل ما عمل ، ولا بذل في أثمانه ما بذل حتى اجتمع له من آلته ما لم يجتمع لملك قط »

وكان في ملوك بني بويه شغف بجمع التحف ، وخاصة عضد الدولة بن بويه ؛ فقد ذكر ابن الصابي ونقل عنه المستشرق السويسري آدم متز أنه خلف من الجواهر واليواقيت واللؤلؤ والماس والبلور والسلاح وضروب المتاع شيئاً كثيراً . ويقول ابن الجوزي في كتابه المنتظم أن بهاء الدولة بن بويه جمع من المال والتحف والألطاف ما لم يجمعه أحد من بني بويه .

على أن بعض خلفاء العباسيين قد غالوا في الجمع إلى حد الترف والبذخ مما يصح أن يكون موضع مؤاخذة لهم . فقد روى الثعالبي صاحب لطائف المعارف أن المكتفي — وهو قريب من عصر المأمون — ترك من الكراع والسلاح والأثاث والجوهر وعمائم مرو والحلل الوشاة اليمانية المنسوجة بالذهب وبطائن كرمان في أنابيب القصب والأبسطة الأرمنية — ترك من ذلك كله ما يعد بالآلاف .

وقد حاكى كثير من الأمراء الخلفاء في جمع التحف ، فهؤلاء البرامكة روى عنهم سهل بن هارون ، وكان خازن دار الحكمة في عصر المأمون ، كثيراً من مغالاتهم في الجمع قائلاً : « فإنه لا يصف أقله ، ولا يعرف أيسره إلا من أحصى الأعمال ، وعرف منتهى الآجال »

ولا شك أن كثيراً من تحف العباسيين قد ضاعت فيما ضاع بسبب غارة التتار عليهم . فقد حدث إبن الفوطي البغدادي — وكان معاصراً لسقوط بغداد سنة ٦٥٦ — : « أن السلطان هولاكو وصل بغداد في جيش لا يحصى عدده ولا ينفد مدده . فخرج الخليفة المستعصم ووزيره مؤيد الدين العلقمي ومعه جمع كثير إلى السلطان . ثم دخل الخليفة بغداد ومعه جماعة من أمراء المتول ، وخوجة نصير الدين الطوسي . وأخرج إلى التتار من الأموال والجواهر والحلي والزركش والثياب وأواني الذهب والفضة والأعلاق النفيسة جملة عظيمة » .

أما بلاد الأندلس فقد جمع كثير من ملوكها وأمرائها الأعلاق والنفائس في دورهم الخاصة . ولا شك أن الزهراء وهي المدينة التي بناها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر غربي قرطبة كانت تزخر بدور التحف الخاصة . فقد نقل صاحب نفح الطيب عن ابن الرقيق : أن الناس لما اقتحموا الزهراء أسقطوا هشاماً وأزالوا دولة بني عامر ، ونهبوا قصور الخلافة فيها ، حتى أن بعض ما نهب في هذه الثورة وصل إلى بغداد وسائر بلاد المشرق وبيع في أسواقها .

وكان لهذه التحف والألطاف — كما هو الشأن اليوم — أسواق تباع فيها وسماسرة يتجرون بها . وقد روى ابن الفقيه أن تجاراً من اليهود كانوا يأتون من مقاطعة بروفنس بفرنسا ، ويحملون معهم الديباج والخز الفائق والفراء الثمينة ، كما ذكر ابن خرداذبة أن تجار الروس كانوا يحملون جلود الخز وجلود الثعالب السود والسيوف . كما كانت تحف الصين وألطافها تأتي مع التجار الذين ذرعوا البحار في تلك الأزمان .

ولقد أسرف خلفاء الفاطميين في ذلك الباب إسرافاً عظيماً ، ولم يكتفوا بوضع هذه الألطاف في قصورهم ، بل أقاموا لها قصوراً خاصة ، وكانوا يسمونها الخزائن جمع خزانة ، ولم تكن تلك الخزائن — كما يفهم من اسمها — أمكنة للخزن ، وإنما كانت معارض خاصة توضع فيها التحف على نظام خاص ونسق معين ، فهي بعينها دور التحف التي نراها اليوم ، وفرق ما بين الاثنين أن الأولى كان يملكها ملك أو أمير ، والثانية ملك عام للأمة ، فهي من منافعها العامة التي تتولى الإشراف عليها وتقوم على توسيعها وتزويدها لتكون ميراثاً وطنياً خالصاً لا يختص به حاكم ولا سلطان .

كان عند الفاطميين خزانة للأسلحة تعادل الآن المتاحف الحربية العامة التي عنيت الأمم حديثاً بإنشائها . ونستطيع أن نقول إن فكرة التخصيص في المتاحف كانت عند الفاطميين . ولعلهم أول من استعملها فيما نعرف من التاريخ . فكان عندهم للجواهر دار ، وللأسلحة دار ، وللفرش دار ، وللطرائف دار ، وللسروج دار ، وللخيم دار ، وللشراب دار . وكان بعض هذه الخزائن أشبه بمصانع لإنتاج ما يحتاج إليه الأمراء والجند والحاشية ، كما يفعل « سلاح الصيانة » الآن في الجيوش الحديثة ،

ويدل على ذلك ما رواه المقريزى فى الجزء الثانى من خططه . فقد ذكر أن خزائن السلاح كان من محتوياتها ذو الفقار سيف على وصمصامة عمرو بن معد يكرب ، وسيف كافور الأخشيد ، وسيف المعز ودرعه ، وسيف الحسين بن على عليه السلام ، ودرقة حمزة ، وسيف جعفر الصادق .

أما دار الطرائف فقد جمعت النفيس الرائع فى العصر الفاطمي من البسط والستور والتعاليق وآنية البلور . التى كانت تصنع باسم الخلفاء ورسمهم . فقد روى المقريزى عمن يثق بقوله أنه رأى بطرابلس قطعتين من البلور الساذج الغاية فى النقاء وحسن الصنعة إحداهما خردادى ، والأخرى باطية مكتوب على جانب كل واحدة منها اسم العزيز بالله (تسع الباطية سبعة أرطال مصرية ويسع الخردادى تسعة) ، وأنه عرضهما على جلالة الملك ابن عمار فدفع فيهما ٨٠٠ دينار . فامتنع من بيعهما ، وكان اشتراهما من مصر من جملة ما أخرج من الخزائن . ووجد أكثر من مائة كأس بادزهر ونصب وأشباهها على أكثرها اسم هرون الرشيد وغيره ، كما وجد للسيدة رشيدة ابنة المعز لدين الله حين ماتت ما قيمته آلاف الآلاف من الدنانير . ومن جملة ذلك بيت هارون الرشيد الخزُّ الأسود الذى مات فيه بطوس ، كما وجد للسيدة عبدة بنت المعز الأخرى ما لا يحصى من النفائس ، ومن ذلك حصير من الذهب وزنها ١٨ رطلاً ذكر أنها الحصير التى جليت عليها بوران بنت الحسن بن سهل على المأمون — إلى غير ذلك مما أفاض المقريزى فى وصفه وسرده .

وقد يكون فى ذلك كثير من المبالغة ، إلا أنها على كل حال لا تعدم من الحق سبيلاً .

وكان المماليك يهتمون بجمع التحف والألطاف وتزيين قصورهم بها . وقد روى المقريزى فى الجزء الثالث أن الأمير تنكز الأشرفى عين من قبل قلاوون أميراً على الشام ، وظل كذلك إلى أن تنكر له السلطان وجهز له من قبض عليه ، وصادر أمواله وكان مَن جلتها الجوهر واللؤلؤ والزركش والنفائس . فإذا كانت هذه حال أمير من أمرائهم ؛ فما بالك بالسلاطين أنفسهم ، وقد كان المال فى أيديهم كثيراً ؟

ومن سوء الحظ أن كثيراً من هذه التحف قد ضاع ، ولا يبلغ ما جمع منها فى متاحف العالم إلا قدراً ضئيلاً . وقد تكون أيدى الجهال عبثت بها فأحالتها إلى غير حالتها ، فأسالت ذهبها وفضتها وهشمت زجاجها وبلورها .

ومن عجائب الأقدار أن مصائر ما بقى من التحف أوسلم منها كمصائر بنى البشر أنفسهم . قد فرقتها الأقدار وبعدتها الأدهار وأنزلتها فى غير أوطانها ، وأحلتها فى غير بلدانها . فى لندن منها قطع ، وفى باريس أشتات . وفي مدريد وروما وبرلين والقسطنطينية وغيرها .

ولقد نشطت الأمم العربية وانتبهت إلى الاحتفاظ بآثارها وجمعها فى دور عامة . فأنشأت دار الآثار العربية فى مصر سنة ١٨٨١ ، وإن كان أمر إنشائها صدر فى عهد اسماعيل سنة ١٨٦٩ ، وأنشىء المتحف الأهلى فى الجزائر سنة ١٨٩٧ ، وأنشىء المتحف العلوى فى تونس ، ودار الآثار العربية فى العراق فى تاريخين غير متحققين عندى .

ولعل البلاد العربية جميعاً تضاعف الهمة حتى تحتفظ بالكثير من تراثها المفقود .

محمد عبد الغنى حسن

من الشعر الحر (*)

الحديقة الميتة والقصر البالى

للأستاذ خليل شيبوب

أمر عليها كل يوم فأبصر
أشجارها مشؤومة الأغصان
ويأخذنى حزن عليها فأشعر
باليأس يعقد خاطرى ولسانى

تهدم السور حولها فبدا
للعين عُرْىُ الحديقة
كأنها مليحه
قد خلعت جمالها
فأصبحت قبيحه
كاسية أسمالها
مرهاء غيرت الليالى حالها[1]
تطلب عند الناس عطفاً وجَدَى
من القلوب الشفيقة
رقص البِلى فى ساحها عريانا
وشدا الفناء لرقصه ألحانا

بهما اهتدى
عادى الردى
فعـــدا
ومحا معالمها كأن لم تعلم
وكأن فيها الطير لم يترنم
وكأن فيها الزهر لم يتبسم

وقفت الأشجار وهى
والعشب فيها جف كرها
فهو مصفر سقيم
وهو موطوء هشيم
ذبل النبت الدميث
وثما فيه أثيث
هائج السوق خبيث
شأنه غطى مظنات المسالك
فهو فيها بعد ذاك اللين شائك

أين وضاح الزهَرْ
أين معقود الثمَرْ
أين مسرى الحور
أين مجرى الماء كالنور
كلها صارت عِبَرْ

القصر فى جانبها واقف
ذاهـــــلُ
رسم محيل بالأسى واجف
مـــائل

يا جنة كان النعيم بها يشدو
لحن أطيارك
والحسن فيها كان صفحته تبدو
فى وجه أزهارك
الشمس تخشع حين تبصرك
ثكلى
ولذاك مالت عنك تغمرك
ظــــــلا
والريح عاثرة تمر بك
خجلى
نفث الليل بالسواد جلالا
وزوى عنك حين لاح الهلاك
وأراك النجوم لا تتلالا

يا من رأى القصر قد أقوتْ ملاعبه
وطلقته بلا رجعى كواعبه
غربت أقمارهُ
وامحت أنوارهُ
فطويت مفاتن المجالس
وانتهبَت ذخائر النفائس
وأصبحت فيه كرسم دارس
فماد ركناه وازورّت جوانبه

أين رجالاته وجودهم
كان شِفاء المنى وجودهم
زين الرجالات
محققو الغايات
ومقصد العفاة
ما أخلفت راجياً فضلاً وعودهم

عزاء أيها الحسن
فإنك لا تذل ولا تهونُ
إذا فقدت مباهجك العيونُ

(*) كل شطر من هذه القصيدة يرجع إلى بحر من بحور الشعر العربية أو من مجزوءه أو مجزوء مجزوئه . ولم تغفل فيه قافية مطلقاً بل هى إما متشاكلة أو متلاحقة حسب النظم . وقد استنبطت هذه الطريقة بعد جهد ورأيتها أقرب إلى الشعر الحر والمرسل من سواها . أما ما يبدو فى هذا الشعر من التنافر فإن تكرار قراءته يصقل الأذن ويكفل بأن يعيد الرنة الشعرية إليها وسوف أشرح هذه الطريقة وكيفية إمكان تحسينها بعد أن يفرغ حضرة الكاتب الأديب الأستاذ دريني خشبة من بحثه القيم فى الشعر المرسل .

(1) المرهاء : التى لم تكتحل



صديق همام ...

لأنطون تشيكوف

وجدت (ڤاندا) الساحرة ، أو كما جاء وصفها فى جواز السفر « المواطنة الشريفة ناستاسيا كاناڤكن » ، وجدت نفسها بعد خروجها من المستشفى فى حال لم تصادفها فى حياتها من قبل ، لا مأوى لها ولا مال عندها ؛ فماذا يمكن أن تفعل ؟

كان أول شىء عملته هو ذهابها إلى مصرف الرهائن ، حيث أودعت خاتمها الفيروزى ، الحلية الوحيدة التى كانت تملكها ، وأخذت جزاء ذلك روبلاً واحداً

ولكن ماذا يفيدها هذا الروبل ؟ إنها لا تستطيع أن تشترى بهذا المبلغ معطفاً أنيقاً ، أو قبعة واسعة ، أو حذاء من ذى اللون الفضى اللامع وهى - بدون هذه الثياب - تشعر بأنها عريانة . يخيل إليها أن كل من حولها حتى الكلاب والحمير ترمقها وتضحك من بساطة ثيابها . وكانت الثياب كل ما يشغل تفكيرها . لم يثر اهتمامها قط التفكير فيماذا تأكله ولا أين تنام ؟

« آه لو أتيح لى لقاء صديق همام ! إذن لحصلت على بعض المال . ما من صديق يمكنه أن يرفض لى طلباً كهذا . إني واثقة »

كان هذا اتجاه تفكيرها ، ولكنها لم تلق هذا الصديق المنشود . إن من الأيسر أن تلقى أمثاله فى المساء فى ملهى « الرينيسانس » ، ولكنهم لن يسمحوا لها بالدخول فى هذا الملهى ، وهى ترتدى هذه الثياب الحقيرة ، ورأسها عار . ما ذا يمكن أن تفعل ؟

وبعد تردد طويل ، وبعد أن أنهكها طول السير والجلوس والتفكير ، استقر رأى ڤاندا على أن تلتمس ملجأ فتذهب لتوّها إلى منزل صديق همام وتطلب مقداراً من المال

وأخذت تفكر فيمن تقصد . « لا يمكننى أن أذهب إلى ميشا ، إنه رجل متزوج ... والرجل العجوز ذو الشعر الأحمر سيكون فى مكتبه فى مثل هذا الوقت من النهار » ، وتذكرت ڤاندا طبيب أسنان يدعى فينكل ، وهو يهودى اعتنق المسيحية وكان قد أهدى إليها سواراً منذ ستة أشهر . وكانت فى يوم من الأيام قد صبت كأساً من الخمر فوق رأسه وقت العشاء فى النادى الألمانى . عمها السرور إذ فكرت فى فينكل وقالت :

«لا بد أنه سيمنحنى مقداراً من المال إذا وجدته فى المنزل ؛ وإذا لم أجده فسأحطم كل مصابيح الكهرباء التى فى منزله »

كان هذا اتجاه تفكيرها وهى فى طريقها إليه

وقبل أن تصل إلى منزل طبيب الأسنان رسمت خطتها للعمل . إنها ستصعد السلم قفزاً وهى تضحك عابثة ، ثم تندفع إلى حجرة الطبيب وتطلب منه خمسة وعشرين روبلا . ولكنها ما كادت تلمس الجرس حتى أحست بهذه الفكرة تتبخر من ذهنها . وبدأت ڤاندا تحس بالرهبة والضيق ، مما لم تعهده من قبل . لقد كانت دائماً جريئة فى حلقات الشراب ، ولكنها الآن وهى تلبس هذه الثياب الحقيرة تشعر كأنها شخص يطلب إحساناً ؛ وقد لا يسمح لها حتى بالدخول . وشعرت فجأة بالذلة والمسكنة ، وأحست بالخجل والاضطراب

رآك القلب أبهج ما تكونُ
وعين الحب هادية أمونُ
عزاء أيها الحسن

إيه يا جنة جفاها النعيم
هكذا العمر أنه لا يدوم
كأنك نفس مات فيها غرامها
فلم يبق إلا بؤسها وسقامها
حليةُ النفس الهوى
فإذا توى(١)

عادت كغصن قد ذوى
أو ظلٍّ نجم قد هوى
على قدر ما فى النفس من خالص الجوى
يكون لها قدر ويسمو بها اللب
فإن فقدته فالفناء بها ثوى
وما قيمة النفس التى ما لها حب

يا روضة ذبلت
وخميلة خملت
أنت مثال السعد إذ فاتا
بل أنت رمز الحب قد ماتا
هكذا تصبح الحياة رفاتا

أقول للغادين لو يسمعون
هنا الهدى لو كنتمُ تبصرون
هلمو انظروا كيف تبلى القصور
وكيف تموت الحديقة
كذلك فيكم يجف الشعور
وتخفى الأمورُ
ويعمى البصير
وتموت الحقيقة

خليل شيبوب

(٢) توى : هلك

أخذت تفكر وهى لا تجد من نفسها الشجاعة الكافية لأن تغمز الجرس وقالت فى نفسها : « ربما يكون قد نسينى . كيف يمكننى أن ألقاه فى هذه الثياب وأنا أبدو كتسولة حقيرة أو عاملة فقيرة ؟ » ودقت الجرس فى ضعف . وسمعت وقع أقدام تقترب : إنه البواب . « هل الطبيب موجود ؟ » وجهت السؤال وهى ترجو أن يكون الرد « كلا » ، ولكن البواب بدلاً من أن يجيب صحبها إلى القاعة وساعدها على خلع معطفها

وبهرتها القاعة بفخامة مظهرها وروعته ، ولكن نظرها علق بمرآة ضخمة ، فواجهتها لترى فتاة رثة الثياب ، لا تلبس معطفاً أنيقاً ، ولا تضع فوق رأسها قبعة واسعة ، ولا تنتعل الحذاء ذا اللون الفضى

ورأت ڤاندا أنها فى ثيابها البسيطة هذه ، تبدو كحائكة أو غاسلة ثياب ؛ واستغربت أنها تحس بالخجل ولا تجد في نفسها أثراً لتلك الشجاعة ، بل الوقاحة التى اعتادتها . بل إنها لم تعد تفكر فى نفسها أنها ڤاندا « الساحرة » فما هى إلا ناستاسيا كانافكين كما كانت فى الأيام الخالية

وتقدمتها الخادم إلى حجرة الكشف قائلة لها : « تفضلى بالدخول . سيأتى الطبيب بعد دقيقة واحدة . اجلسى »

وجلست ڤاندا على مقعد مريح وأخذت تفكر : « سأطلب منه أن يعيرنى هذا المبلغ . ليس فى هذا أقل حرج . إن معرفتى إياه قديمة . آه لو أن هذه الخادم تخرج . إنى لا أميل إلى مصارحته أمامها . ما الذى يدعوها للبقاء هنا ؟ »

وبعد خمس دقائق انفرج الباب عن ڤينكل . كان يهودياً طويلاً ، أسمر اللون ، ذا خدين متهدلين وعينين منتفختين . كان منظر عينيه ، وخديه ، وصدره ، وجسمه ، بل منظره كله يمجه الذوق ويثير الكراهية . كان فى ملهى « رينيسانس » والنادى الألمانى يبدو ثملاً ، ويبذل نقوده للنساء عن سعة . وكان واسع الصدر ، صبوراً على ألاعيبهن (فمثلاً عند ما صبت ڤاندا كأس الخمر فوق رأسه ، لم يزد على أن ابتسم ورفع أصبعه فى وجهها منذراً) ، أما الآن فهو يبدو جامد الحس ، جاداً ، ثقيل الدم كرئيس الشرطة ، وهو ما يفتأ يلوك شيئاً بين شدقيه

قال مخاطباً ڤاندا دون أن ينظر إليها : « هل من خدمة أستطيع أن أقدمها إليك ؟ » . ونظرت ڤاندا فى وجه الخادم الصارم ومظهر ڤينكل ، الذى كان من الواضح أنه لم يعرفها ، واحمرت وجنتا ڤاندا

— « هل من خدمة أستطيع أن أقدمها إليك ؟ » ردد الطبيب سؤاله فى ضيق مكتوم ، فهمست ڤاندا : « أحس ألماً فى أسنانى »

— « حسن ... أين موضع الألم ؟ »

وتذكرت ڤاندا أن بإحدى أسنانها تجويفاً ، فقالت :

— « فى الفك الأسفل ... على اليمين ... »

— « هيه ! افتحى فمك » . وقطب ڤينكل جبينه ، وأمسك أنفاسه ، ثم أخذ يكشف عن السن . وسأل ڤاندا : « هل تؤلمك ؟ » . ثم وضع آلة معدنية فوقها . وأجابت ڤاندا كذباً : « نعم » ، وهى تتساءل فى نفسها : « هل أذكره ؟ إنه من المؤكد سيذكرنى . ولكن هذه الخادم ! ما الذى يدعوها للبقاء هنا ؟ »

وفجأة انطلق ڤينكل قائلاً « لا أنصحك بمعالجة هذه السن . إنها لا تستحق العلاج » . وبعد فحص السن مرة أخرى ملوثاً شفتى ڤاندا ولثتها بأصابعه الملوثة بلفائف التبغ ، أمسك أنفاسه مرة أخرى ، ثم وضع شيئاً بارداً فى فمها . وأحست ڤاندا فجأة بألم حاد ، فصرخت ، وقبضت على يد ڤينكل

فقال الطبيب : « كل شىء على ما يرام . لا تنزعجى . ليس لهذه السن فائدة... يجب أن تكونى شجاعة » ، وأخرج أصابعه من فمها ملوثة بالدماء وممسكة بالسن... وتقدمت الخادم ووضعت إناء تحت فم ڤاندا . وقال ڤينكل : « عليك أن تغسلى فمك بالماء البارد عند عودتك إلى المنزل ، فإن هذا سيمنع النزيف »

ثم واجهها فى مظهر الرجل الذى ينتظر انصرافها لتدعه فى سلام . فقالت : « نهارك سعيد . ثم اتجهت إلى الباب منصرفة . وتساءل ڤينكل فى لهجة ضاحكة : « هم ! وما رأيك فى أجرى ؟ »

« آه ! حقاً ! » وتذكرت ڤاندا فمدت يدها إلى اليهودى بالروبل الذى أخذته رهناً على خاتمها

وعند ما خرجت ڤاندا إلى الطريق تضاعف إحساسها بالخجل ، ولكنه فى هذه المرة لم يكن الفقر سبب خجلها . إنها لم تعد تجد الحاجة إلى قبعة واسعة أو معطف أنيق ، وإنما أخذت تجوب الطرقات والدم ينزف من فمها ، وهى تفكر فى حياتها الكريهة ، حياتها المؤلمة ، والإهانات التى عانتها والتى سوف تعانيها فى الغد ، وفى الأسبوع القادم ، بل طول عمرها حتى نهاية أجلها

« آه ! كم هذا مؤلم ! رباه كم هذا مخيف ! »

وعلى كل حال ففى اليوم التالى ، عادت ڤاندا الساحرة إلى ملهى « رينيسانس » لترقص هناك ، وكانت ترتدى قبعة حمراء واسعة ، ومعطفاً أنيقاً ، وحذاء ذا لون فضى لامع . وقد صحبها للعشاء تاجر شاب جاء أخيراً من قازان .

صلاح الدين المنهامى

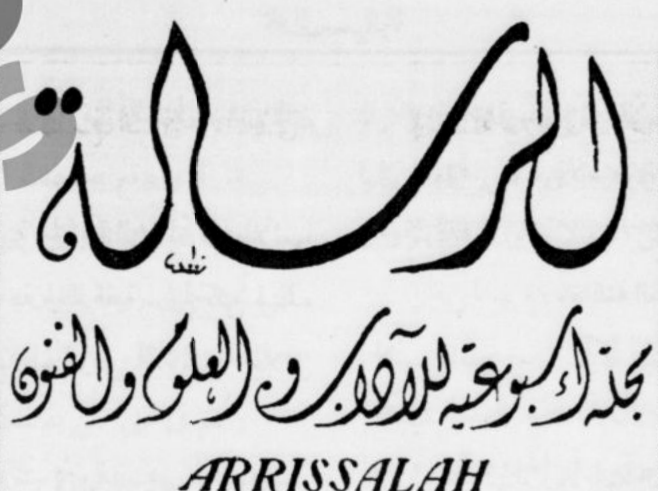
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



11 me Année No. 546

Lundi - 20 - 12 - 1943





صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

العـــدد ٥٤٦ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

٢١ ٥ ٣١

عيد اللغة العربية

للدكتور زكى مبارك

اخترت هذا الموضوع لأنبه إلى حقائق أدبية ولغوية واجتماعية أرى فى التنبيه إليها فائدة تنفع الأمم العربية أجزل النفع ، لأنها تزيد فى ثقتها بوجودها الأدبى ، ولأنها تنير الطريق أمام المهتمين بالوحدة العربية ، وهى فكرة يمكن تحقيقها بسهولة ، إن تعاونا على رفع ما يعترضها من العقبات والأشواك

ولأجل أن يتضح موضوع هذا الحديث أرجو أن تتذكروا ما كنا عليه قبل أعوام قصار لا طوال ، فقد كان فى كل قطر عربى جماعة يدعون إلى إيثار اللهجة العامية المحلية فى الخطابة والكتابة والتأليف ، ومع أن هذه الدعوة واهية الأساس فقد كانت تجد سبيلاً إلى بعض الأسماع والأذهان ، وكان العقلاء يخشون أن تنخدع بها الجماهير هنا أو هناك

والدعوة إلى اللهجة المحلية دعوة سهلة القبول ، لأنها تبشر سامعيها بالإعفاء من تكاليف الفصاحة العربية ، وهى تكاليف لا يقوى على حملها غير الأقوياء من أهل البيان

كانت هذه الدعوة تجد من يسمع وتجد من يجيب ، ثم خفت

صوتها بعد أن جلجل وصلصل عدداً من السنين ، فما الذى أسكت ذلك الصوت ؟

يرجع السبب إلى النهضة الأدبية الحديثة التى ظهرت طلائعها فى الديار المصرية والسورية واللبنانية والعراقية ، ولم يكن لهـذه النهضة غنى عن لغة قوية تستطيع التعبير عن الدقائق والجلائل من المعانى والأغراض

عند ذلك انهزمت اللغة العامية ، لأنها لغة العوام ، والعوام لا يحتاجون إلى لغة غنية ، لأن مطالبهم فى التعبير لا تزيد عما تحتاج إليه الحياة اليومية فى المنازل والأسواق

ومما يثير الضحك أن الذين دعوا إلى اللغة العامية لم يشرحوا قضيتهم إلا باللغة الفصيحة ، وهذا شاهد ناطق بأن العامية أضيق وأعجز وأفقر من أن تعين أنصارها على التعبير عن أغراضهم بإسهاب وإطناب

اقترحت مرة أن يصدر قرار وزارى يجعل اللغة العامية لغة المصريين ، لترجع جميعاً إلى اللغة الفصيحة بعد أسبوع أو أسابيع ولكن كيف ؟

كنت أنتظر أن يفكر كل كاتب وكل شاعر وكل خطيب فى تجميل لغته العامية ، ليتفوق على النظراء ، وليمتاز بالأناقة فى البيان ، ولا يتم له ذلك إلا إذا استعان بذخائر اللغة الفصيحة ، وقد تحمله الرغبة في التفوق على أن يعود طائعاً مختاراً إلى اللغة التى مجدتها الأمم العربية فى عشرات الأجيال ، وبذلك ينهزم دعاة العامية إلى آخر الزمان

وما الذى منع دعاة العامية من أن يجعلوها لغتهم فى الشعر والكتابة والخطابة والتأليف ؟

هل صدر قرار يحرم عليهم أن يكونوا عاميين ؟

هل حاربتهم الحكومة ؟ هل حاربتهم الأمة ؟

لا هذا ولا ذاك ، وإنما أوحت إليهم عقولهم وأذواقهم أن يسموا بأنفسهم عن الابتذال ، واللغة العامية كالثوب الذى نلبسه فى البيت ، ونحن نعرف أننا لا نتأنق فى الملبس بين جدران البيوت

إن اللغة سلاح من الأسلحة ، وهى فى يد الخطيب كالسيف فى يد المحارب ، ولا يجوز للعاقل أن يدخل الميدان وفى يده سيف مفلول

نحن لم نهزم دعاة اللغة العامية بالقوة ، وإنما انهزموا بأنفسهم لأنهم خاضوا غمار المعركة بغير قلب ، ولا عزم لمحارب لا يؤازره القلب .

وهل انهزم دعاة اللغة العامية حين حرصوا على التسلح باللغة الفصيحة ؟

إن مكرهم أغرب من مكر الشياطين ، فقد رأوا أن يسابقونا الإفصاح ، وأن يحاولوا نزع راية الفصاحة من أيدينا ليتفردوا بغنيمة المجد الأدبى ، فلنكن أول جيش يسلم وهو فرِحٌ جذلان

لقد أراد خصومنا أن يرفعوا أنفسهم فيكونوا خلفاء لأكابر المفصحين ، لا خلفاء لعوام المتحدثين فى الشوارع والقهوات والبيوت

أقول هذا وأنا أعترف بلغة الشارع والقهوة والبيت ، لأنها أماكن يجوز فيها التحلل من التأنق ، والتأنق حلية بيانية لا نفكر فيها إلا حين نقف موقف المحاربين بلسان البيان

اللغة العامية هى ثوب البيت عند رفع التكليف ، ومن هنا جاز أن تكون لكل أمة لغتان : لغة عامية ولغة فصيحة . وهذه قضية لا تحتاج إلى براهين ولا محامين

وأين خصومنا فى هذه القضية ؟ أين ؟ أين ؟

المتوابع منهم أغراض أدبية واجتماعية ، فهم يحاولون أن يصلوا إلى أسماع العرب فى المشرق والمغرب ، وهـذا لا يتيسر بغير الأسلوب الفصيح ، لأن الأسلوب العامي يعجز عن تخطى الحدود

لم يبق إلا الجهلة من دعاة اللغة العامية ، وهم أطفال يهمهم أن يتحذلقوا بمضغ الحديث عن فكرة نبتت على شواطىء الجهل ، كما تنبت البقلة الحمقاء على مدارج الغدران

نحن فى هذه القضية بين صورتين اثنتين : صورة العواطف وصورة المنافع ، فما موقف خصومنا من هاتين الصورتين ؟

إن فرضنا أنهم لا يبالون ماصنع آباؤهم وأجدادهم فى إعزاز اللغة الفصيحة إعزازاً حماها من الاندحار فى عصور كانت كلها ظلمات فى ظلمات ، فكيف نفرض أنهم لا يبالون منافعهم وهى من الصميم فى وجودهم الحيوى ؟

أيستطيعون الاستغناء عن الشرق ؟

هـذا ممكن ، إن أرادوا العيش فى ظل الخمول ، ولكنه مستحيل إن أرادوا الاتصال بالشرق ، فى الحدود التى توجبها أوامر الأدب ومنافع الاقتصاد

لو انتصرت دعوة خصومنا — ولن تنتصر — لكان من الحتم أن يحتاج المصرى إلى مترجم حين يزور فلسطين أو الشام أو لبنان ، وقد يحتاج إلى مترجمين حين يزور العراق ، لأن الدعوة إلى العامية قد تحيى فى العراق عدداً من اللغات

وأذهب إلى أبعد من ذلك فأقرر أن العصبية المحلية قد تحوج القاهريين إلى مترجمين حين يزورون بلاد الصعيد ، بغض النظر عن بلاد النوبة والسودان ودارفور وكردفان !

يجب حتما أن نترك هذا السخف الممقوت ، سخف الدعوة إلى اللغة العامية ، لأنه من شواهد الانحطاط ، ونحن فى طريق الاستعلاء

ويجب أيضاً أن نقتدى بما تصنع الأمم القوية ، وهى تفكر فى توحيد اللغة قبل أن تفكر فى توحيد الأقاليم ، لأن وحدة اللغة هى حجر الأساس فى بناء القومية

يجب أن تكون للعرب والمسلمين لغة واحدة فى المشارق والمغارب ، لغة يتلاقون عندها كما يتلاقون فى جبل عرفات ، وكما يتلاقون فى توحيد الله عند الصلوات

فإن لم يفعلوا — وسيفعلون — فستضيع جهودهم فى الدعوة إلى الوحدة العربية والوحدة الإسلامية ، ولن يضيعوا أبداً ، لأنهم أعقل من أن يتعرضوا إلى مخاطر الضياع

***

لقد استقر الرأى فى البيئات الفنية المصرية على أن من حق لغة المسرح والسينما أن تتحرر من القيود التى تثقل اللغة الفصيحة ما دام موضوع القصة المسرحية أو السينمائية موضوعا خاصاً بالمجتمع المصرى الحديث ، وتلطف الفنانون المصريون مع اللغة الفصيحة فجملوها لغة الروايات المنتزعة من حوادث التاريخ

فما الذى وقع بعد ذلك ؟

رأينا أولئك الفنانين يقبلون على اللغة الفصيحة فى المواقف التى تحتاج إلى روعة البيان ، وهذا ما يصنع الفنان يوسف وهبى وما يصنع زملاؤه من المؤلفين المسرحيين والسينمائيين

وأنتم فى غنى عمن يدلكم على تلك المواقف ، فما خلت رواية مسرحية أو سينمائية من مشاهد لا يستطيع الممثل أن يؤدى فيها واجبه الفنى بغير الأسلوب الفصيح

كانت (الفرقة المصرية) تلتزم اللغة الفصيحة ، وقد نجحت كل النجاح ، ولكن ناساً قالوا إنها عجزت عن غزو الأوساط الشعبية ، واقترحوا أن تتحرر من قيود الإفصاح

وقد غير نظام تلك الفرقة إجابة لصراخ الصارخين من عوام الناس ، وألقى الأستاذ محمد بك صلاح الدين خطبة قرر فيها أن المسرح ليس مدرسة لتعليم اللغة الفصيحة ، وأنه لا بأس من أن يجرى الحوار باللغة التى يتكلم بها الناس فيما يتصل بموضوع المسرحية

ولكن الأقدار قضت بغير ما قضى به هذا الرجل الأريب ، فقد بدأت الفرقة موسمها فى هذه السنة بمسرحية شعرية ، هى قصة قيس ولبنى ، وأقبلت الجماهير على شهود هذه القصة أكثر من عشرين ليلة ، مع أن المفهوم أن الشعر الفصيح أصعب من النثر الفصيح

فما تفسير هذه الظاهرة الأدبية ؟

تفسيرها سهل ، فالجمهور المصرى يؤمن بأن اللغة الفصيحة هى لغته الأصيلة فى المواقف الجدية ، بدليل أنه لا يتصور صحة صلاة الجمعة إذا ألقى الخطيب خطبة الجمعة باللغة العامية

ومن أغرب ما يقع فى هذا العصر أن يجهل بعض رجال الآداب والفنون روح الشعب المصرى ، فهم يتوهمون أنه شعب يستريح إلى المطالب الهينة ، ويثقل عليه الجد الصريح

وبسبب هذا الفهم المنحرف ضاعت جهود ذلك من الأدباء والفنانين

أتحداكم أن تقيموا مباراة فى حديقة الأزبكية بين شخصين أحدهما خطيب فصيح ، وثانيهما مهرج ظريف

توفيق الحكيم

بين الأدب والفن

للأستاذ دريني خشبة

لا فرق مطلقاً بين أن تقرأ توفيق الحكيم وبين أن تقف في متحف للفنون الرفيعة ، أو أن تسمع إلى قطعة موسيقية ، أو أن تجلس هادئاً ساكناً في مسرح عظيم تشهد مأساة تشجيك أو ملهاة تسليك ...

تقرأ توفيق الحكيم فتنظر إلى التماثيل الرائعة تتحرك وتتكلم وتنظر وتبتدم وتمتلئ بالحياة وتفيض بالجمال ... ثم ترى إلى الصورة التي انسجمت ألوانها وأحكمت خطوطها وأُبدع فيها توزيع النظر ، وأكسبتها « اللمسات » الأخيرة من المصور ، وجرت في أركانها بعبقريته ... فإذا أفقت من ذلك سمعت (أزاميل) المثالين ومطارقهم تدق ... كأنها تشترك في تأليف لحن موسيقي ... فإذا أدرت عينيك شهدت أبهاء المتحف وردهاته قد امتلأت بالدُّمى والتماثيل والصور ...

ومن الظريف اللطيف في متحف توفيق الحكيم أنك ترى به التمثال الكامل والتمثال الناقص ... كما ترى فيه حطاماً من تماثيل لم تَرُقه فأهوى عليها بمنحته ومطرقته فجعلها هشيما ، ثم عزّت عليه فلم يلق بها خارج المتحف ، بل تركها فيه ... لأنها وإن فقدت ذراعاً أو ذراعين ، أو نقصت ساق أوساقين ، فإنها تمثل في ذهنه فكرة مقدسة ... الفكرة التي أوحت إليه « مشروع » التمثال ، ولهذا تحتفظ المتاحف بالتماثيل المهشمة !

وقل مثل هذا في صور الرسام الفنان توفيق الحكيم ، فإلى جانب الصور الكاملة البارعة ، التي أخذت حظها الموفور من حسن التوزيع والعدل بين الألوان ، ترى صوراً لم يتقن « طبخ » ألوانها حَسْب الأصول الفنية ، ومع هذا فقد احتفظ بها في المتحف كما احتفظ بتماثيله المهشمة للسبب الذي أسلفنا

أما موسيقا توفيق الحكيم فهي من هذا النوع الصامت الذي يخامر القلب ويجرى مع الدم ويرهف الأعصاب ... وقد تكون موسيقاه « زائطة » أحياناً ، وهي لا تكون « زائطة » إلا إذا أفاق من سكرة الأدب والفكر والفن ، واستسلم إلى هذا الإلـه الطفل المعربد « أمور ! » أو « كيوبيد » ذي الجناحين

إن أجبتم دعوتي فسترون أن الجمهور يقبل على الفصاحة وينصرف عن التهريج

كان في عصر شوقي وحافظ ألف زجّال وزجّال ، فإلى من استمع الشعب المصري ؟ استمع إلى الزجالين ونام عن شوقي وحافظ !

اتقوا الله في وطنكم بادعة العامية بهذه البلاد ، فإن لم تتقوا الله في وطنكم فاتقوه في أنفسكم ، قبل أن تحل عليكم عواقب الإهمال

وما أقوله عن المصريين أقوله عن إخوانهم في سائر الأقطار العربية ، وهي أقطار تنتظر من يسمو بها إلى أرفع منازل البيان

لقد جدّت بنا الأيام ، والأيام لا تعرف الهزل ، فلينصرف الهازلون عن إفكهم المرذول ، إن كانوا يعقلون

اللغة الفصيحة هي لغة العرب في هـذا العهد وفيما يليه من العهود ، فليعرف من لم يكن يعرف أن اللغة العامية لغة العوام لا لغة الخواصّ ، وأن العرب قد برئت عيونهم من غشاوة الإسفاف والابتذال

***

أنا أدعوكم إلى الاحتفال بعيد اللغة العربية ، فقد انتصرتْ على أبنائها ، لا على أعدائها ؟ فما كان للغة العربية أعداء غير أولئك الأبناء

في انجلترة وألمانيا وفرنسا وإيطاليا إذاعاتٌ عربية لا تعرف غير اللغة الفصيحة ، لأنها تريد أن تخاطب العرب بلغتهم الدولية لا المحلية ، واللغة الفصيحة هي لغة العرب الدولية ، كما يفهم الأوربيون والأمريكيون ، وهم أهل الخبرة بطبائع النفوس في هذا الجيل

اسمعوا صوت الزمن ، إن لم تسمعوا صوت الحق ، واحتفلوا معي بعيد اللغة العربية في عيد القمر ، وهو عيد التضحية ، وفيه لوفاء .

زكي مبارك

والكنانتين ، يصيبه منهما بسهم ذهبي فيخفق فؤاده بحب إما ؛ يُريشه بسهم « رصاصى ! » فيلعن جميع بنات حواء ! عند ذلك تأتى موسيقاه (زائطة) أو (نشازاً) ، ويكاد الإنسان يفضل عليها موسيقا (الزمار البلدى !)

ترى ... لو أن الأستاذ الحكيم كان قد فرغ إلى فنون التصوير والنحت والموسيقا كما فرغ اليوم إلى (فن الأدب) فأى ثروة كان يستطيع أن يمد بها هذه الفنون الناشئة اليوم فى مصر ، وأى حياة كان يشيعها فيها ؟

لقد نشأ الحكيم ذوقه الأدبى فى أبهاء متحف اللوفر بفرنسا ، ولا داعى مطلقاً لأن نكتب ما كتبه هو عن ذلك فى (زهرة العمر) ذلك المفتاح السحرى الذى يسلك بك إلى جنة توفيق الحكيم ، وإلى جحيمه أيضاً ... فاسمع إليه يقول لصديقه أندريه ، أو يدعى أنه يقول له ، وذلك بعد أن أخبره أنه ذهب إلى اللوفر كعادته ، وأنه ينفق اليوم بطوله هناك ، وأنه يخصص يوماً كاملاً لكل قاعة من قاعاته ، لأنه ليس سائحاً متعجلاً ... (إنى أبحث أمام كل لوحة عن سر اختيار هذه الألوان دون تلك ، وعن مواطن برودتها وحرارتها ، وعن رسم أشخاصها وبروز أخلاقهم واتساق جوعهم وحركتهم وسكونهم ؛ كل لوحة فى الحقيقة ليست إلا قصة تمثيلية داخل إطار ، لا داخل مسرح ، تقوم فيه الألوان مقام الحوار . إنى لأكاد أصغى إلى أحاديث الأبطال وهم على الموائد فى أفراح (قانا) لوحة (فيرونيز) ، وأكاد أسمع ضجيج الحاضرين وصياح الشاربين ورنين الكؤوس وخرير النبيذ يفرغونه من دن إلى دن . إن طريقة إبراز كل هذه الحياة بالريشة لقريب من طريقة إبرازها بالقلم . إن أساس العمل واحد فيهما ... الملاحظة والإحساس ثم التعبير بالرسم والتلوين ، بل إن الروح أحياناً ليتشابه . لطالما وقفت عيناى طويلاً على صفحات ناثر أو شاعر ، وأنا كالمأخوذ ، أخص السطور بيدى لأتبين إن كانت من مداد أو من أثير[1] ...)

وهذا تعبير صادق عن طريقة توفيق الحكيم التى يتناول بها

(١) ص ٤٨

قطعه الأدبية الرفيعة . إنه يصنع بها ما يصنع المثال أو المصور ، يتناولها من كل جانب ، وينظر إليها من جميع نواحيها ، فإذا لم ترقه بعد ذلك كله ، سهل عليه أن يمزقها : ففى أكثر من موضع من كتابه يحدثك عن القصص الحوارية التى أتمها ثم لم تعجبه فمزقها ... كما يحدثك عن هذه الاختبارات التى كان يجريها على بعض تلك القصص ، بإعطائها بعض الأدباء الفرنسيين ليُروا رأيهم فيها ، ومن هؤلاء هذا المسيو (هاب) الذى كان يعذب الحكيم دائماً بهذه القولة : (نعم ... نعم ... لديك موهبة الحوار ... ولكن ... !)[1] وكانت ... لكن ... هذه تعصف بنفسه كما تعصف يد الطفل بعنق الكتكوت ! ... وقد قالها ناقد آخر غير المسيو هاب بعد أن قرأ قصة أبلغها الحكيم إلى خمسمائة صفحة ، حيث قال : (أفكار كثيرة وموهبة فى الحوار ... لكن ... !) فما كان من صاحبنا إلا أن مزق هذه القصة أيضاً !

هكذا كان الحكيم يُنشِّئ فنه وأدبه ... وكان له أستاذ فى الفن ، هو رجل فقير كان يقنع منه بأجر تافه لايعدو الأكل والشرب (من أوسط ما يطعم هو ويشرب !) على أن يصحبه إلى المتاحف والميادين والمتنزهات ، حيث يشرح له دقائق الفن ويُبصّره بأسراره ، ... وهنا تتحشرج الكلمات فى صدر قلمى ... لقد قتل الحكيم أستاذه هذا بعد أن استغنى عنه ... لقد جاءه الرجل فى ليلة عاصفة شديدة البرد وهو يرتجف ... ويطلب ديناراً يقيه القر ... (فلم أرد عليه بكلمة ... ولكنى أخرجت له ورقة مالية صغيرة ووضعتها فى كفه كأنه شحاذ ، فرفع الشيخ قبعته شكراً وانصرف صامتاً ... !) وإذا أحببت يا صديقى القارئ أن تدخل جحيم الحكيم فاقرأ هذه المأساة (ص ٧٤) ، لأنى لا أوثر أن أدخلها معك !

بَصّر هذا الرجل الفنان الذى كان يربى على الثمانين أديبنا العظيم بدقائق الفن ، وأطلعه على أسراره ، كما بصره المسيو هاب بالأدب الكلاسيكى كله ، أو أحسن روائعه ... فهل تدرى من بصره بالموسيقا ؟ ... إنها عجوز شمطاء ... إنها أم المسيو

(١) ص ١٩٩

أندريه الذى يقول لنا الحكيم إن هذا الكتاب الكبير الجميل هو الرسائل التى كتبها إليه من فرنسا إلى فرنسا ... ومن الإسكندرية إلى فرنسا ، ومن طنطا ومن دسوق إلى فرنسا أيضاً . فلقد كان الحكيم يجرها من المطبخ بفوطتها لتجلس إلى البيانو حيث تغنى له من « كارمن » ومن « فاوست » ومن « أجراس كورنفيل » ... إلى أن عرف طريق دار الأوبرا والأوبرا كوميك ثم قاعات الكونسير « كولون » و « جافو » و « بادلو » فلم يعد إليها بعد ذلك قط[1] ! أى كما صنع مع الشاعر الفنان البرناسى تماماً ... وهنا أيضاً تتفتح أبواب جحيم الحكيم ، فاختر لنفسك أيها القارئ !

ولست أدرى لماذا لا نشبها جذعة بين موسيقيينا وبين توفيق الحكيم بمناسبة جزاء سنمار الذى لقيته هذه الأستاذة العجوز على يديه بعد أن كانت السبب فى معرفته الأوبرا والأوبرا كوميك والسيمفونيات وبتهوفن ! أيها الموسيقيون المصريون اعلموا أن الأستاذ توفيق الحكيم لا يطرب لكم ، بل هو يضيق بكم ، فهو يقول ، وتستطيعون أن تجدوا هذا الكلام فى كتابه زهرة العمر ص ١٦٦ « ... أغالط نفسى ؟ أخشى أن يكون حبى للموسيقا الأوربية مصدره أنها قبل كل شىء بناء ذهنى . ذلك أن موسيقانا ، وهى قائمة على الطرب والتأثير المادى ، لا تسترعى منى اليوم أى التفات . الواقع أن الموسيقا الأوربية بناء فنى ذهنى ، شأنها فى ذلك شأن القصة التمثيلية ، والهندسة المعمارية ... بل شأن المذهب الفلسفى والتفكير الرياضى ! . » فما قول الأساتذة محمد عبد الوهاب ورياض السنباطى والقصبجى وفاضل الشوا فى هذا الكلام العجيب عن الموسيقا ؟ ! ومتى يحظى منكم الأستاذ الحكيم بشىء من المعادلات الجبرية وحساب المثلثات والجذور التكعيبية وقوانين طورشيلى وفيثاغورس ، وجابر بن حيان والبيرونى تبثونها له فى ألحانكم لترتفعوا بها عن الطرب والتأثير المادى ؟ ! لست أدرى كيف تكون الموسيقا التى لا تطرب ؟ ولست أدرى كذلك كيف يكون تأثير الموسيقا مادياً ؟! أعترف أولاً

(١) ص ٦٩

أننى لا علم لى مطلقاً بالموسيقا كعلم ... بيد أنى أطرب ، وهذا ما يعيبه الأستاذ الحكيم على الموسيقى الشرقية — كموسيقا عبد الوهاب والسنباطى والقصبجى وفاضل الشوا ، وكثيراً ما أكتفى بالإصغاء إلى المقدمات الموسيقية عن الغناء ، لكننى ما أحسست مرة أن يدى أو رجلى أو ظهرى مثلاً أو أى عضلة من جسمى هى التى وقع عليها التأثير الموسيقى ؛ بل الذى كان يتأثر فى كل مرة هى روحى :.. أى أعصابى ... والذى أعرفه أن المخ هو مركز الأعصاب كما أنه مركز الذهن . مع علمى بأن جدلاً كثيراً يدور حول هذه الحقائق النسبية ... فكيف إذن يريد الأستاذ الحكيم أن تقوم موسيقا على غير التطريب ؟ وماذا يعنى بقوله إن الموسيقا الشرقية تقوم على الأثر المادى ؟ ! أنا أفهم أن يقال إن الموسيقا الشرقية ما تزال متأخرة بل جامدة برغم ما أنشأ فيها عبد الوهاب والسنباطى والقصبجى وفاضل الشوا وغيرهم من كرام الموسيقيين ، ولكنها تستطيع مع هذا ، أن تقف على قدميها إلى جانب الموسيقا الغربية ، وتستطيع أن تفاخرها بميزات (روحية) ليست لها ... أخشى يا حضرات الموسيقيين الشرقيين عبد الوهاب والسنباطى والقصبجى والشوا أن يضحك الأستاذ الحكيم ملء شدقيه من كلامى هذا عن الموسيقا الشرقية التى ابتدعتم فيها الأعاجيب فماذا أنتم صانعون ؟

على أننى أحب أن ألفت نظر سائر الفنانين المصريين إلى ثورة الأستاذ توفيق الحكيم عليهم وإزرائه بهم ... الأستاذ الحكيم الذى يرى ... « أن الفنان هو الكائن العجيب الذى يجب أن يلخص الطبيعة كلها بمادتها وروحها فى ذاته الضئيلة المحدودة ... ذلك الكائن الذى يعيش فى داخله الحيوان ... والإله جنباً إلى جنب[1] ! ... »

لله ما أبدع هذا الكلام وما أروعه ! لقد عاد توفيق الحكيم إلى مصر من فرنسا ، فزعم أنه عاد إلى الصحراء[2] ! الصحراء التى لا تعرف الحياة الفكرية . لقد تعب من كل شىء ، ومن كل إنسان ، ويئس من أن بلداً كمصر يصبح فى يوم قريب ذا حياة فكرية ؛ لأنه لا حياة فى مصر لمن يعيش للفكر . إنه يزيد

(١) ص ١٢٠ (٢) ٩١

تحطيم كل شيء، ليهيم على وجهه فى بلاد الأرض، لا تحده غاية ولا توقفه غاية، ولا يوقفه غرض[1]! إنه يطلب إلى صديقه أن يحدثه عما عندد فى الشاطىء الآخر المائج بأضواء الحياة الفكرية[2]، وهو يخبره أنه حينما عاد إلى الشرق — أى مصر — أصابه بادىء الأمر ذهول، ذهول عن أندريه وعن كل شيء، كمن وقع من السحاب حقيقة، ثم أخذ يتصفح الوجوه والأشياء حوله. يا لها من حقيقة مؤلمة! لقد رأى نفسه فى شبه عالم نائم. لقد شعر بما قد يشعر من يهبط سطح القمر الأجرد المعتم، وعاش بضعة شهور بغير نفس ولا إدراك. وحينما ألقى إليه خطاب من أندريه أفاقه من (أفيون الشرق!) فرأى أنه فى حاجة إلى شخص يهز له المصباح من الشاطىء الآخر[3]، لأنه يعيش فى صحراء[4] يصيح فى أرجائها. وأنه يتألم آلام من يعيش فى غير عصره.

« قد تسألنى أليس فى مصر طبقة المستنيرين؟ نعم في مصر طبقة مستنيرة فيها كثيرون عاشوا فى أوربا وعرفوا الثقافة الأوربية، وفيهم من يعرف الفن الأوربى ويتكلم عن المصورين والتصوير، ومن يتكلم حتى عن برامس وباخ وهاندل. ولكن النادر أن تجد بين هؤلاء من عرف أن الثقافة الحقيقية شيء والكلام فيها شيء آخر ... إن هؤلاء المتكلمين فى الموسيقا والتصوير والفنون يعرفونها برؤوسهم ولا يدركونها بحواسهم. إن المطلوب للثقافة ليس مجرد المعرفة بل الإحساس والتذوق والتغذى بمختلف الفنون... الثقافة ليست كلاماً تملأ به الرؤوس ولكنها يقظة الملكات كلها والحواس. إذا سلمت بقولى هذا فلا أبالغ إذا قلت لك أن ليس فى مصر عدد أصابع اليدين من المثقفين[5] »

ولست أدرى إذا أردنا أن نحصى هؤلاء التسعة أو الثمانية المثقفين فى مصر فكم منهم يكون من فئة المصورين وكم يكون — أو يكونون — من فئة الموسيقيين، ثم من المثالين والممثلين ورجال الأدب والفكر والصحافة والمسرح (مؤلفين ومخرجين ومهندسين ...)

ولست أدرى ماذا يريد الأستاذ توفيق من النزول بمصر العزيزة والشرق الناهض إلى مراتب البيد، وبعدد المثقفين فى نظره إلى ما دون العشرة مع أن مصر والشرق بخير، وهما يمجان بالمثقفين الذين تنطبق عليهم شروطه الثقافية انطباقاً تاماً ومع أن عدد المصورين وحدهم يربى فى مصر وحدها على الثلاثة أو الأربعة، وعدد المثالين يزيد على الأربعة أو الخمسة، وعدد الموسيقيين يزيد على الإثنين أو الثلاثة، وعدد الأدباء يزيد وحده على الثمانية أو التسعة — والأستاذ الحكيم منهم بالطبع بل فى مقدمتهم، وعدد المخرجين المسرحيين يقارب الثلاثة، وعدد الممثلين والمغنين والمغنيات يزيد على الستة ... وإن كان عدد المؤلفين المسرحيين لا يصح أن يجاوز الواحد ... وذلك عند ما يؤلف توفيق الحكيم للمسرح

لولا مغالاة الحكيم فى التشاؤم ... لكان كل ما قاله فى زهرة العمر حقاً ... ولا سيما هذا الكلام الذى قاله عن الأدب العربى واللغة العربية وأساليب الكتابة العربية، مما يحتاج حديثاً آخر، وليتأخر الكتاب على الأستاذ الزيات أسبوعاً ثالثاً، فما أكثر الهدايا التى تصل إلى الرسالة من المؤلفين اليوم.

دريني خشبة

(١) ص ٩٢ (٢) ص ٩٥ (٣) ص ١١٠ (٤) ٢١٠ (٥) ٢١٣

من سير الرجال

حسن حسنى الطويرانى

الصحافى الكاتب الشاعر

١٨٥٠ — ١٨٩٧ ميلادية

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

سأل الأديب على الشوكانى من بغداد فى العدد (٥٤٤) من الرسالة عن الصحافى الشاعر حسن حسنى الطويرانى ، ورجا من قراء الرسالة أن يتفضل أحدهم بأن يروى قصة هذا الشاعر المغمور (فى نظر السائل المحترم)

وعجيب جداً أن يُنسى أديب عربى مشهور ، وصحافى ذائع الصيت ، وشاعر قوى العبارة ، ولما يمض على وفاته نصف قرن كامل ؛ فكيف إذا خبَّ المطيُّ به عشرات القرون ؟

ولعل للسائل عذراً فى ذلك ، فنحن هنا - أعنى فى الشرق - ننسى ونمعن فى النسيان حتى يفتح الله علينا برجل غربى مستشرق ينبهنا ويوقظنا من غفلاتنا الطوال ، ويأخذ بأيدينا - أو بيده هو - على مواضع من تاريخنا وسير رجالنا ... والأمثلة على ذلك كثيرة

على أن للسائل الفاضل فضلاً فى سؤاله ؛ فقد أتاح لي فرصة للتعريف برجل كاد النسيان يطوى مساحبه على ذكره ، لولا أشتاتٌ جمعتُها من هناك ومن هنا ، وتعبتُ فيها راجعاً إلى أكثر من كتاب ما بين (تاريخ الصحافة العربية) للكونت فيلب طرازى (والأعلام) للزركلى ، (وتاريخ آداب اللغة العربية) لجورجى زيدان (وديوان ولى الدين يكن) ، (وفارس الشدياق) للشيخ بولس مسعد (وديوان العقد) للشيخ ابراهيم اليازجى وغيرها

والمترجم له مصرى بمولده تركى بأصله ؛ ويرجع إلى أسرة تركية كريمة تنتهى إلى على باشا الكبير أحد أمراء الأتراك فى مقدونية . ولقد شهدت القاهرة مولده سنة ١٨٥٠ ، كما شهدت القسطنطينية وفاته سنة ١٨٩٧ فعاش فى هذه الدنيا سبعة وأربعين عاماً ملأها بالبحث والتحصيل فى أول حياته ، والتأليف والتصنيف فى بقية عمره ، وهو فيما بين ذلك يتنقل من أرض إلى أرض وتسلمه بلد إلى بلد ؛ لا تثنيه مشقة فى سفر ، ولا يصده عناء فى رحلة . فطاف فى كثير من بلاد آسيا وأفريقية وأوربا الشرقية ، ويعبر هو نفسه عن تطوافه بقوله :

شرَّق النسر وغرَّبْ ... وتتركْ وتعــرَّبْ
فتحـــرى وتدرب ... وتنـاءى وتقرب
وثنى أطرى وأطرب ... فهـو نصاح مجرب
وهو إن أعرب أغرب ... وهو إن أعجم أعرب

وهو فى ذلك يذكرنا بالأعشى فى قوله :

وطوفت للمـال آفاقه ... عمـان فحمص فأوريشلم
أتيت النجاشي فى أرضه ... وزرت النبيط وأرض العجم

وفى سن الثلاثين كانت قد انعقدت له شهرة لا بأس بها فى الشعر والأدب والكتابة ، فأقام فى القسطنطينية وأخذ يحرر فى صحفها المشهورة ما بين عربية وتركية ؛ فلقد كان بارعاً فى اللغتين متفوقاً فيهما حافظاً للكثير من روائع أدبهما

وكان فى الرجل نزعة دينية قوية فأنشأ فى العاصمة التركية مجلة « الإنسان » سنة ١٨٨٤ ، وكانت تصدر فى كل شهر مرتين فى أربع وعشرين صفحة لخدمة الإسلام أولاً ، ولخدمة العلوم والفنون والزراعة والصناعة ثانياً ؛ ولكن الحوادث دعتها إلى الاحتجاب بعد أن ظهر منها ١٩ عدداً ؛ ولكنها عادت بعد سنة تقريباً إلى الظهور فى شكل جريدة أسبوعية ، وظلت إلى سنة ١٨٩٠ ، حينما عطلها صاحبها بنفسه مختاراً يعود إلى مصر مستأنفاً جهاده فى سبيل الصحافة العربية

ومن الصحف التى حررها المترجم له فى القسطنطينية جريدة « الاعتدال » ، وخاصة في أول إنشائها ، وجريدة « السلام » . والأولى كان يملكها أحمد قدرى المترجم العربي للسلطان عبد الحميد ؛ والثانية كانت للحاج صالح الصائغ ، وهما عربيتان . أما الجرائد التركية التى اشترك فى تحريرها ، فأهمها « ارتقا » و « زمان »

وكان للمترجم له نشاط عجيب في إصدار الصحف وتحريرها كما كان نشاطه في التأليف أعجب ، وما ظنك برجل صحافي يشتغل بالسياسة والتحرير ومشكلات عصره ، ويطالع قراءه كل يوم أو كل أسبوع أو أسبوعين بمقال في الصحيفة التي يعمل فيها أو يملكها ؛ ثم يجد من الوقت ما يتسع لتأليف ستين كتاباً في اللغة العربية وعشرة كتب في اللغة التركية ؟ وبعض هذه الستين مطبوع وبعضها مخطوط ، وبعضها في مجلد واحد وبعضها في ستة مجلدات ، مثل كتابه « صولة القلم في دولة الحكم »

ومناحي الرجل في التأليف تغلب عليها الروح الإسلامية القوية ، فقد كان مستقيم العقيدة متين الدين ، وكان فيه حكمة مضيئة ونظرة إصلاحية صحيحة . أليس من كتبه (النصيح العام ، في لوازم عالم الإسلام) ؛ ثم ألا يذكرنا هذا الكتاب بكتاب الأمير شكيب أرسلان (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم) ؟ . وله فوق ذلك كتاب (الصدع والالتئام ، في أسباب انحطاط وارتقاء الإسلام) ، وكتاب (الأخاء العام ، بين شعوب أهل الإسلام) . ولكن هذه الأخوة التي سعى إليها صاحبنا كانت في ظل الحكم التركي حتى على قساوته وظلامه . فقد كان داعية له في كل ما يكتب مدافعاً عنه في كل مناسبة

فلما قام الشيخ إبراهيم اليازجي اللغوي المشهور في الثورة العرابية المصرية داعياً إلى تنقص الترك والإشادة بذكر العرب في قصيدته السينية المشهورة قام حسن حسني الطوراني يرد عليه بقصيدة من البحر والقافية يقول فيها :

دع عنك خائنة الوساوس   فالذل عاقبة الدسائس
واخش الكلام فكم جنت   حرب البسوس وسبق داحس
ماذا تريد بشنها   دهياء توحش كل آنس ؟؟

ولكن قصيدة اليازجي كانت قاسية على الترك شديدة اللهجة ففيها يقول :

قوم لقد حكموا بكم   حكم الجوارح في الفرائس
كم تأملون صلاحهم   ولهم فساد الطبع سائس
ويغركم برق المنى   جهلاً وليل اليأس دامس

أو ما ترون الحكم في   أيدي المصادر والمكاس
وعلى الرشى والزور قد   شادوا المحاكم والمجالس

وكان اليازجي في أثناء الثورة العرابية واقفاً للترك بالمرصاد يحط من أقدارهم ويصف من أفعالهم ما يبغضهم إلى العرب . ولعل أعنف قصائد اليازجي — والشيء بالشيء يذكر قصيدته البائية التي يقول فيها :

أقداركم في عيون الترك نازلة
وحقكم بين أيدي الترك مغتصب
فليس يدري لكم شأن ولا شرف
ولا وجود ولا إسم ولا لقب
فيالقومي ؛ وما قومي سوى عرب
ولن يضيع فيهم ذلك النسب

والقصيدتان في ديوان العقد لإبراهيم اليازجي ص ٥٦ ، ٥٩

وكان في أخلاق الطوراني شدة وحدة في المزاج ؛ ولعله رحمه الله كان قليل البقاء على حال واحدة ؛ فكنت تراه اليوم في جريدة وتراه غداً في غيرها ؛ لا تقلباً منه في مبدئه ، ولكن تعصباً منه في رأيه أو ترفعاً منه عن الزلفى لحاكم أو الخضوع لذي جاه ؛ وذلك هو السر في تعطيل بعض الصحف التي أصدرها

ولا يزال سجل الصحافة المصرية ـ إن كان لها سجل ! ـ يذكر لصاحبنا جريدة « النيل » ومجلات « الشمس » و « الزراعة » و « المعارف » والأولى أنشئت في القاهرة في أواخر سنة ١٨٩١ أي بعد عودته إلى مصر من القسطنطينية بعام واحد ؛ أما الشمس والزراعة فقد أنشأهما سنة ١٨٩٤ . والثانية أسبق من الأولى ببضعة أشهر في الظهور

كان لصاحبنا علاقات طيبة مع أفاضل الرجال في زمانه كما كان له صلات ود مع أعظم الأدباء في عصره ، ولم يكن في قلمه تلك الصرامة والسلاطة التي امتاز بها رجل كأحمد فارس الشدياق صاحب مجلة الجوائب . إلا أن العلاقة بين الرجلين الكبيرين كانت أمتن ما تكون صلة ، وأحكم ما تكون ارتباطاً . فقد رثى الطوراني أحمد فارس الشدياق حين وفاته سنة ١٨٨٧م بقصيدة بائية من البحر البسيط وأرخ في الشطر الأخير منها

وفاته سنة ١٣٠٥ من التاريخ الهجرى . كما نماه فى مجلة (الإنسان) التى كان يصدرها فى القسطنطينية يومئذ فى عبارات من السجع الذى كان طابع الكتابة العربية فى ذلك الحين . إلا أنه فى بعض مواضع من النعى عاد إلى الكلام المرسل (غير المسجوع) كقوله فيه [حكيم السكوت وقور الكلام متواضع الجانب عميق الفكر قوى الحجة كبير الهمة ... إذا رأيته رأيت علماً متجسما ، ومكارم أخلاق قد حلت فاستحالت إنساناً كاملاً]

ولما مات حسن حسنى الطويرانى باشا رثاه الشعراء ، ولم يرثه أمير البيان شكيب أرسلان مع أنه رثى فارس الشدياق قبله ورثاه الشاعر الرقيق ولى الدين بك يكن بقصيدة تبلغ سبعة عشر بيتاً قال فيها :

يا قبر عندى طية عرضت لمن استضفت فزحزح السترا
قد كنت قبل اليوم أقصده أهدى إليه النظم والنثرا
لانطرحن وإن نوى «حسن» بعد النداغ فوقه الصخرا
أبكيك ما ذكر الورى أثراً ووعى الخلود لفاضل ذكرا
أبكيك ما جرت البراعة فى ميدانها وستطردت سطرا

والقصيدة فى ديوان ولى الدين يكن ص ٦٩ ؛ وفى البيت السابع منها نقص وصحته :

قال النعاة طوى الردى حسنا قلت ادعوه فقد طوى الدهرا

وبعد هذا البيت بيت ثامن لم يرد فى الديوان ؛ والتصويب عن الكونت فيليب طرازى . وهو :

وطوى الطبيعة بعده وطوى ما بعدها حتى طوى النشرا

* * *

هذه لمحة خاطفة عن حياة حسن حسنى الطويرانى باشا ، وفى العدد الآتى من الرسالة أرجو أن يتسع المقام لدراسة شعره بشيء من التفصيل .

محمد عبد الغنى حسن

اضطراب التعليم في الأزهر

بين القديم والحديث

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

لم تعمل اللجنة التي ألفت للبحث فى أسباب فساد التعليم فى الأزهر شيئاً ، بل لم تكد تجتمع حتى اختلف أعضاؤها خلافا شديداً ، لأن النظام الحديث الذى قضى فيه الأزهر ما يقرب من نصف قرن لم يعمل شيئاً فى توحيد آرائنا فى الإصلاح ، وتكوين الانسجام الواجب بين أهل البيت الواحد ، بل تركنا كما كنا قبله كثرة ترى الجمود على القديم فرضاً ، وقلة تمقت القديم وتبغض الجمود ، وترى أن آثاره الباقية فى الأزهر هى السبب فى فساد التعليم فيه

وبهذا تزعزع الإيمان بين الطلاب بصلاح التعليم فى الأزهر ، حتى تملكتهم الحيرة ، واستولى عليهم اليأس ، فهم لا يزالون يرون القديم آخذاً بخناقهم ، ولا تزال أساليبه فى التعليم مفروضة عليهم ، ولابد لهم من الأخذ بها فى دروسهم وامتحاناتهم ، لأن الطالب اذا لم يأخذ بها لم يمكنه أن يمضى فى التعليم ، ولا يلبث أن يرسب فى الامتحانات ويطرد من الأزهر وفروعه ، ولكنهم يسمعون كل يوم نقد هذه الأساليب القديمة ، يلقيه عليهم أنصار الإصلاح فى دروسهم ، ويقرءونه فى بعض الكتب الحديثة المقررة عليهم ، وفيما يطالعون من الكتب والجرائد والمجلات ، ويسمعونه فيما يُلقى عليهم من المحاضرات ، وقد تأثروا بكل هذا ، حتى صاروا لا يؤمنون بفائدة هذه الأساليب القديمة ، وأصبحوا لا يستسيغونها بعد أن تغيرت أذواقهم بما يطالعون من الأساليب الحديثة ، لأنها تختلف كل الاختلاف عن الأساليب القديمة ، فمن يتذوق إحداهما لا يمكنه أن يستسيغ الثانية ، ولا شك أن النجاح فى شىء من الأشياء إنما يقوم على أساس الإيمان به ، فاذا فقد الإيمان به كان المضى فيه عبثاً ، ولم يمكن الحصول منه على ثمرة نافعة

وقد كان الطلاب فى الأزهر قبل النظام الحديث يؤمنون بالقديم كل الإيمان ، لأنهم لم يكونوا يسمعون شيئاً من نقده ، ولم يكن الكلام على الإصلاح الحديث قد وصل بعد إلى أسماعهم ؛ وكانوا يقضون كل أوقاتهم بين جدران الأزهر ، فلا يختلطون بغيرهم ممن تربوا تربية حديثة ، ولا يستمعون إلى محاضرات علمية أو أدبية تلقى فى ناد أو محفل ، وكانوا لا يعرفون إلا أساليبهم القديمة فى التعليم ، ولا يدرسون إلا العلوم القديمة وكتبها ، فألفوا أساليبها وألفتهم ، وامتزج حبها بنفوسهم ودمائهم ، وآمنوا بفائدتها إيماناً لا يشوبه شك ، لأنهم لم يطالعوا من آثار الحديث ما يزعزع عقيدتهم فى القديم ، أو يؤثر على أذواقهم التى تألفه وتستسيغه

وقد كان لإيمانهم بالقديم على فساده ثمرته فيما أخرجوا لنا من كتب تدل على براعتهم فى قديمهم ، وأنهم كانوا يتقنونه كل الإتقان ، ويجيدون أساليبه كل الإجادة ، وقد أخرجوا لنا من تلك الكتب ما لا يحصى ولا يعد ، ما بين مختصرات بلغوا الغاية فى اختصارها إلى حد التعقيد الذى كانوا يعشقونه ، ويتنافسون فى طلب فهمه وحل رموزه ، وما بين مبسوطات بذلوا فيها كل جهودهم فى التعليق على تلك المختصرات . وقد بلغ من عنايتهم بذلك أنهم كانوا لا يكتفون بشرح واحد على مختصر ، بل كانوا يضعون على المختصر الواحد ما لا يحصى من الشروح ، ثم يضعون على تلك الشروح ما لا يحصى من الحواشى ، ثم يضعون على تلك الحواشى ما لا يحصى من التقارير ، حتى ملأوا دور الكتب بمؤلفاتهم ، وضاقت رحابها على سعتها بآثارهم

وليت الأمر وقف بطلابنا الآن عند تلك العوامل التى زعزعت إيمانهم بالتعليم فى الأزهر ، بل هناك عامل آخر قضى

عليه كل القضاء، وهو عامل له خطره على الأزهر وأهله، لأنه قد حدا ببعض طلابنا أن يجعلوا من الأزهر وسيلة تعدهم لمعاهد أخرى لا صلة لها به، ويجعله في منزلة مدرسة ثانوية تعد الطلاب لما بعدها، فيصبح وليس هو الأزهر الجامعة الكبرى للمسلمين، وليس هو الأزهر الذي يجب أن يخرج لنا فطاحل العلماء، وأئمة الدين

فقد رأى طلابنا بعد أن أخذوا بالنظام الحديث أنهم صاروا أهلاً لوظائف الدولة، لأنهم درسوا فيه العلوم الحديثة التي تؤهلهم لهذه الوظائف، ولكنهم حينما يقصدون من بيدهم أمرها يجدونهم ينظرون إليهم كما كانوا ينظرون إلى أهل الأزهر القديم، ولا يسمحون لهم بشيء منها إلا بشق الأنفس، وبعد شفاعات ووساطات تذهب بكثير من كرامتهم، وتجعلهم يسخطون على التعليم الذي يزهد الناس فيهم، ولا يجعلهم يرغبون فيهم كما يرغبون في غيرهم، وتذهب بهذا البقية الباقية من إيمانهم به، وقد بدا أثر هذا العامل عليهم فيما يطلبه أبناؤنا في كلية اللغة العربية من فتح باب معهد التربية لهم، ليتخلصوا في نهاية أمرهم منا، ويصيروا إلى من بيده أمر تلك الوظائف، وهذا أمر له ما بعده، وستكون نهايته إن صبرنا عليه سعي الطلاب جميعاً في التخلص منا

فيا قوم إذا كنتم تريدون الوصول إلى سبب فساد التعليم في الأزهر فهذا بيانه، وإذا كنتم تريدون إصلاحه فاعملوا على وضع تعليم يؤمن به الطلاب، ويؤمن به من يتصلون بهم من الذين تربوا تربية حديثة، ويوفق بين آرائنا المضطربة، ويقرب بين أذواقنا المختلفة، ويجعلنا كلنا نؤمن بالإصلاح والتجديد، ونتفق على كره الرجعية والجمود

ودعونا من هذا الترقيع بين القديم والحديث، فإن الثوب القديم يألف الناس لبسه ولو كان بالياً، أما الثوب المرقع من القديم والحديث فإنه لا يألف لبسه أحد، ومن يلبسه يكون ضحكة بين الناس. وقد مضت علينا أزمان ألفنا فيها القديم خالصاً، وكنا في عزلة عن الناس لا يروننا ولا نراهم، ولا نطلب منهم أن يولونا عملاً من أعمالهم؛ فكنا في راحة منهم، وكانوا في راحة منا، ولم يضطرب أمرنا هذا الاضطراب الذي يلفت الناس إلينا، ويجعلهم يتطاولون إلى أحوالنا، ولا يرضيهم إلا أن تكون مألوفة لهم

وما هذا الترقيع بين القديم والحديث؟ لقد صار بنا إلى أن ندرس في القديم ما ينقضه الحديث، وندرس في الحديث ما ينقضه القديم، فندرس مثلاً في تاريخ الفلسفة على الأسلوب الحديث أن الفلاسفة كانوا رجالاً من أرباب الفكر الحر، ونعد هذا مفخرة من مفاخرهم، فإذا تركنا تاريخ الفلسفة إلى علم التوحيد درسنا فيه على الأسلوب القديم، أن الفلاسفة أعداء الدين، ونفرنا الناس بكل وسيلة من فلسفتهم. وهكذا ندرس في تاريخ الأدب العربي على الأسلوب الحديث أن كتابة التدوين والتصنيف بدأت في الانحطاط من أوائل الحكم العثماني، فاخترع تأليف الحواشي والتقريرات والرسائل الخاصة بشرح قاعدة أو جملة أو قصيدة، وضعفت عباراتها وازدادت تعقيداً وغموضاً، حتى أصبح ذلك مما يتنافس فيه، ويظن في صاحبه العلم والدقة؛ فإذا تركنا تاريخ الأدب العربي وجدنا الكتب التي يذمها لا تزال هي الأساس الذي يقوم عليه التعليم في الأزهر

ولا شك في أنه لا يوجد تعليم في الدنيا أسوأ من هذا التعليم الذي ينقض بعضه بعضاً، ويوقع الطلاب في حيرة لا يدرون فيها شيئاً، ولا يوجد فيه من الانسجام ما ينسجم به بعضهم مع بعض، وما ينسجم به جميعهم مع الناس جميعاً.

عبد المتعال الصعيدي

حكم في القضية ٣٠٣ جنح عسكرية طنطا سنة ١٩٤٢ ضد الخواجه كوسته دلاس صاحب فرن بدسوق بتغريمه ٥ جنيه والنشر والتعليق والغلق ثلاثة أيام على مصاريفه وذلك لبيعه خبزاً بسعر أكثر من المحدد بالتسعيرة.

أزاهير على قبر « وزير »

مـــــوت الأديب !

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

[ليس التحديق فى لوح القدر
بأسهل من التحديق فى الشمس]
هنرى باربوس

توفى منذ عهد قريب الأستاذ عبد المسيح وزير الذى لا يجهله قراء « الرسالة » الأفاضل ، والذى كان فى ربع القرن الأخير يوالى عمله بشكل متواصل لتغذية اللغة العربية بدم جديد ، فأنشأ فى خلال هذه المدة من عمله مفردات خاصة ، وسبك تعبيرات ذات أثر فعال فى الناحية العسكرية والفنية والأدبية فى هذا الدور المهم من تاريخ تطور اللغة العربية الحديث ، كما أضاف ثروة لا تفنى إلى المفردات التى تصاغ الآن فى الحياة اليومية ، وجلا عن فن الترجمة وأظهره بأحسن مظهر

مات هذا الرجل فى بغداد ، فكأنه ورقة سقطت فى خريف ! سكتة قلبية ! أو ضنى أورثه طول الكد وقلة الراحة ! أو غير ذلك مما يعتور حياة الأديب فى بلاد الرافدين !

فماذا ترك وراءه ؟

لقد ترك أهله ومعهم لا شىء !

وما أكثر أن يخلف الإنسان لا شىء !

* * *

ليست حياة الأديب فى العراق ولا فى غيره من البلاد العربية التى لا تَفضُله كثيراً فى هذا المضمار بمجهولة السيرة . فإن أبخس ما يمكن أن يلقاه رجل الفكر والأدب فى حياته هو ما يكابده رجال الأدب فى بلاد الرافدين

هذه حقيقة واضحة تذكر فى كل مناسبة ، وأخص المناسبات لها بالذكر موت أديب !

والعجب فى حياة العزبة التى يحياها الأديب فى العراق أنها تتكرر فى الأفراد بهذا الشكل من جهة وتؤكدها من الجهة الأخرى معاملة الجمهور لأولئك الأفراد فى حياتهم وبعد موتهم

فقد عاش المرحوم عبد المحسن الكاظمى الذى كان أعجوبة دهره فى السليقة الشعرية فى مصر ، منكور الحق مهملا من العراق والعراقيين ، حتى مات ، فعرف عندئذ حقه المهضوم وأقيمت الحفلات التأبينية على روحه الكريمة ولذكراه التى لم يأبه لها أحد فى حياته !

فهل هو « الموت » الذى يقيم لهؤلاء الأدباء شأنهم ؟ وهل هو « جواز السفر » لتقدير أدبهم ؟

ليس الموت وحده فيما نظن هو الذى يسبغ على الأدباء قدسيته ، بل هو غرض الأحياء من « المتنفعين » فى أن ينتفعوا — بعد — من موت الأموات !

فقد مات « الزهاوى » الشاعر الذى تعدت شهرته حدود العراق والعالم العربى إلى أوربا ونسى بعد موته مباشرة

ومات « محمود أحمد » القصاص الأديب ، فلم يذكره أحد

ومات « خلف شوقى الداوودى » فلم يشعر به أحد !

وسيموت غير هؤلاء كما مات عبد المسيح وزير على حين فجأة ، فلا تقوم فى أنفس الناس عليهم سوى بعض ما يتكرم به المتكرمون ويكون أبعدهم فى الكرم من يقول : رحمة الله عليه !

* * *

هذا الرصافى : وهو الشاعر الذى كانت البلاد العربية بأجمعها تردد أناشيده وأغاريده فى وقت من الأوقات :

ما هى حياته الآن وما محصولها ؟

إنه يعيش كما يعيش النبات ، ولا يجد من يذكره ، ولعله يعد أيامه عداً !

وهذا « الصافى » أمثولة البؤس الحى ، تنطق أشماره به ، ولعله هو الآخر يحسب ما بقى من أيام حياته

هل يعجز العراق كله بأن يمد فى حياة هذين الأديبين — مثلاً — وأن يساعدهما على مد اللغة العربية ببعض الروائع ؟

جامع احمد بن طولون

للأستاذ أحمد رمزى بك
قنصل مصر فى سوريا ولبنان

[تتمة]

سبب ذلك الفتنة التى قامت بمصر ، وانتهت بمقتل الملك الأشرف ، خليل بن المنصور قلاوون ، فقد بدأت تلك المؤامرة فى جبال كسروان ، حينما عاد منها الأمير بيدا منصوراً أنا بك العساكر المصرية ، والتقى بالسلطان فى دمشق فأكرمه ، ثم تغير عليه فأسمعه القارص من الكلام فعقد النية مع بعض القواد على الفتك به ولم تسنح الفرصة إلا فى إقليم البحيرة ، عند عودة السلطان من الأسكندرية وقت انفراده بالصيد ، وقد ترتب على وفاة الأشرف المناداة بأخيه الناصر محمد فى العاشرة من عمره فقبض على بيدا ، وعلى من يميل إليه . واتجهت الشكوك إلى حسام الدين لاجين ، من أمراء الألوف وقواد الدولة ، فلجأ هذا إلى المنارة الحلزونية ، وأعطى الله عهداً – إن سلم من هذه المحنة ومكنه فى الأرض أن يجدد عمارة الجامع – وقد استجاب الله دعاءه ، فأناب الأمير علم الدين الداودارى ، وجعل إليه شراء الأوقاف التى على الجامع الطولونى ، وصرف إليه كل ما يحتاج إليه فى العمارة وأكد عليه ألا يسخر فاعلاً أو صانعاً ، وألا يقيم مستحثاً للصناع ، ولا يشترى لعمارته شيئاً مما يحتاج إليه من سائر الأصناف ، إلا بالقيمة التامة ، وأن يكون ما ينفق على ذلك من ماله وأشهد عليه بوكالته .

وقد أقام عمارة بالجامع وبالمحراب وبالقبة وبلطه وبيضه ، وخلد ذلك فى لوحة مكتوب عليها :

« أمر بتجديد هذا الجامع مولانا السلطان المنصور حسام الدنيا والدين لاجين »

ورتب فيه دروساً للفقه ودرساً للحديث ، ودرساً للطب ، وقرر للخطيب مرتباً وجعل له إماما ، ومؤذنين وفراشين وخدما ، وبلغت النفقة على العمارة عشرين ألف دينار

وفى المقريزى والسيوطى وابن إياس ما يدل على بقاء الأوقاف جارية والدروس وأسماء من تولى النظر عليه حتى نهاية الدولة المصرية ، وفى خطط على باشا مبارك ما يدل على ذلك فى أوائل العهد العثمانى .

ولقد استعمل المسجد آناً كملجأ للمغاربة ، وأخرى كمخزن

كلا ! على التحقيق

ولكنه يفضل أن يموت كلاهما لكي يقول عنه : رحمة الله ! لقد كان أديباً فذاً !

* * *

لا يملك الأديب أن يكتب فى رثاء « وزير » دون أن يكون فى طبيعة هذا الرثاء شىء من رثاء نفسه ، فالواقع أنه – كان – أمثولة حية للأديب العراقى فى بلاد الرافدين !

فقد كان موظفاً أفنى فى وظيفته ربع قرن بدون أن يحصل على أجازة يوم واحد ، ومات بعد كل ذلك فقيراً !

وحاول أن يقوم بأعظم خدمة يستطيع أن يقوم بها فرد نحو أمته ولغته ، وتجاهل جميع الصعوبات ، وانكب على تهيئة أعظم قاموس إنكليزى – عربى ، ولكن الصعوبات لم تتجاهله . بل انكبت عليه بأجمعها حتى اضطر أن يبيع ملازم الجزء الأول من قاموسه العظيم إلى باعة الجبن !

وكم كان يكسب لو أنه انصرف فى حياته إلى شىء غير الأدب فى هذا البلد ؟ وكم كان يسعد هو وأهله لو أنه وضع نصب عينيه – مثلاً – أن يقتنى سيارة لورى بدلاً من أن يكون الأول فى دراسة نظرية النسبية لأينشتين ؟

لقد كان « وزير » رمزاً حياً – حتى بعد وفاته ، للأديب العراقى فى كل صفاته المثلى

طاب ثراه ، وطابت ذكراه

(بغداد) عبد الوهاب الأمين

لحفظ القمح ، وفى عهد الملك السعيد أقام المأتم بمناسبة مرور السنة الأولى على وفاة والده الشهيد الملك الظاهر ، فكان جامع ابن طولون من المساجد التى اجتمع فيها الناس للعزاء آلافا .

ولو شئنا أن نعود إلى ما ذكرنا من كتب التاريخ رأينا أنه صلى فى هذا المسجد على بعض من مات من خلفاء العباسيين بالقاهرة الذين لا تزال قبورهم محفوظة بجوار السيدة نفيسة ، وكان آخرهم المتوكل على الله يعقوب الذى توفى فى آخر عهد السلطان الغورى .

ثم بدأ عهد تدهور المسجد حتى وصل إلى درجة خيف من سقوط سقفه ، وجار الناس على أطرافه حتى أصبحت المنازل تطل عليه ، وأخيراً توجهت إرادة المغفور له ملك مصر فؤاد الأول لإقامة الشعائر الدينية فى الجامع ، فصلى فيه صلاة الجماعة يوم الجمعة ٢٢ رجب سنة ١٣٣٦

ثم صدر النطق الكريم بوضع برنامج لإصلاح الجامع وتبليط الأروقة وتجديد البوائك التى اندثرت ، وإصلاح الطاقات ، ثم أعقب ذلك نزع ملكية المبانى التى شغلت جزءاً من الأروقة المحيطة به حتى يصبح المسجد خالياً من جهاته الأربع فى وسط ميدان عرضه من كل جهة عشرون متراً غير الميادين التى ستفتح أمام أبوابه

وفى سنة ١٩٢٦ فتحت الحكومة اعتماداً قدره ٤٥ ألف جنيه مصرى ، ثم أعقبها بأخرى ؛ فكان ما صرف على إعادة المسجد مبلغ ٩٠ ألف جنيه مصرى

والآن وقد تمت هذه الإصلاحات للجامع الطولونى ، فقد ظهر أهم الآثار العربية بالديار المصرية وأقدمها بمعالمه الحقة وأعيدت إليه الشعائر الدينية ، أدعو كل من قرأ هذه الكلمة إلى زيارته كلما توجه إلى مصر ، فهو أثر خالد لا تشبع العيون من رؤيته ، وفى العام الماضى فى أوائل المحرم ، وقد خرجت من المسجد بعد صلاة الجمعة ، وتقدمت من الخطيب . قلت : ألا تذكر صاحب الصرح العظيم بكلمة . قال : إن شاء الله سأجمل فى كلامى كل يوم جمعة رحمة ، أسأل الله أن تنزل على الأمير العظيم فى مرقده .

وإنى لأختم كلمتى بترديد شعر للمعتمد العباسى يرثى صاحب المسجد :

إلى الله أشكو أسى ... عرانى كوقع الأسل

على رجل أروع ... يرى فيه فضل الرجل

شهاب خبا وقده ... وعارض غيث أفل

شكت دولتى فقده ... وقد كان زين الدول

وذكر ابن خلكان : « وزرت قبره فى تربة عتيقة من الباب المجاور للقلعة على الطريق المتوجه إلى القرافة الصغرى بالمقطم » .

***

عسى أن توفق مصر للعثور على قبر أول عاهل استقل بها فى عهدها العربى .

أحمد رمزى

كل شيء قد خبا

للدكتور ابراهيم ناجى

ما ذا انتظارى ! كل شىء قد خبا
لم يبق لى فى الليل ما أتنفس
قدستُ حبك مُسْعَدًا ومعذبا
والآن جرحك فى الجراح مقدس !

حالت معالم حبنا وتنكرت
من ذا الذى يا قلب لم يتغير
نادى الرحيلُ فما استطعت وسمّرتْ
قدمى المقادر فى المكان المقفر . . .

قدمى تشبث بالبقاء وناظرى
فيما كتبتُ على أديم رمال
ما كان يجرى قبل ذا فى خاطرى
أنى خيالٌ عالقٌ بخيال

ذُبح النهار فى السماء موسدٌ
بسطت عليه الغاشيات ظلالها
طويت يد الراحات وامتدت يدٌ
حمراء تنشر فى الغروب نصالها

سفك الخريف دماءه فغمائم
حُمرٌ وأخرى فى الرياض أراقها
وكأنما الورق الشريد حمائم
هتك الذى صبغ السما أطواقها

يرنو له قلبى فيدمى ليثنى
لما استعان على هداكِ أعنته
الذنب ذنبى لا أمارى إننى
مالت علىّ رحى الهوى فطحنته

تحية ضائعة

للأستاذ صالح جودت

خمسةُ أعوام وقلبى حزينْ ... يحن للوكر الذى تعرفينْ
تخطر بى رُوحُكِ فيه كما ... تخطر رُوحُ الله بالطائفينْ
وكلما أقبلتُ ألفيْتُنى ... أعود للماضى فأنسى السنين
كأننا بالأمس كنا هنا ... ما بيننا والأمس غير اليقين
تسلل اليأسُ لخدر المنى ... فخانها الوهم شقى الجنين
فكل شىء ها هنا قائم ... كأنما كنتِ هنا منذ حين
وكل شىء عَدَمٌ ها هنا ... إن لم تكونى أنتِ فى الحاضرين
يا ليت شيئاً ها هنا لم يكن ... إلاكِ يا فرحة قلبى الحزين

***

فى ذلك الوكر وفى ظله ... يهيج بى الشوق ويصحو الحنين
أشم فيه عطرك المفتدى ... مستلقياً فوق وسادٍ أمين
وتلك مرآةٌ لها قصة ... لو قالها الزئبقُ تستغربين
خلفت فى بلورها صورةً ... من المِثال القُدُسى المبين
تنكرها الأبصار إلا أنا ... تحسبها عيناى فى الخالدين
وهذه زهرية طالما ... نَدَّيتِها أمس بعطف اليمين
ثار لهيب الورد من شوقها ... فاحترقتْ فيه مُنَى الياسمين
وها هنا كأسان نجواهما ... تحيةٌ فى حُلُمِ الشاربين
كأننى منكِ على موعد ... أناشد الغيبَ متى تحضرين
واسأل الباب أمَا طارقٌ ... وأنظر الساعة فى كل حين
فترسل الأحلامُ همس المنى ... وترسل اليقظة همس الأنين
كأننى فى قبر أحلامنا ... وكل شىء فيه حى دفين
يمشى إله الحب فى ركنه ... مهدم الروح شقى الجبين

أغنية الرياح الأربع

أخرج شاعر اللذة والجمال الأستاذ على محمود طه روايته المصرية الشعرية « أغنية الرياح الأربع » فى ثلاثة فصول تتسم بسمات الفن الرفيع الذى عرفه القراء فى كل ما صدر عن هذا الشاعر المبدع . وقعت حوادث هذه الرواية منذ أربعة آلاف عام على شواطىء البحر الأبيض من السواحل الفينيقية إلى السواحل المصرية . ولهذه المسرحية الباسقة الفروع الدانية القطوف نواة من أصل تاريخى عثر عليه الأثرى الكبير الأب « دريتون » عام ١٩٤٢ ، فنقله من اللغة المصرية إلى اللغة الفرنسية ؛ ثم نشره فى كتيب صغير قدم له بكلمة شارحة نقتطف منها ما يأتى :

« أغنية الرياح الأربع تقوم على الحوار ، فبعد أربع مقطوعات تغنى كلاً منها فتاة ، يدخل رجل فيحييهن ويشرع فى خطفهن ليستولى على الرياح الممثلة فيهن ، فيغريهن بإثارة الفضول فى نفوسهن ، وذلك بأن يعرض عليهن زيارة سفينته (وتلك كانت خطة البحارة الفينيقيين فى عهد هذه الأغنية يلجأون إليها عند ما يريدون اقتناص الجوارى من بلاد البحر الأبيض) ، ولما قوبل طلبه بالرفض ، لم يستسلم للهزيمة كما هو واضح من المقطوعة الأخيرة فى الأغنية « إن وسائلى لا تنفد » ، ولكن لسوء الحظ لم نعثر على تكملة الأغنية والوسائل التى لجأ إليها الرجل ، وأكبر الظن أنها مما يثير الشراهة (Gourmandise) التى تكشف مواطن الضعف فى النساء .

ويبدو من قراءة هذه الأغنية أنها لم تصل إلينا كاملة ، بل امتدت إليها يد التغيير ، تشهد بذلك مقطوعتها الثالثة التى تتغنى بريح الشرق فإنها تزيد على المقطوعات الأخرى ، وربما تعمد ذلك الذى قام بجمع أجزائها حتى تبدو هينة سهلة .

ومهما يكن من أمر هذا الحذف فإن هذه الأغنية قد وسعت من آفاق معارفنا عن أقدم نصوص الأدب المصرى وأضافت إلى معلوماتنا شيئاً جديداً جديراً بالتقدير .

ولسنا مغالين إذ نقول إنها أثبتت وجود شعر غنائى ملىء بالخيال والعذوبة فى مثل هذا العهد البعيد » .

<ins>ونص أغانى الرياح كما عثر عليه الأب دريتون :</ins>

تقول الفتيات إنهن أعطين هذه الرياح

فهذه ريح الشمال التى تطوّق بحر إيجه

والتى تمد ذراعيها فتبلغ أطراف مصر

والتى تخلد إلى النوم بعد أن تترك فى نفس الصديق البهجة

التى يأنس إليها[1] كل يوم

إنها ريح الحياة أعطيتها وبها أحيا

تقول الفتيات : « لقد أعطينا هذه الرياح »

وهذه ريح الشرق التى تفتّح طاقات السماء[2]

والتى تهب الشرق أنفاسه

والتى تهبُ مع الشروق وتصحب الشمس إلى ضحوتها[3]

أمسكت الشمس بيدى

وهيأتْ لى فى ساحتها مكاناً[4]

حيث أقبل على الطعام بشغف كما يقبل أبيس
والتهمه فى نهم كما يفعل « سيت » [5]

إن ريح الشرق هى ريح الحياة أعطيتها وبها أحيا

تقول الفتيات : « لقد أعطينا هذه الرياح »

وهذه ريح الغرب شقيقة « ها » وسليلة « ياو » [6]

والتى جعلت من جسد الآلهة موطناً لها تعيش فيه

---

(١) يعنى أن ريح الشمال تهب عند غروب الشمس من كل يوم وتستمر حتى وقت متأخر من الليل فتلطف حدة الحرارة فى أشد أيام الصيف

(٢) هى الطاقات التى تدفقت منها المياه إلى الأرض فى عهد طوفان نوح ولم يأت ذكرها عند قدماء المصريين إلا فى أقدم نصوص الأهرام .

(٣) تقطع الشمس رحلتها فى السماء من الشرق إلى الغرب ، فريح الشرق إذن هى أكثر الرياح ملاءمة لها

(٤) تقول أساطير القدماء إن الشمس Ré تملك فى السماء قصراً وساحة

(٥) المعروف أن « أبيس » كانت له فى الطعام شهية قوية ، وأن « سيت » كان جشعاً يأكل بشراهة

(٦) ها Ha آلهة لبية تسيطر على الصحراء الغربية ، أما Javou فآلهة غير معروفة



عبد المسيح وزير

قراء (الرسالة) يذكرون القصة العذرية المنقولة عن اللغة الكردية بقلم الأستاذ عبد المسيح وزير، والذين زاروا بغداد يذكرون أنهم رأوا في هذا الرجل حلاوة الدعابة، ولطف الذوق وكرم النفس، فمن العزيز عليّ أن أتلقى من أحد أدباء كربلاء خطاباً أعرف به أنه مات، وأن الجرائد العراقية لم توفه حقه من الرثاء، وهو يدعوني إلى نعيه بمجلة الرسالة، رعاية لحقوق الأخوة الأدبية بين مصر والعراق

كنت أتمنى أن أسمع عن الأستاذ عبد المسيح وزير خبراً غير هذا الخبر الأليم، فقد كان من أعز أصدقائي، ولعله كان لجميع من عرفوه خير صاحب وأعز صديق

كان عبد المسيح وزير تحفة أدبية، وكانت نفسه على جانب من الصفاء، ولهذا اهتم اهتماماً عظيماً بآثار طاغور، فأوحى إلى مريديه معنى الإعجاب بشاعر الهند، كما تشهد المجموعة التي نشرها الأستاذ فخري شهاب السعيدي، وهي أوفى ما نقل من آثار طاغور إلى اللغة العربية

وقد اشترك عبد المسيح وزير في نقل مصطلحات الجيش في اللغة التركية إلى اللغة العربية، كما حدثني يوم شهدنا مباراة الطيران في بغداد

من العزيز عليّ أن أفجع بموت صاحب لم أجد منه غير الجميل ولم تكن اللحظات التي قضيتها في صحبته غير أقباس من الصفاء

وأنا بعد هذا أستبعد سكوت الجرائد العراقية عن رثائه، كما جاء في خطاب الوارد من كربلاء، فمن المؤكد أن محنة الجرائد بغلاء الورق وضيق الصفحات هي المسئولة عن هذا العقوق

أما بعد، فهذه كلمة وجيزة نؤدي بها واجب التوديع لأديب عرفناه فأحببناه، وستلوح فرصة ثانية نتحدث فيها عنه بإسهاب ... وسلام عليه، وعلى روحه اللطيف.

زكي مبارك

حول بيت لعالم الدين المحيوى

في مقال الأستاذ الكبير الدكتور زكي مبارك عن الشاعر التركي «أيدمر المحيوى»، ورد هذا البيت:

قبل أن تكون في هذا الوادي مملكتان مختلفتان[1]

إنها ريح الحياة أعطيتها وبها أحيا

تقول الفتيات: «لقد أعطينا هذه الرياح»، وهذه ريح الجنوب، ريح زنجية تسوق الماء الذي يبعث الحياة في كل شيء.

إنها ريح الحياة أعطيتها وبها أحيا

الفتاة: تحية لكن يا رياح السماء! ألا تحدثنني عن أسمائكن واسم من وهب هذه الأسماء! هل لي أن أعرف من منحكن هذا السلطان!

إحدى الرياح: لقد وجدنا قبل مولد الناس، بل قبل وجود الآلهة، وقبل أن يقع طير في شرك، أو يوثق ثور في حبل، وقبل أن يتعرض جسد «هاتريت» بنت الآلهة للضم والعناق، وقبل أن تشبع رغبة الإله الأزلي سيد السموات والأرض. لقد طلبتها إلى آلهة الريح فأجابتني ومنحتني إياها.

الفتاة: تعالي معي أركب سفينتي، هلا نزلت

إحدى الرياح: لا، إن لي سفينة أروح بها إلى الثغر؛ وعنده أتزود بسفينة طولها ألف ذراع، فأصعد بها إلى دارة الشمس

الفتاة: إن وسائلي لا تنفد

* * *

هذه هي النواة أو جزؤها الذي استنبتته قريحة الفنان علي طه، فجاء كما شاء أيكة فينانة باسقة. وقد تخيل الشاعر وسائل القرصان لإغراء الفتيات، فصورها تصويراً نفسياً عجيباً، لم ينجهن منها إلا ذكاء (حروازا) وعناد (باتوزيس). والرواية بأصلها القديم وفروعها الحديثة من مآثر الأدب المصري ومفاخر علي طه.

(١) يشير إلى تقسيم مصر بين «هورس» و«سيت»، وبعبارة أخرى يعني أن الواقعة حدثت وقت بدء الدنيا.

والغصن مياس القوام كأنه نشوان يصبح بالنعيم و يغبق

وقد نص الدكتور على أن « النعيم » هنا هو الخمر . قال : وهي كلمة قليلة الورود في الخمريات ، ولكنها لا تعظم على من ينافس أبا نواس

وأقول إنه يبدو لي أن تصحيفاً طرأ على هذه الكلمة ، وصحتها (النسيم) لا النعيم ، فيكون البيت :

والغصن مياس القوام كأنه نشوان يصبح بالنسيم و يغبق

ومعناه أن الغصن يتمايل كالنشوان ، ولكنه لم ينتش من اصطباحه واغتباقه بالخمر ، كما يفعل النشاوى من الناس ، وإنما هو مصطبح مغتبق بالنسيم الذي يغاديه ويراوحه

فنائب الفاعل ليُصبحَ ويغبق هنا هو (الغصن) لا (نشوان) وتلك زيادة في المعنى لا تحسبها قد فاتت الشاعر . ونحن نرفض كلمة (النعيم) هنا ، لأنها تحرمنا من هذا المعنى الذي ذكرناه ، ثم لأننا لم نسمع بأن النعيم من أسماء الخمر ، وأخوف ما نخافه أن يستطرد شعراؤنا فيلقبوها بالسعادة أيضاً ، وبالهناء والسرور ...

وقد رجعت إلى (حلبة الكميت) لشمس الدين النواجي ، فوجدته يورد البيت بلفظ النعيم لا النسيم ؛ وكذلك فعل البهاء الدمشقي صاحب (مطالع البدور) . والتصحيفات — كما قلت مرة — هي آفة الآفات في مطبوعاتنا ومخطوطاتنا . وإنها لكثيرة — وسخيفة أحياناً — إلى الحد الذي تستوجب معه الإهمال وترك التصحيح ، ولكني أردت بهذه الكلمة أن أستطلع أستاذنا الجليل زكي مبارك ، ولعله يقتنع برأيي فأكون سعيداً .

هذا وقد راقني حديثه الموجز عن الروضة والمقياس ومكانتهما من نفوس الشعراء في أزمانهما . وأنا مثبتٌ هنا تأييداً لرأيه ما قاله بعض الشعراء (المجهولين) في المقياس :

إن مصرا لأطيب الأرض عندي
ليس في حسنها البديع قياسُ
ولئن قستها بأرض سواها كانَ بيني وبينك (المقياس)

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

ختان الأنثى في الإسلام

نفى دكتورنا الفاضل « أسامة » في بحثه « ختان البنات في مصر » بالعدد ٥٤٤ من الرسالة الغراء وجود أصل لختان الأنثى في الإسلام معتمداً في نفيه على : خلو بلاد إسلامية كالحجاز والعراق والشام وغيرها منه ، واستئثار مصر وحدها به — لا ينفك عنه مسلموها وأقباطها على السواء — ويرجع لهذا ، تقدم الأقباط في العمل به ، وانتقاله إلى المسلمين بالوراثة

أما صلته بالإسلام فقد نص الأئمة في أحكامهم المستنبطة من السنة ، على الختان في حق الأنثى : فقال الشافعي وكثير من العلماء إنه واجب ، وقال مالك وأبو حنيفة إنه سنة . ومأخذ هذه الأحكام أحاديث كثيرة منها « الختان سنة للرجال مكرمة للنساء » . ومنها : « يانساء الأنصار اختضبن غمساً واختفضن — من الخفض وهو ختان المرأة . ولا تنهكن — أي لا تبالغن — وإياكن وكفران النعمة » .

دسوقي ابراهيم

تاريخ الأخلاق

[تأليف محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين — الطبعة الثانية ٣١٧ صفحة]

الأستاذ محمد يوسف موسى عالم فاضل جمع بين الثقافتين ، ثقافة الأزهر القديمة ، وثقافة الغرب الحديثة ، ويسرت له معرفته باللغة الفرنسية الاطلاع على المراجع الأجنبية في أصولها . وهو إلى جانب ذلك يبغي الحق لذاته شأن طلاب الحكمة . قلت له : قد لا يروقك ما أكتب ، قال : إني لا أخشى النقد . ولعمري هذه هي روح العلماء ، من الاعتراف بالخطأ ، والسعي إلى الصواب . وإنما الكمال لله وحده

وكتاب « تاريخ الأخلاق » هو الأول من نوعه في اللغة العربية ، ويعتبر بذلك سداً لفراغ عظيم في تاريخ الفلسفة على اعتبار أن الأخلاق فرع من فروعها

وفي الكتاب دراستان : إحداهما منقولة ، والأخرى أصيلة : أُخذت المنقولة عن المصادر الأجنبية وذلك فيما يختص بالأخلاق عند أمم الشرق القديم وعند اليونان وعند الأوربيين بعد عصر النهضة . والجزء الأصيل هو الخاص بالأخلاق الإسلامية . وهذا فضل للمؤلف غير منكور ، وجهد مشكور

ولا أحب أن أعرض للأجزاء المنقولة بشيء ، لأن نقدها يعتبر نقداً للمراجع الأولى التي استقى منها المؤلف ، ولكني أقول من حيث الشكل إنه عرض للمسائل عرضاً سريعاً لا يشبع

المهم ، وعذره فى هذا هو طول الموضوع وضيق الورق . وما بالك بكتاب يريد أن يحيط بتأريخ الأخلاق من يوم أن ظهرت الحكمة الإنسانية حتى الآن ، فى بضع مئات من الصفحات

ونقف قليلاً عند الجزء الأصيل ، وهو تأريخ الأخلاق عند المسلمين . قال المؤلف فى مستهل الكلام عن الأخلاق فى الإسلام ص ١٥٩ : (إن الضمير ، وإليه المرجع فى بيان الخير والشر ، فطرى فى جرثومته وأصله ...) . وهذه القضية ، وأعنى بها فطرة الضمير ، موضع خلاف بين العلماء والفلاسفة ، ولم يكن ينبغى أن يقطع فيها المؤلف برأى كما يقتضى التحقيق العلمى الصحيح

وتقسيم الأخلاق الإسلامية غير واضح ، فهو يضع فى القسم الأول الذين سادت كتاباتهم النزعة الدينية والأخلاق العملية كما فعل الماوردى فى أدب الدنيا والدين . وفى القسم الثانى الذين سادتهم النزعة الدينية والصوفية مشوبة بالنظر الفلسفى كالغزالى . وفى القسم الثالث الأخلاق الفلسفية كما نجدها عند الكندى والفارابى وغيرهما . والتقسيم على هذا النحو يعتبر غير جامع ولا مانع كما يقول المناطقة

ويرى المؤلف أن القرآن والحديث لا يكونان مذهباً أخلاقياً وفى ذلك يقول : « إلا أنه حذار من المبالغة والقول بأن ما فى القرآن والحديث من أخلاق يكون مذهباً أخلاقياً ، فإن هـذا لا يعدو ، كما نعرف جميعاً ، طائفة لها قيمتها من المواعظ والحكم تدل على الخير ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . أما أنا فأعرف أن فى القرآن فلسفة وأخلاقاً وتشريعاً وقصصاً كأغلب الكتب السماوية . والجانب الخلقى فى القرآن عملى يصف ألوان السلوك الواجب اتباعها ، على أن هذا السلوك العملى يستمد كيانه من قواعد نظرية نستطيع استخلاصها . والمجال لا يتسع لبسط هذه النظريات ، وأكتفى بضرب مثل بإحداها وهى نظرية أن الفضيلة وسط بين طرفين ، فهى سائدة فى أغلب السور مثال ذلك : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط »

والأخلاق عند إخوان الصفا كسبية لا فطرية ، لا كما ذكر المؤلف من أن منها « ضرب جبلى وآخر كسبى » ص ١٨٠ .

وفى ذلك يقول إخوان الصفا ج ١ ص ٢٣٦ « والمثال فى ذلك أن كثيراً من الصبيان إذا نشأوا مع الشجعان والفرسان وأصحاب السلاح وتربوا معهم تطبعوا بأخلاقهم وصاروا مثلهم . وعلى هذا القياس يجرى حكم سائر الأخلاق والسجايا التى ينطبع عليها الصبيان منذ الصغر » والسبب فى اعتناق إخوان الصفا مذهب الكسب فى الأخلاق ، لأنه يخدمهم فى نشر عقيدتهم التى يريدون تغليبها فى الأمصار . ولو قالوا بالفطرة ما كانت هناك جدوى من نشر مذهب جديد

والغريب أن المؤلف أخرج الغزالى من زمرة المتصوفة حيث قال ص ١٩٧ : ولسنا فى حاجة لنقول أن الغزالى أصاب الحق بمجانبته للمتصوفة وموافقته للنظار والفلاسفة . ونقول إن الغزالى يقصد بالنظار أولئك الذين يسلكون طريق التصوف عن نظر لا عن تقليد أعمى

هذه النقدات لا تنقص من قيمة مجهود موفق جليل ، نرجو أن يتابعه بمؤلفات أخرى فى القريب .

الدكتور
احمد فؤاد الأهوانى

حفلة شائقة

تقيم استديوهات لاما حفلة شائقة تدعو إليها الصحافة والفن والأدب ، وذلك لمناسبة مرور العام السابع عشر على إنشائها

وستعرض لهذه المناسبة فيلمها الغنائى الجديد « يسقط الحب » ؛ وقد أخرجه المخرج المعروف الأستاذ إبراهيم لاما وتمثيل إبراهيم حمودة ، ومديحة يسرى ، وليلى فوزى ، وكتب له الأغانى الأستاذ السيد زيادة ، وقام بتلحينها : الأساتذة محمد القصبجى ، ورياض السنباطى ، وفريد غصن .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



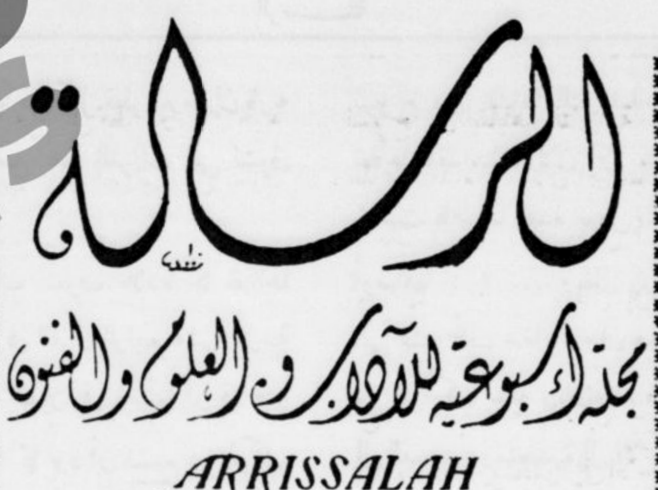
11 me Année No. 547

Lundi - 27 - 12 - 1943

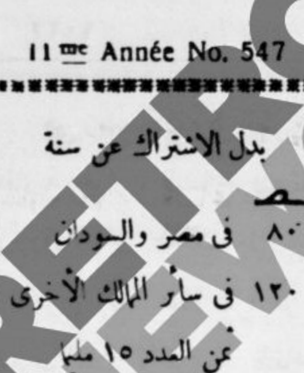
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique



السنة الحادية عشرة «القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٣» العـــدد ٥٤٧

الفهـــرس

كتب السياحة

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب السياحة كانت توفيقاً ونجاحاً يوم كانت السياحة نادرة عسيرة

بل هي كانت يومئذ أكثر من توفيق ونجاح : كانت واجباً إنسانياً أو « فرض كفاية » يقوم به قليل من الناس عن جميع الناس

فقد كان الانتقال من قطر إلى قطر عملاً مقصوراً على التجار أو القاتلين ، وربما ساهم فيه من حين إلى حين شاعر يقصد ممدوحاً وتلميذ يحج في طلب أستاذ . وكل هؤلاء يعنيهم ماطلبوه وتعمدوه ، وقلما يعنون بالمشاهدة أو بتسجيل مايشاهدون

إنما كان يعني بالمشاهدة والتسجيل أفراد معدودون في كل جيل ، يخرجون في مسوح الزهاد أو حباً للرحلة بين أرجاء البلاد ، ويعمد واحد منهم في كل جيلين أو ثلاثة أجيال إلى تسجيل ما رآه ووصف الأقوام التي عاشرها والأقاليم التي عاش فيها ، فيؤدي « فرض الكفاية » الذي أشرنا إليه ، ويدل الأمم على الأمم والعصور على العصور

وكان هذا العمل لازماً في زمانه ، ولا يزال كذلك لازماً لنا في هذا الزمان

فى زمانه كان كل قطر غريباً عن كل قطر غيره وإن قاربه مقاربة الجوار ، فالسائح على ثقة من حمل الغرائب التى تشوق وتروق ، وهى كذلك تعلم وتفيد

وفى زماننا هذا نقرأ الرحلات لنعرف بلادنا كما نقرأها لنعرف البلاد الأخرى ، فالقاهرة فى القرن الرابع عشر غريبة عن أبناء مصر الحديثة كغرابة الصين فى زمانها أو فى هذا الزمان ، ونحن نود أن نسمع عنها كما نود أن نسمع عن توكيو وبكين وستالنجراد ، لأنها خبر شائق وعلم مفيد

وقد نحيط بعادات الأمم الخالية فنصحح بعض الغرور الذى يركب أبناء العصر الحاضر فيخيل إليهم أنهم هم السابقون إلى كل طرافة وأن المتقدمين فى باب الطرائف هم اللاحقون

نحن اليوم نغرق فى العملة الورقية ونعلم ما نعلم عن سبائك الذهب والفضة فى المصارف والخزانات الدولية ، فيسبق إلى وهمنا أنها حال طريفة وأنها عرض من أعراض الحروب فى الآونة الحاضرة ، ولكننا نفتح ابن بطوطة فنراه يقول عن أهل الصين فى القرن الرابع عشر للميلاد : « وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا بدرهم ، وجميع ما يتحصل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعاً كما ذكرناه ، وإنما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد : كل قطعة منها قدر الكف مطبوعة بطابع السلطان ، وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها بالشت وهو بمعنى الدينار عندنا ، وإذا تمزقت تلك الكواغد فى يد إنسان حملها إلى دار كدار السكة عندنا ، فأخذ عوضها جدداً ورفع تلك ، ولا يعطى على ذلك أجرة ولا سواها ، لأن الذين يتولون عملها لهم الأرزاق الجارية من قبل السلطان ، وقد وكل بتلك الدار أمير من كبار الأمراء .... »

فقد كان أهل الصين إذن « عصريين » فى ناحية من النواحى يوم كان المصريون فى ظلمات القرون الوسطى ، يجهلون أنفسهم كما يجهلون أهل الصين !

ونحن اليوم نحسب أننا قد أحطنا بالقاهرة خبراً ، وذرعنا أحياءها شبراً شبراً ، وجعلناها امتحاناً للريفى الذى يضل فيها ، ويخطئ الطريق إلى معالمها وضواحيها ، فإذا نحن غرباء فى القاهرة نسوح بين بقاياها التاريخية كما نسوح بين بقايا المدن التى لم نطأها بأقدامنا ، لأن ابن بطوطة يرينا قاهرة أخرى ، وإن شابهت قاهرتنا هذه بعض المشابهة ، حين يقول فى بعض أوصافها : « ... ويقال إن بمصر من السقائين على الجمال اثنى عشر ألف سقاء ، وإن فيها ثلاثين ألف مكار ، وأن بنيلها من المراكب ستة وثلاثين ألفاً للسلطان والرعية ، تمر صاعدة إلى الصعيد ، ومنحدرة إلى الأسكندرية ودمياط ، بأنواع الخيرات والمرافق ... وأهل مصر ذوو طرب وسرور ولهو : شاهدت بها مرة فرجة بسبب برء الملك الناصر من كسر أصاب يده ، فزين كل أهل سوق سوقهم وعلقوا بحوانيتهم الحلل والحلى وثياب الحرير ، وبقوا على ذلك أياماً ... وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها ، وأما المارستان الذى بين القصرين ـ عند تربة الملك المنصور قلاوون ـ فيعجز الواصف عن محاسنه ، وقد أعد فيه من المرافق والأدوية ما لا يحصر ، ويذكر أن مجباه ـ أى مورده ـ ألف دينار كل يوم »

فكتب السياحة التى بهذه المثابة تصيب توفيقاً لا ينقضى بانقضاء زمانه ، لأنها تنقلنا بالغرائب من بلادنا ومن بلاد غيرنا ، ولولاها لاحتجبت هذه الغرائب عنا وجهلنا أموراً لا يخلق بنا أن نجهلها

أما السياحة فى زماننا هذا فالتوفيق فيها يقل على قدر سهولتها وتيسر أسبابها ، وكأنما تزداد صعوبة الكتابة عن الرحلات كلما تمهدت الرحلات وقلت صعوباتها

فالأرض اليوم دار واحدة أو توشك أن تصبح داراً واحدة : لا ينقضى اليوم حتى تعم أخباره جميع أنحائها ، ولا تنقضى الأيام المعدودات حتى يشاهد هذا الخبر رأى العين بشخوصه ومواقعه ومشاهد أرضه وسمائه حيثما طابت رؤيته لساكن من سكان البلاد المعمورة . فلا غنى للسائح من جهد فى تمثيل ما يراه على الصورة التى تستغرب أو تشوق أو تنم على طرافة ، ولا سبيل له إلى الإتيان بالجديد إلا أن تتسنى له الوسائل التى لا تتسنى لغيره ، أو المكانة التى تقترن بكلامه ولا تقترن بكلام الآخرين من السائحين .

ألقيت من يدى كتاب دنيا واحدة لمؤلفه السياسى

المشهور مستر وندل ويلكي فلم أتمالك بعد الفراغ منه أن أستحضر هذه الخواطر فى خلدى جملة واحدة

فالرجل لا شك جم الذكاء جم الحصافة جم الدراية

ولا شك أن وسائله إلى الاطلاع على دخائل الدول أوفر من وسائل السائحين من الصحفيين والمتفرجين ، أو أشباه الصحفيين والمتفرجين

ولا شك أنه قد جاء بالمفيد الشائق فيما أحاط به من طريق هذه الوسائل الخاصة بمقامه ومقام دولته فى السياسة العالمية

ولكنه كلما تجاوز هذا وقف حيث يقف غيره بين مآزق السياحة العصرية ، فهو قد يبحث عن الغرائب حيث لا يجدها ، وهو قد يصادف التوفيق مصادفة أو يعدوه التوفيق كما يعدو كل سائح غيره فى بلاد هو غريب عنها

والخطأ فى هذا خطؤه من جانب ، وخطأ من يلقونه ويلقاهم بالأسئلة والأجوبة من جانب آخر

إليك مثلاً كلامه عنا وعن أحاديثه مع بعضنا حيث يقول : « إن السحر الذى كان لأفكارنا الغربية فى شئون السياسة قد قوبل بالتحدى في عقول العرب واليهود والإيرانيين ، وقد راقبونا الآن عن كثب زهاء جيل كامل كنا خلاله نختصم فيما بيننا وفيما بين أبناء الأمة الواحدة منا ، ونتساءل فى قيمة الأسس التى قامت عليها عقائدنا »

فهذا كلام رجل مستعد لأن يتلق وجهة النظر من غيره لو أجابه الذين سألهم عنها ، ولكنه كان يسأل فلا يجاب ، أو كان يسأل فيجاب بالتحفظ والمراوغة كما قال : « حيثما ذهبت لقيت أناساً مؤدبين ولكنهم شكوكيون أو متوجسون يقابلون أسئلتى عن قضاياهم بأسئلة من عندهم عن قضايانا نحن فيها تهكم لا يخفى ، وكثيراً ما كانت مسألة الأجناس وسوء وضعها ببلادنا تبرز إلى الأمام فى أحاديثنا ، كما كان كل عامل فى حكومة يعجب لموقفنا من حكومة فيشى . وود العرب واليهود معاً لو يعلمون أهذه التصريحات التى نهتف فيها باسم الحرية إنما تعنى كما عنت فى الماضى توسعاً فى الانتداب والوصاية ؟ » ... إلى آخر ما قال من هذا القبيل

وعندى أن الصراحة المطلقة فى جواب رجل يقابل الأمور هذه المقابلة المفتوحة للنقد والاستطلاع قد كان أنفع وأجدى ، وأن المراوغة أو الشكوكية هنا ليست من أمانة الفهم والوطنية وإن عدت من أدب الخطاب ، بين السائل والمسئول

ويشبه هذا قوله بعد ذلك : « لقيت باشوات فى كل استقبال حضرته ، ومنهم كثيرون متزوجون بأجنبيات ، وهم من الوجهة الاجتماعية جذابون مرحون ، ولهذه الطبقة تماثيل تمتلئ بها الميادين

« ولقب الباشا تراث متخلف من العصور العثمانية ، وكان يخلع من قبل على القادة العسكريين أو حكام الأقاليم الذين أبلوا فى خدمة الدولة ، فأصبح اليوم عنوان تشريف

« ... ولكنى حين سألت مضيفاً لى ـ وكان شاباً مصرياً صحفياً ـ عن هذا اللقب هل يخلع على أحد لأنه ألف كتاباً عظيماً ؟ أجابنى : يجوز أن يخلع ... لولا أنه فى مصر قل أن يحفل أحد بتأليف الكتب !

« وسألته : أينال الرجل لقب الباشا لأنه يشتغل بتصوير الصور ؟

« فأجابنى : ولم لا ؟ إلا أن الذين يصنعون الصور فى مصر لا يوجدون

« وسألته أيضاً : هل استطاع مخترع عظيم قط أن ينال لقب الباشوية ؟ فكان جوابه مرة أخرى أن ليس لدينا مخترعون ولا علم لى بأحد منهم منذ عهد الفراعنة »

* * *

فالخطأ هنا من جانبين لا من جانب واحد

لأن المستر وندل ويلكى لا يسأل عن الخطأ فى فهم هذه الأمور كما يسأل عنها ذلك الصحفى « المصرى » الذى جرد مصر من التأليف والتصوير والثقافة تجريداً يحق لمن يسمه من « مصرى » أن يسبقه فى المضمار ، وهو غير متهم النيات

ويلوح لنا أن الرجل كان حسن النية باحثاً عن الحقيقة غير متعنت فى إنكارها ، ولكنه سأل من لا يحسن أن يجيب فكان فى ذلك عذره ، أو كان مشاركاً فى اللوم إذا اتجه إليه ملام

وقد ننصفه حين نقول إنه جمع فى كتابه الصغير أوفر عدد من الحقائق وأقل عدد من الأخطاء . فقال فى مائة وسبعين صفحة صغيرة ما يقوله غيره فى ألوف الصفحات ، وذلك صعوبة الصناعة ـ صناعة الكتابة عن الرحلات فى الزمن الحديث ـ تذليلاً يشهد له ببراعة صحفية وملكة قصصية ليست موفورة الشيوع بين الكبراء من رجال السياسة

وقد ذكر فى الفصل الأول من كتابه أنه عبر فى سياحته واحداً وثلاثين ألف ميل ولم يقض فى الهواء أكثر من مائة وستين ساعة ، وهذا عنده – وعندنا – دليل صادق على أننا نعيش اليوم فى « دنيا واحدة » كما اختار أن يسمى كتابه ، ولكن الدنيا الواحدة ، بل الدار الواحدة ، بل النفس الواحدة ، تحتاج إلى أكثر من مائة وستين ساعة ، بل مائة وستين يوماً لفهمها على جليتها ، وتصورها فى ظواهر أحوالها وبواطن حقيقتها .

ولعل الرجل الذى يستطيع أن ينظر إلى الدنيا نظرة واحدة مستطيع أن يستدرك من أخطائه ما تتفرق به الأقوال وتتشعب حوله الآراء .

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربى

٢ – ديوان أيدمر المحيوى

للدكتور زكى مبارك

حياة الشاعر

فى الأخبار التى جمعها الأستاذ أحمد نسيم – وهى على قلتها كل ما يمكن الوصول إليه فى هذا الوقت – سكوتٌ عن العمل الذى كان يتعيش منه هذا الشاعر المجيد ، فلم يكن كاتب إنشاء كما كان البهاء ، ولا كان يتولى إدارة أحد الدواوين ، كما كان يتفق لبعض الشعراء

والظاهر أنه كان يتكسب بشعره ، كما تدل الأبيات الآتية ، وهى من قصيدة يمدح بها الملك الكامل ، ويذكر ظفره بالفرنج يوم قصدوا دمياط :

أشكو الخمول إلى علاك فإننى ... فيما أقول محسنٌ ومجوِّدُ
أبدى البديع ولا يزايل ظلهُ ... ظلى ومنه ما يسوء ويكمد
إن القريض وإن تكاثر ساكنو ... أفيائه للعبدُ فيه الأوحد
لكنه أدناهمُ قدراً إذا ... وردوا وأغلاهم إذا ما أوردوا

ومعنى هذا أن الشعر نفع من ليسوا فى مثل منزلته من الفصاحة والبلاغة ، وأنه برغم براعته ظل من الخاملين

وهنالك أبياتٌ حزينة نصٌ فيها على رضاه بالمقسوم له من دنياه ، مع أنها فى قصيدة مدح ، وهى قوله بعد التشبيب :

لم تعطنى الأيام مطلب همتى ... من رفدها فأخذت ما تعطيني
ورأيتُنى سخطى يدوم إذا أنا ... لم أرض إلا بالذى يُرضيني
حالٌ لعمركُ دون قدرى إنما ... أرضى بها نظراً إلى من دوني

وهى أبيات فى غاية من النفاسة ، ومنها نعرف أنه كان مقلقل الحياة بين العطاء والحرمان

الغزل والتشبيب

المختارات التى بقيت من ديوان أيدمر تدل على أمرين : الأول أنه لم يكن يبدأ جميع قصائده بالنسيب ، كما كان يصنع أكثر الشعراء ، وهو مذهب حاربه المتنبى حين قال :

إذا كان مدحٌ فالنسيب المقدَّمُ ... أكلُّ فتًى قد قال شعراً متيَّم

والأمر الثانى أن النسيب عنده كان فى الأغلب من فواتح المدائح ، كالذى رأينا فى قصيدته القافية ، وهو يذكر يوم التخليق بالمقياس

ولو ظفرنا بديوان أيدمر كاملاً لعرفنا مذهبه فى التشبيب ، فمن المحتمل أن يكون خصه بقصائد طوال أو قصار ، كما فعل البهاء أقول هذا لأنى أستبعد أن يكون الغزل نافلة عند من يقول :

ومُضْنَى الخصر لا يدرى يقيناً ... أوردٌ وجنتاه أم خمريّا
أتانى زائراً من غير وعد ... وقد مالت لمغربها الثريا
فوفَّى دَيْن شوق حين وافى ... وأحيا مَيْتَ أنسى حين حيّا
وبتُّ أرى يقين الوصل شكاً ... وقد ملأ الهوى منه يديّا
أفكر فى الجفا أنَّى تقضَّى ... وأعجب للرضا أنَّى تهيّا

والمعانى هنا مألوفة أو مطروقة ، كما قلت فى مثلها من قبل ، ولكنها فى حيوية قوية تشهد لصاحبها بالابتكار والابتداع

وأين من يلاحظ كلمة « يقيناً » فى البيت الأول ، وهى من القوة بمكان ، مع أنها لو وقعت فى غير هذا الموقع لكانت من المبتذلات ، وسرُّ قوتها يرجع إلى حيرة المحبوب فى إدراك سحر وجنتيه الورديتين أو الخمريتين ، وهل يعرف الورد أنه ورد ؟ وهل تعرف الخمر أنها خمر ؟

والبيت الثالث أعجب وأغرب ؛ فالعاشق يرتاب فى اليقين ، لأنه فوق ما تسمح به الأوهام والظنون ، وقد أوضح ارتيابه بهذا البيت :

أفكر فى الجفا أنى تقضّى وأعجب للرضا أنّى تهيّا

ولهذا الشاعر لوعة أفصح عنها حين قال :

ذُكِر الحِمَى فأطال رجع أنين

وغـدا يواصل زفرةً بحنين

واعتاده وَلَهٌ يقسم لبّهُ ما بين حالة حيرةٍ وجنون

وجرتْ محاجرهُ دماً فكأنما شرقت بذوب فؤاده المحزون

ولها بكفكف دمعه بشماله أسفاً ويمسك قلبه بيمين

يامنزلاً قضت الصبابة لى به ذمم الصبا ومآرب العشرين

أيام ألبس للغواية ثوبها وأجر ذيل خلاعة ومجون

وأجيب داعية التصابى ملقياً رَسَنى إليه بضل أو يهدينى

ليت الذين ولعت من كَلَفٍ بهم

حفلوا بحرّ تلهفى وحنينى

قدكان يضحكنى الزمان بقربهم فاليوم عاد ببعدهم يبكينى

وأقول من جديد إن المعانى ليست جديدة ، فقد طاف بها كثير من الشعراء ، ولكنها فى نظرى جديدة ومبتكرة ، لأن الشاعر يحسها بأقوى ما يكون الإحساس ، ألبس هو الذى يقول فى مطلع إحدى المدائح :

طاف بنا والليلُ فى ثوب خَلَق

يلمع من خلاله نور الفَلَق

والنجم يخبو تارة ويأتلق مثل عيونٍ كابدت طول الأرق

خيالُ من أسكنَ جنبىَّ القلق

جبينه الشمس وخدُّه الشفق

يبدو فما أرمقه فيمن رمق يأمرنى الوجد وينهانى الفَرَق

وهنا أقول إن هذا خيال لم أجده عند غيره من الشعراء ، وهو بهذا الخيال وثب وثبة تطرب الإنس والجان

وعلى المتسابقين أن يتأملوا فى معانى هذه الأبيات ، فقد يكون فيهم من يعرف من أسرارها مالا أعرف ، والشعر كالحسن تتفاوت فى فهمه الأذواق

شاعر مبدع

هو أيدمر الذى أراد أن يأتى فى المدح بالطرب والرقص ، فهو الذى يقول فى ممدوحه بعد ذلك النسيب :

ألذ من وصف الغزال المنتطق ومن مناجاة الخيال إن طرقْ

مدح فتًى ذكراه مسكٌ يُنتَشق

لكنها فى حلق شانيه شَرَق

صدرٌ بهىُّ الخلق مرضىُّ الخُلُق

خوّله الله تعالى ورزقْ

من المعالى كل ما جلّ ودقّ سابقَ أربابَ المساعى وسبقْ

مشياً وهم بين ذميلٍ وعنَقْ لو قذف النجم بعزم لاخترق

أو ضرب البحر بكفٍّ لفَرَق أو رجم الطود بجأش لصعق

وهذا شعر، بل سحر، وهو فى ديباجة أيدمريه ، لا بحتريه ، لأن الشاعر هنا مفترع لأبكار المعانى وهى مدترة بأفواف الخيال

الموشحات

نترك للمتسابقين مراجعة ما ألممنا إليه بإيجاز ، لأن الغرض هو التوجيه إلى ما سيرِدُ فى أسئلة الامتحان ، وهى لن تخرج عن العناصر الأساسية ، العناصر التى نشير إليها فى هذه الأحاديث

ونواجه مسألة جديدة هى اهتمامه بالموشحات ، كالذى صنع فى معارضة الموشح الذى مطلعه :

أيها الساق إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

ولم يذكر جامع المختارات صاحب هذا الوشح ، ولكن الأستاذ أحمد نسيم نص فى الهامش على أنه من نظم أمير المؤمنين ابن المعتز العباسى

وما قاله الأستاذ أحمد نسيم هو ما كان يقوله جميع مؤرخى الأدب فى العصر الحديث ، وهو أيضاً ما قلته فى الطبعة الأولى من كتاب مدامع العشاق ، ولكنى بعد ذلك ارتبت فى نسبته إلى ابن المعتز فقلت فى الطبعة الثانية إنه لأحد الشعراء

ثم اهتديت إلى صاحبه فيما بعد فكتبت عنه كلمة فى جريدة البلاغ سنة ١٩٣٤ ، وهو محمد بن زهر الأندلسى ، ومثله موشح ابن بقىّ القرطبى وأوله :

غلب الشوق بقلبى فاشتكى ألم الوجد فلبّتْ أدمعى

أيها الناس فؤادى شغف

وهو من بَغْى الهوى لا ينصف

كم أداريه ودمعى يكف

أيها الشادن من علمكا بسهام اللحظ قتل السَّبُع

ولا أعرف فى هذه اللحظة أى الشاعرين أسبق : ابن زهر أو ابن بقىّ ، لأنى أكتب هذا المقال فى ليلة مطيرة وفى مكان بعيد من المراجع الأدبية ، فليسأل المتسابقون أساتذتهم عن المبتكر والمعارض فى هذين الموشحين[1]

(١) يجب أن نسجل أن سعادة الأستاذ طه الراوى نشر فى مجلة الرسالة كلمة عن نسبة الموشح إلى ابن زهر فى أعداد هذه السنة ١٩٤٣

والمهم هو النص على أن أيدمر فاز وهو يعارض ابن زهر، فقد استطاع أن يقول :

عَهِدَ البينُ إلى عيني البكا   ثم أوصاها بأن لا تهجعى
وسقى قلبىَ من خمرته
فهو لا يعقل من سكرته
فمتى يُنقَذُ من غمرته
فى سبيل الحب قلب هلكا   شيَّع الركبَ ولما يرجع

* * *

هزّ عِطف الغصن من قامته
مُطلعاً للشمس من طلعته
ثم نادى البدر فى ليلته
أيها البدرُ تغيَّبْ ويحكا   ما احتياج الناس للبدر معى

ثم مضى الشاعر فقال فى ممدوحه ما شاء ، ولكن الفن غلب عليه ، فختم الموشحة بهذه الأقباس :

فاقتدحْ بالمزْج نار القَدَحِ
نصطلى إنْ نحن لم نصطبح
وأغنِّيك ولم تقترحِ
أيها الساق إليك المشتكى   قد دعوناك وإن لم تسمعِ

أفانين طريفة

قد عارض أيدمر بعد ذلك موشحة ثانية ، ولا يتسع المجال للكلام عن الموشحات الأندلسية وتأثيرها فى الآداب المصرية ، ومن السهل أن يرجع المتسابقون إلى كتاب « بلاغة العرب فى الأندلس » لأستاذنا الدكتور أحمد بك ضيف ، فقد وفى هذا الموضوع حقه من البيان

والفَنَنُ الذى أقصد إليه هو موشحه الذى وصف به الخمر والرياض :

دع الصبا يمرّ فى التصابى   قبل تحلى سكرة الشباب
وانتهز اللذات فالعيش فُرَصْ   رُبَّ سرورٍ كامنٌ فيه تَنَغَصْ
قم يا غلامُ هاتها وهاكا   واعص هوى العاذل فى هواكا
أما ترى ظل السرور سابغا   ومشرب العيش هنيئاً سائغاً
فى روضة قيدِ النظر   تشكر آلاء المطر
ترنو بأحداق الزهر   تحسبها بعد السَّحَر

قد انتثرْ فيها دُرَرْ
أو انتشرْ فيها حِبَرْ

* * *

تجلت الشمسُ عليها سافره   فقابلتْها بنجوم زاهره
ترمقها حين دنا طلوعُها   بمُقلٍ ترقرقت دموعها
تبكي وفى الأوجه بشر الضحك   فأعجب لها تضحك وهى تبكى
تمايلت تمايُل السقيم   لما أحست بسُرى النسيم
فأشفقتْ على حَذَرْ   وفَرِقَتْ من الخفر
من قبل أن يقضى وطرْ   تود لو كان استمرْ
ذاك العَطرْ   لما خطرْ
على الزهَرْ   ساء وسرْ

* * *

بات الندى يشربها نعيما   كما يغذّى والدٌ فطيما
فأصبحتْ ودرعها بليل   تكاد من قطاره تسيل
وأهدت الصَّبا لها كافورا   فملأت أردانها عبيرا
كأنما نوّارها المستحسنُ   ألسنةٌ تنطق فهى أعينُ
تفصح فى بث الخبر   عن الحديث بالنظر
بمقلة فيها صور   حسناء من غير حور
فمَنْ نظرْ   فقد خَبَرْ
ما قد ظهرْ   وما استترْ

قد تقولون إن الغزل والوصف هما اللذان منحا هذه الموشحة هذا اللطف، ولكن المدح فيها لا يقل طرافة عن هذا الغزل

وقد أثنى الشاعر على نفسه فى ختام هذه الموشحة ، وهو فرح جذلان ، لأنه يؤمن بأنه من أكابر أهل البيان

الشعر التاريخى

وأريد به الشعر الذى ينظم حوادث التاريخ ، وقد نظم أيدمر قصيدة طويلة سماها « الوسيلة المشفَّعة ، فى مناقب الخلفاء الأربعة » ، وقد يرد عنها سؤال ، لأنها تصور فهم هذا الشاعر للعهود الأولى من التاريخ الإسلامى ، فمن واجب المتسابقين أن يلتفتوا إليها كل الالتفات أو بعض الالتفات ، وموضوع هذه القصيدة مفصَّل فى الكتب المؤلفة عن عصر النبوة وعصر الخلفاء .

زكى مبارك

الأدب العربى واللغة العربية

فى كتاب « زهرة العمر »

للأستاذ دريني خشبة

غرق الأستاذ توفيق الحكيم فى الأدب العربى — على حد تعبيره — بعد عودته من فرنسا ليدرس قضيته من أساسها ، محاولاً أن يعيد النظر فى أمر اللغة العربية ، وأن يكشف أسرارها ويضع إصبعه على مواطن ضعفها وقوتها ... وهو قد شرع يفعل هذا بعد أن أخذ من مختلف الآداب العالمية بنصيب ، فهو يقرأ نصوص الأدب العربى فى عصوره المتعاقبة بعين جديدة ، عين عامرة بالصور ، حافلة بالمقارنات ، وبنفس رحيمة عادلة[١] ...

هذه لمحة من المقدمة التى مهد بها الأستاذ الحكيم لفصله أو لفصوله ، التى كتبها عن اللغة العربية ، وتعليم اللغة العربية ، ومعلمى اللغة العربية ، وأساليب الكتابة العربية ، وعن ماهية الشعر ، ثم عن الأدب العربى ، ونقص تكوينه من حيث هو خَلْق فنى[٢] ، وعن العلاقة بين الفنون الكبرى والآداب الكبرى ، وعدم محاولة الأدب العربى أن يزيد فى نثره بالرغم من ازدهار الفنون الإسلامية ، وما ابتلعته المدنية الإسلامية فى جوفها من المدنيات الكثيرة[٣] ، وعناية الأدب العربى الإنشائى باللفظ أكثر مما يجب ، وأنه لم يشأ أن ينزل عن تكلفه الذى يعتبره فصاحة وبلاغة ... وما حدث من جراء ذلك من : « أن روح الشعب قد تعطش للون جديد من الأدب غير لون البداوة الأولى . لون من الأدب مستمد من إحساسه هو بالحياة الجديدة المتطورة المتغيرة . . . أدب جديد قائم على فن مشابه ومسايرة للفنون الزاهرة المعاصرة ، التى يراها بعينه ويهيم فى مراميها بخياله ... فلما لم يشأ أدباء الفصحى أن يعدوا الناس بحاجتهم ، لجأ الناس إلى أدباء من بينهم لا يملكون أداة اللغة ولا جمال الشكل ، ولكن يملكون السليقة الفنية وروح الخلق ... وهنا ظهر الأدب الشعبى ... فما ظهور الأدب الشعبى أحيانا إلا علامة قصور أو تقصير من الأدب الرسمى ، أو صرخة احتجاج على جمود الفصحاء ... هكذا ظهر القصص الشعبى فى صورة عنترة ومجنون ليلى وكثير عزة . . . وسارت الحضارة الإسلامية ، فسار معها الأدب الخيالى الاجتماعى الشعبى ، وإذا نحن أمام عمل فنى رائع هو « ألف ليلة وليلة » ، ثم نبت فى كل شعب من شعوب الإسلام قصصه الذى يطبعه بطابع عصره . فكان فى مصر قصة أبى زيد الهلالى ، وسيف بن ذى يزن ، والظاهر بيبرس . . . ومن الغريب أنك إذا تأملت « التصميم » الفنى والبناء الروائى لهذا الأدب الشعبى وجدته من حيث الفن لا اللغة هو السائر فى الطريق الصحيح[١] . . . فلقد كان من المستغرب حقاً للباحث أن يرى حضارة إسلامية عظيمة ذات فنون زاهرة وعلوم راقية ، ولا يجد فى أدبها أثراً إنشائياً مثل « الشاهنامه » أو « الرامايانه » أو « الإلياذة » أو « كليلة ودمنة » حتى كادت تتهم العقلية الإسلامية بعقمها . ولكن الأدب الشعبى الإسلامى صحح الوضع أمام التاريخ العلمى ... »

وبعد ، فما أريد أن ألَفِّق مقالاً من كلمات الأستاذ الحكيم ، وإن كنت أتمنى أن يكون كل متأدب فى مصر ، بل كل أديب فى الشرق العربى ، قد قرأ هذه الفصول القيمة التى دبجها قلم فنان ، أديب فنان لا يرى حرجاً فى أن يقول إنه أخذ من مختلف الآداب العالمية بنصيب ، ثم غرق فى الأدب العربى فوجده أدباً فقيراً شاحباً ؛ أدباً يعنى بالزخرف اللفظى ، ولا يمتاز بأثر خالد مما امتازت به اليونانية أو اللاتينية أو الفارسية ، أو لغات أوربا الحية من آثارها الأدبية الخوالد ... أدباً غير مستمد من روح الشعب المتعطش إلى ألوان جديدة غير ألوان البداوة الأولى . . . ألوان مستمدة من إحساسه هو بالحياة الجديدة المتطورة المتغيرة

هذا كلام نوافق الحكيم عليه ، لأننا رددناه ، وسوف نردده ، ولن نسأم من ترديده ، حتى نحيله رجاء إلى أدبائنا بل توسلاً ، إن كان لا بد من الرجاء أو التوسل لكى يخلقوا لنا أدباً جديداً صادراً عن روح الشعب المتعطش إلى ألوان جديدة مستمدة من إحساسه بالحياة الجديدة المتطورة المتغيرة

نحن نوافق على هذا كله لأنه أمنية كل رجل يحب الخير للأدب العربى ، وكل رجل شدا شيئاً — ولو قليلاً — من الآداب

(١) زهرة العمر ٢١٤ (٢) ص ٢٢٣ (٣) ص ٢٢٥

(١) ص ٢٢٧

الأوربية ، واستطاع أن يقارن بينها وبين هذا الأدب العربي الذي لم يعد يصلح بحالته التي هو عليها لشفاء روح العصر الجديد ومجاوبة الحياة الجديدة التي تغمر العالم بأسره . على أننا مع ذلك نريد أن نناقش بعض ما جاء من الآراء في زهرة العمر عن أساليب الكتابة العربية ، وعن الفنون الكبرى والآداب الكبرى ، وعدم محاولة الأدب العربي أن يزيد في نثره بالرغم من ازدهار الفنون الإسلامية ، وعن تاريخ القصص العربي ... ثم هذه السخرية التي صبها الأستاذ الحكيم على رؤوس معلمي اللغة العربية أولئك المعلمون الذين نخصهم بتوجيه نقدنا إليهم وهم لا جريرة عليهم ولا ذنب لهم ، فهم يعلمون كما أعدوا لهذه الطريقة من التعليم ، وقد صبوا في قوالب من صنع الدولة لم يصنعوها بأنفسهم بل صنعت لهم ثم خرجوا على غرارها ، وقد أصبح معلم اللغة العربية كالقاطرة التي لا تستغنى عن شريط السكة الحديدية ، وهى تجر وراءها جميع العربات - أبناءنا التلاميذ - على الشريط نفسه وإلى المحطة نفسها ، والويل للمعلم الذي تحدثه نفسه بالخروج عن هذا الشريط ! الويل لمعلم الذي يخالف عن سنة المنهج ... تلك الشريعة المنزلة التي ترتبط بحسن تنفيذها التقريرات والعلاوات والدرجات ... والفصل من الوظيفة والبقاء فيها أحياناً ... الويل للمعلم الذي لا يجيد أن يعلم تلاميذه أن « نون » العاقلون هي نيابة عن التنوين في الإسم المفرد ! وما إلى ذلك من اللغو الذي تركنا المدارس ونحن لا نحسن أن نفهمه ، بله أن نعلله ... لا نحن ولا معلمونا المساكين ... ماذا يصنع المعلم يا أخانا الجليل مؤلف كتاب زهرة العمر بعد أن صبته وزارة المعارف في هذا القالب الشاذ ؟ هل قرأت ما كتبه عنه صديقك طه حسين وشريكك في القصر المسحور ؟ لقد كتب طه حسين فصولاً قيمة في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » عن تعليم اللغة العربية ومعلم اللغة العربية والمعاهد التي تعد هذا المعلم في مصر ... ذلك المعلم الذي تقول عنه إنه كان ، سواء في المدارس الابتدائية أو المدارس الثانوية يجهل ، لا معنى اللغة العربية وحدها ، بل معنى اللغة على الإطلاق[1] ! ترى من كان معلمك في المدارس الابتدائية ، ومن كان معلمك في المدارس الثانوية ليسمعا إلى هذا الكلام الجرئ، الذي ترسل به لسانك فيهما الآن بعد أن أصبحت كاتباً نابهاً من كتاب العربية ؟ أكبر الظن أنهما كانا يفهمان معنى اللغة العربية ، بل معنى اللغات جميعاً ، إنما أسطورة القاطرة والعربات وشريط السكة الحديدية هي التي أظهرتهما في نظرك على هذا النحو من الجهل ... بل من العمى ... أسطورة المنهج ، وشريعة وزارة المعارف المنزلة التي لا يحيد عنها إلا كل مجازف ... وأرجو أن أتحدث إليك حين نلتقى كيف كان صديقك الزيات يجمل من مادة اللغة العربية التي كان يعلمنا إياها أحب مواد التعليم إلى نفوسنا . على أن أستاذاً جليلاً[1] قد نشر في هذه المجلة فصولاً عظيمة عن تعليم اللغة العربية فأرجو أن تراجعها إن لم تكن قد فعلت

أما أساليب الكتابة العربية وعناية معظم الكتاب المنشئين باللفظ دون المعنى ، فهذا لم يحدث إلا في عصور انحطاط اللغة العربية . على أن الكتاب الذين عنوا باللفظ أكثر مما عنوا بما وراءه قد خدموا اللغة خدمة جليلة بانتخابهم الألفاظ انتخاباً ، وبتجويدهم استعمالها على النحو الذي قربها إلى أفهامنا وجعلها ذخيرة لنا نرجع إليها كلما أعوزتنا الكلمات أو التعابير ، فكان عمل كتاب المقامات والرسائل مثل عمل أصحاب المعجمات والقواميس من حيث تنظيم تلك الثروة اللفظية الهائلة تنظيماً قصصياً أو تنظيماً استعمالياً أفدنا منه في استحداث تعبيرات جديدة لا حصر لها ... وأنا ألاحظ أن انصراف الأستاذ الحكيم إلى دراسة الأدب العربي وإكبابه على قراءة نصوصه كما ذكر قد أفاده فائدة كبيرة ، فقد جود أسلوبه وصقل لغته وأسلس له عنان البيان العربي ، آية ذلك هذا الفرق الكبير بين أسلوبه القديم في أهل الكهف وشهرزاد وعودة الروح وبين أسلوبه الحديث في بجماليون وسليمان الحكيم وزهرة العمر ... على أنني لا أرى أن العناية بالأسلوب وصقله وتجويده تكون سبباً في الانصراف عن تجويد الموضوع والسمو بأهدافه ما دامت للكاتب القدرة على أن يجود عبارته عفواً وطبيعة من غير تعمل ولا إعنات . وقد استحدث جون للى أسلوب (اليوفوزم) في الكتابة الإنجليزية فبهر ألباب القراء الإنجليز بعنايته بتجويد

(١) ص ٢١٥

(١) هو الأستاذ محمد عرفة

عباراته مما كان له صدى كبير فى أساليب الكثيرين من الكتاب الإنجليز وفى روائع شتى من النثر الإنجليزى نفسه

ولست أقصد أن أدافع عن أسلوب الحريرى أو البديع أو عبد الحميد أو أبى العلاء الكتابى ، بل لا أطيق أن أرى الناس يكتبون بأسلوب الجاحظ الذى أعجب به الأستاذ الحكيم وأثنى عليه ووضعه فى رأس الناثرين من كتاب العربية على أوضاع الكتابة المتعارفة . وصديق الأستاذ الدكتور زكى مبارك هو المسئول الأول عن رأى الأستاذ الحكيم فى أسلوب الجاحظ العظيم ، فلو أنه أهدى نسخة من كتابه الخالد « النثر الفنى » إلى الأستاذ الحكيم لما رأى فى الجاحظ هذا الرأى . ويحسن أن أثبت هنا رأى الدكتور زكى ، وإن كنت أنصح الأستاذ الحكيم أن يراجع « النثر الفنى » كله ، إن لم يكن قد فعل إلى الآن :

« وقد شاع هذا الأسلوب فى القرن الثانى والثالث (أسلوب الإطناب وبسط المعانى وتأكيدها بتكرير الجمل المتقاربة فى مغزاها ومدلولها لدرجة الأثقال) واتخذه الجاحظ خاصة أسلوباً مختاراً له لا يحيد عنه ... وفى رأيى أن الجاحظ وصل إلى درجة من الغلو والإملال ، ولولا أنه كان يخلط فى كتابته بين الهزل والجد والحلو والمر لانصرف الناس عنه »[1].

إنما أريد أن أذكر أن النثر العربى ، وخصوصاً النثر القصصى ، وهو الذى يهمنا هنا ، كان نثراً زاهياً مزدهراً ، وذلك منذ صدر الإسلام ، وكان الفضل فى إيجاده للقرآن أولاً ، ثم للأحاديث الطوال ثانياً ، ثم للقُصّاص « الذين كانوا يجلسون إلى الناس فى المساجد ، يفصلون ما فى كتاب الله من قصص الأنبياء ، ويسرفون فى تهويل هذه الأنباء ، ابتغاء للعبرة والتماساً للموعظة . ولما ازداد إقبال الناس على هذا الضرب من القصص ، وكثر إفك القصاص فيه ، طردهم أمير المؤمنين على من المساجد ما خلا الحسن البصرى »[2] ... وقد كان أشهر القصاص الذين فرغوا لتفصيل قصص القرآن تميم الدارى ووهب ابن منبه وكعب الأحبار وعبد الله بن سلام وغيرهم ... وبغض النظر عن قيمة قصصهم من حيث التحقيق العلمى ، فقد كانت أساليبهم شائقة ، وعباراتهم سليمة لا تعمل فيها ولا التواء . وفى كتاب (أصول الأدب) أن معاوية عرف للقصص قيمته فى الدعاوة السياسية فولى عليه رجلاً كان إذا صلى الصبح جلس يذكر الله ورسوله ، ثم دعا للخليفة وحزبه ، ودعا على أهل خصومته وحربه ، وكان هو (أى معاوية) إذا انفتل من صلاة الفجر جلس إلى القاص حتى يفرغ من قصصه ، وكان ولاته وقواده يقدمون القصاص فى بعض حروبهم ليقصوا على المقاتلة أخبار الشهداء وما وعدوا به من حسن الجزاء ، فعل ذلك الحجاج فى العراق ، وجاراه فيه من حاربهم من زعماء الفرق

وفيه أيضاً « أن أول من تولى القصص الرسمى فى مصر سليمان بن عنتر التُجَيْبى سنة ٣٨ هـ تولاه مع القضاء ، ثم تعاقبت القصاص من بعده فى مصر . » وقد اشتد الإقبال على القصص فى عهد الفاطميين » ، فقد كان يعقوب بن كلس وزير المعز يعتمد على المناظرات فى فقه الشيعة ، وعلى القصص فى جذب القلوب لأهل البيت ، وكان مقتل الإمام (على) ومأساة الإمام (الحسين) موضوع المنابر والسوامر فى شهر رمضان والمحرم ... »

وقد صدق الأستاذ الحكيم فى استنتاجه من حيث نشأة الأدب الشعبى فى مصر ، إذ « حدثت ريبة فى قصر العزيز فتناقلتها الأفواه ، ورددتها الأندية ، فطلب إلى شيخ القصاص يومئذ يوسف بن اسماعيل أن يلهى الناس عنها بما هو أروع منها ، فوضع قصة عنترة ونشرها تباعاً فى اثنين وسبعين جزءاً »

أما فى العراق ، فى القرن الرابع الهجرى أيضاً ؛ فقد جمع فن القصص بين روعة الأسلوب وجمال الفن ... » فما جمعه ووضعه الجهشيارى وابن دلاّن وابن العطار من الأقاصيص فى الحب الطروب والترف المسرف ، وما وضعه من قبل هؤلاء سهل بن هرون وعلى بن داود وأبان بن عبد الحميد من الأسمار ... وما صنعه من قبل هؤلاء عيسى بن دأب وهشام الكلبى والهيثم ابن عدى من الأخبار فى الهوى العذرى والسخاء العربى فى الإسلام والجاهلية »

وهكذا نرى أن هذا اللون من ألوان الأدب الرسمى ، أو أدب العربية الفصحى قد ساير نهضة الفنون الكبرى فى العراق ، كما سايرها فى مصر إلى أيام الفاطميين . وإن كنا نعترف أنها مسايرة ليست من نوع ما حدث فى اليونان أو

(١) ص ٦٢ النثر الفنى (٢) فى أصول الأدب للزيات ص ٣٣

الرومان أو أوربا ، وموضع الأسف هنا هو انقطاع القصصين : العربى الفصيح فى العراق ، والشعبى الراقى فى مصر ، بعد غزوة التتار والحروب الصليبية ، ونشوء صنف من القصص الوضيع في مصر فى عصر المماليك هو أضعف ما نجد من القصص التى تنازل الشهوات فى كتاب ألف ليلة وليلة

أما رأى الأستاذ الحكيم فى الشعر شكلاً وموضوعاً ، فهو رأينا الذى جاهرنا به ، والذى لا نزال نجهر به وندعو شعراءنا إليه ... « فما من فن عظيم بغير شعر ، أى بغير تلك المادة السحرية التى تجعل الناس يدركون بالأثر الفنى ما لا يدركون بحواسهم وملكاتهم ... »

وأما التمثيل والروايات التمثيلية ، وانعدام ذلك كله فى الأدب العربي ، فماذا أقول فيه ؟! وحتى كل فما بح صوتى بعد ، ولن أتعب أبداً من مناشدة الأستاذ الحكيم أن يؤلف للمسرح المصرى ، لأنه كاتب الحوار الأول فى مصر ، بل فى الشرق العربى كله

وبعد ... فها هو توفيق الحكيم يفرغ لما خلقه الله له . فماذا هو صانع ؟ وها هو ذا يكتب فى زهرة العمر آراءه ، فهل درى أنها تصلح لأن تكون برنامجاً مفصلاً لحركة إنهاض واسعة النطاق ؟

متى يضىء المصباح فى شاطئنا ويشع كما يضىء فى الشاطئ الآخر ويشع ؟

متى يكون لنا أدب مصرى وفن مصرى ومسرح مصرى وشعر مصرى وشخصية مصرية ؟

متى يعود توفيق الحكيم من فرنسا إلى مصر فلا يقول إنى عدت إلى الصحراء ؟!

إن فى عنق توفيق الحكيم ديناً للوطن فليؤده كاملاً ... وإنى أختم كلماتى فيه بما قلته عنه من قبل من أنه أحد بناة مصر الحديثة فليرهف قلمه وليتوكل على الله ...

دريني خشبة



كتب وشخصيات

للأستاذ سيد قطب

١ — على هامش السيرة ... ... لطه حسين
٢ — إبراهيم الثانى ... ... للمازنى
٣ — زهرة العمر ... ... لتوفيق الحكيم
٤ — الصديقة بنت الصديق ... للعقاد (*)

مدرسة طه حسين وفنه

للدكتور طه حسين مدرسة — على معنى من المعانى — له فيها تلاميذ كثيرون، كلهم يحاول أن يتأثره ويتشبث بخصائصه وينسج فيها على منواله، ولكن واحداً منهم لم يحقق هذه الخصائص على الوجه المطلوب. ومن بين هؤلاء التلاميذ من يبذل جهداً مضنياً يثير الإشفاق فى أن يصبح نسخة أخرى من طه حسين، فتكون قصاراه أن يخرج نسخة «مشاقطة» كالصورة التى تنطبع على ورق «النشاف»!

وأوضح مثال لهذه المحاولة الأستاذ شوقي ضيف، وبخاصة فى كتابه «الفن ومذاهبه فى الشعر العربى» الذى نال به الدكتوراه أخيراً من كلية الآداب، ونال عليه فوق الدكتوراه شكر الجامعة أيضاً!

ونستطيع أن نطلق على مدرسة الدكتور طه حسين اسم «مدرسة الأسلوب التصويرى»؛ فالدكتور فى خير حالاته يرسم لوحات متتابعة، أدواته فيها الكلمات والجمل. لوحات للمناظر، وللحوادث، وللمعانى، وللخطرات النفسية، والالتفاتات الذهنية، على السواء. وتلك مزيته الكبرى كصاحب شخصية أدبية.

والدكتور طه صاحب موهبة فى هذا وصاحب طريقة، فأما تلاميذ مدرسته فقد أخطأتهم الموهبة واتبعوا الطريقة. أخطأتهم موهبة التصوير واتبعوا طريقة التعبير. ولهذا يجوز أن نعود فنستدرك شيئاً، وهو أن مدرسة الدكتور طه حسين، هى الدكتور طه حسين نفسه؛ ثم محاولات لم تبلغ بعد حد النضوج، ولم يوجد فيها صاحب الطبيعة الموهوبة هذه الهبة الخاصة؛ بل لم يوجد فيها من يدرك سرها الأول وهو طبيعة التصوير، لأنهم جميعاً يفهمون أن هذا السر كامن فى طريقة التعبير!

بقى أن نعرف شيئاً عن نوع هذا التصوير فى مدرسة طه حسين، أو بتعبير أصح فى طبيعته. فهو التصوير الحسى الذى يرد المعانى والخواطر صوراً حسية، أو كالحسية — بله المناظر والحوادث — فهذه بعيدها كما بدأت أول مرة توشك أن تكون مجسمة.

وهو يخلع على هذه الصور الحسية لوناً من ألوان الحياة والحركة؛ ولكنها الحياة اللطيفة والحركة الوئيدة التى تدب على هينة، وتخطر فى رفق. فالسرعة النابضة والحيوية الدافقة ليستا من مطالب هذه الصور فى يوم من الأيام.

وقد يكون المثال هنا أوضح من المقال:

«هذه شهرزاد قائمة منه[1] غير بعيد، تنظر إليه نظرات فيها الحنان والمكر؛ وهى مغرقة فى ضحك هادئ عذب يرتفع له صدرها وينخفض، ويغشى وجهها بغشاء من الجمال الرائع ليس إلى تصويره من سبيل. وهذا الملك ينظر إليها مسحوراً مبهوراً وهى تضحك من ذهوله وحيرته، ولكنه ينهض خفيفاً ويسعى سريعاً، إذا بلغها أو كاد جثا أمامها غاضاً بصره إلى الأرض، رافعاً يديه إلى السماء، كأنه المؤمن الذى يتقرب إلى التمثال؛ وهى تضع يدها على رأسه ضاحكة، كأنها تبارك عليه، ولكنها لا تلبث أن تستحيل إلى حنان خالص، وإذا هي تميل إليه مترفقة، فتضع على جبهته قبلة حلوة حارة طويلة. ولو أنها تحدثت فى تلك اللحظة لأحس شهريار فى صوتها تهدج العبرات التى تريد أن تندفع من العيون، ولكنها الإرادة القوية تمسكها فيظهر أثر هذا الصراع فى الصوت المحتبس والألفاظ التى لا تبين. ولكنها لم تقل شيئاً، وإنما استقام قدها المعتدل، وامتدت يدها الرخصة إلى الملك فأنهضته صامتة، واستجاب لها الملك صامتاً طيعاً، فمضت به خطوات إلى نشز من الأرض قريب يكسوه

(*) لهذا الترتيب سبب خاص بى مع هؤلاء الأعلام، فأنا لم أكتب من قبل عن الاثنين الأولين إلا إشارات عارضة؛ فمن حقهما على اليوم أن أبدأ بهما وقد كتبت عن «سليمان الحكيم» لتوفيق الحكيم، ولكنى لم أتناول طريقته العامة. أما العقاد — وبخاصة فى سلسلة العبقريات — فقد قلت عنه معظم ما أريد أن أقول

(١) يعنى الملك «شهريار» فى أحلام «شهرزاد»

المشب ، فأجلسته وجلست بجانبه ، وأحاطت عنقه بيدها ؛ ثم أمالته في رفق حتى وضعت رأسه على كتفها ، وظلت تنظر إليه وهو ينظر إليها ، وهما مغرقان في صمت عميق . ثم يسمعها شهريار تتحدث إليه في صوت هادئ وادع ، وهي تقول له : « ألم يأن لنا بعد أن نهبط من السماء ، وأن ننزل إلى الأرض فنعيش فيها مع الناس ؟ »

« ولكن شهريار لا يجيبها ، وإنما تنحدر من عينيه دمعتان هادئتان تمسحهما شهرزاد في رفق ، ثم تنعطف إلى الملك فتقبل جبهته مرة أخرى ؛ ثم تقيمه حتى إذا استوى في مجلسه جعلت تمر أصابعها في شعره رفيقة به باسمة له مطيلة النظر إليه صامتة مع ذلك لا تقول شيئاً . وكأن هذا العطف الصامت الحار قد بعث الحياة والنشاط في قلب الملك وجسمه ، وفي عقل الملك وإرادته ، فهو يرفع رأسه إلى شهرزاد ويسألها في صوت كأنه يأتي من بعيد : ألا تنبئينني آخر الأمر من أنت وماذا تريدين ؟ »

وقد أطلنا في هذا المثال لأنه يجمع بسهولة كل ألوان التصوير الحسي في طبيعة الدكتور : فيه المعاني الذهنية والخواطر النفسية ، وفيه الحركات والحوادث والمناظر وكلها مرتسمة مصورة متحركة هذه الحركة اللطيفة المتتابعة في يسر وتؤدة

فمن شاء أن يرجع إلى أمثلة خاصة لكل نوع فليرجع إلى كتب ، الأيام ، وأديب ، وأحلام شهرزاد ، وهدية الكروان ، والحب الضائع . ثم ليرجع إلى هامش السيرة . كتابنا اليوم الذي جرنا إلى هذا الكلام ! واقرأ في الصفحة الأولى من الجزء الثالث :

« كان الشيخ مهيباً رهيباً ، وكان فخماً ضخماً ، قد ارتفعت قامته في السماء ، وامتد جسمه في الفضاء ؛ وكان وجهه جهماً عريضاً ، تضطرب فيه عينان غائرتان بعض الشيء ، ولكنهما على ذلك في حركة متصلة لا تكادان تستقران ؛ وهما متوقدتان دائماً ينبعث منهما شيء كأنه الضوء المشرق على هذا الوجه الجهم الغليظ ، فإذا لحظتا شيئاً أو أطلنا النظر إليه فكأنما تقذفانه بالشرر ، أو تسلطان عليه شواظاً دقيقاً قوياً من النار . وكان الشيخ فوق هذا كله ذكياً حاد الذكاء نافذ البصيرة ، يتعمق ما يعرض له من الأمر دون أن يحس الناس منه تعمقاً لشيء . يسأله الناس فيجيبهم لساعته جواب من فكر وقدر وأطال التفكير والتقدير ، فيَعجبون منه ويُعجبون به . وكان بعد هذا كله بطيء المشي ، ثقيل الحركة ، وقوراً في كل ما يصدر عنه ، وكان صوته يلائم هذا كله من أمره ، فكان صوتاً ضخماً عميقاً ، يسمعه السامع فيخيل إليه أنه يخرج من غار بعيد القاع . وكان الناس يهابونه ويرهبونه كما كانوا يجلونه ويكبرونه . فإذا سألتهم عن مصدر ذلك لم يعرفوا كيف يجيبون ، إنما كان هذا الرجل يبهرهم ويسحرهم ويملأ نفوسهم إكباراً وإعظاماً ، فإذا ذكر الوليد بن المغيرة فقد ذكر سيد من أروع سادات قريش ورجل عظيم من رجالات البطحاء » ... الخ

هذه اللوحات المرسومة في بحبوحة ، وهذه الصور التي تخطر في وناء وتدب في رفق ، هي مزية الدكتور الأصيلة ، مزيته التي يتجلى فيها فنه ويؤدي بها رسالته . ولقد يخطئك في بعض ما يكتب أن تجد الفكرة الكبيرة أو المعنى المبتكر ؛ ولكنك لن تخطئ اللوحة الهادئة والصورة الحية ، هذا اللون من الحياة المريحة المستريحة . ثم قد تبطؤ الحركة في بعض الأحيان إلى حد الجمود فيدركك نوع من الاستبطاء تهم أن تغمز فيه الكاتب ليسرع في خطواته بعض الشيء ؛ ولكن ذلك قليل على كل حال

ومن هنا كان إعجاب الدكتور بلبيد ثم زهير خاصة من شعراء الجاهلية لأنه يلبي حاجته من هذا التصوير .

***

وبعد فما قيمة كتاب على « هامش السيرة » ؟

قيمته من الوجهة الذاتية أنه — وبخاصة الجزء الأخير — يجمع أفضل خصائص الدكتور طه وأحسن مزاياه ، وينجو من كل عيوبه التي توجد في بعض الكتب الأخرى

وقيمته من الوجهة الموضوعية أنه الكتاب الأول في اللغة العربية[1] الذي يجمل من بعض حقائق السيرة وبعض أساطيرها فناً حياً جذاباً ؛ ولكنه لا يقف عند هذا الحد بل يحيل هذا الفن الحي الجذاب ، صورة « علمية » صادقة للجزيرة العربية وأطرافها في الفترة بين قبيل مولد النبي (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) للأستاذ توفيق الحكيم في هذا النحو كتاب « محمد » ظهر بعد ظهور الجزء الأول من الهامش ونحا فيه نحوه الخاص وله قيمته الفنية الكبرى

دراسة نقدية

شعر الطوبرانى

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

أسلفت القول فى العدد الماضى من « الرسالة » عن ترجمة حسن حسنى الطويرانى باشا الشاعر الصحافى المصرى المولد ، التركي الأصل ، واليوم أكتب هذه الكلمة — وفاء بالوعد — فى شعره الذى جمع فى ديوانه « ثمرات الحياة »

وديوان الطويرانى ضخم الحجم مملوء بكثير من القصائد الطوال والمقطعات والموشحات والأدوار والزجل ، وقد طبع بمطبعة إدارة الوطن سنة ١٣٠٠ هـ ، ثم سافر الشاعر إلى الآستانة فى العام نفسه ، ووكل أمر الإشراف على طبع الديوان إلى نائب له ، فلم يعتن بتصحيح الجزء الثانى ، فحصلت غرائب فى التحريف والتصحيف والسهو ، وفقدت أصول الديوان حين وصل الطبع إلى صفحة ٢١٦ ؛ وهنا علم الشاعر بما حصل فبعث بنسخة أخرى من الأصول لتتميم الأبيات . وبقى فى الآستانة ثمانى سنوات والديوان لم يكمل طبعه . فعاد إلى الأسكندرية فى ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٠٨ ، ووصل إلى القاهرة فى الثانى والعشرين من الشهر نفسه ، ولما استراح من السفر أخذ يصحح الديوان استنجازاً لإخراجه (ولكنه وجد أن تصحيح الأخطاء يستلزم صرف الأوقات المديدة وتحمل المشاق المديدة ، وأن الاهتمام بتصحيح ما وقع فيه من الخطأ والخطل ، شىء زائد على الأمل والعمل) ، فختمه بمعذرة إلى القراء ، وأنجزه وأخرجه فى ٢٠ محرم سنة ١٣٠٩ هـ

ويظهر من شعر الديوان والإمعان فى مطالعته أن الشاعر متأثر بالمذهب التقليدى إلى حد كبير ، فهو يحذو حذو شعراء عصره الذين كانوا أصداء بالية للشعر العربى القديم ، فأغراضهم أغراض السابقين ، وأبوابهم ومذاهبهم هى أبواب الأولين ، ومذاهبهم مع اختلاف الأحوال وتباين المقتضيات

ولم لا يكون شعراء عصر الطويرانى كذلك ، وأمامهم محمود سامى البارودى باشا كان مقلداً إلى حد بعيد حتى فى مطالعه ومواقفه وتشبيهاته بل فى عباراته ؟ ولكن البارودى كان يمتاز عليهم جميعاً بالطبع العربى الأصيل فى قرض الشعر ؛ فهو بارع فى المحاكاة ، حتى ليخيل إليك وأنت تقرؤه أنك تقرأ شعراً قديماً لم تفسده لوثة الأعاجم وفساد الملكات

ويظهر المذهب التقليدى فى شعر الطويرانى واضحاً ، حتى فى طريقة تبويبه للديوان ؛ فقد قسمه إلى أربعة وعشرين باباً : الأول منها فى الإلهيات ، وقدّمه لشرف موضوعه ، وهو الحمد والثناء على الله تعالى مفيض هذا الوجود . ولم يَعْدُ فى هذا الباب أن يكون « نظاماً » لا شاعراً ؛ فلم يصل إلى أعماق الوجود ولم تتجل عليه فيوض الحكمة وإشراقاتها ، ولم تزد إلاهياته على أن تكون خطوات عابرة نظمها فى قالب من قوالب عصره . وقد حاولت أن أعرض أحسن ما فى هذا الباب ، فلم أجد غير هذه الأبيات :

يامالك الروح يشقيها ويسعدها   وحافظ الجسم إفناء وإبقاء
أوجدت من عدم روحى وكنت لها   أوقات لم أدر فيها الطين والماء
متعتنى فى صفاء النفس منفرداً   مطهراً لم أخف رجساً وبأساء

أما الباب الثانى ففى المدائح النبوية وسماها « النبويات » ، كما سميت قصائد الكميت « بالهاشميات » ، وهى قصائد ليس لها فى الشعر من شرف إلا أنها صنعت للرسول عليه السلام ! فلا تجد فيها قوة حب الكميت ولا متانة البوصيرى وحكمته فى ثنايا المديح

والباب الثالث فى الحماسة والفخر ، وقدم هذا الباب (لعلة وفاء حقوق النفس التى لا تعرف حق غيرها إلا بعد معرفة ناموسها ؛ فإن النفس إذا جهلت حقها جهلت حقوق غيرها

فى الجزء الأول وبين رسالته وانتصار دعوته فى الجزء الثالث . صورة للحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية ، وصورة لما يهجس فى الضمائر والأخلاد ، وما يبدو من الاتجاهات والآراء وصورة للبيئات والأفراد فى تلك الحياة ... وذلك كله حسب كتاب ليكون عملاً يستحق التقدير . وإنه للكتاب الأول فى أعمال الدكتور — حسبما أعتقد — لا يوازيه فى هذا الميزان إلا كتاب « الأيام »

(حلوان)   **سيد قطب**

بالطبع فلم تقم بها) ، وهذا تعليل لطيف لشعر الفخر ، ولكن يشترط ألا يغالى فيه ، وإلا صار إسرافاً وكذباً . ولقد أسرف الطوبرانى فى هذا الباب إسرافاً كثيراً ووضع فيه ما ليس منه ، كالأبيات التالية التى هى أشبه بشعر الحكم منها بشعر الحماسة :

الناس فى الدهر أنباء وأخبار   والكون كونان أعيان وآثار
لا خير فى العيش إن لم يصطحب شرفاً   ولا اقتحام الردى دون العلا عار
اعمل مع الصبر ما يرضى الكمال به   واكتم مصابك إن الدهر دوار
لا يرغم الدهر إلا من يطيش له   فاعتز بالنفس إن خانتك أنصار

وقد يكون فى هذا الكلام فخر خفى . فهو يأمر الناس بما كمّل هو به نفسه من اصطحاب الشرف واقتحام الردى والصبر وكتمان المصاب والاعتزاز بالنفس حين يخون النصير

وأكثر ما يفتخر الطوبرانى فى هذا الباب بآبائه الترك ، فهو يتعصب لهم على العرب الذين حفظ لغتهم وآمن بنبيهم ؛ وقد يصل به التعصب إلى إنكار كل فضيلة للعرب وتجريدهم من كل مكرمة . ولا شك أن الأحوال السياسية فى عصره ، والخلاف بين العرب والترك ، ومحاولة الأولين التخلص من حكم الآخرين ، وقيام الشعراء من العرب بمهاجاة الترك ؛ لا شك أن ذلك كله كان حافزاً للطوبرانى على الاجتراء على العرب وتنقصهم . ووجد فى صحفه ومجلاته التى أنشأها أو اشترك فى تحريرها مجال الكلام واسعاً ؛ فأحفظ ذلك عليه كثيراً من الشعراء العرب كالشيخ إبراهيم اليازجى

ولقد نقل الطوبرانى الخلاف بين العرب والترك إلى خلاف بين الأصل السامى والأصل اليافثى . فهو يقول :

أرى الفخر للأتراك من عهد يافث   ومن عهد افراسياب ليس مرسفاً
فلا شهم فى الدنيا كجنكيز قاهر   ولا ثأر أغلى من طغا جار إذ طغى

ويقول من قصيدة أخرى :

فإنا بنو عثمان لا الضيم عندنا   يعان ولا يوماً على جارنا يقضى

وهو هنا يرد على ما رماهم به العرب من الظلم ونقض الجوار ، ولما استفزه اليازجى بالشعر المر الموجع فى تعداد مظالم الترك رد بقصيدة ميمية طويلة خانته فيها لباقته ، فرمى العرب بما لا يليق أن ترمى به أمة كريمة عزيزة من دولة كان يرتفع فوقها علم الخلافة الإسلامية ، حيث قال :

ملكناكم حيناً سوائم جهلا   تتيهون فى دوّ الهوان نعائما
فلما اكتسى العارى وأشبع جائع   وأصبح مخدوماً فتى كان خادماً
جهلتم حقوق الترك وهى جلية   ولم تحفظوها، شيمة الحر، أنعما
وشوهتم الحسنى بما قد بدا لكم ،   وقلتم كذا كنا وكنتم وبئس ما ...

وقد طالت هذه القصيدة وجمح القلم من يد صاحبها ، ولكنه عاد فى النهاية فلطف الكلام بقوله : —

وقد أنزل الله المؤاخاة بيننا   فلا تجعلوها أخوة تسفك الدما
وأنا بكم حقاً كما أنتم بنا   كلانا أخ فى الدين يبنى التلازما
ولا فضل إلا بالتقى وهو بيننا   سواء وفضل الله خص وعمما
وكل أبوه فى الحقيقة آدم   فمن شاء تذليلا لأصل فآدما
وأما نبى الله فالكل قومه   وأكرمه من لم يسئه وأكرما
نصحت بنى مصر وحذرت كلهم   وقلت المقال الحق لكن تجرما

ولو سلك الطوبرانى هذا المسلك الرقيق من أول الأمر ما تأججت نار المهاجاة بين شعبين أخوين مسلمين ، يرجى من تآلفهما للاسلام خير كثير

أما قصيدته السينية التى رد بها على سينية الشيخ إبراهيم اليازجى ، ففيها من الفخر كثير ، ولكن فيها على العرب تجنياً صارخا . ومنها هذه الأبيات :—

والترك نيران اللظى   فاقدم ورم إن كنت قابس
والترك قد تركوا أبا   ك ومثله بالخزى ناكس

***

لولا بنو عثمان ما   نبست لشرق نوابس
سهروا ونمتم والتقوا   وحشا وأمسيتم أوانس
برزوا لساعرة الوغى   وهممتم كالظبى كانس

ولكن هذه الأيام قد ولت وانتهى زمان الملاحاة ، ونرجو أن يكون المسلمون ، على اختلاف أجناسهم ، قوة يعمل حسابها ويخشى بأسها . ولعلهم فاعلون ذلك إن شاء الله .

أما فخر الطوبرانى بنفسه ، لا بجنسه ، فكثير فى شعره وقد أعانه على ذلك نفس أبية وهمة قوية ، فقد تنقل فى البلاد وطوف فى الآفاق ، ولقى الخير والشر ، وشرب الحلو والمر ، ولكنه ظل عزيز النفس . اسمعه يقول :—

على أننى إن لان قومى ظالم   وإن طالبونى بالتذلل ظالم

وأنى لأستاق الكريهة باسما وأجهل عقباها وأنى لعالم

إلا أنه قد يغرق فى الفخر ويغالى فيه على عادة شعراء عصره .

فترى الإسراف فيه واضحاً ، والكذب فيه ظاهراً كقوله :

خلقت للسيف والقرطاس والقلم

فالدهر عبدى وأهل الدهر من خدمى

والشطر الثانى سخيف مرذول وما أشبهه فى السخف بقول ابن سناء الملك

وأنك عبدى يا زمان وأننى على الرغم منى أن أرى لك سيداً

وسبحان من غير نظر شعراء اليوم إلى الفخر ، فلو أن واحداً منهم قال مثل هذا القول لقال الناس : هذا ناظم كذاب !

أما باب المديح فيشهل جزءاً كبيراً من الديوان . فقد مدح السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحميد والخديو اسماعيل باشا ، والخديو توفيق باشا ، كما كانت له مدائح وصلات أدبية ومكاتبات ومساجلات مع اسماعيل بك عاصم والأديب الشيخ أحمد أبو الفرج الدمنهورى والشاعر الأديب عبد الله فريج

أما غزله فيظهر فيه التصنع والتقليد للقدماء حتى فى الوقوف على الأطلال والبكاء عليها وذكر المرابع والعيس والأماكن العربية كمنعرج اللوى . فيقول :

تعرفت أطلال الحمى بعد مجهل فأوقفت عيسى بعد طول الترحل

ويقول :

سقى الله صوب القطر منعرج اللوى

وحسبى به دار الشبيبة والهوى

ويقول :

أمن دار سلمى دراسات المعاهد

بكيت طلولا بَعْدَ بُعْدِ المعاهد

ويقول :

بانت سعاد فرغد العيش منكود وودعت فجليد القلب مكمود

وشتان بين المحاكاة والطبع ، وبين الصوت والرجع !

وشعر الطورانى لم يسلم من الزحافات والعلل والضرورات الشعرية التى لجأ إليها لجوءاً كثيراً . فهو يمد المقصور ويقصر الممدود ويجزم المرفوع ، ويسكن أواخر الكلمات فلا يعربها ، ويقطع همزة الوصل ، ويصل همزة القطع ، ويأتى بعيوب السناد ويمنع المصروف من الصرف كقوله فى صفحة ٢٤٢

والورق تسجع فى الغصون كأنما

هاتيك غيد وتلكم الأوتار

فمنع من الصرف كلمة غيد وحقها التنوين

وقوله فى ص ٩

لأن التلازمْ بين ذات وعارض من السكون لا يخفى لمن يتبصر

باسكان الميم من كلمة التلازم

وقوله فى ص ١٧

يا نبى الهدى عليك سلام لا ابتداء له ولا انتهاء

بقطع همزة الوصل من كلمة إنتهاء

وقوله ص ٨

يا إله الخلق إرحم عاجزاً مد للألطاف نحو الباب يد

بقطع همزة الوصل من الفعل ارحم

وقوله :

ولا والله لا فى العلم خير ولا فى الجهل شرٌ ولا مخاوف

فمنع كلمة شر من التنوين وذلك قبيح ، ولو قال « ولا فى الجهل شرٌ أو مخاوف » لسلم من الضرورة القبيحة

والطورانى نسبة إلى طوران وهى بلد وكان يكاتب ابن عمه على بك عطا الله وهو فيها

وبعد فقد أتاح لى الأديب الفاضل على الشوكانى ببغداد كتابة مقالين عن الشاعر الصحافى التُركى المصرى حسن حسنى الطورانى باشا ؛ فله الشكر على ما أتاح ؛ ولصديق محمود بك نصير نائب المنصورة أجزل الشكر على تفضله بإعارتى ديوان الشاعر . فلولا ذلك ما ظهر هذا المقال .

محمد عبد الغنى حسن

بتاريخ ٢٦ - ١٠ - ٩٤٣ حكم فى الجنحة ٤٢٦ عسكرية الدرب الأحمر سنة ١٩٤٣ بحبس المتهم ٣ شهور شغل وتغريمه مائة جنيه والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لأنه فى ١٧ - ١ - ٩٤٣ بدائرة الدرب الأحمر حاز خيوط غزل بدون تصريح



بين الدين والعلم في ختان الأنثى

نشر الدكتور الفاضل أسامة في مجلة الرسالة الغراء مقالا له قيمته الطبية في ختان الأنثى ، وقد ذكر بعد أن أثبت ضرره أنه ليس من الدين في شيء وإنما هو عادة خاصة بأهل مصر مسلميها وأقباطها . وقد رد عليه بعض الفضلاء بأن ختان الأنثى من الدين ، لأن الأئمة نصوا عليه في أحكامهم المستنبطة من السنة ، فقال الشافعي وكثير من العلماء إنه واجب ، وقال مالك وأبو حنيفة إنه سنة ، ومأخذ هذه الأحكام أحاديث كثيرة منها : الختان سنة للرجال مكرمة للنساء . ومنها : يا نساء الأنصار اختضبن غمسا ، واختفضن ولا تنهكن . والخفض في هذا الحديث هو ختان المرأة

وإني أرى أن الدين لا يخدم بهذه الطريقة ، لأنها تخلق بينه وبين العلم من العداء ما تخلق ، وليس من مصلحة الدين معاداة العلم ، وقد قرر سلفنا الصالح في مثل هذا أنه إذا تعارض دليل النقل ودليل العقل وجب تأويل دليل النقل بما يوافق دليل العقل . وهذه قاعدة جليلة توفق دائما بين العلم والدين ، ويجب أن نجعلها دائما نصب أعيننا ، وألا نحيد عنها في كل ما يعرض من خلاف بين الدين والعلم

فلننقل للدكتور « أسامة » دعك الآن من التعرض لختان الأنثى من ناحية الدين ، فالتعرض له الآن من هذه الناحية سابق لأوانه ، لأنه يجب أولا أن نصل إلى قرار إجماعي في هذه المسألة من الأطباء ، وبهذا نكون أمام دليل قاطع من العلم والعقل ، ويمكننا أن نبحث هذه المسألة على ضوئه من ناحية الدين ، والأحاديث التي وردت فيها من أحاديث الآحاد ، وأمرها في ذلك أسهل من غيرها من أدلة النقل

عبد المتعال الصعيدي

الإبهام والغموض في التصوف

قرأت كلمة الأستاذ محمد منصور خضر في عدد الرسالة ٥٤٤ تعليقاً على كلمتي عن الإبهام والغموض في التصوف ، وهو في دفاعه عن التصوف يؤيد فكرة الغموض صوناً لأسرار المتصوفين ؛ على أن المنطق السليم يأبى أن يكون معرفة الحق احتكار الفئة مخصوصة تلجأ إلى طرق معوجة لإدراك كنهه ، وقد قامت الديانات الكبرى اليهودية والنصرانية والإسلام برسالة الحق بأسلوب صريح سهل كان عاملا قوياً في سرعة قبولها . وإني أعيذ الإنسانية أن تكون وسيلتها في تعرف الحق الإلهي طرق المتصوفين ، إذ لو كان الأمر كذلك لبات الحق مجهولا إلا من أفراد معدودين .

وقد لاحظت أن الغموض طبيعة في المتصوفين ، وأنه غير متعمد ، وإذ يرون أنفسهم قد بعدوا عن الطريق السوي ، يعمدون إلى تعليل هذا الغموض بأنه مقصود لذاته يصون أسرارهم ، وقد وجدت أن كل متصوفي العالم تتخذ للتعبير عن إرادتهم في الحق أسلوب العشاق لا عن مران سابق أو تعمد ، بل عن سجية خاصة بهم ، وهذا يسقط حجة القائلين بأن الإبهام وسيلة مقصودة لحفظ الأسرار

ويذكر القراء أن المتصوفين لا يتفقون في تأويل لغتهم الملتوية ، وحسبي أن أذكر البيتين اللذين نشرتهما الرسالة منذ أكثر من عام ؛ وكيف اختلف كل شارح في تأويل معناهما وعارض بعضهم ، وكلهم يدعي العلم بالتصوف . وبتنا نحن القراء في حيرة من أمر هذا الشعر الصوفي الذي لم يهتد لمعرفة ما يضمره قائله .

ولنعتبر بكلمة الحق التي تلوكها ألسنة المتصوفين ، والتي أطاحت رأس الحلاج عندما قال كلمته المشهورة « أنا الحق » ؛ فإن من ينشد الحق لا بد له من الصدق والصراحة والوضوح ، ومن يلتمس الحق عن طريق الغموض والإبهام فإنه يناقض نفسه

وقد ذكرت في كلمتي السابقة أمثلة من غموض المتصوفين ، وإن بيتاً من شعر ابن الفارض لا تكشف مخابئه آلاف من الصحف . ولعل قولة الحلاج « أنا الحق » مثل من أمثلة الغموض حمل الناس على اعتباره زنديقاً فقتلوه ، ولو كان يحسن التعبير عما يضمره لنجا من الخاتمة المشئومة التي جره إليها الإغراق في الغموض .

وختاما أسائل الكاتب الفاضل ما ذا يريد المتصوف عندما يذكر الحب والحبيب والدلال والوصال والهجر ، ومن اصطناع لغة العشاق في معرض الكلام عن الحق الإلهي ، أيعد

هذا تنزيهاً لهذا السر الربانى ، أم يعد إفلاسا وفقرا فى الإيضاح والبيان له سيئات كل قصور ؟

أما عن البحث فى نفسية المتصوفين فليس هذا مجاله كما قلت

(أسيوط)

ث. ل. يوسف

عضو فى المعهد البريطانى للابحاث الفلسفية بلندن

جماعة النهضة العلمية

أنشأ بعض الجامعيين جماعة صغيرة غرضها نقل الثقافة الأوروبية إلى اللغة العربية ، حتى تكون مادة يمكن استغلالها فى تلقيح الثقافة العربية وتزويدها بالعناصر اللازمة . والكتب التى رأت هذه الجماعة أن تنقلها إلى العربية فى هذا الموسم هى الكتب التالية :

١ — « الإنسان هذا المجهول » L'homme cet inconnu لألكسيس كارل : Dr Alexis Carrel

٢ — « التطور الخالق » (أو المبدع) Évolution créatrice لبرجسون H. Bergson

٣ — « لغز الكون » The Riddle of the Universe لإرنست هيكل E. Haeckel

٤ — « إميل أو التربية » Émile ou l'Education لجان جاك روسو

٥ — « ذكريات الطفولة والشباب » Souvenirs d'enfance et de jeunesse لإرنست رينان Erenest Renan

٦ — « العالم كما أراه » Le monde comme je le vois لأينشتين Albert Einstein

٧ — « الأفكار » Les Pensées لبسكال Blaise Pascal

٨ — « الانتحار » Le Suicide لدوركايم E. Durkheim

٩ — « الضحك » Le Rire لبرجسون H. Bergson

١٠ — « أول الأشياء وآخرها » First and last things لويلز H. G. Wells

ونحن إذا نظرنا إلى هذه القائمة نجد أن الجماعة قد أحسنت الاختيار ، (وإن كان التنويع محدوداً فى دائرة صغيرة) ... وكل ما نرجوه لهذه الجماعة الناهضة أن تمضى فى تحقيق مشروعها دون أن تتخلف ، فإن محك كل شىء هو التنفيذ لا التشريع ، والتحقيق لا التصميم .

زكريا ابراهيم

فهرس الموضوعات للسنة الحادية عشرة من الرسالة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)